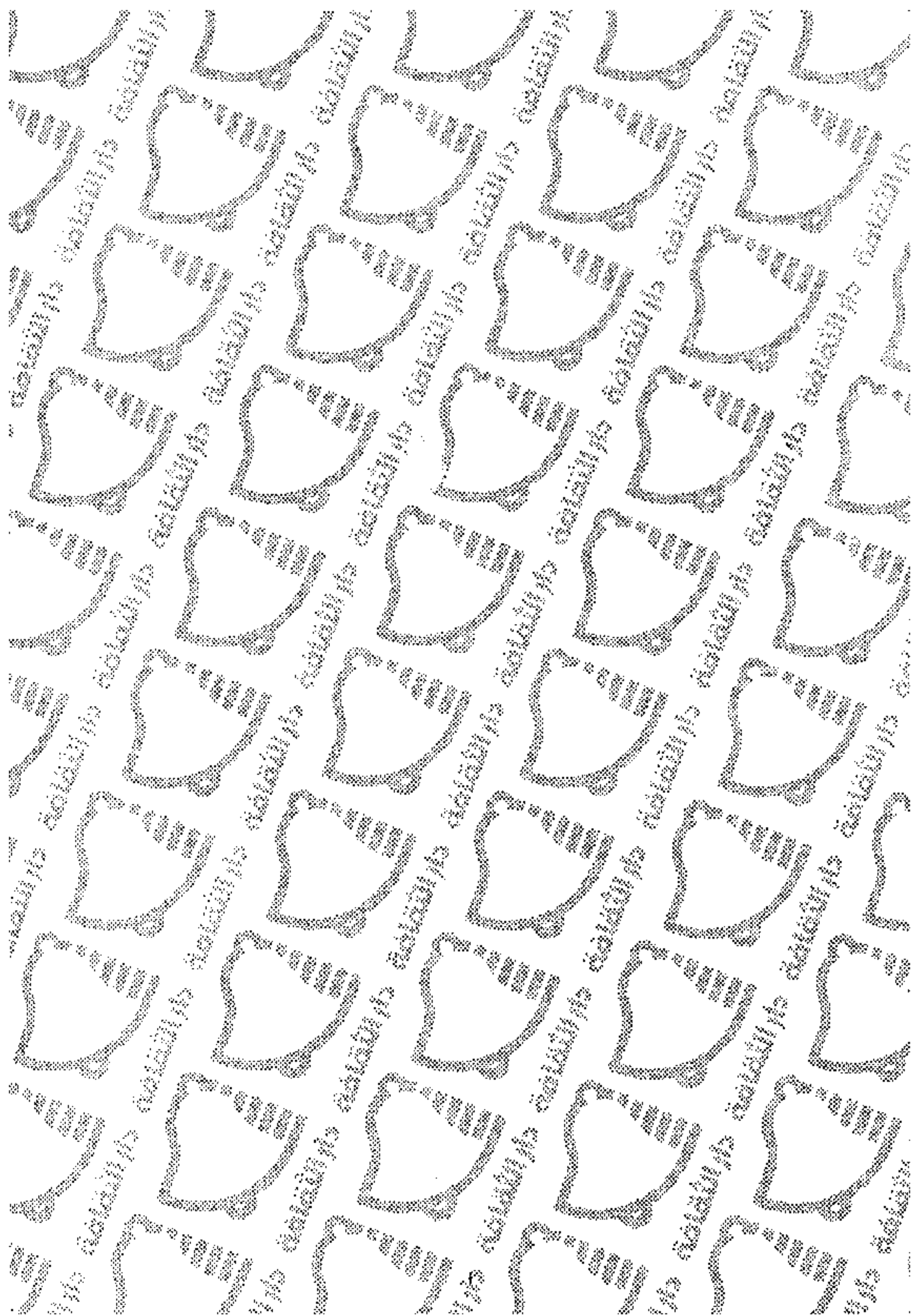
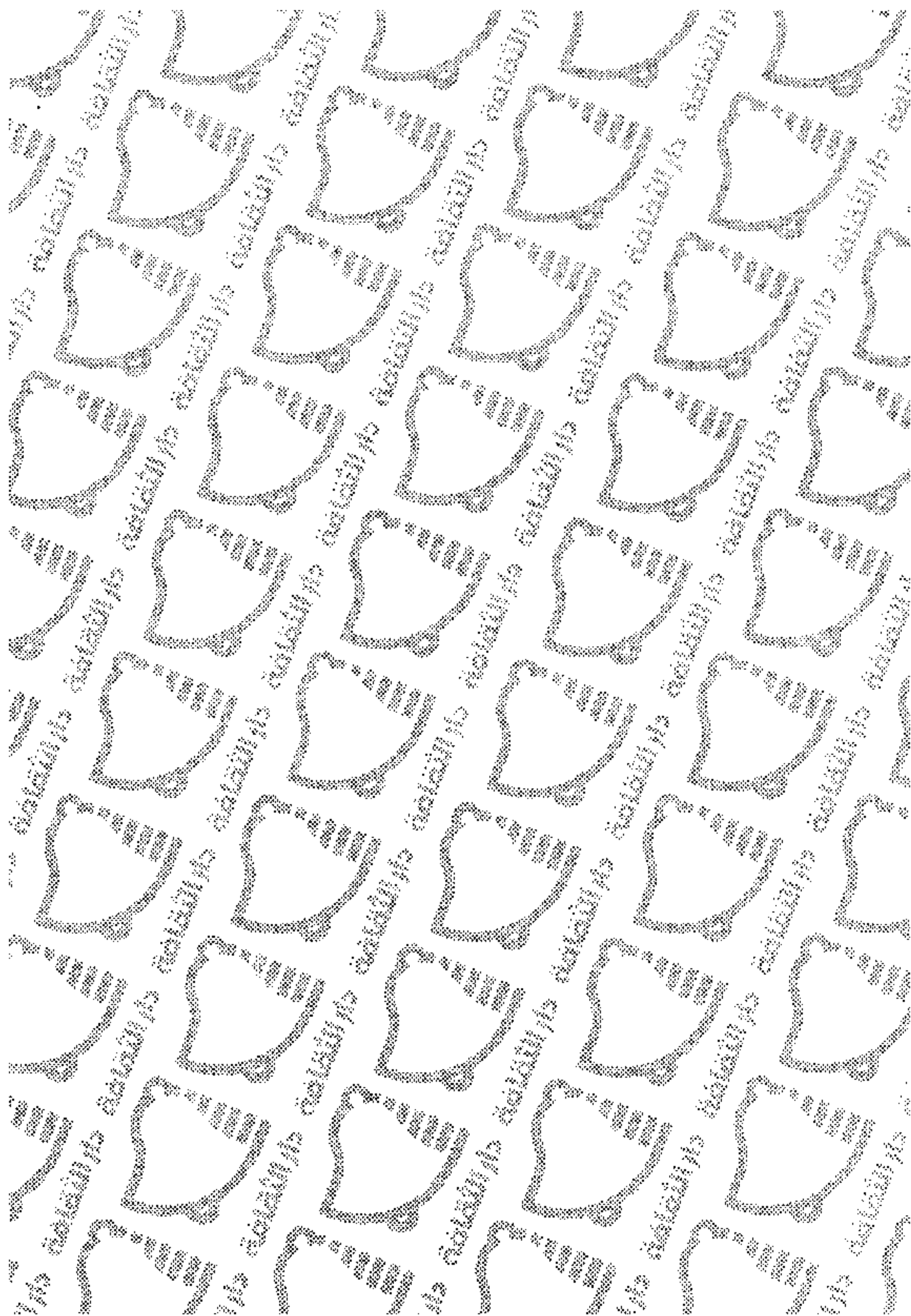


شرح
بشارة بو حنينا

الدكتور الفيلسوف براهم بن سعيد







شرح بشارة يوحنا

تأليف

الدكتور القس إبراهيم سعيد



دار الفكر

طبعة رابعة

صدر عن دار الثقافة ص . ب . ١٢٩٨ - القاهرة
جميع حقوق الطبع محفوظة للدار (فلا يجوز أن يستخدم إقتباس أو إعادة نشر
أو طبع بالرويو للكتاب أو أى جزء منه بدون إذن الناشر ، وللناشر
وحده حق إعادة الطبع) ١٠ / ١٠٨ ط ٤ (أ) / ٣ - ٩ / ٦٤ - ٧٨ - ٨٨
رقم الايداع بدار الكتب : ١٩٨٨ / ٥٧٣٣
رقم الايداع الدولى : ٨ - ٠٩١ / ١٦٦٠ - ٩٧٧
طبع بمطبعة : دار نوبار للطباعة - شبرا - القاهرة

مقدمة عامة

بشارة يوحنا هي فريدة الفرائد . فليس في آداب اللغات ما يعدل البشائر الأربع ، وليس بين البشائر الأربع ما يعدل البشارة الرابعة
أهذه البشارة مقالة تاريخية؟ أم هي بحث فلسفي أفرغ في قالب تاريخي؟
أم هي حجة لاهوتية جمعت بين ثناياها دقائق التاريخ وجمال الفلسفة؟ أم هي كل هذه مجتمعة معاً؟

بشارة يوحنا هي بشارة الخاصة . لكنها في نفس الوقت ، بشارة العالم أجمع .
فمع ان كاتبها يهودي مشبع بالآراء اليهودية ، ومع أنه مسيحي مثم بكل ما جاءت به البشائر الثلاث السابقة لبشارته ، ومع أنه مرتبط بحدود الزمن الذي نشأ فيه ، ومتأثر بعوامل البيئة اليونانية التي كانت محيطة به ، إلا أن كتابه ليس قاصراً على اليهود ، ولا هو كتاب جيل خاص ، لكنه كتاب الاجيال ، لان وراء يد يوحنا ، عاملاً قوياً خفياً ، هو روح الله العارف قلوب البشر أجمعين في الاصحاحات الثلاثة الأولى ، نرى المسيح « كلمة الله الازلي » ، محاطاً ببيئة يهودية ، واذ نبلغ الاصحاح الرابع ، نرى القادي وقد تخطى حدود البيئة اليهودية الضيقة ، حتى اتصل بالسامريين فوجدوا فيه مخلصهم المنتظر إذ قالوا « هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم »

ان كل قارئ ودارس لهذه البشارة ، مهما كانت لغته وجنسيته ، تقابله على صفحاتها كلمات جامعة تقوم أمامه واثبة لتحجيه بلغته الخاصة ، لانها كلمات عامة تلابس جميع البشر على توالي الأيام — المحبة ، الحياة ، النور ، الحق ، الخبز ، الماء — كل هذا يؤكد لنا ان البشارة هي كتاب العالم أجمع

هذا الكتابُ هو قدسٌ أقَداسُ الآدابِ المسيحية . فيه نسمع اقدس الاعلانات السماوية ، فلا عجب اذا جادت قرائح القديسين بأعجوبة الألقاب واقدسها على هذه البشارة . فمن قائل انها «بشارة الابدية» الى قائل انها «تعبير قلب الله» الى قائل انها «بشارة الحب الخالص»

مزايا بشارة يوحنا

من أظهر مزايا هذه البشارة ، انها «بشارة الحق» . فقد وردت فيها كلمة «الحق» ٥٠ مرة . وفي كل مرة منها ذُكرت مثنى «الحق . الحق» . ولم ترد مكررة على هذه الصورة الا في بشارة يوحنا وعلى لسان المسيح وحده . فهو «الحق» الذي يقول «الحق» . وهذه الكلمة جاءت (أ) متممة لحديث او (ب) لتقرير حقيقة مهمة ، او (ج) جواباً على سؤال هذه هي بشارة «ذات» المسيح ، فيها يتحدثنا بنفسه ، عن نفسه قائلاً «انا هو» . ولقد وردت هذه العبارة على لسان المسيح ١٤ مرة اي ٧ مرات مضاعفة : والسبعة عدد كامل

- | | |
|---|---|
| (١) «انا هو (المسيح)» ٢٦:٤ | (٨) «انا هو الباب» ٩:١٠ |
| (٢) «انا هو لا تخافوا» ٢٠:٦ | (٩) «انا هو الراعي الصالح» ١٤:١٠ |
| (٣) «انا هو خبز الحياة» ٣٥:٦ | (١٠) «انا هو القيامة والحياة» ٢٤:١١ |
| (٤) «انا هو الخبز الذي نزل من السماء» ١:٦ | (١١) «انا هو الطريق ، والحق ، والحياة» ٦:١٤ |
| (٥) «انا هو نور العالم» ١٢:٨ | (١٢) «انا هو الكرمة» ١٥:١ و ٥ |
| (٦) «انا هو الشاهد لنفسي» ١٨:٨ | (١٣) «ان لم تؤمنوا اني انا هو» ٢٤:٨ |
| (٧) «حينئذ يقيمون اني انا هو» ٢٨:٨ | (١٤) «انا هو» ٥:١٨ |

هذه هي بشارة الشهادة المكتملة اذ نرى فيها شهادة «سباعية» للمسيح :

(١) شهادة يوحنا المعمدان للمسيح ٣٥:٥ ، ٧:١

(٢) شهادة الكتب للمسيح ٤٦-٣٩:٥

(٣) شهادة اعمال المسيح له ٣٦:٦ ، ٢٥:١٠

(٤) شهادة الآب للمسيح ٣٧:١٨ ، ٣٤:٥

(٥) شهادة المسيح لنفسه ٣٧:١٨ ، ١٤:٨

(٦) شهادة الروح القدس للمسيح ١٤:١٦ ، ٢٦:١٥

(٧) شهادة التلاميذ للمسيح ٣٥:١٩ ، ٢٧:١٥

هذه هي بشارة التدرج والتقدم : فلنلق نظرة الى الدرجات التي

ارتقى عليها :

(أ) ايمان نيقوديموس : في الاصحاح الثالث والعدد الثاني تقرأ عنه انه «جاء الى يسوع ليلاً» . هذه درجة ابتدائية في سلم ايمان هذا الرجل . واذ نتقدم الى الاصحاح السابع والعدد الحسین وما بعده نجد القول «قال لهم نيقوديموس . . أعلّ ناموسنا يدين انساناً لم يسمع منه» هنا نرانا أمام درجة أرقى في ايمان هذا الرجل ، لانه خرج من خباء تستره وقصد ان يدافع عن سيده وان يكن بشي من الخوف . واذ نبلغ منتهى البشارة في ٣٩:١٩ ، نجد القول : «وجاء ايضاً نيقوديموس . . فأخذنا جسد يسوع ولفاه باكفان مع الأطياب» — هذه هي الدرجة القصوى في ايمان نيقوديموس لأن الخوف طرد من قلبه فجاهر بايمانه على رؤوس الاشهاد

(ب) ايمان خادم الملك : تقرأ عنه في ٥٠:٤ انه «آمن بالكلمة التي

قالها له يسوع فذهب « واذ نتقدم في القصة نجد ايمان الرجل وقد ارتقى درجة أعلى: «ففهم الأب في تلك الساعة . . . فأمن هو وبيته» ٥٣:٤
(ج) ايمان الرجل المولود اعمى :

في ١١:٩ قال عن المسيح انه «يسوع». هذه درجة ابتدائية في سلم الايمان
وفي ١٧:٩ قال عنه انه «نبي» — هذه درجة مناسبة في سلم الايمان
وفي ٣٣:٩ قال عنه انه «من الله». هذه درجة راقية » »
وفي ٣٨:٩ آمن انه «ابن الله». هذه درجة أرقى » »
(د) ايمان أهل السامرة :

في ٣٩:٤ نجد القول « فأمن به كثيرون بسبب كلام المرأة — » هذه
درجة ابتدائية

وفي ٤٢:٤ نجد القول «فقالوا للمرأة اننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن
لأننا نحن قد سمعنا ونعلم ان هذا هو بالحقيقة مخلص العالم». هذه درجة راقية
ولنلق نظرة أخرى الى الدرجات التي هبط اليها علم الايمان :
(أ) عدم ايمان يهوذا :

في ٦:٦ نرى لمحة خفيفة عن خلقه «مَنْ هو الذي يسلمه»
وفي ٢:١٣ نجد القول «التي الشيطان في قلب يهوذا — ان يسلمه»
وفي ٢٧:١٣ نجد القول «دخله الشيطان». في الخطوة السابقة التي
الشيطان افكاره في قلب يهوذا. وفي الخطوة النهائية دخل هو بكمليته في قلبه
(ب) عدم ايمان الامة اليهودية :

في ١١:١ نقرأ القول «وخاصته لم تقبله»

وفي ١٨:٢ نرى ان بغضهم له قد بدأ في النمو فطلبوا منه آية : « وقالوا له آية آية ترينا حتى تفعل هذا »

وفي ١٦:٥ نجد بغضهم له وقد تطور فاضى انتقاماً : « ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون ان يقتلوه »

وفي ١٠:١٢ نجد معارضتهم له برزت وُنظِّمت « فتشاور رؤساء الكهنة ليقتلوا لعازر ايضاً » — اي المسيح ولعازر

وفي الاصحاحات الأخيرة نجد معارضتهم له وقد نضجت واستوت فنُفذت بصلبه على الصليب

هذه هي بشارة التجسد :

متى البشير يقدم لنا المسيح في رداء « مسيياً » المنتظر من اليهود

ومرقس العامل النشط يقدمه لنا في ثوب العامل لسد حاجات البشرية

ولوقا الطبيب المؤرخ يقدمه لنا في شكل المخلص الذي جاء ليفدي

ويوحنا اللاهوتي الباطني يقدمه لنا في جلال لاهوته المتجسد

ان هذه البشارة الرابعة ترسم أمامنا الهوة السحيقة التي اوجدتها الخطية

بين الانسان وبين الله ، ثم ترينا كيف ان المسيح وهو ابن الله قد صار خاضعاً

لنواميس الحياة في الجوع ، والعطش ، والتعب ، والدموع ، والابتسام ، ليملاً

هذه الثغرة

هذا ما حدا بأوريجانوس الى القول « ان بشارة يوحنا هي تاج البشائر

كما ان البشائر هي ختم الكتب المقدسة » . وهذا ما دفع لوتير الى القول

« ان بشارة يوحنا كتاب رقيق الحواشي ، وانها مع رسالتي رومية وبطرس الاولى تحسب انجيلاً مختصراً »

غير ان المسيح المقدم لنا في بشارة يوحنا ، ليس مسيحاً جديداً ، ولا هو مسيح آخر ، فالمسيح هو هو في كل البشائر . انما ينظر يوحنا الى المسيح من ناحية غير التي نظر اليه منها سائر البشيرين ، وفي بعض النواحي يلتقي معاً جميع البشيرين

لم يرد في يوحنا ذكر الكتبة ، ولا البرص ، ولا العشارين ، ولا المصابين بأرواح نجسة . لان كل المعجزات التي ذُكرت في بشارة يوحنا ، كان القصد منها ، ان تكون « علامات لاظهار مجد المسيح » . وفوق ذلك فان كلمات المسيح التي سُجلت في بشارة يوحنا ، لم تُذكر من قبيل الامثال ولا الموعظ ، بل ذُكرت على سبيل الاحاديث الخاصة ، الحبيبة ، العميقة

هذه هي بشارة الرموز والمجازات :

ان كلماتها يونانية ، مصوغة في قالب عبري . وترتيب حوادثها يتمشى مع النظام الثلاثي والسباعي كما في الأدب العبري :

ذهب المسيح الى الجليل ٣ مرات | وفي الجليل أجرى ٣ معجزات
 وذهب الى اليهودية ٣ مرات | وفي اورشليم أجرى ٣ معجزات
 وقضى ثلاث ساعات مضاعفة ٦ ساعات في النواحي المجاورة لمكان
 خدمة يوحنا المعمدان

وقصة لعازر — مرضه ، وموته ، وقيامته — استغرقت ٣ أيام
 وسجل يوحنا ثلاثاً من كلمات المسيح على الصليب

وفي يوحنا ظهر المسيح ٣ مرات لتلاميذه بعد القيامة
 و٧ مرات مضاعفة ١٤ مرة قال المسيح عن نفسه «انا هو»
 بعض الكلمات المميزة لبشارة يوحنا

دُكرت كلمة «نور» ٢٣ مرة	دُكرت كلمة «ثبوت» ١٨ مرة
» » «مجد» ومشتقاتها ٤٢ مرة	» » «الظهور» ٨ مرات
» » «ظلمة» ٩ مرات	» » «الدينونة» ومشتقاتها ٣٠ مرة
» » «محبة» ومشتقاتها ١٨ مرة	» » «يؤمن» ومشتقاتها ٩٨ مرة
» » «العالم» ٧٨ مرة	و «مرتين» في سائر البشائر
» » «جسد» ٨ مرات	» » «اليوم الاخير» ٧ مرات
» » «الحياة الابدية» ١٥ مرة	» » «شاهد» ومشتقاتها ٣٧ مرة
» » «أعمال» ٢٣ مرة	» » «يعرف» ٥٥ مرة
	» » «اسم» ٢٥ مرة
دُكرت كلمة «علامات» ١٧ مرة	

مفتاح هذه «البشارة» متضمن في كلمتين : «الشهادة» ، «الايمان»
 واليك البيان :

«الايمان»

«الشهادة»

بذار الايمان
 بذار عدم الايمان
 نمو الايمان
 نمو عدم الايمان

شهادة يوحنا المعمدان
 شهادة معجزات المسيح

«الشهادة»	«الايان»
شهادة الآب	سر الايمان
شهادة الكتب المقدسة	سر عدم الايمان
شهادة المسيح نفسه	ثمار الايمان
شهادة افراد مختلفين	ثمار عدم الايمان
شهادة الروح القدس	اهمية الايمان
	دينونة عدم الايمان
	وقت الايمان
	موضوع الايمان

العبارات المتشابهة

في بشارة يوحنا وفي رسائله

بشارة يوحنا	رسائل يوحنا	بشارة يوحنا	رسائل يوحنا
يوحنا ١١:٣ متشابهة مع ١ يوا ١:٣-٣	يوحنا ٥٦:٦ متشابهة مع ١ يو ٤:١٥		
» ٢٤:٤ » ١ يو ٥:٢٠	» ٦٩:٦ » ١ يو ٤:١٦		
» ٣٢:٥ » ١ يو ٥:٩	» ٢٩:٨ » ١ يو ٣:٢٢		
» ٢٤:٥ » ١ يو ٣:١٤	» ٤٤:٨ » ١ يو ٣:٨		
» ٣٨:٥ » ١ يو ٢:١٤	» ٤٦:٨ » ١ يو ٣:٥		

بشارة يوحنا	رسائل يوحنا	بشارة يوحنا	رسائل يوحنا
يوحنا ٤٦:٨ متشابهة مع ١ يو ٥:٣	يوحنا ١٥:١٠ متشابهة مع ١ يو ١٦:٤		
» ٤٧:٨ » » ١ يو ٦:٤	» ١٨:١٥ » » ١ يو ١٣:٣		
» ١٥:١٠ » » ١ يو ١٦:٣	» ٢٤:١٦ » » ١ يو ٤:١		
» ٣٥:١٢ » » ١ يو ١١:١٢	» ٢١:١٢ » » ١ يو ١٢		
» ٣٤:١٣ » » ١ يو ٢٣:٣	» ٣٣:١٦ » » ١ يو ٤:٥		

واليك مقابلة بين بعض الكلمات

في بشارة يوحنا	في رسائل يوحنا
«البدء» يوحنا ١:١	= «البدء» ١ يو ١:١
«كان عند» يوحنا ١:١	= «كانت عند» ١ يو ٢:١
«كان الكلمة الله» يوحنا ١:١	= «هذا هو الاله» ١ يو ٢٠:٥
«النور الحقيقي» يو ١:٥	= «النور الحقيقي» ١ يو ٨:٢
«اعطاهم سلطاناً ان يصيروا اولاد الله» يو ١٢:	= «أعطانا الأب حتى ندعى اولاد الله» ١ يو ١:٣
«المؤمنون باسمه» يو ١:١٣	= «المؤمنين باسم ابن الله» ١ يو ١٣:٥
«الذين ولدوا... من الله» يو ١:١٣	= «وُلد من الله» ١ يو ١:٥
«الكلمة صار جسداً» يو ١:١٤	= «المسيح جاء في الجسد» ١ يو ٢:٤
«رأينا مجده» ١ يو ١:١٤	= «رأيناه» ١ يو ١:١
«فجاء يسوع ايضاً» يو ٤:٤٦	= «ابن الله قد جاء» ١ يو ٢٠:٥

الآيات المقتبسة من العهد القديم في بشارة يوحنا :

(أ) ما ورد منها في سياق كلام يوحنا البشير :

ما ورد في البشارة	ما جاء في العهد القديم	ما ورد في البشارة	ما جاء في العهد القديم
يوحنا ١٧:٢ مقتبسة من مز ٩:٦٩	يوحنا ٢٤:١٩ مقتبسة من مز ١٨:٢٢		
» ١٢:١٤ و ١٥ »	» زكريا ٩:٩ »	» ٣٦:١٩ »	» خر ٤٦:١٢ »
» ٣٨:١٢ »	» اشعيا ١:٥٣ »	» ٣٧:١٩ »	» زكريا ١٠:١٢ »
» ٤٠:١٢ »	» مزمور ١٨:٢٢ »		

(ب) ما جاء منها في سياق كلام المسيح :

يوحنا ٤٥:٦ مقتبسة من اشعيا ١٣:٥٤	يوحنا ١٨:١٣ مقتبسة من مز ٩:٤١
» ٣٤:١٠ »	» مزمور ١٦:٨٢ »
	» ٢٥:١٥ »
	» مز ١٩:٣٥ »

(ج) ما جاء منها في سياق كلام يوحنا المعمدان :

يوحنا ٢٣:١ مقتبسة من اشعيا ٣:٤٠

(د) ما جاء منها في سياق كلام الجليليين :

يوحنا ٣١:٦ مقتبسة من مزمور ٢٤:٧٨

من هو كاتب هذه البشارة ؟

اولاً : شهادة البشارة لكاتبها او الأدلة الداخلية :

تحمل هذه البشارة في نفسها برهان صدق نسبتها الى يوحنا كاتبها .

فكما انها بشارة «الشهادة» ، فهي كذلك تشهد لكاتبها أنه : -

(١) يهودي : - أ - لان اسلوب الكتابة يدل على ذلك . فمع ان

البشارة كتبت باللغة اليونانية ، الا ان جلّ تعبيراتها مفرغة في قالب عبري .
ويقرّنا على قولنا هذا ، اثنان من الباحثين الناقدين ، وهما « كايم » (Keim)
« وإوالد » (Ewald)

قال اولها : « ان الكاتب يهودي صميم . تشبع بروح لغته الاصلية »
(ب) يؤيد هذا ، إلمام الكاتب بالآراء ، والعادات اليهودية ، لدرجة يتعذر
على كاتب أجنبي ان يجاريه فيها . فمنها : ذكره انتظارات اليهود في
« مسياً » ملكهم العتيد (١٩: ١ - ٢٨ و ٢٥: ٤ و ١٤: ٦ و ١٥) وكلامه في
« المعمودية » اليهودية (٢٥: ١ و ٢٢: ٣ و ٢: ٤) وكلامه في « التطهير » (٢ :
٢٦ و ٢٥: ٣) وكلامه في « السبت » (١٠: ٥ و ١٤: ٩) وفي « الثلثان » (٢٢: ٧) ،
وفي مقام المرأة عند اليهود (٢٧: ٤) وفي عادات اليهود في دفن الموتى (١١ :
٤٤ و ١٩: ٤٠)

(ج) يدعم هذا ، اهتمامه الخاص بالأعياد اليهودية ، واتخاذها اساساً
تاريخياً لتدوين الحوادث الجارية بالنسبة لها : عيد الفصح (١٣: ٢ و ٢٣ و ٤: ٤
و ١٣: ١ و ١٨: ٨) ، عيد المظال (٢: ٧) ، عيد التجديد (٢٢: ١٠) ، عيد اليهود
« الفوريم » (١: ٥)

لم يكتفِ الكاتب بمجرد ذكر الاعياد ، لكنه أحاطها بتفصيلات
دقيقة متخطياً العقلية الاممية ، « كانتصاف العيد » ، « واليوم الاخير العظيم
من العيد » (٣٧: ٧) ، وكون عيد التجديد يأتي في « الشتاء » (٤٢: ١٠)
« والاستعداد للفصح » (٣١: ١٩)

(٢) يهودي فلسطيني : هذا ظاهر من معرفته الدقيقة بتفصيلات الامكنة

الجغرافية المقدسة : كتعيينه « بيت عبرة » ، في « عبر الأردن » (١٨:١) وتحديده « عين نون » ، « بقرب سالم » ، (٢٣:٣) . وذكره « الخزانة » ، وقوله « كانت بيت عنيا قريبة من اورشليم نحو خمس عشرة غلوة (١٨:١١) ، وتعيينه مكان الصليب بالقول « وكان في الموضع الذي صُلب فيه بستان ، وفي البستان قبر جديد » (٤١:١٩)

قال رينان : « لا يستطيع ان يكتب بشارة يوحنا سوى شخص عرف «وادي قدرون» او وُلد على مقربة منه

(٣) هذا الكاتب اليهودي ، الفلسطيني ، هو شاهد عيان لما كتب . هذا ظاهر من تدقيقه في ذكر بعض الاشخاص ، والازمنة ، والامكنة ، والأعداد — أمور لا يقوى على الاحاطة بها إلا من كان شاهد عيان لما حدث من جهة الاشخاص : ذكر الكاتبُ يوحنا المعمدان وتلاميذه ، واندراوس ، وسمعان بطرس ، وفيلبس ، وثنائيل . وسجل قول المسيح لفيلبس «من اين نبتاع خبزا لياكل هؤلاء» (٦:٥ و٧) ، وكلام اليونانيين لفيلبس «يا سيد نريد ان نرى يسوع» ثم ذهب فيلبس وكلامه مع اندراوس ثم كلام اندراوس وفيلبس ليسوع ، (١٢:٢١ و٢٢) . وذكر سؤال توما : «لسنا نعلم اين تذهب . فكيف نقدر ان نعرف الطريق» (١٤:٥) . وسؤال يهوذا ليس الاسخريوطي : «ماذا حدث حتى انك مزع ان تظهر ذاتك لنا وليس للعالم» (١٤:٢٢) ، واسئلة التلميذ الذي كان يسوع يحبه : (١٣:٢٣ — ٢٥ و٢١:٢٠)

اما تدقيقه في ذكر الازمنة بالتفصيل ، فيظهر من ذكره الاسبوع الاول

في خدمة المسيح على الأرض (٢٩:١ و ٣٥ و ٤٣ و ١:٢) والاسبوع الاخير
 (١:١٢ و ١:١٣ و ١٩:٣١ و ١:٢٠) واسبوع القيامة (٢٦:٢٠) والتدقيق
 في حساب الايام المتعلقة بحادثة لعازر (١١:٦ و ١٧ و ٣٩) ، وتدقيقه في ذكر
 الساعة بالذات (١:٣٩ و ٢:٣ و ٤:٥٢ و ٦:١٦ و ١٣:٣٠ و ١٨:٢٨ و ١٩:١٤ و ٢٠:
 ١ و ٢١:٤)

وتدقيقه في ذكر الاعداد يظهر من :

ذكره تلميذي يوحنا (١:٣٥) ، وقوله « مثني ذراع » (٨:٢١) ، « مئة
 وثلاثاً وخمسين سمكة » (١١:٢١) ، « ستة أجران » (٦:٢) ، « اربعة
 جنود » (٢٣:١٩)

وتظهر دقة وصفه للحوادث من : قوله عن يهوذا : « لما خرج كان ليلاً »
 (٣٠:١٣) وقوله عن رائحة الطيب انها « ملأت البيت » ، ووصفه قميص
 المسيح انه « كان منسوجاً كله بغير خياطة » (٢٣:١٩) ، وذكره المنديل
 الذي وُجِدَ في قبر المسيح (٧:٢٠)

(٤) هذا الكاتب ، اليهودي ، الفلسطيني ، الشاهد العيان ، هو احد

تلاميذ المسيح

لانه مُلِمّ الماماً تاماً بدعوة المسيح للتلاميذ الأولين ، ولانه ذكر ان
 القيامة ثبتت ايمان التلاميذ ، وعمقت الفرح في قلوبهم (٢٢:٢٠) ، ولانه
 سجل الحوار الذي دار بين التلاميذ انفسهم في حادثة سوخار (٣٣:٤) ،
 ودون ما قالوه بمناسبة خطاب المسيح الوداعي (١٦:١٧ و ٢٠:٢٥ و ٢١:٣٧)
 ولانه عرف المكان الذي لجأ اليه المسيح وتلاميذه « الى الكورة القريبة من

البرية الى مدينة يُقال لها افرائيم» (٥٤:١١) ، ولانه عرّف الافكار المغلوطة التي كان يفكر بها التلاميذ اولاً ثم اصلحها لهم المسيح فيما بعد . مثال ذلك : قول المسيح عن هيكل جسده (٢١:٢ و ٢٢) ، وعن نوم لعازر (١١:١١) — (١٣) ، وعلم فهمهم كلام المسيح ليهوذا الاسخريوطي (٢٨:١٣) وعلم معرفة التلاميذ لشخص المسيح بعد القيامة (٤:٢١) . ووصفه الدقيق لتأثرات المسيح مما يدل على انه كان على مقربة منه ، فحدثنا عن « انزعاج المسيح بالروح » (١١:٣٣ و ٢١:١٣)

(٥) هذا الرسول اليهودي ، الفلسطيني ، الذي شهد الحوادث هو يوحنا قرأ في خاتمة هذه البشارة (٢٤:٢١) ان كاتبها هو التلميذ الذي كان يسوع يحبه ، وقد ورد ذكر هذا التلميذ بهذا اللقب اربع مرات في البشارة (١٣:٢٣ و ١٩:٢٦ و ٢١:٧ و ٢٠) . ويظهر من (٢:٢١) ان الكاتب هو احد اثنين: اما انه احد ابني زبدي ، او هو احد التلميذين « الآخرين » الغير المعيّنين في تلك الحادثة

واذا رجعنا الى ما كتبه سائر البشيرين في هذه الحادثة ، وجدنا ان الثلاثة التلاميذ المقربين من المسيح بنوع خاص هم : بطرس وابنا زبدي يعقوب ويوحنا . وبما ان يعقوب مات قتلاً بسيف هيرودس في وقت مبكر (اعمال ١٢:٢) ، وبما انه لا مجال للقول بكتابة بطرس لهذه البشارة اذ انه مات مصلوباً في وقت مبكر ايضاً ، وهو طبعاً غير « التلميذ الآخر » الذي كان يسوع يحبه لانهما ذكرا معاً في مكان واحد (٢:٢١) ، فلا مناص اذاً من الاقرار بان يوحنا الرسول هو كاتب هذه البشارة

وبما ان يوحنا لم يذكر اسمه بالذات في البشارة ، فمن المعقول ان وداعة
« رسول المحبة » قد حملته على اخفاء اسمه الذي هو اشهر من نار على علم في
سائر الأسفار (اعمال ١: ٣ و ١٣: ٤) « لان المحبة لا تطلب ما لنفسها » (١ كو
٥: ١٣)

من مزايا يوحنا انه يعرفنا باسماء الاشخاص الذين يتحدثنا عنهم، فلم يكتفِ
بان ذكر سمعان باسمه العادي الذي يذكره به سائر البشيرين ، بل ذكره
باسمه الكامل « سمعان بطرس » او باسمه الجديد « بطرس » . وذكر توما في
ثلاث مرات مقروناً بلقبه : « التوأم » (١٦: ١١ و ٢٠: ٢٤ و ٢١: ٢) . وهو الذي
تفرّد بوصف الاسخريوطي بانه « ابن سمعان » (٦: ٧١ و ١٢: ٤ و ١٣: ٢ و ٢٦: ٢) .
كذلك لم يسمح يوحنا لنفسه بان يذكر يهوذا الآخر من غير ان يجود عليه
بكلمة تميزه عن الاسخريوطي بل قال عنه « ليس الاسخريوطي » (١٤: ٢)
وفي الوقت نفسه ، قد استعمل يوحنا الایجاز ، والحدق ، في ذكر اقرب
المقرين اليه : فلم يذكر يوحنا المعمدان الا بالقول « يوحنا » . ولم يذكر اسم
« سالومة » أمة حياء منه . فمن الطبيعي أن يكون قد تماشى ذكر اسمه هو ،
حياء منه أيضاً

الأدلة الخارجية :

ثانياً : اما الادلة الخارجية فهي قائمة على شهادة :

بوليكاربوس (١٥٠ ميلادية) . شهد بان يوحنا كتب الرسائل المنسوبة

اليه ، ومن المعلوم ان كاتب الرسائل هو بعينه . كاتب البشارة

بابياس الذي استشهد في ايام بوليكاربوس وشهد بان يوحنا كتب

الرسالة الاولى المنسوبة اليه و بالتالي شهد لبشارته. وباسيليوس (١٢٥) ميلادية، اقتبس من البشارة الرابعة. ويوستينوس (١٥٠ ميلادية) ذكر البشارة الرابعة في كتاب وضعه سنة ١٤٦ ميلادية وفيه اقتبس قول يوحنا المعمدان عن المسيح «لست انا المسيح بل اني مرسل امامه .. ينبغي ان ذلك يزيد وأني انا انقص» (يوحنا ٣: ٢٨ و ٣٠). واقتبس أيضاً كلمات المسيح لنيقوديموس عن الولادة الجديدة، الواردة في يوحنا ٣: ٣ - ٥

ويوستينيانوس نادى بتعليم يوحنا ان المسيح هو الكلمة وثاوفيلس الانطاكي (١٧٥ ميلادية) اقتبس من البشارة وذكر مؤلفها وكذلك اثيناغوروس (١٧٦ ملادية)

ولا يسعنا ان نغفل الأثر النفيس الذي اكتشفه موراتوري الشهير ونشره، وهو مكتوب عام ١٧٠ بعد الميلاد. وقد جاء فيه ما يأتي :

«ان مؤلف البشارة الرابعة هو يوحنا، أحد التلاميذ. لانه اذ تقدم اليه بعض من رفاقه التلاميذ، والاساقفة، طالبين اليه ان يكتب بشارة، قال لهم لننصرف جميعاً للصوم والصلاة مدة ثلاثة ايام. ثم بعد ذلك نجتمع معاً لنتذاكر ما أعلنه الله لنا. وفي احدى الليالي الثلاث أعلن الروح القدس لاندراوس احد التلاميذ بان يؤلف يوحنا بشارة باسلوبه الخاص. ولما اجتمع التلاميذ معاً ليتذاكروا ما أعلن الله لهم، سمعوا يوحنا يقول «.. الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسته ايدينا من جهة كلمة الحياة .. نخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا. الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا»

من هو يوحنا كاتب هذه البشارة ؟

كلمة « يوحنا » هي مختصر كلمة « ياهو حنان » اي « الرب يتحنن » . ولد يوحنا في أيام حكم اول قياصرة الرومان ، وامتدت به الايام حتى بلغ ايام تراجان فلامس حدود القرن الثاني للميلاد . وبذلك اضحى أطول الرسل عُمرًا ، وأبقاهم على قيد الحياة

وُلِدَ في بلاد فلسطين مهبط الوحي والالهام ، ومهد الرسالة والنبوة . هذه بلاد شعرية حسًا ومعنى ، لذلك يسميها اليهود ساكنوها « كنورت » اي القيثارة كما يدل عليها شكلها

اذا قيس كل بلد بحدوده الجغرافية ، حُسِبَت فلسطين من أصغر بلاد العالم . فهي لا تزيد في عرضها عن ٥٠ ميلًا ولا تبلغ سوى ١٨٠ ميلًا في الطول . لكن اذا قيس كل بلد ، بما أنجبه من الرجال العظام ، ومن قادة الرأي في البشرية ، فان هذه البلاد الصغيرة تُحسب في مقدمة بلاد العالم عظمةً وجلالاً . هذه بلاد ترعرع فيها سليمان ، وملك فيها داود ، وتغنى فيها اشعيا ، بشعره الخالد . فضلاً عن ذلك ، فقد صارت مهبط تجلي الله في السحاب على الهيكل المقدس ، وفوق الكل قد خرج منها مخلص البشرية — يسوع المسيح ، الذي هو « بهاء مجد الله ورسم جوهره ، وحامل كل الاشياء بكلمة قدرته »

في مقاطعة الجليل الواقعة شمالي فلسطين ، وفي مدينة بيت صيدا — مكان الصيد — عاش يوحنا كاتب البشارة المنسوبة اليه . في شبابه كان

نكرة بين ميادي الاسماك ، وفي رجولته وشيخوخته اضحى علماً في مقدمة صيادي الناس !

كان مسقط رأس يوحنا في قرية قريبة من بحر الجليل تكتنفها مروج تابور الخضراء ، وتشرف عليها قمم جبال حرمون الثلجية البيضاء ، فكان من الطبيعي ان ينشأ يوحنا في هذه البيئة الطبيعية الجميلة ، وله عين النسر ، وقلب الشاعر ، وعقل الفيلسوف ، وروح العابد المتصوف

أما ابواه فهما زبدي وسالومة . كان والده في الغالب على جانب من نعيم هذه الحياة . لان عدداً من الخدم المأجورين كان في حيازته لمساعدته في اصلاح الشباك (مرقس ١: ٢٠) . وكان ايضاً يملك بيتاً . وكان يوحنا نفسه معروفاً لدى قيافا رئيس الكهنة

اما أمه فقد كانت سيّدة فاضلة تقية . وكانت شريكة النساء اللواتي اشترين الحنوط الكثير الثمن لتكفين جسد المسيح
إذاً كان يوحنا من عائلة شريفة مع انه كان متخذاً مهنة الصيد حرفة له . لان عادات اليهود كانت تقضي على ابناء الاشراف ان يتعلموا حرفة ما ويُستنتج من عدم ورود اسم والد يوحنا بعد ما صار ولداه تلميذين ليسوع ، انه كان قد مات في ذلك الوقت

ذهب يوحنا عند بلوغه السادسة من عمره الى المدرسة التي كان يذهب اليه ابناء اليهود الاشراف والاولساط — وهي المعروفة «بالمدراس» . فيها تعلم مبادئ القراءة واستظهر شيئاً من التوراة والتلمود . لان اليهود يعتقدون «ان

العالم محفوظ بركة ابناء المدارس ، « وان المدينة الخالية من مدرسة مآلها الخراب »

ترى يوحنا في تلك المدرسة على التعصب وكراهية شعب السامرة فلا عجب اذا كان قد دُعي مع اخيه « ابني الرعد » . . ولا يبعد ان تربيته الاولى عند قدمي يوحنا المعمدان قد زادت طبعه حدة . . اليس من العجيب ان يخلق المسيح من احد « ابني الرعد » ، « رسول المحبة » ؟

ظلّ هذا التلميذ اميناً لسيّده ، ملازماً له حتى النهاية . وفي ليلة تسليم المسيح ، تبعه الى دار رئيس الكهنة — عن قرب لا عن بعد كما فعل بطرس — وعند الصليب ظلّ اميناً متفياً بظله فأخذ من المسيح اجلّ ودیعة ، اذ اوصاه بالعناية بأمة

لم يكن يوحنا في كتاباته مرعداً ولا مبرقاً ، لكنه هادئ كالنسيم ، وراء قلمه السیال تجري كلماته كالزيت . فهو لا يجادل ولا يحتاج بل يسرد كلامه كمن يؤدي شهادة تحمل معها برهان صدقها في حياء من غير خوف ، وفي عزّة واثاء من غير ادعاء

حسناً قال فيه يوحنا « فم الذهب » : « ان صوت يوحنا الرسول قد ملاّ جوّ أرضنا بعير نعمته لا بتعبير نبراته »

كانت الكنيسة الأولى تلقّبه « بالنسر » الطائر ، لانه ارتفع في سماء الوحي ، فبلغ مرتبة لم يبلغها سواه . وقال فيه اغسطينوس : « مع أن سائر البشیرین ظلوا على الارض مع يسوع الانسان ، ولم يذكروا سوى القليل

عن لاهوته ، الا ان يوحنا جاءنا محققاً في الملاً الاعلى ، فسما فوق الملائكة حتى بلغ حضرة الله «الذي منه وبه وله كل الاشياء»
 لقد اجادت الكنيسة اذ خلعت عليه هذا الوصف لانه كان اسبق التلاميذ الى معرفة المسيح عند بحر طبرية ، فقال « هو الرب » ، فلا غرابة اذا لقبته الاجيال « يوحنا الرائي »

وبقدر علوه كان أيضاً عمقه ، لذلك سمي ايضاً « اللاهوتي »
 لقد توفرت في يوحنا كل المعدات اللازمة لكتابة بشارته . ألم ينتفع كثيراً من وجود مريم ام المخلص معه في بيته بعد صلب المسيح ؟
 في غلاطية ١: ٢٨ يصفه بولس بأنه « أحد أعمدة الكنيسة الأولى »
 الذين اجتمعوا به ليحكموا في قضية الختان ، بعد مضي خمس عشرة سنة على زيارته الاولى لجمع اورشليم سنة ٥٠ ميلادية (اعمال ١٥: ٢٢ مع غلا ٢: ٩)
 ويستفاد من رؤيا ١: ٩ ان يوحنا بقي في اواخر ايامه في جزيرة بطمس .
 وكل ما نعرفه عدا ذلك ، قد أثانا عن التقليد ، وهو يتفق والأوصاف المذكورة فيما سبق

وقد جاء عنه في التقليد — الاحاديث المسيحية : انه رفض البقاء مع كيرثوس — الذي انكر تجسّد المسيح — تحت سقف واحد . فما اشدّ الفيرة التي تولدها المحبة المقدسة !

ويصوره التقليد لابساً الصدر المخصّصة لرئيس الكهنة ويقول ايرونيوس انه لما كان يوحنا في افسس ، وتقدّم كثيراً في السن ، وكان يحمله تلاميذه الى الكنيسة على أذرعهم ، وصار غير قادر على

اطالة الكلام، بقي مراراً عديدة، وكل مواضعه منحصرة في قوله: «أيها الاولاد احبوا بعضكم بعضاً». ولما سَمَّ بعضهم تكرار هذه الكلمة، وقالوا له: «يا معلم لم اقتصرت على هذه العبارة» اجابهم: «هذه وصية المسيح وكفى. لان من حفظ هذه الوصية، فقد حفظ الكل»

هنالك في تلك الجزيرة النائية — «بطمس» — التي كان يفصلها بحر عظيم، عن أفسس مقر خدمة يوحنا وعمله، هنالك قضى يوحنا ايامه الاخيرة فارتقى برؤياه فوق الابعاد وانتصر على المسافات، وقال: «والبحر لا يوجد فيما بعد»

مكان كتابة البشارة، وزمانها، وغايتها

لقد حدث حادثان مهمان، بعد كتابة البشائر الثلاث الأول. اولهما: خراب اوشليم، والثاني: تأثر بعض المسيحيين بالفلسفة اليونانية المعاصرة. وكلاهما كان يدعو الى كتابة بشارة تظهر الجانب الروحي من ملكوت الله، بعد انهيار صرح الملكوت الارضي الزمني، الذي كان محط آمال اليهود، وفي الوقت نفسه تظهر الحقائق الروحية الباطنية، التي تسمو فوق الفلسفة اليونانية بمقدار ما يسمو الجوهر على العَرَض

وبما ان بشارة يوحنا لا تتضمن اشارة الى خراب اورشليم، فيستدل من هذا انه كان قد مضى وقت كافٍ على هذه الحادثة التاريخية. وبما ان يوحنا لم يبدأ خدمته في افسس الا بعد سنة ٧٠ ميلادية. وبما انه عاش، بشهادة ايريناوس، حتى بلغ حكم تراجان ٩٨-١١٧ م فمن المرجح جداً ان يكون قد كتب بشارته بين ٩٥-٩٨ م

وغرض يوحنا من تأليف بشارته، اثبات كون يسوع الناصري هو المسيح ابن الله . دحضاً للبدع التي كان حينئذٍ قد أخذ يدب فسادها في الكنيسة ، كبدع الدوكينيين ، والاغنستيين ، والكيرتتيين والايونيّين وتلاميذ يوحنا المعمدان . وكان الدوكينيون والاغنستيون يقولون ان جسد المسيح لم يكن جسداً حقيقياً . والكيرتتيون يجحدون لاهوته . والايونيّون يقولون انه لم يكن له وجود قبل مريم أمه . وتلاميذ يوحنا كانوا يفضلون معلمهم عليه . فلما رأى اساقفة اسيا هذه الأضاليل تقشرو في كنيسة الله استعانوا بيوحنا الرسول وسألوه تأليف انجيله ، فكتبه وانبا فيه بميلاد المسيح الازلي ، وصرح بفضله على يوحنا المعمدان ، وذكر ما دعت الحال الى ذكره في تفنيد تلك البدع ، واثبات لاهوت المسيح كما قال في ٣١: ٢٠ « وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا ان يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم اذا آمنتم حياة باسمه »

التفسير

الاصحاح الاول

الديباجة

١:١-١٨

تذكرنا هذه الديباجة بديباجة سفر التكوين . فما أكثر ما بينهما من أوجه الشبه وأوجه التباين . فمن أوجه الشبه ان الديباجتين تبدآن بكلمة واحدة : « في البدء » . وفي العدد الثالث من كل منهما تتجلى لنا علة الخلق « قال الله » (تك ١: ٣) : « كل شيء به (بالكلمة) كان » (يو ١: ٣) . في ديباجة التكوين نجد ذكراً « لروح الحياة ، والنور » (تك ١: ٢ و ٣) ، وفي ديباجة بشارة يوحنا نجد القول « فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس » (يو ١: ٤)

هذه بعض أوجه الشبه ، واليك بعض أوجه التباين : ان موسى ويوحنا التقيا معاً عند كلمة « في البدء » (تك ١: ١ ، يو ١: ١) ، ثم انحدر موسى متمشياً مع التاريخ حتى حدثنا عن المخلوقات ، وارتقى يوحنا صاعداً حتى ارانا من هو علة الخلق . مثلها مثل شخصين التقيا عند نقطة في نهر ، ثم انفصلا ، فمضى اولهما متتبعا مجرى النهر حتى بلغ مصبه ، وارتقى ثانيهما الى اعالي النهر حتى اكتشف منبعه

على ان التشابه بين الديباجتين لا يخرج عن كونه ظاهرياً لفظياً .

١ في البدء

« فالبدء » الذي تحدث عنه موسى ، غير البدء الذي يحدثنا عنه يوحنا .
 « البدء » في التكوين هو بدء الخليقة ، لكن البدء في يوحنا هو البدء المطلق
 الذي عنده ينتهي الفكر ، او هو البدء السابق للزمن « قبل كون العالم »
 (يو ١٧: ٢٤و٥)

من هذا « البدء » ارتفع يوحنا بجناحي النسر ، فرأى المسيح موضوع
 بشارته ، وكما رآه حدثنا عنه . في هذا يتميز عن متى الذي رأى المسيح لكنه
 رجع بتاريخه الى سلسلة نسبه — حتى انتهى الى ابراهيم ، (عن لوقا الذي
 رأى القادي فتتبع سلسلة نسبه راجعاً حتى بلغ آدم ، وعن مرقس الذي رأى
 المخلص فرجع بتاريخه الى نبوات العهد القديم — لكن يوحنا رجع بنسب
 المسيح الى البنوّة الازلية

تتضمن هذه الديباجة أربعة افكار رئيسية . اولاً : الكلمة في جلاله ١ :

١ - ٥ ثانياً : الكلمة في ظهوره ١: ٦ - ٩ ثالثاً : الكلمة المرفوض ١: ١٠ و ١١

رابعاً : الكلمة المقبول ١: ١٢ - ١٨

فالعدد الخامس هو نقطة الانتقال بين الفكر الاول والثاني ، كما ان العدد

الثاني عشر يكون حلقة الاتصال بين الثاني والثالث

اولاً : الكلمة في ظهوره ١: ١ - ٥ . يحدثنا هذا الفصل الموجز عن :

(أ) الكلمة في جلاله الذاتي ١: ١ (ب) الكلمة في جلاله النسبي ١: ٢

٥ - اما جلاله الذاتي فيتضح لنا من كونه : (١) منشى الخلق في مشورة الله

ع ٢ (٢) على الخلق ، عدد ٣. (٣) نبع الخلق ، ومصدره ع ٤ و ٥

كان الكلمة

عدد ١. (أ) الكلمة في مبداء الزمان ١:١ «في البدء كان الكلمة» — هذا هو الكلمة في أزليته. «والكلمة كان عند الله» — هذا هو الكلمة في ذاتيته. «وكان الكلمة الله» — هذا هو الكلمة في طبيعته. هذا هو الوصف الثلاثي الذي به يصف يوحنا جلال الكلمة الذاتي في العدد الاول من بشارته الكلمة في أزليته — «في البدء كان الكلمة». «الكلمة» ! ما اعمق هذا الوصف العجيب الذي وُصف به المسيح هنا اذ وُصف بـ «الكلمة» ، وفي اليونانية «لوجوس» !

لقد هيأت العناية افكار البشر ، لفهم هذه اللفظة : «الكلمة» قبل ان نطق بها يوحنا . فالعقلية اليهودية كانت قد ألفتها من كتابات «أثقيلوس» اليهودي الذي ترجم التوراة من العبرية الى الارامية في القرن الثالث قبل الميلاد وفي ترجمته استعاض عن اسم الجلالة بلفظة «مرا» — وتقابلها في العربية : «الكلمة» — في المواضع الآتية : تكم ٨:٣ ؛ ١٦:٧ ؛ ٢٠:٢١ ؛ ٢٠:٢٨ ؛

وخروج ١٧:١٩

اما العقلية اليونانية فقد كانت مشبعة بلفظة «لوجوس» من كتابات فيلو الفيلسوف الاسكندراني . غير ان المعنى الذي تحمله «الكلمة» في كتابات يوحنا يسمو عن معناها في آداب اليونان . كان اليونان يشيرون بـ «الكلمة» الى الذهن ، والفكر ، لكن يوحنا اراد بها الذات والشخصية . فوصفه المسيح « بكلمة الله » لا يقتصر معناه على ان المسيح هو الكلمة التي نطق بها الله

والكلمة كان عند الله

بلسان انبيائه ، بل يُراد به ان المسيح هو ذات الله المتكلم . فاذا كان الله قد تكلم بواسطة انبيائه لكنه كلَّمنا في المسيح . مَنْ سَمِعَ المسيح قد سَمِعَ الله بالذات ومن رآه فقد رأى الله . ان «الكلمة» في يوحنا هو علة الكون (١:٣) ، وهو الذي ظهر قديماً لاشعيا (قابل يو ١٢:٤١ مع اشعيا ٦) ، وهو الذي يقبوله يُولد المرء ثانية (يو ١:١٢ و١٣) ، وهو صاحب السلطان المطلق على كل ذي جسد (يو ١٧:٢) .

ان «كلمة» شخص ما ، هي ما يعبر به عن نفسه ، وهي اداة اتصاله بالآخرين ، وتفاهمه معهم . بكلمته يُظهر فكره . ويلقي اوامره ، ويبلغ ارادته فالكلمة تحمل معها الشخصية بما فيها من ذات وصفات . فهي اذا ليست مجرد حروف تتصل بعضها بعض ، لكنها صورة ، من ورائها العقل ، ومن وراء العقل الذات ، ومن وراء الذات الجوهر

في امكان المستمع ان يعرف المتكلم من كلامه ، ولو كان المستمع ضريراً فكلمة المتكلم هي الرسم الذي أُفرغت فيه الذات . «وكل من رأى المسيح فقد رأى الله» فهو كلمة الله ، وهو صورة الله غير المنظور ، ورسم جوهره

«وكلمة الله» هو الشخصية المتمثلة فيها قدرة الله . الآمرة والناحية في الكون . لذلك قيل ايضاً فيه «حامل كل الاشياء بكلمة قدرته» (عب ١:١-٣)

ان العبارات الثلاث الواردة في العدد الاول تتمشى في ترتيب عكسي مع

الثلاث العبارات الواردة في عدد ١٤

وكان الكلمة الله . ٢ هذا كان في البدء

عدد ١

«في البدء كان الكلمة» — (في الازل)
«الكلمة كان عند الله» — (مستقل في
كيانه مع الله)

«كان الكلمة الله» — (ذو جوهر واحد
مع الله)

عدد ١٤

«الكلمة صار جسداً» — (في ملء الزمان)
«حل بيننا» — (مع الناس)

«صار جسداً» — مشاركا للناس في اللحم
والدم

هذا الاعلان المثلث هو أساس بشارة يوحنا ، وموضوعها وهو هو
برنامج الفداء : «في البدء كان الكلمة» — هذه حجة دامغة ضد القول بان
المسيح وُجد مع الزمن عند التجسد

«كان الكلمة عند الله» — هذا برهان قاطع على ان المسيح ذو شخصية
مستقلة في كيانه ، وعلى أن له اقنوماً متحداً بالله من غير امتزاج ، مستقلاً
عنه من غير انفصال

كُرت كلمة «كان» ثلاث مرات على التوالي مع «الكلمة» ، وهي لا
تفيد الماضي الذي انقضى بل تعين الكيان المطلق المستمر ، المشفوع بالدوام
المتواصل — «كان ولم يزل» . «كان الكلمة الله» — هذا تعبير يصف المسيح
في طبيعته — له طبيعة الله وجوهره

(ب) الكلمة في جلاله النسبي (١:٢-٥) : —

عدد ٢ . (١) الكلمة من حيث كونه منسباً الظهور في مشورة الله : ١:٢
— «هذا كان في البدء عند الله»

يلوح لنا ان «البدء» في العدد الاول ، غير «البدء» في العدد الثاني :

عند الله . ٣ كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان

«البدء» في العدد الاول يشير الى الازل المطلق — قبل كون العالم. «والبدء» في العدد الثاني يشير الى بدء الخليقة — البدء الذي استهل به سفر التكوين . كذلك نجد ايضاً فرقاً بين العبارة «عند الله» في كل من العددين. في العدد الاول تشير الى المعية المطلقة . وفي العدد الثاني تشير الى المعية عند الخلق (امثال ٨: ٢٢ — ٣١)

عدد ٣ . (٢) الكلمة من حيث كونه علة الخلق ٣: ١ . «كل شيء به كان» — هذا وصف جامع ، «وبغيره لم يكن شيء مما كان» — هذا وصف مانع . ان هذا الوصف الجامع المانع ينفي كون المسيح أحد الخلائق ، ويهلم المذهب الافلاطوني القائل بازلية المادة ، وينقض مذهب الغنوسيين المدّعي بأن الملائكة هم علة الخلق وأداته

غير ان كلمة «به» لا تنقص من قدر المسيح كخالق ، ولا تجعله مجرد أداة للخلق ، فان هذه الكلمة عينها: «به» قيلت عن الله الخالق (رومية ١١: ٣٦ ؛ غلاطية ١: ١ ؛ عب ٢: ١٠) . ألم يقل الله عن ذاته : «بي تملك الملوك» (امثال ٨: ١٥) ؟

وقد ذكر هذا الوصف بجانبه الايجابي والسلي من قبيل التوكيد . والتوكيد في الوحي له دلالات عدة . فالتوكيد في الصلاة يفيد الحاجة ، وفي النبوة يعني اليقين ، وفي المواعيد يراد به التشجيع ، وفي الوعيد يُقصد به المفاجأة وفي الاسرار الالهية يدعو الى التسليم

٤ فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس . ٥ والنور يضيء في

ع ٤ و ٥ (٣) الكلمة من حيث كونها نبع الظلمة ومصدره ١: ٤ و ٥ . « فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس ، والنور يضيء في الظلمة ، والظلمة لم تدركه »

كما ان عددي ١ و ٢ مهبطا للكلام عن الخلق في عدد ٣ ، كذلك عدد ٤ يمهّد للكلام في عدد ٥ . وفي هذين العددين ٤ و ٥ نجد تدرجاً من الحياة الذاتية الى الحياة المنبعث منها النور للخلقة الساقطة . من « به » الى « فيه » . ما اشبهه بالتدرج الوارد في كوروسي ١: ١٦ و ١٧ « الكلُّ به وله قد خُلِقَ . . . وفيه يقوم الكل » — اي ان العالم بعد أن تمّ خلقه بالمسيح ، لا يزال محفوظاً فيه . فالمسيح علة خلق العالم ، ومصدر كيانه وبقائه

يتألف هذا العددان ٤ و ٥ من اربعة مقاطع . كل مقطع منها يبتدىء بالكلمة التي بها ينتهي المقطع السابق ، كدرجات سلم تقوم احداها على الاخرى - « فيه كانت الحياة — والحياة كانت نور — والنور يضيء في الظلمة — والظلمة لم تدركه »

الظلمة المقصودة هنا ، هي ظلمة روحية — ظلمة السقوط ، بل هي ظلمة البشرية الساقطة . ألم يقل الله « لانكم كنتم قبلاً ظلمة » (افسس ٥: ٢٨) ؟ فالبشر الساقطون ليسوا مظلّمين وكفى ، ولا هم مجرد عميان لا يبصرون ، بل هم الظلمة مجسّمة

غير ان الله لم يترك نفسه بلا شاهد — حتى في احلك الاوقات « والنور

الظلمة والظلمة لم تدركه . ٦ كان انسان مرسل من الله

يضيء في الظلمة» ليضيء للذين يريدون ان يروا ، وليدين الذين اختاروا العمى
الروحي لانفسهم

كلمة «لم تدركه» تفيد اربع درجات متتابة : (أ) عدم الاكتراف لوجود
النور (ب) عدم فهم كنهه النور وسره (افس ٣: ١٨) (ج) عدم البلوغ والوصول
الى النور لنواله (رو ٩: ٣٠ وفيلي ٣: ١٣) (د) عدم الانتصار على النور ،
والعجز عن الظفر به (أفسس ٥: ٤)

عدد ٦ . ثانياً : الكلمة في ظهوره ١: ٦-٩

في الاعداد السالفة ، رأينا الكلمة في كيانه الازلي ، وفي الاعداد التي
أمامنا نرى الكلمة في ظهوره ، واول من نادى به وشهد له ، يوحنا المعمدان
حلقة الاتصال بين العهدين

«كان انسان . . . اسمه . . . هذا . . .» — هذا اسلوب خاص بيوحنا
البشير . ما اشبهه ببدء الانجيل الثالث : «كان انسان . . . اسمه . . . هذا . . .»
التعبير «كان . . . هذا» شبيه بالتعبير عن المسيح في استهلال هذه البشارة
«كان هذا . . .» (١: ١ و ٢)

تصف لنا هذه الاعداد الشخص الذي أعدته العناية الالهية ليكون أداة
لاظهار «الكلمة» للناس . فهي تصفه في (أ) حقيقة «كان» . ما اعظم الفرق
بين «كان» المستعملة هنا (٦ع) وبين «كان» التي وردت ثلاثاً في العدد

اسمه يوحنا . ٧ هذا جاء للشهادة ليشهد للنور

الأول عن المسيح . هذه تفيد الوجود الحادث في زمن معين ، ومعناها الحرفي «نشأ» أما تلك فانها تفيد الوجود المطلق الازلي . يوحنا «مرسل من الله» ، و «الكلمة» هو الله . هذه شهادة صادقة لانها جاءت من شخص كان تلميذاً ليوحنا المعمدان قبل ان يكون تلميذاً للمسيح ، (فهو عارف بحقيقتيهما . في هذا يصدق القول : «وشهد شاهد من أهلها» ب) اسمه — «يوحنا» ومعناه «الرب يتحنن» وقد تسمى يوحنا بهذا الاسم بعناية إلهية خاصة (لو ١: ١٣) . وما يسترعي الالتفات ، ان البشير لم يذكر يوحنا المعمدان بلقبه ، بخلاف سائر البشيرين الذين احتفظوا في كتاباتهم بلقب «المعمدان» تمييزاً له عن يوحنا البشير ، أما البشير ، وقد تقاضى عن وجود شخصيته لم يجد داعياً لهذا التمييز ، حياة منه واتضاعاً ، ورغبة منه في إخفاء نفسه . وربما لان لقب «المعمدان» لم يُخلع على يوحنا الا بعد ان ذاعت شهرته . لكن يوحنا البشير وهو احد تلاميذ المعمدان الاولين ، كان قد عرف استاذه مجرداً عن هذا اللقب ، فاحتفظ بعذوبة هذا الاسم ، خلواً من كل لقب

عدد ٧ . (ج) غاية مبيانه « هذا جاء ليشهد للنور » ١: ٧ . اذاً لم تكن حياته مجرد ايام يقضيها على الارض ، بل كانت تحمل معها رسالة خاصة لعمل خاص — الشهادة . «الشاهد» لغة هو «اللسان» فيقال «ما لقان رواء ولا شاهد» ومعناه «ما له منظر ولا لسان» . والشهادة هي الخبر القاطع . فالشاهد اذاً هو من يرى رؤيا واضحة ، ويقتدر على الافصاح عما رأى بكل دقة وامانة ، باسائه

لكي يؤمن الكل بواسطته . ٨ لم يكن هو النور

وبحياته وان لزم الامر بموته ايضاً. لان الشهادة والاستشهاد مشتقان من مصدر واحد . وكذلك شهد يوحنا بلسانه القصيح ، وحياته النقية الجريئة ، وموته البري ، فاضحى شاهداً وشهيداً

«ليشهد للنور» — وهل من حاجة للنور الى الشهادة ؟ أليس النور خير شاهد لنفسه ؟ بلى . ولكن الناس يحتاجون الى الشهادة عن النور — المسيح ، لان المسيح لم يأتنا في شكل ممجد بل أتانا في «شبه الناس» . فكأن من الضروري ان يحتاج الناس الى من يوجه نظرهم اليه ، سيما لان جلّ البشرية عاش في وادي الظلمات

(د) غاية رسالته : « لكي يؤمن الكل بواسطته » والمقصود بهذا ، ان الانجيل العام المقدم لجميع الناس ، قدمته كرازة يوحنا بالتوبة الممهدة للايمان . «والكل» هنا ، هم كل من يؤمن من جميع الطبقات . والهاء في «بواسطته» تعود على يوحنا المعمدان لا على المسيح . فالمسيح هو موضوع الايمان ، ويوحنا المعمدان هو واسطة البشارة . والطريق الذي رسمه الله للخلاص ، قد رسمه لكل الناس سواء بسواء من دون تمييز

عدد ٨ . (هـ) طبيعته : «لم يكن هو النور بل ليشهد للنور» — يُستنتج من هذه الآية ، ومن سواها مثل ٢٠: ١ ، ٢٨: ٣ ان يوحنا البشير يجابه ضلالة كانت قد فشت وقتئذٍ . وكان يرمي مروجوها الى مساواة يوحنا المعمدان بالمسيح ، فقرر البشير ان المعمدان لم يكن هو النور ، بل ليشهد للنور . وكل

بل ليشهد للنور . ٩ كان النور الحقيقي الذي ينير كل انسان آتياً الى العالم . ١٠ كان في العالم وكون العالم به

ما قيل عن المعمدان في هذا الباب هو انه « سراج » (٣٥: ٥) وشتان بين السراج والنور

ع ٩ - ١١ . بعد ان وصف البشير خدمة يوحنا المعمدان انها شهادة للنور تقدم ليوضح لنا في هذه الاعداد ، عمل هذا النور ، وتأثير الناس به . عدد ٩ . عمل النور . « كان النور الحقيقي الذي ينير كل انسان آتياً الى العالم » . إما ان نعتبر كلمة « النور » خبر كان ، واسمها مستتر جوازاً تقديره هو — اي المسيح ، او ان نعتبرها اسم كان ، وخبرها « آتياً » . فان اخذنا بالرأي الثاني ، كان معنى هذا العدد ان المسيح ، عند شروع يوحنا المعمدان في تأدية شهادته ، كان يتهيأ للدخول الى خدمته الجهارية في العالم . وقد تحمل اشارة الى الادوار المتدرجة في تدبير التجسد . ويجوز — كما في الاصل ايضاً — ان نعتبر كلمة « آتياً » صفة لـ « كل انسان » ، بذلك يُحمل المعنى على الوجه الآتي : ان جميع الناس الذين يدخلون الى العالم ، يستمدون نور بصائرهم من المسيح وحده — سواء في ذلك من كان منهم مسيحياً مؤمناً مستمتعاً بالانارة الخاصة ، او من كان غير مسيحي مستنيراً بالانارة العامة ، التي تنير الذهن والضمير لكنها لا تتعداهما الى النفس فتغيرها

عدد ١٠ في العدد الماضي ارانا البشير عمل المسيح كنور مشرق في العالم ، وفي الجانب الاول من هذا العدد يرينا اياه باعتبار كونه علة خلق العالم . فاذا

ولم يعرفه العالم . ١١ الى خاصته جاء

كانت الحياة نور الناس (عدد ٤) فان النور هو حياة العالم (عدد ١٠) . إن في هذا العدد استدراكاً لما يمكن ان يتبادر الى الذهن من قوله « آتياً الى العالم » — كأن يفهم خطأ ان حياة المسيح بُدِثت عند التجسّد . لذلك قرّر البشير ، بقوله « كان في العالم » ان المسيح كان موجوداً قبل التجسّد ، وانما أظهر للعالم عند التجسّد ، وان العالم كَوْن به ، فهو الذي خلق العالمين ، وهو الذي هدى اسرائيل وعالمهم « جميعهم اكلوا طعاماً واحداً روحياً ، وجميعهم شربوا شرباً واحداً روحياً ، لانهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم . والصخرة كانت المسيح » (١ كو ١٠: ٤ و ٣) هذا تؤيده شهادة المسيح امام اليهود : « ابوكم (ابراهيم) تهلل بان يرى يومي فرأى وفرح .. قبل ان يكون ابراهيم انا كائن » (يو ٨: ٥٧ و ٥٩)

ثالثاً : الكلمة المرفوعة ١٠: ١ و ١١

عدد ١٠ (ب) و ١١ مبلغ تأثر الناس بهذا النور ١٠: ١ (ب) و ١١ « ولم يعرفه العالم . الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله » . هنا ينتقل الوصف من التعميم : « العالم » الى التخصيص : « خاصته » ، ويتدرّج من الكلام عن التغافل السليبي الناتج عن الجهالة « لم يعرفه » ، الى المقاومة الايجابية الناتجة عن العناد والتعصّب « لم تقبله » . ان تهمة تجاهل المسيح منصبّة على العالم — اي البشر الذين لم يعرفوا المسيح من الطابع الخاص الذي طبعه المسيح على العالم اي الكون المادّي — . ووجه مسئولية العالم في هذا التجاهل هو ان الله أودع

وخاصته لم تقبله

نوراً طبيعياً في ضمائر جميع الناس «حتى أنهم بلا عذر» (رومية ١: ١٩-٢٣) اما خطية الرفض فهي موجّهة الى اليهود — خاصته — الذين لم يعرفوا المسيح من نور اعلانات العهد القديم ولا من نور شهادة يوحنا المعمدان . الكلمة المترجمة «خاصته» ، ترجمتها الحرفية «بيته» كما في (٢٧: ١٩) . وفي العهد القديم استعملت «خاصته» عن الهيكل (ملاخي ٣: ١) ، وهي ايضاً تفيد الملكية (مزمور ١٣٥: ٤ وخر ١٩: ٥) . اليس من المحزن ان اليهود ، وهم اهل بيت الله ، رفضوا المسيح ، وانتهى بهم هذا الرفض الى صليبه ، فأمسى غريباً في بيته ، مُهاناً من أهله وعشيرته ؟ هذا تاج خطية البشرية

يلاحظ ان عددي ١٠ و ١١ يتمشيان معاً في توازن طباقي ، وكل منهما

يصف حقيقة مثلية

عدد ١١

عدد ١٠

- | | |
|--------------------|--------------------------------------|
| « جاء » | (١) حقيقة حاله : « كان في العالم » |
| « الى خاصته » | (٢) مجال ظهوره : « كون العالم به » |
| « خاصته لم تقبله » | (٣) مآل شهادته : « لم يعرفه العالم » |

رابعاً : « الكلمة » المقبول ١٢: ١-١٨

اذا كان اليهود كشعب ، قد رفضوا المسيح ، إلا ان افراداً من المؤمنين — من اليهود والامم — قد قبلوه . ومحور الكلام في هذا الفصل يستند الى حقيقتين (١) امتياز قبول الكلمة (١٢: ١ و ١٣) . (٢) تجسد الكلمة المقبول

١٢ وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله

(١: ١٤-١٨). أما امتياز قبول الكلمة فالكلام يتناوله من حيث (أ) حقيقة عدد ١٢ (ب) خواصة عدد ١٣. والكلام عن تجسد الكلمة له جانبان — الجانب الأول : حقيقة التجسد عدد ١٤ (أ) الجانب الثاني : الشهادة المثلثة لهذا التجسد (١٤ (ب) — ١٨)

عدد ١٢ — أ — حقيقة امتياز قبول الكلمة ١: ١٢. « وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنين باسمه » — هذا هو الامتياز من حيث حقيقة — هو سلطان البنوة لله. « وأما » — ذكرت هذه الكلمة استدراكاً لما قبلها، وتحقيقاً لما بعدها. « وكل » تفصيلية تعميمية. فهي تعني ما يليها أفراداً لا جماعات، فالكلام عن الرفض في العدد السابق يتناول اليهود كأمة، والعالم ككتلة، لكن الكلام عن الايمان مخصص للمؤمنين أفراداً. غير أن كلمة « كل » ليست قاصرة على المؤمنين من اليهود فقط، بل هي تعميمية تشمل أفراد المؤمنين من كل أمة وفي كل جيل. « الذين قبلوه » هم الذين رحبوا به في قلوبهم فصاروا « خاصته » الروحية الحقيقية وبذلك نالوا امتياز البنوة لله — ذلك الامتياز الذي حُرِم منه اليهود بسبب عدم ايمانهم. فمع أن اليهود يدعون باطلاً أنهم أبناء ابراهيم الا أن المؤمنين بالمسيح هم أبناء الله بحق وسلطان، وقد أعطوا هذا الحق والسلطان من الله رأساً. فما أكرم هذا الضيف السخي الذي يحل في قلب من يؤمن به فيمنحه هبتين — احدهما : نسبة جديدة تربطه بالله — « أبناء الله ». والثانية : حقاً

أي المؤمنون باسمه

جديداً ينال به بركات هذه النبوة — «سلطاناً» . ومما يدعو الى الالتفات ان يوحنا ألبس هذه النسبة الجديدة ثوباً غير الثوب الذي ألبسها اياه بولس . يوحنا يصفها بالقول « أولاد الله » . لكن وصف بولس لها هو « أبناء الله » (غلاطية ٤: ٦) . ذلك لان يوحنا يصف هذه النسبة في طبيعتها وبولس يصفها في بركاتها . اولها نظر الى جذع الشجرة والثاني نظر الى ثمرها

ليست حقيقة التبني قاصرة على معلنات العهد الجديد . فلقد ذكرت في العهد القديم أربع مرّات (مز ١٠٣: ١٣ واشعيا ٦٣: ١٦ وارميا ٣١: ٢٠ وهوشع ١١: ١) . لكنها أُطلقت في العهد القديم على الامة كجموع واما في العهد الجديد فقد استعملت للفرد ، ويراد بها إيداع بذرة الحياة الروحية في قلب المؤمن

ولكي لا يترك البشير مجالاً للشك في تأويل معنى قبول المسيح ، أوضحه بقوله « أي المؤمنون باسمه » . فالإيمان بالمسيح هو قبوله في القلب ، لان الإيمان هو الذي يرى القادي ، ويثق به ، فيفتح له القلب ، ليحل فيه ضيفاً ، حتى يصير فيه مضيفاً ، ثم يضحي ملكاً ، ثم يكون فيه رباً

ان موضوع الإيمان هنا هو « اسم المسيح » . « والاسم » هو التعبير الذي يحمل الى الفكر جوهر المسمى ، وذاته ، وصفاته . هذا هو موضوع الاعلانات الالهية ، بل هذا هو روح النبوة

١٣ الذين وُلدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله. ١٤ والكلمة صار جسداً

عدد ١٣ — ب — فوامى امتياز قبول الكلمة — يصف يوحنا طبيعة هذا الامتياز وصفاً مزدوجاً — سليماً وإيجابياً . اما سليماً فعلى ثلاث درجات متصاعدة . (١) « ليس من دم » اي ليس من دم وراثي ، كما كان يفتخر اليهود ، عادة ، انهم ابناؤ ابراهيم ، فيباهون بسلسلة نسبهم الشريف . وفي الاصل ، وردت كلمة « دم » بصيغة الجمع اشارة الى التسلسل الجنسي الذي تجتمع فيه عناصر كثيرة ، وكما يقول « ماير » اشارة الى تعدد العناصر التي يتركب منها الدم (٢) « ولا من مشيئة جسد » — اشارة الى التناسل الطبيعي في درجته السفلى — بالجسد . (٣) . « ولا من مشيئة رجل » اشارة الى التناسل الانساني في درجته الراقية — بالارادة^(١) . وأما إيجابياً فبكلمة واحدة : « من الله » . اي بارادة الله . تدفعها محبته ، وتراقفها نعمته

عدد ١٤ — تجسد الكلمة ١٤: ١ — ١٨ . رأينا فيما سبق ، حقيقة امتياز الايمان وطبيعته . وها نحن نتقدم الى معرفة موضوع هذا الايمان : تجسد الكلمة ، وفي عدد ١٤ نواجه حقيقة التجسد في كلمتين — احدهما : التجسد كحقيقة مطلقة « والكلمة صار جسداً » . « صار » لا تفيد التحول . فهي ليست من قبيل القول : « صار الطفل رجلاً » — اي انه لم يعد بعد

(١) يقول اغسطينوس ان الكلمة « ليس من دم » كلمة اجمالية تعني التناسل الشريف . وان الكلمتين — الثانية والثالثة تفصيلتان ، تشير اولاهما الى ارادة المرأة والاخرى الى مشيئة الرجل

وحلّ بيننا ورأينا مجده

طفلاً ، لكنها تعيد الاتخاذ — اي ان الكلمة اتخذ جسداً وصار انساناً بدون
تغيّر في لاهوته . فاللاهوت ملازم للناسوت من غير انفصال ولا امتزاج .
والكلمة « جسد » مستعملة هنا من باب التغليب ، فهي تعني الانسان كله
— « جسداً ونفساً » وانما عُبرَ بها هنا عن الجانب الضعيف في الانسان (تك
٣:٦) . ان المسيح صار انساناً كاملاً لكي يفندي الانسان كله (٢٣:٧) .
والثانية : التجسّد حقيقة تاريخية « وحلّ بيننا » . الترجمة الحرفية لكلمة
« حلّ » كما وردت في الاصل هي « خيم » او « ضرب فسطاطاً » . وقد وردت
عدا هذه المرة اربع مرات في العهد الجديد، وهي من الكلمات التي طُبعت بها
كتابات يوحنا (رؤ ٧:١٥ و ١٣:٦ و ١٢:١٢ و ٢١:٣)

قديماً حلّ الله بين الامة اليهودية ، في خيمة الاجتماع ، في البرية . الا
ان تلك الخيمة كانت ذاهبة زائلة. أما هذه الخيمة الجديدة : « جسد المسيح »
فقد تمجّدت بعد القيامة ، وها هو المسيح بناسوته ولاهوته في السماء الآن .
فالتجسّد اذاً، هو جواب الله على أشواق البشر، وهو محطّ آمالهم وانتظاراتهم.
فيه وحده تكون للبشر شركة حقيقية مع الله

الجانب الثاني : الشهادة المثلثة لطبيعة الجسد ١٤ (ب) — ١٨ .

(١) شهادة يوحنا البشير ورفاقه عدد ١٤ (ب) (٢) شهادة يوحنا المعمدان عدد

١٥ . (٣) شهادة الكنيسة المسيحية ع ١٦ — ١٨

(١) شهادة يوحنا البشير ورفاقه ١٤ (ب) « رأينا مجده مجداً كما لوخيد

مجداً كما لوحيد من الآب

من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً» — فما هو هذا المجد الذي رآه يوحنا ورفاقه؟ أهو مجد المعجزات التي أجراها المسيح «واظهر بها مجده فأمن به تلاميذه» (١١:٢)؟ أم هو مجد صفاته، الذي كان يحفّ بشخص المسيح مدة خدمته على الأرض؟ أم هو المجد الخاص الذي ظهر في تجلّي المسيح على الجبل فشاهده يوحنا واثنان من رفاقه؟ اننا نميل الى الرأي الأخير. وربما تحتل هذه الكلمات اشارة ضمنية الى المجد الممتاز الذي تحدث عنه يوحنا في ديباجة سفر الرؤيا. «مجداً» — كررت كلمة «مجداً» بعد كلمة «مجده» على سبيل التوكيد في الوصف. انها ترجع بنا كرتنا الى «نار الشكينا» في العهد القديم، التي كانت في الهيكل رمزاً لحضور الله. وهي احدى مميزات كتابات يوحنا (١١:٢؛ ١١:٤٠؛ ١٢:٤١؛ ١٧:٥؛ ٢٤:١٧؛ رؤيا ١١:٢١). «كما» — ليست تشبيهية، بل وصفية (هوشع ٤:٤ ومن ١٢٢:٣). «لوحيد من الآب». كان موسى والانبياء خداماً وعبيداً لله. أما المسيح فهو ابن الله، بمعنى ممتاز لا يدانيه فيه سواه، وبنسبة رفيعة لا يشاركه فيها انسان. وقد ذكرت كلمة «وحيد» وصفاً للمسيح، في كتابات يوحنا وحده (١٤:١؛ ١٦:٣؛ ١٨؛ ١ يو ٤:٩) — وهي تميّز بنوة المسيح لله عن بنوة المؤمنين له (١٢:١). «من الآب» — معناها الحرفي «من حضرة الآب» وهي تفيد الارسالية التي من قبل الله. «مملوءاً نعمةً وحقاً» — «النعمة» ضد الناموس، «والحق» — ضد الطقوس. «النعمة» هي الله جواداً محسناً «والحق» هو الله معلناً ذاته. «النعمة» كما استعملت في الاصل، معناها: «كل ما

مملوءاً نعمة وحقاً . ١٥ يوحنا شهد له ونادى قائلاً هذا هو

يجلب الانسراح . وهي تطلق على (أ) كل ما هو مقبول وجذاب (لو ٤: ٢٢) ،
(ب) كل ما هو مسرّ (لو ٢: ٥٢ ; اعمال ٢: ٤٧) (ج) الفضل المجاني الذي
غمر الخطاة . والمعنى الاخير هو الاعمق ، وهو المقصود بالذات في هذا العدد .
تختلف النعمة عن المحبة في ان المحبة قد تتجه الى الاعلى ، او الى الادنى
او الى الندى ، لكن النعمة لا تعرف الا اتجاهاً واحداً — من الاعلى الى الادنى
« والحق » هو النور الذي به نرى الله كما هو . وفي نور الله نرى كل
شخص وكل شيء في حقيقته

فما اغنى المسيح الذي فيه اجتمع هذان الضدان — « النعمة والحق » —
الرحمة والعدالة — اللطف والشدّة . هذه خلاصة ما أعلنه الله للبشر عن نفسه
في العهد القديم (خروج ٦: ٣٤ ; مزمور ٦١: ٧) ، بل هي خلاصة ما أعلنه عن
ذاته في العهد الجديد (١ يوحنا ٥: ١ ; ١ يوحنا ٤: ١٨) . « فالنعمة » هي الله محبة ،
و « الحق » هو الله نور . هاتان الكلمتان ، مجتمعتين معاً ، تصفان المسيح
باعتبار كونه منجز الفداء ، وخاتمة الوحي الالهي

ليس المسيح شخصاً « مُنعماً عليه » ولا هو مجرد شخص عارف بالحق ،
لكنه مملوء نعمة وحقاً . او قل : هو النعمة مجسّمة ، وهو الحق متأنساً . العبارة
« مملوءاً نعمة وحقاً » ، حالّة تصف الكلمة

ع ١٥ . (٢) شهادة يوحنا المعمدان « يوحنا شهد له ونادى قائلاً :
« هذا هو الذي قلت عنه ان الذي يأتي بعدي ، صار قدامي ، لانه كان قبلي »

الذي قلت عنه ان الذي يأتي بعدي صار قدامي لانه كان قبلي

ظلت شهادة يوحنا المعمدان حاضرة في ذهن يوحنا البشير، وصوتها يرن في اذنيه، لذلك استعمل في وصفها كلمة تفيد (في الاصل) الاستمرار المتجدد وقد ذكرت شهادته، ثلاثاً في هذا الفصل (ع ١٥، ٢٧، ٣٠). كانت شهادة المعمدان، للبشير خير ذكرى، وهي لنا نبراس وهدي

في هذا العدد يصف البشير شهادة المعمدان في قوتها، وفي موضوعها. اما قوتها فظاهرة من قوله «نادى» — هذه كلمة حماسية، تفيد ارتفاع الصوت والغيرة الملهبة لاجل الحق (٧: ٢٨ و ٣٧؛ ١٢: ٤٤؛ اشعيا ٤٠: ٣)

واما موضوع شهادة المعمدان فهو: شخص المسيح: «هذا هو الذي قلت عنه»: — (أ) في ظهوره تاريخياً: «يأتي بعدي». (ب) في سمو رتبته «صار قدامي». (ج) في أزليته: «الذي كان قبلي». الكلمة «قبل» كما وردت في الأصل لا تقتصر على الاسبقية النسبية — كما لو كان المسيح قبل يوحنا فقط، لكنها تعني الاسبقية الازلية المطلقة

يستفاد من عدد ٣٠ ان يوحنا المعمدان فاه بهذه الشهادة في غد اليوم الذي ارسل فيه اليهود من اورشليم كهنة ليسألوه عن حقيقته. وهي تصف كل خدمة يوحنا وصفاً مجملًا. واذا ما رأينا منها ان يوحنا المعمدان الذي يقل عن المسيح في المقام قد صار له سابقاً بالنسبة لزمان ظهوره، فلا عجب، لان كوكب الصبح يسبق الشمس في الظهور. ولان الخبر بقدم الملك يظهر قبل الموكب الملكي. كذلك كان يوحنا المعمدان بالنسبة للمسيح

١٦ ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا . ونعمة فوق نعمة . ١٧ لان الناموس

ع ١٦ . (٣) شهادة الكنيسة المسيحية ١٦: ١ - ١٨ . «من ملئه نحن جميعاً أخذنا . ونعمة فوق نعمة» . ان شهادة المعمدان المذكورة في العدد السابق ، تؤيدها اختبارات المؤمنين الذين ينطق بلسانهم يوحنا البشير في قوله «نحن جميعاً» . شاهد المعمدان فشهد ! والمؤمنون شاهدوا فقالوا . «من ملئه» - الملء هو مجموع الهبات والكلمات الالهية ، ولعله يشير الى «النعمة والحق» . إن هذا الملء مذكّر في المسيح ، وقد وُضع في طاقة كل من يؤمن به ان ينال قسطاً من هذا الملء على قدر ايمانه وقابليته (أفسس ٣: ١) . فهو ملء غير قابل للنفاذ . «نعمة فوق نعمة» - الكلمة المترجمة «فوق» ، وردت في غير هذا الموضع ، اربع مرات في العهد الجديد (أ) بمعنى «عوضاً عن» (مت ٢: ٢٢) . (ب) بمعنى «عن او بسبب» (رومية ١٢: ١٧) . (ج) بمعنى «حسب او بمقتضى» (اعمال ١٣: ٢٢) . (د) بمعنى «من أجل» (أفسس ٣١: ٥) . وهي كما وردت هنا تحتل معنيين : (أ) نعمة مُزادة على نعمة (ب) نعمة مكافأة على نعمة . فكل نعمة تقبلها بالشكر ونستخدمها ، تمهد الطريق لنعمة أفضل . فنعمة الرجاء تُعطى مكافأة على نعمة الصبر . «كنت أميناً على القليل فأقيمك على الكثير»

ع ١٧ . مقابلة مزدوجة «لان الناموس بموسى أعطي : اما النعمة والحق فبیسوع المسيح صاراً» : الناموس الادبي - تقابله «النعمة» . والناموس الطقسي - يقابله «الحق» . في ع ١٦ نجد وصفاً للنعمة ، وفي ع ١٨ نرى

بموسى أُعطي . اما النعمة والحق فييسوع المسيح صاراً . ١٨ الله لم يره احد قط .

وصفاً للحق . وعدد ١٧ يكون حلقة الاتصال بين النعمة والحق

بل في عدد ١٧ نجد خلاصة العهدين القديم والجديد : —

«الناموس بموسى أُعطي» — هذه خلاصة العهد القديم

«اما النعمة والحق فييسوع المسيح صاراً» — هذه خلاصة العهد الجديد

«الناموس بموسى أُعطي» — اذاً لم يكن موسى سوى أداة تحمل الناموس

الى الشعب . ولو لم يكن موسى قد حمل هذا الناموس ، لعله غيره . «اما النعمة

والحق فييسوع المسيح صاراً»

اذاً فالمسيح هو مبدع النعمة والحق ، وهو نبيهما ، بل هو حياتهما

«النعمة» — هي خلاصة هبات الله لنا : «الحق» هو خلاصة اعلانات

الله لنا

ع ١٨ . «انتم الربايع» «الله لم يره احد قط . . . الابن الوحيد . . . هو

خبّر» . بهذا العدد اختتم يوحنا ديباجة بشارته بكلمة لها جانبان (١) احدهما

مانع : «الله لم يره احد قط» ، والثاني جامع : «الابن الوحيد الذي هو في حضن

الآب هو خبّر» . ومما يسترعي الالتفات ان يوحنا البشير بعد ان حدثنا في

عدد ١٤ عن «الكلمة المتجسد» ع ١٤ صار فيما بعد يحدثنا عنه باعتبار كونه

«ابن الله الوحيد»

(أ) الجانب المانع «الله لم يره احد قط» — ولا موسى استطاع ان يراه !

الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر.

وكل المرات التي اعلن الله فيها نفسه للبشر (خروج ٢٤: ١٠ ; ٣٣: ٢٣ ; ١ مل ١٩: ١٣ واشعيا ٦: ١)، لا تخرج عن كونها تجليات وقتية، رمزية، جزئية، يصدق فيها القول: «فاننا الآن ننظر في مرآة في لغز» (١ كو ١٣: ١٢). لكن الرؤية المذكورة هنا، هي الرؤية الحقيقية الثابتة التي هي تاج الكمال المسيحي» (١ يو ٤: ١٢)

(ب) الجانب الجامع: «الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر. في هذا الجانب الجامع نجد وصفاً مثلثاً للمسيح (١) في طبيعته: «الابن الوحيد» — الذي له جوهر واحد مع الآب في طبيعته (ع ١٤). (٢) في رفعته: «في حضن الآب» هذا تعبير رمزي يُكنى به عن مركز المحبة، والتقرب، والسمو، والاطلاع على الأسرار، والسلطان (١٣: ٢٣). ان حضن الآب هو حالة، لا مكان. (٣) في سمو رسالته: «هو خبّر» — بما له من الطبيعة الالهية، قد رأى. وبما له من الطبيعة الناسوتية، استطاع ان يخبر البشر بما رأى. المعنى الحرفي لكلمة «خبّر» هو «ترجم عن الارادة»، وهي تستعمل في اللغة اليونانية الفصحى بمعنى «حلّ الألغاز»

١٩ وهذه هي شهادة يوحنا

شهادة يوحنا المعمدان

١٩:١-٣٧

(أ) شهادة يوحنا المعمدان أمام الوفد السنهريسمى ١٩:١-٢٨

(ب) شهادة يوحنا المعمدان في محضر المسيح ٢٩:١-٣٧

١- شهادة يوحنا المعمدان امام الوفد السنهريسمى ١٩:١-٢٨
نجح يوحنا المعمدان في خدمته ، فذاع صيته وملاً الاسماع . وانجذبت
اليه جماهير غفيرة ، فاهتز لنجاحه مجمع السنهريم اليهودي . وكان مؤلفاً من
سبعين شيخاً ، يرأسهم عظيم الكهنة . وأعضاؤه يؤلفون من ثلاث فئات :
(١) « رؤساء الكهنة » - من المتقاعدين والقائمين بالخدمة الكهنوتية ، من
العائلة الكهنوتية العليا (٢) « شيوخ الشعب » - وهم خدام الهيكل من
اللاويين (٣) « الكتبة » - وهم العارفون بالشريعة واحكامها والمختصون
رسمياً للتعليم بها . وبالاجمال كان هذا المجمع اليهودي صورة منقحة لمجلس
الشيخوخ القديم (عدد ١١:١٦)

الى الآن كان مجمع السنهريم متغاضياً عن وجود يوحنا المعمدان وعن
عمله ، ولكن اذ وجد ان الشعب قد بُهر بخدمة يوحنا ، وان بعضاً ظنّه المسيح
المنتظر ، اضطر السنهريم الى ان يتدخل في الامر ليوقف تيار الاقاويل التي
يسهل انتشارها سيما في الشرق . وقد جاء في « المشنا » ان محاكمة رئيس سبط

حين ارسل اليهود من اورشليم

من الاسباط ، او اي نبي كاذب ، او اي رئيس من رؤساء الكهنة ، من اختصاص مجلس الواحد والسبعين (سندريم ٥:١)

لقد كانت هذه نقطة فاصلة في خدمة يوحنا . بل كانت محكاً صادقاً لاخلاقه . لان الافكار كانت مشبعة وقتئذٍ بانتظار مسيّا (المسيح) الموعود به في الانبياء . فلو كانت المعتقدان ممن يستهوهم النجاح ، لاندفع مع التيار واجاب على الفور بانه هو المسيح ، فيفوز باعجاب الجماهير . لكن المعتقدان كان ارفع وأثبت من ذلك بكثير ، فاجابهم جواباً صريحاً قاطعاً . ولا شك في ان شهادة يوحنا لها قيمة ممتازة ، لانها شهادة رسمية أمام وفد رسمي

عدد ١٩ . كلمة تاريخية . « وهذه هي شهادة يوحنا حين ارسل اليهود من اورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من انت » . يقدم لنا هذا العدد — ا — وصفاً للمستجوبين : « كهنة ولاويين » — بخلاف الصدوقيين الذين لم يبالوا بأخبار نجاح يوحنا ، لانهم كانوا يستمدون سلطتهم من رومية السياسية . اما الكهنة واللاويون فكانوا يستمدون سلطتهم من وظيفتهم الدينية . وقد كانت منوطة بهم خدمة الهيكل . وهم الذين حملوا التابوت قديماً (يشوع ٣:٣) . ليس من العجيب ان اللاويين يتفقون مع الكهنة ضد يوحنا المعتقدان وهو لاوي مثلهم (لوقا ١:٥) ؟ وكذلك يعمل التعصب في القلوب فيطمس البصائر ويعوج الضمائر . هذه هي المرة الوحيدة ، التي وردت فيها كلمتا « كهنة ولاويين » متحدتين معاً في العهد الجديد

كهنة ولاويين ليسألوه من انت

كان اللاويون والكهنة موفدين رسمياً من اليهود في اورشليم. والكلمة «يهود» — بحصر اللفظ وبحسب اشتقاقها — تعني الخارجين من سبط يهوذا. لكنها أُطلقت بعد السبي على كل الامة الاسرائيلية، لان الرجّاعين الى بلادهم، بعد السبي، كان جلّهم من سبط يهوذا. وهي في هذه البشارة — الا في موضع واحد ٩:٤ — تعني الكتلة اليهودية المعادية للمسيح، وعلى الغالب تستعمل عن رؤساء الكهنة. وليس من الغريب ان يطلق يوحنا البشير — وهو يهودي — كلمة «يهود» على الفئة المعادية للمسيح، لان هذه الكلمة فقدت قوّتها المميزة لليهود كجنس، بعد أن خربت اورشليم، فصارت تُطلق على الفئة المتعصّبة التي صلبت المسيح. وقد وردت ٧٠ مرة في هذه البشارة — ب — وقت استجوابهم ليوحنا: «حين». لم يعبّر البشير موعداً هذا الاستجواب بالضبط، وفي الغالب قد وقع بعد المعمودية المسيح مباشرة. لان شخصية «المسيح» لم تتعيّن لدى يوحنا الا عند المعمودية — ج — مصدر وفادتهم: «من اورشليم». — د — موضوع استجوابهم: «من أنت»؟ كان استجوابهم يحوم حول شخصية الممّدان، ليصلوا منها الى معرفة شخصية مسياً (المسيح) المنتظر. وسنرى في عدد ٢٥ ان اليهود وضعوا في استجوابهم فحاً أمام يوحنا الممّدان ليوقعوه فيه، فيما اذا رفض ان يعرفهم بشخصه

تناول يوحنا الممّدان في شهادته امام الوفد اليهودي الرسمي، أمرين:

أولاً: حقيقة مقامه ٢٠:١ — ٢٣. سلبياً: ٢٠:١ — ٢١

وايجابياً ٢٢:١ و٢٣

٢٠ فاعترف ولم ينكر وأقرّ اني لست انا المسيح . ٢١ فسألوه اذاً

ثانياً : حقيقة رسالته ٢٤:١ — ٢٧

عدد ٢٠ . أولاً : حقيقة مقامه ٢٠ — ٢٣ . ان شهادة يوحنا المعمدان هي غرّة تاريخ الأنجيل . وهي تعين أول مرة سمع فيها رؤساء اليهود كلمة الأنجيل مواجهة . فهي أول شاهد يقوم في وجههم يوم الدين

«فاعترف ولم ينكر، وأقرّ اني لست انا المسيح» . «اعترف، ولم ينكر، وأقرّ» — ثلاث كلمات — الكلمتان الواقعتان في الطرفين هما ايجابيتان والكلمة المركزية سلبية . وذكرت الثلاث معاً لتؤكد استعداد يوحنا، وصراحته ويقين شهادته . باعترافه اظهر استعداده . وبعدم انكاره بين صراحته . وفي اقراره قدم برهاناً على ايقانه من شهادته . «اعترف» — هذا قول بلا ابطاء . «لم ينكر» — هذا اعتراف بلا إخفاء . «هذا أقرّ» — يقين بجرأة وإباء

لشهادة يوحنا جانبان — سلباً : (١) «لست انا المسيح» عدد ٢٠ (٢) «لست انا ايليا» عدد ٢١ (١) (٣) لست النبي عدد ٢١ (ج) . ايجابياً . «صوت . .» ع ٢٢ و٢٣

عدد ٢١ . الجانب السلبى — ٢٠:١ و ٢١ كان الكتبة يعلمون ان ايليا ينبغي ان يأتي قبل المسيح (مت ١٧: ١٠) ولهذا الاعتقاد الخاطيء اسانيد كثيرة في التلمود ، اغلبها ناشئ عن سوء فهم ملاخي ٤: ٥ . ولو كان في نيّة يوحنا المعمدان ان يخدم اولئك المستجوبين ، لتمسك باهداب قول المسيح

ماذا . ايليا انت . فقال لست انا . النبي انت .

في مت ١٤:١١ واجابهم بالاجاب . لكنه كان يعلم علم اليقين ، ان المسيح تكلم مجازياً قاصداً «روح» ايليا لا «ذات» ايليا (لو ١:١٧) . ان المستجوبين كانوا يتكلمون حرفياً ، قاصدين «شخص ايليا بالذات» . لذلك كان يوحنا جريئاً وصريحاً في قوله «لست انا» . جاء في التلمود : سوف يظهر ايلياً قبل مسياً ويقول لهذا : «انت طاهر» ، ولذلك «انت نجس»

لم يكتف المستجوبون بهذا الجواب . وكيف يسكتون ولم يزل في جمعيتهم بعض السهام ؟ لذلك سألوه قائلين «ألنبي أنت» ؟ لا شك انهم قصدوا «النبي» الذي تتبأ عنه موسى بقوله «يقيم لك الرب الهك نبياً من وسطك من اخوتك مثلي . له تسمعون» (ث ١٨:١٥) . وفي هذه المرة ايضاً كان جواب يوحنا صريحاً قاطعاً «لا»

قد استنتج بعضهم خطأ ، ان «النبي» هو ذاك الذي ظهر في بلاد العرب في اواخر القرن السادس واولئل القرن السابع بعد الميلاد . ويظهر بطلان هذا الاستنتاج من الاعتبارات الآتية : —

(١) واضح من سؤال هؤلاء الفريسيين انهم كانوا يقصدون نبياً يأتي قبل المسيح ليهي الطريق له ، واما نبي العرب فقد ظهر بعد المسيح بزمان هذا مقداره

(ب) ان الاخوة المقصودين بقوله «من اخوتك» هم الاخوة الاقربون لا البعيدون ، بدليل قوله : «من وسطك» اي من اخوتك العاشين معك من بني اسحق . لا من بني اسماعيل — الاخوة البعيدين . لان اسماعيل لم يكن

فأجاب لا

اخاً شقيقاً لاسحق ، ولأن نسله كانوا عائشين بعيداً عن الاسرائيليين ، فلا يمكن ان ينطبق عليهم القول «من وسطك»

(ج) تقرر التوراة صراحة انه لن يقوم نبي من اسماعيل لان الله قطع عهده مع اسحق لا مع اسماعيل — (تلك ١٧: ١٨ — ٢١ و ٢١: ١٠ — ١٢) .
(اطلب سورة العنكبوت آية ٢٧)

(د) مكتوب عن النبي الذي تنبأ عنه موسى انه «مثل» موسى . وموسى كان عالماً لكن ذلك النبي كان أمياً (سورة الاعراف ١٥٦ و ١٥٨) . وموسى عمل معجزات كثيرة (سورة الاعراف ١٠١ — ١١٦ و ١٦٠) والقرآن نفسه يشهد ان نبي العرب لم يعمل معجزات (سورة الاعراف ١٢٦ — ١٢٩ والأسراء ٥٩)
(هـ) من اهم اوصاف النبي الذي تنبأ عنه موسى «ان الرب يقيمه لاسرائيل» وانهم يسمعون له «يقيم لك .. له تسمعون» . وواضح ان نبي العرب ظهر للعرب لا لليهود ، ولم يستمع اليهود لرسالته . لكن المسيح قيل فيه عند المعمودية «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت .. له اسمعوا»
(مر ٢: ٩ ولوقا ٩: ٣٥)

وما يستدعي الملاحظة ان جواب يوحنا كان في كل مرة يزداد اقتضاباً واختصاراً عن المرة السابقة لها — فمن قوله «اني لست انا المسيح» ، الى قوله «لست انا» ، الى قوله «لا» . هل الثلاث الكلمات «اعترف» ، «ولم ينكر» ، «وأقر» تسير بالتتابع مع جواب يوحنا في كل مرة من الثلاث المرات التي اجاب فيها على اسئلة الموفدين من اليهود ؟ !!

٢٢ فقالوا له من انت لنعطي جواباً للذين ارسلونا . ماذا تقول عن نفسك . ٢٣ قال انا صوت صارخ في البرية قوموا طريق الرب كما

ع ٢٢ و ٢٣ الجانب ايجابي «فقالوا له . . قال انا صوت»

استنفذ أولئك الموفدون سهامهم التي كانوا محتفظين بها في جعبتهم ، فلم يبق لديهم الا ان يجعلوا المعمدان نفسه يقرر حقيقة أمره بطريقة ايجابية : «من أنت لنعطي جواباً للذين ارسلونا . ماذا تقول عن نفسك» ؟ فأجابهم جواباً لم يقل في صراحته ومضائه عن اجوابته السابقة، مقتبساً من اشعيا النبي (اش ٤٠: ٣) . بذلك اقام المعمدان حجة دامغة على ان له شخصية مستقلة عن أحد الانبياء السابقين ، وعلى ان مقامه مكين ، يرتكز الى اساس متين في العهد القديم . وان شخصيته لا تستمد وحيها والهامها الا من « الكلمة » — لانه قال عن نفسه: « انا صوت صارخ في البرية » . ترمز « البرية » الى : (أ) الجفاف — مغطشة بلا مطر . (ب) الجذوب — تربة بلا ثمر . (ج) التيه — واد بلا ممر . هكذا كانت خدمة المعمدان لشعب في برية رحساً ومعنى . العبارة « كما قال اشعيا النبي » — من كلام المعمدان لا من تفسير البشير (مت ٣: ٣ ; مر ١: ٣) والاقتباس مأخوذ من الترجمة السبعينية . وقد اقتبسه ايضاً يوستنيان الشهيد في هذا الجواب لتمثل امامنا ملك شرقي ، سائر في موكبه . والمنادي يتقدم طليعته صارخاً « هوذا الملك قادم ! فأعدوا الطريق امامه »

بل في هذا الجواب اخفى المعمدان ذاته وظهر حقيقة رسالته . اما اخفاؤه ذاته

قال اشعيا النبي . ٢٤ وكان المرسلون من الفريسيين . ٢٥ فسألوه وقالوا له فما بالك تعمد ان كنت لست المسيح ولا ايليا ولا النبي

فواضح من قوله « انا صوت » واما اظهاره حقيقة رسالته فمستفاد من اقتباسه كلمات نبي قديم له اعتبار عظيم لدى السائلين

ع ٢٤ و ٢٥ . ثانياً: شهادة المعمدان بحقيقة رسالته ٢٤:١ - ٢٧ (أ) الدور الاول من استجوابهم ٢٤:١ و ٢٥ (ب) جوابه ٢٦:١ و ٢٧

(أ) الدور الاول من استجوابهم ٢٤:١ و ٢٥ . « وكان المرسلون من الفريسيين » - تمييزاً لهم عن الصدوقيين الذين كان يتألف منهم ايضاً مجمع السنهدريم . وقد كان هؤلاء المرسلون الفريسيون مطبوعين بطابع التعصب الفكري لدرجة انهم خرجوا عن حدود مهمتهم التي اتتدبوا لها ، فبدلاً من أن يكتفوا بان يستجوبوا الممدان عن شخصه ، شرعوا يستجوبونه عن معموديته . ولا بد ان معموديته جرحت كبرياءهم ، لانهم كانوا يعتقدون ان المعمودية هي الباب الذي منه يدخل الاممي الى الدين اليهودي ولعلمهم استنتجوا مما جاء في حزقيال ٢٥:٣٦ ؛ اشعيا ٥٢:١٥ ؛ زكريا ١٣:١ ، انه لا بد من معمودية ممتازة يقوم بها « مسياً » او النبي الذي يهي الطريق له ، لذلك سألوه قائلين « فما بالك تعمد ان كنت لست المسيح ، ولا ايليا ، ولا النبي » ؟

يلاحظ لوثر ان نعمة كلام الفريسيين قد تغيرت ابتداء من عدد ٢٥ . قبلاً كان كلامهم مشبعاً بروح المسألة ، والآن أصبحوا ينفثون تهديداً ومقاومة (لو ٧:٣٠)

٢٦ أجابهم يوحنا قائلاً انا اعمد بماء . ولكن في وسطكم قائم الذي

(ب) جواب المعمدان ٢٦:١ و ٢٧ « أجابهم يوحنا قائلاً . . . » — هذا جواب حكيم في أسلوبه ، قوي بصراحته ، جازح بصرامته . بهذا الكلام أجابهم المعمدان عما كان يجب عليهم أن يسألوا عنه ، لا عما سألوا عنه بالذات . وكأني به ، يقول لهم « تسألوني عن المعمودية ، على اعتبار أنها عمل خاص بعصر المسيح ؟ هوذا المسيح قائم الآن في وسطكم . إذا لست انا نبياً مخبراً عن مجيئه العتيده ، انما انا مبشر بحضوره الآن . لا تهتموا بمعموديتي فهي من ماء . بل بمعموديته هو ، فهي من نار . » . اذا كان تعصب القريسيين قد انساهم حدود مأموريتهم ، فان حب يوحنا المعمدان للمسيح ، قد أنساه عظمتة الذاتية فانطلق لسانه متدفقاً كالسيل ، شاهداً لمقام المسيح الممتاز وسمو طبيعته

طبيعة معمودية يوحنا ع ٢٦ و ٢٧ . لهذا الجواب ، طرفان وقلب . طرفاه يصفان (أ) حقيقة معمودية يوحنا : « انا اعمد بماء » ع ٢٦ . فهي اذا معمودية رمزية ، تمهيدية ، خارجية . (ب) مقام يوحنا : لست بمستحق ان أحل سيور حذائه ع ٢٧ — هذا مقام الخادم الوضع . جاء في التلمود : يجب على التلميذ ان يقوم لعله بكل الخدمات التي يقوم بها الخادم لسيده — ما عدا حل سيور حذائه . لكن يوحنا تخطى هذا الاستثناء وحسب نفسه غير مستحق ان يحل سيور حذاء سيده . فهو اذا اقل من تلميذ — انه خادم وضع . اما قلب هذا الجواب فانه يرينا : (أ) المسيح حاضراً : « في وسطكم قائم » ع ٢٦ . كلمة « قائم » تفيد الجلال ، والثبات ، ومقام الامتياز (مر ١١: ٢٥ ; ١ تس ٣: ٨)

لستم تعرفونه . ٢٧ هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي
لست بمستحق ان احل سيور خدائه ٢٨ هذا كان في بيت عبرة في

(ب) المسيح مستتراً : «لستم تعرفونه» ع ٢٦ . لم يأت المسيح بمظهر الملوك ،
بل جاءنا وضيعاً ، «لا صورة له ولا جمال فننظر اليه» . اذا كانت هذه العبارة
تصف المسيح في بساطة ظهوره ، فهي ايضاً تصف الغفلة التي كانت مستولية
على أذهان اولئك الفريسيين الذين تصدروا زعامة الشعب . وكم كان جارحاً
لهم ان يسمعوا من فم العمدان هذه الكلمة : «لستم تعرفونه» ، في وقت كانوا
يدعون فيه انهم «حَمَلَة مفاتيح المعرفة» . وكم من المرات يكون للمسيح في
وسطنا ونحن لا نعرفه ، إما لخطية فينا ، أو لغلاظة قلوبنا ، أو بسبب غشاوة
المادة التي على عيوننا (ج) المسيح منتظراً : «يأتي بعدي» ع ٢٧ — باعتبار
الزمن ، وكان هذا طبيعياً ، لان خدمة العمدان كانت مهمة لعمل المسيح .
(د) المسيح منتصباً مجدداً : «صار قدامي» ع ٢٧ باعتبار الدرجة والمقام . لان
المسيح كائن قبل كل الدهور ، «وفيه يقوم الكل» ، لكي يكون هو متقدماً
في كل شيء* (كو ١: ١٧ و ١٨)

ع ٢٨ . مظهر لقاء المرسلين بالعمدانية — «هذا كان في بيت عبرة في
عبر الاردن حيث كان يُوحنا يعمد» . «بيت عبرة» معناها : «بيت العبور»
وهي واقعة جنوبي بحر الجليل على بُعد ١٤ ميلاً . ويعتقد بعض الثقات انها
هي «بيت عنيا» الثانية الواقعة على الشاطئ الشرقي لنهر الاردن ، حيث كان
يمكن عبور النهر لقلة عمق مياهه هناك . ولهذا كان ذلك المكان يسمى ايضاً

عبر الاردن حيث كان يوحنا يعمد . ٢٩ وفي الغد نظر يوحنا يسوع

« بيت عبرة » ويميل اوريجانوس المصري الى الرأي الاول . وعلى كلِّ فانَّ معنى الكلمتين واحد . لان « بيت عنيا » كلمة آرامية — « بيت أنية » — او « بيت السفينة » — اي « بيت المعدية » او « عبور النهر » . وهذا هو نفس المعنى الذي تحمله كلمة : « بيت عبرة »

(ب) شهادة يوحنا المعمدان في محضر المسيح ٢٩:١ — ٣٤

انصرف هذا الوفد اليهودي عن المعمدان ، فانصرف هو أيضاً الى عمله ، وفي غد ذلك اليوم وقد بدأت شمس انت تميل وراء الأفق ، أقفلت الجماهير المعتمدة من يوحنا ، رجوعاً الى المدن والضياع التي منها أتوا ، فلم يبقَ مع المعمدان سوى تلاميذه وحدهم . وفي تلك الساعة الرهيبة بسكونها ، المهيبه بعزلتها ، أقبلَ المسيح وعلى محيَّاه ترسم علائم الظفر والفوز ، وهو خارج من برية اليهودية حيث ظفر بالشيطان في معركة فاصلة ، وهو على أتم استعداد أن يقدم نفسه حملاً فداً ليرفع خطية العالم . ومن غرائب الاتفاق ان تجربة الشيطان للمسيح في البرية ، تمت في يوم تجربة الفريسيين ليوحنا المعمدان . ولا فرق بين المجرَّب في الحالين : سوى ان ابليس كان شيطاناً سافراً لكن الآخرين كانوا شياطين مقنَّعة

وفما كان المسيح مقبلاً الى يوحنا — في طريقه من برية اليهودية الى الجليل — استقبله يوحنا بشهادة جديدة معلنة (أ) كفاية كفارته «هوذا حمل الله» ع ٢٩ (ب) سمو رفعته «هذا هو» ع ٣٠ و ٣١ (ج) حقيقة

مقبلاً إليه فقال هوذا حمل الله

مسيحيته « وشهد يوحنا قائلاً . . » ع ٣٣ و ٣٢ (د) امتياز بنوته « وأنا قد رأيت وشهدت » ع ٣٤. ويجمل بنا الآن ان نذكر الدرجات التي ارتقت وتدرجت عليها شهادة المعمدان عن المسيح : فمن وصفه اياه بكلمات عامة « الذي يأتي بعدي » ع ١٥ ، الى تعيين شخصه بالذات بقوله « في وسطكم قائم » ع ٢٦ ، الى شهادته بكفارته ع ٢٩ ، الى اعترافه بمسيحيته ع ٣٣ ، حتى بلغ الدرجة القصوى في سلم شهادته اذ نادى بلغة الواثق المقتنع بامتياز بنوة المسيح « وأنا قد رأيت وشهدت ان هذا هو ابن الله » ع ٣٤

ع ٢٩ : (أ) كفاية كفارة المسيح : « هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم »

« هوذا » — تُقال هذه الكلمة لتوجيه الالتفات الى شخص عجيب، او الى ضالة كان ينشدها أحدهم فوجدها ، او للفت النظر الى شخص قريب . وهنا نطق بها المعمدان موجهاً انظار تلاميذه والعالم اجمع — الى اعجب شخصية في التاريخ ، وإلى الحمل الممتاز التي كانت ترمز اليه ذبائح العهد القديم ، فوجده هو ، اذ كان منه قاب قوسين او أدنى

« حمل الله » — الحمل المعين من الله والمقدم من الله ، والمقبول من الله . أكان يوحنا مشيراً الى حمل الله الذي رمز اليه الحمل الذي قدم بدل اسحق (تك ٢٢: ١٣) ام الى الذي رمز اليه حمل الذبيحة اليومية (خروج ٢٩: ٤٨) ؟ ام الى الذي اشار اليه حمل الكفارة ، ويوم الفصح كان آنئذ قريباً ؟ (٢ :

الذي يرفع خطية العالم

١٢ و ١٣)؟ ام الى الحمل الذي تتبأ عنه اشعياء (اش ٥٣: ٧) (*) وكان فكر الممعدان مشتغلاً وقتئذٍ بنبوءات اشعياء (١: ٢٣) ام الى الحمل العظيم الذي تُسب الى اسم الجلالة؟ ام الى كل هذه معاً؟؟؟ ومن الاهمية بمكان، ان نذكر ان الصفة الممتازة التي يقصدها يوحنا في الحمل هي توضيحته. فمع ان الحمل صامت، ووديع، وكامل، لكن وجه الشبه الرئيسي هو الكفارة. ان مركز الدائرة في المسيحية، هو المسيح. ومركز الدائرة في حياة المسيح هو الصليب. « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة ». فالصليب اولاً، ثم الكلمات الادبية الاخلاقية. ان انشودة المسيحية الخالدة هي « مات لاجلي »

« الذي يرفع » — اي الذي يحمل على عاتقه، ويزيل خطية العالم، ليطرحها في بركة النسيان (اش ٥٣: ١١). وهي في اللغة الاصلية تفيد الدوام المتواصل. ان رفع الخطية لا يقف عند احد مغفرتها، بل يقصد به أيضاً كسر شوكتها وسحق قوتها وابطال سلطتها. « خطية العالم » — استعملت هنا كلمة « خطية » بالمفرد لا بالجمع للدلالة على اصل الخطية، ومبدأها، ونبعها. فشجرة التين يقال لها « تينة » مع ان ثمارها يقال لها « تين ». كأن كل خطايا الجنس البشري تجمعت على شخص واحد وكل خطايا الشخص الواحد تركزت وتجمعت في خطية واحدة، كما تتركز اشعة الشمس وتتجمع في نقطة واحدة هي

(*) يقول ابرهثيل وهو احد ابحار اليهود: « قال الرب يوناثان من عزرائل ان الاسحاح الثالث والخمسين من اشعياء يشرح آلام « مسيا » المنتظر. ويؤيد هذا، آراء كبار ابحارنا، تباركت ذكراهم »

٣٠. هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي رجل صار قدامي لانه كان قبلي . ٣١ وانا لم اكن اعرفه .

نقطة الاحتراق . « والعالم » هو البشرية البعيدة عن الله ، المتمردة عليه ، والمحبوبة منه ، على رغم كل هذا (١٦: ٣) . ومن العجيب ان يوحنا المعمدان ، وهو يهودي ، قد ارتفع ببصره فتخطى حدود اليهود وقال «العالم» ان كفارة المسيح كافية شافية . فهي كافية للجميع ، وشفافية للمؤمنين بها فقط

عدد ٣٠ — ب — سمر رفة المسيح « هذا هو . . » ٣٠ و ٣١ . هذه نعمة المؤمن ، الواثق مما يقول . (انظر عدد ٧ و ٨ و ١٥ و ١٩ و ٢٤) . « قلت عنه » — في اليوم السابق عدد ١٥ . « رجل » — وفي اليونانية تعني افضل من رجل . استعملها هوميروس بمعنى « الأمير » . وفيما بعد صارت لقباً تقابله كلمة « نبيل » في العربية . واستعملت ايضاً بمعنى « البطل » كما يقال عن رجل شريف مقدم : « هذا رجل » . وهي تطابق على الانسان في سموه ورفعته . « صار قدامي » — في المقام . « لانه كان قبلي » — منذ الأزل

عدد ٣١ . مهمل المعمدان لفظة المسيح « وانا لم اكن اعرفه . . » يظهر لاول وهلة من متى ١٤: ٣ ، ان المعمدان كان يعرف المسيح ، فكيف يقول هنا انه « لم يكن يعرفه » ؟ المعرفة المقصودة هنا هي معرفته بان يسوع هو المسيح المنتظر — معرفته من حيث رسالته ومسيحيته ، لا من حيث شخصه حسب الجسد . لانه من الطبيعي ان يكون المعمدان قد عرف يسوع حسب الجسد

لكن ليُظهرَ لاسرائيل لذلك جئت اعمد بالماء . ٣٢ وشهد يوحنا قائلًا اني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه .

لما بينهما من صلة القرابة ، لكنه ظل يجهل ان يسوع هو المسيح ابن الله ، «حتى رأى الروح نازلاً مثل حمامة من السماء ومستقراً عليه . «لكن ليُظهر» — هذا هو الغرض الثاني من خدمة المعمدان ، والغرض الأول هو إعداد الطريق امام المسيح الملك . الكلمة «ليُظهر» كثيرة الورد في كتابات يوحنا البشير (١١: ٢، ٣: ٢١، ٤: ٧، ٩: ٣، ١٧: ٦، ٢١: ١، ١٤: ١ و يوحنا ١: ٢ و ٢: ١٩ و ٢٨: ٣، ٢: ٥ و ٨ و ٩ ورؤ ٣: ١٨، ١٥: ٤) . ولعلهُ اخذها عن استاذهِ يوحنا المعمدان . «اسرائيل» — بحسب استعمالها في هذه البشارة تعني العنصر الروحي الرشيد في الامة اليهودية (١: ٤٩ و ٣: ١٠ و ١٢: ١٣)

عدد ٣٢ — ج — حقيقة مسيحية المسيح : «وشهد يوحنا قائلًا ..» ٣٢: ١ و ٣٣ . هذه شهادة مبنية على ما رآته العينان «قد رأيت» ، وما سمعته الاذنان «قال لي» ، وعلى فم شاهدين او ثلاثة تقوم كل حجة . «رأيت» — معناها في الاصل «تفرست» . لم يتحقق من الرؤيا ويميزها سوى المسيح والمعمدان (مت ١٦: ٣ و ١٧ و مرقس ١: ١٠ و ١١ و لوقا ٣: ٢١)

ان روح الله الذي به يقترب الناس من الله ، قد استقرَّ على كلمة الله الذي به يقترب الله من الناس . «حمامة» هذه ترمز الى اللطف ، والطهارة ، والوداعة ، وعدم الاذى .^(١) الكلمة «استقرَّ» تحمل افكارنا الى يوم الخمسين ،

(١) للمزيد من الايضاح انظر شرح بشارة لوقا على صيفتي ٩٤ و ٩٥

٣٣ وانا لم اكن اعرفه . لكن الذي ارسلني لاعمد بالماء ذاك قال لي
الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمّد بالروح
القدس . ٣٤ وانا قد رأيت وشهدت

حين استقرّ الروح في الكنيسة التي هي جسد المسيح (اعمال ٢: ٣) كما استقرّ
هنا على رأس المخلص . في العهد القديم كان الروح القدس يُعطى لاجل
خدمة خاصة ، لكنه استقرّ الآن على شخص المسيح . «الذي ارسلني» —
الله الآب — الاقنوم الاول في اللاهوت . هذا العدد الواحد يحمل اشارة الى
عمل الله الواحد، المثلث الاقانيم : «الذي ارسلني» — الله الآب، «الروح» —
الله الروح القدس الاقنوم الثالث . «عليه» الله الابن الذي هو الاقنوم الثاني .
فالاقنوم الاول ارسل ، والاقنوم الثاني مُسح بالروح القدس . والاقنوم الثالث نزل .
ولقد تعمّد المسيح بالروح القدس ، لانه هو سيعمّد غيره بالروح القدس . وهنا
فضل خدمة المسيح على خدمة المعمدان . خدمة المعمدان بماء — خدمة رمزية ،
خارجية ، جسدية ، وقتية . لكن خدمة المسيح بنار — خدمة جوهرية ،
داخلية ، روحية ، دائمة

عدد ٣٤ . — د — امتياز بنوة المسيح : «وأنا قد رأيت وشهدت» ١: ٣٤
هذا تاج شهادة المعمدان — ان المسيح هو ابن الله بكيفية ممتازة لا
يدانيه فيها سواه . ان جميع المؤمنين يحسبون ابناء الله بالتبني فقط لانهم كانوا
غرباء عن الحضرة السماوية فادخلهم الله اليها بفضل نعمته . لكن المسيح هو

ان هذا هو ابن الله . ٣٥ وفي الغد ايضا كان يوحنا واقفاً هو

ابن الله بالجوهر ، والذات ، والطبيعة . فهو صورة الله غير المنظور . وهو بهاء مجده ، ورسم جوهره ، وحامل كل الاشياء بكلمة قدرته
هذه خاتمة شهادة المعمدان التي اداها للمسيح باسانه ، وقد اُردفها بشهادته التي قدمها بواسطة حياته وخدمته امام تلاميذه ، ثم توجها بشهادته التي قدمها بموته واستشهاده

الشهادة الثالثة التي اداها يوحنا المعمدان

شهادته أمام تلميذه : اندراوس ويوحنا البشير ٣٥: ١ - ٣٧

ها قد بلغنا الآن ، نقطة الاتصال بين خدمة يوحنا المعمدان وخدمة المسيح . بل هذا ملتحق العهد القديم بالعهد الجديد . لان اثنين من تلاميذ المعمدان صاروا تلميذين للفادي . وهذه اكبر مكافأة لخدمة المعمدان : ان اثنين من تلاميذه نُقِلَا من القسم الاعدادي الى القسم العالي . بل هذا مظهر من مظاهر الخلق المتين الذي تحلّى به المعمدان اذ قبل على نفسه ان يخسر اثنين من احبّ تلاميذه اليه — خسارة هي نعم الربح للمعمدان ولتلميذه . اما للمعمدان فلأنها دليل على تقدير سيّده لخدمته ، واما للتلميذين فانهما صاروا فيما بعد رسولين ، بل عمودين في هيكل الكنيسة الابدي ، بل لؤلؤتين لامعتين في تاج الخلود

ان الطابع العام الذي طبعت به هذه البشارة — التدرّج ، قد طُبِعَتْ به ايضاً دعوة التلميذين الى المسيح . كانا تلميذين للمعمدان . ثم وُجِّهَتْ انظارهما

واثنان من تلاميذه . ٣٦ فنظر الى يسوع ماشياً فقال

الى المسيح حمل الله عدد ٢٩ و ٣٦ ، ثم دُعيا الى البيت الذي كان المسيح ساكناً فيه عدد ٣٩ ، ثم شاهدا معجزاته فرأيا مجده ١١: ٢

عدد ٣٥ . يومنا واقف مع اثنين من تلاميذه : « وفي الغد ايضاً كان يوحنا واقفاً هو واثنان من تلاميذه . . . » عدد ٣٥ — ٣٧

هذه الاعداد ترينا المعمدان واقفاً وقفة الحارس الملازم مركزه ، المنتظر ظهور سيده ليتلقى عنه الاوامر ، او وقوف الرقيب الذي يتوقع أمراً جليلاً ، او وقوف البواب على مدخل الحظيرة ليفتح الباب للراعي متى جاء .

عدد ٣٦ . يومنا بشرى للمسيح . وقف هذا البواب ، ومعه اثنان من أتباعه — أحدهما اندراوس عدد ٤٠ ، وثانيهما يوحنا البشير الذي يجد لذّة خاصة في اخفاء اسمه ، ومما يدعم هذا الاعتقاد كون الكاتب يذكر تفاصيل دقيقة عن المكان والزمان — بالساعة — مما يدل على انه كان شاهد عيان ، لم ينس تلك الساعة التاريخية ، وهل مثلها من الساعات يُنسى ! ؟

« فنظر » — تفرّس متأملاً ومعجباً . كان المسيح في هذا الوقت « ماشياً » ومنصرفاً عن المعمدان ، لا مقبلاً اليه كما في عدد ٢٩ ، وكفى المعمدان فخرًا ان يُقبل اليه المسيح مرّة واحدة

هذه آخر مرّة اجتمع فيها المعمدان بالمسيح ، وبعدها ذهب يوحنا ليستقبل سيف هيرودس ، ومضى المسيح مرتقياً الى صليب الجائحة . ولئن فرقتهما الايام ، فقد جمعهما الآلام

هوذا حمل الله . ٣٧ فسمعه التلاميذ ان يتكلم فتبعوا يسوع .

في هذه الآونة اعاد المعمدان شهادته عن المسيح بصورة مقتضبة، لكنها حادثة كالسهم النافذ «هوذا حمل الله» . انظر شرح عدد ٢٩ . لعل المعمدان قصد بهذه الشهادة في هذه الآونة ، ان يقول لتلاميذه « ان مهمتي معكم قد انتهت . . فخدمتي اعدادية لسواي . . هوذا هو »

عدد ٣٧ . تأييد شهادة يوحنا في تلميذه . كان لهذه الثلاث الكلمات اجل وقع على قلبي التلميذين فأجابا نداء استاذهما ودخلا تحت لواء سيدهما وفاديهما — هذا تفسير عملي لقول المعمدان « ينبغي ان ذاك يزيد واني انا أنقص » (٣: ٣٠) . « سمعه التلاميذ ان . . فتبعاه » كثيرون يسمعون، ولكن بين سمعهم وآتباعهم المسيح ابدية كاملة . لكن التلميذين سمعا فتبعوا . فالاذن سمعت، والعين رأت، والذهن فكر، والعقل قدّر، والضمير حكم، والقلب ودّع — ثم رَحَّب . هذا هو الخيط الدقيق الذي يربط كنيسة العهد الجديد بهيكل العهد القديم^(١) . هنا لمست أهداب الليل أطراف النهار . « سمعا فتبعوا » هذه خلاصة الاختبارات المسيحية في كلمتين . فالتوبة ، والايمان ، والقبول ، والطاعة، والتبرير ، والتبني والتقديس والتمجيد، تنطوي تحت هاتين الكلمتين

(١) حدث هذا قبيل عيد الفصح ، لدى اواخر شهر مارس (١: ٢ و ١٣) . ويقول تقليد قديم ان الكنيسة الاولى أسست في وقت الربيع عند تساوى الليل بالنهار

٣٨ فالتفت

شهادة التلاميذ الأولين ١: ٣٨-٥١

يتضمن هذا الفصل وصفاً دقيقاً لميلاد الايمان المسيحي في قلوب التلاميذ الأولين

ان الشهادة الحية تهبط الطريق للايمان الحي ، ولن يكون الايمان حياً الا اذا اتصل بشخصية حية . ولن تكون الشخصية الحية موضوع الايمان الحي الا متى كانت شخصية قوية جامعة — كذلك كانت شخصية المسيح التي حُبَّت اليها شخصيات كثيرة متباينة الجنسيات ، والنزعات ، والدرجات . فمن سمعان ، ويوحنا ، وثنائيل ، الذين يحملون اسماء عبرية ^(١) ، الى اندراوس وفيلبس اللذين يحملان اسمين يونانيين . من بطرس المجازف المقحام ، الى ثنائيل الوداع ، الجالس تحت تينته ، الى يوحنا ويعقوب ابني زبدي

اذا تأملنا شهادات التلاميذ عن المسيح ، رأينا فيها تدرجاً متمشياً مع روح البشارة كلها . فمن شهادة اندراوس العامة : « قد وجدنا مسيحاً » عدد ٤١ ، الى شهادة فيلبس المخصصة : « وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والانبياء : يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة » عدد ٤٥ ، الى شهادة ثنائيل العميقة : « انت ابن الله . انت ملك اسرائيل » عدد ٤٩

واذا نظرنا الى الوسائل المختلفة التي بها دُعي تلاميذ المسيح ، وجدنا أنفسنا أمام غنى الحكمة الالهية المتنوعة . فالطريقة التي بها اهتدى احد التلاميذ الى

(١) لمعرفة معنى كل اسم بالذات انظر شرح بشارة لوقا للمؤلف صحفي ١٥٥ و ١٥٦

يسوع

المسيح ، هي غير الطريقة التي بها اهتدى الآخر . يوحنا واندراوس اتيا اليه نتيجة شهادة استاذهما ، وتوطد ايمانهما به بعد محادثة هادئة تمت بينه وبينهما في البيت . وسمعان جاء اليه نتيجة شهادة اخيه ، وتعمق ايمانه به بعد ان سمع منه كلمة فاحصة كشفت له ماضيه وحاضره ومستقبله في لحظة . وفيلبس الرجل العملي استأسرته شخصية المسيح القوية ، فأقبل اليه نتيجة كلمة حاسمة لم تترك امامه مجالاً للشك والتردد ، وثنائيل الوداع وجدده نتيجة كلمة هادئة كالنسيم سمعها فملاّت قلبه رجاء وعزاء . من التلاميذ من جاء الى المسيح بدعوة من سواه ، ومنهم من طلب المسيح باحثاً ، ومنهم من دعاه المسيح بالذات . منهم من جاءه متسرّلاً برداء الشك ، ومنهم من جاءه مطمئناً واثقاً

طبيعة التلاميذ — يوحنا واندراوس ٣٨:١ — ٤٠ . (أ) سؤال المسيح لهما «.. ماذا تطلبان» . (ب) جوابهما على سؤال المسيح «يا معلم اين تمكث» ع ٣٨ . (ج) دعوة المسيح لهما «تعاليا وانظرا» . (د) تلميذتهما للدعوة «فاتيا ونظرا ..» ع ٣٩ . (هـ) اسم احدهما : «كان اندراوس اخو سمعان ..» ع ٤٠
عدد ٣٨ (أ) سؤال المسيح لهما : «فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال لهما ماذا تطلبان ؟

سمع هذان التلميذان شهادة معلمهما المعمدان عن المسيح انه حمل الله ، فتركا معاهما وتبعاه فاديهما ، ومنذ تلك اللحظة وهما الى الآن يتبعان «الحمل الذي في وسط العرش وهو يرعاهما ويقتادهما الى ينابيع ماء حية» (رؤ ١٧:٧)

ونظرهما يتبعان . فقال لهما

كان هذان التلميذان يتبعان يسوع في وقت كان قد حول فيه وجهه عنهما ذاهباً في طريقه . إلا أن قلبه العطوف لم — ولن — يتحول عنهما، بل كان مراقباً مبادئ الحياة الجديدة وهي تدبُّ في قلوبهما كالنبتة الضعيفة المحتاجة إلى أشعة الشمس، لتقويها وتغذيها، وقطرات الندى لتنعشها وترويها . فحول المسيح وجهه إليهما وسلط عليهما شعاعاً شافياً من أشعته النورانية المحيية قاصداً أن يشجع توجهات حياتهما الجديدة . «ونظرهما» — هذه الكلمة تفيد التفرس والاعجاب، والاهتمام (٥: ٦ ؛ ١ يوحنا ١: ١)، «وقال لهما ماذا تطلبان» — هذه أول كلمة للمسيح في بشارة يوحنا . أن أولى كلماته في بشارة متى هي : «اسمح الآن . لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر» (مت ١٥: ٣) ، وفي بشارة مرقس : «قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مر ١: ١٥) ، وفي بشارة لوقا : «فقال لهما لماذا كنتم تطلباني ألم تعلموا أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي» (لوقا ٢: ٤٩)

«التفت» . . «ونظرهما» . . «فقال لهما» ، هذه عبارات ثلاث تعين لنا الدرجات الثلاث التي بها عالج المسيح إيمان التلميذين في مهده . «التفت» — أراها وجهه . «نظرهما» — رأى قلوبهما . «فقال لهما» — أراها حقيقة قلوبهما . «ماذا تطلبان» — كنا نتظر أن يسألها المسيح قائلاً «من تطلبان» بدلاً من قوله «ماذا تطلبان» . كأن يسألها عن الشخص . لا عن الشيء الذي يطلبانه . لكن للأسف كثيرون يقصدون المسيح لأنهم يطلبون عطايه لا

ماذا تطلبان . فقالا ربي الذي تفسيره يا معلم اين تمكت .

شخصه . وكثيرين يطلبون القادي بغير قصد معين . فهم كريشة في مهب الريح ، وكفيوم بغير ماء . ان عارف القلوب تجلّي لذين التلميذين فرأيا فيه أكثر من « معلم » ، وان « حمل الله » تمثل لهما « كاهناً » فاحص الكلّي ، وان السيّد ظهر لهما ورفشه في يده لينقي بيده الجديد

لم يقصد المسيح بسؤاله ان يلقي العثرات امامهما ، ولا مجرد فحص غاياتهما ، بل قصد ان يهيئ الطريق امام اشواقهما الجديدة ، ليسندها في طفولتها ، ويوجهها اتجاهاً آمناً مطمئناً

(ب) هو ابرهما على سؤال المسيح : « فقالا ربي . الذي تفسيره يا معلم . اين تمكت » . وحسنّا اجابا . هل قدّما هذا الجواب لان المسيح فاجأهما بسؤاله فلم يجدا افضل من ان يجيبا على سؤاله بسؤال آخر ؟ ام انهما ارادا ان يظهرانه ان قلبيهما محمّلان بالاشواق نحوّه ، وان حديث الطريق لا يشبعهما لذلك طلبا فرصة خاصة في مكان هادئ ؟ ام انهما خافا لئلا يكون هو « عابر سبيل » ينظرانه الآن ثم يمضي عنهما غداً ، فقصدا ان يتأكدا من محل اقامته ؟ ام انهما بسؤالهما هذا ، قصدا ان يقولوا له : « نريدك انت . ولا نريد سواك . فقل لنا اين تمكت حتى نتعلّى بروياك ، ونشبع من منا سناك » ؟؟

الكلمات : — « الذي تفسيره يا معلم » من اقوال البشير . ولعل يوحنا فسّر كلمة « ربي » لانها كانت حديثة الاستعمال وقتئذٍ ، فهي لم تستعمل الا منذ ايام هليل ، قبل المسيح بثلاثين عاماً

٣٩ فقال لهما تعاليا وانظرا . فأتيا ونظرا اين كان يمكث ومكثا
عنده ذلك اليوم . وكان نحو الساعة العاشرة

عدد ٣٩ . (ج) رد المسيح : « فقال لهما تعاليا وانظرا » . ان سؤال المسيح
الفاحص ، ودعوته الحببية ، يرمزان الى عمل النعمة الذي يعمل بروحه في قلوب
الآتين اليه . والترجمة الحرفية للكلمتين « تعاليا وانظرا » هي : « تعاليا الآن
ومن ثم تنظران » . هذه دعوة مزدوجة : « تعاليا » — دعوة الى اطاعة الايمان .
« وانظرا » — دعوة الى التعلم ، والطاعة دائماً تسبق المعرفة . والايمان يسبق
العلم ويسايره . هذه دعوة معجلة . لان المسيح خرج في الغد الى الجليل (١ :
٤٣) . فلو تأخرا او ترددا في قبول الدعوة لضاعت عليهما الفرصة الى الابد

(د) اية الدعوة : « فأتيا ونظرا ومكثا » . اطاعا . ونظرا . وانتظرا .
وكما كانت الدعوة معجلة كذلك كانت تلبيتها . ان لذة هذه الزيارة بقيت
عالقة في ذهن احدهما — يوحنا البشير — الى ما بعدها بستين عاماً لانه
ذكر مواعدها بالضبط : « وكان نحو الساعة العاشرة » — بالحساب الافرنكي
الذي كان الرومان قد اعتمدوه . وهو يتفق والتوقيت المتبع الآن ، اي قبل
الظهر بساعتين . ويعتقد « ليتفوت » انها الساعة العاشرة بالحساب اليهودي . اي
قبل الغروب بساعتين ، ويضيف الى هذا ، قوله : ان غد ذلك اليوم كان سبتاً .
فلم يكن ليهما متسع من الوقت للسفر لذلك مكثا عنده حتى اليوم التالي . وما
اجمل ان يصرف التلميذ اول سبت من حياته الجديدة في حضرة فاديه ومخلصه
ان السماء سبت ابدى لانها تُصرف بين يدي الله

٤٠. كان اندراوس اخو سمعان بطرس واحداً من الاثني عشر الذين
سمعا يوحنا وتبعاه. ٤١. هذا وجد اولاً اخاه سمعان فقال له

عدد ٤٠. اندراوس «كان اندراوس اخو سمعان بطرس...» واضح من
من هذا العدد، ان هذه البشارة كتبت في وقت كان قد صار فيه بطرس
علماً من أعلام الكنيسة واوسع شهرة من اندراوس حتى وصف بأنه «اخو
بطرس». ومن الاهمية بمكان، ان نذكر ان اندراوس دخل الايمان قبل
بطرس. فمن المحال عندنا ان يكون بطرس اساس الكنيسة

عدد ٤١. سمعان بطرس ١: ٤١ و ٤٢ «هذا وجد اولاً اخاه سمعان» .
(أ) ما ظفر به أندراوس: «هذا وجد اولاً»: ويستفاد من كلمة «اولاً»، ان
أول عمل قام به اندراوس بعد ان وجد المسيح — أو بالحري بعد ان وجد
المسيح — هو انه وجد اخاه سمعان. وايضاً ان كلاً من التلميذين ذهب
مفتشاً على اخيه حتى يجده، فكان اندراوس السابق في هذا المضمار فوجد
اولاً اخاه. اما التلميذ الآخر — يوحنا — فقد وجد اخاه فيما بعد. هذا برهان
على تواضع يوحنا البشير في تسجيله حسنات غيره. «وجد» تنطوي هذه
الكلمة على: البحث والسعي والجد المتواصل «ومن جدّ وجد»

ليست هذه المرة الأولى والاخيرة التي فيها أتى اندراوس بشخص الى
المسيح (انظر يو ٦: ٨؛ ١٤: ٢٢). ومما يلفت انظارنا ان اندراوس وجد
المسيح قبل ان يجد اخاه. ان الرابطة الروحية التي تربط الانسان بالمسيح،
أقرب، وأسبق، وامتن من أية رابطة جسدية. (ب) ما قاله اندراوس:

قد وجدنا مسيًّا . الذي تفسيره المسيح . ٤٢ فجاء به الى يسوع .

« قد وجدنا مسيًّا » . هذه شهادة النفس المتواضعة التي لم تحتكر امتياز هذا الاكتشاف لذاتها . فبدلاً من ان تقول « قد وجدت » أعطت لغيرها حقاً معها وقالت « قد وجدنا » . هذه شهادة النفس الظافرة التي وجدت « اللؤلؤة الكثيرة الثمن » . اكتشفت « الكنز الخفي » . ان فرح هذه النفس اعظم من فرح ارشميدس باكتشافه العظيم . بل هذه شهادة النفس المتيقنة الواثقة مما وجدت لأن « قد » حرف تحقيق . لا بل هذه شهادة النفس الباحثة المستنيرة « وجدنا مسيًّا » . ومن العجب ان كلمة « مسيًّا » لم ترد على لسان استاذه للمعدان . لكن اندراوس استطاع ان يفهم من الكتب ان « حمل الله » هو « مسيَّا المنتظر » . الكلمة « مسيًّا » هي الصيغة اليونانية للكلمة الارامية : « مشيحا » ، والعبرية : « مشيح » ، والعربية : « مسيح » اي الملك العظيم المسوح من الله والمنتظر من الشعب اليهودي ، وفيه تتم نبوات العهد القديم . هذا المسيا كان منتظراً ايضاً من السامريين (٢٥: ٤) . جاء في المدراس اليهودي شرحاً لما جاء في خروج ٢٢: ٤ « ان بكر الله هو مسيًّا » . وجاء في التلمود « ان اسم مسيًّا هو قبل كون العالم » . ولأن يوحنا كان يكتب الى الامم ، اضطر ان يفسر لهم كلمة « مسيًّا » اليهودية بقوله « الذي تفسيره المسيح »

عدد ٤٢ . (ج) ما فعله اندراوس : « فجاء به الى يسوع » - وهذا يكفي . هذا عمل بسيط لكنه كامل . فاذا ما نجحنا في احضار العطشان الى ينبوع الصافي فقد عملنا كل ما يمكن عمله . هذا مثال لما ينبغي ان يعمل كل خادم

فنظر اليه يسوع وقال انت سمعان بن يونا . انت تدعى صفا الذي
تفسيره بطرس

للمسيح . فاذا لم يستطع ان يقدم المسيح للناس ، فعليه ان يتقدم بالناس الى المسيح
الى هنا ينتهي عمل اندراوس وابتدي عمل المسيح . (أ) نظرة :
« نظر اليه يسوع » — هذه نظرة مشجعة . ما اعظم الفرق بين هذه النظرة
و بين تلك التي وجهها المسيح الى بطرس بعد خطيته المعهودة (لوقا ٢٢: ٦١) !
(ب) اعلان : « انت سمعان بن يونا » — هذا وصف لبطرس في ضعفه الحاضر .
لان سمعان تفسيره « المطواع ، الضعيف ، المستلين » . (ج) نبوة وتشجيع
« انت تدعى صفا » — هذا وصف لبطرس في قوته التي يمنحه المسيح اياها فيما
بعد . كلمة « صفا » ارامية الاصل تقابلها في العربية : « كهف » وفي اليونانية
« بطرس » (*) — اي « حجر » . عجيب هذا الفرق بين حال بطرس وماله .
لكن لا يبق وجه لهذا العجب متى ذكرنا ان حلقة الاتصال بينهما هي نعمة
المسيح المجددة

هذا برهان جديد على ان المسيح اتخذ لنفسه كل حقوق يهوه في العهد
القديم . فكما دعا يهوه يعقوب اسرائيل ، كذلك دعا المسيح سمعان بطرساً . على
انه لا فائدة من تغيير الاسم الا اذا تغيرت الحياة . والمسيح هو المغير لها كليهما

* قد يلذ لنا ان نعرف ان الكلمة التي استعملت لبطرس في الاصل هي « بتروس »
ومعناه حجر ، لا « پترا » التي معناها صخرة . وليس من المعقول ان الكلمة الثانية هي التي
قيلت لبطرس لانها مؤنثة . . اننا نسوق هذا الحديث للذين يعتقدون ان بطرس هو الصخر
الذي بني عليه المسيح كنيسة . ونؤكد لهم ان الصخر انما هو ايمان بطرس بان المسيح هو
ابن الله . واما بطرس ، فعناه « حجر » — لا اقل ولا اكثر

٤٣ في الغد اراد يسوع ان يخرج الى الجليل . فوجد فيلبس .

عدد ٤٣ . دعوة فيلبس ٤٣: ١ و ٤٤ نحن الآن محاطون باكتشافات جديدة . دونها اكتشاف المريح : اندراوس وجد بطرس ، ويسوع وجد فيلبس ، وفيلبس وجد ثنائيل

«في الغد» — هذا هو اليوم الرابع منذ ارسل القريسيثون و قدم الى يوحنا المعمدان . «اراد يسوع» اي وضع في فكره كما يفيد الاصل . اذا دعوة المسيح لفيلبس لم تكن امراً ارجالياً ، ولا فكرة بنت ساعتها ، بل كانت نتيجة تفكير وتدبير سابقين . هذه الحادثة تصلح لان تُعتبر رمزاً لدعوة الله للمؤمنين (رومية ٨: ٣٠) . ويعتقد هنستنبُرج ان المسيح وضع في فكره ان يذهب الى الجليل تماماً للنبوات القديمة القائلة بان الجليل يكون مهبطاً لخدمة مسيياً . ويعتقد آخرون ان المسيح قصد ان يفسح مجالاً لخدمة المعمدان ، ولعله قصد ان يرجع الى الجليل لينتظر هناك ريثما يحين موعد الفصح فيذهب الى اورشليم في العيد . «فوجد فيلبس — فقال له اتبعني» — اذاً يكون فيلبس (*) اول شخص دعاه المسيح بالذات بقوله : «اتبعني» فالثلاثة الأولون — اندراوس ، ويوحنا و بطرس — وجدوا المسيح . لكن فيلبس قد وجده المسيح . في كل هذا

* ملاحظة الواضع الاخرى التي ورد فيها ذكر فيلبس في هذه البشارة ، يتضح لنا ان فيلبس كان رجلاً حكيماً — في ص ٥: ٦ تنكشف لنا حكمته العملية في تقدير حساب النفقة ، وفي ٢١: ١٢ و ٢٢ تنجلي لنا حكمته في السياسة والتصرف مع الناس ، وفي ١٤: ٧ تظهر لنا حكمته المنطقية في حساباته ان رؤية الله تكفي لحل جميع الاسرار والألغاز . ومحدثنا التاريخ ان فيلبس صار احد الانوار المتلألئة في اسيا . وهو غير فيلبس المبهر الذي تنبأت بتاته (اعمال ٨ و ٢١: ٨)

فقال له اتبعني . ٤٤ وكان فيلبس من بيت صيدا من مدينة اندراوس
وبطرس . ٤٥ فيلبس وجد ثنائيل

يصدق القول «نحبّه لأنه هو أحببنا أولاً» . كلمة واحدة قالها المسيح لفيلبس :
وكذلك لمتى ايضاً مت ٩: ٩ ، « اتبعني » (فيها خلاصة الحياة المسيحية فهل
فهم فيلبس في الحال كل ما تنطوي عليه هذه الكلمة من اتباعه الى جاسيماني
والى الجلجثة ، والى القبر ، والى المجد ؟ ام فهم منها ان المسيح يدعو ليتبعه في
رحلته الى الجليل وكفى ؟

عدد ٤٤ . موطن فيلبس « وكان فيلبس من بيت صيدا . . » - ومعناه محل
الصيّد - « من مدينة اندراوس و بطرس » يا لها من مدينة عجيبة خرج منها
كثيرون من خير صيادي الناس . لم يذكر البشير شيئاً عن نفسه ولا عن
موطنه ، تواضعاً منه كعادته . وقد اندثرت مدينته وذهبت معالمها ولم يبق منها
سوى اكوام معروفة بـ « تل حوم » . اما مدينة فيلبس فهي « بيت صيدا »
الجليل ، الواقعة في الجهة الغربية من نهر الاردن قرب بحيرة طبرية بقرب
« خان منية » . وهي غير « بيت صيدا » الواقعة شرقي الاردن قرب مصبه في
بحر طبرية . ويظن طمسون الرحالة ان ليس الا بيت صيدا واحدة وانها عند
« ابي زاني » الحالية ، بجانب مصب الأردن في بحر طبرية

عدد ٤٥ . ثنائيل - او ثمره التيح الناضجة ١: ٤٥ - ٥١ ان اول تلميذ وجد
المسيح ، واول تلميذ وجده المسيح ، صاراً كلاهما مبشرين ناجحين . فاندراوس
وجد سمعان ، وفيلبس وجد ثنائيل . كلمة « ثنائيل » - عبرية تعابها في اليونانية

وقال له وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والانبياء

«ثيودور» العربية بـ «تاوضروس» . ومعناها «عطية الله» . ثنائيل المذكور في بشارة يوحنا هو برثولماوس المذكور في سائر البشائر. لان ذكره في استهلال بشارة يوحنا وفي خاتمتها (١: ٤٥ ; ٢: ٢١) يدل على انه كان ذا مقام ممتاز بين التلاميذ . ولان سائر البشيرين ذكروا اسم برثولماوس بجانب اسم فيلبس (مت ١٠: ٣ ; لو ٦: ١٤ ; مر ٣: ١٨) وكذلك فعل يوحنا باسم ثنائيل . فمن المرجح جداً ان ثنائيل هو برثولماوس ، سيما وان برثولماوس ليس اسماً بل كنية ومعناه : بن تلماي — اي «ابن الحارث» وربما عرف في بعض الاوساط باسمه «ثنائيل» وفي البعض الآخر بكنيته : «ابن الحارث»

لقد اتخذت دعوة ثنائيل دورين : احدهما تمهيدى — حلت بينه وبين فيلبس ١: ٤٥ و ٦: ٤٦ وثانيهما نهائي حدث بينه وبين المسيح ١: ٤٧ — ٥١ . في الدور الاول نرى ثنائيل متحيراً في شكه . وفي الدور الثاني نرى ثنائيل باحثاً ، ومتعجباً ، ومعجباً ، ومؤمناً

الدور الاول — ثنائيل متحير في شكه ١: ٤٥ و ٦: ٤٦ . هنا نرى (١) كلام فيلبس مع ثنائيل : «وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس، والانبياء» . يقول البشير : «المسيح وجد فيلبس» عدد ٤٣ — هذا هو الصوت . ويقول فيلبس : «وجدنا المسيح» ع ٤٥ — هذا هو الصدى . هذه شهادة (١) المتواضع : «وجدنا» لا «وجدت» (ب) الباحث عن الحق : «الذي كتب عنه موسى في الناموس والانبياء» (ج) المدقق في بحثه : «يسوع

يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة . ٤٦ فقال له نثنائيل أمن
الناصرة يمكن ان يكون شيء صالح . قال له فيلبس تعال وانظر
٤٧ ورأى يسوع

بن يوسف — كما كان يُظن — «الذي من الناصرة» — بذلك قد ربط
القديم بالجديد (د) الفرح باكتشافه

عدد ٤٦ . (٢) رد نثنائيل : «أمن الناصرة . . .» هذا جواب المتحير في
شكّه . مع ان الجليليين كانوا وقتئذٍ محقرين لخشونتهم ، وعدم تهذيبهم ،
لكننا نرى هنا جليلاً يحقر الناصرة . والانجيل نفسه لا يضع الناصريين في
مكان يُحسدون عليه ، فالمسيح تركهم وفضل ان يعيش بين اهل كفرناحوم
(مت ٤: ١٣) ، ولم يقدر ان يعمل معجزات في الناصرة بسبب عدم ايمان
اهلها . (مت ١٣: ٥٨) . وفي ذات يوم شرعوا في قتل المسيح الذي هو مفخرة
وطهرهم (لو ٤: ٢٩) . ولعلّ نثنائيل قصد ان يقول : امن الجليل الحقير —
والناصرة جزء منه — يمكن ان يكون شيء صالح ؟ فيكون قد فاه بهذه الكلمة
من قبيل التواضع والتعجب ، لا من قبيل التحقير — لانه هو ايضاً جليلي

عدد ٤٧ . المورد الثاني — نثنائيل بامت ١: ٤٧-٥١ . في هذا الدور نرى طابع
التدرّج المطبوعة به كل البشارة . نلاحظ هذا التدرّج في اختبارات نثنائيل ،
وفي اعلانات المسيح لنثنائيل . في اختبارات نثنائيل نراه مقبلاً عدد ٤٧ ،
فتمعجباً عدد ٤٨ ، فؤمناً مقراً بايمانه عدد ٤٩ . وفي اعلانات المسيح نراه مهلناً
حقيقة نثنائيل للواقفين معه عدد ٤٧ ، ثم مظهراً قوته الفاحصة لنثنائيل عدد ٤٨ ،

ثنائيل مقبلاً اليه

ثم واعداً اياه باعلانات اعمق واتم في المستقبل القريب والبعيد عدد ٥٠ و ٥١
الكلمة المركزية في هذا الفصل هي : «اسرائيلي» ، وهي عبرية معناها
«يسود الله» . انها تصور لذا كرتنا يعقوب ابا الاسباط ، الذي أُعطي هذا
اللقب المجيد بعد صراع عنيف ، فناله بضعفه لا بقوته . ان ما جاء في يو ١: ٤٧
عن اسرائيل الجديد ، يقابله ما جاء في تكوين ٣٢ ، عن اسرائيل القديم ،
وما جاء في يو ١: ٥١ يتمشى مع ما جاء في تك ٢٨ . تمت مصارعة الاول وهو
منفرد في وحدته . كذلك كانت مصارعة الثاني . على ان مصارعة يعقوب
تمت في ظلمة الليل . لكن مصارعة ثنائيل تمت في نور النهار ، وهو جالس
تحت ظل تينته — والتينة ترمز الى الهدوء والاطمئنان . وتحت تينة ايضاً
اهتدى اغسطينوس الى الله . كان يعقوب اسرائيل محاطاً بشكوكه ومخاوفه
كذلك كان ثنائيل . نال يعقوب لقب «اسرائيل» من شخص عجيب ،
هو الله — الانسان ، او الاله المتأنس اذ قيل له : «جاهدت مع الله والناس» ،
وكذلك نال ثنائيل لقب «اسرائيلي حقاً» من المسيح الذي هو الله المتجسد
(يوحنا ١: ١٤)

مواهب بين المسيح وثنائيل . لتأمل في هذا الحوار البديع فنلاحظ
— ا — المسيح ناظراً الى ثنائيل في وقت اقبال ثنائيل اليه : «ورأى
يسوع ثنائيل مقبلاً اليه» — هذه نظرة مزدوجة — ظاهرية وباطنية . فالمسيح
رأى ثنائيل كما يراه اي انسان ، ورأى أعماق نفسه كما يراه الله وحده .

فقال عنه هوذا اسرائيلي حقاً لا غش فيه . ٤٨ قال له نثنائيل من اين تعرفني . اجاب يسوع وقال له . قبل ان دعاك فيلبس وانت تحت التينة رأيتك .

«مقبلاً اليه» — إقبالاً مزدوجاً: بالجسد ، وبالروح — ب — المسيح شاهداً عن نثنائيل « هوذا اسرائيلي حقاً لا غش فيه » أي هذا هو الاسرائيلي الروحي ، المخلص ، الحقيقي (رو ٢: ٢٩) . هل في هذا القول مفاضلة ما ، بين اسرائيل الجديد — نثنائيل ، وبين اسرائيل القديم — يعقوب ، الذي كان معجوناً بالمكر والدهاء ؟ ام هذه عبارة تفسيرية لما قيل عن اسرائيل القديم في تلك ٢٥: ٢٧ ، فيكون معناها : « هوذا اسرائيلي بالحق » ؟ يغلب على اعتقادنا ان المعنى الثاني هو اقرب الاثنين الى الصواب — ج — نثنائيل متعجباً من علم المسيح الفاحص

عدد ٤٨ . نثنائيل بنعجب لما ادرك نثنائيل ان المسيح عالم بحقيقة قلبه ، ملكه العجب فقال له : « من أين تعرفني ؟ » هذه — ولا شك — معرفة اعجازية الهية . والأما أثارت تعجب نثنائيل واندهاشه

— د — جواب المسيح على تعجب نثنائيل « قبل أن دعاك فيلبس وانت تحت التينة رأيتك » — من هذا الجواب نرى ان المسيح أجاب على تعجب نثنائيل بما يزيد هذا التعجب لا بما يزيله . لان المسيح اعلمه ان له قوة الهية خارقة تجتاز الأبعاد والمسافات ، وتحترق حجب أوراق التين الخضراء . فهو يعلم كل شيء لانه يرى كل شيء

٤٩ أجاب ثنائيل وقال له يا معلم أنت ابن الله . أنت ملك اسرائيل

عدد ٤٩ . — هـ — تعجب ثنائيل بتقلب اعجابا ، وإيمانا ، وإقرارا :
 « يا معلم أنت ابن الله . أنت ملك اسرائيل » . في هذا الاقرار ثلاث كلمات
 — كل منها تصف المسيح في ناحية معينة : « معلم » ، « ابن الله » ، « ملك
 اسرائيل » . « معلم » — هذا هو اللقب الذي كان المسيح معروفا به عند عامة
 الناس . وإذا كان ثنائيل قد أقرّ بأن المسيح معلم فقد اعترف ضمنا بأنه
 تلميذ لهذا المعلم . « ابن الله » — هذا وصف للمسيح في شخصه الالهي الذي
 له طبيعة واحدة مع الله . وإذا كان ثنائيل قد أقرّ بأن المسيح ابن الله فقد
 اعترف ضمنا بأنه متعبد له . « ملك اسرائيل » — هذا وصف للمسيح في
 وظيفته الالهية . وإذا كان ثنائيل قد أقرّ بأن المسيح « ملك اسرائيل » فقد
 اعترف ضمنا بأنه عبد له . هذا برهان جديد على ان ثنائيل هو « اسرائيلي »
 حقا لا غش فيه . كأن ثنائيل قصد ان يقول للمسيح : « اذا كنت
 انا اسرائيليا ، فأنت ملك اسرائيل ، بل ملكي انا » . ثنائيل هو آخر التلاميذ
 الذين اتوا الى المسيح — في هذا الاصحاح — لكنه كان اسبق التلاميذ
 الى الاعتراف بلاهوت المسيح ، وسموه ملكوته . اذا قد صار الآخرون أوليين
 واذا كانت كثيرون يقعون في شك بعد ايمان ، فان ثنائيل قد ارتقى
 الى الايمان بعد الشك . ومن عجائب الاتفاق ان غرة هذه البشارة ترينا تلميذا
 قد شك ثم آمن ، وان خاتمها تتوج بتلميذ كان مؤمنا ، فشك ثم عاد الى
 الايمان — توما . وربما كان اقوى انواع الايمان ، ذاك الذي يتوطد بعد شك

٥٠. اجاب يسوع وقال له هل آمنت لاني قلت لك اني رأيتك
تحت التينة . سوف ترى اعظم من هذا ٥١ وقال له الحق الحق

عدد ٥٠ و ٥١ — و — المسيح بعد ثنائيل باعمونات اهل واكل ، في
المستقبل البعيد عدد ٥٠ ، والقريب ٥١ . ان ما رآه يعقوب اسرائيل في
حلم الليل : « سلماً منصوبة على الارض ورأسها يمس السماء وملائكة الله
صاعدة ونازلة عليها » سيحققه ثنائيل — الاسرائيلي الروحي — في وضع
النهار . وما السلم التي رآها يعقوب سوى رمز ليسوع المسيح المتجسد ، الذي
يسمو بلاهوته الى اعلى السماوات ، ويلامس بناسوته أعماق الارض . لقد
فتحت الخطية هوة عميقة بين السماء والارض . وفي العهد القديم ، سمح الله
لبعض بني البشر ان يروا شعاعاً ضئيلاً من انوار التجسد الذي ملأ هذه
الهوة . فرأى يعقوب في حلمه شعاعاً من التجسد ، ولمح أيوب بصيصاً منه ،
لكن الطريق بين السماء والارض كان غير مطروق الى ان جاء « الطريق
والحق » ، والحياة ، وفي غرة خدمة المسيح الجهرية — عند المعمودية —
انفتحت السماء وانفجرت شفتاها عن قبلة للارض ، وفي جثسماني ظهرت
الملائكة خادمة لابن الانسان ، وعند مجيئه ثانية ستنتفتح السماء ، ويظهر منها
رب الكوان ، حاملاً تعطفات السماء على الارض ، ومبلغاً أشواق الارض
الى السماء ، بل مصيراً الارض سماء

لأول مرة في هذه البشارة نسمع القادي يقول : « الحق الحق » ، ولأول
مرة فيها نسمعه يقول عن نفسه انه « ابن الانسان » . بهذا اللقب تختتم قائمة

اقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة

الألقاب التي خُلِعت على المسيح في هذا الاصحاح : « حمل الله » : (٢٩ و ٣٦) ، « ابن الله » : (٣٤ و ٣٩) ، « مسياً » : (٤١ و ٤٥) ، « ملك اسرائيل » : (٤٩) « ابن الانسان » (٥١) . وقد ورد هذا اللقب ٧٩ مرة في البشائر : ١١ مرة في يوحنا ، ١٢ في مرقس ، ٢٦ في لوقا ، و ٣٠ في متى . ولم يرد لها ذكر في العهد القديم سوى مرة واحدة في دانيال ٧: ١٣ . ومما يستحق الاعتبار ، ان هذا اللقب قد خلعه المسيح على نفسه ولم يجسر احد سواه ان يطلقه عليه (*) . ويغلب على اعتقادنا ان التلاميذ لم يجسروا ان يطلقوا هذا اللقب على المسيح ، تحاشياً من نعمة الاتضاع التي تحيط بهذا اللقب . غير انه لقب ممتاز ومجيد . فهو يتميز عن القول : « ابن الله » في كونه ينبر على الجانب الانساني في المسيح . وعن القول : « ابن داود » في كونه يشير الى سعة شخصية المسيح التي تضم كل البشرية معاً . وعن القول : « ابن آدم » في كونه ينبر على المجد الذي كَلَّل به المسيح المتألم ، الكامل . وقصارى القول : ان ما قصده المسيح بهذا اللقب هو مشاركته لنا في اللحم والدم ، على كيفية تجعله ممثلاً للبشرية جمعاء ، وفيه نرى الصورة الممتازة التي كانت تظل عليها البشرية لو لم تخطئ* ، والحالة المجيدة التي ستصير اليها بعد اتمام الفداء في المجد

* الا في المرتين اللتين ورد فيها هذا اللقب على لساني اسطفانوس (اعمال ٧: ٥٦) ، و يوحنا البشير في الرؤيا (رؤ ١: ١٣) ، لان ذكرهما لهذا اللقب كان ترديداً لصدى صوت المسيح من قبيل الاقتباس ليس الا ، علاوة على انه لا يحسب مقالماً لدورته

وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الانسان

أليس من الملتزم ان نذكر ان المكان الذي رأى فيه يعقوب اسرائيل
 حلمه ، هو بيت إيل — نفس المكان الذي كان المسيح واقعاً فيه مع ثنائيل ،
 في طريقه من اليهودية الى الجليل ؟؟ !!



الاصحاح الثاني

١ وفي اليوم الثالث

شهادة المعجزة الاولى

١١-١:٢

عرفنا من الاصحاح الأول شهادة التلاميذ الاولين للمسيح ، والآن نرانا امام شهادة نطقت بها اولى معجزات المسيح على الأرض . فيما مضى سمعنا شهادات من افواه البشرية ، وهنا نسمع شهادة فاهت بها احدى قوات الطبيعة - الماء المتحول خمرًا . قبلاً رأينا التلاميذ وقد شاهدوا « حمل الله » فشهدوا له بصراحة من غير خفاء ، والآن نرى الماء الحساس وقد رأى خالقه ، فاحمرّ وجهه خجلاً ، فشهد له في خُفٍ وحياء ! !

هذه هي المعجزة التي استهل بها المسيح خدمته الجهرية . ما أشبهها بالباب « الجليل » الذي كان يؤدي الى الهيكل ! ان حدوث هذه المعجزة في بيت ، يجعلها حلقة اتصال بين الثلاثين عاماً التي قضاها المسيح في صمته منفرداً ، وبين الثلاثة الاعوام التي قضاها وسط المجتمع خادماً ناطقاً . على ان هذه ليست اولى معجزات المسيح على الاطلاق ، فقد سبقتها معجزة اخرى - هي معجزة الصمت . ان صمت « الكلمة » عن الكلام ، معجزة . وسكوت رب القدرة عن اتيان معجزة ما ، مدة ثلاثين عاماً ، هو معجزة المعجزات . هذه المعجزة الاولى التي اجراها المسيح ، تحمل معها رمزاً لطبيعة خدمته .

كان عرس

ويتبين لنا هذا ، من مقابلة خدمة المسيح ، بخدمة اول أنبياء العهد القديم — موسى ، وخاتمهم — يوحنا المعمدان

فاول معجزة قام بها موسى هي تحويل الماء الى دم — والدم رمز الموت . لكن اول معجزة قام بها المسيح هي تحويل الماء الى خمر — والخمر رمز الحياة . فمن هذا يتضح لنا ان خدمة موسى هي خدمة موت لموت ، وأن خدمة المسيح هي خدمة حياة حياة . اما يوحنا المعمدان ، فقد كان رجلاً زاهداً عن الناس ، ومعاشرتهم ، لكن المسيح احب الخطاة وعاشرهم ، وقدس الصلات البشرية الشريفة ، ورفعها الى أعلى مستوى . اذاً تعتبر هذه المعجزة نقطة انتقال من ماء اليهودية الميتة الى خمر المسيحية المقدسة المبهجة

أليس من العجيب حقاً ان رجل الاحزان يفتتح خدمته بوليمة عرس ؟ لكن العجب يزول متى ذكرنا انه فادينا . فقد صار رجل أحزان ، لكي نصير نحن ابناء البهجة والسرور . نعم كان فادينا رجل الاحزان ، لكنه كان ايضاً رجل الفرح . ان الذي اضطرب بالروح وبكى امام قبر لعازر (يوحنا ١١: ٣٤ و ٣٥) قد تهلل بالروح أمام رسله (لوقا ١٠: ٢١) . ان الذين لا يرون على وجه فادي الأنعام سوى غضون الهموم والآلام ، لا يرونه كما هو . والذين يفتشون عن المسيح تحت القباب السوداء ، لا حق لهم ان يتمجبوا ان لم يجدوه هناك . ان مسيحننا هو مسيح النور لا مسيح الظلال والظلام . وان الذي كسر شوكة الموت ، أهدانا وردة الحياة

في قانا الجليل

في تحويل الماء الى خمر، أظهر المسيح قدرته الخالقة من غير ان يفوه بكلمة — وما الداعي لأن يفوه بكلمة وهو هو «الكلمة»؟ بذلك أرانا ان العمل الذي تنجزه النواميس الطبيعية في عام او بعض عام، قد اجراه رب الطبيعة في لحظة — لان الخمرة هي ماء سقيت به الكرمة، ثم سوتته الشمس في بعض شهور، حتى صار عنباً، ثم اختمر. فكل هذه العملية الطويلة قد اتمها المسيح في لحظة، من غير كلمة ولا لمسة

في هذه المعجزة تجلّت لنا تضحية المسيح. لان الذي استطاع ان يحوّل الماء الى خمر، كان في امكانه ان يحوّل الحجر الى خبز، لئما جاع في البرية (مت ٤: ٣). لكنه لم يستخدم قوته المعجزية لاشباع مطالب جسده. سيما وان هذا الطلب كان من مقترحات المجرب

في هذا الفصل ١:٢ — ١١ نجد (أ) مقدمة تاريخية ١:٢ و ٢ (ب) الدورين اللذين اجتازتهما المعجزة ٣:٢ — ٨ (ج) الشهادات اليقينية لصدق المعجزة ٩:٢ و ١٠ (د) كلمة ختامية ١١:٢

ع ١ (أ) مقدمة تاريخية ١:٢ و ٢ تحدثنا هذه المقدمة التاريخية عن زمان المعجزة، ومكانها، والمدعوين اليها

نحن الآن في اليوم الثالث منذ اليوم الذي دُعي فيه فيلبس (١: ٤٣)، وفي قرية «قانا الجليل» — غير قانا الفينيقية القريبة من صور — وتعرف الآن باسم «كفر قنة»، قرية ما أصغرها لكن هذه المعجزة قد رفعتها وجعلتها

وكانت أم يسوع هناك. ٢ ودعي ايضاً يسوع وتلاميذه الى العرس

«أشهر من نار على علم». وهي تبعد عن الناصرة اربعة او خمسة أميال، وبينها وبين الجليل مسيرة ثلاثة ايام — هذا يفسر القول: «في اليوم الثالث». اذاً نحن الآن في اليوم السابع من اليوم الذي فيه شهد يوحنا المعمدان للمسيح أمام الوفد السهريمي. اسبوع ما أمجده! فهو غرة خدمة المسيح الجهرية، يقابله اسبوع الآلام الذي اختتمت به حياة فادينا على الارض — وكلاهما اسبوع مجد. لان المسيح تمجد بالشهادة له كما انه تمجد ايضاً بالآلام

بعد ان ارخى الليل سدوله، اجتمع المدعوون في بيت والد العروس — أو ولي أمرها — حسب عادة اليهود وقتئذ، وكان العريس يحيط المدعوين ويحتفي بهم. اما أم^(١) المخلص فكانت قد سبقتهم الى العرس، بدليل القول: «وكانت أم يسوع هناك» ويفلب على اعتقادنا انها كانت تتصل باصحاب العرس بصلة وثيقة. ولعلمهم كانوا يرجعون اليها في تدبير ما يلزمهم في العرس. ويستنتج جلّ المفسرين من عدم ذكر اسم يوسف انه كان وقتئذ قد توفي

عدد ٢. المسيح وتلاميذه برعوبه الى الوليمة «ودعي ايضاً...» كان

يسوع، وتلاميذه الحديثون — البالغ عددهم نحو ستة — من المدعوين. وقد حضر المسيح واياهم في وقت متأخر، ربما لانهم دُعوا بعد رجوعهم من السفر (٤٩: ١)

هذه اول مرة في هذه البشارة وُصف فيها أتباع المسيح بكلمة «تلاميذ»

— وهي تعين صلتهم به كعلم. (٤٩: ١)

(١) يوحنا هو البشير الوحيد الذي لم يذكر اسم أم المخلص بالذات

٣ ولما فرغت الخمر قالت ام يسوع له ليس لهم خمر. ٤ قال لها يسوع

عدد ٣ — ب — الدرر انه اللذاه امتازنهما المعجزة ٣:٢ — ٨
 الدور الاول : ٣:٢ — ٥ . وهو يحدثنا عن المناسبة التي دعت الى
 المعجزة ، ومن خلاله نرى مجد أم المخلص في : (١) ما لاحظته : « ليس لهم
 خمر » (٢) ما طلبته : « قالت ام يسوع له » عدد ٣ (٣) ما سمعته « قال لها
 يسوع مالي ولك » عدد ٤ (٤) ما أوصت به : « قالت امه للخدام .. » عدد ٥
 (١) ما لاحظته ام المخلص . جرت العادة قديماً ان تمتد ليالي العرس
 حتى تتم الاسبوع (تلك ٢٢:٢٩ وقضاة ١٤:١٢) . وكان اصحاب هذا
 العرس من الوسط المستور بالبركة ، فمن المحتمل جداً ان مجي المسيح وتلاميذه
 أوقع اصحاب العرس في شيء من الارتباك لان الخمر نفدت او كادت فلاحظت
 ذلك أم المخلص ببصرها الثاقب ، وحسن تديرها

عدد ٤ (٢) ما طلبته ام المخلص : « قالت له ليس لهم خمر » . لقد
 عملت أم المخلص كل ما في طاقتها ان تعمل ، وهو ان تطلع ابنها القدوس على
 حقيقة الامر . وقد تضاربت آراء المفسرين في معرفة قصد مريم بسؤالها . فمن
 قائل ان ام المخلص أوعزت اليه بطريقة لطيفة ان يغادر العرس هو وتلاميذه
 لكي لا يوقع اصحاب الوليمة في ورطة الخجل . ويعتقد يوحنا الذهبي الثم ان
 العذراء ارادته ان يصنع معجزة ليظهر مجدها كأمام المدعوين والتلاميذ .
 ومن قائل انها قصدت اليه ان يصرف اذهان المدعوين عن الخمر ونفادها ،
 بعبارة منه فيسكرون بسحر كلامه الذي هو اطيب من الخمر . لكن الاستفادة من

مالي ولك يا امرأة .

اجابة المسيح على كلامها انها تمنّت اليه ، من طرف خفي ، ان يُظهر قوّته
الاعجازية التي طالما احست بها هي ، ولستها ، اثناء صمته مدة الثلاثين سنة ،
وما أعرف الامّ بحقيقة مواهب ابنها . ومن قائل انها طلبت اليه ان يسدّ
الحاجة المطلوبة

لقد عبّرت لنا امّ المخلص بقولها : « ليس لهم خمر » عن ماهية الصلاة
الحقيقية . التي تقوم برفع اشواق قلوبنا الى الله من غير أن نملي عليه ارادتنا
(في ٤:٦) . وعلى هذا المثال عينه ارسلت مريم ومرثا الى يسوع قائلتين :
« هوذا الذي تحبه مريض » (١١:٣) فكلاً الاثنتين طلبت في صيغة خبر

(٣) ما سمعته امّ المخلص : « قال لها يسوع . . . » الكلمة الاصلية
المترجمة « امرأة » لا تنطوي على الجفاء المتضمن في الكلمة العربية . لان
معناها في الاصل هو « يا سيّدة » — وهي تقال عادة بنعمة الوقار والاحترام ،
والرعاية (١٩:٢٦) . ولكن هل من اللائق ان يقول يسوع لأمه : مالي ولك ؟
في الواقع ان مريم ادركت لياقة هذا الجواب لانها فهمت قصده واقتنعت به
واوصت الخدام ان يطيعوا المسيح بكل دقة . وفي امكاننا نحن ان نتحقق لياقة
هذا الجواب متى ذكرنا ان المسيح قد بدأ الآن خدمته الجهرية كوسيط وفادٍ .
فقد خرج اذاً من حدود تلك النسبة الضيقة التي كان فيها تحت نفوذ امه حسب
الجسد . واصبح مستمعاً لصوت الآب السماوي ومصغياً الى دقائق ساعة الازل
(يو : ١٩) . ومنذ الآن لانهود نسمع المسيح يخاطب مريم بالقول : « يا أُمّي » . وربما

لم تأتِ ساعتِي بعد .

هذه أولى المرات التي احسَّت فيها مريم بذلك السيف يحوز في نفسها (لوقا ٢: ٣٥). على انه ليس في هذا الجواب ما يفيد رفض المسيح لطلب امه ، لكنه ينطوي على تأجيل الطلب الى ان تأتِي « ساعته » . هذه أولى المرات الثلاث — المذكورة في هذه البشارة — التي فيها أجل المسيح طلباً الى ان تحين ساعته .
 للمرة الثانية في (٦ و ٣ : ٧) لما طلب اليه اخوته ان يذهب الى العيد ، للمرة الثالثة في (٥ : ١١) حين ارسلت اليه الاختان ان يأتي الى بيت عنيا ليشفي لعازر المريض . وفي كل هذه الثلاث الحالات كانت غاية الطالبين ان يحملوه على اظهار مجده وقدرته قبل مجيئ ساعته . ولعله كان يرى في هذه الطلبات او في بعضها تجربة بان يظهر مجده في اية ساعة . كأنه جاء الى الارض ليصنع مشيئته هو لا مشيئة الآب الذي ارسله . ووجه الخطر في هذه التجارب هو انها وُجِهت اليه من المقرين . كأن التجربة ارادت ان تسخر المحبة لارادتها ومصلحتها . لكن المسيح اجاب الطلب الاول بعد مرور ساعة او بعض ساعة ، والطلبة الثانية ، بعد مرور يوم او بعض يوم ، والطلبة الثالثة بعد مرور يومين . وردت كلمة « ساعة » على لسان المسيح عدة مرات (يو ١٢ : ٢٧ و ١٧ : ١ ومت ٢٦ : ٤٥) وفي بعض هذه المرات تشير كلمة « ساعتِي » الى وقت اظهاره مجده في اعماله وهو في مستهل خدمته الجهرية ، وفي البعض الآخر تشير الى وقت اظهاره مجده في آلامه عند نهاية خدمته على الارض . ويستفاد منها بوجه عام ، ان كل خطوة خطاها المسيح على الارض ، كانت اتماً لبرنامج

٥ قالت امه للخدام مهما قال لكم فافعلوه . ٦ وكانت

معين قد دُبّر منذ الازل . لذلك لم يعمل شيئاً قبل اوانه ولا بعد اوانه ، بل كان على الدوام متسماً قصد الآب في وقته الخاص (١٩: ٥)

عدد ٥ . (٤) ما اوصت به معلم « قالت أمه للخدام . مهما قال لكم فافعلوه » . رأت مريم في جواب المسيح بارقة أمل ، بل شبه وعده بأنه سيصنع أمراً عجيّباً . ولشدة تقديرها لهذه الشخصية العجيبة تذرّعت بالصبر ، وأوصت الخدام ، بأن يكونوا على أهبة الاستعداد لتنفيذ كل امر يُطلب منهم . انّ في كلامها صبراً ، وإيماناً وثيقاً ، وتسليماً تاماً ، وطاعة من غير قيد ولا شرط « مهما قال لكم فافعلوه » . هذه هي الشروط المستديمة التي يجب ان تتوفر في البشر حتى يتمكن المسيح من عمل معجزة بينهم

عدد ٦ الدرر الثاني ٦: ٢ — ٨ في هذا الدور نجد عناصر المعجزة :
(١) عناصر طبيعية — الاجران عدد ٦ ، والماء عدد ٧ . (٢) العامل الالهي والرئيسي : المسيح الأمر عدد ٧ و ٨ . (٣) العامل البشري او الثاوي : الخدام المطيعون عدد ٧ و ٨

(١) العناصر الطبيعية — الأجران والماء عدد ٦ و ٧ . كان في امكان المسيح ان يصنع هذه المعجزة من غير ان يستخدم شيئاً من المواد الأولية . اليس هو الخالق الذي ابدع كل شئ من العدم ؟ لكنه لا يتغاضى عن الموارد الطبيعية لانها ملكه وخادمة له ، وهو الحكيم الذي لا يلجأ الى استخدام قوة خارقة الا بعد نفاد القوات الطبيعية . من أجل هذا لم يشرع المسيح في عمل هذه

سته اجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين او ثلاثة . ٧ قال لهم يسوع املاؤا الأجران ماء

المعجزة الا بعد نقاد الحجر الطبيعية. ولثلاً يُقال فيما بعد ان الحجر كانت محفوظة في مكان معين، ولكي يعدّ قلوبهم لانتظار معجزته. فلما فرغت كؤوس خمرهم، امتلأت كؤوس رجائهم بانتظار عطية الله. اما العناصر الطبيعية التي استعمالها المسيح في هذه المعجزة فهي : الأجران ، والماء . « وكانت ستة اجران » . كانت تلك الاجران موضوعة في دهليز الدار ، ليغتسل منها المدعوون حسب عادة القريسيين (مت ٢:١٥ ومر ١:٧ - ٤ ولو ١١:٣٨) وربما كانت موضوعة ايضاً لاجل غسل الاباريق والاولاني (مر ٧:٣ و ٤) . ولا يبعد ان الكلمة : « حسب تطهير اليهود » تنطوي على اشارة ضمنية الى التطهير المسيحي (٣:٢٥ وعب ١:٣ و ٢ بط ١:٩) . ويظهر من عدد ٨ انها كانت موضوعة في مكان لا يراها منه العريس والمدعوون . وكانت مصنوعة من حجر ، لتكون غير قابلة للكسر . « كل واحد منها كان يسع مطرين او ثلاثة » — اي اكثر من مطرين وأقل من ثلاثة . والمطر يعادل نحو ٨٠ رطلاً او ٣٥ لتراً

عدد ٧ و ٨ (٢) العامل الاسري والرئيسي — المسيح الامر : « قال لهم يسوع . املاؤا الأجران ماء » . لم يفهُ المسيح بصلاة لكي يتم هذه المعجزة ، ولا استخدم فيها قوة ذراعه ، لكنه اجراها بمجرد كلمة منه الفاها الى الخدام على دفعتين — اولاهما « ان يملأوا الاجران ماء » — لكي يختبر

فملاًوها إلى فوق . ٨ ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكا . فقدموا . ٩ فلما ذاق رئيس المتكا الماء المتحول خمراً ولم يكن يعلم من اين هي . لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء

مقدار طاعتهم عدد ٧، والثانية «ان يقدموا الخمر إلى رئيس المتكا» لكي يذوق الرئيس فيؤمن ويشهد . ان المسيح لم يفض الطرف عن العوامل البشرية — «الخدام» ، والطبيعية — «الماء» . فهو لا يعمل لنا ما نقدر نحن ان نعمله لأجل انفسنا

(٣) الخدام المطيعون : كما كان امر المسيح على دورين ، كذلك كانت طاعة الخدام : «فملاًوها إلى فوق» عدد ٧ ، .. «فقدموا» عدد ٨ . كانت طاعة الخدام لازمة لاتمام هذه المعجزة لزوماً جوهرياً ، فهي المجرى الذي فيه سرت قوة المسيح الأمر . لان الطاعة الحقيقية هي محاكاة الايمان الحقيقي . ومع ان طاعة الخدام كانت طاعة تامة ، لكنها لم تكن طاعة عمياء ، بل كانت غاية في حدة البصيرة ، لانها رأت ببصيرتها ما لا يُرى . فرأت خمراً حين كان امامها مجرد ماء . فقدّمها للمدعوين . وعند شروعه في تقديمها تمت المعجزة (انظر لوقا ١٧: ١٤)

عدد ٩ و ١٠ (ج) الشهادات البقية لصور المعجزة ٩: ٢ و ١٠ . يقسم لنا هذان العددان ثلاث شهادات ناطقة بصدق المعجزة — وعلى فم شاهدين او ثلاثة تقوم كل حجة — أولاها شهادة الخدام لحقيقة المادة قبل التحول — فانهم كانوا يعلمون انها كانت مجرد ماء — لا اكثر ولا اقل . والثانية هي شهادة رئيس المتكا لحقيقة المادة بعد التحول « فلما ذاق » عدد ٩ ، «انما

علموا . دعا رئيس المتكلم العريس . ١٠ وقال له . كل انسان انما يضع الخمر الجيدة اولاً ومتى سكروا فحينئذ الدّون . اما انت فقد ابقيت الخمر الجيدة الى الآن . ١١ هذه بداية الآيات

يضع الخمر الجيدة» عدد ١٠ ، وفي قوله هذا ، لم يكن واصفاً حقيقة حال ، بل كان متكلماً بمثل ، ومقرراً حقيقة عامة . فلا يستنتج من هذا ان الذين كانوا في العرس «سكروا» . ان في قول رئيس المتكلم : «الخمر الجيدة» شهادة خالدة لحقيقة بركات المسيح . فهو تقدم لاتباعه ، صليباناً ، واشواكاً ، وآلاماً ، في هذه الحياة ، لكنه يقدم لهم في النهاية اكليل المجد والحياة . بخلاف الشيطان الذي يعد بالسعادة العاجلة التي تختتم بالشقاوة الآجلة

وثالث الشهادات هي شهادة العريس الذي دعاه اليه رئيس المتكلم

عدد ١١ (د) كلمة منامية . «هذه بداية الآيات . . .» . في هذا العدد يصف البشير هذه المعجزة بأربعة أوصاف . (١) أولها يصف المعجزة من حيث ترتيبها — «هذه بداية الآيات صنعها يسوع» . فهي ليست اولى معجزات قانا الجليل فقط ، بل هي اولى معجزات المسيح على الاطلاق . (٢) ثانيها يصف المعجزة من حيث مظهرها : «قانا الجليل» . (انظر اش ٢٠:٨-٢٠:٩) . (٣) ثالثها يصف المعجزة من حيث القصد منها : «بداية الآيات . . .» اظهر فيها مجده — هذه اول مرة نثر فيها على كلمة «آية» في هذه البشارة . وهي تصف المعجزة بالنسبة الى القصد منها لتكون برهاناً على صدق رسالة المسيح ، وعلامة لحقيقة لاهوته . وسمّيت أحياناً «عجيبة» اشارة الى تأثيرها على أذهان

فعلها يسوع في قانا الجليل

المشاهدين ، وسميت احياناً اخرى : «قوات» اشارة الى انها تفوق قوة البشر . وسميت ايضاً : «معجزة» اشارة الى ما تعجز القوة البشرية عن اتيانه . اذاً لم يكن القصد من هذه المعجزة ، اثارة اعجاب الذين في العرس ، بل كانت آية لاظهار مجد المسيح — اي مجد شخصيته السرمدية ، وبنوته الممتازة ، وقدرته الفائقة . هذا برهان جديد على الإثبات لاهوت المسيح . لان المعجزات التي اظهرها موسى وغيره ، أظهرت مجد «يهوه» (خروج ١٦: ٧) لكن معجزات يسوع اظهرت مجد المسيح . فهو اذاً «يهوه» ، «ويهوه» هو . ومن المهم ان نلاحظ الفرق بين نظرة يوحنا البشير الى معجزات المسيح وبين نظرات سائر البشيرين اليها . يوحنا ينظر الى المعجزات في صلتها بقدرة المسيح ومجده . وينظر اليها سائر البشيرين ، في صلتها بعطف المسيح على الجماهير . (٤) رابعها يصف المعجزة في تأثيرها على التلاميذ : «فأمن به تلاميذه» . هذا ايمان متدرج . اول درجة منه ظهرت في ٣٧: ١ والدرجة الثانية في ٣٩: ١ وفيما بعد نرى درجات أرقى . لان الايمان الحي يبدو بزره ، ثم ينمو فيصير شجرة ، ثم يزهر ، وينضج ثمراً

مواجهة بعض الاعتراضات

قد اثارت هذه المعجزة اعتراضات كثيرة : فمن قائل إنها معجزة تنعم لا معجزة ضرورة كسائر معجزات المسيح التي صنعها ليشفي مريضاً او ليقم ميتاً ، او ليشبع جائعاً . ودفعاً لهذا الاعتراض نقول : انها ليست معجزة تنعم

واظهر مجده

بل معجزة محبة مثلثة الجوانب . أحدها يتجه نحو العريس الذي تورط بسبب كثرة المدعوين الى الوليمة . وجانبها الثاني نحو الام العذراء التي اراد الابن ان يجيها الى طلبها قبل ان يغادرها الى عمله الرسمي ، وجانبها الثالث نحو شخصه اذ عمل هذه المعجزة فظهر بها مجده

ومن قائل ان في إقدام المسيح على تحويل الماء الى خمر ، تشجيعاً للناس على السكر . ورداً على هذا نقول : ان الخمر التي صنعها المسيح لم تكن «مُسْكراً» بل كانت منبهة «ومفوقة» — بدليل شهادة رئيس المتكلم التي نطق بها بكل صحو بعد ان شرب منها . انها لم تكن خمرأ بالمعنى المعروف ، بل كانت كعصير العنب المقطوف حديثاً من الكرمة ، أخذها الناس من عرس قانا الجليل من يد المسيح القادر كما يأخذونها كل يوم من يد الله الباري . لان ما عمله المسيح في هذه المعجزة بتحويله الماء الذي كان في الستة الاجران الى خمر ، هو نفس ما يعمله كل يوم في دائرة الخلق — والعالم خلق في ستة ايام — بتحويله مياه الأمطار ، والبحار ، الى عصير عنب في قلب الكرمة . انما الشيء الوحيد الذي به سكر المدعوون هو «جمال مجد المسيح» — هذا هو السكر الحلال

ويلوح لنا ان اعتراض هؤلاء بقولهم ان المسيح عمل هذه المعجزة ليشجع الناس على السكر ، هو بمثابة القول ان الله خلق الكروم ليشجع الناس على السكر . او ان الله خلق النار ليشجع الناس على الاجترار بها ، او انه خلق بعض الأدوية السامة ليغري بها الناس على الانتحار

فَأَمِنْ بِهِ تَلَامِيذُهُ . ١٢ وَبَعْدَ هَذَا

يُوجَدُ مَا يُسَمَّى «بِالْخَمْر» الَّتِي هِيَ عَصِيرُ الْعَنْبِ الْمُخْتَمِرُ — كَمَا يُخْتَمِرُ عَجِينُ الْخُبْزِ مِثْلًا — وَهَذِهِ كَانُوا يَتَعَاظَمُونَ بِهَا، وَمَا يُسَمَّى بِـ «الْمُسْكِر» الَّذِي يُصْنَعُ بِوَسْطَةِ عَمَلِيَةِ التَّقْطِيرِ. وَيَقُولُ يُوسُفُوسُ فِي تَارِيخِهِ، أَنَّ الْيَهُودَ فِي وَقْتِهِ كَانُوا مُتَصَفِينَ بِالْإِعْتِدَالِ فِي شَرِبِهِمْ، وَكَانُوا لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا عَصِيرَ الْعَنْبِ. وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْقَوْلَ التَّارِيخِيُّ مَا نَلَاظُهُ فِي كِتَابَاتِ بُولُسِ الرَّسُولِ. لِأَنَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي خَاطَبَ بِهَا السَّكِرِينَ أَمَّا وَرَدَتْ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى الْأُمَمِ لَا إِلَى الْيَهُودِ (رُومِ ١٣: ١٣ وَ ١ كُورِ ١١: ٥ وَ غَلِ ٢١: ٥ وَ أَفَسِ ١٨: ٥ وَ ١ تِس ٧: ٥). وَتَدْعِمُهُ أَيْضًا كَلِمَاتُ بَطْرُسِ الرَّسُولِ (١ بُط ٤: ٣)

رَبُّ الْمِهْكَلِ فِي هَيْكَلِ الرَّبِّ

١٢: ٢ - ٢٢

أَوَّلًا: الرَّبُّ يَأْتِي إِلَى هَيْكَلِهِ ١٢: ٢ وَ ١٣ ثَانِيًا: رَبُّ الرِّهْكَلِ بِطَرَفِ هَيْكَلِ الرَّبِّ ١٤: ٢ - ١٦. ثَالِثًا: تَأْثِيرُ هَادَّةٍ تُطْرِبُ الرِّهْكَلِ ١٧: ٢ - ٢٢
عَدَدَ ١٢ وَ ١٣. أَوَّلًا: السَّبْرُ يَأْتِي إِلَى هَيْكَلِهِ ^(١) ١٢: ٢ وَ ١٣. وَدَعْنَا الْآنَ أَوَّلَ مَعْجَزَةِ صَنْعَةِ الْمَسِيحِ لِنَرْحِّبَ بِمَعْجَزَةٍ لَا تَقْلُ عَنْهَا شَأْنًا — إِذَا جَازَ التَّفَاضُلُ بَيْنَ الْمَعْجَزَاتِ. بِمَعْجَزَتِهِ الْأُولَى أَظْهَرَ مَجْدَهُ، وَبِهَذِهِ الْمَعْجَزَةُ بَيْنَ سُلْطَانِ لَاهُوتِهِ. الْمَعْجَزَةُ الْأُولَى، تَمَّتْ فِي قَرْيَةٍ — قَانَا الْجَلِيلِ، وَهَذِهِ تَمَّتْ فِي عَاصِمَةِ الْيَهُودِ — أُورُشَلِيمَ. فِي الْأُولَى، رَأَيْنَا رَجُلَ الْإِحْزَانِ يَسْكُبُ ابْتِسَامَةً بَرِيئَةً فِي كَأْسِ

(١) لَزِيَادَةِ الْإيضَاحِ اطْلُبْ «شَرْحَ إِشَارَةٍ لَهُ قَا» صَفْحَةُ ٤٩٧ - ٤٩٩ م. مَطْبَعَةُ الْبَنَاءِ الْمَسْحُوعَةِ

أنحدر الى كفر ناحوم هو وامه واخوته وتلاميذه واقاموا هناك أياماً
ليست كثيرة. ١٣ وكان فصح اليهود قريباً

العروسين والمدعوين ، والآن نرى رب الهيكل يسكب سائل غضبه في
كؤوس مدنسي هيكله المقدس

بمعجزته الثانية ابتداء خدمته الجهرية في اورشليم ، وبمعجزة من نوعها
اختتم خدمته وبهما اظهر سلطان رسالته باعتبار كونه رب الهيكل (ملاخي
١: ٣-٥) ، وبين طبيعة رسالته — باعتبار كونه المطهر والمقدس (لوقا ١٩ :
٤٥ ومت ١٢: ٢١ و ١٣ ومرقس ١١: ١٥-١٩)

ولقد اختار المسيح لهذه المعجزة اقدس مكان ، وانسب زمان — اورشليم
في عيد الفصح — حين تكون المدينة مغمورة بسيل من الزائرين ، والهيكل
مزدحماً بمواكب الحجاج

« و بعد هذا » — بعد عرس قانا الجليل ، رجع المسيح الى الناصرة .
والظاهر انه منذ دخوله الى ربوع خدمته الجهرية ، ودع وطنه الارضي ميماً
كفر ناحوم الرابضة على شاطئ بحر الجليل كما « يربض قطع الجزائر الصادرة
من الغسل » (نش ٤: ٢) . هناك كان يسكن جميع تلاميذه ما عدا ثنائيل . ومن
« قرية المعزي » اتخذ القادي لنفسه وطناً ارضياً آخر ، ومركزاً لدائرة عمله العتيد .
اما مريم امه ، واخوته وتلاميذه فقد « أنحدروا » معه اليها — الأنحدر هنا
جغرافي . « واقاموا هناك أياماً ليست كثيرة » — لان الفصح كان يدنو منهم
بخطوات حثيثة ، وكان هو ينوي ان يحضر ذلك العيد التاريخي في العاصمة

فصعد يسوع الى اورشليم . ١٤ ووجد في الهيكل الذين كانوا يبيعون

اليهودية . ومع انه منذ ان بلغ الثانية عشرة ، اعتاد ان يذهب كل سنة الى اورشليم مع الحجاج الجليليين ، الا ان ذهابه اليها في هذه المرة كان يمتاز عنه في المرات السابقة في انه صعد اليها الآن باعتبار كونه مسيح الرب ، ورب الهيكل — « والصعود » هنا جغرافي أيضاً

عدد ١٤ : ثانياً : رب الهيكل بطر الهيكل الرب ١٤: ٢ — ١٦ . سرعان ما بلغ المسيح المدينة اورشليم حتى قصد توأ الى الهيكل . وهنالك ، عند مدخل الهيكل — في دار الامم — استوقفه منظر خاص ، اذ « وجد الذين كانوا يبيعون بقرًا ، وغنمًا ، وحمامًا ، والصيارف جلوسًا » . ومع ان الحاجة كانت تقضي بوجود مثل هذه الذبائح في مكان قريب من المذبح — فالبقر لذبيحة الشكر ، والغنم لذبيحة الفصح وذبيحة التطهير ، والحمام لذبائح الفقراء . وكان « الصيارف » موجودين ليبدلوا العملة الاممية « النجسة » بعمله يهودية « طاهرة » ، لتُضم الى خزائنها « المقدسة » . وقد نسوا ان العملة اليهودية لا تقوى على تقديس الجيوب والخزائن التي دنستها أموال الظلم . فليس من المهم ان تكون العملة يهودية او اممية ، بل يجب ان تكون مزاكاة تقية

ان وجود هؤلاء الاشخاص وهذه الاشياء في مكان قريب من الهيكل ، شيء ، ووجودها داخل الهيكل شيء آخر . ولم يُدخلها الى الهيكل سوى جشم رؤساء الكهنة ، الذي كان يختبئ تحت ستار حبه المصطنع في اراحة الحجاج — وما أقبح الشر اذا كان مموهاً بطلاء من الصلاح الباطل . هذا

بقراً وغنماً وحماماً والصيارف جلوساً ١٥ فصنع سوطاً من حبال
وطرد الجميع من الهيكل . الغنم والبقر وكبّ دراغم الصيارف وقلب
موائدهم . ١٦ وقال لباعة الحمام ارفعوا هذه من ههنا . لا تجعلوا
بيت ابي بيت تجارة

أشرّ شر ، هذا هو الخطية خاطئة . على ان قبّح هذه الخطية ينكشف لنا متى
ذكرنا ان رؤساء الكهنة كانوا يبيعون تلك الحيوانات وهم عالمون انها ستعود
اليهم رجماً حلالاً بعد الذبح . هذا ربح خبيث لانه مركّب — فائدته مئة في
المئة — هذا هو الخسران المبين

عدد ١٥ و ١٦ . المسيح يطرد الجميع بسوط من حبال . رأى المسيح هذا
المنظر ، وسمع الضوضاء التي تحدثها عادة اصوات الحيوانات المختلفة ، تمازجها
اصوات البائعين والمشتريين ، ويتخللها رنين الفضة والذهب ، فهاله ما رأى وما
سمع ، وانبعثت من عمق قلبه ، غيرته المتقدة على هيكله ، الذي كان يجب أن
يكون مرفأ هادئاً للنفس تلجأ اليه كلما ضج العالم حولها ، « فصنع سوطاً من
حبال » — والكلمة الاصلية هي نفس الكلمة العربية الدارجة « فرقة »
التي يستعملها الحارث المصري الى اليوم — وقد كانت في يد المسيح رمزاً
للسلطان لا سلاحاً مادياً . « فطرد الجميع من الهيكل : الغنم والبقر وكبّ
دراهم الصيارف وقلب موائدهم » . على ان غضب السيد المقدّس كان مشبّعاً
بالحنوّ والرفق ، لانه اشفق على الحمام الوديع الهادئ واكتفى بان قال للباعة :
« ارفعوا هذه من ههنا . لا تجعلوا بيت ابي بيت تجارة » . وقد نعجب اذ نرى ان

١٧ فتذكر تلاميذه انه مكتوب غير يترك اكلتي ١٨ فأجاب اليهود

هذا الجمع الحاشد المدفوع بحب المادة لم يقوَ على الوقوف امام المسيح . لكن تعجبنا يزول متى ذكرنا سلطان المسيح الذي كان يحفّ به ، وجبن مرتكبي الخطايا . ان للحق صولة لا يقوى الباطل على مواجهتها مهما كثر رجاله . وان الضمير يصير جميع الخطاة جيئاء

عدد ١٧ . ثالثاً : تأثير مائدة تطهير الربسكل ١٧:٢ - ٢٢ .
(١) تأثير المائدة على التلاميذ ١٧:٢ و ٢٢ (ب) تأثيرها على اليهود ١٨:٢ - ٢١
(١) تأثير المائدة على التلاميذ . « فتذكر تلاميذه » وردت الكلمة « تذكر » في عددي ١٧ و ٢٢ . في اولها ترينا تأثير التلاميذ من عمل المسيح . وفي الثاني ترينا تأثيرهم من كلام المسيح . في الحالة الاولى تذكروا كلمة تنبأ بها نبي قديم عن المسيح ، وفي الثانية تذكروا كلمة قالها المسيح عن نفسه فآمنوا . ولا يفوتنا ان تذكر ان ايمان التلاميذ بالمسيح وبكلامه كان يتدرج وينمو من حال الى حال أفضل . وقد ارانا يوحنا البشير في مواضع كثيرة ان التلاميذ لم يفهموا اقوال المسيح الا بعد مرور وقت على النطق بها (يو ٣٩:٧ و ١٢:٣٣ و ١٩:٢١) . على ان تفهم التلاميذ لكلام المسيح كان ينمو ويتزايد كلما ازدادوا تعرفاً بشخصه

عدد ١٨ . (ب) تأثير مائدة تطهير الربسكل على اليهود ١٨:٢ - ٢١ .
تنزل الامطار على الارض المخصبة فتزيدها غنى وخصباً ، وعلى الارض المحجرة فتزيدها صلابة وتحجراً . كذلك اعمال المسيح بوجه عام ، وحادثة تطهير

وقالوا له أية آية ترينا حتى تفعل هذا . ١٩ أجاب يسوع وقال لهم
اتقضوا هذا الهيكل

الهيكل بنوع خاص . حادثة واحدة شهدها التلاميذ فزادتهم إيماناً بفاديتهم ،
وشهدوا اليهود فكانت مثيرة لشكوكهم الكامنة . « فاجاب اليهود وقالوا له .
« أية آية ترينا حتى تفعل هذا » . يُراد « باليهود » هنا — وفي اغلب المواضع في
هذه البشارة — اصحاب السلطة الكهنوتية القيمين على الهيكل وسائر الترتيبات
اليهودية الطقسية ، وقد نصبوا انفسهم لناواة المسيح . رأى اولئك اليهود ان
المسيح ، بتطهيره الهيكل ، قد اتخذ لنفسه حق « مسياً » الذي تنبأ عنه ملاخي
(ملا ٣: ١) « ويأتي بغتة السيد الى هيكله » فطلبوا منه آية تثبت بها مسيحيتته

عدد ١٩ . جواب المسيح : « اجاب يسوع وقال لهم » . لم يرفض المسيح
طلبهم ، بل اجابهم على الفور ، جواباً كالبرق الخاطف فبهرت عيونهم عن
ان ترى حقيقة مرماه ، اذ استعمل في كلامه شيئاً من « التورية » — وهي
استعمال كلمة واحدة تحتل معنيين فاكثر . إذ قال لهم « اتقضوا هذا الهيكل .
وفي ثلاثة ايام أقيمه » ، قاصداً بجوابه هذا ان يريهم ان اقوى آية لمسيحيته
هي آية صليبه وقيامته . ومن الغريب ان الكلمتين اللتين استعمالهما المسيح
« اتقضوا » ، « وأقيمه » تستعملان عادة للهيكل المبني بالاحجار ، ولهيكل
الجسد سواء بسواء (٢ كو ٥: ١ ، رو ٤: ٢٥) . وفي الواقع ، ليس من السهل
ان يفصل المرء بين الاثنين — فكلاهما مرتبط بالآخر تمام الارتباط . لان
تقويض الهيكل كان تقويضاً للجسد

وفي ثلاثة أيام أُقيمهُ . ٢٠ فقال اليهود في ست واربعين سنة بني هذا الهيكل أفأنت في ثلاثة أيام تقيمهُ . ٢١ وأما هو فكان يقول عن

(دانيال ٩: ٢٤-٢٦) كذلك إقامة جسد المسيح مرتبطة تمام الارتباط بإقامة هيكل جديد غير الهيكل الذي بناه سليمان ورممه زربابل ، واعاد بناءه هيرودس . فنقض جسد المسيح هو نقض الهيكل ولكن بصورة أخرى ، ولم تتوسط بين الحادثتين سوى مدة يسيرة ، أمست الامة اليهودية في أثنائها جثة تحوم فوقها النسور (مت ٢٨: ٢٤ ولو ٣٨: ١٧)

ان نظرة اجمالية الى جواب المسيح ترينا انه يقع في شطرين — يحمل كل منهما معنى رمزياً : شطره الاول موجه إلى اليهود : « اتقضوا » — وفيه رمز الى طبيعة خدمتهم — خدمة هدم ، وقتل . وشطره الثاني عائد على نفسه : « وانا اقيمهُ » وفيه رمز الى طبيعة خدمته — خدمة بناء ، واحياء

عدد ٢٠ رب اليهود : « فقال اليهود . . » كان اليهود ماديين فلم يفهموا من كلامه سوى معناه المادي — كذلك كانت عاداتهم في كل ظرف آخر . فلما حدثهم عن خبز الحياة ظنوه يكلمهم عن الخبز المادي . وقد لازمهم علم فهمهم لكلام المسيح حتى ساعة صلبه ، فحاكوا من كلامه هنا خيوط شكوى وهمية قدموها ضده وقتلوه (مت ٢٦: ٦١ ومر ١٤: ٥٧ و ٥٨)

عدد ٢١ و ٢٢ . كلمة تفسيرية . ان علم فهمهم لكلامه قد أثار فيهم احتجاجاً ينم عن عدم تصديق ، يمازجه شيء من السخرية : « في ست واربعين

هيكل جسده . ٢٢ فلما قام من الاموات تذكر تلاميذه انه قال هذا فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع
 ٢٣ ولما كان في اورشليم في عيد الفصح آمن كثيرون باسمه اذ

سنة . كانوا هم يقصدون الهيكل الذي اعاد بناءه هيرودس . « واما هو فكان يقول عن هيكل جسده »

ومن المؤسف ايضا ان التلاميذ انفسهم — وقد كانوا الى الآن جسديين وغير ممثلين من الروح القدس — لم يفهموا قصد المسيح من كلامه هذا الا بعد قيامته من الاموات . « لان الروح القدس لم يكن قد أعطي بعد لان يسوع لم يكن قد مجّد بعد » . ولان الحقائق لا ترى كما هي الا في نور آتمامها

الايمان الذي لا يؤمن به المسيح ٢: ٢٣-٢٥

« آمن كثيرون باسمه . . . لكن يسوع لم يآتمنهم على نفسه »

كما ان نقطة واحدة من البحر الخضم المتسع ، تحوي كل العناصر التي تتكوّن منها كل مياه البحر مجتمعة معاً ، كذلك في هذه الصورة الصغيرة المرسومة أماننا بكل دقة ، نرى المزايا المتصفة بها كل بشارة يوحنا : من آيات ، وشهادة للآيات ، وايمان ناتج عن شهادة الآيات

عدد ٢٣ كلمة تاريخية اما الظروف المحيطة بهذه الصورة فهي مثلثة :
 (١) المكان : « اورشليم » (ب) الزمان : « في عيد الفصح » . (ج) الحالة النفسية التي كانت عليها الجماهير : « في العيد » — وفي هذا الظرف ، تجتمع عادة الجماهير الغفيرة ، الملتهبة قلوبهم بالحساس الديني والوطني

رأوا الآيات التي صنع . ٢٤ لكن يسوع لم يأتهم على نفسه لانه
كان يعرف الجميع . ٢٥ ولانه لم يكن محتاجاً ان يشهد احد عن

اما موضوع هذه الصورة التي امامنا فهو ايمان الكثيرين باسم المسيح ،
مقابل عناد رؤساء الكهنة الذي اظهروه تجاه المسيح في الهيكل . على ان هذا
الايمان كان ظاهرياً ، سطحياً ، لا شيء فيه من الصلة الروحية النفسية التي
تربط النفس بفاديها . اما موضوع ايمانهم فهو اعمال المسيح لا شخصه . فكان
اساسه ما رأوه من آيات لا ما خبروه في الفادي من بديع الصفات . كان
ايمانهم ابن ساعته ، ولعله ذهب لساعته — كيقطينة يونان

عدد ٢٤ عدم ايمانهم بالمسيح بايمانهم . ان قوماً هذا ايمانهم لم يأتهم
على نفسه . لانهم في ايمانهم لم يأتهموا المسيح على انفسهم بل كان ايمانهم
قاصراً على تصديقهم لما سمعوا ورأوا . ولان ايمانهم كان نظرياً لا عملياً .
فالايان الحقيقي يتخطى التصديق حتى يبلغ درجة تسليم النفس لله تسليماً تاماً
من غير قيد ولا شرط . لذلك لم يأتهم المسيح على نفسه او بعبارة اخرى :
لم يكن له ايمان بايمانهم . « لانه كان يعرف الجميع » - بحكم لاهوته الذي
يحيط علماً بكل شخص وكل شيء

عدد ٢٥ المسيح العليم « ولانه لم يكن محتاجاً » - لان فيه كل كنوز
الحكمة والعلم - « ان يشهد احد عن الانسان لانه علم ما كان في الانسان » .
- كيف لا وهو خالق الانسان . وهل تخفى على المخترع اية قطعة من آله ؟
فكم بالحري الخالق !

الانسان لانه علم ما كان في الانسان

ما اجل حكمة القادي التي اظهرها في عدم اتيان الناس على نفسه ، مع انه هو الذي علمنا ان لا نسي الظن في الناس. لكن سوء الظن شي والتمييز شي آخر



الاصحاح الثالث

١ كان انسان من الفريسيين

ضيف الظلام

او

وليد الثاموس يواهم رب النعمة والحياة

١:٣ - ٢١

اقبل عيد الفصح اليهودي ، بلياليه القمر المضيئة ، فكان كل ما في المدينة اورشليم متشجاً برداء فضي "بهي" ، منسوج بأشعة قمر العيد ، الا قلوب رؤساء اليهود ، الذين ملأ التعصب الاعمى نفوسهم ، وضرب الليل حولها نطاقاً مظلماً من الجهل والعناد . وقد ازداد ظلام قلوبهم سواداً بعد ان وبخ المسيح اعمالهم المظلمة الظالمة ، فظهرت شناعة خطيئتهم الخاطئة امام شعاع وجهه الواضح . ففسوا العيد وافراحه ، وجعلوا عيدهم الحقيقي ان يمسكوا المسيح بشي على ان الليلة الظلماء لا تخلو من بعض النجوم التي تلمع في سماءها . كذلك لم يخل هذا الجو المظلم المقيم من اناس آمنوا بالمسيح — وهانحن الآن امام واحد منهم ، اسمه نيقوديموس . ويُسْتَفاد من قوله « نعلم » ع ٢ ، انه ربما كان مرسلًا من الفريسيين ويتكلم باسمهم ، لكنه كاتب على كل حال أفضل منهم — أو على الأقل صار أفضل منهم بعد هذه الليلة التاريخية التي صرف

اسمه نيقوديموس رئيس لليهود

شطراً منها مع المسيح . فلعله جاء مفئداً ، فخرج مؤيداً . وهل يقوى الظلام على الوقوف طويلاً في حضرة النور ؟

في هذا الفصل نرى : أولاً : وصف هذا الضيف ١:٣ . ثانياً : الدرمبات الثمات التي ارتقى عليها الحديث بينه وبين المسيح ٢:٣ — ١٣ ثالثاً : الامتحانات الممنازة التي افضى بها المسيح الى هذا الضيف ١٤:٣ — ٢١

عدد ١ . أولاً : وصف هذا الضيف ٢:٣ . هذا العدد الاول يصف نيقوديموس وصفاً رباعياً : (أ) طبيعته : « إنسان » . وهي ذات الكلمة التي اختتم بها الاصحاح السابق . وربما كان واحداً من الذين « آمنوا باسم المسيح اذ رأوا الآيات التي صنع » فصار فيما بعد انساناً مؤمناً ومسلماً نفسه للمسيح . (ب) شيعته الدينية : « من الفريسيين » انظر شرح ٢٤:١ . (ج) اسمه : « نيقوديموس » — وهي اللهجة اليونانية للكلمة الارامية : « نيقوديمون » ومعناها « التقي الدم » — اي الشريف الحسب ، ويُستنتج من التقديم التي جاء بها بعد موت المسيح انه كان غنياً (١٩: ٣٩) . وقد جاء في التلمود ان شخصاً بهذا الاسم كان رابع اربعة امتازوا بغناهم في العاصمة اليهودية ، وانه من أتباع المسيح . (د) درجته : « رئيس لليهود » . الكلمة المترجمة رئيس ، هي في الاصل « أرخون » ومنها « الاراخنة » المستعملة في العربية لتصف زعماء الشعب من العلمانيين . وهي غير الكلمة المستعملة للرؤساء الاكليريكيين التي وردت في لوقا ١٣: ٢٣ . ولقد كان نيقوديموس ، من اعضاء السنهدريم (٧: ٥٠)

٢ هذا جاء الى يسوع ليلاً

(ثانياً) : الدرجات التي ارتقى عليها هيرث نيقوديموس مع المسيح ٣:
 ٢-١٣ . (أ) نيقوديموس المتأرب ٣: ٢ و ٣ . (ب) نيقوديموس المتعجب ٣:
 ٤-٨ (ج) نيقوديموس المعلم ٣: ٩-١٣

ان هذه الحادثة التي وردت في بشارة يوحنا وحدها ، مطبوعة بذات
 الطابع العام الذي تميزت به البشارة — طابع التقدم . التدرُّج . وهذا يوافق
 ايضاً التدرُّج الذي نراه في الثلاثة المواضع التي ذكر فيها نيقوديموس
 في البشارة . في الفصل الذي امامنا نرى نيقوديموس مستفهماً ، وفي يو ٧:
 ٥٠-٥٣ شاهد نيقوديموس مدافعاً عن المسيح — ولوانه دفاع لم يخلُ من
 ضعف . وفي ١٩: ٣٨-٤٠ نجد نيقوديموس مجاهراً بايمانه ، ومقدماً علامة
 ولائه للمسيح . فلئن حُرِّم تقديم الولاء للمسيح الحي ، فقاتته ابتسامة التشجيع
 الا انه لم يُجرِّم امتياز سكب مقدمة طيبة الرائحة على جسد المسيح

عدد ٢ (أ) نيقوديموس المتأرب ٣: ٢ و ٣ . « هذا جاء الى يسوع ليلاً .. »
 لم يكن نيقوديموس مقحماً جسوراً ، بل كان متحفظاً ، حريصاً ، في كل حركة
 يأتيها — وفي الغالب كانت هذه الخلطة علة مجيء نيقوديموس الى يسوع
 « ليلاً » . ويظهر ان هذه الكلمة قيمة خاصة عند البشير حتى جعلها ملحقة
 لاسم نيقوديموس أني ذكره (٧: ٥٠ ; ١٩: ٣٩) . وقد وقع من نصيب
 نيقوديموس ان يرتبط اسمه باسم يوسف الذي من الرامة وهو تلميذ يسوع
 « ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود » (١٩: ٣٨) كأن الخوف والحياء

وقال له يا معلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل

جمعا بين قلبيهما في البداية ، ثم ربطت الشجاعة ما بين نفسيهما في الختام لما استقر المقام بنيقوديموس حيي المسيح بالقول : «يا معلم» — هذه ترجمة الكلمة الارامية «راب» وصارت تُطلق على معلمي الشريعة اليهودية منذ ايام شمعي وهليل . وهي من مصدر معناه : «عظيم او كبير» . كما انها على ثلاث درجات متفاوتة — أبسطها كلها كلمة : «راب» ، وتليها كلمة : «رَبَّاي» . واعظمن كلمة «رابون» . تتلخص تحية نيقوديموس للمسيح في القول : «نعم انك قد أتيت من الله معلماً» — هذه تحية تم عن أدب ، يمازجه التحفظ. اما الأدب فظاهر من ان نيقوديموس لم يبخل على المسيح بلقب : «معلم» — مع علمه انه لم ينل هذا اللقب رسمياً من «بيت المدراس» . واما التحفظ فواضح من قوله : «من الله» . اي ان المسيح لم ينل إجازة التعليم من قبل رؤساء الكهنة بل من الله. كان نيقوديموس حريصاً على الرسميات. وفي حرصه هذا عظم المسيح ورفعته فوق كل مقام

ختم نيقوديموس تحيته للمسيح بان ذكر الاساس الذي بنى عليه اعتقاده بان المسيح معلم من الله — وهو اتيان المعجزات. «لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل ان لم يكن الله معه» . اذاً كان نيقوديموس واحداً من «الكثيرين» الذي آمنوا باسم المسيح «اذ رأوا الآيات التي صنع» (٢٣: ٢) . فلا عجب اذا رأينا ايمانه ناقصاً في ناحيتين : اولاهما انه آمن بالمسيح

ان لم يكن الله معه . ٣ أجاب يسوع وقال له الحق الحق أقول لك

كعلم مع ان المسيح اعظم من معلم — انه مخلص . فليس عمله أن يدلنا على النور . بل هو النور ، الواهب بصرًا للعميان . وثانيتها هي ان الحد الاقصى لا يمانه هو ان « الله ، مع المسيح »

عدد ٣ . رد المسيح على نحية نيقوديموس . كان رد المسيح على نحية نيقوديموس ، مفرغاً في صورة جدية قاطعة اذ واجهه بالقول : « الحق . الحق » ويلوح لنا ان المسيح لم يجب على نحية نيقوديموس بل اجاب على نية نيقوديموس . « لانه كان يعرف الجميع . ولانه لم يكن محتاجاً ان يشهد احد عن الانسان لانه علم ما كان في الانسان » . وكما كان نيقوديموس متدرجاً في موقفه مع المسيح ، كذلك كان المسيح متدرجاً في اعلاناته لنيقوديموس — في ع ٣ ، أراه الضرورة الابتدائية للولادة الثانية . وفي ع ٥ ، بين له الضرورة القصوى لها ، وفي ع ١٢ و ١٣ ، كشف له عن مصدر رسالته — فكان في هذه الادوار متنقلاً مع محدثه من التعميم الى التخصيص

هل اجاب المسيح بهذا الجواب على نيقوديموس ، لانه اراد ان يستعمل معه « اسلوب الحكيم » قاصداً ان يرفع محدثه فوق مستوى المجاملات الصورية ليواجهه بالحقائق الجوهرية ، فأجابه لا على ما قال بل على ما كان ينبغي ان يقول ؟ ام لان نحية نيقوديموس للمسيح كانت تنطوي على رغبة في معرفة طبيعة الملكوت الجديد ، فأراه القادي ان الملكوت قد دخل فعلاً في عهد جديد فصار ملكوتاً جديداً بكل معنى الكلمة ، لدرجة ان الطبائع القديمة لا

ان كان احد لا يولد من فوق

تصلح له ولا يصلح هو لها لذلك «ينبغي ان يولدوا من فوق» ؟ ام لانه رأى ان ايمان نيقوديموس وقف عند حد الاعتقاد بان المسيح «معلم» فظهر له أنه أكثر من معلم — انه مخلص، يستطيع ان يهب الانسان طبيعة جديدة ؟ ام قصد ان يتأكد مما اذا كان المسيح هو مسياً المنتظر فاجابه المسيح بصورة خفية انه هو هو ؟ أم كانت كل هذه البواعث مجتمعة معاً ؟

ان «الرؤية» المقصودة بقوله: «لا يقدر ان يرى ملكوت الله» هي التمييز الروحي الذي تقوم به البصيرة الروحية. فكما ان العين المادية لا ترى الا الماديات المنظورة، كذلك لا يمكن ان ترى الروحيات الغير المنظورة الا العين الروحية الموهوبة للانسان «من فوق». هذه حقيقة طبيعية كما انها روحية ايضاً. فكما ان الشعر لا يميزه الا من وُلِدَتْ فيه طبيعة شعرية، والموسيقى لا يفهمها الا من وُلِدَتْ فيه الاذن الموسيقية، كذلك لن يفهم، ولن يقدر ان يفهم مزايا الملكوت الروحي الا من وُلِدَتْ فيه هذه البصيرة الروحية الموهوبة له من فوق. وبما ان هذا الملكوت الروحي يتناول كل الانسان، لذلك لا يمكن ان يرى هذا الملكوت الا من وُلِدَ من فوق بكلياته وجزئياته، لدرجة يقال فيها عن كل ملكاته: «هوذا الكل قد صار جديداً» (٢ كو ٥: ١٧).

ان تمويه الطبيعة القديمة بطلاء جديد، لا يفيد شيئاً، كما ان تغيير الشكل لا يجدي نفعاً. فقد تُصاغ قطعة الرصاص مثلاً — تارة على شكل ملاك وطوراً على شكل حيوان، لكنها تظل في طبيعتها رصاصاً كما هي. فالهم هو

لا يقدر أن يرى ملكوت الله

تغيير الجوهر ، تغيير النبع أولاً ثم المجرى ، تغيير الشجرة أولاً ثم الثمرة — هو ترك الحياة القديمة ، والانتقال الى حياة جديدة ، هو ولادة جديدة . وقد وُصِفَت بالقول : « من فوق » تمييزاً لها عن الولادة الطبيعية ، المادية ، الارضية . فكما ان الجسد تراب من الارض ، والروح نفخة من القدير من فوق ، كذلك الولادة الروحية وُصِفَت بالقول : « من فوق » نسبة الى الله الآب مصدرها (يع ١: ١٨) ، والى الكلمة وسيلتها (١ بط ١: ٢٣) ، والى الروح القدس العامل فيها (ع ٦) ، والى المسيح جوهرها (٢ كو ٥: ١٧) . فالتجديد لا التهذيب هو الأمر الاساسي . التغير لا التطور هو الغاية المنشودة

وردت كلمة « ملكوت الله » مرتين في هذه البشارة — المرة الاولى في هذا العدد . والثانية في ع ٥ . وهي تحمل معنيين : احدها خارجي وهو نظام العصر المسيحي . والثاني باطني وهو المعلنات الالهية التي أتى بها المسيح على الارض وستُكَمَّل في السماء للمؤمنين

عدد ٣ . ثانياً : نيقوديموس يعجب ٣: ٣ — ٨ . (أ) تعجب نيقوديموس ٣: ٣ و ٤ . كان نيقوديموس مادياً وأنى للمادي ان يفهم الروحيات . لذلك لم يجد بُدّاً من اظهار تعجبه من اقوال المسيح « كيف يمكن الانسان ان يُولد وهو شيخ . العله . . » والظاهر ان نيقوديموس لم يفهم من الولادة الا معناها المادي الجسدي — كذلك حال الانسان الطبيعي ، لا يفهم ما لروح الله . فهو دائماً متسلح بسلاحين : احدهما : « كيف » ، والثاني « لماذا » ! لكنه لن

٤ قال له نيقوديموس كيف يمكن الانسان أن يولد وهو شيخ . ألهه
يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد . ٥ أجاب يسوع الحق الحق
أقول لك ان كان أحد لا يولد من الماء والروح

يستفيد شيئاً حتى يطرح عنه هذين السلاحين ويستعوض عنهما بكلمة: «ماذا
تريد يا رب ان أفعل» ؟

عدد ٤ سؤال نيقوديموس الساذج . كان نيقوديموس يفهم معنى ضئيلاً
جداً من معاني الولادة الجديدة ، لانه كان يعتقد انه واجب على الاممي ان
يُولد من جديد اذا اراد ان يدخل الى الدين اليهودي . ولم يخطر بباله انه
يجب على اليهودي ان «يُولد من فوق ليدخل ملكوت الله» . فكل ما كان
يفهمه عن الولادة الجديدة التي يختبرها الاممي ، انها انتقال الى بيئة جديدة .
اما الولادة الجديدة بمعناها الروحي فقد غابت عن «معلم اسرائيل» . وأنى
يتأتى لوليد الناموس ان يفهم لغة النعمة ؟ لذلك اجاب جواباً صبيانياً مع انه
كان شيخاً : «ألهه يقدر ان يدخل بطن أمه ثانية ويُولد» ؟ من الصعب على
الشيخ الذي طُبع بطابع الناموس ، وصار عبد الاجيال العتيقة ، واسير نظمها
البالية ، ان يُولد من جديد . على ان الصعب شيء ، والمستحيل شيء آخر . «وغير
المستطاع عند الناس مستطاع عند الله»

عدد ٥ (ب) جواب المسيح ٣: ٥ - ٨ . كان جواب المسيح جلياً بوضوحه
مقنعاً بسلطانه : «الحق الحق» . وهو يتضمن (١) وصفاً للولادة الجديدة —
«من الماء والروح» — الكلمة الاولى : «الماء» ترمز الى العلامة الظاهرية :

لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . ٦ المولود من الجسد جسد هو
والمولود من الروح هو روح .

والثانية: «الروح» تشير الى العامل الخفي . الاولى رمز ، والثانية مرموز اليه^(١) .
الاولى سلبية تشير الى غسل الماضي وترك الحياة العتيقة ، والثانية ايجابية تشير
الى بناء الحياة الجديدة . و «الواو» هنا عاطفية وصفية . وهي من قبيل قوله «الروح
القدس ونار» . فالنار تفيد التطهير الخارجي ، والروح القدس هو العامل في
التطهير الداخلي . كذلك «الماء» يدل على الغسل الخارجي ، والروح القدس يفيد
الغسل الداخلي ، كما قيل «بغسل الماء بالكلمة» (اف ٥: ٢٦) اي بالكلمة المطهرة
(٢) الضرورة القصوى للولادة الثانية : « لا يقدر ان يدخل ملكوت الله »

عدد ٦ . (٣) مبدءاً طبيعياً عاماً : « المولود من الجسد ، جسد هو ،
والمولود من الروح هو روح » : مفاد هذا المبدأ ، ان الشيء يلد نظيره ، وان
المياه لا يمكن ان ترتفع فوق منبعها . فالباب الطبيعي للدخول في مملكة ما
هو الولادة في تلك المملكة . فالنبات يُحسب نباتاً لانه وُلد بالطبيعة في مملكة
النبات . كذلك الحيوان ، ثم الانسان . كذلك الامر في النظم السياسية .
فالوطني الصميم ، هو الذي يُولد في الوطن ، لا من يشتري الرعوية (اعمال
٢٢: ٢٨ و ٢٩)

* ومما يدل على ان قوله «من الماء» ، كلام رمزي استعاري كون المسيح أستقط هذه
الاستعارة من كلامه عندما اراد ان يوضح الحقيقة نفسها في ع ٦ و ٨ لان عند اعلان الرموز
اليه يبطل الرمز

٧ لا تتعجب أني قلت لك ينبغي أن تولدوا من فوق . ٨ الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب . هكذا كل من وُلد من الروح . ٩ أجاب نيقوديموس وقال له

عدد ٧ . « لا تتعجب أني قلت لك ... » أمام المبدأ الجوهري المذكور في العدد السابق ، لا يبقى مجال لتعجب نيقوديموس من قول المسيح له « ينبغي أن تولدوا من فوق » . لأنه وإن كانت الولادة الثانية فوق العقل من حيث فاعليتها وسرّ جوهرها ، إلا أنها معقولة جداً من حيث حقيقتها وضرورتها . وإن تلكُ خارقة للطبيعة من حيث ادراك كنهها ، فلا ندري : « من أين » ولا « إلى أين » ، لكنها طبيعية من حيث تيقننا من وجودها ، وشعورنا بنتائجها

عدد ٨ . تمثيل من الطبيعة « الريح تهب ... » أوضح المسيح قوله لنيقوديموس : « لا تتعجب » بتمثيل طبيعي : « الريح تهب ... » . إن كلمتي « ريح » ، « وروح » من اشتقاق واحد . فمن أوجه الشبه بينهما . الحرية ، والقوة والانعاش ، وسرية الأصل والغاية . إذاً لا حاجة لنيقوديموس أن يدخل بطن أمه ثانية ليولد الولادة الجديدة ، لأن الروح القدس يستطيع أن ينشئ في قلب الشيخ ، بزرّة حياة جديدة فيفنى الشيخ العتيق البالي ، ويخلق منه إنسان جديد مطهر السرائر مقدس الفكر ، يحب الخير ويكره الضرر

عدد ٩ . ان ثالثاً : نيقوديموس يتعلم ٩: ٣-١٣ . (أ) سؤال نيقوديموس ٩: ٣ . هذا الرئيس المتأدّب ، الذي بهره نور تعليم المسيح فتعجب ، نراه

كيف يمكن أن يكون هذا . ١٠ أجاب يسوع وقال له أنت معلم
اسرائيل ولست تعلم هذا

الآن طالباً، متعلماً، مستفهماً: « كيف يمكن ان يكون هذا ؟ اننا وان كنا
نمتدح نيقوديموس على هذا التقدم ، لكن لنا عليه انه للآن لم يُلْقِ عنه هذا
السلاح القديم : « كيف ؟ ولعله ألقاه نهائياً بعد ان جابهه المسيح بسلاح
من نوعه حين قال له : « ان كنت قلت لكم . . فكيف ؟ » ويظهر من قرينة
الكلام ان « كيف » في عدد ٤ هي غير « كيف » في عدد ٩ . « كيف » الاولى
تعجيبيّة . والثانية استفهامية تعليمية . « كيف » الاولى ، اعتراضية ، والثانية
اعدادية تحضيرية . اما الآن وقد وقف « رئيس اليهود » موقف الطالب
المتعلم ، فلا مندوحة له من الاستفادة الحقيقية

عدد ١٠ . (ب) جواب المسيح ٣: ١٠-١٣ . استهل المسيح جوابه
لنيقوديموس في هذا الدور بـ (١) تعنيف لطيف على عدم علمه ع ١٠ ، في
وقت يدعى فيه العلم ع ٢ : « انت معلم اسرائيل » . هذه كلمة جارحة لكبرياء
نيقوديموس الذي استهل كلامه مع المسيح بالقول : « نحن نعلم » ع ٢ .
ولقد كان ضرورياً لنيقوديموس ان يسمع هذه الكلمة الجارحة بلطفها لانه قد
غاب عنه ان يدري شيئاً عن الولادة الجديدة مع ان بعض انبياء اليهود
الاقدمين سبقوا فتكلموا عنها (ارميا ٣١: ٣٣ ؛ حزقيال ٣٦: ٢٦-٢٨ ؛ مزمو
١٤٣: ١٠ و ١١) لكن أنى للناموسي الذي يتمسك بالحرف ان يفهم ما للروح ؟

١١ الحق الحق اقول لك اننا انما نتكلم بما نعلم ونشهد بما رأينا ولستم
تقبلون شهادتنا. ١٢ ان كنت قلت لكم الارضيات

عدد ١١ (٢) نو كبر يقيني عن حقيقة رسالته : « الحق . الحق » وردت
هاتان الكلمتان مراراً في هذه البشارة (انظر المقدمة العامة) . ويظهر ان
المسيح نطق بهما كلما قصد ان يُوحى اليها باعلان ممتاز مستمد من كنز
قلبه ، وهما تبيان عن السلطان المطلق الذي كان يحفّ بالمسيح كعلم . بخلاف
الكتبة والفريسيين الذين كانوا يقتصرون في تعاليمهم على ترديد صدى اصوات
المعلمين الذين سبقوهم (مت ٢٨: ٧ و ٢٩) . « نتكلم .. نعلم .. نشهد .. رأينا »
هذه اربع كلمات متماسكة في هذا العدد — الاولى والثانية تسيران معاً ،
والثالثة والرابعة تتمشيان معاً . الاولى تتطور الى الثالثة ، والثانية ترتقي الى
الرابعة . فالتكلم اليقيني يتطور شهادة . والعلم الراسخ يستحيل رؤيا

اختلف المفسرون في تعيين الاشخاص المقصودين بضمير الجمع في : « نتكلم » ،
« نعلم » ، « نشهد » ، « رأينا » ، فمن قائل ان المسيح يقصد نفسه وانبياء العهد
القديم ، ومن قائل انه يتكلم عن ذاته وعن الروح القدس ، الى قائل انه يعني
ذاته والآب ، الى قائل انه يشير الى نفسه ويوحنا المعمدان . ونعتقد من جانبنا
انه يقصد نفسه وتلاميذه باعتبار كونهم مدرسة جديدة تقابلها المدرسة العتيقة
البالية التي تتمثل في نيقوديموس وشيعته

ع ١١ و ١٢ (٣) تضيف لطيف نيقوديموس وشيعته « ان كنت قلت لكم
الارضيات » — سبق المسيح فعنّف نيقوديموس على عدم علمه (ع ١٠) ،

ولستم تؤمنون فكيف تؤمنون ان قلت لكم السمويات .
١٣ وليس أحد صعد

والآن نراه يعنفه على عدم ايمانه «لستم تقبلون» اي لستم تؤمنون . فالإيمان الصحيح هو مفتاح العلم الصحيح ، والطاعة العملية هي مفتاح الايمان . يستفاد من قول المسيح: «ان كنت قلت لكم الارضيات...» ان نيقوديموس كان عاقد النية على ان يظفر من المسيح بمعلّقات من «السمويات» . فبيّن له المسيح المعلم الاعظم ، ان الطالب لن يتعلم الباء الا بعد ان يكون قد تعلم الالف . وان النور الجديد لا يُعطى الا لمن يعمل بالنور الموجود

و يُراد بـ «الارضيات» تلك المعلنات الالهية المتعلقة بالبشر في حياتهم على الارض . وهي خلاصة رسالة المسيح للعالم . «والسمويات» هي الأسرار الالهية الخاصة بارسالية المسيح من حيث نبعها وأصلها ، وجوهر صلته بالآب ، وما الى هذه من الأسرار الخبوءة طي علمه تعالى . «فالارضيات» هي موضوع رسالته: «توبوا وآمنوا بالانجيل» . «والسمويات» هي أصل رسالته «من أين» «والى أين» ؟ فليس لطالب الحق ان يتخذ موقف المستكشف الذي يتساءل عن الينايع ، إنما عليه ان يشرب من الماء الصافي الزلال . لان اعلانات الله تُعطى للبشر على اقساط متدرجة متصاعدة ، وطالب الحق يتقدم في معرفتها تدريجياً كمن يرتقي على درجات سلم

عدد ١٣ . (٤) لفظة الارباع «وليس احد صعد..» في هذا العدد، اظهر المسيح لنيقوديموس شدة لزوم الايمان لمن يريد ان يتعلم ، ولعله قصد ان يريه

الى السماء الا الذي نزل من السماء ابن الانسان الذي هو في السماء

١٤ وكما رفع موسى

شعاعاً من أنوار « السمويات » اذ واجهه باعلان ابتدائي عن (أ) تجسده :
« ليس احد صعد الى السماء الا الذي نزل من السماء » (ب) لاهوته : « ابن الانسان
الذي هو في السماء » فهو على الارض وفي السماء في وقت واحد . لانه في السماء
مع انه نزل من السماء ، وهو ابن الانسان حال كونه ابن الله . ان فتح السماء
وقت معمودية المسيح هو أقوى حجة لتبيان حقيقة هذا الكلام — فهو
ساكن في السماء حال كونه يتمشى على الارض . ومن صفات اللاهوت المنسوبة
للمسيح في هذه الآية : (١) سبق الوجود لان كلمة « نزل من السماء » تفيد انه كان
موجوداً قبل التجسد (٢) الوجود في كل مكان في وقت واحد « السماء والارض »

ثالثاً : المعلنات الممتازة التي افضى بها المسيح الى ضيف الظهور ٣: ١٤
— ٢١ . يضع كثير من المفسرين اهمية خاصة على حرف العطف « و » في بدء
عدد ١٤ ، لانهم يرون فيه انتقالاً ظاهراً في كلام المسيح من النظريات الى
العمليات — ومن الكلام عن المعلنات الى الكلام عن شخصه — او من التعميم
الى التخصيص . وفي الغالب ، حرف الواو يكون حلقة اتصال بين سرّ سابق
— سرّ التجسد ، وسرّ لاحق — سرّ الفداء

لقد تحدّث المسيح الى نيقوديموس في هذا الفصل عن حقيقتين مهمتين :
أولاً : افراد المعلن — ٣: ١٤ — ١٦ ثانياً : المستولية المترتبة على اعماره

افراد ٣: ١٧ — ٢١

الحياة في البرية هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الانسان

اولاً : الفداء المعلن ١٤:٣ - ١٦ أعلن المسيح هذا الفداء لنيقوديموس في (١) حقيقة «وكما رفع ..» عدد ١٤ (ب) غايته «لكي لا يهلك ..» عدد ١٥ (ج) نبعه «لأنه هكذا أحب» عدد ١٦

عدد ١٤ . (١) حقيقة الفداء المعلن «وكما رفع موسى ..» أراد المسيح أن يدخل حقيقة الفداء الى قلب نيقوديموس فمثل له بحادثة معروفة في العهد القديم - حادثة رفع موسى الحياة في البرية (عدد ٢٩:٢١) ، فانتقل بمحدثه من المعلوم - ونيقوديموس من رجال موسى - الى غير المعلوم . وهنا منتهى الحكمة في التعليم . ومن اوجه الشبه بين تلك الحادثة القديمة وبين المسيح المصلوب: (١) ان الحياة النحاسية كانت على شبه الحياة التي سببت الموت. كذلك قد تجسد المسيح في «شبه جسد» الخطية التي سببت الموت للعالم. (٢) ان الحياة التي رفعت كانت خالية من السم - لانها كانت من نحاس . كذلك المسيح الذي صُلب كان معصوماً من كل خطية لانه من السماء . (٣) رفعت الحياة على مرأى من الناس ، كذلك صُلب المسيح على الجلجثة - اكمة مرتفعة - لكي يراه كل عليل فيُشفى . ولقد وردت كلمة «رفع» في بشارة يوحنا ٣ مرات . وفي كل منها ، تشير الى الصليب والمجد الذي يليه . وفي هذه الثلاث المرات ، نطق بها المسيح عن نفسه (يو ١٤:٣ و ٨:٢٨ و ١٢:٣٢) . (٤) النظر بالعين المادية كان واسطة الشفاء من لسعة الحياة ، والنظر الروحي - الايمان - هو واسطة الشفاء الروحي

١٥ لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية .
١٦ لانه هكذا أحب الله العالم

عدد ١٥ (ب) غاية الفداء : ان كلمة : « ينبغي » التي وردت في قوله : « ينبغي ان يُرفع ابن الانسان » ، تفيد الضرورة الحتمية لتنفيذ تدبير الهي سابق ، قبله المسيح على نفسه اجابة لداع ادبي ذاتي في قلب المسيح . لشرح كلمة « ابن الانسان » انظر تفسير ١: ٥١ . « الحياة الابدية » هي حياة غير محدودة في عمق سعادتها ، وفي طول مداها . فهي ابدية في نوعها وفي كميتها . اما كلمة : « من » فهي واسعة ضيقة . واسعة لانها تضم كل العالم في قلبها وضيقة لانها لا تدخل الا فرداً فرداً

عدد ١٦ . نبع الفداء : « لانه هكذا أحب .. » هذا نبع الفداء ، بل قلبه . هذا سر الاسرار الالهية ، ان الله القدوس احب العالم النجس المحكوم عليه بالهلاك ، وكان جاداً في محبته حتى بذل ، وكان سخياً في بذله حتى جاد بابنه الوحيد . بهذه الكلمات قد وصل المسيح بنيقوديموس الى ذروة الدرجات في سلم المعلنات الالهية . في عدد ١٤ عرفه عن نفسه انه ابن الانسان ، والآن اراه ذاته انه « ابن الله الوحيد » . اذا نظرنا الى هذا العدد نظرنا الى نهر جارٍ ، رأينا فيه (١) نبع النهر : « هكذا احب الله » (٢) مجرى النهر : « حتى بذل » . (٣) مصب النهر : « لكي لا يهلك .. » في هذا العدد تتجلى لنا مقاييس المحبة الالهية : (١) العرصه : « العالم » ... « كل من يؤمن به » (٢) الطول : حتى بذل ابنه . (٣) العمق : من اعلى

حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به

الى اسفل : « لكي لا يهلك كل من يؤمن به » . (٤) العلو — من اسفل
الى اعلى : « بل تكون له الحياة الابدية » . (انظر افسس ٣: ١٨)

لماذا يُحسب أمراً قابلاً للجَدَل، ان الله قدّم ابنه الوحيد للناس ؟ الم
يقدم ابراهيم فيما مضى، ابنه الوحيد لله (تك ٢٢) ؟ وهل من المعقول ان يسبق
الانسانُ الله في مضمار التضحية والبذل ؟ كلا . ثمّ كلا . ان وُجد في البشر
شيء من الحب المقدس ، فما هو الا شعاعة من نور حب الله

هذا وصف جامع لمحبة الله للبشرية الساقطة . فقيه نجد : (١) محبة الله
في طبيعتها : « هكذا » . (٢) محبة الله في مداخلها ومخارجها : « العالم » . (٣) محبة
الله في برهانها ومجربها : « حتى بذل » . (٤) محبة الله في سماتها : « . . كل من
يؤمن به » . (٥) محبة الله في تأثيرها وفاعليتها : « بل تكون له الحياة الابدية »

الكلمة : « بذل » تستعمل عادة لتفريج الضغط . فكأن عوامل المحبة
الالهية تجمعت في قلب الله فاضطربت احشائه ، فوجد منفذاً في البذل .
إذا لم يكن في الامكان ان لا يبذل الله « ابنه الوحيد » ، ولما بذل استراح .
والكلمة عينها تفيد العطاء السخي الذي لا ينتظر جزاء ولا مكافأة ! إذا ليس
الفداء اغتصاباً لمحبة الله ، لكنه تعبير طبيعي لها . « ولكن الكل من الله
الذي صالحنا لنفسه يسوع المسيح واعطانا خدمة المصالحة » . اي ان الله كان
في المسيح مصالحاً العالم لنفسه » . (٢ كو ٥: ١٨ و ١٩)

ثانياً : المسؤولية المترتبة على الفداء المعلن . (٣: ١٧ — ٢١) . استنتج

بل تكون له الحياة الابدية ١٧ لانه لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين

بعضهم من صمت نيقوديموس فيما بعد ، ان حديث المسيح معه انتهى عند عدد ١٦ . مع ان كلام المسيح يمتد حتى نهاية عدد ٢١ . واذا كان قد امتنع نيقوديموس عن الكلام فما ذلك إلا لانه اقتنع . وما عساه ان يقول امام هذه المعلنات الجليلة ؟ وما على الارض الا الصمت حين تتكلم السماء

رأينا في الاعداد السابقة اشعة انوار الفداء الالهي ، والغاية التي قصدها الله منه . على ان اعلان انوار الفداء يترتب عليه أمر من اثنين : إما الدينونة لكل من يرفضه ١٧: ٣ - ٢٠ او الاقتبال الى الله لكل من يقبله ٢١: ٣ . وربما نطق المسيح بهذه الكلمات ليبدد بها سُحُب الظنون والاهام التي كانت متلبدة في مخيلة الفريسيين من جهة انتظارهم مسيحاً يأتي خصيصاً ليدين أمم العالم

عدد ١٧ الغاية الاساسية من رسالة المسيح الى العالم — المخلص . من المؤسف ان هذا القادي الذي ارسله الله نوراً وهدى للعالمين ، قد صيره بعض الناس دينونة على أنفسهم ، بسبب عدم قبولهم اياه . فاشعة الشمس شافية ، لكن ضربة الشمس قاتلة . وأريج الزهور منعش لكن الحشرات السامة تمتص منه عصارة تحوّلها الى سمّ نافع . والقصد الاساسي من الماء هو ان تروي لكن الكثيرين يفرقون فيها . والنار خادمة لمن يحسن استعمالها . لكن من يسيء استعمالها يحترق بها . « لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم » — الكلمة « يخلص » تفيد القبول الشخصي بالتخصيص .

العالم بل ليخلص به العالم. ١٨ الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لانه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد. ١٩ وهذه هي الدينونة ان النور قد جاء الى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور

فمع ان الدينونة ليست الغاية الاساسية من رسالة المسيح وتجسده ، الا انها نتيجة ملازمة لها . فهي ليست دينونة يفرضها الله على الناس فرضاً ، بل هي دينونة يتطوع لها الناس اختياراً بسبب عدم قبولهم المسيح

عدد ١٨ مقياس الدينونة — الايمان او عدمه . فكأنما المسيح ، بدخوله الى العالم قد اوقع الناس تحت مسئولية جديدة — فإما ان يكونوا مؤمنين او غير مؤمنين — هذا هو الميزان الأدبي ، والروحي ، الذي به يزن الله كل انسان في كفة الدينونة . بل هذا هو التعريف الجديد للخطية — « أما على خطية فلا أنهم لا يؤمنون بي » ١٦: ٩ . فالخطية اذاً هي عدم الايمان بالمسيح

ليس الكلام هنا عن دينونة عتيدة ان تحل في اليوم الاخير ، لكنه يصف دينونة قد وقعت فعلاً ، وحلت على راقضي المسيح .. « .. قد دين » . اما المؤمن فلا دينونة عليه منذ الآن (رو ١: ٥ و ١: ٨)

عدد ١٩ معنى الدينونة : «النور قد جاء الى العالم. وأحب الناس الظلمة اكثر من النور» . اما علة حبهم للظلمة ، فلأن « أعمالهم كانت شريرة » . فالناس يحكمهم على المسيح يحكمون على انفسهم «أحب الناس الظلمة اكثر من النور» — يا للفجور ، ويا للخيانة! أيكون هذا صدى صوت محبة الله؟ «هكذا

لان أعمالهم كانت شريرة. ٢٠ لان كل من يعمل السيئات يبغض
النور ولا يأتي الى النور لئلا توبخ أعماله. ٢١ وأما من يفعل الحق
فيقبل الى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة

احب الله العالم حتى بذل...» «هكذا احب الناس الظلمة اكثر من النور»!!

عدد ٢٠ عن الربنوت: «لان كل من يعمل السيئات يبغض النور...»
فالعين الرمضاء لا تقوى على مواجهة النور. والمجرم الاثيم لا يستطيع الوقوف
امام وجه العدالة. وحشرات الظلام تعجز عن ان تعيش في ضوء الشمس

عدد ٢١ اراقتبال الى المسيح: «اما من يفعل الحق...». لم يختم
المسيح حديثه مع نيقوديموس بصورة قائمة مظلمة، بل بشكل مشجع مفرح.
وليس من المستبعد ان المسيح وهو يتنطق بهذه الكلمات الاخيرة، كان يلقي
على نيقوديموس نظرات مشجعة. كأنه قصد بهذه الكلمات ان يصف
نيقوديموس الذي هبطت بزررة الايمان الى قلبه منذ هذه المقابلة، فتمت
وترعرعت (٥٠: ٧)، ونضجت فأثمرت ثمراً طيباً، كله طيب (٣٩: ١٩)

وجدير بنا ان نلاحظ ان الكلمة: «يفعل» في ع ٢١، هي غير الكلمة:
«يعمل» في ع ٢٠. الاولى تفيد حالة عامة والثانية تعني اختباراً خاصاً. وما
«فعل الحق» سوى رفع حياة الانسان الادبية والروحية الى مستوى النور
المعلن له. فلا فضل للانسان في فعل الحق لان العامل الاساسي في ذلك هو
الله، وما الانسان سوى اداة منفذة: «لتظهر اعماله انها بالله معمولة». ولا عذر

٢٢ وبعد هذا جاء يسوع وتلاميذه الى ارض اليهودية ومكث

المسيح في ارض اليهودية

٣: ٢٢ - ٣٦

قضى المسيح ايام الفصح في اورشليم ، فلم يقابل فيها من اليهود الا بالصدّة والجفاء . فكان جو تلك المدينة مظلماً لولا كوكب واحد كان يسطع في سمائه — نفي به نيقوديموس . وبعد هذه الزيارة الموجزة ، ترك المسيح عاصمة اليهود ، فجاء وتلاميذه الى ريف اليهودية « ومكث معهم هناك وكان يعمّد » ليعدّ الطريق لنفسه ، وليدّرب تلاميذه على الخدمة

ينقسم هذا الفصل الى ثلاثة اقسام رئيسية : أولاً : صورة تاريخية (٢٢: ٣ - ٢٦) . ثانياً : خطاب يوحنا المعمدان عن نفسه — « صديق العريس » — وموضوعه « أنا » (٢٧: ٣ - ٣٠) . ثالثاً : خطاب يوحنا المعمدان عن شخص المسيح — « العريس » — وموضوعه « هو » (٣١: ٣ - ٣٦)

عدد ٢٢ : أولاً : صورة تاريخية ٢٢: ٣ - ٢٦ : « وبعد هذا » — هذه كلمة تربط ما يأتي بما مضى . « جاء يسوع وتلاميذه الى ارض اليهودية » . اي الى خلاء اليهودية في الريف . « ومكث معهم هناك وكان يعمّد » — هذا دليل على انه اقام بعض الوقت هناك . ويُستنتج من مقابلة قوله : « وكان يعمّد » بما جاء في ٤: ٢ ، ان المسيح كان يجري المعمودية بواسطة تلاميذه . اي ان المسؤولية الادبية كانت ملقاة على المسيح لكن الممارسة المادية كان يقوم بها التلاميذ . فالمسيح هو الأمر والراسم ، والتلاميذ هم المنفذون .

معه هناك وكان يعمد . ٢٣ وكان يوحنا أيضاً يعمد في عين نون بقرب ساليم لانه كان هناك مياه كثيرة وكانوا يأتون ويعتمدون . ٢٤ لانه لم يكن يوحنا قد ألتى بعد في السجن . ٢٥ وحدثت مباحثة

كافي حادثة اشباع الآلاف ، كان المسيح العامل الرئيسي في المعجزة ، مع ان التوزيع تم على أيدي التلاميذ (١١: ٦)

ع ٢٣ و ٢٤ كلمة تاريخية . « وكان يوحنا » — المعمدان — « أيضاً يعمد في عين نون » — ومعناها : نبع الحمامة — « بقرب ساليم » وهما غالباً جزء من البقاع القديمة التي وقعت من نصيب سبط يهوذا (يشوع ١٥: ٣١ و ٣٢) . وكانتا معروفتين قديماً بـ « شلحيم وعين جنيم » فآلتا بالاستعمال اللفظي الى « ساليم وعين نون » . اما السبب في اتخاذ يوحنا تلك البقاع مقرأ لعمله فهو : « لانه كان هناك مياه كثيرة » — وواضح ان معمودية المعمدان كانت تُمارس بالتغطيس . الى الآن كان يوحنا متمتعاً بحريته . « لانه لم يكن يوحنا قد ألتى بعد في السجن » . هذه الاشارة التاريخية لها قيمتها الخاصة اذا نظرنا اليها في ضوء الكلمات الواردة في (مت ١٢: ٤ و ١٣ و ١٧ ؛ مرقس ١: ١٤) فهي تعين لنا بالضبط وقت ابتداء خدمة المسيح الجهرية . هذه حجة دامغة على اتفاق البشيرين

عدد ٢٥ . ثانياً : خطاب يوحنا المعمدان عن نفسه — صديق العريس — وموضوعه « انا » ٢٥: ٣ — ٣٠ (أ) الطرف الذي استرمى يوحنا بهذا الخطاب ٢٥: ٣ و ٢٦ . ان وجود المسيح و يوحنا المعمدان — احدهما على مقربة من الآخر ، وكلاهما يمارس عملاً واحداً — المعمودية ، قد اثار شيئاً من الجدل

من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير . ٢٦ فجاءوا الى يوحنا وقالوا له يا معلم هوذا الذي كان معك في عبر الاردن الذي أنت قد

والحوار بين تلاميذ يوحنا الحريصين على الدفاع عن كرامة سيدهم وخدمته ، وبين بعض اليهود «من جهة التطهير» . والمراد «بالتطهير» ، تلك الغسلات التي كان ينبغي على اليهود ان يمارسوها استعداداً لدخولهم الى ملكوت المسيح ، والمعمودية هي احد عناصر هذا التطهير . ولا يبعد ان هذا البعض من اليهود أظهروا أمام تلاميذ يوحنا تفضيلهم معمودية المسيح على معمودية سيدهم فكان من الطبيعي ان يلجأ تلاميذ المعمدان الى معلمهم ليهدي روعهم ، ويخبرهم بحقيقة الأمر

عدد ٢٦ (ب) استجوابهم للمعمدان . «فجاءوا الى يوحنا وقالوا له . يا معلم هذه كلمات جارحة تقطر مرارة وسمّاً — ما اشبهها بالحية ، لسعتها في ذنبها — «هوذا الذي أنت شهدت له هو يعمد والجميع يأتون اليه» — والنبرات واقعة على الكلمتين : «أنت» ، «وهو» . كأنهم قصدوا ان يقولوا له : «هذا جزاء شهادتك للمسيح يا يوحنا . لقد شهدت له ، فقضيت على نفسك . لقد بنيتك فهدمت نفسك . لذلك قد زاحمك في خدمتك الفذة الممتازة ، وزاد عليك باجتذاب الجميع اليه ، ومن بينهم بعض تلاميذك ، وأخصهم يوحنا» . هذه فرصة هيأها عدو الخير ليوقع فيها يوحنا في حباله ، وليثير في نفسه عوامل التمرّد والانتفاض على المسيح ، بحجة الدفاع عن النفس . لكن يوحنا العظيم اقتنص هذه الفرصة لارادته وافسد على عدو الخير مكيدته ، وفاد بكلمات

شهدت له هو يعمد والجميع يأتون اليه . ٢٧ أجاب يوحنا وقال
لا يقدر انسان ان يأخذ شيئاً ان لم

جلياة ، اعتبرتها الأجيال المثل الأعلى للعظمة الحقيقية . لان يوحنا ، في دفاعه
عن نفسه نسي نفسه . وأمام الشمس يخفي كل سراج مهما كان «موقداً
منيراً» . بهذه الكلمات ، وضع عدو الخير امام يوحنا حجر عثرة لكي يصطدم
به ، لكن يوحنا انتفع بهذا الحجر فاقام منه تمثالاً خالداً للعظمة الحقيقية

في كلام تلاميذ يوحنا مع معلمهم، برزت كلمتان، وهما : «انت»، «وهو»
فأمسك يوحنا المعمدان بهاتين الكلمتين ، وجعل أولاهما : «أنت» — وهي
على لسان يوحنا : «أنا» — موضوع الجزء الاول من حديثه (٢٧:٣ —
٣٠) . والثانية : «هو» — موضوع الجزء الثاني من حديثه ٣١:٣ — ٣٦

الجزء الاول من حديث يوحنا ٢٧:٣ — ٣٠ وموضوعه : «أنا» . تنطوي
هذه الكلمات على (أ) مبدأ عام ع ٢٧ (ب) تذكير ع ٢٨ (ج) استعارة
ع ٢٩ (د) تطبيق ع ٢٩ (هـ) اقرار ع ٣٠

عدد ٢٧. (أ) مبدأ عام : «لا يقدر انسان ان يأخذ...» مع ان هذا مبدأ
عام، الا انه ينطبق على يوحنا بنوع خاص . فهو بهذا المبدأ يقول لتلاميذه :
«ان الله مقسم الأنصبه. اما من جهتي فأنا قانع بنصيب الذي اعطانيه الله. ولن
يمكنني ان اسمو فوق رتبتي لأكون معادلاً للمسيح الذي له رتبة ممتازة لا
يدانيه فيها سواه. فهو المرسل وانا الرسول. هو العريس وانا صديق العريس :

يكن قد أعطي من السماء . ٢٨ أنتم أنفسكم تشهدون لي أني قلت
لست انا المسيح بل اني مرسل أمامه . ٢٩ من له العروس فهو
العريس . وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحاً

فالعروس له . والفرح لي . » ويجوز ان ينطبق هذا المبدأ على المسيح كفادٍ في
ناسوته . لان مقامه الممتاز لم يفتصبه لذاته اغتصاباً بل أعطيه من الآب

عدد ٢٨ . (ب) تذكير : « أنتم أنفسكم تشهدون . » . في هذا العدد
احلهم يوحنا على انفسهم ليكتشفوا لذواتهم حلاً لهذه المشكلة التي وقعوا فيها ،
واستشهدهم على شهادته السابقة : « تشهدون لي اني قلت » ، وذكرهم
بضمون هذه الشهادة : « اني لست انا المسيح بل اني مرسل امامه » . (انظر
شرح ٢٠: ١ و ٢٣ صفحة ٥١ و ٥٤)

عدد ٢٩ . (ج) استعارة : « من له العروس فهو العريس .. هذه استعارة
استقناها المعدادان من كتابات العهد القديم (هوشع ٢: ١٩ ؛ اشعيا ٦٢: ٥ ؛
مزمو ٤٥: ٩ و ١٤) ، للتعبير عن الصلة التي تربط المسيح بكنيسته ، وبها قرّر
نسبته الى المسيح — فالمسيح عريس والمعدادان صديق العريس ، الذي يُعرف
عند اليهود بـ « الشوشيين » . ومنها « الاشيين » الذي كان من عمله ان يهيئ
العروس للعريس « ويقف » منتظراً اياه ، وقفة الاستعداد والانتظار — « فيفرح
فرحاً من اجل صوت « العريس » عند قدومه ، ويسلمه العروس

(د) تطبيع : « اذا فرحي هذا قد كل » . عوضاً عن ان يغضب يوحنا
، يكتش . لمفته باذا الحمد ، بأنه ذال المسبح ، ناه نفسه فرحاً كاملاً .

من أجل صوت العريس . اذا فرحي هذا قد كمل . ٣٠ ينبغي أن
ذلك يزيد

لانه وجد في اقتبال الناس الى المسيح ، علامة على ان العروس قد هئنت
لعريسها ، . ان عمله كصديق العريس قد كمل بتسليم العروس لعريسها . اذا
قد تكللت جهوده بالنجاح ، وكمل فرحه ، بتسليمه تلاميذه الى المسيح

عدد ٣٠ . (هـ) اقرار : « ينبغي ان ذاك يزيد واني انا انقص » . هنا بلغ
يوحنا ذروة التضحية الشريفة . هذا هو الفناء بعينه . بل هذه هي المحبة في
اسمى مراتبها — ان يفنى المُحب في شخص مَنْ أحب . يستفاد من كلمة
« ينبغي » ان يوحنا كان ينظر الى نقصانه هو وازدياد ذاك ، نظرتة الى نتيجة
حتمية لناموس طبيعي ثابت . وهو أيضاً يعبر عن رغبة طبيعية تجيش في
قلبه ، طوعاً وحباً . ولقد ثمت هذه الحقيقة باكثر مما ظن يوحنا . لانه بعد قليل
سُجن ، وقُطعت رأسه في السجن ، واُخفى نسياً منسياً ، في وقت كان فيه اسم
المسيح ، يزداد ذيوماً ورفعة

لا تنطبق هذه الكلمة على يوحنا وحده ، لكنها تتناول ايضاً نظام العهد
القديم الذي كان ممثلاً في يوحنا . ففي ذلك الوقت بدأ ظل اليهودية الطقسية
يتقلص تدريجاً ويطوى ، ليعطي مجالاً لنور المسيحية الذي بدأ يُفسر في
الارحاء

هذا اقرار مجيد يجب ان يكون شعار كل خادم ، بل كل مؤمن . فينبغي
ان تفنى الذات تدريجياً ، ويمتلئ القلب بالمسيح ، الى ان يصير المسيح الكل

وأني أنا أتقص . ٣١ الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع . والذي من الارض هو أرضي ومن الارض يتكلم . الذي يأتي من السماء

في الكل . في بدء حياة الانسان يكون شعاره : « انا ، لا المسيح » ، وعند ايمانه يصير شعاره : « انا ، والمسيح » . واذ يتقدم في النعمة يصبح شعاره : « المسيح ، وانا » . واذ يتكلم في النعمة يتجدد شعاره فيصير : « المسيح ، لا انا » في هذا العدد جزءان — ما اشبههما بالعينين الباصرتين . باحدهما : « ينبغي ان ذاك يزيد » ، ينظر الى ما يأتي من الكلام (٣: ٣١ — ٣٦) ، وبالثانية : « واتي انا اتقص » ، ينظر الى ما مرّ من الكلام (٣: ٢٧ — ٣٠)

الجزء الثاني من خطاب المعمدان — وموضوعه : « هو » . ٣١ — ٣٦ . في هذا الجزء يذكر يوحنا سمو العريس في : (أ) علو اصله (ع ٣١) . (ب) كمال تعاليمه (ع ٣٢ — ٣٤) . (ج) رفعة بنوه (ع ٣٥) . ثم ينتهي الحديث بمبدأ عام في ع ٣٦ كما استهله بمبدأ عام في ع ٢٧

عدد ٣١ . (أ) العريس في علو اصله : « الذي يأتي من فوق .. » اراد يوحنا : « الجميع » كل الانبياء بما فيهم شخصه . والعبارة : « من الارض » ومشتقاتها ، وردت ثلاث مرات في هذا العدد . في المرة الاولى ، تشير الى اصل الانسان : « من الارض » . وفي الثانية تعني طبيعة الانسان : « أرضي » — اي ترابي . وفي المرة الثالثة تصف مصدر التعليم « من الارض يتكلم » . واما السمويات فقد أعطى للمسيح وحده ان يتكلم بها ع ١٣ . بعد ان تكلم المجدان عن « الحمد » — الارضيين ، عاد الى الشخص ، السماوي ، المحب الذي هو موضوع

هو فوق الجميع . ٣٢ وما رآه وسمعه به يشهد وشهادته ليس أحد يقبلها . ٣٣ ومن قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق . ٣٤ لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله . لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح .

كلامه : «الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع» — في الاصل وفي الرتبة عدد ٣٢-٣٤ (ب) الصري في كمال تعليمه ٣: ٣٢-٣٥ . ان تعاليم المسيح كاملة ، لأنها مستمدة من كنز قلبه . «ما رآه وما سمعه» . ولا شيء أدلّ على ان اليهود من الارض ، أكثر من كونهم لم يقبلوا هذه الشهادة السماوية : «وشهادته ليس أحد يقبلها» — هذا صدى صوت المسيح في ع ١١ ولئن سلم يوحنا بان افراداً قبلوا المسيح لكنه يقصد اليهود كمجموع سيماء أعضاء مجمع السندريم . واما كل «من قبل شهادته فقد ختم بان الله صادق» . لأن الايمان هو تصديق كلام الله . ولعل الكلام هنا ينطوي على اشارة ضمنية الى ختم الشهادة التي نطق بها الآب عن المسيح عند المعمودية فما اجلّ المقام الذي رفع اليه المؤمن اذ يُعطى حق ختم شهادة الله واعتمادها . ومن المحتمل ان يكون معنى هذه الكلمات ، ان الذي يقبل المسيح يجد فيه ختماً لكل النبوات والوعايد

ان تعاليم المسيح ذات قيمة جليلة ممتازة لان المتكلم بها ممتلئ بروح الله . « ليس بكيل يعطي الله الروح » . ان اولئك الجميع تكلموا بكلام الله ولهم نصيب من روح الله ، لكن المسيح وحده قد «سُرّ» ان يحلّ فيه كل الملء . « فان أخذ غيره نصيباً من الروح بكيل ، الا ان نصيب المسيح من الروح ، نصيب

٣٥ الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده . ٣٦ الذي يؤمن
بالابن له حياة أبدية

غير محدود . لان الروح القدس هو روح المسيح نفسه

عدد ٣٥ (ج) العريس في رفعة بنوته : « الآب يحب الابن . وقد دفع كل شيء في يده » . هذا الكلام يعلل الحقيقة السابقة . فالروح أعطي للمسيح بدون كيل ، لانه ابن الله ، وبحق بنوته قد دفع ليده كل شيء . والعلة الاساسية لكل هذا هي محبة الآب للابن وهي في الوقت نفسه علة طبيعية فلا يمكن للآب الا ان يحب الابن . ولا يمكن لمن يحب الابن الا ان يدفع ليده كل شيء . اذا كانت الآب في محبته للعالم حتى بذل ابنه ، فليس بمعجيب انه اذا احب الابن ، دفع كل شيء في يده . هذا صدى صوت الاعلان الذي سمعه المعمدان وقت المعمودية المسيح : « هذا هو ابني الحبيب »

رأينا في العدد السابق ان الروح أعطي للمسيح ، وفي هذا العدد نرى ان كل شيء أعطي للمسيح . بالروح يملك المسيح في قلوب المؤمنين . لكنه ليس ملك المؤمنين فحسب . بل هو ملك على الجميع . « وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء »

عدد ٣٦ مبدأ عام : « الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية . والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله » ع ٣٦ . ما اشبه هذا العدد باليوم الكامل — نصفه نهار : « الذي يؤمن . . » ونصفه الآخر ليل :

والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله

«والذي لا يؤمن...». الجزء الأول منه يذكرنا بخدمة المسيح — حياة في حياة والجزء الثاني هو صدى آخر صوت في العهد القديم. انه يذكرنا بما جاء في ملاخي «لثلا آتي واضرب الارض بلعن» (٦: ٤). هذا دليل آخر على ان هذه كلمات المعمدان، آخر انبياء العهد القديم. بل هذه آخر كلمة نسمعها من المعمدان في هذه البشارة

ان القول: «غضب الله» لا يفيد غيظ الله تعالى، وحنقه، بل يعني حجب وجه الله عن الخطاة، وتقاضيه عنهم، فتخلو حياتهم من بركته تعالى وجدير بنا ان نذكر في خاتمة هذا الاصحاح ان وعد الايمان بالمسيح، وعد حاضر وبركاته حاضرة: «له حياة» — في الحال اولاً ثم في الاستقبال. لكن وعيد عدم الايمان محفوظ الى قتام ذلك اليوم الذي يحلّ بالفجار: «يمكث عليه غضب الله» فالغضب موجود لكنه محفوظ لينصبّ في حينه

هل يقوى الانسان على ان يعيش باستمرار تحت ظل سحابة، فيحرم نفسه من نور الشمس ويقضي ايامه في البؤس والكآبة. فكيف اذاً حال من يعيش تحت غضب الله؟! ان السماء وحدها تعلم مقدار بؤس مثل هذه النفس ففي اي جانب انت يا نفسي؟؟!!

الموقف: «الذي يؤمن بالابن» «الذي لا يؤمن بالابن»
الجزء: «له حياة» «لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله»

الاصحاح الرابع

١ فلما علم الرب

المسيح في السامرة ١:٤-٤٢

هذا اصحاح عجيب ، لانه يرينا المسيح العجيب ، الجامع لغرائب الصفات . فهو الطالب الواهب ، المتعب والقدير ، العطشان والمروي . هو مسيح اليهود ، ومسيح السامريين ، لانه مسيح العالم بل مسيح الله . ينتقل بنا هذا الاصحاح ، من بيثة يهودية ، الى بيثة سامرية . في البيثة الاولى سمعنا المسيح يتحدث الى رجل فرّيسي . وفي البيثة الثانية نصغي اليه وهو يتحدث الى امرأة سامرية . وشتان بين الشخصيتين : في الحالة الاولى نرى رجلاً يتكلم مع المسيح في ظلمة الليل ، وفي الثانية نشاهد امرأة تتكلم مع المسيح في وضوح النهار . اما الرجل . فقد ارانا الوحي من هو ، وما هو . واما المرأة فقد علمنا الوحي ما هي وأخفى عنا مَنْ هي ^(١) . كان الرجل طاهراً في سيرته ، وكانت تحيط بالمرأة ظلمات الشبهات . كان ضعف الرجل في قوته ، وكانت قوة المرأة في ضعفها . كلاهما آمن بالمسيح . لكن ايمان الرجل ظلّ غير ناضج حتى صُلب المسيح . واما ايمان المرأة فقد نما حالاً ونضجاً ، وأتى بثمر كثير في وقت قصير . ولا عجب ، فالاشجار التي تنبت في الليل ، وتثمر في الظلال ، تظل عقيمة — كذلك كان نيقوديموس الذي جاء الى يسوع ليلاً .

(١) نقول ، بعض التقليدات القديمة ان اسم المرأة « فمينا »

أن الفريسيين

لكن الاشجار التي تنبت في ضوء النهار، وتثمر مشبعة بأشعة الشمس، تجود بكثير من الثمر — كذلك كانت المرأة السامرية التي كانت تنكح المسيح في الساعة السادسة. كان الرجل شريفاً ورئيساً بين قومه، لذلك كانت معوبته عقلية، فوجه المسيح كلامه الى بصيرته. وكانت المرأة من سقط المتاع، لذلك كانت معوبتها قلبية، فصوّب المسيح كلامه الى ضميرها. كان الرجل في حاجة الى نور. وكانت المرأة في عوز الى نار التطهير. ومن العجب ان موضوع حديث المسيح مع كليهما يكاد يكون واحداً — « الماء ». فكم نيقوديموس عن الميلاد بالماء والروح، وكلم السامرية عن ماء عطية الله.

هذا اصحاح مطبوع بطابع التدرّج الذي امتازت به كل البشارة. واليك الدرجات التي ارتقى عليها ايمان السامرية بالمسيح: فمن اعتقادها بانه مجرد شخص يهودي عدد ٩، الى قولها له « يا سيد » عدد ١١، الى تصريحها بانه « نبي » عدد ١٩، الى ايمانها بانه هو المسيح عدد ٢٩. وهما هي الادوار التي تدرّج اليها ايمان السامريين: فمن الايمان السماعي بكلام المرأة عدد ٢٩. الى الايمان الاختباري بكلامه الشخصي عدد ٤٢. وهاك الادوار التي نما اليها ايمان خادم الملك: فمن الايمان السماعي المبني على كلام الغير عدد ٤٧، الى الايمان النظري المؤسس على كلام المسيح نفسه عدد ٥٠، الى الايمان العملي الموطن على قدرة المسيح عدد ٥٣. يقع هذا الفصل في ثلاثة اقسام رئيسية: —

اولاً: يسوع والمرأة السامرية ١:٤ — ٢٦ ثانياً: يسوع والتلاميذ

٢٧:٤ — ٣٨ ثالثاً: يسوع والسامريون ٣٩:٤ — ٤٢

سمعوا أن يسوع يصير ويعمد تلاميذ أكثر من يوحنا.

أولاً : المسيح والمرأة السامية ١:٤-٢٦ . يقع هذا الفصل في قسمين : (١) مقدمة تاريخية ١:٤-٦ (ب) الادوار التي امتازها حديث المسيح مع السامية ٧:٤-٢٦

عدد ١ . (١) مقدمة تاريخية ١:٤-٦ . « فلما علم الرب ان الفريسيين سمعوا ان يسوع » - « الرب يسوع » كلمتان متباعدتان تصفان شخصاً واحداً « الرب . . يسوع » ، الأولى تصفه في كمال لاهوته . والثانية تصفه في كمال ناسوته . الأولى تصفه في نظر يوحنا البشير والكنيسة . والثانية تصفه في نظر الفريسيين . « لما علم .. ترك اليهودية » - ان في انتقال الرب ، في هذا الظرف ، من اليهودية الى الجليل ، دلالة على تضحية جليلة وحكمة بالغة . اما التضحية ، فلأنه لم يرد ان يطيل المكوث على مقربة من يوحنا المعمدان ليوسع المجال لخدمته ، مخافة ان تتضاءل امام خدمة الفادي . واما الحكمة ، فلأنه علم ان خدمة المعمدان ، لم تكن سوى خدمة اعدادية - فهي اشبه الاشياء بخدمة « القوَّاص » الذي يعدّ الطريق امام الملك (اشعيا ٤٠) . فترك هذه الخدمة الاعدادية لمن وُضعت له ، ووُضع لها ، وتقدّم هو ليمارس عمل مسيّا فداًني ، وليمسك بصولجان الملك ، الذي كان مقبضه يتلف الى يمناه . والظاهر انه وُجدت ثلاث درجات في رسم المعمودية - معمودية يوحنا المعمدان . وهي خدمة اعدادية للعصر المسيحي . والمعمودية التي قام بها المسيح في بدء خدمته على ايدي تلاميذه . والمعمودية التي رسمها المسيح بعد قيامته

٢ مع أن يسوع نفسه لم يكن يعمد بل تلاميذه . ٣ ترك اليهودية
ومضى أيضاً الى الجليل . ٤ وكان لا بد له أن يجتاز السامرة . ٥ فأتى
الى مدينة من السامرة يقال لها سوخار

عدد ٢ . كلمة تفسيرية . هنا نجد دفعا لفرية كانت قد انتشرت وقتئذ بان
يسوع كان يعمد ، فيبين البشير ان يسوع نفسه لم يكن يعمد ، بل تلاميذه
عدد ٣ . المسيح بترك اليهود قاصداً الجليل لاجل الاسباب آتفة الذكر ،
وربما لاجل غيرها ايضاً ، « ترك المسيح اليهودية ، ومضى ايضاً - اي مرة
اخرى - الى الجليل » . ولما كانت السامرة واقعة بين اليهودية والجليل ، « كان
لا بد له ان يجتاز السامرة »

عدد ٤ . ضرورة مروره بالسامرة . يؤيد هذا قول يوسفوس في تاريخه
- الجزء السادس : جرت عادة الجليليين ان يجتازوا السامرة في طريق
حجّهم الى اورشليم في الاعياد . هذه اذاً ضرورة جغرافية ظاهرة وربما كانت
تستر وراءها التزاماً ادبياً . روحياً ، لان سوخار كانت مهياة للحصاد فكان
لا بد للمسيح ان يذهب اليها ليجمع « الخراف الأخر التي ليست من حظيرة
اليهود » (١٦: ١٠) . ولولا هذا الالتزام الأدبي ، لكان في امكان المسيح ان
يتفادى هذه الصعوبة فيذهب الى الجليل سالكاً الطريق الواقع على الضفة
الشرقية لنهر الاردن

عدد ٥ . بلوغه موغمار . اما السكة السلطانية التي كانت تمر فيها القافلة
فكانت تمر بمدينة من السامرة يقال لها : « سوخار » . ويقول يوسابيوس ،

بقرب الضيعة التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه . ٦ وكانت هناك
بئر يعقوب . فاذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على

احد الآباء المحققين ان سوخار هذه واقعة تجاه « نيابوليس » — ومعناها المدينة
الجديدة — التي هي شكيم ، موضع نابلس الحالية . وقد ورد ذكرها مراراً
في التلمود . ويُظن ان « خربة عسكر » الحالية هي سوخار القديمة . « بقرب
الضيعة » — اي شكيم « التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه » (تك ٤٨: ٢٢)

عدد ٦ . هـوسه عند بئر يعقوب . كان على الطريق السلطاني الذي سلكه
المسيح وتلاميذه في الوادي بين جبلي عيمال وجرزيم وجنوبي مدينة شكيم
— التي هي نابلس الحالية — بئر يعقوب . وهي ليست منقورة في صخر بل
مبنية في اديم الارض ، يبلغ قطرها نحو ثلاثة أمتار . وكان عمقها سنة ١٦٩٤
نحو ٤٥ متراً ، ورُدِم منها على ممر السنين جزء ليس بقليل . وفي عام ١٨٤٣
كان عمقها نحو ٢٢ متراً . واليوم موضوع عليها كثير من الاحجار . ويقال
ان يعقوب هو الذي حفرها بقرب الضيعة التي وهبها ليوسف ابنه . ليكون له
منها مورد للماء مستقلاً عن الينابيع الاخرى التابعة للسامريين . والمعروف ان
مياه تلك العين مستمدة رأساً من عين الارض ، وهي صافية ، منعشة

كان يسوع قد تعب من السفر فجلس « هكذا » — اي كيفما اتفق ، على
البناء المحيط بالبئر ، المعروف « بخربة البئر » . وكان التلاميذ وقتئذ قد ذهبوا
الى سوخار ليبتاعوا طعاماً له ولهم . وكانت الساعة السادسة . غالباً كان يستعمل
يوحنا البشير ، التوقيت الافرنكي الشائع في اسيا الصغرى وقتئذ . وبما ان

البئر . وكان نحو الساعة السادسة . ٧ فجاءت امرأة

الساعة السادسة تبتدى عادة من الساعة ٥ فيكون الوقت نحو الساعة ٥ بعد الظهر (انظر يوحنا ١٩: ١٤) ويظن بعض المفسرين انها الساعة السادسة صباحاً . وآخرون ان الوقت كان ظهراً

ما اعجب الحب السني الذي أحبنا به المسيح اذ رضي ان يتسر بل طبيعتنا ، فتعب وهو رب القوات ، ومع انه اشبع غيره بمعجزة لكنه لم ياتجىء الى معجزة ليشبع نفسه وتلاميذه

(ب) حديث المسيح مع المرأة السامرية ٤: ٧ - ٢٦

عدد ٧ . مجىء السامرية الى البئر . اذ كان يسوع قد تعب . . . جلس هكذا على البئر . . . فجاءت امرأة . . . لتستقي ماء . ما اعظم الدقة التي رُتبت بها اعمال العناية ! امامنا الآن حادثتان صغيرتان لا يرى العقل الطبيعي صلة بينهما - شخص تعب من السفر ، فجلس ليستريح . وامرأة ذهبت الى بئر لتستقي ماء . لكن الفكر الالهي قرن هاتين الحادثتين معاً وأوجد منهما حادثاً جليلاً ، فخلص نفساً هالكة واتخذ بلاداً بأسرها . فما اثنى فتات الوقت المتساقط عند قدمي المسيح . فمن كل لحظة ذاهبة يقتنص فرصة من ذهب ، لان راحته في خدمته ، وخدمته في راحته

فلنتقدم الآن لندرس حديث المسيح مع السامرية . لقد اتخذ هذا الحديث سبعة ادوار متتابعة . ما اشبهها بدرجات سلم ، صعدت عليها السامرية من الارض الى السماء . في الدرجة الاولى نرى السامرية الساقطة ، وفي الدرجة

من السامرة لتستقي ماء .

الاخيرة نراها سيدة شريفة مؤمنة بالمسيح . وفي الدرجة الاولى ترى المسيح في حال اتضاعه متعباً في حاجة الى جرعة ماء . وفي الدرجة الاخيرة نراه معلناً نفسه انه مسيح الله الذي جاء مخلصاً لجميع العالم

(١) في الدرجة الاولى (٧:٤ — ٩) ، خاطب المسيح السامرة موجهاً الكلام الى انسانيته بقوله لها : « أعطيني لأشرب » . (ب) في الدرجة الثانية (١٠:٤ — ١٢) وجه المسيح كلامه الى غريزتها المتشوقة الى الاستطلاع بقوله لها : « لو كنت تعلمين » . (ج) في الدرجة الثالثة (١٣:٤ — ١٥) صوّب الكلام الى حاجتها الطبيعية للارتواء والراحة بقوله لها : « كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً ولكن من يشرب من الماء الذي اعطيه انا فلن يعطش » . (د) في الدرجة الرابعة (١٦:٤ و ١٧) (١) خاطب المسيح ضميرها رأساً بقوله لها : « اذهبي وادعي زوجك وتعالى الى هنا » . (هـ) في الدرجة الخامسة (١٧:٤ (ب) — ٢٠) بدأ قلب المرأة يتفتح ويفيض بالاعتراف بخطاياها فكان خطاب المسيح متجهاً الى غريزتها الدينية . (و) في الدرجة السادسة (٢١:٤ — ٢٤) اعترفت المرأة اعترافاً ايجابياً بان المسيح نبي ، فكان كلامه مثيراً فيها عوامل الرجاء ، وموجهاً الكلام الى ارادتها . (ز) في الدرجة السابعة (٢٥:٤ و ٢٦) كادت المرأة تعترف بان يسوع هو المسيح فصرّحت بايمان نصفيّ او شبه تصريح ، فكان كلام المسيح موطئاً ايمانها . فآمنت وتركت جرتها . وما الداعي لها ان تحمل جرّة الماء الذي كل من شرب منه يعطش بعد ان دخل ماء الحياة الى قلبها ؟ !

فقال لها يسوع

(١) الدرجة الاولى في حديث المسيح مع السامرية (٤:٧-٩). يتضمن هذا الدور من الحديث : (١) كلام المسيح عدد ٧ . (٢) جواب السامرية عدد ٩ (١) . وكلمتين تفسيريتين : ذكرت احدهما بعد كلام المسيح ، عدد ٨ ، والثانية بعد كلام المرأة عدد ٩ (ب)

عدد ٧ (١) كلام المسيح « فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماء . فقال لها يسوع أعطيني لأشرب » . هذا كلام وجهه المسيح الى انسانية تلك المرأة التي بحكم رقة طبيعتها تعطف على العطشان الذي يطلب الماء . كان المسيح عطشان حقاً . وقد كان في مكانه ان يصنع معجزة ليستغني بها عن الالتجاء الى هذه المرأة الساقطة الغريبة الجنس ، لولا انه كان يرمي الى غرض اشرف واسمى من ارواء عطش جسده ، وهو ارواء عطش نفسه التواقة الى خلاص النفوس (عدد ٣٢ و ٣٤) ، والى ارواء نفس تلك المرأة العطشى التي لم تجد رياً في تربة الحياة للمقفرة . طلب منها ماء ، ليعطيها ماءً أفضل . ولقرط اتضاعه اتخذ موقف المحتاج ، ليعلم لها انه المعطي السخي . فأتخذ اتضاعه وسيلة لرفعتنا . على ان المسيح ، بطلبه هذا ، لم يقصد ان يثير عطفها عليه ، بقدر ما قصد ان يشعرها بعطفه عليها . اما تاريخ السامريين فانه يرجع الى سنة ٧٢٠ قبل الميلاد ، حينما صعد « شلمنصر ملك اشور الى السامرة وحاصرها وسبي اسرائيل الى اشور ، واتى بقوم من بابل ، وكوث ، وعوا ، وحماة ، وسفروايم ، واسكنهم مدن السامرة عوضاً عن بني اسرائيل » . « فكانوا يثقون الرب ويعبدون تماثيلهم » (٢ مل ١٧) . وهكذا نشأ السامريون خليطاً في

أعطيني لأشرب

جنسيتهم وفي عبادتهم . وفي عام ٥٣٦ قبل الميلاد ، حاولوا ان يتعاونوا مع بني اسرائيل الراجعين من السبي ويتركوا معهم في اعادة بناء الهيكل ، فرفض الإسرائيليون ان يتعاونوا معهم (عزرا ٤: ٣٠) . ومنذ ذلك الوقت ، استحكمت بينهم حلقات العداء . فاقام السامريون لأنفسهم هيكلاً على جبل جرزيم ، مقابل هيكل اليهود في اورشليم . وصاروا يعذبون ويقتلون كثيرين من اليهود الذين يمرون بتخومهم . ويقول يوسفوس في تاريخه انه اثناء الفصح اليهودي في العام السادس قبل الميلاد ، وكان هيكل اليهود مفتوحاً في الليل ، دخل السامريون الى الهيكل خلصة ودنسوه بان ألقوا فيه عظاماً بشرية . فكانت هذه الحادثة اشبه الاشياء بزيت صُبَّ على نار الحقد القديم . وان عملاً شنيعاً كهذا ، لا يضارعه سوى تحقير اليهود للسامريين . ويقول ابن سيراخ : « امتان لا تطيقهما نفسي والثالثة ليست بأمة . يهود يجلسون على جبل السامرة ، والفلسطينيون ، وذاك الشعب الغبي الساكن في شكيم (السامرة) » . وكان اليهودي الصميم يستنكف من ان ينجس شفثيه بالنطق بكلمة « سامري » . وكان يحسب طعام السامريين نجساً كلحم الخنزير

كان كل هذا العداء مستحكماً على رغم كون السامريين واليهود متفقين في امور كثيرة — فمن حفظ توراة موسى ، الى تقديس السبت ، الى ممارسة الختان كفريضة مقدسة ، الى حفظ الاعياد . وكان كلُّ منهما يعتقد في نفسه انه نسل يعقوب . فاليهود يسمون انفسهم «اسرائيليين» ، والسامريون يلقبون انفسهم بـ «اليعقوبيين» او اليعاقبة — ويعقوب هو هو اسرائيل

٨ لان تلاميذه كانوا قد مضوا الى المدينة ليبتاعوا طعاماً . ٩ فقالت له المرأة السامرية كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية . لأن اليهود لا يعاملون السامريين . ١٠ أجاب يسوع وقال لها

عدد ٨ . كلمة تاريخية معترضة : « لان تلاميذه كانوا قد مضوا الى المدينة ليبتاعوا طعاماً »

عدد ٩ (٢) جواب السامية : « كيف تطلب مني . . » اجابت المرأة بتعجب يمازجه أمل ضعيف بانتظار شيء جديد ، لا تدري ما هو . ولعلها فاهت بجوابها وهي تقدم له الماء ليشرب . وفي الغالب عرفت انه يهودي ، من لباسه ، او من لهجة كلامه او من كليهما معاً . لان الكلمة « أشرب » بالارامي هي « شحت » فيلفظ اليهود الحرف الاول منها « شيناً » ، ويلفظه السامريون « سيناً »

هذا كان جوابها وهي في جهلها . ولو علمت لقالت له : « كيف تطلب مني لتشرب وانت خالق البحار ، وما انا سوى ذرة غبار متطايرة على شاطئ بحر الخليقة

(ب) الدرجة الثانية في الحديث (١٠: ٤-١٢) . (١) كلام المسيح

عاد ١٠ (٢) جواب المرأة عدد ١١ و ١٢

عدد ١٠ . (١) كلام المسيح . في هذا الدور ، تقدم حديث المسيح مع السامرية خطوة اخرى . اذ قصد القادي ان يثير فيها عوامل الاهتمام ، بقوله لها :

لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب
لطلبت أنت منه فأعطاك ماءً حياً. ١١ قالت له المرأة ياسيد لا دلو لك

« لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذي يقول لك » ، وأيقظ فيها غريزة
حب الاستطلاع ، لتعرف « عطية الله » ، ومن هو الذي يقول لها :
« أعطيني لأشرب » . اما عطية الله فهي كل بركات الانجيل الموهوبة لنا في
المسيح ، ومعه ، ويجوز ان تكون العبارة الثانية : « ومن هو الذي يقول لك » ،
تفسيرية لقوله : « عطية الله » . فيكون المسيح هو نفسه عطية الله (٢ كور ٩ : ١٥)
على انه ليس في امكان المرأة ان تعرف عطية الله ، ولا من هو المسيح ،
الا اذا عرفت نفسها ، فادركت وشعرت انها عطشى . لذلك اراد المسيح ان
يرفع المرأة من المستوى المادي الذي كانت ترى نفسها فيه ومما جرتها ، والمسيح
واقف عطشان أمامها ، وان ينقلها الى المستوى الروحي الحقيقي الذي ترى فيه
نفسها بائسة عطشى وهي واقفة امام المسيح المروي جميع العطاش

« الماء الحي » يطلق على مياه الينابيع المتجددة ، الفيضة (تك ٢٦ : ١٩)
ويشير به المسيح الى عطية الروح القدس . فهو حي ومحيي . وبمقابلة هذا
القول بما جاء في ٥ : ٣ ، يتضح لنا ان ملتقى كلام المسيح مع نيقوديموس
بكلامه مع السامرية — هو الحياة الروحية الجديدة

عدد ١٢ و ١١ (٢) هراب السامية ٤ : ١١ و ١٢ . من العجيب انه لا فرق
بين عقلية الناموسي المتعلم وبين عقلية السامرية الساذجة ، امام الحقائق الروحية
السامية . فهي جديدة على كليهما . فكما غاب عن نيقوديموس ان يعرف

والبئر عميقة. فمن أين لك الماء الحي. ١٢ أملك أعظم من أيننا يعقوب الذي أعطانا البئر وشرب منها هو وبنوه ومواشيهم.

القصل من كلام المسيح عن الولادة الروحية فظن أن المسيح يتكلم عن الولادة الجسدية، واحتجّ بالقول: «كيف يمكن؟»، كذلك قالت السامرية أن تفهم مراد المسيح من كلامه عن الماء الحي، فحسبته يتكلم عن مياه الينابيع (تلك ١٩: ٢٦) واحتجّت بالقول: «من أين؟». وكما اردف نيقوديموس جوابه بقوله «ألع» كذلك قالت السامرية أيضاً: «العل». فأمام المعلم السماوي يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون العلوم الأرضية

مسكين الانسان ما اجهله. فلقرط جهل السامرية، غاب عنها ان المسيح كان مقدماً لها ما طلبه منها. فقد تمثلت المسيح واقعاً عطشان أمام البئر ولا دلو معه، وقد سهي عليها انها انما تصف نفسها وهي لا تدري. فهي الواقعة عطشى امام نهر الحياة ودلو الايمان ليس معها

ان تعجب السامرية من كلام المسيح، رافقه اعجابها ببئر يعقوب. فهي فخورة بشرف حسبها ونسبها. «أملك أعظم..» - نطقت بهذه الكلمات، وكل الاصوات من حولها تناديا «هوذا أعظم من يعقوب ههنا»

من المؤسف ان تلك المرأة كانت حريصة على شرف جنسها، وقد فاتها ان تهتم بشرفها الخاص

(ج) الدرجة الثالثة في الحديث (٤: ١٣-١٥). (١) كلام المسيح ٤:

١٣ و ١٤ (٢) جواب المرأة ٤: ١٥

١٣ أجاب يسوع وقال لها . كل من يشرب من هذا الماء يعطش
أيضاً . ١٤ ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش
الى الابد . بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى حياة
أبدية . ١٥ قالت له المرأة

عدد ١٣ . (١) كرم المسيح ٤: ١٣ و ١٤ . لم يوضح المسيح للمرأة
ماهية العطية الالهية بل حدثها عن مزايا الماء الحي بمقابلته بماء بئر يعقوب ،
فيتن لها ان مياه بئر يعقوب — ككل مياه أرضية — لا تروي الا لتعطش .
لانها أرضية وقتية . كذلك تأثيرها ارضي وقتي مثلها . اما الذي يعطيه هو فله
ثلاث مزايا : الاولى : انه ماء مروي : « من يشرب من الماء الذي اعطيه انا فلن
يعطش الى الابد » عدد ١٤ . والثانية : انه ماء فياض . اي ان الذي يشرب
منه لا يرتوي وكفى ، بل يكون مروياً لغيره . « بل الماء الذي اعطيه انا يصير فيه
ينبوع ماء ينبع الى حياة أبدية » . الكلمة « ينبع فيه » تصف نبع ماء الحياة
الروحانية ، ينبع داخل النفس بخلاف مياه بئر يعقوب المنقورة خارج سوخار ،
وبعيداً عنها فيضطر الانسان ان ينتقل اليها . والثالثة : انه ماء موسوم بطابع
الخلود : « الى حياة أبدية » . فالحياة الابدية مبهجة كما انها خالدة . ان خير
مفسر لكلمات المسيح هنا ، هو ما فاه به في ٧: ٣٧ و ٣٨

عدد ١٥ . (٢) جواب المرأة : « قالت له المرأة . . » نزلت كلمات المسيح
على قلب تلك المرأة ، نزول الندى على كؤوس الورود التي لفحتها شمس
الصيف ، فأنعشتها ، وأحيت فيها موات الرجاء . فتهفت من عمق نفسها ببهجة

يا سيد أعطني هذا الماء لكي لا أعطش ولا آتي الى هنا لأستقي .
١٦ قال لها يسوع اذهبي وادعي زوجك

تمازجها هيبة قائلة « يا سيد » . ان تعجبها الماضي قد تطور الآن تشوقاً .
وبدلاً من تمسكها بموقفها كمعطية، تنازلت، بل تشرفت ان تتخذ من المسيح
موقف السائلة : « أعطني هذا الماء »

كانت تلك السامرية تشكو امرين — اولهما : العطش : « لكي لا
أعطش » . وثانيهما : التعب : « ولا آتي الى هنا لأستقي » . كأنها كانت
بكلامها هذا معبرة عن اشواق البشرية المتعطشة والمتعبة في برية هذا الوجود .
لان ما يقدمه العالم للنفس من تمتع ، انما هو خارج عنها . فالخير كل الخير في
اعماق نفوسنا لو كنّا فاهمين

(د) الدرجة الرابعة ١٦: ٤ و ١٧ (١) كلام المسيح عدد ١٦ (٢) جواب
المرأة عدد ١٧ (١)

عدد ١٦ (١) كلام المسيح ١٦: ٤ . الى هنا كان كلام المسيح مع
السامرية متخذاً اتجاهاً عاماً . والآن نراه ينتقل من التعميم الى التخصيص .
قبلاً رأيناه معلماً ومبشراً ، والآن نراه طبيباً واضعاً اصبعه على موضوع الداء .
قبلاً كان يخاطب غرائزها وعقلها ، والآن نراه مصوباً الكلام الى ضميرها :
« اذهبي وادعي زوجك . وتعالى الى هنا » . لم يقصد المسيح ان يخرجها ، إذ أن
كلماته نتيجة طبيعية لجوابها السابق « لكي لا آتي الى هنا لأستقي » ، كأنها

وتعالى الى ههنا . ١٧ أجابت المرأة وقالت ليس لي زوج . قال لها
يسوع حسناً قلت ليس لي زوج .

كانت تستقي لنفسها ولأهل بيتها . وإذا كان في كلام المسيح جرح لها ،
فهو من الجروح الامينة ، لانه جرح شافٍ

ان العقبة الكؤود التي تحول دون اقتبال الكثيرين الى الله، ليست في
عقولهم ، بل في قلوبهم . وان علة شكوك الاكثرين ليست عقلية بل اخلاقية .
فكان من الضروري ان يخاطب المسيح ضميرها لانه من المحال ان يعلن لها
الحق كما هو، الا متى كانت في استعداد لقبوله . ومن المحال ان تقبله ما لم تصلح
كل خلل في حياتها . ولا شك انها تعجبت ، وفزعت ، وانكششت من هذا الكلام

عدد ١٧ . (٢) جواب المرأة : « أجابت وقالت . ليس لي زوج » . من
يستطيع ان يحلل العوامل النفسية المتباينة والمتنازعة التي كانت تزدهم في
قلب السامرية عند ما اجابت بالقول : « ليس لي زوج » ؟ هل شعرت بنخسة
في ضميرها اذ رسم تاريخها امام عينيها في لحظة من الزمان فنطقت بهذه
الكلمات بتغمة الحزن والأسى ؟ ام خالجا الشك في مقدرة هذا النبي الجديد
الذي فاته ان يعرف دقائق حياتها الخفية فقصدت ان تصحح خطأه المزعوم في
ظنه أن لها زوجاً ؟ ام رأت نفسها امام طبيب النفوس والأرواح ، فقصدت
ان تكشفه بعلة قلبها الدفينة ؟ ام كانت كل هذه العوامل مجتمعة معاً ؟ ؟ !
(هـ) الدرجة الخامسة في الحرية — ١٧: ٤ (ب) — ٢٠ . (أ) كلام المسيح

١٧: ٤ (ب) و ١٨ . (٢) جواب المرأة ١٩: ٤ و ٢٠

١٨ لأنه كان لك خمسة أزواج والذي لك الآن ليس هو زوجك .
هذا قلت بالصدق .

عدد ١٨ . (١) كرم المسيح : ١٧:٤ (ب) و ١٨ : « قال لها يسوع .. »
بهذه الكلمات أُعلنَت للمرأة قوة المسيح النبوية ، اذ رآته ممسكاً بيده صفحة
حياتها السرية ، ويتلوها سطرًا سطرًا وكلمة كلمة ، على مسمع منها ، حتى وصل
الى الكلمة التي نزلت على قلبها كالصاعقة : « الذي لك الآن ، ليس هو
زوجك » — ولعله زوج غيرها . من تاريخ حياة هذه المرأة كما سرده المسيح ،
نستنتج شيئًا عن الخطوات المتتابعة التي يهوي اليها الانسان حتى يصل الى
اسفل دركات الشر : فمن الزواج الذي رسمه الله ، الى الزواج الذي اباحته بعض
الشرائع الوضعية — « خمسة أزواج » ، الى الحياة الاباحية : « الذي لك الآن
ليس هو زوجك »

يعتقد بعض المفسرين في هذا العصر ، ان هذه السامرية التي كانت
زوجة لخمسة أزواج ، ترمز الى الامة السامرية التي كانت مكونة من خمس امم
مختلفة (٢ مل ١٧ : ٣٠ و ٣١) ، ولكل منها الهها الخاص ، فصارت معروفة بـ « امة
الخمسة الآلهة » — والاله الذي تدعي انها تعبده ليس الهها الحقيقي . لان
السامريين « يسجلون لما لا يعلمون » ع ٢٢ . هذا يؤيده قول يوسفوس : ان
السامريين هم خليط من خمس امم احضرت كل منها الهها معها الى السامرة ، فلا
اله حقيقي للسامريين

١٩ قالت له المرأة يا سيد أرى أنك نبي . ٢٠ آباؤنا سجدوا في

عدد ١٩ . (٢) جواب المرأة (أ) اقرارها بأنه نبي . ١٩:٤ و ٢٠ . كان جواب المرأة على دورين — في الدور الأول أقرت بان المسيح نبي (ع ١٩) . وفي الدور الثاني قدمت للمسيح استفتاء (ع ٢٠) . كان اقرارها نتيجة المعرفة الحقيقية . التي فاجأها بها المسيح عن تاريخها . فرأت فيه نبياً يعلم بالغيب . فباقرارها تحتّم الدرجة الخامسة من حديثها ، وباستفتائها تستهل الدرجة السادسة

(و) الدور السادس (ع ٢٠ — ٢٤) . (أ) كهدم المرأة (ع ٢٠) (ب) جواب المسيح (ع ٢٠ — ٢٤)

عدد ٢٠ (١) كهدم المرأة : يستنتج كثير من المفسرين ، من جوابها المقتضب : « أرى أنك نبي . . آباؤنا » ، انها قصدت ان تهرب من الاطالة في الكلام عن اخلاقها وحياتها ، فقررت والتجأت الى الكلام عن معضلة كلامية ، كما يفعل بعض الذين تنخسهم قلوبهم فيهربون من الكلام في الروحيات التي تمس الحياة ، الى التمسك بمباحكات الكلام ، في امور لاهوتية عويصة ، لا حل لها ولا علاج . ويلوح لنا ان المرأة بلغت في حديثها مع المسيح درجة راقية يصعب علينا ان نعتقد فيها ، انها تفرّ من أمامه . وأنى يتأتّى لها ذلك الآن ، بعد ان أمسكت بحبال قوته الطاهرة المظهرة ، بل كيف يمكن لمن أعلن لها مجد المسيح ان تبغي من حضرته هروباً ؟؟ لذلك يغلب على اعتقادنا ، انها إنما أرادت ان تنهز فرصة وجودها امام هذا النبي الجديد ، المترجم عن ارادة الله ، لينبئها بالقول الفصل في هذه المشكلة القديمة ، التي ظلت أجيالاً طم الآ ، قائمة بين اليهود الذين هو منهم ، والسامريين الذين تنتمى ، هي اليهم

هذا الجبل وأنتم تقولون ان في اورشليم الموضع الذي ينبغي أن يُسجد فيه .

وليس من المستبعد أنها بعد ان تيكنت على خطاياها ، ورأت حاجتها الى مخلص ، قصدت ان تطمئن على افضل مكان تُقدم فيه عبادتها العتيدة . فقالت له : «آباؤنا» — السامريون — «سجدوا في هذا الجبل» (*) — ولعلها اشارت باصبعها الى الجبل (تث ٢٧: ٢٤) لان بئر يعقوب واقعة عند سفح ذلك الجبل — «وانتم» — اليهود — «تقولون ان في اورشليم الموضع الذي ينبغي ان يُسجد فيه»

غريب ان هذه المرأة الساذجة لم تكن اجنبية عن الحقائق اللاهوتية ، والمطارحات الكلامية . على ان خطيتها لم تكن ناشئة عن جهلها ، بل عن ضعف خلقها . لم يكن الظلام في عقلها ، بل في قلبها . عجيبٌ انها كانت ملتزمة حماساً لهيكل امها المتهم منذ ايام يوحنا هرقانوس — سنة ١٢٩ ق . م — ولم تبال بهيكل حياتها المتهم ! هذه علامة من علامتهم التمسك باهداب الدين الاجتماعي ، والتخلي عن اسباب التدين الشخصي . «القلب خداع ونجيس» ليس من السهل إذلاله ليتواضع بالحقيقة امام الله

* يعتقد السامريون انه على هذا الجبل قدم ابراهيم اسحق ابنه ذبيحة . وقد جاء في التلمود (باب بريشيت ربا) : « ان الراب يوحنا مرَّ بجبل جرزيم في طريقه ليسجد في اورشليم . فابتدره سامري بالقول : « الى اين » ؟ فأجاب يوحنا : « انا ذاهب لاصلي في اورشليم » . فرد عليه السامري بالقول : « كان ينبغي لك ان تصلي في هذا الجبل المقدس (جرزيم) بدلا من ان تصلي على ذلك الجبل الملعون (عيبال) »

٢١ قال لها يسوع يا امرأة صدقيني انه تأتي ساعة

عدد ٢١. (ب) جواب المسيح (ع ٢١-٢٤). كان موقف المسيح دقيقاً . فمن جهة ، لا يريد - ولا يقدر - ان ينكر الحق . ومن الجهة الاخرى لا يريد ان يعثر هذه النفس الحساسة الراغبة في الحق . وفي دقة موقفه هذا قدم جواباً بالغاً حد الكمال ، مرتقياً فوق الحزازات الجنسية ، والمباحكات الكلامية . كان سؤال المرأة قاصراً على طلب تعيين مكان العبادة . وبكل حكمة ، رفع المسيح قلبها من التفكير في العبادة بوجه عام ، الى التأمل في حقيقة المعبود ، وفي طبيعته : « الآب »

في هذا الدور وجه المسيح خطابه الى ارادة المرأة السامرية فأجابها بأسلوب الحكيم ، وأراها : -

(١) طبيعة العبادة الحقيقية : انها اوسع من ان يحصرها مكان « لا في هذا الجبل ولا في اورشليم تسجلون للآب » (عدد ٢١) . (٢) مؤهلات العابد لله الحقيقيين : (عدد ٢٣) . (٣) طبيعة المعبود : « الله روح » (عدد ٢٤ (أ)) . (د) واجب العابد لله : « فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا » (عدد ٢٤ (ب)) . (أ) طبيعة العبادة الحقيقية : عدد ٢١ . بهذا الكلام بين لها المسيح ان عبادة السامريين ليست فقط عاطلة من حيث المكان الذي تمارس فيه ، بل هي أيضاً منقوضة من اساسها

في قوله لها : « يا امرأة صدقيني . . » ، وجه الخطاب الى ارادتها لكي تؤمن . « تأتي ساعة » - لقد وصفته هي بانه نبي ، وها هو ينبئها الآن ، عن

لا في هذا الجبل ولا في اورشليم تسجدون للآب . ٢٢ أنتم تسجدون لما لستم تعلمون .

وقت في المستقبل سوف يقبل فيه السامريون الى الاله الحي الحقيقي، فيصيرون له ابناء روحيين ، اذ يتحررون من قيود العبادة الخارجية المحصورة في مكان معين — عبادة ما اقربها من العبودية ، وكلاهما من مصدر واحد

في زمن السامرية، كان يعتقد السامريون ان جبل جرزيم «مقدس» في ذاته دون سواه . فأنبأها المسيح بوقت، سوف يعتبرون فيه كل مكان محل فيه الله، «مقدساً» . عندئذ يعلمون ان المكان لا يقدر العبادة . انما العبادة هي التي تقدر المكان. «لا في هذا الجبل» — جرزيم — «ولا في اورشليم» . كما ان المسيح زحزح ايمانها عن قدسية «جرزيم» كذلك لم يكن متحيزاً للجبل الذي اقيمت عليه اورشليم : «ولا في اورشليم تسجدون للآب» . فلا اليهود يجتذبون السامريين الى جبل اورشليم ، ولا السامريون يرغمون اليهود على الصلاة في جرزيم ، بل ينتقل كل منهما من حيثز الضيق ليلتقيا معاً في مكان مشترك ، حيث يلتئم جميع ابناء الله ، في عبادة روحية تضمهما معاً ، ويلتقون في مكان لا يحده مكان

عدد ٢٢ كلمة نرشحها : «أنتم» — السامريون — «تسجدن لما لستم تعلمون» — اي على غير هدى . لان السامريين اكتفوا بجزء مبتسر من الوحي الالهي — أسفار موسى الخمسة — وحسبوه خاتمة الوحي ، وحرموا انفسهم أنوار الوحي الذي أراقه الزابودي ، والانبياء علم المعلنات الالهية . مثل

أما نحن فنسجد لما نعلم . لان الخلاص هو من اليهود . ٢٣ ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون

اولئك السامريين مثل قوم ظفروا بسراج منير ، فخلوه ، ودخلوا به الى غرفة ضيقة محكمة النوافذ حتى اختنق ضوءه من قلة الهواء . المقصود من كلمة : «ما» تلك الفكرة التي كانت عندهم من جهة الله . «أما نحن» — اليهود — «فنسجد لما نعلم لان الخلاص هو من اليهود» — الخلاص المقصود هنا ، هو الخلاص الذي سبق فأنبأ عنه الله ، ان سيأتي به مسيحا الذي هو نسل ابراهيم (تك ١٢: ٣ ؛ ١٨: ١٨ ؛ ١٨: ٢٢) . فشجرة الخلاص نبتت في بستان اليهود ، الذين استؤمنوا على أقوال الله (رو ٣: ٢) ومنهم جاء المسيح حسب الجسد هذه هي المرة الوحيدة التي استعملت فيها كلمة «يهود» في الانجيل بمعنى حسن . وهي تعني اليهود كأمة مختارة من الله ، لا رؤساء اليهود الذين حجزوا الحق ولطخوا ايديهم بدماء الانبياء والمرسلين ، وتوجوا جرائمهم بقتل المسيح الله

عدد ٢٣ . مؤلفات العاشرية الحقيقيين : «ولكن تأتي ساعة ، وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق» . ان كلام المسيح ، في العدد السابق ، الذي تناول فيه السامريين وعبادتهم الحقيقية كان من قبيل النبوة ، وهو يرمي الى نقطة في بطن المستقبل . لكن كلامه في هذا العدد ، يقرر حقيقة راهنة بدليل قوله هنا : «وهي الآن» . لان الساجدين الحقيقيين موجودون فعلا في كل مكان وزمان . سواء أكانوا من اليهود أم من السامريين ان مظاهرات هؤلاء الساجدين ، تجمعها كلمتان : (١) «بالروح» — ضد

للآب بالروح والحق . لان الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له .
٢٤ الله روح . والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا

كل ما هو جسدي ، مادي ، وحرقي ، ومجلي . (٢) « وبالحق » — ضد كل ما هو باطل ، ووهي ، وصناعي ، وجهلي . فالعبادة التي « بالروح » متفقة وطبيعة الله . والعبادة التي « بالحق » ، متفقة وارادة الله . « بالروح » — هذه الكلمة تصف العبادة الحقيقية من حيث شعور العابد (رو ١: ٩) . « بالحق » — هذه الكلمة تصف العابد من حيث تكوين فكرته عن المعبود . فالعبادة في الديانة اليهودية كانت قائمة على الحرف ، والعبادة في الديانة السامرية كانت قائمة على الوهم والضلال : « لما لستم تعلمون » . لكن العبادة في المسيحية هي « بالروح » — على عكس ما في اليهودية ، و « بالحق » — على عكس ما في السامرية

لا يوجد مشجع على العبادة اقوى من هذه العبارة : « لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له » — فاذا كانت الروح تطلب الهها الذي منه أتت ، لتلتقي به . فان الله الذي منه خرجت الروح ، يطلب هذه الروح ليلتقي بها ، هذه رغبة متبادلة بين العابد والمعبود

عدد ٢٤ . (٣) طبيعة المعبود : « الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا » . « الله روح » — هذه الكلمة تصف الله في طبيعته لا في ذاته وأقنوميته وهي أولى الصفات الثلاث التي سجلها يوحنا في كتاباته عن الله : — « الله نور » (١ يو ١: ٥) ، « الله محبة » (١ يو ٤: ٨) .
« الله روح » (يو ٤: ٢٤)

٢٥ قالت له المرأة أنا أعلم أن مسيا الذي يقال له المسيح يأتي . فتي

عدد ٢٥ . - ز - الدرر السابع ٢٥:٤ و٢٦ - (١) كرم المرأة (٤):
 (٢٥) . « انا اعلم ان مسياً - الذي يقال له المسيح - يأتي . فتي جاء ذاك
 يخبرنا بكل شيء » . من هذا الكلام ، يتضح لنا ان شعاعة من النور لاحت
 أمام عيني المرأة ، وان شخصاً عجيباً تراءى لها في ضوء هذا النور الضئيل ، فلم
 تستطع ان تحكم في ما اذا كان هو مسياً ، أم سواه . لذلك فاهت بهذه
 الكلمات وهي بين مؤمنة وغير مؤمنة . ولعلها قصدت ان تلقي دلوها في
 الدلاء علها تكون قد ظفرت بهذه اللؤلؤة التي لا تثن ، فنطقت بهذا التصريح
 - ليس عن غير يقين - آملة ان تستزيد المسيح من هذا النور . أما العبارة:
 « الذي يقال له المسيح » فهي من كلمات يوحنا البشير

يقول ثقافة المؤرخين : ان السامريين لا يزالون ينتظرون ، الى يومنا هذا ،
 مسيحاً يسمونه « أشيف » اي الميثب ، والمرجع ، والهادي . لكنهم اخطأوا ،
 كما اخطأ اليهود أيضاً ، في انتظارهم ملكاً ارضياً ، يرد لهم مجدهم الارضي
 الضائع . فاذا فكرة انتظار المسيح ، ليست قاصرة على اسرائيل ، لان
 المسيح الحقيقي هو مسيح الجميع . حقاً قال فيه سمعان الشيخ : « نور اعلان
 للام ومجداً لشعبك اسرائيل » (لو ٢: ٣٢)

مع ان فكرة المرأة السامرية عن المسيح ، كانت فكرة مبتسرة ناقصة ،
 الا ان المسيح قبلها على رغم ما فيها من ضعف ، مؤكداً لها انه ليس من
 الضروري لها ان تنتظر أعواماً ولا شهوراً ، ولا ساعات ، حتى تنتظر ذلك المسيا ،

اء ذاك يخبرنا بكل شيء . ٢٦ قال لها يسوع أنا الذي أكلمك هو

لا ان تذهب هنا وهناك مفتشة عليه ، فما عليها الا ان تفتح عينيها حيث
ي واقفة ، فقرأه : « انا الذي اكلمك هو »

ليس للمرأة من جوابٍ على هذا الاعلان العجيب ، سوى الصمت !
هو صمت ابلغ من كل كلام . فاذا كان كلامها في الماضي من ذهب ، فان
سمتها هنا . لآلى لا تمن

عدد ٢٦ (٢) جواب المسيح — تصریح مهبل (٢٦: ٤) . اننا نحتاج الى
يشة ملائكية ، تنعس في الوان سماوية اترسم العوامل المتباينة التي كانت
تختلج في قلب المرأة ، بعد ان سمعت هذا التصريح الجليل : « انا هو »
كانت فرحة بهذا الاكتشاف العجيب الذي فتش عنه الانبياء قديماً فعز
عليهم أن يجدوه ، لكنه وجد لها هي الضعيفة المحسوبة من سقط المتاع ؟ أم
متلاً قلبها بتأنيبات الضمير ، على الكلمات الساذجة التي خاطبت بها المسيح
في بدء الحديث ؟ أم بكّت من فرط سرورها بهذا النور الذي ظهر لها من
غير انتظار ؟ أم كانت كل هذه العوامل مجتمعة معاً في نفسها ؟ ؟

ما اسمى المقام الذي بلغته هذه المرأة في هذا الحديث ؟ من امرأة ساقطة
تحمل جرّة تستقي بها ماء من بئر يعقوب ، الى ملكة غير متوّجة قد دخل
الى قلبها نهر الحياة ! فلا عجب اذا كانت قد تركت جرّتها فيما بعد !! جاءت
لتشرب مياهاً ارضيّة ، فصارت تخرج من قايها انهار ماء حية . جاءت لتستقي
مياهاً ماديّة لاهل بيتها ، فاروت بمياه الحياة اهل مدينتها (٢٨: ٤ — ٣٠)

٢٧ وعند ذلك جاء تلاميذه وكانوا يتعجبون أنه يتكلم مع امرأة.

ثانياً : المسيح والتلاميذ . ٢٧: ٤ - ٣٨ . (١) التلاميذ المتعجبون (عدد ٢٧) . (٢) السامرة المبشرة ٢٨: ٤ - ٣٠ . (٣) هراريين المسيح والتلاميذ ٣١: ٤ - ٣٨

عدد ٢٧ . (١) . التلاميذ المتعجبون : في الفترة التي تحدث فيها المسيح مع السامرة ، كان التلاميذ قد اتموا مأموريتهم التي ذهبوا الى سوخار لاجلها (عدد ٨) ، فابتاعوا طعاماً ، ورجعوا ، « وكانوا يتعجبون » . وردت هذه العبارة الاخيرة ، بصيغة الاستمرار لتفيد ان تعجبهم كان متواصلاً . اما سبب هذا التعجب ، فهو ان سيدهم كان يتكلم مع امرأة

كان من حقهم ان يتعجبوا ، متى رأوا سيدهم يتكلم مع رجل سامري . فكيف بهم لا يتعجبون متى كان هذا السامري امرأة . منذ ذلك الوقت ، حتى يومنا الحاضر ، والمرأة محتقرة عند اليهود ^(١) . فما كانت تسمح العوائد ليهودي ان يحيي امرأة في الطريق — ولو كانت هذه المرأة أمه ، او اخته ، او زوجته . وفي صلاة اليهود الصباحية ، يقف الرجل مصلياً في الهيكل قائلاً : « أبارك اسمك ايها الرب خالق العالمين ، لانك خلقتني يهودياً ، لا امياً . وحرراً لا عبداً . ورجلاً لا امرأة » . لكن المرأة المسكينة تقف في بيتها — لانه

(١) كان احد الفريسيين معروفاً وقتئذ لدى قومه « بالفريسي الدامي الجبهة » لانه كان مرة سائراً في الشارع ، مغضاً عينيه ، لتلا يرى امرأة في الطريق ، فاصطدم رأسه بها .

ولكن لم يقل أحد ماذا تطلب أو لماذا تتكلم معها . ٢٨ فتركت المرأة جرتها ومضت الى المدينة وقالت للناس . ٢٩ هلموا انظروا

غير مسموح لها ان تدخل الهيكل - وتقول بنعمة مؤلة « احمداك اللهم لانك خلقتني كما اردت . » !!

كان يعتقد اليهود ان حرق الشريعة افضل من تسليمها الى امرأة . فلا عجب اذا كان التلاميذ قد تعجبوا . إلا ان تعجبهم كان صامتاً . فلم يقل احدهم « ماذا تطلب او لماذا تتكلم معها » وربما نشأ صمتهم ، عن احترامهم لسيدهم ، وعدم حصولهم على الشجاعة الكافية لاستجوابه . الا ان المهم هو ان المرأة لم تبعاً بتعجبهم ، بل مضت في سبيلها

ع ٢٨-٣٠ . (٢) السامرية المبصرة : بعد ان شبعَت المرأة من نهر الحياة ، لم تبق بها حاجة الى استعمال الجرّة ، فتركتها ومضت الى المدينة ، وقالت للناس : « هلموا انظروا انساناً قال لي كل ما فعلت »

ان السامرية بعملها هذا ، قدمت خير دليل على :

- (أ) تضيئها : « تركت جرتها » - كما ترك التلاميذ شبا كههم .
- (ب) غيرتها : « مضت » - انها جرت بقدمين تسبقان الاجنحة في السرعة .
- (ج) شجاعها ، ووطنيتها : « الى المدينة » . اننا لا نستطيع ان نقدر شجاعة هذه المرأة ، الا متى ذكرنا تاريخها ، وتقدير اهل بيتها لها . لقد شعرت ان لها رسالة ، فبلغتها الى اهل مدينتها أولاً . وان شجاعتها هذه تم عن وطنيتها الحقيقية . (د) رسالتها : « هلموا انظروا انساناً . » (هـ) حكمتها : لم تحاول

إنساناً قال لي كل ما فعلت . أعل هذا هو المسيح . ٣٠ فخرجوا من المدينة وأتوا إليه . ٣١ وفي أثناء ذلك سأله تلاميذه قائلين يا معلم كل . ٣٢ فقال لهم أنا لي طعام لآكل

السامرية ، ان تكلمهم عن المسيح ، مخافة ان تعجز عن محاجتهم ، لكنها رأت ان أفضل طريقة هي ان تحضرهم اليه لتواجههم به . لم ترغب في ان تكون هي « جرة » تحمل اليهم ماء الحياة بل أرادت ان تحضرهم الى « النهر » ، ليشربوا بأنفسهم ، ويرتووا . (و) باكورة خدمتها : « خرجوا من المدينة » هذا نجاح عظيم ، دونه نجاح بعض الرسل

(٣) حوار بين المسيح والتلاميذ ٤: ٣١-٣٨ . (أ) التلاميذ يقدمونه الطعام للمسيح (عدد ٣١) ، وهو يرسلهم الى الطعام الحقيقي (عدد ٣٢) . (ب) التلاميذ يتسائلونه فيما بينهم . (عدد ٣٣) . (ج) المسيح يزيل اسباب تساؤلهم : (٤: ٣٤-٣٨)

عدد ٣١ و ٣٢ . (أ) التلاميذ يقدمونه الطعام للمسيح ، وهو يرسلهم الى الطعام الروحي (٤: ٣١ و ٣٢)

الآن وقد خلا التلاميذ بسيدهم ، بعد ان مضت السامرية لتدعو أهل مدينتها ، قدّموا له الطعام الذي ابتاعوه من المدينة ، قائلين : « يا معلم كل » . اما المسيح ، فقد وجد اثناء غيابهم ، وليمة روحية فاخرة ، في اقتبال نفس خاطئة اليه ، فأجابهم جواباً عجيباً : « أنا لي طعام لآكل لستم تعرفونه أتم » . وفي الاصل يوجد توكيد خاص على كلمتي « أنا » ، و « أتم » . ان طعامه

لستم تعرفونه أنتم . ٣٣ فقال التلاميذ بعضهم لبعض أعل أحدًا
أناه بشيء ليأكل . ٣٤ قال لهم يسوع طعامي أن أعمل مشيئة الذي

وشرابه الحقيقيين ، هما إشباع الجوع وإرواء العطاش المقبلين إليه . لكن عقل
الإنسان الطبيعي لا يستطيع أن يعرف طبيعة الطعام الروحي ومزاياه وقوته
(انظر ٢٧:٦)

عدد ٣٣ (ب) تسأل التلاميذ فيما بينهم (٣:٤) . من المؤسف أن
عقول التلاميذ لم تكن قد ارتقت فوق عقل نيقوديموس وعقل السامرية .
فكما أن نيقوديموس اساء فهم معنى الولادة الجديدة فظنها ولادة جسدية ،
وكما فات السامرية أن تفهم القصد من الماء الحي فظنت المسيح يتكلم عن
مياه أرضية ، كذلك غاب عن التلاميذ أن يدركوا مراد المسيح من قوله
«طعام» فظنوه يتكلم عن طعام جسدي وقال بعضهم لبعض «العل أحدًا أناه
بشيء ليأكل» . وبمثل ما اجابت السامرية ، اجاب التلاميذ: «العل»

(د) المسيح يزيل أسباب تساؤل التلاميذ ع ٣٤-٣٨ . علم المسيح ، علام
الغيوب وفاحص القلوب ، ما كان يحول في خاطرهم وادرك ما كانوا عنه
يتساءلون فأجابهم جواباً مانعاً جامعاً ، تناول فيه الكلام عن : (١) طعام
(عدد ٣٤) . (٢) الفرصة العظمى التي امامهم (عدد ٣٥) . (٣) المسؤولية
العظمى الواقعة عليهم (عدد ٣٦-٣٨)

عدد ٣٤ طعام : قال لهم يسوع : «طعامي أن أعمل مشيئة الذي ارسلني
واتم عمله» . من كلامهم جاوبهم . كانوا يتكلمون عن الطعام ، فأجابهم

أرسلني وأتم عمله . ٣٥ أما تقولون انه يكون أربعة أشهر ثم يأتي الحصاد . ها أنا أقول لكم ارفعوا أعينكم وانظروا

بالقول : «طعامي ان أعمل مشيئة الذي أرسلني» . وكما ان الانسان يتلذذ بالطعام، و به يتغذى، ويحيا، كذلك كانت مشيئة الآب لذّة — المسيح، وغذاءه، وحياته. اننا نلمس من هذه الكلمات: (١) معرفة المسيح بإرادة الآب: «الذي أرسلني». (ب) حب المسيح لإرادة الآب السماوي: «ان أعمل». (ج) ملازمة المسيح لهذه المشيئة بكل دقة ، الى المنتهى « وأتم عمله » . هل كان يفهم التلاميذ وقتئذ ، ان اتمام المسيح لإرادة الذي أرسله ، معناه حمل الصليب ؟ يتكلم المسيح هنا عن نفسه في وظيفته القدائية التي قبلها على نفسه من الآب عدد ٣٥ . (٢) الفرصة العظيمة التي اعلمهم : «أما تقولون ارفعوا

أعينكم وانظروا» . بين بئر يعقوب الرابضة عند قدمي جبل جرزيم ، وبين مدينة سوخار الجاثية عند قدمي جبل عيبال . يمتد سهل خصيب ، كان وقتئذٍ منزرعاً حبوباً ، فاكتسى وجهه بيساط ستدي اخضر . وكان بين هذا الوقت وبين الحصاد أربعة أشهر . وبما ان الحصاد في فلسطين يكون عادة في اواسط شهر ابريل ، اذاً تكون هذه الحادثة قد وقعت في اواسط ديسمبر

رأى التلاميذ بعيونهم الطبيعية — ان الحقل الطبيعي الممتد أمامهم، كان لا يزال اخضر ، تعوزه أربعة أشهر حتى يأتي الحصاد ، فوجّه المسيحُ بصرهم الروحي الى حقل روحي قد ابيض للحصاد ، وهو الآن ينتظر أهل سوخار . ورفع نظر تلاميذه الى هذا الحقل الجديد الناضج، الممتد امام بصرهم . والفرق

الحقول انها قد ابيضت للحصاد . ٣٦ والحاصد يأخذ أجرة ويجمع ثمرًا للحياة الابدية لكي يفرح الزارع والحاصد معاً . ٣٧ لانه في هذا يصدق القول ان واحداً يزرع وآخر يحصد . ٣٨ أنا أرسلتكم

بين الحقل الطبيعي ، وبين هذا الحقل الجديد ، هو ان اولهما كان وقتئذٍ اخضر ، لا يمكن ان يأتي ثمرًا إلا بعد مرور اربعة اشهر . واما ثانيهما ، فقد اكتمل نضوجه وأثمر حالما زرعت البذار فيه . ان حصاد اولهما ، من حبوب . اما حصاد ثانيهما ، فمن قلوب

عدد ٣٦-٣٨ . (٣) . المسترنية العظمى الواقعة على الترميز: ما دامت الحقول قد ابيضت أمامهم ، فما عليهم الا ان يتقدموا لجني ثمار هذا الحصاد الذي تعب في زرعه سواهم . على ان المكافأة تكون للزارع والحاصد معاً : « آخرون تعبوا وانتم دخلتم على تعبهم » . « الآخرون » — هم أنبياء العهد القديم ، ويوحنا المعمدان ، والسامرية ، والمسيح . ومن الملاحظ ان عين نون ، التي كانت مركزاً لدائرة خدمة يوحنا المعمدان ، قريبة من السامرة . ولئن كان عمل الزارع أشق من عمل الحاصد ، لانه يزرع بالدموع ، وقد يضطر أحياناً أن يأخذ قوت اولاده ويزرعه لكنه سيفرح متى جاء وقت الحصاد . على انه من نصيبه ايضاً ان يزرع لغده ، مثلاً حصد هو من زرع أمسه (مزمور ١٢٦: ٥ و٦) ان هذا القول الذي فاه به المسيح ، لا يقتصر على تلك الحادثة ولا يُحتكر للتلاميذ ، بل ينطبق على الخدمة والخدام في كل جيل . اذ في كل

لتحصدوا ما لم تعبوا فيه . آخرون تعبوا وأنتم قد دخلتم على تعبهم
 ٣٩ فآمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين بسبب
 كلام المرأة التي كانت تشهد أنه قال لي كل ما فعلت . ٤٠ فلما جاء
 اليه السامريون سألوه أن يمكث عندهم .

عصر يوجد حصاد ، وحيثما يوجد حصاد ، فالحاصلون مدينون لمن زرعوا
 قبلهم . هذه سلسلة نوراوية تربط خدمة جميع الخدام ، في كل جيل بلا تفصيل
 ثالثاً : المسيح والسامريون ٤: ٣٩-٤٢

يعالج هذا الفصل إيمان السامريين : (١) إيمانهم في درجة الابتدائية
 (عدد ٣٩) . (٢) ثمرة إيمانهم في درجة الابتدائية (عدد ٤٠) . (٣) إيمانهم
 في درجة الراقية (عدد ٤١) . (٤) ثمرة إيمانهم في درجة الراقية (عدد
 ٤٢) . (٥) موضوع إيمانهم (عدد ٤٢ ب)

عدد ٣٩ . (١) . إيمان السامريين في درجة الابتدائية . هذا هو الايمان
 السماعي « بسبب كلام المرأة التي كانت تشهد: انه قال لي كل ما فعلت » . مع
 انه كان ايماناً سماعياً ، الا انه كان ايماناً نامياً ، مشرعاً

عدد ٤٠ . (٢) . ثمرة إيمان السامريين في درجة الابتدائية . أما هذه
 الثمرة ، فهي انهم جاءوا الى يسوع وسألوه ان يمكث عندهم . ان الذي ينال
 قسطاً من النور ، لا يهدأ حتى ينال قسطاً أوفر . قبلاً شرب السامريون من
 ماء الحياة ، بواسطة تلك المرأة ، فكانوا كمن يشرب من ماء النهر
 : «الجرة» اما الآن ، فقد عزموا على ان يشربوا من نهر الحياة مباشرة . ومع

فكث هناك يومين . ٤١ فأمن به أكثر جداً بسبب كلامه .
 ٤٢ وقالوا للمرأة إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن . لاننا نحن
 قد سمعنا ونعلم أن هذا هو

ان وقت المسيح ثمين جداً الا انه لم يبخل به على طالبيه الامميين المعادين
 لجنسيته ، بل وهبهم يومين من ايامه المهدودات على الارض . لا بل أعطاهم
 حياته كلها ، اذ قدمها على الصليب

عدد ٤١. (٣). ايمانهم السامريين في درجته الراقية : « فأمن به أكثر جداً
 بسبب كلامه » . فرق عظيم بين الايمان السماعي ، والايمان الاختباري . فرق
 بين أعمى يسمع وصفاً بليغاً عن ألوان الغروب البديعة ، وبين مبصر يفتح
 عينيه ليرى — « الذي رأيناه بعيوننا . الذي شاهدناه ولمسته ايدينا » .

عدد ٤٢. (٤) ثمرة ايمانهم في درجته الراقية (عدد ٤٢ (أ)) . هذه هي
 اعترافاتهم بهذا الايمان لبشرتهم العظيمة . وانهم لم يكونوا بكلامهم هذا ناكري
 فضل مبشرتهم ، بل كانوا مقرين بفضل مخلصهم . اما اساس ايمانهم ، فمزدوج :
 (أ) السمع : « لاننا قد سمعنا » — كلام المسيح من فم المسيح . (ب) العلم : « ونعلم »
 من يقين اختبارنا — « ان هذا هو المسيح مخلص العالم » . اذاً كان هؤلاء
 السامريون ، اوسع فكراً من اليهود ، الذين كانوا يعتقدون ان المسيح سيجيء
 ليخلص الامة اليهودية وحدها خلاصاً مادياً سياسياً . اما هؤلاء السامريون ،
 فقد آمنوا انه مخلص روحي للعالم أجمع . ان شهادتهم اعظم تفسير لما جاء في
 ١٦: ٣ « هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد » . بايمانهم هذا ، اقاموا

بالحقيقة المسيح مخلص العالم . ٤٣ وبعد اليومين خرج من هناك

الحجة الدامغة على انهم أجادوا فهم وعد الله لابراهيم : « بنسلك تتبارك جميع امم الارض » . ها قد بلغ ايمانهم بالمسيح مرتبةً أُسمى من انتظارات السامرية . كانت هي تنتظر ان المسيح متى جاء ينجزهم بكل شيء (عدد ٢٥) . أمامهم ، فقد آمنوا انه « مخلص » لا مجرد معلم . الآن ادركت السامرية ومواطنوها ، « ان الخلاص » — بل المخلص نفسه — « هو من اليهود » — (عدد ٢٢)

ان ايمان السامرية ، وايمان اهل مدينتها ، هما أجل تفسير لقول البشير : « الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله واما كل الذين قبلوه فاعطاهم سلطاناً ان يصيروا اولاد الله اي المؤمنين باسمه » (١: ١٢ و ١٣)

«المسيح في الجليل» ٤٣: ٤ — ٥٤

اولاً : مقدمة تاريخية ٤٣: ٤ — ٥٤ . ثانياً : المعجزة الثانية في هذه البشارة

ابراء ابن جادم الملك ٤٦: ٤ — ٥٤

اولاً : مقدمة تاريخية ٤٣: ٤ — ٥٤ . مثلما انتشر الايمان في السامرة ، فشا عدم الايمان في اليهودية . لكن الجليل اتخذ موقفاً غامضاً — لاهو موقف الايمان ولا عدم الايمان . « بعد اليومين » الذين صرفهما المسيح في السامرة ، اجابةً لدعوة اهله . « خرج من هناك ومضى الى الجليل » منفذاً خط السير الذي كان قد وضعه في فكره سابقاً (٣: ٤)

عدد ٤٣ و ٤٤ عن عدم ابراء خدمته من الجليل . لم يكن من الممكن ان يبتدىء المسيح خدمته الجهرية في الجليل ، « لان يسوع نفسه شهد ان ليس

ومضى إلى الجليل . ٤٤ لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لني كرامة في وطنه . ٤٥ فلما جاء إلى الجليل قبله الجليليون إذ كانوا قد عاينوا كل ما فعل في أورشليم في العيد . لانهم هم أيضاً جاءوا إلى العيد .
٤٦ فجاء يسوع

لني كرامة في وطنه . لذلك ذهب أولاً إلى أورشليم وصنع معجزات فاكسب اسماً كني ، وبهذا الاسم الذي كسبه خارج وطنه ، جاء إلى الجليل وطنه عدد ٤٥ عند قبول الجليليين له « فلما جاء إلى الجليل » — وكان قد سبقه صيته إليها — قبله الجليليون ، إذ كانوا قد عاينوا كل ما فعل في أورشليم في العيد . لانهم هم أيضاً — كانوا قد — « جاءوا إلى العيد . » ما أشبه ايمانهم بإيمان أولئك الفريسيين ، الذين « لم يأتهم المسيح على نفسه » (٢٤: ٢) !! يعتقد كالقن ، وحنجستنبورج ، وغيرهما : ان المسيح اذ شهد ان ليس لني كرامة في وطنه ، لم يرغب في ان يذهب إلى الناصرة ، حيث كان قد تربى ، بل ذهب إلى كفرناحوم ، التي اختارها وطناً ثانياً له . ونعتقد نحن بصوابية الرأي الاول (انظر ص ١٠٤)

ثانياً : المعجزة الثانية — ابراء ابن خادم الملك ٤: ٤٦-٥٤

في هذه المعجزة يتجلى امامنا :

- (أ) مجاهدة الاعمامه (ع ٤٦-٤٩) . (ب) تقة الاعمامه (عدد ٥٠) (أ)
- (ج) طاعة الاعمامه (عدد ٥٠) (ب) . (د) مطافاة الاعمامه (عدد ٥١ و ٥٢)
- (هـ) نمو الاعمامه (عدد ٥٣) . كلمة ختامية (عدد ٥٤)

أيضاً الى قانا الجليل حيث صنع الماء خمرًا . وكان خادم للملك ابنه مريض في كفرناحوم . ٤٧ هذا اذ سمع أن يسوع قد جاء من اليهوديه الى الجليل انطلق اليه وسأله أن ينزل ويشفي ابنه لانه كان مشرفاً على الموت . ٤٨ فقال له يسوع لا تؤمنون ان لم تروا آيات

هذه هي المعجزة الثانية التي اجراها المسيح — في قانا الجليل ، ودونها هذا البشير . اما المعجزة الاولى ، فهي تحويل الماء الى خمر . المعجزة الاولى تمت في وليمة عرس . والمعجزة الثانية ، تمت في بيت مغمور بالسموع — وكذلك تمس "معجزاته أرقى درجة في افراحنا ، واعمق درك في اتراحنا . ان مخلصنا له قلب متسع يفرح مع الفرحين ، فيقدس أفراحهم ، ويبكي مع الباكين فيكفكف دموعهم . فهو يلتقي بنا والشمس مشرقة في نهار الهناء ، ويجتمع بنا اذا جنَّ الليل وحمَّ القضاء

ع ٤٦ - ٤٩ (أ) *بجاهرة الاربعة* . هذه المعجزة اشبه الاشياء بمرآة صافية يتجلى فيها ايمان خادم الملك . والأدوار التي اجتازتها هذه المعجزة ، تُعتبر بمثابة درجات ارتقى عليها ايمان الرجل ، فمن الايمان السماعي (٤٧) ، الى الايمان النظري (٥٠) ، الى الايمان العملي الاختباري (٥٣) . ما اشبه هذه الدرجات بتلك التي ارتقى عليها ايمان المرأة السامرية ، وايمان المولود أعمى (ص ٩)

في بادئ الامر ، كان كل ايمان الرجل في المسيح ، قاصراً على انه مجرد

وعجائب . ٤٩ قال له خادم الملك يا سيد انزل قبل ان يموت ابني .
٥٠ قال له يسوع اذهب . ابنك حي . فأمن الرجل بالكلمة التي

صانع معجزات ، فذهب اليه يستعطفه من فرط حاجته — وأي حاجة أشد من
مرض الابن ؟؟

عدد ٥٠ . (ب) تمت الامامة . قبل أن يهتم المسيح بشفاء جسد الابن
المريض ، اهتم أولاً ، بمعالجة ايمان أبيه . فاستل من كنيسته سهماً حاداً ، صوبه
اليه ، لينزل ما في قلبه من أدران الضعف والمادة — سهم ما أحده ! : « لا
تؤمنون ان لم تروا آيات وعجائب » (عدد ٤٨) . غالباً كان ايمان هذا الرجل
رمزاً ومثالاً لايمان مواطنيه الجليليين (عدد ٤٥) . على ان هذا السهم الحاد
كان يحمل معه قوة رافعة ، فحمل ايمان الرجل من درجة مادية نظرية ، الى
درجة سماوية عملية ، وقد نجح المسيح في قصده ، لان الرجل ازداد الحاجة
وتحمساً ، اذ قال : « يا سيد انزل قبل ان يموت ابني »

(ج) طاعة الامامة (عدد ٥٠ ب) . الآن رأى المسيح ان الوقت
قد حان ليضع فيه ايمان الرجل على محك الطاعة فقال له : « اذهب . ابنك
حي » . وقد كان ايمان الرجل عند حسن ظن المسيح « فأمن الرجل بالكلمة » —
مع انه لم يرَ فعلاً بعد — « التي قالها له يسوع فذهب » . ولقد كان من
الصعب على الرجل ان يترك المسيح ويمضي ، ولكنه اطاع الكلمة معتقداً ان
لكلمة المسيح منطقة نفوذ ابعد واوسع مما يتصور العقل البشري . وما دام قد
اخذ معه « الكلمة » فقد اخذ معه المسيح نفسه أو ليس المسيح هو « الكلمة »

قالها له يسوع وذهب . ٥١ وفيما هو نازل استقبله عبيده وأخبروه
قائلين ان ابنك حي . ٥٢ فاستخبرهم عن الساعة التي فيها أخذ يتعافى
فقالوا له أمس في الساعة السابعة تركته الحمى . ٥٣ ففهم الأب أنه
في تلك الساعة التي قال له فيها يسوع ان ابنك حي . فآمن هو
وبيته كله .

(١:١). الآن صار ايمان الرجل مبنياً على كلمة المسيح نفسه لا على المسموعات
التي كانت منتشرة عن المسيح . الآن قد صار ايمانه على مستوى ايمان
السامريين (٤١)

عدد ٥١ و ٥٢ . (د) . مظافة الريمناه . هذه نتيجة طاعة الايمان . وقد كافأ
بها المسيح ، ايمان الرجل . « وفيما هو نازل ، استقبله عبيده وأخبروه قائلين
ان ابنك حي . فاستخبرهم عن الساعة التي فيها أخذ يتعافى فقالوا له امس في
الساعة السابعة تركته الحمى » . الآن قد تحقق ايمان الرجل وتأيد . « ففهم الأب
انه في تلك الساعة التي قال له فيها يسوع ان ابنك حي »

عدد ٥٣ . (هـ) . نمو الريمناه ها قد بلغ ايمان الرجل ذروة القوة ، اذ تقوى
فأضحى ايماناً اختبارياً عملياً « فآمن هو وبيته كله » (٥٣) . وكذلك كانت
نتيجة المعجزة الاولى التي اجراها المسيح في قانا الجليل : ازدياد الايمان وتعمقه
(١١:٢)

٥٤ هذه أيضاً آية ثانية صنعها يسوع لما جاء من اليهودية الى الجليل

عدد ٥٤ . مائة تاريخية . « هذه ايضاً آية ثانية صنعها يسوع لما جاء من اليهودية الى الجليل » . من المحقق ان معجزات كثيرة حدثت بين هذه المعجزة ، و بين المعجزة الاولى التي اجريت في قانا الجليل . فليست هذه هي المعجزة الثانية من حيث الترتيب ، بل هي ثاني معجزة صنعها المسيح بمناسبة رجوعه من اليهودية الى الجليل . وتلك كانت المعجزة الاولى من هذا القبيل . كأنهما كانتا معجزتين تذكاريتين لهذه الزيارة المباركة

الاصحاح الخامس

١ وبعد هذا

المعجزة الثالثة - المسيح مجدد الحياة

بدء الصراع بين المسيح ورؤساء اليهود

يفتح هذا الاصحاح ، فصلاً جديداً في خدمة المسيح على الارض . الى الآن ، رأينا المسيح يواجه شخصيات منفردة ، قد تمثل فريقاً من القوم : في اورشليم ، واليهودية ، والسامرة ، والجليل . وفي كل هذه الشخصيات لحنا شعاعاً بل اشعة من نور الايمان الصحيح . وها نحن نرى أنفسنا الآن أمام طلائع الصراع العنيف الذي انتهى بالصلب ، وتوَّج بالقيامة . منذ الآن سنرى الايمان وعدم الايمان يتمشيان معاً كما في صفين متقابلين ، فعلى قدر ما يكون النور باهراً ، يكون الظلال المتكوّن منه قائماً . ان أعمال المسيح وأقواله المسطورة في الاصحاحات الآتية ، صارت تحريضاً للناس على ان يعملوا اعمالاً وان يقولوا اقوالاً ، ما كانوا يعملونها ويقولونها لولا أعمال المسيح وأقواله

ومن الحقائق التي يقطر لها القلب لوعةً وأسى ، ان المكان الذي كان ساحةً لهذا الصراع الدموي ، هو اورشليم - أقدس الامكنة اسماً ، وأتعسها فعلاً . وان الأوقات التي تدلّت على أحضانها هذه المأساة المفجعة ، هي أعياد اليهود - مواسم ما أشبهها بالمآتم ! . وان الاعمال التي استفزت جرائم اليهود ، هي معجزات الرحمة التي أتتها المسيح : - معجزة شفاء مريض بيت حسدا

كان عيد

(ص ٥) ، ومعجزة تفتيح عيني المولود أعمى (ص ٩) ، ومعجزة إقامة لعازر من الموت (ص ١١) . وهكذا يستحيل الدسم الطيب ، في الافواه الملوثة ، الى سم زعاف . وهكذا تتولد النعمة من النعمة ، على احضان الحقد والحسد والبغضاء

في هذا الاصحاح ، نرى المسيح مجدد الحياة . وفي الاصحاح السادس ، نلمح المسيح مقيت الحياة ومشبعها . وفي الاصحاح السابع ، نجد المسيح ، نبع الحياة . وفي الاصحاح الثامن ، نلتقي بالمسيح هادي الحياة . وفي الاصحاح التاسع نشاهد المسيح نور الحياة . وفي الاصحاح العاشر ، نلاحظ المسيح رائد الحياة وقائدها . وفي الاصحاح الحادي عشر ، تقف وجهاً لوجه امام المسيح الذي هو حياة الحياة وواهب الحياة لساكني القبور

ينقسم هذا الاصحاح الى قسمين رئيسيين : —

اولاً : معجزة ابراء مريض بركة بيت صرا ١:٥ — ١٦

ثانياً : الحديث الذي فاه به المسيح تطبيقاً على هذه المعجزة ١٧:٥ — ٤٧

اولاً : معجزة ابراء مريض بركة بيت صرا ١:٥ — ١٨ . يحدثنا هذا

الفصل عن : (أ) المعجزة في ذاتها ١:٥ — ٩ (ب) أثرها المباشر ١٠:٥ — ١٨

(أ) المعجزة في ذاتها ١:٥ — ٩ . تتضمن هذه الاعداد وصفاً سباعياً

للمعجزة :

(١) زمانها بوجه عام ١:٥ (أ) . (٢) مكانها على وجه التعميم ١:٥ (ب) .

اليهود

(٣) مطافرها على وجه التخصيص ٢:٥ . (٤) مطافرها ٣:٥ و ٤ . (٥) الرجل الذي تمت فيه المعجزة . (٦) الدرجات التي سارت عليها ٦:٥ — ٨ (٧) زمانها ٩:٥ .

عدد ١ . زمانها بوجه عام : « وبعد هذا كان عيد » ١:٥ (أ) . قوله : « بعد هذا » يربط هذا الاصحاح بما قبله ، من حيث الزمن ، والصلة . اما الزمن الذي توسط بين الاصحاحين ، فليس من الميسور معرفة مقداره ، الا بعد تعيين العيد المقصود بقوله « كان عيد »

أهو عيد الخمسين كما قال يوحنا فم الذهب ، وكيرلس الاسكندري ؟ أم هو عيد الفصح كما ارتأى ايريناوس ولايتفوت ؟ أم هو عيد المظال على حد قول ايوالد ؟ أم هو عيد الكفارة كما ظن كاسباري ، أم هو عيد الفوريم كما اعتقد جودي وماير ومن اليهما من المفسرين ؟؟؟

ان ورود كلمة « عيد » مجردة من اداة التعريف ، دليل على انها لا تشير الى احد الاعياد الرئيسية التي اعتاد البشر ان يذكرها بالذات : فهي لا تعني عيد الفصح (٢:٢ و ٣:٦) ، ولا عيد المظال (٢:٧) . ولا يحتمل انها تشير الى عيد الخمسين لأن هذا لم يكن نكرة بين الاعياد . وبما ان حوادث الاصحاح السابق وقعت في شهر ديسمبر (٣٥:٤) ، وحوادث الاصحاح التالي تمت في شهر ابريل (٤:٦) ، فمن الطبيعي ، ان يكون هذا العيد الواقع بين هذين التاريخين ، هو عيد الفوريم الذي يحتفل به اليهود في مارس عادة ، ذكرى لنجاتهم من

فصعد يسوع الى اورشليم . ٢ وفي اورشليم عند باب الضأن بركة
يقال لها بالعبرانية بيت حسدا

مكية هامان ، بوساطة الملكة استير . ولم يكن لهذا العيد ، نفس الاعتبار
الذي كان للثلاثة الاعياد الرئيسية في نظر اليهود ، لانه لم يُوضع برسم الهي ،
لذلك اكتفى البشير بأن وصفه بكلمة نكرة — «عيد»

(٢) مظهرها على وجه التعميم ١: ٥ (ب) : «فصعد يسوع الى اورشليم» —
الصعود هنا جغرافي لان اورشليم مرتفعة — فهي مبنية على جبل

عدد ٢. (٣). مظهرها على وجه التخصيص ٢: ٥ «وفي اورشليم عند باب الضأن
بركة يقال لها بالعبرانية بيت حسدا ، لها خمسة اروقة » . في هذا العدد يصف
البشير تلك البركة وصفاً مثلثاً . (أ) في مرقس ١١ : « عند باب الضأن » كان
هذا الباب على مقربة من الهيكل ، في جهة المشرق . وغالباً سمي كذلك ،
لان غنم الذبح كانت تدخل منه الى الهيكل . (ب) في اسمرها : « يُقال لها
بالعبرانية بيت حسدا » — ومعناها «بيت الرحمة» ، ويعتقد بعض المفسرين
ان الكلمة العبرية معناها : «بيت الأروقة» . فالمعنى الاول يكمن به عن الرحمة
التي كان ينالها المرضى بالاستشفاء في تلك البركة . والمعنى الثاني يُرمز به الى
الأروقة التي كانت مقامة عليها . والمعنى الاول هو الاصوب

ليس من الممكن تعيين هذه البركة في وقتنا الحاضر . وربما هي المعروفة
الآن : « نبع العذراء » الذي يجري ماؤه في قناة تحت الارض الى بركة سلوام ،

لها خمسة أروقة. ٣ في هذه كان مضطجعا جمهور كثير من مرضى
وعمي وعرج وعسم يتوقعون

وتسمى ايضا: «بركة الملك» (نح ٢: ١٤). (ج) في بنائها: «لها خمسة أروقة» —
الارجح انها كانت مبنية حول البركة ليستريح فيها المرضى الذين كانوا
يقصدونها للاستشفاء. وما اكثر امثالها في عصرنا الحاضر في الهند وفي بلاد
العرب ، وفي حلوان والامام الشافعي بمصر

عدد ٣. (٤). مدبساها : «في هذه كان مضطجعا جمهور كثير من
مرضى .. » كانت مياه هذه البركة غنية بالخواص المعدنية ، والى هذا تُعزى
قوتها الشافية ، التي كان يقصدها جمهور كثير من فرائس الامراض المزمنة .
ويقول يوسايوس ان مياه تلك البركة كانت في عصره محمّرة مما يدل على
انها كانت تحتوي على جانب عظيم من المواد الحديدية والكبريتية .
« العسم » — هم المصابون بجفاف في مفاصل اليدين والرجلين ويعرف مرضهم
الآن بداء النقرس . « يتوقعون تحريك الماء » — هذا دليل على ان الخواص
المعدنية الكامنة في مياه البركة ، كانت تنتعش بتحريكها . ويعتقد
المفسرون ان ماء تلك البركة كان يجري اليها من عين دورية ، يجري ماؤها
عادة بهدوء واعتدال ، وحيانا يتدفق ويجري بشدة ، فتطفو رواسبه وتعلوها
رغوة خاصة . ويقول الدكتور ادي ان مثل هذا الماء كثير في الارض المقدسة
مثل « نبع عنجر » في البقاع قرب بعلبك ، وفوار « دير الحمراء » قرب قلعة
الحصن . وعين منبج في اقليم البلاان ، شرقي « بيت جن » ، وماؤها يجري الى

تحريك الماء. ٤ لان ملاكاً كان ينزل أحياناً في البركة ويحرك الماء.
فمن نزل أولاً بعد تحريك الماء كان يبرأ من أي مرض اعتراه.
٥ وكان هناك انسان به مرض منذ

النهر الاعوج. و «عين العذراء» التي يرجح بعضهم انها «بركة بيت حسدا».
(قد لاحظ وستكوت بعد البحث والاستقراء ان هذا الجزء الاخير من عدد
٣ ، وعدد ٤ ، غير موجود في اقدم النسخ الخطية)

عدد ٤ بمحنة تفسيرية معترضة : « لان ملاكاً كان ينزل أحياناً .. »
تحدثنا هذه الكلمات عن الاعتقاد الذي كان شائعاً بين جمهور العامة بما فيهم
المستشفين ، لا عن اعتقاد البشير نفسه. ومن الطبيعي ان يعتقد العامة بمثل هذا
الاعتقاد ، لان سواد الناس ، في كل مكان ، اعتادوا ان ينسبوا الخيرات
التي مجهلون مصدرها الى الملائكة الاخيار

عده . (٥) الرجل التي تمت فيه معجزة الشفاء . « وكان هناك انسان .. »
هذا هو بيت القصيدة في هذه المعجزة ، اذا استثنينا المسيح. ان الثماني والثلاثين
سنة التي قضاها هذا الرجل رازحاً تحت المرض ، تنبئنا باليأس الذي استحوذ
عليه طوال هذه المدة التي قد يكون من السهل النطق بها ولكن ما اصعب
وما أمر اختبارها. استنتج بعض المفسرين من توافق مدة مرض هذا الرجل ،
مع المدة التي قضاها بنو اسرائيل في البرية ، ان هذا الرجل يرمز الى الامة
الاسرائيلية ، التي كانت مصابة بالشلل الروحي والادبي ، عند مجيء المسيح.

ثمان وثلاثين سنة. ٦ هذا رآه يسوع مضطجعاً وعلم ان له زماناً

على ان هذا الرأي لا يخرج عن كونه ضرباً من الخيال . ان الثماني والثلاثين سنة هي عمر كامل ، وهي كافية للتدليل على ان المرض عديم الشفاء فهي بمثابة القول : « اعمى منذ ولادته » (١:٩)

(٦) . الاوار التي مارت عليها المعجزة ٥:٦ — ٨ لقد سارت هذه المعجزة على ثلاثة أدوار : أحدها إعدادي (عدد ٦) ، والثاني تنفيذي (عدد ٨) ، يصل بينهما استعداد الرجل للشفاء (عدد ٧) ، والدور الثالث تحذيري (عدد ١٤)

عدد ٦ . الدور الاول . في هذا الدور ثلاث درجات : (١) « رأى » . (٢) « علم » . (٣) « فقال » (١) « رأى » — هذه الكلمة تثبتنا بعطف المسيح الذي تجول عيناه في كل الارض لتتظراً البائس . لقد رآه المسيح من غير استجداء ولا استرحام . وكذلك سائر المعجزات الملوثة في هذه البشارة — الا معجزة ابراء ابن خادم الملك في كفر ناحوم (٤٧:٤) . (٢) « علم » — هذا علم العليم المحيط بكل شيء ، الذي لا يحتاج الى ان يعلمه أحد . ان صحيفة حياة هذا الرجل كانت مفتوحة امام المسيح يقرأها حرفاً حرفاً (عدد ١٤) . وكذلك كان للمسيح علماً بماضي المرأة السامرية وحاضرها . (٣) « فقال له أتريد ان تبرأ . . » غير المسيح يرى ويستفهم ، فيعلم ، ثم يتحول عن المريض فيعبر . لكن المسيح رأى ، وعلم ، فاراد ان يحسن الى الرجل . ولكي يعدّه لقبول هذا الاحسان سأله قائلاً : « أتريد ان تبرأ » . بهذا السؤال فتح للمسيح امام الرجل باب الرجاء الذي ظل موصداً أمام وجهه طوال سني

كثيراً فقال له اريد ان تبرأ . ٧ اجابه المريض يا سيد ليس لي انسان

المرض سبباً في الاوقات الاخيرة . هذا سؤال يحمل بين ثناياه وعداً جليلاً ،
وشرطاً لازماً لنوال الوعد . بهذا السؤال اراد المسيح ان يضع ارادة الرجل على
محك الاختبار . فالكلمة الاصلية المترجمة «أريد» تفيد العزيمة القوية التي ترضى
ان تضحي بكل شيء في سبيل نوال ما تريد . لم يسأل المسيح ذلك الرجل عن
مجرد رغبته بل عن ارادته . فالرغبة شيء والارادة شيء آخر . فالكسول
المتواكل يرغب ويتمنى ان يكون له قصر منيف لكنه لا يريد ان يكده
ويعمل . اما المستكشف العظيم فانه يضحى بالنفس والتفيس في سبيل كشف
ما يريد . ولقد كان من الضروري ان يسأل المسيح ذلك الرجل عن ارادته
مخافة ان يكون الرجل قد رغب في حياة التواكل والكسل ، مستمتعاً
بأكل الطعام الذي يتساقط من ايدي المحسنين ، راغباً عن حياة الجهد والكد
والعمل . بهذا السؤال اراد المسيح ان يحوّل أنظار الرجل وانتظاراته من
البركة ومائها ، وان يوجهها الى شخصه الكريم فيصرفه عن العلاج الموهوم ،
الى مصدر العلاج الناجع (اعمال ٤: ٣)

عدد ٧ . ملقة الانجيليين البربريه « اجابه المريض يا سيد ليس لي
انسان » . نظر المريض الى هذا الشخص العجيب في ذاته ، العجيب في سؤاله ،
وقال : يا سيد . أتسألني عما اذا كنت اريد ان ابرأ ؟ هوذا الارادة حاضرة
عندي لكن القدرة مفقودة ، والعون معدوم . ما اشد المرارة التي أملت على

يلقيني في البركة متى تحرك الماء . بل بينما انا آتٍ ينزل قدامي آخر .
٨ قال له يسوع قم .

الرجل هذه الكامة : « ليس لي انسان » ! وقد غاب عنه ان الذي يحدثه هو
ابن الانسان الذي جاء ارضنا ليكون له

بهذا الجواب ، فتح الرجل باب الشفاء على نفسه ، لان ارادته هي نقطة
الارتكاز في هذه المعجزة . فما لم ترد اورشليم ان يجمع المسيح اولادها كما
تجمع السجاجة فراخها تحت جناحيها ، لن يقسم هو على هذا العمل (مت ٢٣ :
٢٧) . وما لم يرد العطشان ان يقبل الى الماء ، فانه يظل عطشان حتى يدركه
الموت

الآن قد تحول فكر المريض من بيت حسدا المادية التي لم تنفعه ، واتجه
نظره الى « بيت حسدا الروحي » ، فوجد في المسيح خير ملجأ للرحمة والحنان
عدد ٨ . الدور الثاني : « قال له يسوع : قم . احمل سريرك ^(١) . وامش »
هذا هو الدور التنفيذي في المعجزة ، وفيه أمر المسيح ذلك المريض ثلاثة
أوامر : (١) « قم » . — بهذا الامر قسم المسيح للرجل مجالاً يظهر فيه طاعة ايمانه
به . فالطاعة هي محك الايمان . ولو لم يكن ذلك المريض مستعداً لظهار طاعة
ايمانه ، لاحتج بالقول : ولكنني يا سيد لا استطيع ان اقوم . وقد قلت لك ان
هذه هي علي الوحيدة (عدد ٧) . فلو كنت قادراً على القيام من تلقاء نفسي ،

(١) كلمة « سرير » ، كما وردت في اليوناني ، مأخوذة في الغالب من اصل مكبوني
وهي تعني : « فرشاة الفقير » التي كانت تصنع عادة من القش ولعابها اقرب الكلمات الى
« الحصيد »

احمل سريرك وامش .

انزلت في البركة ، ونلتُ الشفاء . على ان قول المسيح للرجل : « قم » ، لم يكن مجرد أمر . بل كان وعداً في صيغة أمر . وكذلك كل وصايا المسيح : مواعيد مُفرغة في قالب أوامر . « أمين هو الذي يدعوكم الذي سيفعل أيضاً » (١ تس ٥ : ٢٤) . (٢) « احمل سريرك » — بهذا الأمر ، أراد المسيح من ذلك المريض ، ان يحمل ما كان محمولاً عليه ، فتصير له نقطة الضعف مصدر قوة ، بل برهاناً على نواله القوة . اذا كان أمر المسيح الاول : « قم » يرمز الى جدة الحياة ، فان أمره الثاني : « احمل سريرك » يرمز الى قوة الحياة وتحمل مسؤولياتها . وأمره الثالث : « امش » يرمز الى السلوك في جدة الحياة . (٣) « وامش » — بهذا الامر ، طلب المسيح من الرجل ان يودّع البركة ، ومياهها ، وأروقها ، غير آسف ، فيقطع كل صلة له بالماضي . هذا هو البحر الاحمر ، الذي كان على الرجل ان يعبره لكي يضع حداً فاصلاً بينه وبين مصر العبودية . هذا بمثابة إحراق القنطرة وراء الجيش المتقدم في سيره ، لكي يكون امام الجنود سبيل واحد من اثنين — لا ثالث لهما : فإمماً الظفر الى التمام ، أو مواجهة الحمام

اذا شَبَّهنا الحياة الجديدة بنهر ، كان أمر المسيح الاول : « قم » ، مشيراً الى منبع النهر . وأمره الثاني : « احمل سريرك » ، كناية عن قوة تيار النهر . وأمره الثالث : « امش » ، مشيراً الى مجرى النهر

٩ فحالاً برىء الانسان وحمل سريره ومشى. وكان في ذلك اليوم سبت

عدد ٩. اتمام المعجزة: «فحالاً برىء الانسان وحمل سريره ومشى». ظاهر من هذا الكلام، ان الرجل برىء، حالاً هم بالقيام. وبعد ان نال الشفاء حمل سريره ومشى. ان قوة المسيح سرت في الرجل، حالما عزم ان يقوم. إذا كانت طاعته لامر المسيح القائل له: «قم»، باباً رحباً، دخلت منه قوة المسيح الشافية

(٧) زمانه المعجزة: «وكان في ذلك اليوم سبت». كلمة «سبت» في هذا للوضع، لا تعني اليوم السابع في الاسبوع، بل أن اليوم الذي تمت فيه هذه المعجزة كان يوم «راحة» عند اليهود، نسبة للعيد (عدد ١). بهذه الكلمات يُختتم الفصل السابق، ويفتح الفصل اللاحق. فهي حلقة اتصال بين المعجزة نفسها، وبين أثرها المباشر

الذي المباشر للمعجزة ١٠:٥-١٨

في هذا الفصل مرسومة امامنا ثلاث صور: الصورة الاولى ترينا اليهود والرجل (١٠:٥ و ١٣). والصورة الثانية ترينا المسيح والرجل - او البور النهائي في المعجزة (١٤:٥). والصورة الثالثة ترينا اليهود والمسيح (١٥:٥-١٨)

عدد ١٠: الصورة الاولى - اليهود والرجل. (أ) اليهود يحرمونه على الرجل حمل سريره (عدد ١٠). (ب) الرجل يحنى وراء طبيب المجهول. (ج) اليهود يستجوبونه الرجل عن شخصية هذا الطبيب المجهول (عدد ١٢). (د) الرجل يحرم له طبيب هو المسيح (عدد ١٣)

١٠ فقال اليهود للذي شفي إنه سبت. لا يحل لك ان تحمل سريرك. ١١ أجابهم ان الذي ابرأني هو قال لي

عدد ١٠ (أ) اليهود بحرمونه على الرجل حمل سريره يوم السبت : «فقال اليهود للذي شفي انه سبت لا يحل لك ان تحمل سريرك». «اليهود» المقصودون هنا، هم العنصر المعادي للمسيح، الممثل في الرؤساء الدينيين. كانت مصيبة هؤلاء اليهود، اهتمامهم بالحرف دون الروح. فكسر عظام انسان ما، وكسر قلبه، لا يؤذيان شعورهم، قدر كسر السبت. ومع ان رؤية انسان قد تعافى من مرض لازمه مدة ثمان وثلاثين سنة، تنطق الاحجار بالشكر، وترقص أوراق الشجر، الا أن قلوب الفريسيين لم تبال بانسان شفي، بل حزنّت على سبت كسر. هؤلاء هم اعداء البشرية، اللابسين ثياب خدامها هؤلاء هم اعداء الشريعة، المدعين الدفاع عنها. هؤلاء هم العميان الذين جهلوا — او تجاهلوا — ان السبت خالق للانسان، لا الانسان للسبت. فبدلاً من أن يهنتوا الرجل وأنفسهم، على بركة الشفاء، عكروا عليه صفوح حياته، الجديدة، ووقفوه امام الشريعة موقف المتهم المتلبس بجريمته، بقولهم له: «انه سبت لا يحل لك ان تحمل سريرك». ولعلمهم بنوا كلامهم هذا على ما جاء في ارميا ٢١: ١٧. ويروى عن اليهود الرايين انهم فصلّوا الوصية الرابعة الى ثلاثين مادة، ومن ضمنها قولهم: «لا يجوز حمل سرير المرض يوم السبت»

عدد ١١ (ب) الرجل يخفى وراء طبيب المجهول : اجابهم ان الذي ابرأني هو قال لي احمل سريرك وامش». ان جوابه هذا يئم عن اقتناع منه،

احمل سريرك وامش . ١٢ فسألوه من هو الانسان الذي قال لك
احمل سريرك وامش . ١٣ اما الذي شفي فلم يكن يعلم من هو .
لان يسوع اعتزل . اذ كان

بأنه وجد في طبيبه الشافي شخصاً أرقى من شخصيات هؤلاء اليهود المستجوين
إياه . بل انه وجد شخصاً هو سيد السبت ايضاً
ويلوح لنا ان الكلمتين المركبتين في جوابه هما : « ابرأني » و « هو » .
وفي الغالب اراد الرجل بجوابه هذا ، ان يتخلص من تبعة كسر السبت ، بالقائها
على طبيبه الآخر

عدد ١٢ . (ج) اليهود يستجوبونه الرجل عن شخصية هذا الطبيب
المجهول : « فسألوه من هو الانسان » . ان النبوة في كلامهم ، واقعة على
قولهم : « انسان » ، كأنهم أرادوا ان يقولوا له : « ما هي شخصية هذا المخلوق
النكرة الذي يجترئ على كسر الشريعة الالهية السامية » ؟ وفي نفس الوقت ،
ارادوا ان ينكروا عليه قوته الشافية . فالرجل يتبر في جوابه على كلمة « ابرأني »
وهم ينترون في استجوابهم على كلمة « انسان »

عدد ١٣ (د) الرجل يجهل انه طبيب هو المسيح : « اما الذي شفي فلم يكن
يعلم من هو » - الذي شفاه - « لان يسوع اعتزل » - هذه هي المرة الوحيدة
التي وردت فيها كلمة « اعتزل » في العهد الجديد . ومعناها الخفي : امال رأسه
ليتفادى صدمة : « اذ كان في الموضع جمع » - هذه العبارة تبين لنا علة اعتزاله
اي انه اعتزل الجماهير ، مخافة ان يحملوا بتيار اعجابهم بمعجزته ، فيحاولوا ان

في الموضع جمع . ١٤ بعد ذلك وجده يسوع في الهيكل وقال له ها أنت قد برئت . فلا تخطئ . أيضاً لك يكون لك أشر .

يجمّله ملكاً وهو لا يرضى بعرش منفصل عن الصليب . ويعتقد جودي وهنجستنبرج ، ان وجود الجمع في الموضع لم يكن علة اعتزال المسيح ، وانما سهل عليه الاعتزال ، فلم يشعر به أحد ، لكثرة تجمع الناس . والرأي الاول هو الطبيعي ، على الأرجح

عدد ١٤ (٢) الصورة الثانية — المسيح والرجل : او الدور الاخير في المعجزة . هذا هو الدور التحذيري : « بعد ذلك وجده يسوع في الهيكل » . اعتزل المسيح تلك الجموع المتجمهرة التي تزحمه ، ليفتش على نفس مفردة تطلبه . ان احسن مكان تلتقي فيه النفس بالمسيح على افراد ، هو بيت الله . غالباً ذهب الرجل الى الهيكل ليقدم الشكر لله على شفائه ، وفي هذا الطريق المقدس ، وجده المسيح — مثلاً وجد الاعمى المطرود من اليهود (١٩: ٣٥) — وأعلن له ذاته ، وقدم له تحذيراً يقطع عليه خط الرجوع الى المرض ، لان الانتكاس اشد خطراً من المرض الاصلي : « ها أنت قد برئت فلا تخطئ ايضاً » . واضح من كلمة « ايضاً » ان مرض الرجل كان نتيجة وقوعه في خطية ما . على انه لا ينبني على هذا ، ان كل مرض يُبلى به الانسان ، يكون نتيجة خطية معينة ، كأن الأصحاء بلا خطية . ولو أن الامراض بوجه عام ، هي اللطخة التي تركتها الخطية على جبين البشرية . ومهما يكن من علة المرض ، فان في امكان المسيح ان يتسلط عليه ، فيجعله مرآة لمجد الله (١١: ٤)

١٥ فمضى الانسان واخبر اليهود ان يسوع هو الذي ابرأه. ١٦ ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون ان يقتلوه لانه عمل هذا في سبت.

(٣) الصورة الثالثة - اليهود والمسيح ١٥:٥ - ١٨

عدد ١٥ (أ) الرجل بمضى ليرد جواباً على اليهود : « فمضى الانسان وأخبر اليهود ان يسوع هو الذي ابرأه ». غالباً كان قصد الرجل في ذهابه الى اليهود، ان يرد عليهم جواباً عن سؤالهم الذي سبقوا فوجهوه اليه (عدد ١٢)، وتعذر عليه ان يجيب عنه وقتئذٍ. على انه في ذات الوقت، كان خير مبشر بالمسيح، لأن البشارة ليست سوى ابلاغ الخبر الطيب للآخرين. كانت بشارة هذا الرجل من الدرجة الممتازة، لانها مؤسسة على اختبار الشخص. ولعله قصد ان يرفع عن كتفه آخر ذرة من المسؤولية التي اوقعه اليهود تحتها، في حمله سريره يوم السبت^(*)، وان يلقيا على من هو اهل لان يتحملها امام الرؤساء، فيقرعهم بحجته وبيانه، ويناضلهم بنفوذه وسلطانه

عدد ١٦. اول شرر يتطابق من آثاره مفرد اليهود : « ولهذا كان اليهود يطردون يسوع » - يُراد بالطرد، مطاردة الاضطهاد. « ويطلبون ان يقتلوه » - (انظر عدد ١٨). « لانه فعل » - هذا اللفظ : « فعل »، كما ورد في الاصل، يفيد التعمد على شيء. « هذا » - الاشارة هنا، الى عملية الشفاء التي قام بها المسيح، والى امره للرجل ان يحمل سريره : « في السبت »

* جاء في التلمود : مرة تساءل معترض، قائلاً : « لماذا لا يحفظ الله السبت » ؟ فاجابه احد العلماء : « هل هو محرم على الانسان ان يعيش في بيته يوم السبت » ؟ فافتنع المعترض وقال : « حقاً ان العالمين هي بيت الله »

١٧ فاجابهم يسوع أبي يعمل حتى الآن وانا اعمل ١٨ فمن اجل هذا كان اليهود يطلبون اكثر ان يقتلوه. لانه لم ينقض السبت فقط بل

عدد ١٧. المسيح يحيرهم بكلمة جامعة. «ابي يعمل حتى الآن وانا اعمل» — هذا الجواب اشبه الاشياء بنوابة لكل الحديث الذي فاه به المسيح فيما بعد (عدد ١٩-٤٦)، وبه قصد القارى ان يفهم اليهود — ان ارادوا ان يفهموا: — أولاً: ان الراحة التي تمتع بها الله ليست في الكف عن العمل، بل في العمل الذي يسر قلب الله — في اعادة جمال الخليفة اليها بعد ان شوهتها الخطية، وفي أعمال العناية التي هي خلق مستمر، وفي اتمام تدبير القضاء الذي به يخلق الله المؤمنين خليفة جديدة. (عب ١: ٣ و افسس ١: ٩). ثانياً: ان صلة المسيح بالله هي صلة البنوة، التي تفرض توافقاً في المشيئة والعمل. هذا مستفاد من الكلمتين: «ابي وأنا». ثالثاً: ان عمل الابن على الارض مشتق من عمل الآب في السماء، ومطابق له تمام المطابقة: «ابي يعمل.... وانا اعمل». رابعاً: ان اعتراض اليهود على عمل المسيح، هو صورة اخرى لا اعتراضهم على عمل الله الذي يدعون التعبد له وتقديس اسمه عدد ١٨. انوره مفرد اليهود نحمي أضعافاً مضاعفة: «من اجل هذا كان اليهود يطلبون اكثر ان يقتلوه» — لقد أجادوا فهم قوة كلام المسيح، حين علموا: «انه قال ايضاً ان الله ابوه، معادلاً نفسه بالله». لكنهم اساءوا التصرف في تقدير كلامه. فبدلاً من ان يعتبروه إعلاناً جديداً من الله، وبعظه المقام اللائق به، حسبوه تحديفاً، وضموه الى قائمة الاتهامات الخطيرة

قال ايضاً ان الله ابوه معادلاً نفسه بالله

١٩ فاجاب يسوع وقال لهم الحق الحق اقول لكم لا يقدر

التي تبرعوا بها للمسيح : « لم ينقض السبت فقط بل قال ايضاً... » . انهم
بمحاولتهم ان يضموا تهمة الى تهمة ، لحساب المسيح ، كانوا في الوقت نفسه
يضيفون لحسابهم هم اثقالاً فوق اثقال ، « ويذخرون لانفسهم غضباً في يوم
الغضب » . (رو ٢ : ٥)

هو المسيح الممتاز ١٩: ٥ - ٢٩

في هذا الفصل يتابع المسيح دفاعه ضد اتهام اليهود اياه بكسر السبت ،
والتجديف . وقد عالج في هذا الدفاع موضوعاً خطيراً هو : حقه الممتاز . فتكلم
عن - اولاً : حقه الممتاز في صلته بالآب (١٩: ٥ - ٢٣) . ثانياً : حقه الممتاز
في صلته بالبشر (٢٤: ٥ - ٢٩) . ولكون هذا الخطاب قد وُجّه الى نفر قليل
من اليهود المثقفين ، ركّز المسيحُ الحجة فيه تركيزاً

اولاً : هو المسيح الممتاز في صلته بالآب (١٩: ٥ - ٢٣) . ان عمل
المسيح ومقامه ، متساويان في الدرجة مع عمل الآب ومقامه . ومطابقان لها تمام
المطابقة . هذه هي الحقيقة المركزية في هذه الاعداد . من أجل ذلك ، أقام
المسيحُ اربع حجج دامغة ليدعمها بها - وكل حجة منها تؤيد الحجة السابقة
لها ، وتتفرّع منها . وكل منها تُستهل بكلمة : « لأن » (عدد ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢)
عدد ١٩ . الحجة الاولى : انه عمل الابن هو صورة طبي الاصل لعمل
الآب ومساو له في مراح : « فاجاب يسوع وقال لهم : الحق الحق اقول لكم .. »

الابن ان يعمل من نفسه شيئاً الا ما ينظر الآب يعمل . لان مهما
عمل ذاك فهذا عمله الابن كذلك

لقد اجاب المسيح على افكارهم ، ونيّاتهم ، ومؤامراتهم ، بكلمات قوية برّر
بها اعماله ، وموقفه ، باعتبار كونه ابن الله . فاستهلّ جوابه هذا بقوله :
« الحق الحق » — كماداته ، عند افضائه بتصريح خطير ، مصحوب بسلطان .
ثم صرح بعبارتين تكاد احدهما تكون مع الاخرى على طرفي تقيض .
فالعبرة الاولى سلبية : « لا يقدر الابن ان يعمل من نفسه شيئاً » ، والعبرة
الثانية ايجابية : « لان مهما عمل ذاك فهذا عمله الابن كذلك » . العبرة
الاولى قد يُشتم منها رائحة العجز : « لا يقدر » ، والعبرة الثانية تفيد القدرة
المطلقة : « مهما عمل ذاك فهذا عمله الابن كذلك » . على ان هذا الذي يُرى لأوّل
وهلة كأنه عجز ، هو عين المقدرة . فان القول بعدم قدرة الابن على ان يخالف
طبيعته ، هو بمثابة القول : ان الله لا يقدر ان يكذب ، و « لن يقدر ان ينكر
نفسه » (٢ تي ٢: ١٣ قابل هذا مع يوحنا ٧: ١٧) . لان من مستلزمات طبيعة الابن
وارادته ، المطابقة التامة لطبيعة الآب و ارادته ، لما بينهما من كمال الوجدانية .
وبسبب هذا العجز الظاهري ، يتمتع الابن بكل القدرة الحقيقية . فعدم المقدرة
على المخالفة ، هو أقوى تعبير للمقدرة التامة على المخالفة . هذا يوافق قول المسيح
في لوقا ٤: ٢٩ « ينبغي ان اكون في ما لابي » (انظر سفر العدد ١٦: ٢٨)
« مهما عمل الآب فهذا عمله الابن كذلك » — ان عمل المسيح ، ليس
فقط مطابقاً لعمل الآب ، بل هو ايضاً متمشٍ معه ومساوٍ له في مداه

٢٠ لان الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمل . وسيره اعمالاً اعظم من هذه لتعجبوا انتم . ٢١ لانه كما ان الآب

عدد ٢٠ : المحبة الثانية : الابن محبوب من الآب ، ومطلع على جميع اعماله الهولاء متوايلاً : « لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمل » — هذا الكلام يتناول الماضي والحاضر . « وسيره أعمالاً اعظم من هذه » . اي اعظم من شفاء المريض ، مثل : اقامة لعازر ، وقيامته هو ، وصعوده — هذا الكلام يشير الى مستقبل الأيام . « لتعجبوا ^(١) انتم » — هذا مبلغ تأثرهم من اعماله العتيدة . (اعمال ٤ : ٣٠ و ٥ : ٢٤) . التعجب خطوة اولية قد تؤدي الى الاعجاب ، فالايان . وقد تقف عند حدها فتتبخر

ان هذه الحجة الثانية ، مؤيدة للحجة الاولى . فطابقة اعمال المسيح لاعمال الآب ، مبنية على علمه المتواصل باعمال الآب ، على التوالي . وهذا الاطلاع المتواصل مبني على الصلة المكنية التي بينه وبين الآب — صلة الحب الازلي ، الروحي ، السري ، الخالد . هو ذلك الحب القدسي ، الناشئ عن التشابه في الطبيعة ، والذات ، والصفات

عدد ٢١ . المحبة الثالثة : انه الابن له ما له من السطان والقدرة : « لانه كما ان الآب يقيم الاموات ويحيي ، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء » . في هذا العدد ، فصل المسيح ما سبق فأجمله . في العدد السابق ، تكلم عن « الاعمال الأعظم » اجمالاً . وهنا ، أرانا عينة من هذه « الاعمال الاعظم » — « إقامة

(١) احتفظ كلندس الاسكندري بكلمة رواها له اخدم عن المسيح : « ان من يتعجب قد يظفر ، ومن يظفر يطن »

يقيم الاموات ويحيي كذلك الابن ايضا يحيي

الاموات واحياءهم». ان اقامة الاموات واحياءهم، هما تعبيران لحقيقة واحدة. وهما على مثال قول المسيح: «انا هو القيامة والحياة» (٢٥:١١). ان اقامة الاموات هي ايقاظهم. وان احياءهم هو ايداع بذرة الحياة فيهم. فالقيامة اذاً، هي نتيجة الحياة ومظهرها، والحياة هي بذرة القيامة ومصدرها. فقوله: «يقيم الاموات ويحيي» لا يشير الى عمليتين مختلفتين بل الى عمل واحد ذات وجهين: فالاقامة هي الحياة في نشاطها، والاحياء هو الحياة في نبعها واصولها. ومع ان المسيح ذكر هذين الوجهين في بدء العدد: «يقيم الاموات ويحيي»، الا انه في نهاية العدد، اكتفى بان ذكر احدهما: «يحيي» للتعبير عنهما كليهما — وذلك من باب التغليب، الذي يقوم باطلاق اسم الجزء على الكل. على ان الاقامة والاحياء يتناولان الجسد والروح معاً

«كما ان الآب يقيم الاموات» — في مقدمة الامور المسلم بها لدى اليهود، ان للآب سلطاناً على اقامة الموتى واحيائهم. (تث ٣٣: ٣٩ و ١ صم ٢: ٦) وقد أجرى الله هذا العمل على أيدي ايليا، واليشع (١ مل ١٧ و ٢ مل ٤: ٣٢-٣٥). «كذلك الابن ايضا» — له نفس هذا السلطان: فهو «يحيي» — اي يقيم الاموات ويحييهم. وقد اقام فعلاً ابنة يائرس التي ماتت ولم تكن قد أُخرجت بعد من البيت (لوقا ٨: ٥٥)، وابن ارملة نايين، الذي كان قد أُخرج من البيت، ولكنه لم يبلغ القبر (لوقا ٧: ١٤ و ١٥)، ولعازر الذي أُخرج من البيت وادخل الى القبر وأُتِن (يوحنا ١١: ٤٣ و ٤٤). ولثلاثا يتبادر الى ذهن سامعيه، ان الابن

من يشاء. ٢٢ لان الآب لا يدين احداً بل قد اعطى كل الدينونة لابن

في عمله هذا ، مقيد بالتزامات جبرية ، صرح لهم انه يعمل اعماله وهو متمتع بكامل حريته : « من يشاء » . ان مشيئته هي علة احياء الاموات ، وهي الباعث عليه كما انها هي ايضاً وسيلته الوحيدة . ويعتقد وستكوت ان هذه العبارة الاخيرة : (١) تصف كفاية قدرة المسيح . (٢) تربط اعمال المسيح الحاضرة بمشورة المحبة الازلية . (٣) تعني استقلال المسيح في عمله هذا عن حسب هؤلاء الاموات ونسبهم ، فهي تحمل ضمناً معنى من معاني الاختيار

عدد ٢٢ . المحبة الرابعة : الادبه يقوم مقام الاب في الديونة : « لان الآب لا يدين احداً بل قد اعطى كل الدينونة لابن » . في الحجج الثلاث الماضية ، بين المسيح انه يعمل الاعمال التي يعملها الآب ، وهنا ارانا انه يمثل الآب ذاته في عمل قد رضي الآب ان يتفرد الابن فيه — الدينونة : لان الآب لا يدين احداً ، بحكم وعده الذي وعد به الابن في عهد الفداء ، مكافأة له على اتضاعه اختيارياً لاجل فداء العالم (مت ٢٥: ٣١ - ٤٥ واع ١٧: ٣١ وفي ٢: ٥ - ١١) . ولا يفوتنا ان نذكر ما تتطلبه ادانة الناس من القدرة غير المحدودة على فحص قلوب الجميع ، والاحاطة بالبواعث والمسببات الخفية التي حملتهم على اختيار هذا دون ذاك . فضلاً عن ذلك فان المسيح قد قدم بتأنسه المثل الاعلى الذي يعتبر أضبط مقياس للناس (عدد ٢٧)

كلمة : « اعطى » استعملت في هذه البشارة لتصف امتيازات المسيح ، وحقوق بنوته الممتازة (٣٦: ٥ و ٣٥: ٣ و ٣٧: ٦ و ٣٩ و ١٠: ٢٩ و ١٧: ٢ و ٤ و ٢٢)

٢٣ لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب . من لا يكرم

عدد ٢٣ نتيجة متهمة : « لكي يكرم . . » هذه نتيجة جامعة للاربع الحجج الماضية . اذا كان الابن يعمل اعمال الآب (عدد ١٩ و ٢٠ و ٢١) ، ويقوم مقام شخصه في الدينونة (عدد ٢٢) ، فالنتيجة الحتمية التي تترتب على هذا ، هي ان المسيح حقيق بالاكرام الذي يوجّه للآب ، وان من يقصر في حقه في هذا الباب ، فهو مقصر في حق الآب نفسه ، لانه رسول الآب وممثله وقائم مقامه

ثانياً : هو المسيح الممتاز في صلته بالبشر ٢٤:٥ - ٢٩

في الجزء الذي مرّ بنا من هذا الخطاب ، تكلم المسيح عن الابن بصيغة الغائب ، وفي الجزء الذي امامنا يتحدث عنه بصيغة المتكلم — ودلالة على ان ما ذكر عن الابن ، يصدق على المسيح نفسه . فهو ابن الله الوحيد فيما سبق ، تكلم المسيح عن ذاته وعمله . ويتكلم هنا عن تأثير عمله في المؤمنين . قبلاً تكلم عن مقامه الممتاز ، في صلته بالآب . والآن يتحدث عن مقامه الممتاز ، في صلته بالبشر

في الاعداد السالفة (١٩ - ٢٢) ، أبان المسيح ان صلته الممتازة بالآب تحوّلته حقاً مزدوجاً : (١) حقّ الاحياء (عدد ٢١) ، (٢) حقّ الادانة (عدد ٢٢) . وفي الاعداد التالية (٢٤ - ٣٠) ، ارانا ممارسته الفعلية لهذين الحقين . ولا يغرب عن اذهاننا ، ان كلا من هذين الحقين له جانبان — جانب روحي باطني ، يتم في هذه الحياة . وجانب ظاهر ، خارجي ، يُعلن في الحياة العتيدة . وهذان الجانبان هما مدار الكلام في الاعداد التي نحن بصددتها الآن

الابن لا يكرم الآب الذي ارسله . ٢٤ الحق الحق اقول لكم

(١) الحياة والدينونة في موهبتهما الروحي ، الباطني - في هذه الحياة
٢٧-٢٤:٥

(٢) الحياة والدينونة في مظهرهما النهائي ، الحرفي - في الحياة العنبرة
٢٩ و ٢٨:٥

(١) الحياة والدينونة في موهبتهما الروحي الباطني في هذه الحياة ٢٧-٢٤:٥
لاهمية الحقائق المتضمنة في هذه الاعداد ، كرّر المسيح فيها قوله : «الحق
الحق» مرتين . فمن هذه الحقائق :-

(أ) كلمة مجملة في شرط نوال الحياة الابدية والنجاة من الدينونة (عدد
٢٤) . (ب) الحياة الابدية كحقيقة روحية راهنة (عدد ٢٥) . (ج) مصدر
الحياة الابدية ونبعها (عدد ٢٦) . (د) كلمة مجملة عن صاحب السلطان في
الدينونة (عدد ٢٧)

عدد ٢٤ . (أ) كلمة مجملة في شرط نوال الحياة الابدية والنجاة من الدينونة
«الحق الحق اقول لكم...» هذا شرط مزدوج : معرفة الاعلان الذي جاء به
الابن ، وتصديق الآب الذي تكلم في الابن . او بعبارة اخرى ، هو الاصغاء
«للكلمة» ، وتصديق المتكلم . يا ترى ما هي مؤهلات هذا المعلم الجديد الذي
يجعل الاستماع لكلامه ، شرطاً لازماً ، وكافياً ، لنوال الحياة الابدية ؟ اذا لم
يكن هذا المعلم ، الهاً ، فمن المحقق انه ليس من الله ، بل يكون مدعيًا ، ومجدفًا

ان من يسمع كلامي ويؤمن بالذي ارسلني فله حياة ابدية ولا يأتي الى دينونة بل قد انتقل من الموت الى الحياة .

ان من يسمع كلام المسيح ويؤمن بالذي ارسله ، يتمتع بحقين : يترتب ثانيهما على اولهما . لان نسبة اولهما الى ثانيهما كنسبة العلة الى النتيجة . او كنسبة البذرة الى الثمرة . أما الاول فهو — التمتع بالحياة : « فله حياة » . وجدير بالذكر ان الحياة ، مذكورة هنا كحقيقة راهنة ، بل كحق ممتلك في هذه الحياة الحاضرة : « له » . فهي تشتمل على الولادة الجديدة ، والنمو في القداسة ، والمشاركة بصورة الله تعالى

فع ان ايجاد الحياة الابدية ، وثمارها الناضجة ، وخبايا مكنوناتها ، لا تُعلن الا في الدهر الآتي ، الا انها في بزرتها ، وجوهرها ، وخلاصتها ، ملك للمؤمن في هذه الحياة . واما الحق الثاني فهو النجاة من الدينونة : « ولا يأتي الى دينونة » — كما يستحق هو وكل نسل آدم المولودين تحت غضب الله . ان ايمان الانسان بالمسيح ، يرفع عنه الخطية التي هي علة الدينونة (رومية ٨ : ١) اما علة تمتع المؤمن بالحياة ، ونجاته من الدينونة ، فهي انه « قد انتقل من الموت الى الحياة » . اذاً فالحياة الابدية هي قيامة روحية ، وما الحالة الطبيعية التي وُلد فيها الجنس البشري الا « مقبرة للاحياء » . فكل داخل اليها مفقود ، وكل خارج منها مولود

٢٥ الحق الحق اقول لكم انه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الاموات صوت ابن الله والسامعون يحيون . ٢٦ لانه كما ان الآب له حياة في ذاته كذلك اعطى الابن ايضاً ان تكون له حياة في ذاته.

عدد ٢٥ . (ب) الحياة الابدية كخيفة رومية رافنة : « تأتي ساعة وهي الآن . . » هذه الساعة قد بُدِئَتْ بمجيء المسيح ، واثت بتمامها بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين . « حين يسمع الاموات » — بالذنوب والخطايا . « صوت ابن الله » — بمقابلة هذه العبارة مع قول المسيح في العدد السابق « من يسمع كلامي » يتضح لنا جلياً انه قصد ان يفهم سامعيه انه هو ابن الله . « والسامعون يحيون » — يُستنتج من هذا القول ان الموتى روحياً ، نوعان : نوع يسمع صوت ابن الله ولا يميز (١٢ : ٤٠) « سَمْعاً يسمعون ولا يفهمون » . ونوع يسمع ، ويميز ، ويعي ، ويطيع ، فيحيا (١٠ : ٤) . كان لعازر واحداً من هؤلاء السامعين ، لان قيامته الجسدية كانت رمزاً للقيامة الروحية

عدد ٢٦ . (ج) مصدر الحياة الابدية ونبعها : « لانه كما ان الآب له حياة في ذاته كذلك اعطى الابن » . ان المسيح هو نبع الحياة وقوامها ، بحق تمتعه بحياة الآب ذاته

يتضمن هذا العدد عبارتين قد يُرى فيهما لاول وهلة شيء من التناقض : « اعطى » و « في ذاته » . فالمسيح باعتبار كونه فادياً ووسيطاً اعطى هذه الحياة منذ الازل . واما باعتبار كونه إلهاً ذا جوهر واحد مع الآب فالحياة ذاتية فيه ، بل هو نبعها وقوامها ، ومعطيها (١ : ٤)

٢٧ واعطاءه سلطاناً ان يدين ايضاً لانه ابن الانسان . ٢٨ لا تتمجبوا من هذا . فانه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين

عدد ٢٧ . (د) كلمة مجده عن صاحب السلطان في الديانة : « واعطاءه سلطاناً ان يدين ايضاً لانه ابن الانسان » . ان ابن الله الحي (عدد ٢٦) ، هو هو « ابن الانسان » الديان . وكلا الحقين قد اعطيتهما من الآب منذ الازل . فالمسيح ، بحق مشاركة الله في طبيعته ، هو مصدر الحياة ونبعها . وبحق مشاركة الانسان في طبيعته ، هو صاحب السلطان في الديانة . وبهذين الحقين معاً ، صار ملماً بالضعف البشري ، وعارفاً بحقيقة جبلتنا ، فجمع الى علم اللاهوت الفاحص علم الناسوت المختبر (اعمال ١٧: ٣١) وفي الوقت نفسه قدم للبشر المثل الاعلى الذي عليه يرسمون ، وبه يدانون (افسس ٤: ١٤)

(٢) الحياة والديانة في مظهرهما النهائي الظاهري في الحياة العنيدة ٢٨:٥ و ٢٩
عدد ٢٨ . (أ) البقعة العامة : « لا تتمجبوا من هذا » — قابل استهلال هذا العدد ، بقرة عدد ٢٠ « لتتمجبوا انتم » . ليس التعجب في ذاته سوى مرحلة انتقال من حال الى حال ارقى . وكل مظهر جديد لقوة المسيح ، مهد لمظهر اجل يدعو الى التعجب . وقد يتطور التعجب اعجاباً ، فإيماناً . وقد يقف جامداً ، فيكون مهده لحده . « تأتي ساعة » — بخلاف تلك المذكورة في عدد ٢٥ . تلك ساعة « حاضرة » ، وهذه ساعة في بطن الغيب « فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته » — يختلف هذا السمع عن ذاك الموصوف في عدد ٢٥ . ذاك سمع التمييز الخاص بالمؤمنين . وهذا سمع عام لجميع ساكني

في القبور صوته . ٢٩ فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة .

القبور . ذلك سمع يؤول الى الحياة الابدية ، بل هو اول علامة لها . وهذا سمع ينتهي بمجرد اليقظة الجسدية التي تنتهي بالحياة الابدية او بالدينونة المريعة . ذلك سمع روحي يقوم به الوجدان ، وهذا سمع حرفي مادي تقوم به الآذان . ذلك سمع يتناول بعض الموتى روحياً ، وهذا سمع يشمل جميع الموتى جسدياً . واليك هذه المقابلات في صفين متوازيين :

عدد ٢٥ — تأتي ساعة وهي الآن
حين يسمع (بعض) الاموات (روحياً)
والسامعون يحيون (حياة روحية ابدية).

ع ٢٨ و ٢٩ — تأتي ساعة (في المستقبل)
حين يسمع جميع الذين في القبور (المادية) صوته
فيخرج ... (عودة الحياة الجسدية اليهم)

عدد ٢٩ (ب) قيامة الحياة ، وقيامة الدينونة : ليس في هذا الكلام ما يقطع بوجود قيامتين مختلفتين في وقتين مختلفين بل هما في الواقع وجهان لقيامة واحدة — وجه منير يتمتع به من فعلوا الصالحات ، ووجه مظلم يحيق بمن عملوا السيئات . وقد استعمل المسيح كلمتين مختلفتين للتعبير عن اتيان الصالحات ، والسيئات . فمن اتيان الصالحات ، قال : « فعلوا » لان الصلاح يستلزم ارادة حاسمة فعالة . وعن اتيان السيئات ، قال : « عملوا » لان السيئات تخرج طبيعياً من اهل السوء من غير مجهود ولا عناء (انظر تفسير ٢٠:٣ و ٢١).

في هذا العدد ، تقدم المسيح بسامعيه خطوة جديدة عما في عدد ٢٧ . هنالك كلمهم عن سلطانه ، وهنا انبأهم باستعماله هذا السلطان بكيفية فعالة

٣٠ انا لا اقدر ان افعل من نفسي شيئاً . كما أسمع أدين ودينوتي
عادلة لاني لا اطلب مشيئتي

عدد ٣٠ عود الى برء . « انا لا اقدر .. » بعد ان تكلم المسيح عن حقه
الممتاز — نظرياً وعملياً، ازلياً وتاريخياً ، عاد الى النقطة التي منها ابتداءً في عدد
١٩ . فكان كلامه شبيه بدرجة ملفوف يتلائم وله مع آخره . في عدد ١٩
استعمل استعارة النظر، وهنا استعمل استعارة السمع . (اطلب تفسير عدد ١٩)
ان الدينونة التي يقوم بها المسيح ، مبنية على علمه التام بمشيئة الآب
وفكره ، كما ان اعماله مستمدة من معرفته المتواصلة باعمال الآب
بهذا العدد تطوى مرحلة من حديث المسيح ، وتُنشر مرحلة جديدة
سنراها فيما يلي .

ثانياً : سرود المسبح — ٣١: ٥ — ٤٠

في هذا الفصل يذكر المسيح ثلاثة شهود لنفسه : — الشاهد الاول هو
نفسه (عدد ٣١) . على انه لم يرد ان يكون هو الشاهد الوحيد لنفسه . لان
شهادة صاحب الدعوى ، لا تقوم لدى الشريعة التي يحترمها المسيح (عدد
٣: ٣٥ وتث ١٧: ٦) لذلك فهو يرى ضرورة تأييد شهادته لنفسه بشاهد آخر
سيذكره فيما بعد (عدد ٣٢) . الشاهد الثاني هو يوحنا المعمدان (عدد ٣٣) .
غير انه لم يكتفِ ايضاً بهذا الشاهد لان يوحنا على رغم كونه نبياً ، فهو انسان
زائل (عدد ٣٤ — ٣٥) . الشاهد الثالث — الذي اشار اليه المسيح في عدد ٣٢ —
هو الآب وشهادته هي بيت القصيد في هذا الفصل (عدد ٣٦ — ٣٩) . وقد أدى

يل مشيئة الآب الذي ارسلني

٣١ ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً. ٣٢ الذي يشهد لي هو آخر وانا اعلم ان شهادته التي يشهد بها لي هي حق.

الآب هذه الشهادة بثلاث وسائل : (أ) ادّأها بواسطة الاعمال التي اعطى المسيح اياها ليكملها (عدد ٣٦). (ب) ادّأها بشخصه (عدد ٣٧). (ج) ادّأها بكلمته المسجلة في الكتب المقدسة (عدد ٣٨ و ٣٩)

عدد ٣١. الشاهد الاول — شهادة المسيح لنفسه « ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً ». قال المسيح هذا دفعاً لاعتراض جال في افكار اليهود وربما عبروا عنه بالكلام بعدما سمعوا كلام المسيح في الفصل السابق، ولعلهم قالوا له « ان شهادتك عن نفسك لا يقيم لها وزن عندنا. فانت صاحب الدعوى وانت الشاهد ». ومع انه كان يحق للمسيح ان يتمسك بحقه في الشهادة لنفسه نظراً لشخصه الممتاز وسبطائه الذي لا يدانيه فيه سواه (٨: ١٤) الا انه رضى، تنازلاً منه، ان يُحكم في دعواه بمقتضى قوانين الشريعة التي لا تثبت الدعوى فيها باقل من شاهدين. وقوله « ليست حقاً » معناه ليست مقبولة شرعاً (لوقا ٢٠: ٢١) اي انه لو فرض وكان منفرداً بالشهادة لنفسه لاعتُبرت شهادته غير مقبولة

عدد ٣٢. الشاهد الآخر استنتج بعضهم خطأ مما جاء في العدد التالي ان هذا الشاهد الآخر هو يوحنا المعمدان ولكن ما جاء في عدد ٣٦ وما بعده ما يُبطل هذا الزعم، ويقرر من غير ما لبس ولا شك ان هذا الشاهد الآخر هو الآب نفسه

٣٣ انتم ارسلتم الى يوحنا فشهد للحق. ٣٤ وانا لا اقبل شهادة من انسان. ولكني اقول هذا لتخلصوا انتم. ٣٥ كان هو السراج

عدد ٣٣-٣٥ الشاهد الثاني . في هذا الكلام اشار المسيح الى : -
عدد ٣٣ . (١) اعترافهم ضمناً بشهادة يوحنا وذلك حين ارسلوا اليه وقدأ
ليسألوه من أنت فشهد للمسيح وقتئذٍ (١٩:١-٢٧)

عدد ٣٤ . (ب) عدم اكتمال المسيح بشهادة المعمدان . مع انه كان
من حقه ان يكتفي بشهادة يوحنا بناءً على اعتراف اليهود بصحتها الا انه لا
يرضى ان تكون الشهادة الرئيسية التي يعتمد عليها ، مقدمة من انسان .
لأن الذي أتى من فوق لا يقبل الا شهادة من فوق . وانما اراد بقوله :
« ولكني اقول هذا لتخلصوا انتم » ، انه سرد شهادة يوحنا لمنفعتهم هم اذا
صدقوها وآمنوا به

عدد ٣٥ . (ج) وصف شهادة المعمدان ، وموقفهم التاريخي ازاءها :
« كان هو السراج الموقد المنير » - ليس المعمدان « شمساً » يكتفي بنوره ،
بل هو مصباح مضي في بيئة ضيقة . ونوره اكتسائي لا ذاتي فهو « موقد
منير » . ولهذا السبب فهو زائل ذاهب ، لان زيته كان ينقص تدريجياً بإيقاده
حتى استهلك فانطفأ . وفي هذا الوقت كان مصباح حياة المعمدان ، قد انطفأ في
السجن منذ ان قطع هيرودس رأسه . اما موقفهم التاريخي ازاء شهادة يوحنا ،
فكان موقف الصبية المرحين اللاعبين حول النور ، او كموقف القراشة التي

الموقد المنير وانتم اردتم ان تبتهجوا بنوره ساعة. ٣٦ واما انا فلي
شهادة اعظم من يوحنا. لان الاعمال التي اعطاني الآب لا كلها هذه
الاعمال بعينها التي انا اعملها هي تشهد لي ان الآب قد ارسلني.

تقوم راقصة حول المصباح حتى تقتل نفسها بناره: «وانتم اردتم ان تبتهجوا بنوره
ساعة». نعم ان النور للبهجة، ولكنه قبل ذلك للاضاءة والهداية. فهو ليس
غاية، بل وسيلة لتحويل انظار الناس الى المراثيات

اما اليهود فقد فرحوا بالمصباح لدرجة انهم انصرفوا به عن الشخص
العجيب الذي جاء يوحنا ليشهد له (لو ٧: ٢٤)

ع ٣٦-٣٩. الثالث - الآب. هذا هو بيت القصيد. وقد
ادى الآب شهادته بثلاث وسائل:

عدد ٣٦. (١) الآب سره للمسيح بواسطة الاعمال التي اعطاها اياه ليكملها
هذه هي الشهادة التي أنطق الله بها لسان المعجزات التي اجراها المسيح،
ومن ضمنها معجزة شفاء مريض بركة بيت حسدا، التي استهل بها هذا الاصحاح.
ان الآب، باعطائه المسيح ان يعمل هذه المعجزات، قد ختم على صدق
رسالة المسيح ونبوته وعلى حقيقة نبوته

مع ان اعمال الله كاملة من الجانب الالهي، لكنها في نظر البشر تكمل
تدريجياً في وقتها المناسب، وقد كملت فعلاً على الصليب حين قال المسيح:
«قد اكمل» (يو ١٩: ٣٠)

٣٧ والآب نفسه الذي ارسلني يشهد لي. لم تسمعوا صوته قط ولا ابصرتم هيئته. ٣٨ وليست لكم كلمته ثابتة فيكم. لان الذي ارسله هو لستم انتم تؤمنون به. ٣٩ فتشوا الكتب لانكم تظنون ان

عدد ٣٧. (ب) الآب شمر للمسيح بمفرد. « والآب نفسه الذي ارسلني يشهد لي » — هذه هي الشهادة الشفوية المسموعة التي شهد بها الآب للمسيح « بصوته وهيئته » (لوقا ٢٢:٣ و ٣٥:٩ و يوحنا ١٢:٢٨ - ٣٠) وعن هذه الحادثة الاخيرة قال المسيح : « ليس من اجلي صار هذا الصوت بل من اجلكم ». وربما اشار أيضاً بقوله : « هيئته » ، الى السحابة التي بها أظهر الله وجوده في العهد القديم (عدد ٩:١٥ و ١٦)

ع ٣٨ و ٣٩ (ج) الآب شمر للكلمة المتجسد ، بالكلمة المكتوبة : هذه هي الشهادة التي انطق بها الله السنة الكتب المقدسة الصامتة للمسيح — ورب صمت ابلغ من كلام . ان كلمة الله المنوّه عنها في عدد ٣٨ ، قد تشمل مع كتب الوحي ، كلمة الله التي يرسلها للضمير بانواع وطرق كثيرة . و « كلمته » المذكورة في عدد ٣٩ قاصرة على الوحي المكتوب. الكلمة المترجمة « فتشوا » يجوز ان تُترجم الى « اتم فتشون » : في صيغة خبرية لا أمرية ، وعلى هذا الاعتبار ، يكون المسيح موجهاً اليهم سهماً حاداً من اللوم والتوبيخ لانهم وهم يفتشون الكتب على زعم ان لهم فيها حياة ابدية ، قد خرجوا من درسها ، أمواتاً كما كانوا قبل البحث والتفتيش . مثلهم مثل حجر يلقى في تربة خصيبة ، فيخرج منها حجراً كما كان. هذا هو تأنيب المسيح لأهل الكتاب

لكم فيها حياة أبدية . وهي التي تشهد لي ٤٠ ولا تريدون ان تأتوا
الي لتكون لكم حياة . ٤١ مجداً

الذين زعموا انهم حملة مفاتيح العلم . « و بينما هم يزعمون . انهم حكماء ، ضاروا
جهلاء . ان هذه الكتب التي كان يبحث فيها اليهود ، بعيون مفتوحة —
كعيون التماثيل المتحجرة — هي التي تشهد للمسيح : بالنبوات ، والرمز ،
والشخصيات

واذا اخذنا بالترجمة الحالية ، علمنا ان المسيح قصد ان يستعثرهم على
الاجتهاد في البحث ببصر مفتوح ، وباصرة نيّرة

عدد ٤٠ . يحمرون انفسهم من الحياة ، بارادتهم « لا تريدون ان تأتوا
الي لتكون لكم حياة » . ما اعظم الفرق بين اليهود في نظرياتهم ، وبينهم في
حياتهم العملية . في نظرياتهم يظنون ان لهم في كتبهم حياة ، ولكن في حياتهم
العملية ، يفرّون من الحياة ، فرار المين المريضة من النور . انهم يبعدون
عن المسيح ، قد ابعدوا انفسهم عن الحياة ، فهو الطريق ، والحق والحياة
ومصيبة المصائب ، انهم عملوا هذا بارادتهم . يا ليتهم كانوا جهالاً .
يا ليتهم كانوا عمياناً ، فلا كثرة الخطايا ، ولا قضاء الله ، ولا عدم المعرفة ، تحرم
الانسان من التمتع بالحياة . انما الانسان هو الذي يحرم نفسه بيده لانه لا يريد

ثالثاً : عدم ايمان اليهود ٤١:٥ - ٤٧

من الكلمة التي اختتم المسيح بها الفصل السابق ، تقدم ليعالج الموضوع

من الناس لست اقبل . ٤٢ ولكني قد عرفتكم أن لست لكم
محبة الله في انفسكم .

الذي به انتهى — عدم ايمان اليهود . قيتين : (١) عند عدم ايمانه اليهود
(٤٤ — ٤١:٥) . (٢) نتيجة عدم ايمانه اليهود (٤٧ — ٤٥:٥)

(١) عند عدم ايمانه اليهود (٤٤ — ٤١:٥) . رأى المسيح طبيبُ
النفوس، العلة الدفينة لعدم ايمانهم، فشرحها تشخيصاً دقيقاً، في ثلاث كلمات:
(١) التجرد من محبة الله (عدد ٤٢) . (ب) الفهم الروحي (عدد ٤٣) .
(ج) تخفّضهم بقبولهم مجداً من بعضهم البعض (عدد ٤٤) . او بعبارة
اخرى : نفوس فارغة ، عيون عمياء ، قلوب مستعيلة

عدد ٤١ . لردراء المسيح بمجد الناس : « مجداً من الناس لست اقبل »
يُستنتج من هذا القول ، ان اليهود اعترضوا على كلام المسيح في الاعداد
السابقة ، كأن قالوا مثلاً « وماذا تطلب منا بعد ان ادليت بهذه الشهادات
الكثيرة، العلاك تنتظر منا ان نعظمك ونمجدك » ؟ فأجابهم قائلاً : « مجداً من
الناس لست اقبل » — فهو لم يكلمهم طمعاً في المجد الذي يصيبه منهم، بل حباً
بخيرهم الروحي، اما هو فله من يمجده (١٧:٥) . من اجل هذا اراد ان يدهم
على العلة الحقيقية التي منعت عنهم خيرهم الروحي، واصفاً هذه العلة وصفاً مثلثاً:
عدد ٤٢ . (١) نفوس مجردة عن محبة الله . « ولكني قد عرفتكم » —
كما في ص ٢٤:٢ — « أن لست لكم محبة الله في انفسكم » وردت كلمة : « محبة
الله » مرة اخرى في البشائر (لوقا ١١:٤٢) . ان الله هو منشى المحبة، وهو موضوعها

٤٣ أنا قد أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني. ان أتى آخر باسم نفسه
فذلك تقبلونه ٤٤ كيف تقدرّون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً
بعضكم من بعض. والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه
٤٥ لا تظنوا أني أشكوكم إلى الآب. يوجد الذي يشكوكم

عدد ٤٣. (ب) العمى الرومى. « أنا أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني. »
ان أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه. ان عماهم الروحي، هو عدم تمييزهم
بين من يأتيهم من الله وبين من يأتيهم من نفسه. بل قد انقلبت معهم الآية،
فصاروا يفضلون من يأتيهم من تلقاء نفسه على من يأتيهم باسم الآب وسلطانه
عدد ٤٤. (ج) متفهمهم بقبول المجد من بعضهم البعض. « كيف
تقدرون ان تؤمنوا وأنتم تقبلون. » في عدد ٤٠، قال لهم المسيح: « لا تريدون »
وفي هذا العدد قال لهم « كيف تقدرون ». ان عدم الارادة يؤول الى عدم
المقدرة. والسبب في كل ذلك، هو انصرافهم عن الله الى الناس. لا فراغ
في الطبيعة، كذلك لا فراغ في القلب، فالقلب الذي يخلو من محبة الله، لا
شك يمتلئ بحب الذات. ومن أظهر مظاهر حب الذات، تقارض المديح
والثناء مع الناس

عدد ٤٥. (٢) نتيجة عدم ايمانه البرود ٤٥:٥ - ٤٧

ان رفض المسيح يحمل معه عقابه الطبيعي. فرفض الحياة، معناه
الوقوع تحت طائلة الدينونة. اما الذي يقدمهم الى الدينونة ويقف منهم

وهو موسى الذي عليه رجاؤكم. ٤٦ لانكم لو كنتم تصدقون موسى
لكنتم تصدقونني لانه هو كتب عني. ٤٧ فان كنتم لستم تصدقون
كتب ذاك فكيف تصدقون كلامي

موقف المدعي ، فهو «موسى الذي عليه رجاؤهم» — كما يزعمون . لأن موسى
من اعظم الشهود للمسيح ، بشخصه ، وكتاباتهِ (تك ١٥:٣ و ١٢:١٢ و ٣:٤٩ و ١٠:٤٩
وعدد ١٧:٢٤ تث ١٨:١٨ — ١٨) . (انظر ايضا غلاطية ٣:٢٤ لوقا ٢٤:٢٤
٢٤ رومية ١٠:٥)

في ختام هذا الحوار ، التقى المسيح على اليهود تهمة عدم الايمان بموسى
نفسه . فلم يقولوا على دفع هذه التهمة عن انفسهم لان من يكون غير قابل ان
يتعلم الباء ، فهذا دليل على انه لا يعرف الالف

الاصحاح السادس

١ بعد هذا مضى يسوع الى عبر بحر الجليل وهو بحر طبرية .

نحن الآن في بيئة تختلف عن تلك التي ودعناها في العدد السابق ، وعن التي سنلتقي بها في الاصحاح اللاحق . في الاصحاح الخامس كنا في اورشليم ، وفي الاصحاح السابع سنعود الى مدينة الملك العظيم ، لكننا في الاصحاح السادس نتمشى مع المسيح في الجليل عند بحر طبرية ^(*) . على انه وان اختلف هذا الاصحاح عن سابقه ولاحقه ، في المكان ، الا ان الفكر فيه مرتبط تمام الارتباط بما قبله وبما بعده

رأينا في الاصحاح الماضي كيف حمي غضب اليهود الى درجة الغليان عندما رأوا المسيح يشفي انساناً يوم سبت . لذلك ذهب المسيح الى الجليل وقضى هناك المدة التي بين عيد الفوريم — في مارس ، وبين عيد المظال — في اكتوبر .

(*) « وصل المنقبون في فلسطين الى اثر من اهم الآثار المتعلقة بحياة السيد المسيح . وعثروا على ارضية من ابداع ما عرف من القيثاني عند ما كشفوا عن الكنيسة التذكارية التي الشأها الحجاج المسيحيون على اثر حكم الامبراطور قسطنطين العظيم في القرن الرابع » وهذه الكنيسة مقامة على البقعة نفسها التي قام المسيح فيها بمعجزته الواردة في الكتاب المقدس حيث اطعم خمسة آلاف رجل بخمسة ارغفة وممكتين »

« وتقع الكنيسة على نحو ١٢ ميلاً شمالي طبرية وعلى مسافة قريبة من الجليل » عند سفح « تل التطويات » . وهو التل الذي يمتد فوقه الطريق القديم الموصل الى « كفر ناحوم » . كما انها تقع على بضع خطوات من « البنايع السبعة » التي ذكرها « يوسفوس » في كتابه : « اثار اليهود » . وتحيط بها صحراء « بيت صيدا » التي وصفها الانجيل « وفي الجانب الامامي من الكنيسة اكتشفت لوحة من القيثاني فيها حجارة صغيرة

٢ وتبعه جمع كثير لانهم ابصروا آياته التي كان يصنعها في المرضى.
 ٣ فصعد يسوع الى جبل وجلس هناك مع تلاميذه. ٤ وكان الفصح
 عيد اليهود قريباً. ٥ فرجع يسوع عينيّه ونظر ان جمعاً كثيراً مقبل

وفي هذا الاصحاح يروي لنا يوحنا حادثتين — معجزة اشباع الخمسة الآلاف ،
 ومعجزة مشي المسيح على الماء. ومن النتائج التي تمخضت بها هاتان المعجزتان،
 أن نضجت عوامل عدم الايمان في قلوب البعض فتركوه، وتأصلت بذار
 الايمان في البعض الآخر قبلوه. فكانت الفكرة الرئيسية تتركز في نضوج
 عدم الايمان، واكتمال الايمان

ينقسم هذا الاصحاح الى ثلاثة اقسام رئيسية : اولاً : المعجزة ١:٦ —
 ٢١. ثانياً : حديث المسبح ٢٢:٦ — ٦٥. ثالثاً : فصل الخطاب ٦٦:٦ — ٧١

جيلة، سوداء وحمراء. وفيها رسم منقطع النظير، لسلة وارغفة خبز وسمكات. وهو من صنع
 الصناع المسيحيين في العهد الاول، ارادوا به تخليد ذكرى المعجزة الواردة في العهد الجديد
 « ويرى الانسان على طول النصف الغربي من الكنيسة رسماً غريباً بالقيشاني لطير لا
 تزال الوانها زاهية من احمر فاتح الى احمر قان الى اصفر واسود . ويخيل للانسان ان الرسم
 حديث مع انه ظل تحت الردم نحو ١٦٠٠ سنة. وهذه الارضية الفريدة المثال من القيشاني
 فيها اشكال متنوعة مختلفة تحوي رسوم انواع شتى للطيور والنباتات وازهار اللوتس
 « ووجدت ايضاً اجزاء محطمة من الفخار والاواني ولبات خزفية وأشياء اخرى صغيرة
 « ولا شك في ان كل منطقة هذه الكنيسة تطابق ما ورد في الانجيل عن وقوع
 معجزات المسيح حول شواطئ الجليل

« ويرجع فضل الاكتشاف الى البعثة الالمانية التي يرأسها الدكتور ايفارست ماير الذي
 يمثل لجنة فلسطين الكاثوليكية الالمانية وبعاونه الدكتور شنيدر »

(« الاهرام » في ٢٠ مارس سنة ١٩٣٢)

اليه فقال لفيلبس من اين نبتاع خبزاً لياكل هؤلاء. ٦ وانما قال هذا ليمتحنه لانه هو علم ما هو مزع ان يفعل. ٧ أجابه فيلبس لا يكفيهم خبز بمئتي دينار لياخذ كل واحد منهم شيئاً يسيراً ٨ قال له واحد من تلاميذه وهو اندراوس أخو سمعان بطرس. ٩ هنا غلام معه خمسة ارغفة شعير وسمكتان. ولكن ما هذا لمثل هؤلاء.

اولاً: المعجزاته (أ) معجزة اشباع الخمسة الآلاف ١: ٦ - ١٣ (ب) معجزة مسي المسيح على الماء ١٤: ١ - ٢١

(أ) معجزة اشباع الخمسة الآلاف ١: ٦ - ١٣

عاج المؤلف شرح هذه المعجزة ، كما وردت في البشائر الأربع ، في «شرح بشارة لوقا» (صفحة ٢٣٥ - ٢٤٠) فاطلب تفسيرها هناك

في معجزة الاصحاب السابق رأينا المسيح نبع الحياة القيّاض . وفي هذه المعجزة نرى المسيح عائل الحياة ومقيتها

في هذه المعجزة تجلّت قدرة المسيح كخالق ، لانه خلق من الارغفة القليلة التي توازي العدم ، شيئاً كثيراً أشبع به الآلاف . والى قدرة المسيح كخالق ، ظهرت محبته العطوفة كفادٍ . فلقد أشفق على الجماهير قبل ان تعرف الجماهير كيف تشفق على نفسها . والى قدرته كخالق ، ومحبته كفادٍ ، أعلنت حكمته كمدير . قبل ان يحجى موعد جوعهم ، فكّر هو في إشباعهم . وقبل ان يخطر ببال فيلبس الحكيم ان يدبر معاشهم ، دبره لهم صاحب التدابير

الى قدرته كخالق ، ومحبته كفادٍ ، وحكمته كمدير ، بانّت حودته كمحسن

١٠ فقال يسوع اجعلوا الناس يتكثون . وكان في المكان عشب كثير. فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف. ١١ وأخذ يسوع الارغفة وشكر ووزع على التلاميذ والتلاميذ اعطوا المتكثين. وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا. ١٢ فلما شبعوا قال لتلاميذه اجمعوا الكسر الفاضلة لكي لا يضيع شيء. ١٣ فجمعوا وملأوا اثنتي عشرة قفة من الكسر من خمسة ارغفة الشعير التي فضلت عن الآكلين.

كريم . فهو لم يكتفِ بأن أشبع ، بل جاد بطعام وفير، حتى فضل عن حاجتهم . كذلك في تدبير فدائه : « يوجد ايضاً مكان » . « كم من اجير لابي يفضل عنه الخبز » !!

الى قدرته كخالق ، ومحبه كفادٍ ، وحكمته كمدير ، وجودته كمحسن كريم ظهر اقتصاده كحكيم . ان جود سخائه لا ينفي قدرة اقتصاده . فالفرق عظيم بين الجود والاسراف « اجمعوا الكسر الفاضلة لكي لا يضيع شيء »

(ب) معجزة منى المسيح على الماء ٦: ١٤-٢١

أُجريت المعجزة الماضية على اليابسة ، وتمت هذه المعجزة على الماء . في المعجزة السابقة ، رأينا المسيح عائل الحياة ومقيتها . وفي هذه المعجزة نرى المسيح هادي الحياة وقائدها . في المعجزة الأولى أشبع المسيح التلاميذ — والجاهير . وفي هذه المعجزة ، هدى التلاميذ وأوردتهم الى مياه الراحة

١٤ فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا ان هذا هو بالحقيقة
النبي الآتي الى العالم. ١٥ وأما يسوع فاذا علم انهم مزعمون ان يأتوا
ويختطفوه ليجعلوه ملكاً

عدد ١٥ و ١٤. (أ) ملقة الاتصال بين المعجزتين ١٤: ١٥ و ١٥: «فلما رأى
الناس الآية...». واضح من ٢١: ١ ان «النبي» شخصية مستقلة عن شخصية
المسيح. على انه يظهر ان عامة الناس، كانوا يعتقدون بحق، ان المسيح «هو
النبي الآتي الى العالم» (تث ١٨: ١٨). لكنهم لم يفهموا من مسيحيتته إلا
على قدر ما فهموا من هذه المعجزة. كان منتهى اعتقادهم ان المعجزة بلغت مداها
عند اشباع بطونهم، وان المسيح انما جاء ليملك عليهم ملكاً مادياً سياسياً.
وقد غاب عنهم ان المسيح قصد بهذه المعجزة ان يولم لهم ولية مادية ترمز الى
العشاء الاعظم في السماء، وانه بتقديمه الطعام لاجسادهم قصد ان يقدم لهم درساً
معنوياً، في تقديمه ذاته لنفوسهم الجائعة. الا اننا نحمد لهم قصدهم، وان كنا
نلومهم على عدم فهمهم. وكمن المرات نسايقهم نحن في هذا الجهل ونسبهم
اليه مع انه قد «اتتهت الينا أواخر الدهور»

«واما يسوع فاذا علم» — إما من حركاتهم، او ببصيرته التي تخترق حجب
الظلام، فتعرف خفايا القلب ونياته — «انهم مزعمون ان يأتوا ويختطفوه» —
بالقوة — «ليجعلوه ملكاً»، انصرف ايضاً الى الجبل وحده». كانت للشعب
اليهودي آمال نفسانية، جسدانية، فقصدوا ان يسخروا المسيح ليتخذوا منه
وسيلة لاتمام مآربهم، لكن الذي جاء لاتمام ارادة الآب، لن يسلم نفسه

انصرف ايضاً الى الجبل وحده. ١٦ ولما كان المساء نزل تلاميذه الى البحر. ١٧ فدخلوا السفينة وكانوا يذهبون الى عبر البحر الى كفرناحوم. وكان الظلام قد أقبل ولم يكن يسوع قد أتى اليهم. ١٨ وهاج البحر

لارادة البشر، مهما كانت ترمي هذه الارادة في ظاهرها الى تمليكك على العروش الارضية. هذه هي التجربة الثالثة في صورة اخرى (مت ٧:٤ — ١٠)؛ وقد رفضها المسيح بشم واباء. فليس المهم في من يعرض التجربة، بل المهم في نوعها وجوهرها. نعم جاء القادي ليكون ملكاً، ولكن على عروش القلوب لا على عروش الارض، وعن طريق الصليب لا عن طريق المعجزات، وييد الله لا بيد الذين شبعوا بعد جوع

اما الغرض الذي لاجله انصرف المسيح وحده الى الجبل، فقد أخبرنا به متى ومرقس — «ليصلي» (مت ٢٢:١٤؛ مر ١٤:٥٥)

عدد ١٦. (ب) الطرف الذي تمت فيه المعجزة ١٦:٦-١٨. «ولما كان المساء» هذا بدء زمان المعجزة. «نزل تلاميذه الى البحر» — هذا مكانها

عدد ١٧ و ١٨ الحالة النفسية التي كان عليها التلاميذ — لقد كانوا: (١) في ظلام: «وكان الظلام قد أقبل». (٢) في عزلة موحشة: «ولم يكن يسوع قد أتى اليهم». ما اوحشها فرصة تلك التي تقضيها النفس في ظلام والمسيح بعيد عنها. اذاً كان التلاميذ في ظلام مادي، وظلام روحي. (٣) كانوا محاطين بهياج مادي، وانزعاج نفسي: «وهاج البحر من ريح عظيمة تهب». ان الريح

من ريح عظيمة تهب. ١٩ فلما كانوا قد جذفوا نحو خمس وعشرين او ثلاثين غلوة نظروا يسوع ماشياً على البحر مقترباً من السفينة يخافوا.

التي هبت على البحر، رافقتها رياحٌ أخرى هبت على انفسهم
ليس من المستغرب ان يترك المسيح تلاميذه وسط هذا الهياج. فهو
لم يعدنا بسلامة الحياة، ولا بنعمة ملمسها، بل وعدنا بالسلام القلبي، الذي
تتفجر ينابيعه كلما جفت ينابيع الدنيا، ويزداد هدوؤه كلما عجت أمواج بحر
الحياة وماجت. خير لنا ان نكون في قلب العاصفة والمسيح معنا، من ان
نكون في سكون خارجي ونحن بعيدون عن حضرة القادي. ان عاصفة
يكون فيها المسيح معنا، هي السلام بعينه، وان سكونا يغيب فيه القادي عنا،
لهو سكون الموت

عدد ١٩. (ج) ظهور المسيح — ١٩: ٦. «فلما كانوا قد جذفوا نحو
خمس وعشرين او ثلاثين غلوة» — أي انهم صاروا الآن في وسط البحيرة.
تقريباً (مت ٢٤: ١٤). اما الغلوة فهي ثمن ميل. ويقول يوسفوس ان بحيرة
جنيسارت كانت تبلغ في اتساعها نحو اربعين غلوة

في هذا الظرف الدقيق، «نظروا يسوع ماشياً على البحر مقترباً من
السفينة». كنا نرجو ان يمتلئ التلاميذ فرحاً اذ رأوا الرب، لكن الوقت
كان ليلاً، وأعصابهم كانت متوترة، ولم يكن ايمانهم بسيدهم قد ارتقى الى
درجة يعتقدون فيها انه سيأتيهم ماشياً على الماء، «فخافوا» في الوقت الذي كان
ينبغي ان يخافهم فيه الخوف

٢٠ فقال لهم انا هو لا تخافوا. ٢١ فرضوا ان يقبلوه في السفينة ولوقت صارت السفينة الى الارض التي كانوا ذاهبين اليها ٢٢ وفي

عدد ٢٠. (د) كلمة المسيح — ٢٠:٦. ان في كلمته: «لا تخافوا»: —
اعلاناً مطمئناً: «انا هو»، وتشجيعاً: «لا تخافوا»

عدد ٢١. (هـ) ترحيب التلاميذ بالمسيح — ٢١:٦. ان خوفهم منه اقلب الى ترحيب به «فرضوا ان يقبلوه في السفينة». والمستفاد من كلام سائر البشيرين (مت ١٤: ٣٢) انه دخل السفينة «ولوقت صارت السفينة الى الارض التي كانوا ذاهبين اليها»

لا يسعنا ان نترك هاتين المعجزتين من غير ان نلاحظ انهما تحملان رمزاً ضمناً الى الرحلة الأخيرة في خدمة المسيح على الارض. فاذا ما افترضنا ان في معجزة اشباعه الآلاف رمزاً ضمناً الى تقديمه جسده على الصليب ليكون قوتاً دائماً للمؤمنين به، فان في غيابه عنهم وهم منفردون في البحر، رمزاً لفارقتهم التلاميذ مدة مكوثه في القبر، وان في عودته للظهور لهم بعد الغياب، علامة لظهوره لهم بعد فجر القيامة

ثانياً: هريث المسيح — «خبز الحياة» ٢٢:٦-٦٥

كم من حادثة مرت بنا في هذه البشارة، اتخذ المسيح منها موضوعاً لحديث. وكم من «آية» اتخذها «آية» لعظة اثنى معجزة شفاء مريض بيت حسدا، اتخذ موضوعاً للتكلم عن مقامه وسلطانه. ومن معجزة اشباع الآلاف ابتكر مناسبة للتكلم عن «خبز الحياة». ومن معجزة فتح عيني الأعمى، وجد

الغد لما رأى الجمع الذين كانوا واقفين في عبر البحر انه لم تكن هناك سفينة أخرى سوى واحدة وهي تلك التي دخلها تلاميذه وان يسوع

باباً للكلام عن شخصه باعتبار كونه « نور العالم » . وفي هذه المعجزة نرى معجزة أخرى مكملتها ، قد توسطت بينها وبين الحديث

يتضمن هذا الفصل : أولاً : مقدمة تاريخية : (٢٢:٦ - ٢٤) .
ثانياً : الحديث : (٢٥:٦ - ٦٥) . اما الحديث فهو في حقيقته عبارة عن اربعة أحاديث تربطها معاً رابطة واحدة ، ولكل منها مناسبة خاصة : (ا) الحديث الاول : (٢٥:٦ - ٤٠) - وقد فاه به المسيح جواباً على سؤال من اليهود .
(ب) الحديث الثاني : (٤١:٦ - ٥١) - نطق به القادي رداً على تدمير اليهود .
(ج) الحديث الثالث : (٥٢:٦ - ٥٩) - اورده المخلص نتيجة مخاصمة اليهود بعضهم بعضاً . (د) الحديث الرابع : (٦٠:٦ - ٦٥) - تحدث به المسيح نتيجة تساؤل التلاميذ بعضهم مع بعض

عدد ٢٢ . أولاً : مقدمة تاريخية ٢٢:٦ - ٢٤ . ان حماس الجماهير ، الغير المهذب ، الجسداني ، قد حمل المسيح على أن يعزل تلاميذه عنهم ، وان يعتزل هو - الى حين - عن التلاميذ . واخيراً عاد فاتصل بتلاميذه بعد تلك العاصفة التاريخية . اما الجماهير فظلوا يطلبون يسوع حتى تبعوه الى كفرناحوم . « وفي الغد » - عند شق الفجر الذي تلا ليلة العاصفة - واذا « بالجمع الذين كانوا واقفين في عبر البحر » منتظرين يسوع ، شرعوا يبحثون عنه ، ولما كان معلوماً لديهم « انه لم يدخل السفينة مع تلاميذه » ،

لم يدخل السفينة مع تلاميذه بل مضى تلاميذه وحدهم. ٢٣ غير انه جاءت سفن من طبرية الى قرب الموضع الذي أكلوا فيه الخبز إذ شكر الرب. ٢٤ فلما رأى الجمع ان يسوع ليس هو هناك ولا تلاميذه دخلوا هم أيضاً السفن وجاءوا الى كفرناحوم يطلبون يسوع

بل صعد الى الجبل وحده ، « وانه لم تكن هناك سفينة أخرى » نقله الى الشاطئ الجليلي ، « سوى واحدة وهي تلك التي استقلها تلاميذه وحدهم » ، قضوا ليلتهم في البرية عازمين على العودة في الغد الى أوطانهم ، في موكب يشرفه هذا النبي الجليلي ، بعد عودته من الجبل في الصباح

عدد ٢٣ . الرباع المعاكسة : غير ان الريح الغربية التي قاومت سفينة التلاميذ وأعاقتها الى الصباح ، كانت ملائمة لسفن أخرى ، فعاوتها على العبور بسرعة « من طبرية » ، الواقعة على الشاطئ الغربي ، « الى » الشاطئ الشرقي ، « قرب الموضع الذي أكلوا فيه الخبز » . ان العبارة التي يختتم بها هذا العدد : « اذ شكر الرب » ، ترينا مبلغ تأثير المشاهدين من شكر المسيح ، حتى دُمغت هذه الحادثة التاريخية بهذا الشكر الممتاز

عدد ٢٤ . تقاد صبر الجمع : لما عيل صبر الجمع من طول الانتظار ، « ورأوا ان يسوع ليس هو هناك ولا تلاميذه ، دخلوا هم ايضاً السفن » — ليرجعوا الى الجهة الغربية — « وجاءوا الى كفرناحوم يطلبون يسوع » هناك . في هذه الاعداد القليلة رسم لنا البشير صورة لثورة عواطف الجماهير ، وسرعة تقلبهم ، وتقاد صبرهم

٢٥ ولما وجدوه في عبر البحر قالوا له يا معلم متى صرت هنا.
٢٦ أجابهم يسوع

(١) الحديث الاول (٢٥:٦-٤٠). فاه المسيح بهذا الحديث جواباً على سؤال اليهود. وهو في الحقيقة عبارة عن اربع محادثات دارت بينه وبينهم. وفي المحادثة الاخيرة منها تكلم بشعور عميق فياض، واصفاً مبلغ تأثيره من حال اليهود الذين لم يؤمنوا برسالته

(١) المحادثة الاولى (٢٥:٦-٢٧). في هذه المحادثة اظهر المسيح الفرق العظيم بين الطعام الفاني والطعام الباقي

عدد ٢٥. (١) سؤال اليهود: « ولما وجدوه » — اي الجمع الذين كانوا يطلبونه — « في عبر البحر »، قالوا له، يا معلم متى صرت هنا؟ انهم يسألهم هذا قد عبروا عن الحيرة التي ملكت عليهم مشاعرهم، اذ رأوا ان المسيح سبقهم الى ذلك المكان من غير ان يستقل سفينة ليحبر بها البحيرة، فإِماً ان يكون قد سافر براً وقطع المسافة التي بين بيت صيدا يوليا، وبين كفر ناحوم في الليل— وهذا محال لان الطريق غير معبّدة وهي مهجورة تتغفل فيها الصخور في كل مكان، فضلاً عن طولها، اذ كانت تبلغ نحو عشرة أميال. او ان يكون قد مشى على الماء، وهذا أمر لم يألّفوه حتى الآن. لذلك تقدموا الى المسيح نفسه طالبين اليه ان يحلّ لهم هذا اللغز، قائلين: « متى صرت هنا »؟

عدد ٢٦ و ٢٧. (ب) جواب المسيح. « أجابهم يسوع وقال الحق. الحق. »

وقال الحق الحق اقول لكم انتم تطلبونني ليس لانكم رأيتم آيات بل لانكم اكلتم من الخبز فشبعتم . ٢٧ اعملوا لا للطعام البائد

ان يسوع المترفع عن سفساف الغايات الجسدانية ، لم يكثر لاحتفائهم به ، ولم يحاول ان يحلّ لهم اللغز الذي تعقد في أدمغتهم ، مع ان ذلك كان ميسوراً له ، فيتمجد في نظرهم ، متى اعلهم انه مشى على الماء . لكن تعظيمهم اياه لم يصرفه عن توبيخه اياهم ، فأجابهم بلغة الواثق المطمئن ، صاحب السلطان المطلق : « الحق . الحق » (انظر تفسير ٣: ٣) — « انتم تطلبونني ليس لانكم رأيتم آيات ، بل لانكم اكلتم من الخبز فشبعتم ... اعملوا... » . في جوابه هذا ، نجد : (١) توبيخاً : « انتم تطلبونني ... » . (٢) نصيحاً : « اعملوا ... » . (٣) هبة واملئة : « لان هذا الله الآب قد ختمه » .

(١) توبيخاً : لقد اجاب المسيح على افكارهم ، لا على كلامهم ، فوثنهم على الجسدانية التي طبع بها اعجابهم به ، والانانية التي دمغت تفتيشهم عليه . نعم رأوا معجزته ، لكنهم لم يروا فيها « آية » لأنفسهم ، فكانت عيونهم شبيهة بعيون التماثيل المتحجرة — مفتوحة لكنها لا ترى ، فبدلاً من ان يروا « آية » في الخبز ، رأوا خبزاً في الآية . ذلك لانهم نظروا الى الآية بعيون بطونهم لا بعيونهم الباطنية ، فلم يروا فيها الا الارغفة والسبك . اما قدرة الله ، اما حكمة الله وعنايته ، فهذه قد خفيت عنهم بارادتهم . اما قوله : « آيات » فيريد به الآيتين السابقتين او كل الآيات بوجه عام

(٢) نصيحاً : عدد ٢٧ « اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة

بل للطعام الباقي للحياة الابدية الذي يعطيكم ابن الانسان لان هذا

الابدية . في هذا النص ، أرادهم المسيح ان يقلعوا عن طلبهم الامور المادية الفانية ، وحضهم على ان يطلبوا القوت الحقيقي الدائم . ان كل طعام مادي ، لا محالة بائد وزائل — في كيانه وفي تأثيره ، فهو يُشبع اليوم ليجوع غداً . وفي النهاية يزول . ان في قول المسيح هذا ، شيئاً من الغرابة : فقد نهام عن ان يعملوا للطعام البائد ، الذي لا يُنال عادةً الا بالكدر وعرق الجبين (تك ٣: ١٩) ، وحضهم على ان يعملوا للطعام الباقي ، الذي لا ينال عادةً بالتعب والكدر ، بل بالايمان ، فهو عطية من ابن الانسان . لكن وجه الغرابة يزول متى ذكرنا ، ان المراد بقوله : «اعملوا» ، هو : «اهتموا ، واطلبوا» . انهم كانوا يطلبون شخصه طمعاً في النفع المادي الذي يأتيهم منه ، فأرادهم ان يطلبوا شخصه ، حباً في شخصه ، فيأتيهم منه خير ابدى خالد . ومع ان الطعام الباقي يعطيه لنا المسيح ، لكننا لن ناله الا اذا طلبناه باهتمام . لاننا باهتمامنا نعدّ اتقنا للطعام ، لا نعدّ الطعام لانفسنا . ان قوله : «للحياة الابدية» يصف الطعام الباقي : — في فاعليته ، وفي امد بقائه . وقصد بقوله : «يعطيكم» ان يرفع انتظاراتهم الى طعام افضل من الذي أعطوه في المعجزة . لان طعام المعجزة لم يكن سوى رمزه . وقد وصف المسيح نفسه هنا بقوله : «ابن الانسان» ، لانه يهبنا هذا الطعام عن طريق تجسده . بل بتجسده صار هو طعامنا الروحي الخالد (٦: ٣٥ و ٣٨ و ٥٠ و ٥٨) . (٣) مهمة رافعة : «لان هذا» ان ضمير الهاء في كلمة : «ختمه» يعود على المسيح «ابن الانسان» . وختم الله الآب للمسيح ،

الله الآب قد ختمه . ٢٨ فقالوا له ماذا تفعل حتى نعمل أعمال الله .

٢٩ أجاب يسوع

يراد به شهادته له بأنه ابن الله، وبأن الله قد وهبه لبني الانسان (١٦: ٣). وذلك:
(أ) بشهادة الكتاب المقدس الذي هو كلمة الله . (ب) بالصوت
الالهي الذي سمع وقت المعمودية . (ج) بتأييد الآب له بالمعجزات وسائر
أركان خلخته على الارض (قابل هذا العدد مع ٣٣: ٣)

(٢) المحادثة الثانية ٢٨: ٦ و ٢٩ . اذا كان المسيح قد بين في المحادثة الاولى
نوع الطعام الذي يهبه للمؤمنين ، فقد اظهر في المحادثة الثانية وسيلة نوال هذا
الطعام . كانت محادثته الاولى رداً على سؤالهم : «متى صرت هنا» (ع ٢٥).
أما محادثته الثانية فقد فاه بها جواباً على استفهامهم : « ماذا تفعل حتى نعمل
اعمال الله » (ع ٢٨)

عدد ٢٨ . (أ) سؤالهم «فقالوا له ماذا تفعل حتى نعمل أعمال الله» ؟ لم
يستنكر هؤلاء اليهود توبيخ المسيح لهم ، بل اظهروا استعدادهم ان «يعملوا»
حسب قوله ، ولو أنهم لم يفهموا مراده من قوله : «اعملوا» ، فظنوه يتكلم عن
«اعمال» خارجية كالقرائض الطقسية التي يشترون بها هذا الطعام الباقي . مع
ان المسيح لم يذكر شيئاً عن الاعمال ، بل تكلم عن «العمل» على نوال الطعام
الباقي . لكنهم فهموا انه يقصد «الاعمال» التي يأتيها الانسان كدين له على الله .
فكانوا كمن ينظر الاشباح في ضوء الفجر ، فلا يراها كما هي بل يلمح أشباهها
عدد ٢٩ . (ب) جواب يسوع وقال لهم . هذا هو عمل الله

وقال لهم هذا هو عمل الله ان تؤمنوا بالذي هو ارسله. ٣٠ فقالوا له

ان تؤمنوا بالذي هو ارسله». عاد المسيح فأكد لهم انه ما قصد «أعمالاً» متناثرة يعملها الانسان، لينال بها ذلك الطعام الباقي على سبيل الاجر، بل اراد عملاً واحداً، لا أعمال فيه بالمرة - وهو: «ان يؤمنوا بالذي هو ارسله». فالطعام الباقي لا يناله الانسان استحقاقاً على اعمال يأتيا، بل هبة مجانية من يد الله. والعمل الوحيد الذي يعملها الانسان ليحصل به على هذه الهبة، انما هو ان يفتح يده ويقبلها. فما الايمان سوى اليد المفتوحة التي تتناول بركات الله. الكلمة: «عمل الله»، لا تفيد العمل الذي يعملها الله، بل العمل الذي يطلبه الله ويقبله. هنا نقطة الاتصال، بين تعليم يعقوب رسول الاعمال، وبين تعليم بولس رسول الايمان. لان الايمان هو في حقيقته عمل، بل من اسمى الاعمال وأجلها اذ فيه يقدم الانسان ذاته لله. هذا هو العمل الذي يكرم الله، ان تقبل ما عمله الله لنا. ان الايمان الذي يستنكره يعقوب هو الايمان العقلي الميت الذي لا يفتح ثمرًا

(٣) المحاضرة الثالثة ٦:٣٠-٣٣. في هذه المحادثة اوضح المسيح طريق البلوغ الى الايمان. عجيب ان اليهود لم يعترضوا على كلام المسيح لهم عن «العمل»، انما اعترضوا على كلامه عن الايمان. هذا هو الاتجاه الخاص الذي تميل اليه الطبيعة البشرية. انها على الدوام تتمسك بأهداب الاعمال لان فيها تتجيداً لذاتها، وتنفر من الايمان لانه يجردها من كل مجد، ويعطي المجد كله لله

فأية آية تصنع لئرى ونؤمن بك. ماذا تعمل. ٣١ آباؤنا أكلوا المنّ في البرية كما هو مكتوب انه اعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا

عدد ٣٠ و ٣١ (أ) سؤالهم ٦: ٣٠ و ٣١. «فقالوا له فأية آية». ما أسرع الانسان الى النسيان! لم تمض اربع وعشرون ساعة، منذ ان رأوا الآية التي اجراها المسيح بإشباعه الخمسة الآلاف، لكنهم لم يروا في تلك المعجزة «آية» محرضة لهم على الايمان، بل مجرد أرغفة اشبعت بطونهم. فضلاً عن ذلك، فان في العقل الطبيعي شرهاً مستمراً الى المعجزات، ليعجب ويتأذى. لا بد انهم فهموا من قول يسوع عن نفسه: «الآب قد ختمه» (ع ٢٧)، «وارسله» (ع ٢٩)، انه يريد ان يتأكدوا انه هو المسيح، الذي ينبغي ان يؤمنوا به، لذلك طلبوا منه ان يصنع آية جديدة ليفحصوها بدقة ويميزوا العنصر الالهي فيها. وكما قال لهم: «اعملوا». قالوا هم له: «تصنع». ولعلمهم كانوا يعتبرون معجزة إشباع الآلاف أقل من معجزة انزال المنّ من السماء لبني اسرائيل، لان معجزة اشباع الخمسة الآلاف لم تكن — في نظرهم — سوى مضاعفة عدد الارغفة الارضية الى حد معين. لكن المنّ كان طعاماً نازلاً رأساً من السماء. ويقول معلمو اليهود: اذا كان ولينا الاول — موسى — قد أتى لنا بمنّ من السماء، فان ولينا الثاني — مسيحاً — سيأتي ايضاً بمنّ جديد من السماء. فليس من المستغرب انهم قارنوا بين موسى ومسيحاً: «آباؤنا أكلوا المنّ في البرية كما هو مكتوب» — في مزمور ٧٨: ٥٤ و ٢٥ — «أنه» — الله — «أعطاهم» — أي بني اسرائيل — «خبزاً من السماء ليأكلوا»

٣٢ فقال لهم يسوع الحق الحق اقول لكم ليس موسى اعطاكم الخبز من السماء بل ابي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء. ٣٣ لان خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم.

عدد ٣٢ و ٣٣. (ب) جواب المسيح «فقال لهم يسوع...» كانت افكارهم منحصرة في مصدر «المن» — «من السماء». فقصد المسيح ان يوجه قلوبهم الى جوهر المن الحقيقي — والجوهر أهم من المصدر. وقد صدر جوابه بهاتين الكلمتين الحاسمتين: «الحق. الحق». فبين لهم في جوابه: (أ) ان موسى لم يعطهم المن، انما هو الذي اعطاهم اياه «ليس موسى اعطاهم الخبز من السماء». (ب) ليس المن هو الخبز الحقيقي الذي من السماء انما هو خبز مادي رمزي. (ج) ان المن خبز «اعطاه» الله مرة للامة الاسرائيلية، فصار في خبر كان، وذهب مع الذين أكلوه، لكن الخبز الحقيقي الذي من السماء يعطيه الله باستمرار لانه خبز حي دائم، يتجدد كل يوم. (د) ان خبز الله الحقيقي، ليس هو المن الذي اكله بنو اسرائيل في البرية فماتوا، بل هو الخبز النازل «من السماء، الواهب حياة». فهو لا يكتفي بان يقيت الحياة ان وجدت، بل يهبها للموتى فيبعثهم من العدم. (هـ) ان المن أشبع الاسرائيليين وحدهم، لكن الخبز الحقيقي النازل من السماء هو الذي يهب حياة للعالم كله. وخلاصة مميزات هذا الخبز الحقيقي، انه هبة من الله رأساً، وانه نازل من السماء، وانه يُعطى باستمرار للجوع، وانه يهب الحياة، وانه مُعد للجميع لا لشعب خاص

٣٤ فقالوا له يا سيد أعطنا في كل حين هذا الخبز . ٣٥ فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة .

(٤) المحاضرة الرابعة ٣٤:٦ - ٤٠ . المسيح يعلن لهم انه هو خبز الحياة . عدد ٣٤ . (أ) سؤلهم ٣٤:٦ . «فقالوا له يا سيد أعطنا في كل حين هذا الخبز» . الى الآن لم يكشف لهم المسيح عن ماهية هذا الخبز . لكن الاوصاف السالفة التي خلعتها على هذا الخبز جعلت لعابهم يسيل شوقاً اليه . فقالوا له : «يا سيد اعطنا في كل حين هذا الخبز»

ما أشبه كلامهم هذا بكلام المرأة السامرية : «يا سيد أعطني هذا الماء لكي لا اعطش ولا آتي الى هنا لاستقي» (١٥:٤) . الى الآن كانوا جسدانيين ، نفعيين ، عائشين ببطونهم لا بقلوبهم . ان في قولهم : «كل حين» اشارة ضمنية الى المن الذي كان يرسله الله «كل يوم» ، لبني اسرائيل

عدد ٣٥ . (ب) جواب المسيح ٣٥:٦ - ٤٠ . كانت امنيتهم شريفة ، مع انها كانت ناقصة . ولكن على رغم ما كان يُحيط بها من سُحب الجهالة الكثيفة ، لم تُقابل من المسيح بالصدِّ والاعراض ، لكنه أزاح الستار الذي كان يحجب به معلناته المجيدة ، وانتقل من التعميم الى التخصيص ، فصرَّح لهم قائلاً : «انا هو خبز الحياة» . طلع المسيح عليهم بنور هذا الاعلان الممتاز ، وهو عالم ان بعض العيون المريضة سيبرها النور فلا تقوى على البصر ، لكن عيوناً أخرى سينجلي لها الحق باكثر وضوح ، لانها «بنوره ترى نوراً»

من يقبل اليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً . ٣٦ ولكني
قلت لكم انكم

في هذا العدد، اوضح لهم المسيح : ماهيّة الخبز : «انا هو خبز الحياة» ،
وفوائده : الإشباع والارواء : «لا يجوع . . ولا يعطش» ، وطريق الحصول
عليه : «من يقبل اليّ» . «من يؤمن بي» . ان قوله : «انا هو خبز الحياة» ،
هو خير اجابة لطلبهم : «أعطنا في كل حين هذا الخبز» . فبين لهم انهم
ليسوا في حاجة الى ان يقولوا : من يُحضّر لنا هذا الخبز، لانه قريب منهم،
وعند افواههم ، وما عليهم الا ان يقبلوه ويتناولوه . ما على الله قد أتمه ،
وما على البشر الا ان يقبلوا فيأكلوا ليشبعوا ، ويشربوا ليرتووا . الكلمة :
«خبز الحياة» معناها ، الخبز الذي يُعطي الحياة . «والحياة المقصودة» هنا ،
هي حياة الله بالذات، التي تأنست في المسيح فصارت بشراً سوياً (١ يو ١: ٢) .
أما العبارتان : «لا يجوع» و «ولا يعطش» فهما متكاملتان — الجوع يرمز
عادة الى الاحساس بالضعف والعجز . والعطش يرمز الى شوق القلب
وآماله وآلامه . إن سدّ الجوع يشار به الى التقوية . وارواء العطش يشار به
الى السلام التام . والعبارتان : «يُقبل اليّ» و «ويؤمن بي» ، تفسّر ثابتهما
أولاهما . أولاهما تفيد ترك الانسان حاله والاتيان الى الفادي ، والثانية تفيد
الثقة العملية التي يلقي بها نفسه عليه . الأولى تعني مجيء العطشان الى النهر ،
والثانية تشير الى شربه منه . هذه هي المرة الاولى التي قال فيها المسيح : «انا هو»
عدد ٣٦ . مبرره لا ينظر فيه : «ولكني قلت لكم انكم قد رأيتموني

قد رأيتموني ولستم تؤمنون. ٣٧ كل ما

ولستم تؤمنون» — ان في هذه الكلمات حزناً تمازجه مرارة، يخالجهما تعجب، ويخالطهما تلويح. هذا هو جواب المسيح على قولهم له: «آية آية تصنع لنرى وتؤمن بك» (عدد ٣٠). وكأني به يقول لهم: يا من تطلبون آية لتروا وتؤمنوا، هوذا الآية موجودة امامكم ولم تنظروها — هذه الآية هي أنا: «قد رأيتموني ولستم تؤمنون» اني انا هو المسيح

مزايا المؤمنين بالمسيح ٣٧:٦ — ٤٠. بين كلمات التلويح والتقرير المذكورة في العدد السابق، وبين المعلنات المجيدة المذكورة في هذه الاعداد، نلاحظ انتقالاً في الفكر، وفي نعمة الكلام، يتخلله صمت مهيب

ان اولئك الذين طلبوا الخبز المادي لا سواه، قد رفضوا المسيح. لكنهم برفضهم اياه لم يخذلوا المسيح، بل خذلوا أنفسهم، ولم يغيروا قصد الله الثابت: «لان الرب يعلم الذين هم له». لذلك فاه المسيح بنعمة الواصل قائلًا: «كل ما يعطيني الآب. فاليَّ يُقبل. ومن يقبل اليَّ لا أخرجه خارجاً». فاللوم اذاً واقع عليهم وحدهم، والفشل والخسارة يحيطان بهم دون سواهم. فمن مزايا المؤمنين بالمسيح: (ا) انهم عطية الآب للابن: «كل ما يُعطيني الآب فاليَّ يُقبل». (ب) انهم موضوع ترحيب المسيح الدائم: «من يقبل اليَّ لا أخرجه خارجاً» (عدد ٣٧). (ج) انهم موضوع صيانة المسيح وعنايته (عدد ٣٨ و ٣٩) «... لأنني لا أتلف منه شيئاً». (د) ان الحياة الأبدية لهم (عدد ٤٠). عدد ٣٧. (١) المؤمنون بالمسيح فهم عطية الآب له: «كل ما

يعطيني الآب فاليّ يقبل ومن يقبل اليّ

يعطيني الآب فاليّ يقبل»، وهم أيضاً (ب) موضوع ترتيب المسيح الدائم: «ومن يقبل اليّ لا اخرجه خارجاً». في هذا العدد اربعة مقاطع: المقطع الأول يتمشى مع الثالث، والثاني يساير الرابع. الاول يصف الانسان من الجانب الالهي السماوي: «كل ما يعطيني الآب». والثالث يصفه من الجانب الانساني: «من يقبل اليّ». فالؤمن، من الجانب الالهي السماوي، مختار من الله، ومدعو دعوة فعالة، لان الآب دبر منذ الازل أن يعطيه للمسيح (١٧: ٦). الكلمة: «يعطي» وردت بصيغة المضارع لتصف فعل الله المتواصل في قلوب البشر وقت اقتبالهم الى المسيح. وقد ذكر المسيح هذه الحقيقة لا لينتقص بها من حرية البشر الاختيارية، بل ليظهر لسامعيه الفرق العظيم بين من يأتون اليه نتيجة تحريضات بشرية جسدانية (عدد ٢٦)، وبين من يأتون اليه نتيجة فعل الله، في قلوبهم المقطع الثاني: «فاليّ يقبل»، يحقق ويضمن نجاح قصد الله في المؤمنين. «والاقبال» هنا، لا يعني مجرد الايمان الى المسيح، بل يفيد الخلاص الى المنتهى. ان كلمة: «كل» التي يستهل بها المقطع الاول، كلمة تعميمية تصف المؤمنين كجماعة كاملة، لكن كلمة «من» التي يُستهل بها المقطع الثالث، كلمة تفصيلية. لان المؤمنين يأتون الى المسيح فرداً فرداً، مع أنهم أعطوا له جماعة. المقطع الثالث: «من يقبل اليّ» يبتدىء حيث انتهى المقطع الثاني، وهو يصف الايمان من الجانب الانساني، بما فيه ترك الخطايا، والحال التي يكون عليها الانسان قبل النقطة الفاصلة في الايمان، حتى يقبل الى المسيح. اما

لا أخرجه خارجاً . ٣٨ لاني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي ارسلني . ٣٩ وهذه مشيئة الآب الذي ارسلني

المقطع الرابع : « لا أخرجه خارجاً » ، فانه يتمشى مع الثاني ، وهو يصف لنا سعة قلب المسيح المحب . فاذا كان المقطع الثاني يقرر يقينية خلاص المؤمنين بكلمات ايجابية جامعة ، فان المقطع الرابع يؤكد هذه اليقينة بكلمات سلبية قاطعة ، مانعة : « لا أخرجه خارجاً » . ان جيشاً عظيماً من البشرية ، على مر الاجيال ، مدينون لليهود ، بهذه الكلمات المشجعة التي فاه بها المسيح رداً عليهم عدد ٣٨ و ٣٩ . (ج) المؤمنون بالمسيح هم موضوع صياغة ٦: ٣٨ و ٣٩ في نهاية العدد السابق ، أعلن المسيح ترحيبه الدائم بمن يُقبلون اليه . وفي هذين العددين يرينا الباعث الاساسي لهذا الترحيب — وهو انه تجسد لعمل مشيئة الآب الذي ارسله ، وان هذه المشيئة هي : ان لا يتلف شيئاً ، اعطاه الآب اياه ، وان موت الجسد لا يحسب اتلافاً ، لانه سيقم الموتى في اليوم الاخير . قبلاً رأينا المسيح مرحباً بمن يقبلون اليه ، والآن نراه معتنياً بهم ، ومحافظاً عليهم ، ان ترحيب المسيح بالؤمنين ، يعبر عن سعة قلبه وغزارة حبه . أما محافظته عليهم ، فتعبر عن عظمة قدرته ، وشدة ولائه للآب الذي يريد ان جميع المؤمنين بالمسيح يكرنون محفوظين . قد أشار المسيح اربع مرات في هذا الخطاب ، الى نزوله من السماء (عدد ٣٨ و ٥٠ و ٥١ و ٥٨) ، وهو يريد بها التجسد . وفي هذا برهان جلي على سبق وجود المسيح قبل التجسد . اما الغاية المثلى من تجسد المسيح فهي اتمام مشيئة الآب الذي ارسله . لانه

ان كل ما اعطاني لا أتلف منه شيئاً بل

من حيث كونه فادياً ، قبل على نفسه القيام بكل مطالب الفداء كوسيط
على ان تسليم المسيح ارادته للآب ، لا يجرّده من حرية ارادته ، بل
يجعل ارادته موافقة لارادة الآب . ولا يطعن في شخصيته ، بل يُعتبر اقوى
حجة لاثبات كمال بنوته . فمن كمال الابن ، الطاعة للآب . هذا برهان جديد
على صحة اقنوميته ، وبالتالي على عظمة لاهوته

فاذاً كلُّ من « يُقبل اليه » ، حاملاً على جبينه ختم الآب ، « لا
يخرجه خارجاً » ، بل يرحّب به ويرعاه ، ويحافظ عليه . لانه اذا كان المسيح قد
اظهر حرصه على كسر الخبز التي فضلت عن الآكلين ، والخبز المادي
عطية من الآب (عدد ١٢) ، أفلا يحرص بالأولى جداً على اعضاء جسده
الروحيّ ، السريّ ، لكي لا يفلت ولا يتلف منهم احد ، وهم عطية الآب له ؟ !
في عدد ٣٩ عبّر المسيح عن محافظته على المؤمنين ، بكلمتين : احداها
سلبية : « لا اتلف منه شيئاً » . والثانية : ايجابية . « بل أقيمه في اليوم الاخير » .
والسلبية تمهيدية للايجابية . الكلمة : « اعطاني » وردت هنا بصيغة الماضي ،
لتفيد التعيين السابق ، والدعوة الازلية (رو ٨ : ٢٩ و ٣٠) . والعبارة : « أقيمه في
اليوم الاخير » تكرّرت أربع مرات في هذا الخطاب (عدد ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٢)
و ٥٤) . ما اشبهها بقرار انشودة جميلة ! ان الخبز الطبيعي يحفظ حياة آكله ،
الى ان يأتيه مرض . من ثمّ يتحول له مصدر الغذاء ، الى سبب للداء . ومتى
هجم عليه الموت فلا حول ولا طول للخبز المادي . لكن المسيح — الذي هو

أقيم في اليوم الأخير. ٤٠ لان هذه هي مشيئة الذي ارسلني ان
كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة ابدية

« الخبز الحيّ النازل من السماء » — يحصن الانسان ضد « التلف »، الذي هو
الضعف الروحي الناشئ عن الارتداد، والرجوع الى الشر والاركان الضعيفة،
وقيه شر الموت الجسدي، اذ « يقيم في اليوم الأخير ». (١ كو ١٥)

عدد ٤٠. مسؤولية الانسان في هذه الصيانة: « لان هذه هي مشيئة ». لم
يشأ المسيح ان يختتم هذا الجزء من الخطاب من غير ان يشير الى مسؤولية
الانسان في هذا الحفظ — وهي أن « يرى الابن ويؤمن به ». وقد كان
من الضروري ان يصرّح بهذا التصريح، لان عدم ايمان سامعيه به، كان
علة عدم ترحيبه بهم. عيبتهم انهم رأوا ولم يؤمنوا مع انهم سبقوا فطلبوا آية،
« ليروا ويؤمنوا ». ولما أعطيت لهم الآية في شخصه، انطبق عليهم القول:
« مبصرون يبصرون ولا ينظرون »: « رأيتوني ولستم تؤمنون » (عدد ٣٦).
وفي الواقع يعتبر عدد ٤٠ مكملًا ومؤيدًا لعدد ٣٩. والفرق الرئيسي بينهما
هو ان عدد ٣٩ يشير الى الجانب الالهي في الخلاص، وعدد ٤٠ يتكلم عن
الجانب الانساني. ان نصيب المؤمنين، كما يتبين من عدد ٣٩، هو « الصيانة »
وكما يتبين من عدد ٤٠ هو « الحياة الابدية »

« يرى ويؤمن » — كلمتان: اولاهما ممهدة للثانية، وثانيتها مكملة
للاولى. فالانسان يرى او يسمع، فيكون لنفسه صورة لما يراه او يسمعه، ثم يتأمل
الشخصية المرتسمة أمامه في الصورة، فيميل اليها، ويعجب بها، فيثق،

وأنا أقيم في اليوم الأخير . ٤١ فكان اليهود يتذمرون عليه لأنه قال أنا هو الخبز الذي نزل من السماء .

ويتكل ، ثم يعبد . « يرى ويؤمن » — كلمتان : أحدهما مفسرة للآخرى . فالرؤية هي النظر بالعين الطبيعية المجردة ، والایمان هو النظر بالعين الروحية الباطنية التي ترى ما — ومن — لا يُرى (عب ١١:١)

عدد ٤١ . (ب) الحديث الثاني ٤١:٦ — ٥١ . يتضمن هذا الحديث أولاً : تذر اليهود ٤١:٦ و ٤٢ . ثانياً : المسيح يصادمهم بعدم اقليتهم له (٤٣:٦ — ٤٦) . ثالثاً : المسيح يعلن لهم انه هو خبز الحياة ٤٧:٦ — ٥١

أولاً : تذر اليهود ٤١:٦ و ٤٢ . (١) طبيعة تذرهم (عدد ٤١) . نرى في هذا الحديث انتقالاً في الفكر ، وتبايناً في روح الكلام ، وتغيراً في البيئة ، عما في الحديث الاول . غالباً كان الحديث الاول موجهاً الى الجمهور ، وأما الحديث الثاني فوجهه الى رؤساء اليهود . ولعلّ بعضاً منهم كانوا موقدين من السنهدريم ليمسكوا يسوع بكلمة ، والبعض الآخر من الجليل . الكلمة : « تذر » — في الاصل — لا تفيد بالضرورة انهم نطقوا بكلماتٍ على مسمع من المسيح ، بل انهم تمتعوا ، فعلم المسيح بما كان يختلج في صدورهم (٤٣:٥ و ٢٥:٢) . كان تذرهم مظهراً من مظاهر شكوكهم (٣٢:٧) ، وتعرهم (٦١:٦) ولوقا (٣٠:٥) . اما الباعث لهم على هذا التذر فهو قول المسيح : « أنا هو الخبز الذي نزل من السماء » . ومع ان المسيح لم يفه بهذه الكلمات كما هي ، لكنهم التقطوها وجمعوها معاً من جملة عبارات فاه بها القادي (عدد ٣٣ و ٣٥ و ٣٨)

٤٢ وقالوا أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمه . فكيف يقول هذا اني نزلت من السماء . ٤٣ فاجاب يسوع وقال لهم لا تذمروا فيما بينكم

عدد ٤٢. (ب) موضوع تذرهم عدد ٤٢. « أليس هذا هو يسوع .. » ؟ عبر اليهود — فيما بينهم — عن تذرهم ، بكلمات تحقير القوها كسهام مسمومة على المسيح . وهذا التحقير كان منصباً على — (١) شخصه : « أليس هذا هو يسوع » ؟ ان قيمة تحقيرهم له ، بلغت أشدها عند نطقهم بكلمة : « هذا » . (ب) اصله : « بن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمه » . لم يكن هؤلاء اليهود عارفين بالطريقة المعجزية التي ولد بها المسيح من عذراء ، وليس بغريب ان مرَّ المسيح بلغوهم هذا ، مرَّ الكرام . لانه لم يجد داعياً لمناقشة قوم في امر لا يُقبل الا بالتسليم والايمان سيما وانه وُلد في سكون الليل ، في خانٍ وضع والبشر كلهم نيام . واي نفع يرتجى من القاء درة هذه المعجزة الخالدة ، امام من تسلحوا بنية عدم الايمان ؟ ! واذا كان قد صرَّح لهم بالمعلنات فلم يؤمنوا ، فكيف يؤمنون اذا أفضى اليهم بالأسرار والمكنونات ؟ فضلاً عن هذا ، فان علم علمهم بميلاد المسيح من عذراء لم يكن العلة الرئيسية في عدم ايمانهم عدد ٤٣. (ج) مبراب المسيح ٤٣: ٦ — ٥١ بين المسيح لهم في جوابه هذا ان لا معنى لتذرهم من كلامه . فليس العيب في كلامه ، بل في فهمهم لانهم من ذواتهم لا يقدرّون ان يأتوا اليه ، ولا ان يفهموا كلامه . انهم لا يقدرّون أن يأتوا اليه ان لم يجتذبهم الآب (عدد ٤٤) ، ولا يستطيعون ان يفهموا كلامه

٤٤ لا يقدر أحد ان يقبل اليّ ان لم يجتذبه الآب الذي ارسلني

ما لم يتعلموا من الله (عدد ٤٥) ، وينتسبوا اليه انتساباً فعلياً حيويّاً (عدد ٤٦)
 عدد ٤٤. الطريق الوحيد الى المسيح ، لم يقصد المخلص بهذه الكلمات ،
 ان يُعجز الناس عن الاتيان اليه ، بل اراد ان يظهر لهم عجز قدرتهم الطبيعية
 عن تخليص انفسهم ، وعدم قدرة العقل الطبيعي على فهم المعلنات السماوية
 السامية . وفي الوقت نفسه فتح لهم باب المجيء اليه ، على مصراعيه ، اذ ارام
 الباب الوحيد الحقيقي . على ان المسيح في تصريحاته هذه لم يطلع عليهم
 بمحدث جديد ، بل كلهم عن حقيقة سبق فكتب عنها الانبياء . وقصد
 بـ « الانبياء » تلك الأسفار المعروفة بهذا الاسم في العهد القديم العبري (انظر
 اشعيا ١٣: ٥٤ وقابله بما جاء في ارميا ٣١: ٣٣ و٣٤ ويوثيل ٢٨: ٢ و١: ٣)

ان ما قاله المسيح عن اجتذاب الآب للمؤمنين ، يوضح ويكمل ما قاله
 في عدد ٣٧ . عن كون المؤمنين عطية الآب له . وما هذان القولان ، سوى
 تعبيرين لحقيقة واحدة . فاجتذاب الآب للمؤمنين هو الوسيلة الفعالة لتنفيذ ما
 قصده بهم منذ الازل ، من حيث كونهم عطية للمسيح . فالمؤمنون هم عطية
 الآب للمسيح بقضاء خارجي ، لكنهم يأتون الى المسيح بجاذبية داخلية ، سرية
 فعالة . ومن الاهمية بمكان ان نذكر ان اجتذاب الآب للمؤمنين ، لا يلغي
 إرادتهم ، بل يطبع إرادتهم بطابع إرادته ، فيريدون من تلقاء ذواتهم ، ما سبق
 فأرادهم هو لهم وبهم . لانه لا يجتذبهم اعتباطاً ، بل اغتباطاً . ولا يدفعهم بالعنف
 بل يستميلهم باللفظ : « بحبال البشر .. برُبط المحبة » . ان اجتذاب الآب

وانا اقيمه في اليوم الاخير . ٤٥ انه مكتوب في الانبياء ويكون
الجميع متعلمين من الله .

للخطاة هو النقطة التي يلتقي عندها الاختيار ، بالدعوة الفعالة . فالله من فرط
حبه للخطاة ، أرسل المسيح من السماء الى العالم ، ليكون واسطة اجتذاب
الناس من العالم الى السماء . وقد ذكر المسيح كلمة : « وانا اقيمه في اليوم الاخير » ،
في هذا المكان ايضاً ، ليفهم سامعيه انه واذا كان الآب منسحقاً الخلاص
فان المسيح مكمله . باجتذاب الآب يأتي الخطاة الى المسيح ، وبمحافظة المسيح
عليهم يظلون على الدوام معه وله

عدد ٤٥ . قوة المكتوب . . . او كلمة الله المتجسد يستشهد بكلمة الله
المكتوبة وكذلك كلمة الله المكتوبة تشهد « لكلمة الله » المتجسد (انظر ٥ :
٣٩) . متى علمنا مما جاء في عدد ٥٩ ، ان المسيح نطق بهذه الكلمات وهو
يعلم في المجمع في كفر ناحوم ، فلا يبعد ان يكون قد قرأ هذه الكلمات من
درج الكتاب (قابل لوقا ٤ : ١٧) . كان اشياء مشيراً بنبوته الى العصر
المسيحي ، الذي يكون رجاله متعلمين من الله . وواضح انه لا يتعلم من الله الا
الشخص الذي يدخل مدرسة الله الروحية ، ليسمع منه . ومن يسمع من الآب
ويقبل تعاليمه ويتفهمها ، وينحضع نفسه لسلطانها ، يُقبل الى المسيح . ان كلمة
« جميع » ، التي في بدء العدد ، تختلف عن كلمة : « كل » التي في الجزء الثاني منه .
الأولى تعميمية تشير الى رجال العصر المسيحي كجموع ، والثانية تخصيصية
تشير الى كل من يقبل تعاليم الله فرداً فرداً . فكلمة : « كل » تعين تفصيلاً من

فكل من سمع من الآب وتعلم يقبل اليّ . ٤٦ ليس ان احداً رأى الآب الا الذي من الله .

تعنيهم كلمة: «جميع» اجمالياً . وعليه يكون الجزء الثاني من هذا العدد ، نتيجة طبيعية للجزء الاول ومؤيداً له . فما اجل قدرة المسيح ! اذ لا يقدر احد ان يدخل مدرسته الا متى تتلمذ في مدرسة الآب : «كل من سمع من الآب وتعلم ، يقبل اليّ» . هذا هو الشيء الجوهري الذي كان يعوز سامعيه

عدد ٤٦ . فمجرد المسيح برؤية الآب : «ليس ان احداً رأى الآب الا الذي من الله» — هذا استدراك لما يمكن ان يُستنتج خطأً من العدد السالف . فرق عظيم بين من يتعلم من الله و بين المسيح . ان من يتعلم من الله يسمع الله يتكلم ، لكن المسيح وحده ، هو الذي رأى الآب ، لانه «من الله» — هذه الكلمة الاخيرة : «من الله» ، تفسرها العبارة التي وردت في ١٤:١ : «كما لوحيده من الآب» (انظر ١٨:١ ; ٤٢:٨ ; ٢٧:١٦) . ان الذين يتعلمون من الآب ، لا يشاركون المسيح في مقامه ، لانه في مقام ممتاز لا يدانيه فيه سواه ، وهو الوحيد الذي كان في حضرة الآب ، وراه ، وعرفه ، ويستطيع ان يخبر عنه بتدقيق وافاضة ، فهو «كلمة الله» (٣:١٧ ; مت ١١:٢٧) . ان قوله : «من الله» لا يصف المسيح في مصدر رسالته كأ انه مجرد رسول «من الله» ، بل يصفه في جوهره وأصل طبيعته . (انظر ٧:٢٩) . «انا اعرفه لاني منه» ... هذا قد رأى الآب . قد يكون القصد الاساسي من هذه الكلمات ، وصف المسيح قبل التجسد . لكنها مع ذلك تصفه ايضاً وقت التجسد .

هذا قد رأى الآب . ٤٧ الحق الحق اقول لكم من يؤمن بي فله حياة أبدية .

فهي لا تصف اختباراً ماضياً وكفى ، لكنها تتناول ايضاً حالة دائمة مستمرة — هي شعور المسيح الدائم بصلته الوثيقة بالآب . (٣: ٣٤ و ٣٥ ؛ ١٤ : ١٠) . وقال : « قد رأى » من قبيل التحقيق ، للدلالة على ان هذه الرؤية مبنية على الصلة الازلية التي بين الآب والابن

عدد ٤٧ . يسوع فبذل الحياة ٦: ٤٧ — ٥١ . ان كلام المسيح في الاعداد السابقة مهد لكلامه الآتي ، كما ان كلامه الآتي ، مقرر ومثبت لكلامه السالف . فكل من يقرأ كلامه — من عدد ٤٧ وما بعده — يشعر ان نعمة خاصة لا يسته ، هي نعمة الثقة ، واليقين ، والجدّ الرهيب : « الحق . الحق » . فقد اعتدنا ان نسمع هاتين الكلمتين معاً ، من فم المسيح ، كلما أراد ان يقدم لسامعيه اعلاناً جديداً ممتازاً ، مستمداً من الصلة الفريدة التي تربطه بالآب (عدد ٤٦) . انه بقوله هذا ، يتحدّى اليهود « المتذمرين فيما بينهم » من جهة أصله (عدد ٤١ و ٤٢) . هذا وان مكافأة الايمان بالمسيح هي : « الحياة الابدية » — هذه مكافأة طبيعية لا تُعطى اعتباراً ، لان الايمان الحيّ يُتحد الانسان الميت ، بالمسيح الحيّ ، فيخلع عنه أ كفان العدم ويمتعه بمجدّة الحياة . لا بل هذه مكافأة حالية ولو انها ابدية : « له » . فهي ملك المؤمن في الحياة الحاضرة ولو ان غنى مكنوناتها سيكشف في الحياة العتيدة . هي لنا الآن ، في البزرة . وستكون لنا في الدهر الآتي ، شجرة ناضجة الثمار (٣٦: ٣)

٤٨ انا هو خبز الحياة . ٤٩ آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا .

ان الايمان هو الوسيلة التي بها تعرف النفسُ المسيح — ومعرفة هي الحياة
الابدية (٣: ١٧)

عدد ٤٨ . الاعمدة الاول في هذه البشارة — انا هو خبز الحياة . بعد أن
ردَّ المسيح على اعتراضات اليهود التي بدت من تدميرهم، استأنف كلامه الذي
فاه به في ٣٢: ٦ — ٤٠ ، وتقدّم فيه مرتقياً على درجات متصاعدة . فما صرح
به في ع ٤٨ ، يؤيد ما نطق به في ع ٤٧ ، ويقرر ما فاه به في ع ٣٦ ، ويزيده
توكيداً وايضاحاً

عدد ٤٩ . الخبز البائد: «آباؤكم أكلوا المن ..» — في هذا العدد ردّد المسيح
ما قاله اليهود في ع ٣١ . ومن كلامهم دانهم : «آباؤكم أكلوا المن في البرية
وماتوا» — إذا فالمن الذي افتخروا به ، انما هو طعام ميت . ولو كانت فيه حياة ،
لظهر أثرها في الذين اكلوا منه . ومع ان الموت المشار اليه هنا ، هو الموت
الجسدي الذي أصاب الاسرائيليين في البرية ، الا انه كان ايضاً موتاً عقابياً ،
تأديبياً ، أبدياً . لم يستطع المن ان يرفع عنهم حكم الموت . ولا ان يدفع عنهم غائلة
القضاء ، فيجوز لنا ان نلقبه : «خبز الموت» — بخلاف المسيح الذي هو « خبز
الحياة » . فهو خبز حيٍّ ومحْيٍ ، وقد رفع عن المؤمنين حكم الموت ، ووهبهم
حياة ابدية ، لن تتناول اليها يدُ الموت . فهي « ابدية » في مداها ، وفي
طبيعتها ، وفي عمقها ، وفي سعتها

٥٠ هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الانسان

عدد ٥٠ . وصف مثلث خبز الحياة : « هذا هو الخبز . . . » : (ا) أصله : « النازل من السماء » . ويلاحظ ان ضمير المتكلم : « أنا » (عدد ٤٨) ، قد استعير عنه باسم الإشارة : « هذا » (عدد ٥٠) ، لان المسيح كان يتكلم في عدد ٤٨ عن شخصه باعتبار كونه خبز الحياة ، وهو الآن يتكلم عن شخصه باعتبار كونه واهب هذا الخبز للعالم . في الأول رأيناه طعام العالم ، والآن نراه مُطعم العالم ومقيته . فيما سبق ، تكلم عن كفاية شخصه وقوته ، والآن يتحدث عن مشيئته الحرة التي بها قدّم نفسه اختياراً وطوعاً ، لاجل حياة العالم . ان في قوله : « النازل من السماء » إشارة الى تجسده وحضوره الدائم المتجدّد . (ب) القصد الالهي فيه : « لكي يأكل منه الانسان » . ان الغاية الاساسية من الخبز ، ليست ان يتطعم اليه الانسان ، ولا ان يحلّله تحليلاً كيمياوياً ، بل ان يأكله . ولا يفوتنا ان في استعارة الاكل تخصيصاً فردياً ، فقد يتكلم انسان بدلاً من آخر ، وقد يعمل عمله عوضاً عنه ، لكن من المحال ان يأكل انسان طعاماً عوضاً عن آخر . فالأكل عمل فردي . كذلك الايمان . وكما أنّ الطعام يصير بأكله جزءاً لا يتجزأ من جسم الانسان ، ويستحيل بعد مضغه وهضمه الى غذاء يتغلغل في عصارة الجسم ، فيصير بعضه لحماً ، والبعض الآخر عظماً ، والآخرون دماً ، لدرجة يصبح هو في الانسان ، والانسان فيه ، كذلك بالايمان يتحد الانسان اتحاداً حيويّاً بالمسيح ، فيصير المسيح فيه ،

ولا يموت . ٥١ انا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء .

وهو في المسيح . (ج) فاعليته : « ولا يموت » الاشارة هنا الى الموت الروحي "الابدي" — هذا هو الموت الثاني

عدد ٥١ . يسوع الخبز الحي : « انا هو الخبز الحي » . عاد المسيح في هذا العدد الى ضمير المتكلم : « أنا » ، كما في عدد ٤٨ . الا انه في هذا العدد ، وصف نفسه بأنه « الخبز الحي » . والوصف الثاني هو العلة الاساسية للوصف الاول . فهو خبز الحياة لانه خبز حي . العبارة : « خبز الحياة » — تصفه في فاعليته : اي انه يهب الحياة ويحفظها . والكلمة : « الخبز الحي » : تصفه في طبيعته — أي ان الحياة ذاتية فيه

اذا القينا نظرة عامة على هذا العدد ، ألفيناه — في الجزء الاول منه — يماشي العدد السابق ، مع تدرُّج في المعنى ، وتعمق في الوصف ، وتقدم في الاعلان :

عدد ٥٠ — | هذا هو الخبز | النازل من السماء | لكي يأكل منه الانسان | ولا يموت
عدد ٥١ — | انا هو الخبز الحي | الذي نزل من السماء | ان اكل احد من هذا الخبز | يحيا الى الابد
قوله : « انا هو الخبز الحي » يخلف على الخبز وصفاً جديداً لم يُذكر في العدد السابق — « الحي » . والفرق بين قوله : « النازل من السماء » (عدد ٥٠) ، وقوله « الذي نزل من السماء » (عدد ٥١) ، هو ان الأول يصف تجسُّد المسيح باعتبار كونه طعاماً ، مستديماً ، متجدِّداً كل يوم ، وفي متناول جميع البشر . والثاني يصف التجسُّد كحقيقة تاريخية ، تمت مرَّة واحدة . أمَّا قوله : « لكي يأكل منه الانسان » (عدد ٥٠) ، فيصف الخبز من جهة قصد الله الازلي

ن أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الابد . والخبز الذي انا اعطي
هو جسدي الذي ابذله

يه . وقوله : « ان أكل احد من هذا الخبز » (عدد ٥١) يعنفه من جهة
ترية ارادة البشر في تناوله او رفضه . ان كلمة « إنسان » في عدد ٥٠ ،
كلمة اجمالية ، وكلمة « احد » في عدد ٥٠ ، كلمة تفصيلية . اما فاعلية هذا الخبز
قد وُصفت في عدد ٥٠ ، وصفاً سلبياً : « لا يموت » — لان الانسان
لطبيعي مولود تحت حكم الموت . وقد وُصفت في عدد ٥١ ، وصفاً ايجابياً .
« يحيا الى الابد » . هذا وصف أقوى ، يشير الى دوام الحياة . ولعل الوصف
لأول يشير الى بدء اختبار المؤمن ، والثاني الى بلوغه وتمامه

الى هنا يفرق العددان ، فتنتهي خطوات اولها الى الحد الذي تركناه
فيه ، ويتقدم بنا الثاني إلى اعلان جديد : « والخبز الذي انا اعطي هو
جسدي الذي أبذله من اجل حياة العالم » . فيما سبق كان المسيح يتكلم
عن شخصه ، والآن نراه منتقلاً من الكلام التعميني عن « شخصه » ، الى
لتخصيص التفصيلي عن « جسده » . فبدلاً من قوله فيما مضى : « انا هو
الخبز » نسمعه الآن يقول : « والخبز .. هو جسدي » . ثم انتقل من هذه
لنقطة الى ما هو ابعد منها ، فأرانا الطريقة التي بها يقلم جسده ليكون طعاماً
لعالم — بالصلب : « الذي أبذله » . فمن الكلام عن شخصه — الى الكلام
عن تجسده — الى الكلام عن موته . ان شخصه ازلي ، لكنه ظهر للعالم
التجسد ، وجسده صار طعاماً للعالم بكسره على الصليب

من أجل حياة العالم . ٥٢ نخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين كيف

متى علمنا من مقدمة هذا الفصل ، ان المسيح فاه بهذه الكلمات في وقت كان فيه عيد الفصح قريباً (عدد ٤) ، فمن المحتمل جداً ان يكون هذا الكلام منظوياً على مقابلة ضمنية بين حمل الفصح اليهودي الذي كان يُقدَّم لاجل عائلة يهودية واحدة ، وبين المسيح فصحننا الاعظم الذي كانت آتئذٍ على استعداد ان يُبذل على الصليب «من اجل حياة العالم» أجمع

وكما كان اليهود ينتفعون من حمل الفصح ، بدمه الذي يرشونه على القاعتين والعتبة العليا ، و بلحمه الذي كانوا يأكلونه داخل البيت ، كذلك ينتفع المؤمنون ، بدم المسيح وبجسده . هذه هي الحقيقة التي اراد المسيح ان يوضحها في الحديث الآتي

(ج) الحديث الثالث ٥٢:٦ — ٥٩ . يعتبر هذا الحديث تمة للحديث السابق وتوضيحاً له . في الحديث السابق لمحنا اليهود «يتذمرون فيما بينهم» (٤١:٦ — ٤٣) ، والآن . نسمعهم «يخاصمون بعضهم بعضاً . . قائلين . .» (٥٢:٦)

عدد ٥٢ . (١) نخاصم اليهود . ان تذمر اليهود فيما بينهم ، قد تطور الى تخاصم وتنابد . قبلاً كانوا يتذمرون كمجموع . أمّا الآن ، وقد ازاح المسيح حجاباً خفيفاً كشف عن جانب من الحق الالهي ، وأراهم بصيصاً من نوره ، أضفى بعضهم في جانبه ، وأمسى البعض الآخر ضده . نخاصم بعضهم بعضاً قائلين: «كيف يقدر هذا ان يعطينا جسده لناكل» . إن استعارة الاكل لم

يقدر هذا ان يعطينا جسده لنا أكل. ٥٣ فقال لهم يسوع الحق الحق اقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشرّبوا دمه

تكن غريبة عن العقلية اليهودية . فقد استُدير بها عن كلام الله في نبوات ارميا : « وُجد كلامك فأكلته » (ارميا ١٥: ١٦). ووردت أيضاً في التلمود عن مسيا (المسيح)، فقيل: « أكل مسياً » — بمعنى قبوله بفرح واعتناق مبادئه القويمة. لذلك يلوح لنا ان اليهود، لم يخاصم بعضهم بعضاً لان المسيح استعمل استعارة « الأكل » في حدة ذاتها، بل لانه، وهو وضع الأصل في نظرم (عدد ٤٢)، اتخذ لنفسه مقام « مسياً »، وقال انه يقدم جسده طعاماً للعالم اجمع!! ان أمر كلمة في احتجاجهم، هي قولهم: « هذا »!! ويتضح لنا جلياً من كلمة « خاصم... بعضهم بعضاً »، ان بعضاً منهم، ربما بسبب ما رأوه من معجزاته، او بما تأثروا به من قوة شخصه، قد قبلوا كلامه، وأقرّوا له بهذا الحق، فوقفوا في جانبه، والبعض الآخر كانوا في موقف التعجب: « كيف يمكن »؟! لذلك تخاصم الفريق الأول مع الثاني

(٢) جواب المسيح ٥٣: ٦ — ٥٩ . « فقال لهم يسوع . الحق الحق اقول لكم . . . » . أمام تخاصم اليهود ، مع بعضهم البعض ، لم يتراجع المسيح في كلامه ، لكنه تابع اقواله ، لكي يزداد النور أمام من أعطي لهم ان يروا ، ويتكاثف الظلام أمام من اغمضوا عيونهم ضد النور ، بارادتهم . قبلًا كان يحدثهم عن جسده الذي « يبذله من اجل حياة العالم » ، والآن حدثهم تفصيلاً عن جسده ودمه : « ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشرّبوا دمه

فليس لكم حياة فيكم. ٥٤ من يأكل جسدي ويشرب دمي

فليس لكم حياة فيكم. ومن المؤسف ان نرى ان هذا الاعلان الجديد لم يزعج اليهود قيد أنملة عن شكوكهم ، بل زادهم في موقفهم صلابة ، سيما عند قوله لهم : « . . . وتشربوا دمه » . (عدد ٥٣) . لان اكل اللحم — او شربه — كان محرماً على اليهود (تث ٩: ٤ ولاويين ١٧: ١٠-١٦) ، لذلك بلغ نفورهم مبلغاً كبيراً لدى سماعهم قوله : « وتشربوا دمه » . فحقاً للذين لم يعترفوا باصله السماوي ، ان يتذمروا من كلامه هذا ، سيما وانهم كانوا يزعمون انهم يعرفون أصله وأهله ، جيد المعرفة

وجدير بنا ان نذكر ان المسيح فاه بهذا الاعلان الجديد بنعمة الواثق ، اذ استهله بهاتين الكلمتين التاريخيتين : « الحق الحق » كعادته عند كل اعلان جديد ممتاز ، مستمد من صلته الفريدة بالآب . وقد ردّد الفادي هذا الاعلان المجيد اربع مرات (عدد ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦)

عدد ٥٣ . المرة الاولى التي صرح فيها المسيح بهذا الاعلان : في هذه المرة ذكر المسيح هذا الاعلان بصيغة سلبية مبيناً بصورة قاطعة ان اكل جسد ابن الانسان وشرب دمه لازمان لزوماً حتماً لنوال الحياة^(١)

عدد ٥٤ . المرة الثانية. هنا أورد المسيح كلامه بصيغة ايجابية، مفرغاً المعنى في قالب التخصيص فبدلاً من قوله : « جسد ابن الانسان ودمه » (عدد ٥٣) ، قال : « جسدي ودمي » . مبيناً انه هو ابن الانسان ، وصرّح ايضاً بوعد

(١) ان قوله « حياة فيهم » يتفق تماماً مع قوله للسامرية « . . . فيه ينبوع ماء ينبع حياة أبدية » (١٤: ٤)

فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الاخير. ٥٥ لان جسدي ما كل

وصف فيه أمد الحياة التي ذكرها في عدد ٥٣ : « حياة أبدية » . اما جسد المسيح فيكنى به عن حياته ، ودمه يكنى به عن موته . فحياته هي قوام حياتنا ، ودمه هو نبع حياتنا وأصلها . بدمه الكفار ينجون من الموت العقابي فنحيا . وبحياته تقات بواسطة روحه القدس كل يوم فنحتفظ بالحياة . كذلك كان حمل الفصح . فدمه يُرَش للنجاة من الموت ، ولحمه يؤكل ليحفظ الحياة . وقد اشار المسيح الى دمه في هذا الحديث ، للدلالة على ان حياته لا يمكن ان تكون لنا الا متى سكبها للموت عنا . فجسده لا يؤكل الا بعد كسره ، ودمه لا يُشرب الا اذا انفصل عن جسده بالصليب . وجسده ودمه معا ، يشيران الى المسيح الحي التاريخي — ابن الله وابن الانسان — الله ظهر في الجسد في ملء الزمان . اما قوله : « وانا اقيمه في اليوم الاخير » ، فيشير به الى قيامة الاجساد . ويقول « لانجي » ان اليوم الاخير هو الفترة التي بين مجي المسيح الثاني والدينونة . هذه هي المرة الرابعة التي ذكر فيها المسيح هذا الوعد : « وانا اقيمه في اليوم الاخير » (٣٩ و ٤٠ و ٤١) ليقرر مؤكداً ان من يأكل الخبز الحي الذي هو المسيح ، فلا سلطان للموت عليه — سواء أكان موت الجسد أم موت الروح ، بخلاف الذين أكلوا المنّ فماتوا — بالجسد وبالروح ايضاً

عدد ٥٥ . المرة الثالثة : في هذه المرة كرّر المسيح كلامه عن اكل جسده وشرب دمه مبيناً العلة الاساسية في كون اكل جسده وشرب دمه ، شرطين لازمين لنوال الحياة الابدية : « لان جسدي ما كل حق . ودمي

حق ودمي مشرب حق . ٥٦ من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت

مشرب حق» . أعني ان أكل جسد المسيح ، وشرب دمه ، ليسا من الأمور الوهمية بل من الحقائق الراسخة الجوهرية . على ان هذا لا ينفي كون كلام المسيح مجازياً ، كما بين هو في عدد ٦٣ ، لأنَّ الحقيقي لا ينافي المجازي ، وانما يتنافى مع الوهمي . ويجوز ان تُترجم هذه العبارة الى : «جسدي»^(١) مأكل حقيقي ودمي مشرب حقيقي»

عدد ٥٦ و ٥٧ . المرة الرابعة . في هذه المرة عاد المسيح فتكلم عن أكل جسده وشرب دمه ، فبيّن : (١) مهر الحياة الابدية ، التي يتمتع بها من يأكل جسد المسيح ويشرب دمه — وهو اتحاده بالمسيح وثبوته المتبادل فيه ، (عدد ٥٦) : «من يأكل جسدي ، ويشرب دمي يثبت فيَّ وانا فيه» . ان ثبوت المؤمن في المسيح ، هو نقله من تربة الذات الميتة ، الى تربة الحياة الجديدة في المسيح . وهو قطعة من شجرة العالم الجرداء ، وتطعيمه في المسيح الذي هو الكرمة الحقيقية . اما ثبوت المسيح في المؤمن ، فيراد به ان شخصية المسيح الحي تتغلغل في حياة المؤمن وفي شخصيته فلا يعمل المؤمن الا ما يعمل المسيح ، ولا ينطق الا بما يوحى اليه المسيح . فكما ان الطعام الذي يأكله الانسان يسري في الجسم ، فيصبح هو في الجسم والجسم فيه ، وكما ان الماء الذي يشربه المرء يتوزع في اوعية الجسم فيصير هو في الجسم والجسم فيه ، كذلك من يأكل جسد المسيح ويشرب دمه يثبت في المسيح والمسيح فيه . كلمة «ثبوت» تفيد الدوام المبني على الحياة المتبادلة . وهي من الكلمات التي اختص يوحنا

فيّ وانا فيه . ٥٧ . كما ارسلني الآب الحي وانا حي بالآب

بتسجيلها (١٤: ١٠ و ٢٠ و ١٥: ٤ و ٥ و ١٧: ٢١). هذه باكورة كلام المسيح الوارد في الاصحاح الخامس عشر . و بالاجمال فان قول المسيح « يثبت فيّ وانا فيه » يحقق لنا ان المسيح هو الكل في الكل في حياة المؤمن . فاذا شبهنا حياة المؤمن بدائرة ، فالمسيح مركزها ومحيطها . او بنهر ، فالمسيح نبعه وهو هو البحر الذي فيه يصب النهر . او بطريق ، فالمسيح بدء هذا الطريق وغايته

عدد ٥٧ . (ب) نبع حياة المؤمن . اذا كان العدد الماضي يحدثنا عن جوهر الحياة الابدية ، فان هذا العدد يحملنا الى اصل هذه الحياة ونبعها — فهي حياة تُستمد من المسيح ، وتتبع من الآب رأساً : « كما ارسلني الآب الحيّ وانا حيّ بالآب فمن يأكلني فهو يحيا بي » اي ان اجتياز الحياة من الآب الحيّ الى الابن الحيّ ، هو نموذج ، ومثال ، وعلة اجتياز الحياة من الابن الحيّ الى المؤمن . يتألف هذا العدد من سطرين متوازيين : يتخبرنا اولهما عن صلة الآب بالمسيح الابن ، ويحدثنا الثاني عن صلة المسيح بالمؤمن . وكل من هذين الشطرين يتضمن عبارتين — احدهما تصف المعطي ، والاخرى تصف الآخذ . فالآب هو الحيّ ، وهو المصدر الاصلي للحياة ، والعلة المطلقة لها . والابن — باعتبار كونه قادياً ، ومرسلاً من الآب — هو حيّ به ، لانه يستمد كيانه الانساني منه ليتم رسالته التي جاء أرضنا لاجلها . كلمة : « انا حي » لا تعني الكيان المطلق ، لكنها تصف حياة المسيح الانسانية في جميع مظاهرها (٢: ٤ و ٧: ٦ و ١٦ و ٨: ٢٨) . والنتيجة الطبيعية لهذه الحقيقة هي ان المسيح

فمن يأكلني فهو يحيا بي . ٥٨ هذا هو الخبز

في حياته على الأرض قد أَرانا «صورة طبق الاصل» من حياة الله . والشرط الثاني يصف المسيح بأنه قوت المؤمن ، ويصف المؤمن في اقتنياته الدائم بالمسيح : «من يأكلني فهو يحيا بي»

من هنا يتضح لنا عمق الصلة الفريدة الممتازة التي بين الابن والآب — تلك الصلة، التي لا يشاطره اياها احد من البشر. ان الآب قد اودع الحياة في الابن وحده ، فالسبيل الوحيد للتمتع بالحياة ، هو ان يتقدم الانسان الى المسيح لينال منه الحياة

ومن الاهمية بمكان ان نذكر ان المسيح يتكلم في هذا العدد عن حياته الانسانية الارضية . اما حياته الالهية فقد حدثنا عنها في عدد ٤٦ « ليس ان احداً رأى الآب الا الذي من الآب »

عدد ٥٨ . مجل الحريت . عاد المسيح الى تلك الاستعارة الاولى التي استمدّها من معجزة اشباع الآلاف — استعارة «الخبز» . فبدلاً من تكلمه تفصيلاً عن «أكل جسده وشرب دمه» (٥٣ و٥٤ و٥٥ و٥٦) أجمل الكلام فركّزه في شخصه فقال : «من يأكلني» عدد ٥٧ . ولما بلغ الحديث منتهاه ، رجع الى الكلام عن «الخبز» ، مُقارناً إياه : «المن» الذي اكله الاسرائيليون في البرية وماتوا ، ومقرّراً فائدته الخالدة : «من يأكل هذا الخبز فانه يحيا الى الابد» . إن الحياة هنا، جامعة بكل انواعها ومظاهرها — من طبيعية، وروحية ويجدر بنا الآن ، ان نستوقف أنفسنا قليلاً ، عند خاتمة هذا المطاف

الذي نزل من السماء .

لنصفي الى همس الكثيرين المتسائلين : هل كان المسيح في كلامه عن اكل جسده وشرب دمه ، متحدثاً الى سامعيه عن العشاء الرباني ؟ وجواباً على هذا السؤال نقول بكل صراحة : « كلاً » : (١) لانه ليس من الطبيعي ان يتحدث المسيح الى سامعيه ، عن فريضة لم تكن قد رُسمت بعد — وواضح من أخبار البشيرين ، ان فريضة العشاء الرباني رُسمت بعد مرور عام على هذا الحديث — فمن الحق ان سامعيه في كفرناحوم لم تكن عندهم اية فكرة عن الفريضة ، لا تصريحاً ، ولا تلميحاً . (٢) ان الكلمة المترجمة « جسد » في حديث المسيح هذا ، هي غير الكلمة المترجمة « جسد » في كلامه عن العشاء الرباني . في هذا الاصحاح استعمل المسيح الكلمة اليونانية : « ساركس » — ومعناها الحرفي : « لحم » ، لكن في كل موضع جاء فيه ذكر فريضة العشاء الرباني — سواء أكان على لسان المسيح أم على لسان بولس الرسول — استعملت الكلمة : « سوما » — ومعناها الحرفي « جسد » (مت ٢٦: ٢٦ ومرقس ١٤: ٢٢ ولوقا ٢٢: ١٩ و ١ كو ١١: ٢٤-٢٧) . وكل منهما تتفق والمناسبة الخاصة التي قيلت فيها . فلما تكلم المسيح هنا عن الخبز الحي ، بمناسبة المن الذي اكله الاسرائيليون وماتوا ، كان من الطبيعي ان يستعمل كلمة : « ساركس » — « لحم » على اعتبار كونه مادة مغذية مشبعة . لكنه لما تكلم عند رسمه فريضة العشاء الرباني بمناسبة صلبه وتركه للتلاميذ علامة يذكرون بها موته ، كان من الطبيعي ان يستعمل كلمة : « سوما » أي « جسد » — على اعتبار

ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا

كون الجسد نظاماً آلياً مركباً من أعضاء ، وقد كسر بالموت على الصليب (٣) لقد علمنا المسيح ورساله ، في كل مناسبة ، ان الايمان الحي هو الوسيلة الوحيدة التي بها ينال الانسان الحياة الابدية ، فليس من المعقول ان يناقض المسيح نفسه ، ويهدم تعاليمه التي اوحى بها ، ويعلمنا ان الحياة الابدية تُنال بواسطة وسيلة مادية بحثة — مثل الاكل او الشرب . فضلاً عن ذلك فان المفكرين من اخوتنا التقليديين يقررون معنا ان كثيرين جداً ممن يتناولون العشاء الرباني يهلكون هلاكاً ابدياً ، فكيف اذا يوقعون بين هذه الحقيقة الراهنة ، وبين قول المسيح في عدد ٥٤ : « مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي ويشرب دمي فله حياة أبدية » ؟ فلا مناص اذاً من التسليم بأن أكل جسد المسيح وشرب دمه ، يُراد بهما شيء آخر غير فريضة العشاء الرباني . (٤) يتضح لنا لدى التأمل في كلام المسيح في عدد ٦٣ : « الروح هو الذي يحيي . أما الجسد فلا يفيد شيئاً . الكلام الذي اكلمكم به هو روح وحياة » ، انه لم يقصد الاكل الحرفي ، ولا الشرب الحرفي ، اللذين يحصلان عند تناول الفريضة وانما قصد شيئاً آخر .

فما هو اذاً هذا الشيء الآخر الذي قصده المسيح عند ما تكلم عن أكل جسده وشرب دمه ؟ الجواب على هذا السؤال ، نجده في كلام المسيح نفسه (عدد ٣٥) : « أنا هو خبز الحياة . من يُقبل اليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش ابداً » . ولدى تحليل هذا القول ، يتبين لنا ، ان كلمة : « من يُقبل

من يأكل هذا الخبز فانه يحيا

الي «، تقوم مقام كلمة: «من يأكل جسدي» لان النتيجة واحدة: «فلا يجوع». وان كلمة: «من يؤمن بي»، تقوم مقام كلمة: «من يشرب دمي». لان النتيجة واحدة أيضاً: «فلا يعطش أبداً». فواضح اذاً ان الاكل والشرب انما هما استعارتان عن الاقتبال الى المسيح، والايمان به. هذا وان بين الاكل والشرب وبين الايمان، أوجه شبه، شتى فمنها: — أ — الاكل والشرب يسبقهما جوع وعطش، كذلك الايمان بالمسيح يسبقه جوع وتعطش اليه (مت ٦: ٥) — ب — الاكل والشرب يستلزمان تخصيص الطعام والشراب للأكل والشارب، فلا فائدة من الطعام ما لم يؤكل. ولا نفع للشراب ما لم يشرب. كذلك الايمان، لا يجدي ان لم يكن شخصياً، للمؤمن نفسه، فيخصص المسيح لذاته — ج — الاكل والشرب ترافقهما لذة خاصة يتمتع بها من يأكل ويشرب. كذلك الايمان بالمسيح يملأ القلب بهجة، فيقتات الانسان به وعليه، ويشعر بلذة لا تعدلها لذة — د — بالاكل والشرب ينال الانسان غذاء يحفظ حياته ضد غوائل الموت. كذلك بالايمان بالمسيح ينال المرء غذاء حياً، يكون قوام حياته الروحية. اما جسد المسيح ودمه، فهما كناية عن «ذاته» التي قدمت لنا بالصليب. ورُبَّ سائل يقول: «أما من صلة بين حديث المسيح هنا وبين العشاء الرباني؟» وجواباً على هذا نقول: توجد صلة متينة بين هذا الحديث وبين العشاء الرباني. فكلاهما يشير الى مبدأ واحد، وكلاهما يعلم حقيقة واحدة وهي: شدة لزوم الايمان الحي الذي

الى الابد. ٥٩ قال هذا في المجمع وهو يعلم

يقبل المسيح ويخصه لذاته ، فيصير المؤمن في المسيح ، والمسيح في المؤمن . والفرق بين حديث المسيح هنا وبين العشاء الرباني هو ان هذا الحديث يشير الى هذا المبدأ بالكلام . وأما العشاء الرباني فيشير اليه بالفعل . فالحديث كلام رمزي ، والعشاء الرباني فعل رمزي . نطق المسيح بالحديث في وقت كان فيه فصيح اليهود قريباً ، ورسم فريضة العشاء الرباني لتقوم مقام الفصح اليهودي ، وليكون هو نفسه فصيح المسيحيين . على انه لا يغرب عن بالنا ان حقيقة أكل جسد المسيح وشرب دمه ليست مؤسسة على رسم الفريضة المقدسة ، بل ان رسم الفريضة المقدسة مؤسس على هذه الحقيقة

عدد ٥٩ . مائة تاريخية ٥٩:٦ . « قال هذا في المجمع وهو يعلم في كفرناحوم » . جرت عادة اليهود قديماً أن يجتمعوا في المجمع ايام الاثنين ، والخميس ، والسبت ، من كل أسبوع . فاذا كانت هذه الحادثة قد وقعت سنة ٢٩ للميلاد ، كان عيد الفصح في تلك السنة موافقاً يوم الاثنين الواقع في ١٨ ابريل — حسب رأي ثقات المؤرخين . واذا فرضنا ان معجزة اشباع الخمسة الآلاف ، حدثت في المساء السابق لعيد الفصح (عدد ٤) ، فان اليوم الذي بعده ، الذي فاه فيه المسيح بهذا الحديث في المجمع هو يوم الاثنين

ما اهم هذا الحديث في نظر يوحنا البشير حتى ذيله بهذه الخاتمة التاريخية ، التي تصور لنا جلال الموقف وكثرة عدد السامعين ! كلمة : « هذا » تشير الى الحديث كله ابتداء من عدد ٢٦ . وقوله : « يعلم » يريق نوراً على

في كفرناحوم . ٦٠ فقال كثيرون

الطريقة التي كان المسيح يشرح بها الآيات الكتابية
أما «كفرناحوم» ، «التي كانت مرتفعة الى السماء» — بسبب علوها
الجغرافي ، وعظمتها المادية ، وامتيازاتها الروحية لوجود النادي فيها — فقد
«هبطت الى الهاوية» (لوقا ١٠: ١٥) ، وبقيت مكانها أطلال دارة معروفة
اليوم باسم «تل حوم» . ومن بينها آثار مجمع ^(١) قديم يظن انه ذلك المجمع
الذي سمعت جدرانها هذا الحديث التاريخي . وعلى احد احجاره منقوشة
صورة قسط فيه من

أكان اليهود ناظرين الى ذلك الرسم المنقوش حين قالوا للمسيح ، في
عدد ٣١ «آباؤنا اكلوا المن في البرية كما هو مكتوب» ؟ !!

نتيجتان متناقضتان ٦٠: ٦١ — ٧١

شعاع واحدة من نور الشمس ، تقع على قطعة الفحم ، فتزيدها سواداً على
سواد. وتقع هي بعينها على قطعة من الماس ، فتزيدها لمعاناً على لمعان. كذلك كلام
المسيح. وقع على سمع أناس ، فأثار فيهم التعجب (عدد ٣٠) ، والتذمر (عدد ٤١) ،
والشحناء (عدد ٥٢) ، والاحتجاج (عدد ٦٠) . ووقع على سمع أناس آخرين ،
فأضاء بصائرهم بنور اليقين ، وأنطق ألسنتهم بمجرات الحكمة (عدد ٦٨ و ٦٩)
فيما مضى احنا تعجب اليهود ، وسمعنا تذمرهم ، ومجادلاتهم ، والآن نرانا
أمام نوع جديد من سامعيه ، فنسمعهم يحتجون ويتذمرون

(١) انظر الحاشية الموجودة في مقدمة هذا الاسماح

من تلاميذه إذ سمعوا : ان هذا الكلام صعب . من يقدر ان يسمعه .

عدد ٦٠ . (١) تدمر كثيره من تلاميذه ٦: ٦٠ (١) المتدمرون : « قال كثيرون من تلاميذه » — هؤلاء هم جماعة تبعوا المسيح حيناً ، وكان قد انصرف بعض منهم عن أشغالهم العادية (عدد ٦٦) ، ومن بينهم اختار المسيح رسوله الاثني عشر . ولعل بعضاً منهم كان بين الخمسة أخ الذين استشهد بهم بولس في حديث القيامة (١ كو ١٥ : ٦)

(ب) موضوع تدمرهم : « اذ سمعوا . ان هذا الكلام صعب . من يقدر ان يسمعه » . كلمة : « صعب » ، لا تفيد ان الكلام غامض في معناه ، ولا انه عسير الفهم ، بل انه كلام مفهوم ، ولكن من الصعب قبوله . لأنه كلام مناف للعرف ، فهو معتر . الكلمة الاصلية معناها الحرفي « جاف . قاس » . ولعلمهم أرادوا بقولهم : « من يقدر ان يسمعه » ، ان لا أحد يقدر ان يصبر على سماعه من غير أن محتج عليه ، او يصم ضده أذنيه ؟ . اما عن سبب تدمرهم ، فقد ذهب فيه المفسرون مذاهب شتى . يقول ماير انهم تدمروا بسبب انبائهم بموت مسيا — فهذه عثرة اليهود ، قبل الصلب و بعده . ويقول هنجستنبرج ان سبب تدمرهم هو قول المسيح ان خلاص العالم موقوف على شخصه ، ويقول لامب : ان السبب الحقيقي هو قول المسيح عن نفسه انه نزل من السماء . ويقول جودي ان السبب يرجع الى قوله ان اكل جسده وشرب دمه لازمان لنوال الحياة الأبدية . ويلوح لنا ان هذه الأسباب ليست متباعدة عن بعضها كثيراً ، وان كان الاخير أقربها لانه يتفق وجواب المسيح في عدد ٦١ . ولعل الإشارة متجهة الى كل كلامه في هذا الحديث

٦١ فعلم يسوع في نفسه أن تلاميذه يتذرون على هذا فقال لهم
 أهذا يعثركم. ٦٢ فان رأيتم ابن الانسان صاعداً الى حيث كان أولاً.
 ٦٣ الروح هو الذي يحيي. أما الجسد فلا يفيد شيئاً.

عدد ٦١. (٢) جواب المسيح ٦: ٦١-٦٥. لم يكن المسيح في حاجة الى
 من يسمعه كلامهم الذي كانوا يتكلمون به، «لانه علم من نفسه ان تلاميذه
 يتذرون». هذا برهان جديد على أن المسيح عليم بذات الصدور

ومن العجب ان المسيح أراد ان يزيل الصعوبة التي وجدوها في اعلاته
 الاول، باعلان جديد يفوقه في الصعوبة: «أهذا يعثركم؟ فان رأيتم ابن الانسان
 صاعداً الى حيث كان أولاً....»؟ ان جواب الشرط في هذا السؤال محذوف
 — جوازاً او وجوباً — تقديره: «فان الصعوبة تزداد امامكم تعقيداً في بادىء
 الامر، لانكم سترون ابن الانسان صاعداً بعد موته. ولكن حينئذ ستزال
 الصعوبة التي وجدتموها في كلامي، وتذكرون اني لم اقصد ان تأكلوا
 جسدي بالذات — لاني سأصعد بهذا الجسد عينه الى السماء — ولكن
 الروح القدس الذي سأرسله اليكم بعد صعودي، سيأخذ مما لي ويخبركم. عندئذ
 تأكلوني بالروح لا بالجسد»

عدد ٦٣. «الروح المهي». «الروح هو الذي يحيي... اما الجسد فلا يفيد
 شيئاً» — كلمة «جسد» مستعملة هنا للاطلاق. بمعنى ان أي جسد لا قيمة له
 بدون الروح. ومن قبيل التطبيق تُطلق على جسد المسيح. فانه لا يفيد شيئاً،

الكلام الذي اكلكم به هو روح وحيوة .

لانه لا يمكن ان يؤكل أكلاً حرفياً. لكن الذي ينفع هو شخص المسيح — أي جسده مقترناً بروحه الحي . هذا هو الذي يؤكل (١ كو ١٥: ٤٥) . ومن المحقق ان بعضاً ممن سمعوا هذا الكلام شاهدوا المسيح صاعداً

بعد هذا السؤال المقتضب فاه المسيح باعلانٍ مجيدٍ عن طبيعة كلامه وقوته . فلم يكتب بان قال : « ان كلامي روحي وحي » بل قال انه « روح وحيوة » . لان كلامه هو الأداة التي بها يحمل اليهم الروح القدس هبة الحياة الأبدية . ان كلام شخص ما، يحمل معه نفسه، وروحه، وسلطانه، وشخصيته، كذلك كلام المسيح يحمل للناس روحه، وسلطانه، وشخصيته، لان كلام المسيح يقوم مقام شخصه كما ان المسيح نفسه هو الله المتجسد، لانه « كلمة الله » . من أجل هذا، لما تكلم المسيح عن ثبوت المؤمنين فيه، وضع كلامه في مقام نفسه، فقال : « أثبتوا فيّ وأنا فيكم » وأردف هذا بقوله : « ان ثبتم فيّ وثبت كلامي فيكم » (١٥: ٤ و ٧) فقد استعاض عن كلمة : « أنا » بكلمة : « كلامي » . فكلامه روح وحيوة لان شخصه روح وحيوة . وفي موضع آخر تكلم عن كلام الله فقال : « فتشوا الكتب لانكم تظنون ان لكم فيها حياة ابدية وهي التي تشهد لي » (٥: ٣٩) . ويقول أغسطينوس ان كلام المسيح روح وحيوة، بمعنى انه ينبغي أن يفهم روحياً . مع ان هاتين الكلمتين : « روح وحيوة »، تصفان كل كلام المسيح الذي نطق به بوجه عام، الا أنهما تصفان بنوع خاص كلام المسيح الذي نطق به في هذا الفصل، سيما قوله

٦٤ ولكن منكم قوم لا يؤمنون لان يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون ومن هو

الذي استعصى عليهم قبوله « ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » — عدد ٥٣ و ٥٤

عدد ٦٤ و ٦٥. جواب المسيح المباشر على تذر اولئك التلاميذ: « ولكن منكم قوم لا يؤمنون . » . سلم المسيح معهم بان كلامه صعب ، ولكن على « الذين لا يؤمنون » . فالعقبة الكؤود ، في سبيل فهم كلام المسيح وقبوله ، ليست في كلام المسيح بل في قلوبهم المتسلحة بنية عدم الايمان . كم كان مؤلماً على قلب المسيح ، ان يقول لتلاميذه « ولكن منكم قوم » . ان امر كلمة هي الوسطى : « منكم » . لكن وجه العزاء هو ان اولئك الغير المؤمنين لم يكونوا أغلبية ساحقة في التلاميذ ، بل كانوا أقلية مسحوة : « منكم قوم » . كان هذا الاعلان الجارح ، أشبه الاشياء بنبوة . ويحدثنا يوحنا البشير ان هذه النبوة مبنية على علم المسيح السابق : « لان يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون ومن هو الذي يسلمه » . فهو اذاً : (ا) علم سابق : « من البدء » — اي منذ الوقت الذي فيه بدأوا يلتفون حوله كتلاميذ له (١٥ : ٢٧ و ١٦ : ٤ واعمال ١ : ٢١ و ٢٢) او بعبارة أخرى : منذ بدء اتصالهم بالمسيح . (ب) علم شامل : « من هم الذين لا يؤمنون » — هذا القول يعين مسئوليتهم في عدم ارادتهم ، كأنهم كانوا مصممين على عدم الايمان (عدد ٧١) ، فهو لا يشير الى قضاء الله السابق ، بل الى الحالة الراهنة التي كانت عليها قلوبهم ونواياهم . (ج) علم خاص : « ومن

الذي يسلمه . ٦٥ فقال . لهذا قلت لكم انه لا يقدر احد ان يأتي اليّ ان لم يُعطَ

هو الذي يسلمه . هنا انتقل القادي ، في كلامه ، من التعميم : « الذين لا يُؤمنون » ، الى التخصيص : « مَنْ هو الذي يسلمه » — هذا وصف ابتدائي خلعه على عمل يهوذا « مسلمه » . وفيما بعد خلع عليه وصفاً جارحاً : « شيطان » (عدد ٧٠) . ومن المحقق ان المسيح لم يختار يهوذا لهذه الغاية الدنيئة ، لان الله لم يدعنا الا الى « القداسة ، بالمجد والفضيلة » ، وانه لم « يعطنا روح الفشل بل روح القوة ، والمحبة ، والنصح » . (٢ بط ١: ٣ و ٢ تي ١: ٧) . ان الله يضع الناس في مراكز . فان لم تساعد هذه المراكز على التغلب على خطاياهم ، ساعدت خطاياهم على النمو والنضوج . كالشمس تضيء الورد وتنضج الشوك والقتاد . ومتى نضجت خطاياهم استخدمتهم العناية في الخدمة التي تنفق وهؤلاءهم . كان من الممكن ان تلك السقطة ، التي سقطها يهوذا ، تكسر كبرياء قلبه ، وتقوده الى التوبة ، لو كان عنده استعداد بطرس

« فقال » — هذه كلمة يوحنا البشير . « لهذا قلت لكم » — هذه كلمات المسيح . ولا شك انه نطق بها وقلبه مغم بالآلم والحزن . في هذا العدد يقتبس المسيح كلاماً كان قد سبق فقله في عدد ٣٦ . والكلام فيه يصف الخلاص في جانبيه — الجانب الالهي : « ان لم يُعط من أبي » ، والجانب الانساني : « يأتي اليّ » . على ان الجانب الالهي هو العلة الاساسية ، والجانب الانساني هو العلة الثانوية . « لا يقدر ان يأتي » . ان لم يُعط من أبي » لم ينطق المسيح

من أبي . ٦٦ من هذا الوقت رجع كثيرون ، من تلاميذه الى الورااء

بهذا القول ليضع حجة في افواه الغير المؤمنين ، بل ليصيح كلمة شكر على شفاه المؤمنين : « نحبّه لانه احبنا أولاً » .

التلاميذ الاربعة في برقة التصفية ٦٦ — ٧١

بلغ المسيحُ الآن دوراً دقيقاً في خدمته . لقد بدأ خدمته في اليهودية ، فالتأمت حوله جموع كثيرة ، وسرعان ما انصرفت عنه لانها لم تعرف رسالته ، او عرفتها فوجدتها غير ملائمة لمطالبيها . فانتقل القادي من اليهودية الى الجليل ، وبعد ان خلم بضعة أشهر ، تجمعت حوله الجماهير . فكانوا كالسحب المحيطة بالقمر . ولم يمضِ وقت طويل حتى تبخرت تلك السحب الخريفية ، أمام نوره الساطع . لان عدداً وفيراً من اولئك التابسين ، كانوا يتبعونه ببطونهم وجيوبهم ، لا بارادتهم وقلوبهم . ان وجد البحر لا يخلو من الققاقيع التي تطفو على وجه الماء حيناً ، ثم لا تلبث ان تذهب ضياعاً ، اذا ما هبت عليها نسائم البحر

عدد ٦٦ . ارتداد كثيرين من التلاميذ : « رجع كثيرون الى الورااء » . كلمة : « من هذا الوقت » كما وردت في الاصل ، تفيد الزمنية والسببية . اي منذ ذلك الحين ومن أجل هذا السبب . وقد ورد هذا التعبير في العهد الجديد مرة واحدة سوى هذه (يوحنا ١٩ : ١٢) . « رجع كثيرون من تلاميذه الى الورااء » — الظاهر ان هؤلاء كانوا قد تركوا اشغالهم الدنيوية ، وتبعوا المسيح ، طمعاً في مراكر تدرّ عليهم ربّحاً أوفر ، وجاهاً اكبر ، ولما خابت آمالهم رجعوا

ولم يعودوا يعيشون معه. ٦٧ فقال يسوع للاثني عشر ألكم اتم
ايضاً تريدون

الى اشغالهم الاولى . ولم يعودوا يشاطرونه حياة الاغتراب التي كان يحياها على
الارض (١:٧)

عدد ٦٧. النار الممحنة : ٦٧:٦ الآن وجد المسيح ان الوقت ملائم لوضع
التلاميذ الاثني عشر في بوتقة التصفية . هذه اول مرة ذكر فيها عدد
الرسل في هذه البشارة — ولم يرد هنا كانه خبر جديد ، بل كأمر معروف
(١٣:٦) . وعلى نفس هذه الطريقة ظهر اسم بيلاطس واسم مريم المجدلية على
صفحات هذه البشارة (٢٩:١٨ و ٢٥:١٩) . « ألكم اتم ايضاً تريدون ان
تمضوا » ؟ اننا نستطيع ان نلمس بين كلمتي : « اتم ايضاً » ، ثقة المسيح
بتلاميذه . فالجواب الطبيعي لسؤاله هذا ، هو : « حاشا » . في الوقت الذي اظهر فيه
المسيح ثقته بتلاميذه ، قدّم لكل منهم الحرية الكاملة ليرجع الى الوراء اذا
شاء . يا ليتك يا يهوذا رجعت الى الوراء منذ هذه اللحظة ! هذا كان خيراً
لك وأبقى ! لان رجوعك الى الوراء كان يحسب لك تقدماً الى الامام ، كما ان
تقدمك الى الامام يحسب عليك رجوعاً الى أركان الظلام ! وفي الوقت نفسه
بين المسيح بهذا السؤال استقلاله التام عن كل تعضيد بشري . أليس هو القائل :
« هوذا تأتي ساعة . وقد أتت الآن ، تفرقون فيها كل واحد الى خاصته
وتتركوني وحدي » ؟ (٣٢:١٦) . ليس معنى هذا ان المسيح يريد ان يستغني
عنهم ، بل انه يقدر على ذلك . وجدير بنا أن نذكر ان المسيح لم يلق سهمه جزافاً

ان تمضوا. ٦٨ فاجابه سمعان بطرس يا رب الى من نذهب. كلام
الحياة الابدية عندك. ٦٩ ونحن قد آمنّا وعرفنا أنك

اذا كان المسيح قد علم من البدء من هو الذي يسلمه فقد علم من البدء
أيضاً من هم الذين يتمسكون به الى المنتهى

عدد ٦٨ و ٦٩. الجواب المزمى — ٦٨: ٦ «فاجابه سمعان بطرس» — كلم
الرسل — «يا رب الى من نذهب»؟ لم يُعطِ بطرس إرفاقه فرصة ليجيب كل
منهم عن نفسه، لكن قلده نفسه وشاح الزعامة وتكلم عنهم، فكان جوابه
ترديداً لصدى كلمات المسيح في عدد ٦٣ «الكلام الذي أكلّمكم به هو روح
وحياة». كان جوابه قوياً حازماً، حقيقةً بالاسم الذي ناله من المسيح:
«بطرس» (٤٢: ١). يتضمن هذا الجواب ثلاث حجج مرتبة ترتيباً منطقيّاً:
(أ) انعدام المصادر الأرضية: «الى من نذهب»؟ — كان يوحنا المعمدان قد مات،
و بينهم وبين الفريسيين النار والحديد، و بينهم وبين الفلاسفة الزعماء حجاب
كثيف يفصل بين عالمين. (ب) كفاية المسيح: «كلام الحياة الابدية عندك»
ليس هذا هو الكلام المتعلق بالحياة الابدية وكفى، بل هو الكلام الذي ينيلنا
الحياة الابدية. (ج) سمو مقام المسيح الفريد: «ونحن» على خلاف التلاميذ الذين
تركوك (عدد ٦٦) — «قد آمنّا» — بالتصديق — «وعرفنا» — بالاختبار —
«انك أنت المسيح ابن الله الحي». «آمنّا وعرفنا» — المعرفة نوعان: معرفة
تسبق الايمان (١ يو ٤: ١٦) وهي المعرفة السماعية الاعدادية. ومعرفة تعقب
الايمان (فيلي ٣: ١٠) وهي المعرفة الاختبارية الناضجة. المعرفة الاولى هي الايمان

أنت المسيح ابن الله الحي. ٧٠ أجابهم يسوع أليس اني انا اخترتكم

في البزرة ، والمعرفة الثانية هي الايمان في البلوغ . المعرفة الاولى هي النور
مزدهراً ، والمعرفة الثانية هي النور مثمراً . « الى من تذهب » ؟ — لا بديل
للمسيح !! (قابل هذا الاعتراف المجيد ، بذاك المسجل في مت ١٦: ١٦)

عدد ٧٠ الطعنة التهمية ٧٠: ٦. انه وان كان بطرس قد تكلم عن نفسه،
وعن اخوانه الرسل ، الا أن جواب المسيح موجه للجميع : « أجابهم يسوع »
كان اعتراف بطرس أشبه شيء بنقاب حجب وراءه خيانة يهوذا ،
فكان جواب المسيح أشبه شيء بسهم مرق هذا الحجاب ، وأشهر خيانة يهوذا
علانية : « أليس اني انا اخترتكم الاثني عشر ؟ » — الاشارة هنا الى مقامهم
الجديد الذي وضعهم فيه المسيح بالنسبة لمقام الاسباط الاثني عشر — « وواحد
منكم شيطان » . كلمة : « شيطان » كما وردت هنا ، هي صفة لا اسم . أي ان
يهوذا له صفات الشيطان الذي يحول الخير شراً بطبيعته الرديئة المتمردة .
كذلك تحول الحشرات السامة عصير الازهار الى سم قاتل

قد يكون في هذا القول خير تحذير ليهوذا ليكف عن مواصلة السير
في السبيل الذي وضع نفسه فيه طوعاً .

ان في كلام المسيح مقابلة خطيرة بين محبته لتلاميذه وتقديره لهم ، وبين
كراهة أحدهم له وعدم تقديره إياه . اما المسيح ، فقد أحب يهوذا بلا
سبب . ويهوذا أبغض المسيح بلا سبب . لان المسيح هو الله متأنساً . ويهوذا هو
الشيطان متأنساً . المسيح يجازي عن الشر خيراً ، ويهوذا يجازي عن الخير شراً

الاثني عشر وواحد منكم شيطان. ٧١ قال عن يهوذا سمعان الاسخريوطي. لان هذا كان زمعاً أن يسلمه

واذا ما قيل لماذا اختار المسيح يهوذا مع علمه بشر قلبه؟ كان جوابنا : لحكمة فائقة لا ندرك كمها. لكننا نستطيع ان نتلمس بصيصاً من النور فيها. ان المسيح لم يسخر يهوذا لاتمام غرضه ولا لكي يتم به المكتوب (١٨: ١٣) ، لكنه على عكس ذلك حذر يهوذا مراراً وتكراراً ، اما يهوذا فقد هوى الى ذلك الدرك الاسفل لانه انجذب وانخدع من شهوته التي كانت تلهب احتراقاً الى حب المال . ولعل يهوذا كان واحداً من الذين انتظروا في القادي مسيحاً أرضياً ، فلما خاب فيه انتظاره ، غدر به في النهاية . وفي اعتقادنا ان الذين يحاولون الدفاع عن يهوذا ليسوا اعدل على يهوذا من نفسه ، ولا أرحم عليه من ضميره ، الذي اشتكى عليه ، واحتج ، فلما ارتفع صوت الاحتجاج ، لجأ يهوذا الى الانتحار اذ مضى وخلق نفسه (اعمال ١: ١٨) . هذا اكبر دليل على عدالة الله . لأن الله لم يحكم على يهوذا بأقسي مما حكم به يهوذا على نفسه . لا حدود لنعمة الله التي لا تقودنا الا الى الخير والصلاح ، كما انه لا حدود لنعمة الطبيعة الساقطة التي تقودنا الى الهلاك . فالانسان الشرير هو القاتل وهو القتل . فلا عذر . والانسان الصالح محمول بيد علوية . فلا فخر

عدد ٧١ . مائة تاريخية : « قال هذا عن يهوذا الاسخريوطي . لان هذا كان زمعاً ان يسلمه وهو واحد من الاثني عشر » . كلمة « اسخريوطي » مشتقة من كلمتين في الاصل : « ايش » ومعناها : رجل . و « قريوت » — اسم بلد أي « رجل

وهو واحد من الاثني عشر

قيروت». وقد ورد ذكر هذه المدينة في ارميا ٤٨: ٢٤. وهي من مدن يهوذا. على هذا، يكون يهوذا، هو الرسول الوحيد الغير الجليلي

أليس من العجيب ان يهوذا سمعان ليس اسماً على مسمى؟ ان معنى «يهوذا سمعان» هو: «المحمود السميع» لكن المسمى، مذموم عنيد. هذا معنى كلمة «شيطان» — من «شطن» أي عاند. وقد يكون معنى «أسخريوطي» رجل البطلان

ربما لم يقدر أحد من الرسل ان يفهم كلام المسيح هذا، سوى يهوذا. ويوحنا البشير

من المؤلم ان تكون هذا خاتمة هذا الاصحاح. واكثر منه ايلاًماً ان تكون هذه رمزاً لخاتمة خدمة المسيح في الجليل



الاصحاح السابع

١ وكان يسوع

المسيح نبع الحق ، ومصدر النور ، ومُشبع الحياة

هذا اصحاح مجيد في تاريخ السيد . حقاً وصفه رينان بأنه « درة يتيمة في تاج التاريخ » . فيه نرى المسيح ، نبع الحق ، ومصدر النور ، ومُشبع الحياة ، كما رأيناه في الاصحاحين السابقين نبع الحياة ومُقيتها

في هذا الاصحاح نرى صور جليلة ، ارتسمت فيها عواطف البشر المتباينة وصفاتهم المتناقضة — فمن عواطف اخوة المسيح — أو أنصاف اخوته — وقد امتزج فيها الشك باليقين (عدد ٣) ، الى عواطف اليهود التي تغلي بالحقد والحسد (عدد ١ و ١١ و ١٣ و ١٥ و ٣٥) ، الى اقوال الجموع المتضاربة (عدد ١٢ و ١٣) ، الى قلوب الفريسيين التي اختمرت بالصفينة والاجرام (عدد ٣٢ و ٤٧) ، الى ايمان نيقوديموس الذي يعالج تحطيم قيود الماضي (عدد ٣١) . من اقتراحات صادرة من قلوب اخوته (عدد ٣) ، الى مناجاة كثيرة من نحوه (عدد ١١) ، الى مجادلات ومساجلات (عدد ١٢ و ٤٠) ، الى تخوفات متعددة النواحي (عدد ١٣ و ٣٠ و ٤٤) ، الى تعجب وحيرة (عدد ١٥ و ٤٦ و ٢٥) ، الى نقد ومقاومة (عدد ٢٣) ، الى ايمان حقيقي قلبي (عدد ٣١)

مرّت على حوادث الاصحاح القانت ستة اشهر تقريباً ، فاصبحنا الآن في الآونة التي يطوي فيها الصيف رداءه ويشد رحاله ليعطي مكانه للخريف .

يتردد بعد هذا في الجليل

فيتهاً اليهود ليضفروا المظال ، التي يقضون فيها أيام عيد المظال الذي يقع عادة في منتصف شهر تشرين (سبتمبر - أكتوبر) . اما الحوادث التي توسطت بين هذا الاصحاح وبين سابقه ، فقد رواها بافاضة متى البشير (مت ١٢-١٧ و ٢١)

ينقسم هذا الاصحاح الى ثلاثة اقسام رئيسية مرتبة ترتيباً تاريخياً :

أولاً : ما حدث قبل العيد ١:٧-١٣ ثانياً : ما حدث أثناء العيد ١٤:٧-٣٦ . ثالثاً : ما حدث في اليوم الاخير العظيم من العيد ٣٧:٧-٥٣

اولاً : ما حدث قبل العيد ١:٧-١٣ . يتضمن هذا الفصل : (١) مقدمة تاريخية (١:٧) . (٢) ما حدث بين المسيح واخوته بشأنه ذهاباً الى العيد (٧:٧-٢٨) . (٣) مكرت المسيح حيناً في البليل (٧:٩) (٤) ذهاب المسيح الى العيد (٧:١٠-١٣)

عدد ١ . (١) مقدمة تاريخية : « وكان يسوع يتردد بعد هذا » - اي بعد معجزة اشباع الآلاف وما جرته وراءها من مناقشات . هذه صورة تاريخية متممة لتلك التي رسمت في مطلع الاصحاح السادس . وكلا الاصحاحين يبتدئان بقوطة تاريخية . كلمة : « يتردد » ، تفيد سير المسيح ذهاباً وحيثاً داخل الجليل . وهي كلمة مركزة تقطع ستة اشهر من حياة المسيح ، وقد اجتمعت فيها حوادث شتى ذكرت في سائر البشائر (مر ٧ و ٨ ومت ١٥-١٨) . كان المسيح يتردد في الجليل على رغم النفور الذي بدا من الجليليين نحوه . والسبب

لأنه لم يرد ان يتردد في اليهودية لان اليهود كانوا يطلبون ان يقتلوه
٢ وكان عيد اليهود

في ذلك ، يتضح من الجزء الثاني من العدد : « لانه لم يتردد في اليهودية لان اليهود كانوا يطلبون ان يقتلوه ». لقد جاء ارضنا لكي يموت ، فهو اذا لم يخش الموت ، ولم يخف اليهود ، لكنه لم يرد ان يستقدم ساعة موته ، وامامه برنامج ينبغي ان ينفذه بكل حذافيره ، ومتى جاءت ساعة موته ، تقدم الى الصليب طائماً ، مختاراً (يو ١٠: ١٧ و ١٨) . هذا برهان جديد على ان المسيح يحيط علماً بالمستقبل ، لانه علم متى يموت وكيف يموت . ان الاقدام على الموت قبل الاوان ، لا يعتبر جسارة ، بل اقتحاماً ، وخسارة

عدد ٢ . (٢) محادثة بين المسيح واهل بيته بشأنه زهابه الى العدد ٧: ٢ - ٨
(١) المناسبة التي دعت الى هذا الحديث : « وكان عيد اليهود ، عيد المظال قريباً » . يقول يوسيفوس : « هذا اقدس اعياد اليهود وأعظمها » . وهو يقع عادة في الخامس عشر من شهر تشرين (سبتمبر - اكتوبر) . ويظل قائماً حتى الثاني والعشرين منه . كان اليهود يسكنون طوال هذا الاسبوع في مظال يصنعونها خصيصاً من « سعف النخل ، وأغصان اشجار غيباء ، وصفصاف الوادي » . (لاويين ٢٣: ٣٤ - ٤٠) . وهي تقام عادة فوق سطوح المنازل ، وفي الشوارع ، وفي الميادين العامة ، وفي منعطفات اورشليم . كان هذا عيداً مقدساً - فهو عيد شكر ، وذكرى ، وإيناس ، وبهجة . اما الشكر فلا انه كان يقع دائماً عقب الوقت الذي يجمعون فيه غلات الارض ومحاصيلها .

عيد المظال قريباً. ٣ فقال له اخوته انتقل من هنا واذهب الى اليهودية لكي يرى تلاميذك ايضاً اعمالك التي تعمل

والذكرى ، لأنهم كانوا يذكرون فيه غربتهم في البرية مدة أربعين عاماً ، بعد خروجهم من مصر . وأما الإيناس فلأنه كان عيداً يستوى فيه الغني والفقير ، اذ يكون كلاهما عائشاً على مستوى واحد ، في مكان يرمز الى الغربة والرحيل وأما البهجة فلأن هذا العيد كان مشهوراً بانوار الساطعة التي كانت تضاء فيه وحده. وربما بمناسبة تلك الانوار الساطعة ، فاه المسيح بذلك الاعلان الجليل : «أنا هو نور العالم» (١٢: ٨) . وكان يوم هذا العيد في كل عام جمع غفير

عدد ٤٣ و ٤٤ (ب) افترام اخوة المسيح ٧: ٣٥ و ٤ « فقال له اخوته .. » يعتقد جوذي ان هؤلاء الاخوة هم ابناء مريم بعد زواجها من يوسف . ويقول وستكوت وغالبية المفسرين ، انهم اولاد يوسف من زوجة سابقة (انظر شرح لوقا للمؤلف صفحتي ٢١٠ و ٢١١)

غالباً جداً كان يعقوب اخو الرب ، في طليعة هؤلاء الاخوة . وصار فيما بعد اول راع الكنيسة المسيحية في اورشليم (اعمال ١٢: ١٧ و ١٥: ١٣ و ٢١: ١٨ وغلاطية ١: ١٩ و ٢: ٩)

ان اخوة المسيح ، لم يكونوا في اقتراحهم هذا ، مدفوعين بعامل الفيرة المقدسة على مجد اخيهم ، ولا كانوا محولين بعاصفة الحقد عايه ، فقصلوا ان يطوحوا به في ايدي اعدائه ، لكنهم كانوا في حالة متوسطة — بين الايمان

٤ لأنه ليس أحد يعمل شيئاً في الخفاء وهو يريد أن يكون علانية.

والشك . ان ما رأوه من معجزاته ، وقوة شخصه ، كان يدفع بسفيتهم الى شاطئ الايمان ، ولكن إلقهم به منذ نفوذة الاظفار ، كانت يجتذب سفيتهم الى تيارات الشكوك . ولعلمهم كانوا يعتقدون انه شخص ممتاز . أما ان يؤمنوا انه هو المسيح ، فهذه درجة لم يرتقوا اليها بعد . لذلك قالوا : اذا كان هو المسيح فلماذا يرضى بالعزلة في الجليل ، في تلك البيئة الضيقة ، والغير المهيبة ؟ ان اورشليم — لا الجليل — هي المسرح العام الذي ينبغي ان يظهر عليه المسيح ، فيحكم العالم له او عليه . فاذا ثبت بالبرهان القاطع انه هو المسيح ، فلسنا بالقوم الخاسرين . لاننا اخوته ، نشاطه امجاده . واذا ظهر انه ليس المسيح ، فليتل من الالهانة ما يستحق نتيجة ادعائه ، ونحن غير مسئولين . إن كلامهم هذا ، ينم عن روح نفساني ، متسرع ، لانهم لم يبالوا الا بصوالحهم ، غير حاسبين حساباً لارادة الله ، والازمنة التي جعلها الآب في سلطانه

ان اقتراحهم هذا ، لا يخلو من المشابهة لاقتراح أم الخالص (٣:٢) ، ونفس هذا التشابه متوفر في جواب المسيح في كلا الطرفين (٤:٢ و ٩:٧) ، ويتمشى ايضاً مع تصرف المسيح في كلا الحادثين (٧:٢ و ١٠:٧) . (اطلب شرح هذه الاعداد في الاصحاح الثاني)

ان كلمة : « تلاميذك » ، الواردة في عدد ٣ ، تشير الى الذين تتلحنوا للمسيح في اليهودية واورشليم ، أثناء خدمة سالفة له هنالك (١:٤) . « لأنه ليس احد يعمل شيئاً في الخفاء وهو يريد ان يكون علانية » — كلمة « علانية » تفيد

ان كنت تعمل هذه الأشياء فاطهر نفسك للعالم . ٥ لأن اخوته
ايضاً لم يكونوا

التكلم جهاراً ، والعمل ظاهراً في وضوح النهار . (٥٤: ١١ و كولوسي ١٥: ٢)
ان وجه الحق في قولهم هذا ، هو ان الحكم الحقيقي للمسيح او عليه ليس
الجليل ، بل اورشليم . لكنهم اخطأوا في عدم معرفتهم ان المسيح لا يطلب
مجد نفسه ، اذ قالوا له : « اظهر نفسك » ، وفاتهم انه انما تجسد لكي يظهر مجد
الآب ، كما أنهم جهلوا ان المسيح يسير كل خطوة وفقاً لنظام معين ، قد أحكم
وضعه منذ الازل في تدبير الفداء .

عدد ٥ جملة تفسيرية مفترضة « لان اخوته . . » هذه كلمة تفسيرية ،
وضعها يوحنا البشير ، كعادته في اسلوبه الكتابي (٩: ٤) ، قاصداً بها ان
تكون اشعة كشافة لحقيقة نفسية اخوة المسيح : « لان اخوته ايضاً لم يكونوا
يؤمنون به »

من المؤلم ان يقرأ الانسان كلمة : « ايضاً » ، كأن اخوة المسيح ، كانوا
على خلاف المنتظر منهم — في صف الجليليين الذين لم يؤمنوا بعد بان يسوع
هذا ، الذي عرفوه منذ الطفولة ، هو المسيح اسرائيل . ان قول يوحنا البشير
عنهم انهم « لم يكونوا قد آمنوا بعد بالمسيح » ، يؤيده قول المسيح لهم : انهم
من العالم . (عدد ٧) . (قابل هذا بما جاء في ١٩: ٥)

لم يبق للمسيح على الارض سوى ستة اشهر ، وبعدها يُرفع على الصليب .
ومع ذلك ، فان إخوته لم يكونوا قد آمنوا به بعد . انهم كانوا معلقين بين التأثير

يؤمنون به . ٦ فقال لهم يسوع ان وقتي لم يحضر بعد .

الرهيب الذي اوقعته معجزاته في نفوسهم ، وبين حالته الوضيعة التي انطبعت على مخيلاتهم منذ أن عرفوه طفلاً وضيعاً . لذلك قصدوا ان يتخلصوا من هذه الحالة الشاذة المعلقة ، فأما ان يُظهر ذاته للعالم انه هو المسيح ، فيؤمنوا هم ايضاً مع المؤمنين ، او أن يتراجع في اقواله ويكف عن عمل المعجزات ، فيتراجعوا هم ايضاً الى الوراء . ان اخلاص يوحنا البشير في كتابته ، وان صدق روايته ، يتجلى ان في ذكره حقيقة علم ايمان اخوة المسيح به ، مع علمه انها ليست مشرقةً للمسيح من الوجهة الاجتماعية

عدد ٦ . جواب المسيح ٦: ٧ - ٨ « فقال لهم يسوع .. » يتم جواب المسيح عن ثقة وطيدة في نفسه ، وعن صلة وثيقة بينه وبين الآب ، وعن قدرة عجيبة في ارادته . لان القوة اللازمة لضبط الارادة في وقت الانتظار ، أوفر من القوة اللازمة لاستخدام الارادة ساعة العمل . يتضمن هذا الجواب :

(١) اعترافاً عن طبيعة حياته على الارض : « ان وقتي لم يحضر بعد » . بهذا الاعلان يبين المسيح لآخوته ، ان حياته على الارض ليست وليدة المصادفات ، بل هي وفق فكر الآب وتدبيره ، وان كل ساعة منها مرتبة بترتيب خاص ، طبقاً لبرنامج معين . فلا تُسمع دقائق ساعاتها على الارض الا عند ايدان ساعة السماء . أما « الوقت » الذي قصده المسيح بقوله : « ان وقتي لم يحضر بعد » ، فهو وقت دخوله الى اورشليم ، دخول الظفر الذي سيتوجّح حتماً بالصليب . علم المسيح ان رؤساء اليهود في اورشليم ، كانوا

واما وقتكم في كل حين

يحفظون له بين ثنايا ضلوعهم ، كل اسباب الحقد والانتقام ، كما تحفظ المواد
المفرقة في مستودعات الذخائر ، وعلم ايضاً ان دخوله علانية الى اورشليم ،
يدكي في قلوبهم نار النعمة ، فتلهب المفرقات المخبوءة بين ضلوعهم . لذلك أفهمهم
ان ساعة ذهابه على هذه الصورة ، وشيكة المجي ، لكنها لم تأت بعد . نعم
ستأتي ، لكن في عيد الفصح — لا في عيد المظال — حين 'يقدّم حمل الفصح
اليهودي في الهيكل ، وأتذ يُرفع المسيح فصح العالم اجمع على الصليب . يقول
وستكوت ان كلمة « وقتي » ، تختلف عن كلمة « ساعتى » (٢٠ : ٨) ، في ان
الأولى تعبّر عن موافقتها للحوادث الجارية . والثانية تعبّر عن مطابقتها لتدبير
الله . فالمسيح ، بتمنّيه عن ان يدخل اورشليم دخول مسيا الظافر ، لم يكن
خائفاً من الموت ، فهو عالم انه جاء ارضنا ليموت ، لكنه كان ضنيناً بخدماته
الباقية على الارض ، من أن تذهب ضياعاً ، وهو يريد أن يكمل خدمته ، ويتم
سعيه . نعم جاء ليموت ، ولكنه جاء ايضاً ليعيش خادماً ومضحياً قبل الموت .
ان كفارته لم تُبدأ على الجلجثة ، بل في بيت لحم . وما دام قد جاء ليموت في
وقت معين ، فمن الشجاعة أن لا يموت الا في وقته

(ب) اعمدنا عن طبيعة حياتهم . بما انهم لم يكونوا مؤمنين به بعد ، ولم
يجلسوا الله على عروش حياتهم ، بل أجاسوا الذات والعالم ، لم يكن لديهم
رسالة خاصة يبلغونها للعالم ، اذ كانوا يكلمون العالم بما يهواه ، لذلك « كان
وقتهم في كل حين حاضراً » يذهبون مع الحجاج الى اورشليم في اي وقت ، من

حاضر . ٧ لا يقدر العالم ان يبغضكم ولكنه يبغضني انا لأنني أشهد عليه ان اعماله شريرة .

دون حرج ولا تكليف ، لانهم كانوا والعالم من روح واحد . يعتقد وستكوت ان من الاسباب التي حملت المسيح على عدم الذهاب علانية الى اورشليم الآن ، خوفه من ان يحمل الشعب بغيرة غير مقدسة ويحاولوا ان يمحطوه ملكاً

عدد ٧ . (ج) موقف العالم ازاءهم «لا يقدر العالم ان يبغضكم» . لقد وقفوا هم من العالم موقف المازج والممازح والمداهن ، فحقاً على العالم ان يرد لهم التحية بالمثل ، لانهم والعالم من روح واحد . وغني عن البيان ، ان كلمة : «العالم» ، هنا تختلف عنها في ٧:٤ و ١٦:٣ . ان المعنى في قوله «اظهر نفسك للعالم» و «احب الله العالم» ، منصرف الى الناس الساكنين في العالم ، واسكن في قوله : «لا يقدر العالم ان يبغضكم» المعنى منصرف الى الروح المادي المنافي لروح الله والمقاوم له (١ يو ٢: ١٦) . يستعمل المسيح في هذا العدد تعبيراً قوياً : «لا يقدر» لان العالم عاجز عن تغيير مجرى النواميس الطبيعية . وشبيه الشيء ، منجذب اليه (د) موقف العالم ازاء المسيح . «ولكنه يبغضني انا» - هذه هي الكراهة في أشد مظاهرها . (هـ) عبر هذا الموقف : «لأنني أشهد عليه ان اعماله شريرة» ليست هذه بالضرورة شهادة كلامية ، بل هي أيضاً شهادة صامتة ، هي شهادة النور في صمته على الظلمة في جميع مظاهرها (يو ٣: ٢٠ و ٧: ٣٤ و ٣٦ و ٨: ٢١ و ١٢: ٣٩)

٨ اصعدوا انتم الى هذا العيد . انا لست اصعد بعد الى هذا العيد
لأن وقتي لم

عدد ٨. (و) النتيجة الطبيعية لموقف العالم ازاء اخوة المسيح وازاء المسيح نفسه: «اصعدوا انتم الى هذا العيد» — اي اذهبوا انتم مع الحجاج، واشتركوا في التقديمات والمعدات. « وانا لست اصعد بعد الى هذا العيد . لان وقتي لم يكمل بعد » — كلمة « بعد » ، التي أردفت بها كلمة : « اصعد » لا تفيد ان المسيح كان مصمماً على عدم الذهاب الى هذا العيد ، بل على العكس من ذلك — انه كان عاجزاً على ان يذهب الى العيد ، لكن وقت ذهابه لم يكن قد حان بعد . اذاً ذهابه الى العيد (عدد ١٠) ، لا يدل على تغير في فكره ، بل على تنفيذ شيء كان في فكره . سيما وان السيد لم يذهب الى العيد ظاهراً على اعتبار انه المسيح ، كما طلب اليه اخوته ، بل ذهب سراً . كذلك ايضاً لم يذهب الى العيد كهابذ ، معيد ، مع غيره من العابدين المعبدن بل ظهر في منتصف العيد ، معلماً في الهيكل (عدد ١٤) لا صعوداً ظاهراً بل مستتراً . فضلاً عن ذلك فان المسيح لم يشاطر المعبدن تقديم الذبائح وممارسة التطهيرات الواجبة في العيد (١١: ٥٥) . فهو اذاً لم يذهب الى العيد على الصورة التي املأها عليه اخوته . « لان وقتي لم يكمل بعد » — على الغالب يستعمل هذا التعبير للإشارة الى وقت اتمام مهمة المسيح على الارض — وقت ذهابه الى اورشليم ظاهراً وظاهراً ليستقبل الصليب ، وهناك يقول « قد اكمل » (قابل هذا مع لوقا ٢٤: ٢١ واعمال ٢٣: ٧) ، ولعله يشير في هذه القرينة الى ان وقت ذهاب المسيح

يكمل بعد ٩. قال لهم هذا ومكث في الجليل. ١٠ ولما كان اخوته قد صعدوا حينئذ صعد هو ايضاً الى العيد لا ظاهراً بل كأنه في الخفاء

الى هذا العيد - عيد المظال - لم يكن قد أتى بعد ، لان عليه خدمات يجب ان يتمها في الجليل قبل ذهابه الى العيد ، كما يتبين من العدد التالي

عدد ٩. مكث المسيح في الجليل : « قال لهم هذا ومكث في الجليل » - الى ان تنتهي الفترة التي بسببها قال : « لست اصعد بعد الى هذا العيد » ان كل وقت ، وان دقّ او قصر ، له قيمته الخاصة عند المسيح ، لانه مُحَمَّلٌ بأعمال جليلة ، تشتهي الملائكة ان تطلع عليها

عدد ١٠. ذهب المسيح الى العيد : المفهوم من هذا العدد ان المسيح لم يذهب الى العيد مع اخوته بل على انفراد ، أو ربّما مع واحد أو اثنين من اخصائه - هذا معنى قوله : « لا ظاهراً بل كأنه في الخفاء ». قابل هذه الزيارة التي فصل فيها نفسه عن الحجاج ، بزيارته الاولى التي ذهب فيها الى الهيكل بقوة (١٣: ٢) ، وبزيارته الاخيرة الظاهرة التي انتهت بالصلب (١٢: ١٢) . لقد اختار المسيح ان يصعد - والصعود هنا جغرافي - الى اورشليم ، مستتراً في هذه المرة ، لكي يتحاشى اثارة عواطف الجماهير الهاجعة ، الغير المهذبة ، مخافة ان يجعلوه ملكاً ارضياً ، فيفسدوا عليه رسالته ، ولكي يمنع الاحتكاك برؤساء الكهنة الذين جعلوا من قلوبهم مستودعاً للمفرقات التي كانت تنتظر اقل شرر فتلتهب . « لا ظاهراً بل كأنه في الخفاء » - ليقدم للمعيدين شهادة هادئة كالنسيم قوية كأشعة الشمس

١١ فكان اليهود يطلبونه في العيد ويقولون اين ذاك . ١٢ وكان
في الجموع

١١: ٧-١٣ . «مناجاة كثيرة من نحمه» : هذه الاعداد تزيح الستار عن
الشعور المتناقض الذي كان ينتظر المسيح في العيد ، قبيل ذهابه اليه . وان
انشغال الجميع به ، لا كبر دليل على عظم التأثير العميق ، والواسع النطاق ،
الذي احدهه المسيح في زيارته السابقة (ص ٥) . او ليس من تباين الطبائع
البشرية ان تصدر هذه الاحكام المتناقضة ، على شخص واحد ؟ اذاً فالبشر هم
عاقدو لواء مستقبلهم : إن في السماء او في الجحيم

عدد ١١ . (أ) تفتيش اليهود عنه : « فكان اليهود » — رجال السلطة
الدينية المعادين للمسيح امثال قيافا وأتباعه — « يطلبونه » — ويبحثون عنه
بين جماعات الحجاج الجليليين ، لأنهم لم يروه « في العيد » كما كانوا يتوقعون .
« ويقولون اين ذاك » — إن في كلمة : « ذاك » ، نغمة تحقير يمازجها حقد .
ويقول لوتير : « ان اليهود من فرط كرههم للمسيح لم يطيقوا ان يذكروا اسمه
على شفاههم فكانهم ارادوا ان يقولوا : اين ذاك الشخص الذي حاز شهرة
واسعة من غير حق . فأزعجنا وأقلقنا » ؟ ويقول وستكوت : « انهم كانوا في
تفتيشهم عنه محمولين بنية سيئة يمازجها حب الاستطلاع والتعجب »

عدد ١٢ . (ب) المناجاة المتضاربة « وكان في الجموع » — جماعات المعبد .
وردت كلمة : « جموع » ، في بشارة يوحنا هذه المرة وحدها . « مناجاة
كثيرة » — قيل وقال ، اقرب الى التمتمة في الخفاء ، منها الى الكلام علانية

مناجاة كثيرة من نحوه . بعضهم يقولون انه صالح . وآخرون يقولون لا بل يضل الشعب . ١٣ ولكن لم يكن احد يتكلم عنه

وجهرآ . « من نحوه » — الاشارة الى الكلام بوجه عام : سواء أكان في جانب المسيح ام ضده . من هذه الكلمة العامة : « مناجاة ، كثيرة » ينتقل يوحنا البشير الى الكلام التفصيلي ، فيرينا ان اولئك الجموع المتناجين كانوا على طرفي تقيض : « بعضهم » — الطرف الايجابي — « يقولون انه صالح » — غير محب لذاته ، شفوق ، صادق في ادعائه ، محسن ، شريف المقصد ، حقيق بأن يُتَّبَعَ (مرقس ١٠: ١٧) — « وآخرون » — الطرف السلبي — « يقولون لا . بل يضل الشعب » — كلمة « شعب » تعني الجماهير السريعة التأثر والتقلب . أهكذا تصف البشرية منقذها ومحررها ؟! أهذا هو الحكم الذي يصدره المتهمون المتحزبون على ديان الارض ؟!

عدد ١٣ . (ج) سرية هذه المناجاة : ان السر في كون هذه المناجاة خفية هو : « لسبب الخوف من اليهود » . لان الرؤساء لم يكونوا قد اعلنوا رسمياً رأيهم في المسيح ، مع ان اتجاه افكارهم كان معروفاً . فالذين أثنوا على المسيح خافوا من ان يعانوا هذا الثناء ، فيجلب عليهم غضب الرؤساء . والذين كانوا يذمون المسيح ، خافوا من ان يصرحوا جهراً برأيهم لئلا يكونوا مفرطين في هذا الذم او مقصرين ، سيما وهم يعلمون ان رؤساءهم غير ثابتين على رأيهم ، فقد يمتدحون غداً من ينتقدون اليوم . مسكين ذلك الشعب الاعمى ، الذي أسلم قياده لقوم ، أقل ما يقال فيهم ، انهم : « عميان قادة عميان » . كلمة « جهراً » قد

جهاراً لسبب الخوف من اليهود . ١٤ ولما كان العيد

تعني في الأصل جلاء في التعبير (٢٤:١٠؛ ١٤:١١؛ ٢٥:١٦؛ ٢٩ و ١٨:٢٠)،
او حرية في اذاعة الرأي من غير خوف ولا وجل (١١:٥٤). وهي كما استعملت
هنا ، تفيد المعنى الثاني

ثانياً . ما حدث أثناء العيد ١٤:٧ — ٣٦

هدأت نائرة اليهود ، الذين كانوا يطلبون المسيح في العيد ، ولم يجدوه ،
فانصرف كل منهم الى الممارسات التي يتطلبها العيد ، وما هي الا ايام معدودات
حتى ظهر المسيح في الهيكل معلماً . غير ان رؤساء اليهود ، لم يتعرضوا له
بشيء ، فكان أمام المسيح متسع من الوقت حتى نهاية العيد ، ليتم رسالته
التي صعد الى اورشليم لاجلها

يتضمن هذا الفصل ثلاثة خطابات مختصرة فاه بها المسيح اجابة على
اسئلة واعتراضات وجهت اليه من المعيّدين : — الخطاب الاول ١٤:٧ —
٢٤ . الخطاب الثاني : — ٢٥:٧ — ٣٠ . الخطاب الثالث : — ٣١:٧ — ٣٦ .
الخطاب الاول — فاه به المسيح رداً على تعجب اليهود وتساؤلهم . وموضوعه
(أ) اصل تعليمه : (١٣:٧ — ١٨) . (ب) تبرير موقفه في اتيانه المعجزة
المذكورة في الانجيل الخامس : (١٩:٧ — ٢٤) . والخطاب الثاني . نطق به
جواباً على سؤال قوم من سكان اورشليم وتناول فيه الكلام عن اصله
ومصدره . والخطاب الثالث ألقاه على الخدام الموفدين من القريسيين ورؤساء
الكهنة ، ليلقوا القبض عليه ، وقد تكلم فيه عن غايته ومصيره . ولكل خطاب

قد انتصف

رسالته ، وغرضه ، ونقته . فالخطاب الاول مُفرغ في قالب دفاع ، والثاني في صورة احتجاج ، والثالث في شكل انذار

الخطاب الاول : ١٤:٧ - ٢٤ . يقع هذا الخطاب في شطرين ، يتوسط بينهما كلام جاف موجه الى المسيح من الجمع : (أ) الشطر الاول (١٤:٧ - ١٨) يتضمن كلام المسيح عن اصل تعليم (ب) الشطر الثاني (١٩:٧ - ٢٤) يشمل على كلام المسيح عن عمدة المعجزة المدونة في الانجيل الخامس

وجدير بنا ان نمن النظر في موقف الجمع ازاء المسيح . فهو موقف يدعو الى الاعجاب ، لانه سائر على ناموس التدرج والتقدم . فهو اذاً مطبوع بنفس الطابع الذي دُمغت به هذه البشارة : - في عدد ٢٠ نلمح الجمع وقد اتخذوا من المسيح موقف الجفاء ، فصدرت منهم كلمات قريبة جداً من التجديف - ان لم تكن تجديفاً ، وفي عدد ٣١ نراهم اقرب الى الايمان منهم الى الشك ، وفي عدد ٤٠ نجدهم وقد بلغوا في الايمان مرتبة راقية ، فاضى ايمانهم يقيناً

الشطر الاول من الخطاب الاول - ١٤:٧ - ١٨ . (١) ومجد المسيح في الربيل (١٤:٧) . (٢) تعجب اليهود وتساؤلهم (١٥:٧) . (٣) جواب المسيح (١٩ - ١٦:٧)

عدد ١٤ . (١) ومجد المسيح في الربيل - ١٤:٧ . «ولما كان العيد قد انتصف» يستغرق العيد عادة سبعة ايام مضافاً اليها اليوم الثامن الذي هو «اليوم الاخير العظيم من العيد» (٣٧:٧ و لاويين ٢٣:٣٦) . فنحن الآن في اليوم

صعد يسوع الى الهيكل وكان يعلم . ١٥ فتعجب اليهود قائلين كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم . ١٦ اجابهم يسوع وقال تعليمي

الرابع من العيد . «صعد يسوع الى الهيكل ليعلم» — هذه أول مرة ، في هذه البشارة ، نرى المسيح معلماً في الهيكل . والظاهر انه في المرة الاولى التي فيها طهر الهيكل ، لم يعلم هناك . ويغلب على اعتقادنا ، ان المسيح عرج على «بيت عنيا» ، قبل ذهابه الى اورشليم في هذه المرة (لوقا ١٠:٣٨)

عدد ١٥ . (٢) تعجب اليهود ونسأولهم ١٥:٧ «فتعجب» (مت ٢٢:٢٢ ولوقا ٢٢:٤) — «اليهود» — اي الرؤساء الدينيون الفخوريون بالقابهم العلمية والادبية . «قائلين كيف هذا» — كلمة : «هذا» ، تتم عن شيء غير قليل من التحقير والازدراء ، يمازجها الحقد والبغضاء (٤٢:٦ ؛ ١٢:٧) . «يعرف الكتب وهو لم يتعلم» . المفهوم ان يسوع المسيح ذهب الى مدرسة قريته المعروفة بـ «بيت المدراس» كما يذهب عادة كل صبي عند بلوغه سنّاً معينة . فالكلام هنا ، ليس عن عدم تعلم المسيح على الاطلاق ، بل عن عدم حيازته درجة «العالية» من مدرسة الرايين ، لانه لم يتعلم الى هذا الحد . وعلى الرغم من هذا فان معرفته بالكتب ، أدهشت العلماء . مع ان كلمة : «كتب» تشير بنوع خاص الى الكتب المقدسة ، الا انها ليست قاصرة على الكتب المقدسة (اعمال ٢٤:٢٦)

عدد ١٦ . (٣) جواب المسيح (١٦:٧-١٩) : «اجابهم يسوع وقال : تعليمي ليس لي بل للذي ارسلني — (أ) مصدر تعليم المسيح (عدد ١٦) . اراد

ليس لي بل للذي ارسلني . ١٧ ان شاء أحد ان يعمل مشيئته يعرف

القادي ان يماشيهم في الاعتقاد بان لا بد لكل معلم من ان يكون عالمًا ومتعلمًا فأفهمهم انه «عالم» بالمعنى الصحيح، لا بالمعنى الذي يفهمونه هم، وانه تخرج من مدرسة أعلى من مدرسة الرابينين — فلا يقول كلامه نقلاً عن الحاخام هليل ولا تسلم رسالته من الرّاب عزرياء، بل تسلم مقاليد رسالته من الله رأساً. فهو اذاً «يتكلم بما يعلم، ويشهد بما رأى» (١١: ٣). لا مرء في ان المسيح يتكلم هنا عن نفسه باعتبار كونه معلماً مرسلًا من الآب، حاملاً رسالة خاصة، لا باعتبار كونه الهاً. على ان هذا الكلام لا يطعن على لاهوته بل يعطيه مقاماً فريداً ممتازاً. لانه يبين متانة الصلة الوثيقة الدائمة التي تربطه كابن بالآب (١٢: ٣ و ١٣). كلمة: «تعليمي» لا تقتيد بتعليم خاص نطق به المسيح في مناسبة خاصة لكنها تشمل كل تعليم المسيح في كل ظرف. فهي اذاً تعني خلاصة رسالة المسيح التي جاء أرضنا لاجلها. هذه ذروة الامانة العليا

عدد ١٧. الطريقة المميّزة مصدر تعليم المسيح. ان شاء احد ان يعمل مشيئته — مشيئة الله — «يعرف التعليم». هل هو من الله أم أتكلم انا من نفسي». أعلن المسيح في العدد السابق ان تعليمه صادر من عند الله، ولم يشأ ان يُلقَى القول على عواهنه، بل قدّم فرصة لمن يشاء من سامعيه ان يتحقق صلق كلامه، فأراهم ان الطريقة الوحيدة التي بها يتبينون حقيقة مصدر تعليمه، هي اطاعة مشيئة الله والعمل بها. فالطاعة العملية هي المفتاح الوحيد لكنوز المعرفة. ان العقبة الكؤود في سبيل ايمان الاكثرين

التعليم هل هو من الله أم أنكم

ليست في عقولهم، بل في قلوبهم. ولن يفتح الله عقل انسان ما لمعرفة الحق، الا متى كان قلبه منطفاً على هذا الحق، ومطيعاً لارادة الله، ومحباً لها: « سرّ الرب لخائفيه ». « تعالَ اولاَ ثم انظر ». ولكن ما هي « مشيئة الله » هذه المشار اليها في هذا العدد؟ يقول اغسطينوس ولوثر ان هذه المشيئة هي الايمان بالمسيح: « هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو ارسله » (٢٩:٦). ويقول روس ولامب: انها هي المسيحية العملية. من اراد ان يعرف العقائد المسيحية، فعليه ان يقوم بالواجبات المسيحية، الادبية والروحية. ويقول جودي—وهو اقربهم الى الحق— انها هي الاعلانات الالهية التي اوحى بها الله الى اليهود عن طريق موسى والانبياء. كأنما المسيح أراد ان يقول لليهود: « لو كنتم امناء في العمل بالاعلانات التي بين ايديكم، لأثمنكم الله على المزيد منها، وأعلن لكم ان تعليمي هو منه لا مني ». هذا يوافق قوله في ٥:٦ « لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني » — تؤمنون بي — « لانه هو كتب عني ». ان الله واحد، فأعلاناته تتجه الى غاية واحدة. فالذي يتتبع النهر من منبعه لا بد واصل في النهاية الى مصبه. ان المسيح هو روح النبوة، واليه يشير موسى وجميع الانبياء

على انه وان كانت « مشيئة الله » منصرفة في هذا الباب، الى معلناته التي ارسلها تعالى على أيدي موسى والانبياء، « وهي التي تشهد للمسيح » (٢٩:٥)، الا انها — من باب التطبيق — تعني ايضاً ارادة الله، التي يلاقيها

انا من نفسي . ١٨ من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه . واما من يطلب مجد الذي ارسله فهو صادق

البشر في اختباراتهم اليومية : « من يعمل الحق يقبل الى النور » (٢١:٣) . ان الذي يعمل ارادة الله يتشرب من روح الله . ولا يقدر احد ان يسلم بان يسوع رب الا بالروح القدس . في مدرسة الله لا يرتقي الى القسم العالي الا من يتخرج من القسم الاعدادي . فلا يعرف من هو « كلمة الله » المتجسد ، الا من اطاع كلمة الله المعلنة ، وروحه المرشد (اعمال ٣٢:٥)

عدد ١٨ (ج) برهانه صريح رسالة المسيح . استدلل المسيح على صدق رسالته من غايتها . فالغاية تنبئ بالمصدر ، كما ان المصبة يهدي الى المنبع . اما غايتها فهي انه يطلب مجد الذي ارسله . ولو كان مراسلاً من قبل نفسه لطلب مجد نفسه . « من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه . واما من يطلب مجد الذي ارسله فهو صادق وليس فيه ظلم » . هذه اكبر حجة تقضي على اتهامهم اياه بانه « يضل الشعب » (عدد ١٢) . هذا اكبر معول هادم لتقولات البعض بان المسيح دعا الى الشرك بالله . فهو لم يسلب حق من ارسله ، بل مجده . ان المسيح القائل عن نفسه « انا والاب واحد » ، يمجده الله . فمن يؤمن بالمسيح رباً وفادياً ، يمجده الله

تذكرنا كلمات المسيح الواردة في ١٦:٧ — ١٨ بما سبق فقله في ١٩:٥

و ٣٠ و ٣٧ و ٤٤

ان العبارة الاخيرة : « فهو صادق وليس فيه ظلم البتة » ، هي نقطة انتقال

وليس فيه ظلم . ١٩ أليس موسى قد اعطاكم الناموس وليس أحد منكم يعمل الناموس . لماذا تطلبون

بين تبرير المسيح لتعليمه ، وبين دفاعه عن اعماله وتصرفاته . أو هي نقطة اتصال بين شطري الخطاب الاول الذي فاه به المسيح . بقوله « صادق » يدفع به اتهامهم اياه بانه « يضلل الشعب » (عدد ١٢) . وقوله « ليس فيه ظلم البتة » يدفع به اتهامهم اياه بانه هادم للناموس ومعتد على السبت (١٦:٥) . فالمسيح « صادق » في ما يقول ، « وليس فيه ظلم » في ما يعمل

ويجوز ان نعتبر قول المسيح : « ليس فيه ظلم » ، نقطة انتقال من دفاعه عن نفسه ، الى مهاجمته لمن تبرعوا له بالاتهام : فهو خال من الظلم ، لانه لم يطلب مجد نفسه بل مجد الذي ارسله . اما من يتهمونوه وهو بري ، ويطلبون ان يقتلوه ، فهؤلاء هم مرتع الظلم ، بل هم الظلم مجسماً (١٦:٥ و ١٩:٧)

عدد ١٩ . الشطر الثاني من الخطاب الاول - دفاع المسيح عن عدد ٧:

١٩ - ٢٤ . « أليس موسى قد اعطاكم الناموس » . أشار المسيح بهذا القول ، الى محاولة اليهود ان يقتلوه بعد ان شفى مريض بركة بيت حسدا في السبت (١٦:٥) . واي امر ادعى الى التعجب ، بل الى التألم ، من ان نرى اناساً يدعون انهم يدافعون عن الناموس ، وهم في مقدمة مقاوميه وكاسريه ! ؟ هذه هي التهمة التي وجهها المسيح الى كل منهم « أليس موسى قد اعطاكم الناموس وليس أحد منكم يعمل الناموس . لماذا تطلبون ان تقتلوني » ؟ اذا هم المستحقون للقتل لان « اجرة الخطية هي موت » ، واما المسيح البار ، ومبرر

ان تقتلونني . ٢٠ اجاب الجمع وقالوا بك شيطان . من يطلب ان

الفجار ، فلماذا يطلبون ان يقتلوه الا لكي يتخلصوا منه ، فتستريح ضمائرهم التي كانت تثور عليهم عند سماعها « شهادة المسيح عليهم بأن اعمالهم شريرة »
(عدد ٧)

ان رؤساء اليهود اعتدوا على روح الناموس ، كما انهم عطلوا حرفه أيضاً . اما اعتداؤهم على روجه ، فظاهر من الغلّ الذي ملأ قلوبهم ، فارادوا ان يطفئوا نيرانه بسفكهم دم المسيح . ومن اكبر الادلة على تعطيلهم حرف الناموس ، أعمالهم العديدة التي يكسرون بها السبت ، مثل ممارسات الهيكل المنوعة . وتقديسهم فريضة الختان فوق تقديسهم فريضة السبت . كما سنرى في عددي ٢٢ و ٢٣ . فاذا كانوا هم يكسرون بعض اركان الناموس ، بدافع الحرص على اركان أهم ، مع كونهم عبيد الناموس ، فكم بالأحرى يجوز للمسيح ان يكسر حرفية ناموس السبت في سبيل تقديسه لناموس افضل — أعني به ناموس الرحمة والحنان ، حال كونه هو صاحب الناموس ، بل روجه ، وغايته ؟ ؟

عدد ٢٠ مقاطعة الجمع : « اجاب الجمع وقالوا » — كان هذا الجمع ساذجاً غيباً ، غير عالم بنوايا رؤساء اليهود نحو المسيح . وقد ظهرت غباوته اللزدوجة في جهله حقيقة الرؤساء ، وفي جهله حقيقة المسيح . ظن ذلك الجمع ان المسيح عصبي المزاج ، سريع الانفعال ، يعيش متأثراً بهواجس وهمية ، لا وجود لها إلا في مخيلته ، فيتوهم ان الناس يقصدون به شراً : « بك شيطان » . قابل هذا القول بذلك الذي وُجّه الى يوحنا المعمدان (مت ١١: ١٨ ولوقا ٧: ٣٣) . هذه

يقتلك. ٢١ أجاب يسوع وقال لهم عملاً واحداً عملت فتعجبون جميعاً

الكلمات اتخذت شكلاً اشد وأقوى في ص ٨: ٤٨ و ٥٢ و ١٠: ٢٠. مسكين ذلك الجمع الساذج ، الذي يحمل بكل ربح تعليم ، ويساق سوق الانعام عدد ٢١ - ٢٤ جواب المسيح. تغاضى المسيح عن مسبة هذا الجمع له ، وبجمله المهود وجه الخطاب الى الجمع والى الرؤساء معاً ، مبرراً عمله في اتيانه تلك المعجزة المذكورة في الاصحاح الخامس (٢١: ٧) ، مبيناً لهم عدم محافظتهم هم على الناموس - معنى ومبنى - لانهم يكسرون السبت في سبيل محافظتهم على الختان (عدد ٢٢) ، وموبخاً اياهم على خطأهم في ادانته ، لانه كسر السبت في سبيل محافظته على سلامة الانسان بأكله (عدد ٢٣). ثم ختم جوابه بكلمة حكيمة أفرغت في شكل نصيحة تصلح لان تكون مبدأ عاماً تسير عليه جميع الاجيال (عدد ٢٤)

« أجاب يسوع وقال لهم » - للجمع الذين سبّوه (عدد ٢٠) ، ولرؤساء اليهود الذين تعجبوا من غزارة علمه (عدد ١٥) ، - « عملاً واحداً عملت فتعجبون جميعاً » - يشير المسيح بهذا العمل الواحد الى معجزة ابرائه مريض بركة بيت حسدا ، وقد اختار هذه المعجزة بالذات ، مع ان وقتاً غير قصير مضى عليها ، لانها عيّنة صحيحة لأعمال رحمته ، وفيها تجلت عواطف اليهود الثائرة عليه ، وعنوا رفعوا التقارير المطوّلة الى السلطات الرسمية ، وبمناسبتها التي المسيح خطاباً مستفيضاً عن بنوّته لله ، وعن كونه رب الموت والحياة ، فطلبوا ان يلقوا القبض عليه لكي يحاكموه كجذّاف ، ويقتلوه (١٦: ٥ - ١٨)

٢٣ لهذا اعطاكم موسى الختان . ليس انه من موسى بل من الآباء .

عدد ٢٢. «لهذا» — لسبب سيأتي بيانه بعد، وهو ان عمل الخير في السبت لا ينقض السبت (ع ٢٢ و ٢٣) — «اعطاكم موسى الختان» . ادخل موسى وصية الختان ضمن وصايا الناموس المتضمن أيضاً وصية السبت — «ليس انه» — الختان — «من موسى بل من الآباء» — هذه جملة معترضة، وهي تفسيرية لما قبلها، قصد بها: انه وان كانت موسى قد اعطاهم الختان رسمياً كوصية من وصايا الناموس الكامل، الا ان فريضة الختان لم تبدأ بموسى بل بابرهم رئيس الآباء، فهي اذا وصية قديمة، ولعلها أقدم من وصية السبت. ومع انه كان ينتظر ان الوصية الجديدة تنسخ القديمة، الا ان وصية السبت خاضعة لوصية الختان . فقد قضى ناموس موسى (لاويين ١٢: ٣) بأن يُختَنَ الطفل الذَّكَرُ في اليوم الثامن، مع ان ذلك الناموس عينه قضى بأن لا يعمل اليهودي عملاً ما يوم السبت (نخر ٨: ٢٠ — ١٠) . وقد أفتى رؤساء اليهود وعلمائهم بأنه اذا وافق موعد ختان الطفل يوم سبت، فان فريضة الختان تنسخ وصية السبت . هنا ما يقول به المدراس اليهودي: «كل مستلزمات الختان ينبغي ان تُنجز يوم السبت» . وقال الرَّابُّ عَقِيبَةً: «كل عمل يقع في يوم السبت عادة، يجوز تقديم مواعده الى ما قبل السبت، الا الختان . فاذا وافق يوم سبت، فمن المحال تقديمه أو تأخيره»

من اجل ذلك، برَّرَ المسيح ابراءه ذلك المريض يوم سبت، مستنداً الى ثلاث حجج: الحجَّة الأولى — ما عمله موسى: باعطائهم وصية الختان

ففي السبت تختنون الانسان . ٢٣ فان كان الانسان يقبل الختان
في السبت لئلا يُنقض ناموس موسى أفتسخطون عليّ لأنني شفيت
انساناً كله في السبت . ٢٤ لا تحكموا حسب الظاهر

التي تنقض وصية السبت « لهذا اعطاكم موسى » — اي لهذا السبب الذي
أ تبرر به امامكم، وهو ان وصية الختان تنسخ وصية السبت . اذا كان موسى
مدافعاً عن المسيح مقدماً وهو لا يدري

الحجة الثانية — ما يعملونه لهم : « ففي السبت تختنون الانسان »

عدد ٢٣ . الحجة الثالثة — سيادة ناموس الرحمة « فان كان الانسان
يقبل الختان في السبت لئلا يُنقض ناموس موسى . أفتسخطون عليّ لأنني
شفيت إنساناً كله في السبت » ؟ اذا كان ناموس الضرورة ينسخ ناموس
الوصايا ، ووصايا الناموس ، فبالأولى ناموس الرحمة يسود على كل ناموس :
« شفيت انساناً كله » — فمن هذا نرى ان المعجزة التي أجراها المسيح تمتاز
عن فريضة الختان : (أ) في طبيعتها : لانها معجزة رحمة : « شفيت » (ب) في
كفائتها وفاعليتها : « انساناً كله » . فالرجل شفي من مرضه الجسدي اذ قام
وحمل سريرته ، ومن مرضه الروحي : « لا تخطيء أيضاً » (١٤:٥) . (ج) في
ضرورتها لان تأجيل الشفاء قد يقضي على حياة المريض ، مع ان تأجيل الختان
يوماً او بعض يوم لا يأتي بضرر معلوم

عدد ٢٤ . فائدة الخطاب الاول — نصيحة في صيغة مبدأ عام : « لا تحكموا

حسب الظاهر . . . » . ينبغي ان لا يكون الحكم مبنياً على ظواهر الامور ،

بل احكموا حكماً عادلاً . ٢٥ فقال قوم من اهل اورشليم أليس هذا

مثلاً نظر اليهود الى معجزة الشفاء ، نظرة سطحية ، فحكموا بان المسيح معتدٍ على الناموس ، بل مؤسساً على بواطن الامور وخفاياها . فربّ أعمال تكون في ظاهرها مطابقة لحرف الشريعة ، وفي حقيقتها منافية لروح الشريعة . وكم من مسكين في غياهب السجون يستحق ان يكون بديلاً لمن يرتفع في نعيم القصور . قاتلو الأجساد يرسفون في القيود ، وقاتلو الأرواح تنحني امامهم الرقاب ، آكلو لحوم البشر يحسبون متوحشين ، وناهبو أعراض اخوتهم هم المتدينون !!!

الخطاب الثاني ٢٥:٧ — ٣٠

اصل المسيح : نحن الآن أمام منظر آخر ، حدث أيضاً في الهيكل (ع ٢٨) وان لم يكن قد حدث بالضرورة في ذات الوقت الذي فاه فيه المسيح بالخطاب الاول . في هذا المشهد الجديد ، يتجلى لنا شعور جديد ، هو شعور « اهل اورشليم » الذين كانوا أعلم بنوايا رؤساء اليهود ، من الجمع الساذج (ع ٢٥) ، ومع أنهم لم يوجهوا اليه كلاماً جارحاً كما فعل اولئك (ع ٢٠) الا أنهم جهلوا حقيقته بسبب ادعائهم كثرة العلم (ع ٢٧) . لا شيء أخطر من الجهل ، سوى العلم الناقص

عدد ٢٥ . تسأل اهل اورشليم ٢٥:٧ — ٢٧ : « فقال قوم من اهل اورشليم » — هذه ثاني مرة وردت فيها كلمة « اهل اورشليم » في العهد الجديد (للمرة الاولى في مرقس ١: ٥) . « أليس هذا هو الذي يطلبون ان يقتلوه » ؟

هو الذي يطلبون ان يقتلوه. ٢٦ وها هو يتكلم جهاراً ولا يقولون له شيئاً. أَلعل الرؤساء عرفوا يقيناً ان هذا هو المسيح حقاً. ٢٧ ولكن هذا نعلم من اين هو.

قبلاً كان المسيح في موقف الاتهام ، لانه كسر السبت ، والآن نرى اهل اورشليم وقد زجوا برؤسائهم في قفص الاتهام ، ملصقين بهم تهمة الشروع في القتل : « يطلبون ان يقتلوه » كأنهم كانوا في سعي متواصل ليتحينو كل فرصة للايقاع به

عد ٢٦ و ٢٧. مبرلمهم بطبيعة ظروهم المسيح ٢٦:٧ و ٢٧ « وها هو يتكلم... » كان اهل اورشليم على وشك ان يكوّنوا فكرة صائبة عن المسيح ، لولا ان غلبت عليهم فكرة كانت شائعة وقتئذ: وهي ان المسيح يأتي مستتراً فلا يدري أحد عن أصله شيئاً. فقد جاء في التلمود: « ثلاثة تأتي على غير انتظار: «مسيحاً (المسيح) ، والكنز المكنون ، والتنين » . وكانت هنالك فكرة فاشية بين قوم منهم ، وهي « ان مسيحاً متى جاء ، يكون مجهولاً من الناس ، ويظل هو ايضاً جاهلاً ذاته ، حتى يأتي ايليا ويمسحه ، فيظهره لذاته والجميع » . والظاهر ان هذه الافكار الخاطئة، نشأت في مخيلة بعض منهم نتيجة سوء فهمهم لبعض النبوات (دانيال ٧: ١٣ اشعيا ١١: ١ ; ٥٣: ٢ و ٨) ، مع ان هذه النبوات لا تعني سوى ان بيت داود يكون في حالة وضعية وقت مجي المسيح. لكن ما الحيلة في من اعماهم الادعاء بالعلم : « نحن نعلم » فتبرعوا لانفسهم ولغيرهم بالجهالة: « لا يعرف احد » ! ان قولهم: « من اين هو » لا يشير الى المكان

وأما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من ابن هو . ٢٨ فنادى يسوع وهو يعلم في الهيكل قائلاً تعرفوني وتعرفون من اين انا ومن نفسي

الذي ولد فيه المسيح بل الى أصله وأبويه . ان هذه العبارة تمثّل عن جهلهم المطبق ، لانهم كانوا الى الآن يعتقدون انه ابن يوسف !

عدد ٢٨ و ٢٩ . جواب المسيح : « فنادى يسوع وهو يعلم في الهيكل قائلاً ... »
اتخذ المسيح من اعتراض « اهل اورشليم » ، سلباً لخطاب جديد عن موضوع جديد . في خطابه الاول تحدث عن اصل تعليمه ، وبرّر موقفه في ابرائه مريض بركة بيت حسدا . وفي خطابه الثاني ، خاطبهم عن أصله هو ، وعن مصدر رسالته . فالكلمات التي يتركز عليه هذا الخطاب هي : « لاني منه وهو ارسلني » عدد ٢٩ . « فنادى يسوع وهو يعلم » - رفع صوته مجاهراً ، ومعلنأً ، وكارزاً ومقرراً . وردت هذه الكلمة في الاصل ، اربع مرات في هذه البشارة (١: ٥ ; ٧: ٢٨ ; ٧: ٣٧ ; ١٢: ٤٤) . « في الهيكل » - هذه العبارة تدل على فترة وقعت بين الخطاب الاول والثاني ، وترينا ان المسيح جاهر بهذه الكلمات على مسمع من الرؤساء والزعماء . ان مقدس الله حقيقة بأقدس الاعلانات : « قائلاً تعرفوني وتعرفون من اين انا » - تقترض هذه الكلمات ان المسيح سلم بانهم يعرفون عنه وعن أصله بعض المعرفة . لكن ما عرفوه عنه لا يساوي مثقال ذرة مما جهلوه . لقد عرفوه انه من بيت لحم او من الناصرة ، وانه انسان أرمني ولد كما يولدون ، فكانوا في معرفتهم هذه اغبياء جاهلين . فاذا كان المسيح قد سلم بانهم يعرفون بعض المعرفة الا انه انهم شديداً على فرط جهالتهم . لم تكن معرفتهم

لم آت بل الذي ارسلني هو حق الذي أنتم لستم تعرفونه .

به ناقصة وكفى ، بل كانت ممتزجة بجهالة . «ومن نفسي لم آت» — اجمع علماء اللغة الاصلية على ان الواو التي تبدأ بها هذه العبارة ، حرف عطف له قوة الاستدراك . فهي في قوة كلمة «لكن» . بهذا أعلن المسيح لم انه لم يرتفع على أجنحة مطامحه الذاتية ، لانه ليس من طراز الملوك الذين يتوجون أنفسهم ، ولا الرسل الذين يستمدون رسالتهم من نبع ادعائهم — «بل الذي ارسلني هو حق» — هو مرسل حقيقي ، له حق الارسال ، وله ان يقلد من يرسله حق تبليغ الرسالة . ويستفاد أيضاً من هذه العبارة ، ان المسيح شاعر بمن ارسله ومتيقن انه شخص حقيقي . الى هنا كان المسيح مدافعاً ومقرراً . وفيما بعد ينتقل من الدفاع الى الهجوم : — «الذي انتم لستم تعرفونه» . هذه طعنة نجلاء صوبها المسيح الى رؤساء اليهود فأصابته منهم الصميم . ويزيدها حدة انها صوبت اليهم في الهيكل الذي يظنون انه محط تعبدهم لله ومهبط معرقتهم به . كان من السهل عليهم ان يُتهموا في جهلهم بالعلوم والفلسفة ، ولكن ان يُتهموا في جهلهم بالله ، فهذا مما لا يطاق . فلا عجب اذا كانت نيران هذه الكلمات قد انضجت عوامل حقدهم على المسيح . كانوا يزعمون انهم يعرفون الله ، ويعلمون «من أين أتى المسيح» (عدد ٢٧) ، فأناهم حكم السماء — انهم لا يعرفون الله ، وبالتالي ، يجهلون من أين أتى المسيح . كلمة «انتم» وردت في الاصل بصيغة التوكيد من فهم يدانون . فاذا كانوا قد اعترفوا في عدد ٢٧ ان جهلهم بالمسيح ، يؤيد رسالته ، فإننا نحمد لهم هذا الجهل المطبق الذي تطوعوا له من غير قصد ، فقدموه حجة دامغة على ان يسوع ، هو المسيح

٢٩ انا اعرفه لأنني منه وهو ارسلني . ٣٠ فطلبوا ان يمسكوه ولم يلق احد يداً عليه

ان جهل اليهود بالله، يقابله علم المسيح به: «أنا اعرفه لأنني منه وهو ارسلني». «انا اعرفه» — هذه معرفة حقيقية اختبارية . بنى المسيح هذه المعرفة على اساسين — أولهما: ان أصله من الله — فنه اشتق جوهره ، وطبيعته ، ووجدانه، باعتبار كونه أباه . وثانيهما: ان رسالته صادرة منه : «وهو ارسلني». ان الاساس الاول مختص بكيانه ، والثاني برسالته . الاساس الأول ينبع الثاني، والثاني مشتق من الاول ومتفرع منه

مما ذكر ، يتضح لنا ان المسيح كشف في خطابه الثاني عن ثلاث حقائق مهمة . (أ) العلم الناقص الذي اتصف به أهل اورشليم : «تعرفوني وتعرفون من اين انا». (ب) الجهل الكامل الذي ملك قلوبهم ومشاعرهم : «الذي انتم لستم تعرفونه» . (ج) العلم الكامل الذي اتصف به المسيح : «انا اعرفه» ان معرفة الله أس كل معرفة ، والجهل به هو الجهالة مجسمة : «قال الجاهل في قلبه ليس اله» . (مز ١٤: ١)

عدد ٣٠ . مبلغ تأثرهم من كهم «فطلبوا ان يمسكوه. ولم يلق أحد...» لقد تأثروا شديد التأثير من كلامه . وقويت لديهم فكرة الاعتداء عليه ، فتوطدت عزيمتهم على ان يلقوا القبض عليه . في هذا العدد نرى : (أ) سعيهم الغير المشكور : «فطلبوا ان يمسكوه» . والظاهر ان هذا السعي كان مصدره رؤساء اليهود كما في ص ١٦: ١٨ — (ب) ضعف قوتهم : «لم يلق أحد يداً

لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد . ٣١ فأمن به كثيرون من الجمع

عليه . مهما كانت ارادة البشر قوية ، فانها تعجز كل العجز عن ان تستقدم اي عمل من الاعمال التي رتبها الله في سلطانه . كان اليهود الى الآن يخشون هياج الشعب الذي كان يحترم المسيح (لوقا ١٩:٢٠) وكانت ضمائر اولئك الرؤساء واقفة سداً منيعاً بينهم وبين عمل الاجرام الذي كانوا مقدمين عليه ، لان هذه الضمائر لم تكن قد تقست بعد ، بل كان فيها بصيصٌ من النور . وفوق ذلك فان المسيح ، كان يحفّ به سلطان ممتاز ، وكانوا الى الآن يخشون رهيبتة . كل هذه علل ثانوية ظاهرة ، منعتهم من القاء القبض عليه . (ج) العلة الاصلية الحقيقية لعجزهم : « لان ساعته لم تكن قد جاءت بعد » ليست هذه مجرد ساعة القبض عليه (١٢:١٨) ، بل هي ساعة صلبه ، التي كانت ساعة القبض عليه ، ممهدة لها (راجع ٨:٧)

الخطاب الثالث ٣١:٧ - ٣٦ . قرب انظروا المسيح

(١) مرقناه متناقضاه ٣١:٧ و ٣٢ . كلمات واحدة نطق بها فم واحد ، وألقاها بروح واحد ، فأنتجت نتيجتين متناقضتين ، تختلفان باختلاف استعداد قلوب السامعين . هذه الكلمات ، سمعها الجمع الطيب القلب ، « فأمن به كثيرون » (عدد ٣١) . وسمعها الفريسيون ورؤساء الكهنة ، « فأرسلوا خداماً ليمسكوه » (عدد ٣٢)

عدد ٣١ . (١) ايمانه كسبه من الجمع بالمسيح : « فأمن به كثيرون من الجمع وقالوا . . . » بينما كانت عوامل البغضاء تختمر في قلوب المعادين للمسيح ،

وقالوا أعل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التي عملها هذا
 ٣٢ سمع الفريسيون الجمع يتناجون بهذا من نحوه فأرسل الفريسيون

كانت بذار الايمان تزداد نمواً في قلوب أحبائه ومريديه . ان شعاعة الرجاء
 التي دخلت قلوب هؤلاء الجمع (عدد ١٢) ، قد أصبحت الآن نوراً ،
 فأضحت ايماناً . الا ان ايمانهم لم ينضج بعد ، لانه كان متجهاً الى معجزات
 المسيح ، لا الى شخصية (٢: ٢٣) . لذلك كانوا بالرغم من ايمانهم هذا ، مستسلمين
 لسطوة الرؤساء ، فلم يعترفوا بايمانهم به اعترافاً ايجابياً صريحاً . ان مركز
 الدائرة في المسيحية ، ليس معجزات المسيح ، ولا كلماته ، بل شخصه . وان
 مركز الدائرة في شخصه ليس حياته ، بل موته ، وقيامته

عدد ٣٢ . (ب) مجرود الفريسيين ورؤساء الكهنة : « سمع الفريسيون
 الجمع ... فأرسل ... خداماً ليمسكوه » . ان ايمان الجمع بالمسيح ، قد أيقظ الفتنة
 التي كانت نائمة في قلوب الفريسيين ورؤساء الكهنة ، واثار حفيظة نفوسهم .
 لم يكن مكان التثام السهديرى ، بعيداً عن المكان الذي كان الجمع جالساً فيه
 (٨: ٢٠) ، فمن المحتمل ان بعض اعضاء السهديرى ، الذين من شعبة
 الفريسيين ، سمعوا بأذنانهم كلام الجمع عن المسيح . كما انه من المحتمل ايضاً ،
 انهم كانوا قد ارسلوا « عيونهم » ليتجسسوا ، ويقدموا اليهم تقريراتهم . لان
 كلمة : « سمع » ، تحتل احد الفرضين . او كليهما معاً . هذه اول خطوة
 رسمية اتخذها السهديرى ضد المسيح . بل هذه اول حلقة من سلسلة المؤامرات
 الرسمية التي أختتمت بصلبه . ان تكرار كلمة : « الفريسيين » ، مرتين في هذا

ورؤساء الكهنة خداماً ليمسكوه . ٣٣ فقال لهم يسوع انا معكم
زماناً يسيراً بعد ثم امضي

العدد ، وتقديمها على كلمة : « رؤساء الكهنة » يفيدان ان الفريسيين كانوا
متولين الزعامة في هذا العمل الغير المبرور . كانوا هم القوة المفكرة ، وكان رؤساء
الكهنة القوة المنفذة . ويُستدلّ من ذكر الفريسيين ورؤساء الكهنة معاً ،
ان هذين الحزبين اللذين يتألف منهما السنيديم ، كانا متحالفين في هذه
المسألة ، على رغم كونهما متخالفين في سائر المسائل . فكانّ عداءهم المشترك نحو
المسيح قد جمع بين قلوبهم . فيأله من صانع سلام حتى بين صفوف اعدائه !
ان الكلمة : « رؤساء الكهنة » تضم بين ذراعها رئيس الكهنة الذي كان
يشغل هذه الوظيفة ، وجميع رؤساء الكهنة السابقين : مثل حنان ، وابنه
اليعازار ، وشمعون بن قحجي ، واسماعيل بن قاي . ولعلها تشمل ايضاً : « جميع
الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة » (اعمال ٤: ٦) . هذه اول مرة وردت
فيها كلمة « الفريسيين » في بشارة يوحنا

والمستفاد من كلمة : « أرسل » ، ان الخدام كانوا مزوّدين بسلطان
رسمي ، من قبل السنيديم (٧: ٤٥ و ١٨: ٣ و ١٢ و ١٨ و ٢٢ و ١٩: ٦ و اعمال
٢٢: ٥ و ٢٦) . فكان عليهم ان يتحينوا فرصة فيها يمسكونه بكلمة ، ومتى
أوا تيار الرأي العام متحوّلاً عنه ، ألقوا القبض عليه

عدد ٣٣ . (٢) خطاب المسيح ٧: ٣٣ و ٣٤ : « فقال لهم يسوع .. » . في هذا
لخطاب حدثهم المسيح عن : (١) قصر حياته الارضية : « انا معكم زماناً .. »

الى الذي ارسلني . ٣٤ ستطلبونني ولا تجدونني وحيث اكون انا لا تقدرُونَ اَنتم ان تأتوا . ٣٥ فقال اليهود فيما بينهم الى اين هذا

(ب) مهول مآله : «..ثم أمضي...» . (ج) سوء مآلهم : «لا تقدرُونَ...»
(١) قصر ميانة الارضية . لم تكن مؤامراتهم خافية عليه . لذلك بين لهم ان امامهم فرصة نادرة . فخير لهم ان يفترسوها ، فيتمسكوا به ، بدلاً من ان يمسخوه

(ب) مهول مآله . لم يأت المسيح أرضنا ليعمر عليها ، بل جاءها برسالة ، ومتى أتم رسالته عاد الى الذي ارسله . هذا مآل طبيعي لذلك الذي أتى من الآب . لان المياه تعلو الى المستوى الذي منه نبعث

عدد ٣٤ . (ج) سوء مآلهم . يتضمن هذا العدد عبارتين — تشير اولاهما الى مصيرهم كجموع : «ستطلبونني ولا تجدونني» ، وتشير الثانية الى مصيرهم كأفراد : «حيث اكون انا لا تقدرُونَ اَنتم ان تأتوا» ، لان المياه لا تعلو فوق منبعها . في العبارة الاولى ازاح المسيح الستار عن الخيبة المرة التي ستصيب اليهود كجموع عند ما يطلبون «مسيحهم المنتظر» ، فلا يجدونه ، لانه يكون قد مضى عنهم في شخص يسوع الذي يحدتهم الآن . وفي العبارة الثانية ، أراهم ان كلاً منهم منحدر الى مكان الظلمة حيث البعد عن الله

عدد ٣٥ و٣٦ . (٣) نساؤل اليهود «فقال اليهود فيما بينهم...» . نطق اليهود بهذه الكلمات متهمين ، كأنهم ارادوا ان يقولوا «اذا كانت رسالة هذا المسيح قد فشلت بين اليهود الحقيقيين الساكنين في الأرض المقدسة ،

مزمع ان يذهب حتى لا نجده نحن . أله مزمع ان يذهب الى
شحات اليونانيين ويعلم اليونانيين . ٣٦ ما هذا القول الذي قال
ستطلبوني ولا تجدونني وحيث اكون انا لا تقدرُونَ ان تأتوا

٣٧ وفي اليوم

والمتكلمين بلغة اليهود السامية . فهل يعلن نفسه مسيحاً على اليهود المشتكين في
ربوع اليونان ؟ لعله اذاً مسيح للأُم » ! ! كلمة « يونان » ليست قاصرة على
الروم ، لكنها تعني الامميين مطلقاً ، غير اليهود

لقد كان هؤلاء اليهود في تهكمهم ، احكم منهم في جدهم . لانهم نطقوا
بما لم يعلموا ، فكانوا « انبياء » ، أو انصاف انبياء ، وهم لا يعلمون . مثلهم مثل
قيافا الذي تكلم عن موت المسيح بحكمة شبيهة بالنبوات (٥١:١١)

لم يمض سوى وقت قصير حتى تمت هذه النبوة غير المقصودة ، فصار
المسيح بحق « مسيح الامم » . وكُتِبَ انجيله بلغة اليونان . وان خير دليل على
هذا ، هو بشارة يوحنا ، التي نحن بصدها الآن ، إذ كتبت أصلاً بلغة « اليونان » !

ثالثاً : في اليوم الاخير العظيم من العيد — ٣٧:٧ — ٥٣

(أ) . المسيح التبع الحقيقي — ٣٧:٧ — ٤٤

(ب) . الثامم مجمع السهر روم — ٤٥:٧ — ٥٣

(أ) المسيح التبع الحقيقي ٣٧:٧ — ٤٤ . (١) خطاب المسيح (٣٧:٧)

و (٣٨) . (٢) تعقيب البشير على خطاب المسيح (٣٩:٧) . (٣) تأثرات الجوع

المختلفة (٤٠:٧ — ٤٤)

الآخر العظيم من العيد

(١) خطاب المسيح (٣٧:٧ و ٣٨). « وفي اليوم الأخير العظيم من العيد... ». بلغنا الآن اليوم الأخير العظيم من عيد المظال ، وهو أروع أيام العيد واقدسها ، وفيه نلاحظ نعمة جليظة في كلام المسيح . فيما مضى كان كلامه مفرغاً في قالب منطقي احتجاجي ، والآن نجده مقدماً في صيغة دعوة ملكية ، فالتقت فيه رهبة كلام المسيح ، بهيبة ذلك اليوم الأخير العظيم ، وتكونَ منهما صوت قويّ بجلاله ، معلناً ان المسيح هو الجوهر الذي تنتهي عنده الظلال اليهودية ، وهو الرمز الحقيقي الذي تلتقي فيه خلاصة رموز العهد القديم

في الاصحاح الثاني وجدنا في المسيح الهيكل الحقيقي ، الذي كان يرمز اليه هيكل اليهود. وفي الاصحاح الثالث رأينا فيه الترياق الحقيقي الذي كانت ترمز اليه الحية النحاسية . وفي الاصحاح السادس عرفنا فيه الخبز الحقيقي الذي كان المنّ له رمزاً . وفي هذا الاصحاح السابع نشاهد فيه النبع الحقيقي الذي كانت يتابع البرية رمزاً له . وفي الاصحاح الثامن نلمح فيه النور الحقيقي الذي كان يرمز اليه عمود النار في البرية . وفي الاصحاح التاسع عشر نكتشف فيه الفصح الحقيقي الذي كان فصح اليهود ظلاً له

عدد ٣٧. (أ) الوقت الذي قبل فيه الخطاب: « وفي اليوم الأخير العظيم من العيد » - في اليوم الثامن الذي هو خاتمة المطاف في هذا العيد (لاويين ٢٣: ٣٦ ونحميا ٨: ١٨) . فيه كان ينتظم المعيدون صفوفاً ويدخلون الهيكل . ثم

وقف يسوع ونادى قائلاً ان عطش احد

يقفلون راجعين الى بيوتهم، ويبيتون هناك (لا ٢٣: ٣٩)، ويقدمون فيه ذبائح خاصة (عدد ٢٩: ٣٦ - ٨). فاذا كانت سبعة ايام العيد التي يقضيها المعيدون في المظال، ترمز الى تغرب الاسرائيليين في البرية، فان اليوم الثامن الذي فيه يتركون مظالمهم ويرجعون الى بيوتهم، يرمز الى دخولهم ارض الموعد واستراحتهم فيها. حسناً قال فيه فيلون: «ان اليوم الثامن في عيد المظال هو خاتمة أعياد السنة المقدسة». وفيه قال يوسفوس: «هو الختم المقدس للسنة»

(ب) الكيفية التي قيل بها: «وقف يسوع» — على خلاف عادته، لانه كان يتكلم غالباً وهو جالس (مت ٥: ١) ولعله كان يراقب خروج الناس من مظالم قاصدين الهيكل. وربما «وقف» ليضيف الى صوته رهبة، وقوة، وارتفاعاً. «ونادى قائلاً» — بصوت جهوري واضح النبرات، لتنتفتح آذان من يريدون ان يسمعوا، وتُصمَّ آذان من وضعوا اصابعهم في آذانهم

عدد ٣٧ و ٣٨. قلب الخطاب: «ان عطش احد...». كان المعيدون يستقون مياهاً من بركة سلوام في صباح كل يوم من السبعة الايام الاولى في العيد. فبعد تقديم الصباح يذهب الكاهن في مقدمة الشعب، ويده ابريق من ذهب، فيملأه ماء من بركة سلوام، ويتقدم به الى الهيكل، والشعب من خلفه، يؤلف موكباً عظيماً، مخترقاً طرقات المدينة، باناشيد وهتاف، واصوات أبواق تشق كبد الفضاء — ويقول الرايون ان من فاته افراح هذا اليوم فقد فاته ان يتذوق طعم الفرح الحقيقي. واذا يبلغون الهيكل، يصعد الكاهن الى

فليقبل اليّ

مذبح المحرقة ، فيناديه الشعب : « شمر عن ذراعك » ، فيجيبهم بسكب المياه التي في الابريق ، الى جهة المغرب . وفي هذه اللحظة يرتل الشعب التسبحة القائلة : « تستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص » (اشعيا ١٢: ٣) . وقد اتفقت كلمة المفسرين على ان المعبد كنوا يمارسون هذا الطقس مدة السبعة الأيام الاولى من العيد . ويكفون عن ممارسته في اليوم الثامن . فكان من الطبيعي ، ان يقف المسيح في هذا اليوم الثامن الذي تعطّل فيه هذه الفريضة الطقسية ، ليقرر للمعبد انّه هو نبع الماء الحقيقي ، الذي تختفي أمامه المياه الطقسية . فهو الحقيقة التي تتلاشى أمامها الظلال . وهو الجوهر ، الذي أمامه تتخذ الرموز اجنحة أثيرية وتطير

على ان هذا الطقس الرمزي كان يذكر اليهود بحقيقة تاريخية مجيدة . فكما ان سكنهم في المظال ، كان يذكرهم بتغريبهم في البرية ، كذلك كانت فريضة الماء المنسكب ، مذكرة اياهم بالماء الذي تفجر من الصخرة في البرية . وفي اعتقادنا ان المسيح لم يقف في خطابه هذا ، عند حد الاشارة الى الماء الذي كانوا يستقونه مدة أيام العيد ، بل تناول أيضاً الاشارة الى تلك الحقيقة التاريخية ، التي كانت فريضة الماء المنسكب رمزاً لها . فكأنما المسيح قصد ان يعلن لأولئك المعبد انّه هو الصخر الحقيقي الذي كانت صخرة البرية رمزاً له . هذا يؤيده قول بولس الرسول : « لانهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم . والصخرة كانت المسيح » (١ كو ١٠: ٤) ، ويدعمه قول المسيح

ويشرب . ٣٨ من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه انهار

نفسه : « ان عطش احد » . لان مياه العيد لم تكن ليشرب منها كل من عطش ، بل كانت تقدم سكبياً . واما ماء الصخرة في البرية فقد شرب منه العطاش ، ثم عادوا الى عطشهم السابق ، فأتوا

يتضمن هذا الخطاب — دعوة ، ووعداً ، ولكل منهما شطران. الشطر الاول ، شرط . والثاني جوابه. وشرطاً الوعد يوضحان شطري الدعوة

(أ) الدعوة : « ان عطش احد » — هذا هو الشرط . « فليقبل اليّ . . . » — هذا جواب الشرط . (ب) الوعد : « من آمن بي » — هذا هو الشرط «... تجري من بطنه» — هذا جواب الشرط . وهذه الأربعة الأشر، سائرة في نظام تدرجي . فالعطش يؤدي الى الاقتبال الى المسيح والارتواء منه ، والاقتبال الى المسيح يتطور فيصير ايماناً به . والايمان به يُكافأ بما هو أفضل من الارتواء — ان يصير المؤمن نبعاً فياضاً ، وصخرأ حياً ، يتفجر منه ماء حي لارواء الآخرين . فالتعطش الى المسيح هو الايمان في درجته الابتدائية . والارتواء منه هو مكافأة هذا الايمان الابتدائي . والايمان بالمسيح هو ثمرة الاقتبال اليه ، وارواء الآخرين هو نتيجة طبيعية للارتواء الروحي . ان قوله : « كما قال الكتاب » ، يصف ما بعده لا ما قبله ، ولا يشير بالضرورة الى قول معين بنصّه ، بل الى روح الكتاب (انظر اشعيا ٤٤:٣ و ٤٥:١١ و ٤٦:١٠ و ٤٧:١٤ و ٤٨:١٦ و ٤٩:١٠ و ٥٠:١ و ٥١:١ و ٥٢:١ و ٥٣:١ و ٥٤:١ و ٥٥:١ و ٥٦:١ و ٥٧:١ و ٥٨:١ و ٥٩:١ و ٦٠:١ و ٦١:١ و ٦٢:١ و ٦٣:١ و ٦٤:١ و ٦٥:١ و ٦٦:١ و ٦٧:١ و ٦٨:١ و ٦٩:١ و ٧٠:١ و ٧١:١ و ٧٢:١ و ٧٣:١ و ٧٤:١ و ٧٥:١ و ٧٦:١ و ٧٧:١ و ٧٨:١ و ٧٩:١ و ٨٠:١ و ٨١:١ و ٨٢:١ و ٨٣:١ و ٨٤:١ و ٨٥:١ و ٨٦:١ و ٨٧:١ و ٨٨:١ و ٨٩:١ و ٩٠:١ و ٩١:١ و ٩٢:١ و ٩٣:١ و ٩٤:١ و ٩٥:١ و ٩٦:١ و ٩٧:١ و ٩٨:١ و ٩٩:١ و ١٠٠:١) . ولعل اقرب الأقوال اليه ، ما جاء بصدد الصخرة في البرية : « يخرج منه ماء » (خروج ١٧:٦) ، « فخرج ماء

ماء حي . ٣٩ قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزعمين ان يقبلوه .

غزير» (عدد ١١:٢٠) . ان في قول المسيح هذا برهاناً ضمنياً على حقيقة لاهوته . لانه من يستطيع ان يروي عطش كل البشرية ويملا احتياجاتها إلا الله وحده ؟ ! !

عدد ٣٩ . (٢) تعقيب البشير على خطاب المسيح ٣٩:٧ « قال هذا عن الروح الذي . . » . ان خير مفسر لكلمات المسيح هو أقرب التلاميذ الى قلبه — يوحنا الذي عرف معنى هذه الكلمات وتشبع بقوتها اختبارياً . وان أصدق مفسر لكلمات يوحنا ، هو الاختبار المجيد الذي حصل عليه الرسل في يوم الخمسين لما «استقر» الروح القدس على كل واحد منهم و «امتلاً الجميع منه» . ان الايمان بالمسيح هو الوسيلة المثلى للامتلاء من الروح القدس . وعند ما يملأ الروح القدس قلب المؤمن يصير فيه «ينبوعاً حياً ينبع الى حياة ابدية» (١٤:٤) . ان الوقت المقصود في قوله : «مزعمين ان يقبلوه» ، يشير الى يوم الخمسين . فمع ان التلاميذ نالوا نصيباً من الروح القدس مذ آمنوا بالمسيح ، الا أنهم لم يمتلئوا بالروح الا يوم الخمسين . فقد يحل الروح القدس في قلب المؤمن ، من غير ان يكون قلب المؤمن ممتلئاً به . وقد يمتد الزمن بين الاختبارين الى بضع سنوات — كما في اختبار الرسل . وقد يكون بضعه أسابيع — كما في اختبار أهل السامرة ، وسكان أفسس (اعمال ١٧:٨ و ١٩:١) — (٧) ، وقد يقتصر على ثلاثة أيام — كما في اختبار بولس الرسول (اع ١٧:٩) .

لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد . لأن يسوع لم يكن قد
تمجّد بعد .

وقد يملأ الروح القدس قلب المؤمن يوم حلوله فيه بالذات — كما في اختبار
كرنيليوس (اع ١٠: ٤٤)

أما سبب عدم امتلاء التلاميذ بالروح القدس وقت كلام المسيح ، بدلاً
من يوم الخمسين ، فقد ذكره البشير في قوله : «لأن الروح القدس لم يكن قد
أُعطي بعد . لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد» . كان ينبغي ان يكمل عمل المسيح
الفدائي ، قبل أن يحلّ عصر الروح القدس في الكنيسة . لأن أهم عمل يقوم
به الروح القدس هو تخصيص فوائد الفداء لكل مؤمن . فمع أن الروح القدس
كان موجوداً وعاملاً في بعض الافراد ، لكنه لم يُعطَ بملئه وفيضانه ، ليكون
نائب المسيح في كنيسته على الأرض ، الا بعد أن قبلت ذبيحة المسيح الكفارية .
وعلاوة قبولها : قيامته وصعوده . ان قوله : «لم يكن قد مجد بعد» يشير الى
صلب الفادي الذي ختم بقيامته وتوج بصعوده . هذه حقيقة تاريخية : ان
الروح القدس لم يُعطَ بملئه القياض الا بعد ان جلس المسيح عن يمين العظمة
في الأعالي ، فأرسله الى الكنيسة . وهي أيضاً حقيقة اختبارية . فلن يملأ
الروح قلباً ، الا اذا كان المسيح ممجّداً في ذلك القلب . على قدر ما نعطي من
قلوبنا للمسيح ، يعطينا الروح القدس من المسيح . فعلى قدر ما نفرغ نمتلئ .
وبقدر ما نخضع نرفع

هذه أول مرة ذكر فيها «تمجيد» المسيح بحصر اللفظ في هذه البشارة .

٤٠ فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبي . ٤١ آخرون قالوا هذا هو المسيح .

عدد ٤٠. (٣) تأثيرات الجمع المختلفة ٧: ٤٠ — ٤٤ . كان البشير حريصاً على تسجيل التأثيرات المختلفة التي بدت من الجمع ، لكي يرينا ان الحنطة والزوان كانا ينيان معاً ، وان طريق المسيح الى الصليب صار معيَّداً ، وان حفيظة اليهود صارت تمتلئ ، تدريجياً بالمواد الملهية ، منتظرة فرصة يقدر فيها شرر ضئيل فتندلع نيرانها

بعد ان سكن صوت المسيح ، ارتفعت أصوات كثيرة بأقوال متضاربة شبيهة بأصوات الامواج الكثيرة بعد ارتطامها بالصخر .

وفي هذه الاعداد (٧: ٤٠ — ٤٤) ، يحمل الينا البشير أربعة أصوات :
فالصوتان الاولان منبعثان من أشخاص أحسنوا الظن بالمسيح ولو ان كلمتهم لم تجتمع على رأي واحد. والصوتان الاخيران منبعثان من قوم معارضين
(١) صوت الفريق الاول . « لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبي » — المتنبأ عنه في تث ١٨: ١٥ ، والذي ظنه بعضهم شخصاً مستقلاً عن المسيح ، ومهيئاً الطريق قدامه — على رتبة يوحنا المعمدان (انظر شرح ٢١: ١ و ١٤: ٦) . لقد تكون هذا الاعتقاد في نفوسهم ، بعد سماعهم كل الخطابات التي فاه بها المسيح أثناء العيد ، لا نتيجة خطاب اليوم الاخير وحده . هذا ما تقيده العبارة : « هذا الكلام » ، كما وردت في الاصل
عدد ٤١. (ب) صوت الفريق الثاني . « آخرون قالوا هذا هو المسيح » .

وآخرون قالوا أَلعل المسيح من الجليل يأتي . ٤٢ أَلم يقل الكتاب إنه من نسل داود ومن بيت لحم القرية التي كان داود فيها يأتي المسيح . ٤٣ فحدث انشقاق في الجمع لسببه . ٤٤ وكان قوم منهم يريدون أن يمسخوه ولكن لم يلق أحد

كلمة : « قالوا » كما هي في الاصل تعني انهم ظنوا يرددون هذا القول كعقيدة راسخة في أذهانهم . هذان هما الفريقان اللذان أحسنا الظن بالمسيح

(ج) عدد ٤٢ . صوت الفريق الثالث . اكتفى هذا الفريق بالتساؤل والاعتراض : « وآخرون قالوا أَلعل المسيح من الجليل يأتي . أَلم يقل الكتاب انه من نسل داود ومن بيت لحم القرية التي كان داود فيها يأتي المسيح » ؟ عدد ٤٣ . انشقاق الجمع بسببه . لم يرغب البشير ان يرد على هذا الاعتراض ، لانه رآه يحمل في نفسه حجة بطلانه . ان قليلاً من المعرفة يريكم يا أيها المعارضون ان المسيح وُلد في بيت لحم ، لانه من نسل داود حقاً . (مز ١١٣: ١١ وأرميا ٢٣: ٥ واشعيا ١١: ١ و ١٠ وميخا ٥: ٢ و ١ صم ١٦ مع متى ص ١ و ٢ ولوقا ١ و ٢) . فمع أنه عاش في الجليل ، الا انه وُلد في بيت لحم عدد ٤٤ . (د) صوت الفريق الرابع . « وكان قوم منهم » — غير الخدام الموفدين من السنهدريم — « يريدون أن يمسخوه » — اما بتعريض من خدام السنهدريم ، او بتطوعهم ليقدموه بأنفسهم للمحاكمة ، أو ليقعوا به الأذى . من تلقاء ذواتهم (عدد ٣٠ و ٣٢) « ولكن لم يلق أحد عليه الأيدي » تهيئاً من

عليه الأيادي . ٤٥ فجاء الخدام الى رؤساء الكهنة والفريسيين .
فقال هؤلاء لهم لماذا لم تأتوا به . ٤٦ أجاب الخدام لم يتكلم قط انسان

هالة المجد الذاتي التي كانت تحف به ، وتخوفاً من حماسة الجماهير المعجبة به ،
فاستكانوا امام العناية الربانية الخفية : « لان ساعته لم تأت بعد »

(ب) الثامم بجمع السهررم ٧: ٤٥ - ٥٢ . ما أمر الحقدا ! انه يعيث
بالقوانين ، ويزيل الفوارق والحدود افعلى خلاف أحكام الناموس ، التام
السهرديم في اليوم الاخير العظيم من عيد المظال ، على زعم كون ذلك اليوم
« سبتاً » . وعلى خلاف ما بين الكهنة والفريسيين من خلاف مستحكم . التام
شملهم في انتظار تقرير الخدام الذين أرسلوا ليلقوا القبض على يسوع . ان
حقدهم على المسيح قد كسر أحكام الناموس ، وازال ما بين هاتين الطائفتين
من فوارق وحدود . فالحقدا الذي يفرق بين القلوب للتعابة ، هو ذاته الذي
يجمع بين القلوب للتنازلة ، ولكن الى حين . حتى يُقضى الوطر ، فتعود القلوب
الى ما كانت عليه من تحاسد وتنايد

عدد ٤٥ . (١) عودة خدام السهررم واستجوابهم . عاد الخدام من
مهمتهم التي كلفوا بها (عدد ٣٢) « فجاءوا الى رؤساء الكهنة والفريسيين » -
لا يُخفي حنين بل بشهادة الحق واليقين (عدد ٤٦) . « فقال هؤلاء لهم لماذا لم
تأتوا به » - كأن السهرديم لم يوصهم أن يفحصوا الامر بل ان يكبلوه
بالقيود ، مذنباً كان ام بريئاً

عدد ٤٦ . (٢) جواب الخدام المضمم « أجاب الخدام : لم يتكلم قط انسان

هكذا مثل هذا الانسان. ٤٧ فأجابهم الفريسيون ألكم أنتم ايضاً
قد ضللتهم. ٤٨ أأل أحدًا من الرؤساء أو من الفريسيين آمن به.
٤٩ ولكن هذا الشعب الذي لا يفهم

هكذا مثل هذا الانسان» — هذه لكمة على وجه الحضاء السهديرىم ، موجّهة
اليهم من خدامهم، ولو دروا بها لتركوا كراسي القضاء، بعد ان صاروا متهمين :
«لم يتكلم قط انسان» — ولا أنتم أيها العلماء الحكماء اساتذة الناموس وحملّة
مفاتيح المعرفة

هذه شهادة غير مقصودة من الخدام ، على ان المسيح اعظم من إنسان.
انهم بقولهم هذا كانوا أحكم من أنفسهم. فاذا كان البطل يجعل الانسان جباناً،
فان الحق يلبسه قوة الأبطال

عدد ٤٧. (٣) جواب الفريسيين (٧: ٤٧-٥٠) «فأجابهم الفريسيون
ألكم». كان لكلمات الخدام وقع أليم على قلوب الفريسيين، مدّعي العلم. ان
في جوابهم خليطاً من (أ) اتهام: «ألكم أنتم ايضاً» — يامن اتخذناكم عدتنا
في الهجوم على المسيح — «قد ضللتهم» كغيركم (عدد ١٢). اذا كان كل الضلال
من هذا النوع ، فياليت جميع الناس يضلون ! هذا الضلال هو الهدى بعينه.
عدد ٤٨. (ب) تخوف وفزع ٧: ٤٨ «أأل أحدًا من الرؤساء» ؟ أي نعم !
والجواب في عدد ٥٠. فالذي تحذرون قد وقع

عدد ٤٩. (ج) سب وشتم «ولكن هذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو
ملعون». ليس في الدنيا أضعف من انسان تستد أمامه مسالك الحجج المقنعة،

الناموس هو ملعون . ٥٠ قال لهم نيقوديموس الذي جاء اليه ليلاً

فيلجأ الى السب والشتم ، سوى انسان يستتر وراء حق مزيف . هذه خطية الفريسيين المزدوجة ، تلقاء الخدام . ولعل الفريسيين استندوا في قولهم هذا ، الى قول الرايين «من المحال ان يكون الجاهل قديساً . لان العلماء يحظون وخدمهم بالقيامة من الاموات» . اذا كان خدامكم جهلة يا أيها الفريسيون فمن المستول عن جهلهم سواكم ؟ ألسن مكلفين من قبل الله بتعليمهم الحق ؟ لكن هو التعصب قد أعمى بصائر هؤلاء الفريسيين ، فظنوا ان معرفة الناموس لا تتأتى الا على طريقتهم هم ، ومن خالف تفسيرهم ، فهو جاهل للناموس ، وان الناموس الذي يشهد للمسيح ليس في نظرهم ناموساً ، لان المسيح كسر ناموس السبت ، كما يزعمون

عدد ٥٠ و ٥١ . (٤) **المتجاع نيقوديموس** . «قال لهم نيقوديموس» في هذين العددين نجد (أ) وصفاً مزدوجاً لنيقوديموس (عدد ٥٠) (ب) صفة **المتجاع نيقوديموس** (عدد ٥١)

(أ) وصف مزدوج لنيقوديموس — ان جانبه الأول هو : «الذي جاء الى يسوع ليلاً» — هذا هو اللقب الذي خلعه البشير على نيقوديموس فلاسه في الثلاث المرات التي ورد فيها اسمه في بشارته (١: ٣ ; ٥٠: ٧ ; ٣٩: ١٩) . ما اعظم الفرق بين نيقوديموس الاصحاح السابع ، ونيقوديموس الاصحاح الثالث ! لقد نما ايمانه وازدهر وبدأت براعمه تتفتح . فيُنشَر منها عبير جميل ، وفي الاصحاح التاسع عشر نرى الايمان المزدهر وقد جاد بأطيب الثمر ، فصار ثمره «طيباً»

وهو واحد منهم. ٥١ أَلْعَلْ ناموسنا يدين انساناً لم يسمع منه أولاً
ويعرف ماذا فعل. ٥٢ أجابوا وقالوا له أَلْعَلَّكَ أَنْتِ أَيْضاً مِنَ الْجَلِيلِ.

(١٩: ٣٩). الجانب الثاني من الوصف: «وهو واحد منهم» — هذا جواب
يوحنا البشير على تخوف الفريسيين المذكور في عدد ٤٨

(ب) صيغة المنجاج نيقوديموس (عدد ٥١): «أَلْعَلْ ناموسنا يدين...»؟
من فهم دانهم نيقوديموس. فالصق بهم عدلاً، التهمة التي سبقوا هم فالصقوها
بالخدام ظلماً، فصاروا مستحقين لعنةٍ أشر. قالوا عن الخدام: «هذا الشعب الذي
لا يفهم الناموس هو ملعون»، فقال لهم نيقوديموس: «أَلْعَلْ ناموسنا الذي تهم
غيرنا بالتعدي عليه، يدين انساناً لم يسمع منه» (تث ١٦: ١ و ١٧؛ ١٧؛ ١٩؛
١٥) ام هل نحمي الناموس من غيرنا، ولا نحمية من اتقسنا؟ فيا حماة الناموس
احموه من انفسكم اولاً. ويا من تعتقدون انكم انتم الناموس متأنساً، ارفعوا
عن انفسكم الشريفة أذى انفسكم الخبيثة. كلمة: «ناموس» في هذا العدد،
تعني الناموس ممثلاً في هؤلاء الفريسيين الذين تصدروا للحكم باسم الناموس

عدد ٥٢. (ج) جواب الفريسيين: «اجابوا وقالوا له...». يتضمن
جوابهم: (أ) تعنيفاً لنيقوديموس: «أَلْعَلَّكَ أَنْتِ أَيْضاً مِنَ الْجَلِيلِ»؟ عجباً
إنهم لم يتزحزحوا عن اعتقادهم الخاطيء بأن المسيح جاء من الجليل (عدد ٤١)
فحكموا على انفسهم بالجهل في وقت ينسبون فيه الجهل الى خدامهم. فكان
خدامهم احكم منهم. وكم من خدام في لباس سادات. وشهادات في ثياب خدام!
في تعنيفهم لنيقوديموس، اتهموه بالتحيز للمسيح، كأنه من بلده وعشيرته.

فتش وانظر . انه لم يقم نبي من الجليل . ٥٣ فمضى كل واحد الى بيته

فدلوا بكلماتهم هذه على تخوفهم من ان يكون نيقوديموس موالياً للمسيح سراً .
(ب) حكماً مطلقاً : «فتش وانظر انه لم يقم نبي من الجليل» — مساكين !
لقد أعماهم التعصب فجهلوا — او تجاهلوا — ان يونان النبي قام من الجليل . وما
قولهم في ناحوم ، وايليا ، وهوشع ؟ ! ولنفرض جدلاً انه لم يقم نبي من الجليل
في الماضي فتى كان الماضي حكماً مطلقاً على المستقبل ؟ ومن ادراهم ان المسيح
قام من الجليل ؟ لقد كانوا عائشين في الماضي ، مع انهم كانوا محسوبين ظلماً على
حاضرهم . وكذلك يفعل التعصب فعله في القلوب ! هذا هو العمى الاختياري !
عدد ٥٣ . كلمة تاريخية . بهذه الكلمة التاريخية ، يُختتم هذا الاصحاح ،
ويستهل الاصحاح التالي . انها تصور لنا جمهور للعبيدين ، وقد حكوا مظالمهم ،
وقتل « كل واحد » منهم راجعاً « الى بيته » . كما انها تصور لنا اعضاء السندريم
وقد استولت عليهم خيبة مرّة فجزوا عن مقاومة الحكمة التي فاه بها نيقوديموس
ولم يستطيعوا ان يصدروا حكماً . وكأن روح من ظنوه جليلاً ، قد أبكت
عواطفهم الجامحة ، كما أسكتت وأبكت عواصف البحر الثائرة ، فتركوا مجموعهم
حيارى مضطربين : « ومضى كل واحد الى بيته »

رجل واحد هو نيقوديموس ، قال كلمة هادئة ، فصارت هادية للمجمع
بأسره . فقد تجدد واحداً واقعاً منفرداً ، لكنه يكون أغلبية متى كان في جانب
الحق . وقد يتفوه رجل واحد بكلمة واحدة ، فيحول تيار اضطهادات لا حصر
لها ، الى اتجاه جليل ومجيد

الاصحاح الثامن

١ اما يسوع

عطف المسيح وصفحه ٨: ١ - ١١

هذه حادثة فريدة في بابها ، موسومة بطابع خاص في اسلوبها وموضوعها .
لذلك قد أحيطت بشيء من الشبهات ، سيما من جانب الذين لم يفهموا حقيقة
مراميها ، فظنوا خطأ أنها تعلم التساهل في الشر ، وقد فاتهم ان الصفح عن
الشر شيء ، وأن التساهل فيه شيء آخر . هؤلاء يمسخون رسالة هذه الحادثة
اذ يبترونها ، فيذكرون الجزء الاول من قول المسيح للمرأة : «ولا انا أدينك»
وينسون — او يتناسون — الجزء الثاني منه : «اذهي ولا تخطي أيضاً» . لم
يقصد المسيح بالجزء الاول من كلامه ، ان يشجع المرأة على الشر ، وانما اراد ان
يشجعها على ترك الشر . فكانت كلمته لها ، شرطاً حاداً قطع به كل صلة
بينها وبين ماضيها الاسود . بل كانت يداً لطيفة رفعت عنها حملاً أثقل كاهلها ،
وبلسماً شافياً للشلل النفسي الذي اصابها بسبب الخوف ، والفرع ، وتأنيب
الضمير . لا بل كانت قوة سحرية ، فتحت امامها باباً متسعاً من الرجاء
ما أشبه هذه الحادثة بشعاع قوي كشاف ، كشف لنا عما في قلب المسيح
من طهر وصفاء وتسامح ، وأعلن ما في قلوب الكتبة والفريسيين من خبث ،
وقسوة ، وعدم نزاهة

في هذا الحادث ، يتجلى امامنا سلطان المسيح البار ، وجبن الفريسيين

فمضى الى جبل الزيتون . ٢ ثم حضر أيضاً الى الهيكل في الصبح

الاشرار . كلمة واحدة وجهها المسيح اليهم ، فكانت شبيهة بقذيفة شتتت شملهم ، فخرجوا واحداً فواحداً مبتدئين من الشيوخ . وما هي الا كلمة الحق ارتدت أمامها فلول البطل . ولا شيء . يعدل شجاعة البار ، سوى جبن الشرير عدد ١ . كلمة تاريخية عامة : «أما يسوع فمضى الى جبل الزيتون» . هذه الكلمة التاريخية ، مكلمة لتلك التي أختتم بها الاصحاح السابق : « فمضى كل واحد الى بيته .. اما يسوع فمضى الى جبل الزيتون » — هذا هو بيت المسيح الذي قضى فيه ليالي عدة منفرداً في الصلاة

من السنهدريم الى جبل الزيتون ! لعله وجد في وحوش البرية ، قلوباً اكثر ايناساً من قلوب اولئك الوحوش المتسربلين لباس البشر . فكم من وحوش مستأنسة ، وكم من بشر مستوحشين ! « الى جبل الزيتون » ! في بيوت البشر لم يجد مكاناً يسند اليه رأسه ، فوجد هذا المكان بين احجار الجبال ؟ فيا لظلم البشرية ، ويا لتعاستها . فقد جهلت فاديها . وانكرت اكبر محسن اليها عدد ٢ . كلمة تاريخية خاصة بالحادثة : « ثم حضر أيضاً الى الهيكل في الصبح .. » . طلعت شمس الطبيعة من وراء افق جبل الزيتون ، وأطلت على العالم الذي خيم عليه ظلام الليل الدامس ، فنثرت عليه اشعتها الذهبية حاملة ضياء وشفاء . وفي هذا الوقت عينه ، « في الصبح » ، خرج « شمس البر » ، تاركاً جبل الزيتون عينه ، وأطل بوجهه الوضاح على الساكنين في وادي ظلال الموت ، « فأشرق عليهم ، وفي اجنحته شفاء » . وأول مكان نشر فيه

وجاء اليه جميع الشعب فجلس يعلمهم . ٣ . وقدم اليه الكتبة
والفريسيون امرأة أمسكت في زنا . ولما أقاموها في الوسط

اشعة انواره ، هو « الهيكل » : « وجاء اليه جميع الشعب » المتشوق للنور ،
« فجلس يعلمهم » — والعلم نور سواء أكان في عالم الأدب ام في عالم الروح

عدد ٣ . (أ) عدم نزاهة الفريسيين وروحيهم : « وقدم اليه الكتبة
والفريسيون امرأة أمسكت في زنا » — هذا برهان علم نزاهتهم . لما فشل
هؤلاء القوم في القاء القبض على المسيح ، وعجزوا عن ان يقاوموا حكمته
المقنعة ، لجأوا الى حيلة مقنعة ، ليقيموا منها فخاً يمسكون فيه المسيح بكلمة . ولا شيء
أدل على عدم نزاهتهم أكثر من انتهازم فرصة ضعف امرأة مسكينة أغويت
على الشر ، وزلت بها القدم ، فاتخذوا منها وسيلة بها يمسكون المسيح بكلمة .
فكأنهم جعلوا من ضعف المرأة وقوداً لتغذية نيران حقدهم على المسيح . وان
اناساً هذا شأنهم ، لو لم يجدوا امرأة ساقطة ، لأسقطوا امرأة لينالوا مأربهم .
« ولما أقاموها في الوسط » — يا للقسوة ! بدلاً من ان يقيموها من سقطتها ،
ويعالجوا بقوتهم ضعفها ، عرّضوا بها وشنّعوا بخطيتها . اذ « أقاموها في الوسط » ،
فأقاموا منها حجة على قسوة قلوبهم وهم لا يدرون . لم يبالوا بانكسار قلبها ،
وتعاموا عن مرارة نفسها وهم فرحون شامتون . واي شخص انحدر الى مهاوي
الرذيلة ، مثل انسان يهني نفسه على سقوط غيره . هذه هي المرة الوحيدة التي
وردت فيها كلمة : « كتبة » في بشارة يوحنا ، مع ان كلمة « الفريسيين » وردت
فيها ٢٠ مرة

٤ قالوا له يا معلم هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل .
 ٥ وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه تُرجم .

عدد ٤ . (ب) عند التهم العرماء : « قالوا يا معلم هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل » . ما هي الصفات التي يوسم بها قوم نصبوا انفسهم بوليساً على الآداب ، تطفلاً منهم ، حتى يمسكوا امرأة في ذات الفعل ؟ واذا ارادوا ان يكون حماة الآداب حقاً ، فلماذا أتوا بالمرأة وحدها ؟ اين الرجل الساقط الذي شاركها ، بل اسقطها في فعلتها ؟ حقاً ان الحياء يستحي منهم
 عدد ٥ و ٦ . (ج) فداعسهم المبرقع « وموسى في الناموس » — كلمة :
 «موسى في الناموس» ، اختص بها يوحنا البشير وحده (١: ٤٥ و ٨: ٤)

كان الوقت عيداً ، والمنازل مزدحمة بساكنيها مع الضيوف الآتين الى العيد ، فاضطر كثيرون وكثيرات ان يناموا في الخلاء . هذه الظروف هيأت مزلقاً انحدرت عليها قدام تلك المرأة المسكينة ، وكان في امكان اولئك الكتبة والفريسيين ان يرثوا لحالها ، وينظروا اليها نظرتهم الى مريضة تحتاج الى الشفاء ، لا الى مجرمة يتقدمون بها الى القضاء

« موسى في الناموس اوصانا ان مثل هذه تُرجم » — تظاهروا بالحرص على وصية موسى ، لكنهم كانوا حريصين على الايقاع بالمسيح . فوجهوا هذا السؤال الى المسيح ، لا لكي يستنيروا برأيه ، فقد اعترفوا بانهم عالمون بالناموس (تت ٢٢: ٢٣ و ٢٤ ، ولاويين ٢٠: ١٠) ، بل قصدوا ان يقيموا من سؤا لهم هذا ، شركاً يوقعون المسيح فيه . فان قال لهم : « ارجوها

فإذا تقول أنت. ٦ قالوا هذا ليَجربوه لكي يكون لهم ما يشتكون به عليه. وأما يسوع فأنحنى إلى أسفل وكان يكتب

واقتلوها» ، ألصقوا به تهمة الاعتداء على حقوق قيصر (انظر يوحنا ١٨: ٣١) ، واشتكوا عليه لدى بيلاطس . وان قال لهم : « ارحموها واعفوا عنها » ، نسبوا اليه تهمة الاعتداء على حقوق موسى الذي قال في ناموسه : « ان مثل هذه تُرجم » ، واشتكوا عليه لدى مجمع السنهدريم . هذه احبولة خفية دينية ، نصبوها ليوقعوا فيها مخلص البشرية ، فهي شبيهة بحرب الخنادق . ان قوماً كهؤلاء لا يستحقون ان يحسبوا في عداد بني آدم . بل هم من ابناء المجرّب (٤: ٨) ، فالكلمة التي استعملت عنهم في عدد ٦ : « ليَجربوه » ، هي عين الكلمة التي استعملت عن ابليس المجرّب (مت ٤: ١ و ٣)

فلا عجب اذا امتلأ قلب المسيح بالحزن عليهم : « فأنحنى الى اسفل وكان يكتب باصبعه على الارض » . ان في صمت المسيح أبلغ جواب على سؤالهم المليء بالسكر . ولعله امتنع عن الجواب لان مثل سؤالهم لا يستحق جواباً ، ولانه صرّح مراراً وتكراراً ، انه لم يأت ليدين بل ليخلص

تشعبت افكار المفسرين في محاولتهم ان يعرفوا السبب الذي من اجله أجاب المسيح بالكتابة على الارض ، يقول بعضهم ان المسيح كان يكتب على الارض بعض الكلمات التي تفضّ هذا الاشكال ، كذلك التي جاءت في لاويين ١٠: ٢٠ ، وث ٢٢: ٢٢ . ويقول البعض الآخر انه كان يكتب ما جاء في عدد ١٧: ٥ ، عن شريعة مقدمة الغيرة المتعلقة بامرأة تحيد عن

بأصبعه على الأرض . ٧ ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم

رجلها وتخونه: « يأخذ الكاهن من الغبار... ويحمل في الماء ويوقف الكاهن المرأة امام الرب... ». ويقول آخرون ان المسيح كان يشير بكتابه الى ما جاء في ارميا ١٧: ١٣ « الحائذون عني في التراب يكتبون ». ويقول قوم ان المسيح لم يقصد بكتابه على الارض شيئاً ، سوى علم اجابته المشتكين على سؤا لهم . ويقول آخرون ان المسيح اشار بكتابه الى الشريعة المكتوبة على صفحات ضمائرهم بأصبع الله . ويعتقد آخرون ان كتابة المسيح على الارض ، تشير الى كآبته وحزنه على القوة التي تملك بها الخطية على قلوب الناس ، فأغرت امرأة على السقوط ، وهوت بالزعماء الدينيين الى حضيض الخبث . ويقول غيرهم ، ان المسيح كان يكتب خطايا اولئك المشتكين امام اعينهم . ويعتقد جوذي ان المسيح كان يكتب حكم القضاء عليهم ، وانه كتبه على دفعتين . وربما كان الفكران الاخيران اقرب الجميع الى الصواب

وجدير بنا ان نلاحظ ان هذه هي المرة الوحيدة التي نرى فيها المسيح

يكتب

عدد ٧ . الجواب الفامص . « ولما استمروا يسألونه انتصب وقال : » .

لم يعتبر اولئك القوم بصمت المسيح . ولعلمهم ظنوه صمت العجز ، فالحوا عليه في الكلام ، « ولما استمروا يسألونه » التي سلاح الصمت جانباً ، وصوب اليهم جواباً قاطعاً كالسيف ، نافذاً كالسهم ، كاشفاً كالنور ، لاذعاً كالسوط ، ملهباً كالنار . . « فانتصب وقال لهم من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً

من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر . ٨ ثم انحنى أيضاً إلى أسفل وكان يكتب على الأرض . ٩ وأما هم فلما سمعوا

بحجر . أمام هذا القول الفاحص وقعوا في الهوة التي حفروها بأيديهم
عدد ٨. تمت القضاء . ولكي يترك المسيح لضمائرهم مجالاً لتحتج عليهم،
عاد إلى صمته الأول : « ثم انحنى أيضاً إلى أسفل وكان يكتب على الأرض » .
ومن المهم أن نذكر أن المسيح لم يجبههم بهذا الجواب ، من قبيل التحدي
والإفحام وكفى ، لكنه قدّم بقوله هذا ، مبدأ أساسياً للدينونة الحقيقية . لأنه
لا يحق لشخص أن يجلس على كرسي الدينونة إلا المسيح الكامل الواحد . بهذا
الجواب أراهم المسيح أن سلطة القضاء قد ذهبت عنهم بسبب خطاياهم
واستعبادهم للنير الأجنبي . على أن المسيح لم يقدم هذا الجواب باعتبار كونه
حياناً ، إنما قدّمه باعتبار كونه مخلصاً ومعلماً أدبياً ، وروحياً . فكان جل قصده
أن يحمل أولئك المشتكين على أن ينصرفوا عن مراقبة الناس ، إلى إصلاح
ذواتهم — هذا خير لهم وأبقى . سيما وأنهم لم يكونوا قضاة بحكم وظيفتهم بل بحكم
ادعائهم . بهذا القول أنقذ المسيح المرأة من حكم الموت ، من غير أن ينقض
ناموس موسى ، إذ عطل الأيدي المنفذة من غير أن يعطل الشريعة . أما احترامه
لناموس موسى ، فظاهر من قوله ، « فليرمها أولاً بحجر » . وأما تعجيزه
للأيادي المنفذة ، فواضح من القول : « من كان منكم بلا خطية »

عدد ٩ . (أ) القضاء بدماءه فقص اللهام : « وأما هم فلما سمعوا .. »
في الفترة التي انحنى فيها المسيح ل يكتب على الأرض ، استراح أولئك الناس

وكانت ضمائرهم تبكثهم خرجوا واحداً فواحداً مبتدئين من
الشيوخ إلى الآخرين . وبقى يسوع وحده

من نظرات القادي التي كانت مصوبة اليهم ، لكنهم لم يستريحوا من تأنيب
ضمائرهم . ومن العجب ، ان ضمائرهم ظلت حية متيقظة رغم خطاياهم المتنوعة
التي كانوا عائشين فيها . فقد كنا نخشى ، مع تلك المرأة المسكينة ، انه بمجرد
خروج آخر كلمة من فم المسيح ، ينهال عليها اولئك الناس بالاحجار ، ليبينوا
بذلك انهم بلا خطية . لكننا نحمد الله على وجود الضمير في قلب جميع الناس
حتى المنحطين . فهو البقية الباقية من نور الله في قلب الانسان بعد سقوطه .
ان كلا منهم تطلع الى الآخر منتظراً ان يكون هو البادى برمي اول حجر ،
فخاب انتظارهم في بعضهم البعض ، بعد ان خاب انتظارهم في انفسهم . فلم يبق
امامهم الا ان ينسلوا خارجين ، مبتدئين من المعتبرين . وهنا أمسى القضاء
متهمين ، فتطوعوا بالدخول الى قفص الاتهام فرداً فرداً ، لان الضمير يحاكمنا
افراداً لا جماعات . ولأن قضاءه يبتدىء من المتقدمين فالآخرين . كذلك قضاء
الله العادل — فردي ، ويبتدىء أولاً من بيت الله (١ بط ٤ : ١٧) . عجيب ان
شيخوخة الشيوخ لم تنسهم خطاياهم ، وان نزع الشباب لم يدفعهم الى الاقتحام .
وربما خرج الشيوخ أولاً لان قائمة خطاياهم كانت قد طالت بطول اعمارهم
ان كل خاطئ يحمل في قلبه أسداً رابضة ، وعند أقل اشارة من الضمير ،
تنور هذه الأسد الضارية وتسلب الانسان كل سلام واطمئنان

(ب) التامل الوردى : « وبقى يسوع وحده والمرأة واقفة في الوسط »

والمرأة واقفة في الوسط

اننا نحتاج الى ريشة ملائكية لتصوير احساس تلك المرأة المسكينة ، بعد ان وجدت نفسها امام يسوع وحده . هنا التقت الانسانية في أحط دركاتها — ممثلة في تلك المرأة الساقطة ، بالانسانية في اسمى درجاتها — ممثلة في المسيح . هنا تلاقى قلب الليل بصدر النهار . هنا شعرت المرأة ان غمامة سوداء قد أزيحت عنها ورأت نفسها وجهاً لوجه امام «شمس البر» . «يسوع وحده» — هذا هو الكامل الأوحد الذي لم يعرف خطية . فهو وحده الذي له الحق ان يرميها اولاً بمجرى، وهو وحده الذي لم يفعل ذلك . لأنه لم يأت ليدين بل ليخلص . ان اسرع الناس الى الحكم على الناس ، هم أحط الناس لا اشرفهم . وكما ارتقى الانسان على سلم الشرف صار أكثر عطفاً على الجاهل والضالين . العين الشريرة ترى لتحكم . والعين الطاهرة ترى لتنصح وتصلح . القلب الدنس يفتش عن المعاييب بمصباح ديوجين ليشرها ، والقلب الطهور يفتش عن المحاسن ليشجعها . يسوع وحده ! هذا جبل تجلٍّ آخر رفعت عليه المرأة (قابل مت ٨: ١٧) . الآن وقد انصرفت عنها الوحوش المتأنسة رأت نفسها امام الله المتأنس الآن سكنت عنها اصوات المشتكين لكن لم يسكت عنها صوت الضمير . وذهب عنها حكم الناموس فبقي لها ان تسمع حكم النعمة

«وقفت في الوسط» — في المكان الذي اوقفها فيه المشتكون ، بل في المكان الذي اوقفها فيه خطيتها ، بل في المكان الذي ينبغي ان يقف فيه كل خاطيء امام الله . ولولا ان ادركها المسيح بكلمة الغفران لظلت واقفة في ظلام وحدتها ووحشتها الى الأبد

١٠ فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحداً سوى المرأة قال لها يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليك. أما دانك أحد. ١١ فقالت لا أحد يا سيد. فقال لها يسوع ولا أنا أدينك

عدد ١٠. استجواب النعمة «قال لها يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليك. أما دانك أحد؟» كان في إمكان المسيح أن يرميها بحجر، وإن يوقع عليها أي قصاص، ليبرهن أنه هو بلا خطية، وليعلن تفوقه في السلطان على المشتكين. إلا أنه أظهر فعلاً هذا التفوق في السلطان، ولكن برحمة النعمة، لا برجمة الناموس. فإذا كان رجم المذنب يستلزم سلطان القاضي، فإن غفران الخطايا يستلزم سلطاناً أعظم — سلطان الله نفسه، لأن غفران الخطايا، حق لله وحده

سأل المسيح هذين السؤالين لكي يعيد إلى المرأة المسكينة اطمئنانها، ولكي يفهم الموجودين من الجمع — وهم غير المشتكين — أن القضية سقطت. لأن المشتكين انسحبوا من الجلسة. فلا مدّعى ولا شاهد

عدد ١١. حكم النعمة. «فقال لها يسوع ولا أنا أدينك اذهبي ولا تخطئي ايضاً». في جواب المسيح هنا، نرى رحمة، فتبريراً، فقضاء. أما الرحمة فظاهرة من القول، «ولا أنا أدينك». إذا كان الذين اجلسوا انفسهم على كراسي الدينونة قد تنازلوا عن الدينونة، فهل يدينها القادي الذي جاء ليخلص (يو ٣: ١٧)؟ تذكرنا هذه الكلمة بما جاء في رومية ٨: ٣٤ «من هو الذي يدين؟ المسيح هو الذي مات». أما التبرير فواضح من قوله: «اذهبي».

اذهي ولا تخطي أيضاً

ولا يبرحنّ عن اذهاننا ان البراءة شي والتبرير شي آخر . فالبراءة اعلان براءة البار . لكن التبرير هو حسابان المذنب كأنه بار ومسامحته على ذنبه . لم يقل المسيح للمرأة : « اذهبي بسلام » ، كما قال لغيرها (لوقا ٧: ٥٠ ، ٤٨: ٨) ، ذلك لانها لم تأت طائعة مختارة طالبة الغفران ، لكن غيرها قد أتت بها . انما هذه هبة الغفران قُدمت لها ، ولها الحق ان تقبلها او ان ترفضها . هذا باب جديد للرجاء ، لها ان تدخله او ان تتحول عنه . فلن يكون السلام من نصيبها حتى تدخل الى فردوس الغفران وتمتع بلذيد ثماره . واما القضاء ، فظاهر من قوله : « لا تخطي ايضاً » . نعم هذا قضاء ، بل دينونة — ولكن على الخطية ، لا على المرأة . فالمسيح برّر المرأة . ودان خطيتها . وهو لم يدن تلك الخطية الخاصة التي وقعت فيها وكفى ، لكنه دان الخطية بوجه عام . فقد عالج شجرة الخطية من جذعها . لا من احد فروعها

يخطئ من يعتقد ان المسيح تساهل معها في خطيتها . ذلك لانه لم يتجاهل خطيتها . بل ذكرها بها ، ولكن بلطف . اذ قال لها « لا تخطي ايضاً » علم القادي ان اكبر عقبة في سبيل تلك المرأة ، هي خطيتها . فلو بقيت عائشة تحت سحابة خطيتها ، لانغمست في الشر ، وعاشت فيه محترقة . لذلك رأى القادي ان اعظم علاج لها ، ان يقطع كل صلة تربطها بالماضي ، وان خير علاج يقطع صلتها بالماضي هو الغفران . فلم يرد المخلص ان يتركها فريسة الماضي الاسود ، بل جعلها ابنة المستقبل المنير

١٢ ثم كلمهم يسوع أيضاً قائلاً أنا هو

يسوع نور العالم ٨: ١٢ - ٢٠

نرى في هذا الفصل : أولاً : شهادة ٨: ١٢ . ثانياً : اعتراضاً ٨: ١٣

ثالثاً : جواباً ٨: ١٤ - ١٩ . رابعاً : كلمة تاريخية ٨: ٢٠

عدد ١٢ . أولاً : شهادة يسوع عن نفسه انه نور العالم - أو -

العمود الثاني في بشارة يوحنا «... أنا هو نور العالم»

«في الصباح» وقد اشرقت شمس الطبيعة من وراء جبل الزيتون ، طلع

أيضاً «شمس البر» من وراء الجبل عينه ، و اشرقت انواره في أرجاء الهيكل

فنادى سامعيه قائلاً : «أنا هو نور العالم»

• في ذلك الوقت كان رب الهيكل قد دخل الى هيكل الرب ، ونطق

بهذا الكلام : «في الخزانة وهو يعلم في الهيكل» . وهناك تجاه الخزانة كانت

منارتان مضيئتين في الليل مدة العيد ، في دار النساء . وكانت انوارها ساطعة

في أرجاء اورشليم كما يقول الراييون ، وفي ضوء انوارها كان يطرب المعيدون .

ويقول بعضهم ان المسيح أشار الى المنارتين عند ما قال : «من يتبعني فلا يمسي

في الظلمة» . على انه من المحقق ان هاتين المنارتين ، كانتا رمزاً لعمود النار ،

الذي كان يقود الاسرائيليين ليلاً مدة ارتحالهم في البرية الموحشة المظلمة .

فيكون المسيح اذاً ، قد حوّل انظار سامعيه عن المنارتين ، وعن عمود النار ،

الى شخصه العجيب قائلاً : «يا ايها الناس حوّلوا انظاركم عن الرمز الى

الحقيقية وانصرفوا عن الظلال الى الجوهر . ان عمود النار كان يضيء على

نور العالم

جماعة قليلة في البرية . اما انا فاني نور العالم بأسره»
 هذا هو الاعلان الثاني الذي فاه به المسيح عن نفسه في هذه البشارة
 ان لهذا الاعلان جانبين : اولهما — يتصل بالمسيح نفسه : « انا هو نور
 العالم » . وثانيهما — يتصل بتابعيه : « من يتبعني فلا يمشي في الظلمة »

الجانب الاول يصف المسيح : في شخصه وفي طبيعته ، وفي عمده . فالمسيح
 نور في شخصه — هذه شهادة ضمنية للاهوت المسيح . فالله نور في تجلياته ،
 وفي صفاته . ظهر الله لموسى في هيئة نار (خروج ٣ : ٣١) ، وعند ارتحال بني
 اسرائيل من سكوت ونزولهم في طرف البرية « كان الرب يسير امامهم . .
 ليلاً في عمود نار ليضيئ لهم (خروج ٣ : ٢٠ و ٢١) . ويقول داود : « الرب نوري »
 (مزمور ١٣٧ : ١) . ومن المحقق ان كل الأوصاف التي قبلت عن « يهوه » في
 العهد القديم هي بعينها اوصاف المسيح الذي هو « الله ظهر في الجسد »

المسيح نور في طبيعته — « لا ظلمة فيه البتة » ، « من منكم يبكتني على
 خطية » ؟ « يأتي رئيس هذا العالم وليس له في شيء » . هو نور من نور . اله
 حق من اله حق . هو « النور المضيئ في الظلمة والظلمة لم تدركه »
 المسيح نور في عمده . ومن عمل النور : حفظ الحياة ، والاضاءة ، والشفاء ،
 والهداية ، والعزاء

المسيح نور العالم لا نور اليهود وكفى . لانه نشر نوره ساطعاً على كل
 شيء في الوجود ، فأرانا كل شيء في قيمته الحقيقية . لقد التقى نوراً ساطعاً على

من يتبعني فلا يمشي

الطفولة اذ رحب بالأطفال : « دعوا الاولاد يأتون اليّ » . ولقد أحاط المرأة الضعيفة بنور سماوي فرفع قيمتها . وقدسها اذ وُلِدَ من امرأة . ولقد انار الحياة والخلود بالانجيل . قبله كان القبر مظلماً ذا باب واحد ، يأخذ الأحياء ، ويضعهم الى هاويته العميقة التي لا تشبع . لكن بموت المسيح وقيامته صار القبر مضيقاً مشرقاً ، اذ فُتِحَ فيه بابٌ آخر يطلُّ على عالم الخلود فصار القبر يُعطي كما يأخذ . فمن يأخذهم في عالم الفناء ، يقدمهم الى دار البقاء .

وقد اشعل المسيح نور الحكمة في صدور كل الحكماء في العالم^(١) على مر الاجيال . فهو نور اغسطينوس ، وسقراط ، والغزالي ، وغاندي « كان النور الحقيقي الذي ينير كل انسان آتياً الى العالم » باعتبار كونه كلمة الله (٩: ١) الجانب الثاني من هذه الشهادة يتعلق بتابعي المسيح : « من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة » — الاشارة هنا الى موقف الاسرائيليين في البرية ، حين كانوا يتبعون عمود النار (عدد ٩: ١٦ و ١٧) . ومن الاهمية بمكان ، ان نلاحظ ، ان المسيح مع كونه نور العالم ، الا انه لا يعلن لنا نوره الا خطوة خطوة . فهو لا يعلن لنا نور الخطوة الثانية الا بعد ان نكون قد خطونا الخطوة الاولى بأمانة . انه لا يقدم لنا خريطة الحياة باكملها ، لنراها دفعة واحدة ، لئلا نؤخذ بمفشلاتها فنضجر ، وتبهرنا مشجعاتها فننفخر . لكنه يرينا من خريطة الحياة ما يكفي لسيرنا ساعة فساعة ، ويوماً فيوماً . نعم هو يكشف لنا جعالة دعوة الله ، لكن في مسيرنا اليومي يقدم نور الكفاف

(١) جاء في التلمود — قسم السبت — الفصل الثاني : « كان آدم الاول نور العالم »

في الظلمة بل يكون له

لأرجلنا، لكي نحفظنا على الدوام قريبين منه، موالين له مطيعين لأرشاداته،
معتبرين بتحذيراته. فمن واجبنا ان نسير وراءه متمهلين ، غير متباطئين .
نشطين غير مستعجلين. فلا نتباطأ لئلا يسبقنا فلا نراه. ولا نستعجل لئلا نسبقه
فنضل الطريق . وليس النور للكسالى المتنعمين بل للمجاعدين المتشغولين
ومتى قبلناه وتبعناه ، صار من حقنا ان نتمتع بالبركة الموعودة : « فلا يمسي
في الظلمة » — هذا وعد سلمي — والظلمة رمز الخطية والشك ، والحزن ،
والياس . « بل يكون له نور ^(١) الحياة » — هذا وعد ايجابي — والنور رمز
الخلاص ، واليقين ، والفرح ، والرجاء

يراد بنور الحياة ، ذلك النور الذي : (ا) ينبع من الحياة (٤ : ١)
« فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس » . (ب) وينشئ الحياة . فالحياة
منبعه ومآله . منها يأتي واليها يؤول . وكما ان المسيح هو « خبز الحياة »
و « ماء الحياة » ، كذلك هو ايضاً « نور الحياة »

لم يضع المسيح نفسه جنباً لجنب مع سائر المعلمين . فهو لم يقل : « انا
اعطي نوراً » ، بل أرانا انه نور ، فلن نحظى بالنور الا اذا قبلنا المسيح
نفسه في قلوبنا . وليس هو نوراً يُنال نفعه بالنظر اليه ، بل بقبوله والاستفادة
منه . هنا تمت لليهود تلك النبوءات الجليلة التي تحدث عنها اشعياء : « الشعب
السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً » (اش ٩ : ٢ و ٦٠ : ٣)

(١) يقول اغسطينوس « النور يكشف المرثيات ، ويفتح العيون السليمة ، وهو خير
شاهد لنفسه »

نور الحياة . ١٣ فقال له الفريسيون أنت تشهد لنفسك . شهادتك ليست حقاً .

اما كلمة : « ايضاً » التي في مقدمة هذا العدد ، فهي تفيد انتقالاً في الفكر . فكما كلمهم المسيح في الاصحاح السابق ، عن شخصه باعتبار كونه الصخر الحي الذي كان صخر البرية رمزاً له (٣٧: ٧) ، كذلك كلمهم هنا عن شخصه باعتبار كونه النور الكامل ، الذي كان نور البرية رمزاً له

ان موضوع الحديث الاول ، هو الحياة ، وموضوع الحديث الثاني هو النور الذي ينبع من الحياة ويؤدي اليها . ان واجبنا تلقاء نعمة الحياة ، ان نقبلها . وواجبنا حيال نعمة النور ، ان نتقدم اليه وتقديمه للآخرين . فالواجب الاول يُعبّر عنه بالايان ، والواجب الثاني يُعبّر عنه بالحياة العملية

عدد ١٣ . ثانياً : اعترضه الفريسيين : « فقال له الفريسيون .. » . من اقوال الرايين المأثورة : « ليس من حق اي انسان ان يشهد لنفسه » . بناء عليه ، قدم الفريسيون اعتراضهم . فلم يقصدوا بقولهم : « ليست حقاً » ، انها شهادة كاذبة ، بل انها غير مبنية على اساس متين . انهم لم يستجوبوه عن طبيعتها ، بل عن سلطانها . ومع ان سلطانها انهم ، الا انهم اناس « رسميون » ، كانوا يطلبون سلطاناً « رسمياً » . فاعتراضهم كان منصباً على « الشكل » لا على « الموضوع » — هذا ينم عن حقيقة حياتهم : « لهم صورة التقوى لكنهم ينكرون قوتها » . ولعلمهم في اعتراضهم هذا ، قصدوا ان يستغلوا كلام المسيح الذي فاه به في ٣١: ٥ « ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً »

١٤ أجاب يسوع وقال لهم وان كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق
لأنني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب.

عدد ١٤ . ثالثاً : جواب المسيح على اعتراضه الفريسيين « اجاب يسوع
وقال لهم . . . » ١٤:٨ - ١٩ . في هذه الاعداد اجابهم المسيح مدافعاً عن :
(١) شهادته في موضوعها ومبرهاها (١٤:٨) ، (ب) شهادته في شكلها
وسلطتها (١٥:٨ - ١٨)

(١) دفاعه عن شهادته في موضوعها ومبرهاها : « اجاب يسوع وقال
لهم . . . » — ان شهادته حق ، لانها شهادة الواثق المتيقن . فهو عالم موقن ،
ليس فقط بما يقول ، بل بمن يقول . ولقد جمع في علمه طرفي الازل والابد —
اذا جاز ان يكون لها طرفان : « لاني اعلم من اين اتيت والى اين اذهب » .
ان كلام المسيح هنا ، لا يتناقض مع كلامه في ٣١:٥ . لانه اثبت حقه في
الشهادة هناك ، فلا داع لتكرار هذا الاثبات هنا . نطق بقوله السابق ،
قبل ان يؤيد شهادته بشهادة الآب ، وشهادة يوحنا المعمدان ، وشهادة المعجزات .
اما وقد أيدها ، فمن حقه ان يقول : « وان كنت اشهد لنفسي فشهادتي حق » .
زد على ذلك ان شهادته هنا ، شهادة وجدانية ذاتية ، كشهادة النور لذاته
تتضمن شهادته هذه شعوراً ذاتياً بـ :

(١) ومبراته الخالي : « لاني اعلم . . » (ب) . أصله : « من اين اتيت » .
(ج) مآله : « والى اين اذهب » — هذه دعامة مثلثة

كان من مقتضيات كلامه في ٣١:٥ ، ان يتخذ طوعاً واختياراً موقف

وأما أنتم فلا تعلمون من أين آتي ولا أين أذهب . ١٥ أنتم حسب

الشاهد العادي ، فدعمها بشهادة آخرين . ولكن من مقتضيات كلامه هنا ، بعد أن توغل أعداؤه في الخصومة ، وتمادوا في الاعتراض ، ان يتبوا مقامه الممتاز، الخوّل له ، بحق نسبته الفريدة الى الآب . فمن حقه ان يستخدم جلال لاهوته . ومن حقه أن يتخلى عنه . فمن حق القائد ان يستل سيفه ، ومن حقه ايضاً ان يغمده (انظر ٨: ١٧ و ١٨)

لا يوازي علم المسيح بحقيقة نفسه ، سوى جهل الفريسيين به : « وأما أنتم فلا تعلمون من أين آتي ولا الى أين اذهب » . في هذه العبارة يقرر المسيح حقيقة راهنة ، ويوجه اتهاماً الى خصومه ، الذين زعموا انهم حملة مفاتيح العلم : « وأما أنتم فلا تعلمون » . ان جهالتهم اختيارية ، تبرّعوا بها لا تقسهم ، لانهم اغلقوا قلوبهم ضد النور . فهم وحدهم المسئولون عن هذه الجهالة . ولو شاءوا لعلموا من نيقوديموس ومن سواه ، من أين جاء المسيح ، وإلى أين يذهب (يوحنا ٣: ٩-١٣) . بل كان في امكانهم ان يعلموا ذلك من اعمال المسيح ، وحياته الفريدة الناطقة بذلك

عدد ١٥ . (ب) شهادة في شكلها وسلطانها (٨: ١٥-١٨) « أنتم حسب الجسد تدينون » . يشير المسيح بقوله هذا الى ادانة الفريسيين له ، التي ينم عنها اعتراضهم عليه (عدد ١٣) . يراد بقوله « حسب الجسد » : (أ) المظهر الخارجي الذي يحيط بمن يجعلونه موضوعاً لدينوتهم — هذا بمثابة القول : « أنتم تحكمون حسب الظاهر » (٧: ٢٤) . هذا قول عام . ومن قبيل التخصيص

الجسد تدينون. أما أنا فلست أدين أحداً

ينطبق عليهم في اداتهم المسيح. لانهم في حكمهم عليه ، نظروا فقط الى رداء الجسد الذي كان متسربلاً به ، فلم يعرفوا «من اين هو» ، ولا «الى اين يذهب». لان نظرهم لم يتعدّ أفق عائلته الوضيعة فتصودوه ابن مريم ويوسف «على ما كان يُظن» (٢٧: ٧). (ب) الحجاب المادي الذي حجب عيونهم عن النظر الى العمق ، والروح ، والحقيقة. لانهم لم يحكموا بالعقل الباطني المستنير ، بل بمراى عقولهم المادية الطبيعية ، التي يتردّ بصرها حسيراً امام الروحانيات ، وبالأولى أمام شخص المسيح

اذا كانت الاشياء تتميز بضدها ، فان أنوار رحمة المسيح تجلت وسطعت تجاء لوحة تصرفاتهم السوداء . « انتم تدينون حسب الجسد . اما انا فلست أدين احداً» يشير المسيح بهذا الى القصد الأولي من مجيئه الى العالم «لانه لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم» : (١٧: ٣) . «لست أدين احداً» — ألا يحمل قوله هذا، اشارة ضمنية الى كلامه للمرأة: «ولا انا أدينك» (١١: ٨) ؟ بلى . لم يأت المسيح ليدين احداً سوى ذاك الذي يرفض النور ، فيجلب الدينونة على نفسه . لانه وان كان النور قد أعطي اصلاً ليضي ، لكن من ضرورات وجوده انه يحكم على الظلمة. فليست الدينونة غاية مجيئه ، بل هي احدى نتائج مجيئه «لم يرسل الله ابنه ليدين العالم ... وهذه هي الدينونة ان النور قد جاء الى العالم واحب الناس الظلمة اكثر من النور لان اعمالهم كانت شريرة» (١٧: ٣ و ١٩) . هذه حلقة الاتصال بين هذا العدد وما بعده

١٦ وان كنت أنا أدين فدينوتي حق لأنني لست وحدي

عدد ١٦ . الشاهد يصبح قاضياً : « وان كنت أنا أدين فدينوتي حق لأنني لست وحدي (*) بل أنا والآب الذي ارسلني » . في هذا العدد ، تدرج المسيح من الكلام عن نفسه كشاهد (عدد ١٤) ، الى الكلام عن شخصه كدينان — والدينونة نتيجة الشهادة . فكلية : « حق » في عدد ١٤ ، تشير الى موضوع شهادته . وكلية : « حق » في هذا العدد تشير الى السلطان المخول له كدينان

ولئلا يتطرق الى ذهن القريسين ، ان المسيح ليس أهلاً للدينونة ، أراهم في هذا العدد ، ان له كل المؤهلات ليدين ، متى جاء ميعاد الدينونة . كأنه في العدد السابق ، اشار الى القصد الاساسي من مجيئه الأول الى العالم : « ليخلص لا يدين » ، لكنه في هذا العدد اشار الى الغاية من مجيئه الثاني : « ليدين لا ليخلص »

يعتقد بعضهم ان المسيح اراد بقوله : « لست أدين احداً » ، انه « لا يدين

(*) توضيحاً لهذا القول ، نستعير من التاريخ حادثة ، من قبيل القياس مع الفارق . في عام ١٦٦٠ م . تجرأ واعظ اسمه هدينجر (Hedinger) فوجح حاكم بلاده على خطية خاصة فثارت ثورة ذلك الرجل واستدعى الواعظ امامه ليحاكمه ويوقع عليه قصاصاً مريعاً . وبعد صلاة عميقة ظهر الواعظ امام الحاكم وعلى وجهه مسحة ملائكية . فتفرس فيه الحاكم متأملاً وقال : « يا هدينجر ألم أوصيك ان تظهر امامي وحدك » ؟ اجابه الواعظ « عفواً ! فقد جئتك وحدي كما أمرت » . فظهرت على ملامح الحاكم علامة الاضطراب والارتباك كأنه رأى - شخصاً غريباً في معية هدينجر ، وقال فرعاً : « ولكنك لست وحدك يا هدينجر » . اجابه الواعظ بكل ثبات : « اذا كان الهي قد سُرَّ بأن يضع في معيتي ملاكاً من حرسه الاعلى ، فاعلي الا ان اشكره تعالى » . فتاب الوالي عن شره ، واعتذر للواعظ

بل أنا والآب الذي أرسلني . ١٧ وأيضاً في ناموسكم مكتوب أن
شهادة رجلين حق . ١٨ أنا هو الشاهد لنفسي

أحداً» على الطريقة الفريسية : «حسب الجسد» . ويقول جودي ان المسيح
نفي ادانته للأفراد ، وقرر ادانته للجماعات والعالم

أما سلطانه في الادانة ، فانه مستمد من شركته مع الآب «لاني لست
وحدى بل انا والآب الذي أرسلني» . فالآب يفحص ويحكم . والمسيح ينطق
بالحكم . فهو اذاً حاكم بلسان وساطان الله الآب ، ديان الاحياء والاموات

عدد ١٧ و ١٨ . الشهادة المزدوجة «وأيضاً في ناموسكم مكتوب . . .»
بعد ان أقام المسيح ، الحجة في الاعداد السابقة ، على ان شهادته لنفسه حق
كشهادة النور لنفسه ، اراد — تنازلاً منه — ان يثابي محاجييه ، فأثبت لهم من
ناموسهم ، ان شهادته ليست فردية ، وإنما هي مشفوعة بشهادة «الآب الذي ارسله»
وقد خاطبهم المسيح بقوله : «ناموسكم» لا «ناموسنا» ، لانهم كانوا يتمسحون
بالناموس ويتخلون به حجتهم في ادانتهم المسيح ، ويعتقدون انهم قيمون
عليه ، فمن كلامهم دانهم . ومن جعبتهم امتشق سهماً وطعنهم . فضلاً عن
ذلك فان نسبتهم الى الناموس ، غير نسبة المسيح اليه . هذا من قبيل قول
المسيح : «أبي وأبيكم» (يو ١٧: ٢٠) . فهو ناموسهم المفروض عليهم ، ليخضعوا
له جبراً واضطراً . لكنه ناموس المسيح ، الذي وضعه هو وخضع له حباً
واختياراً (متى ١٥: ٣ ؛ ٢٧: ١٧)

ليست شهادة الآب للمسيح ، قاصرة على المعجزات ، التي هي احدى

ويشهد لي الآب الذي أرسلني . ١٩ فقالوا له أين هو أبوك . أجاب يسوع لستم تعرفوني أنا ولا أبي . لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً

البيّنات على مراقبة الآب له ، لكنها تعني أيضاً ذلك الجلال الرهيب الذي كان يحفّ بالمسيح بشكل لا تميزه العين المجردة

اقتبس المسيح في رده عليهم ما جاء في تث ١٧: ٦ و ١٩: ١٥ . ومراده من ايراد القول على هذه الصورة ، ان يثبت لهم انه اذا كانت شهادة رجلين مقبولة شرعاً ، فكم بالأولى شهادة أعظم شخصين — الآب والمسيح

عدد ١٩ . سؤالهم وجواب المسيح : (أ) سؤالهم : فقالوا له أين هو أبوك؟ لم يسألوه هذا السؤال ، على سبيل الاستنارة ، بل على سبيل الاستنكار ، والتحدي والتحقير . « أين هو أبوك » ؟ — أحضره ان استطعت ، لتسمعنا شهادته . هذا سؤال قد نقشوا فيه سموم ازدراؤهم بالمسيح ، والآب الذي ارسله (ب) جواب المسيح : « لستم تعرفوني . . . » . في هذا الجواب يتّين لهم ان سؤالهم نمّ عن جهلهم بالله ، الذي يدعون انهم في مقدمة عارفيه . وان برهان جهلهم بالله ، هو جهلهم بالمسيح المرسل منه . لان الله الآب اعلن ذاته في المسيح وحده . فمن لم يرَ في المسيح سوى ذاته الناسوتية ، فقد غابت عنه رؤية الله الذي ارسله . ولكن أنّى للعيون الجسدية ان ترى من لا يرى ، متجلياً في من يرى ! ؟ « لستم تعرفوني انا ولا أبي . لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً » . حقاً « لا يستطيع احد ان يقول ان يسوع المسيح رب الا بالروح

القدس »

٢٠ هذا الكلام قاله يسوع في الخزانة وهو يعلم في الهيكل .
ولم يمسه أحد لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد

عدد ٢٠ . رابعاً : كلمة تاريخية : « هذا الكلام قاله يسوع .. » كان تأثير هذا الكلام عظيماً ، لدرجة ان نصف قرن لم يستطع ان يمحو من ذاكرة يوحنا البشير ، ذلك المكان الخاص الذي قال فيه المسيح ذلك الكلام : « في الخزانة » كلمة : « الخزانة » كانت تُطلق غالباً على كل المكان الذي كانت تُحفظ فيه التقدمة المجموعة لاجل الهيكل وخدماته . ويُستفاد من مرقس ١٢: ٤١ ولوقا ٢١: ١ ، ان الصناديق - وهي على شكل أبواق وتعرف عند اليهود بالـ « شوفروت » وعددها ثلاثة عشر - كانت موضوعة في المكان المعروف « بالخزانة » أي في دار النساء . وبما ان مجلس السنهدريم ، كان يلتئم عادة في البهو المعروف بـ « الجازت » بين دار النساء والدار الداخلية ، وبما ان المسيح قال هذا الكلام ، والسنهدريم ملتئم ، فمن المحقق ان كلامه هذا قد بلغ آذان اعضاء السنهدريم (٧: ٤٥ - ٥٢) . ولعل البشير ذكر المكان الذي قال فيه المسيح هذا الكلام ، لكي ينبهنا الى هذه الحقيقة الأخيرة ، وليبين لنا ، ان القادي لم يقل كلامه في الخفاء ، بل في قلب الهيكل ، الواقع في قباب اورشليم ، وعلى مسمع من اكبر هيئة دينية رسمية . ومع ذلك « لم يمسه أحد » لان الرؤساء كانوا يهابون الشعب الذي كان يكنّ للمسيح كل أنواع الاحترام ، ولان المسيح كان يحفّ به نطق رهيب من المجد والكرامة ، ولم يمكنهم اختراق هذا النطاق « لان ساعته لم تكن قد جاءت بعد » . (انظر شرح ٧: ٨ و ٣٠ و ٤: ٢) وكذلك كل خادم خالداً ، حتى تأتي « ساعته »

٢١ قال لهم يسوع أيضاً أنا أمضي وستطلبوني وتموتون في

«أنا هو» ٢١: ٨ - ٢٩

اعلن المسيح لليهود ، في كلامه السابق ، انه هو الصخر الحقيقي الذي كانت صخرة البرية رمزاً له (٣٧: ٧ - ٣٩) ، وانه هو النور الحقيقي الذي كان عمود النار في البرية ظلاً له (١٢: ٨) . فكان من واجبه ان يؤمنوا انه هو المسيح ، وان يسروا في النور ما دام النور موجوداً معهم . لانه سيأتي وقت فيه يُرفع عنهم فيتركهم في ظلامهم يعمهون

عدد ٢١ . انذار في اوانه : « قال لهم يسوع ايضاً » - بعد ان سُلبت ايديهم عن القاء القبض عليه : « أنا أمضي » - بالموت ، والقيامة ، والصعود - « وستطلبوني » - فلا تجدوني - « وتموتون في ^(١) خطيتكم » - لاني جئت لأتقذك من حالة الموت التي اتم فيها ، فلم تريدوا ، لذلك ستتركون في حالتكم الطبيعية ، حال الخطية والموت

« حيث أمضي انا لا تقدر انتم ان تأتوا » - لان الهوة عظيمة بين السماء التي سأكون أنا فيها ، وبين الهاوية التي اتم فيها ، سيما بعد ان تكونوا قد رفضتم شخصي الذي جاءكم سلم اتصال بين سماءي وهاويتكم في نفس المكان الذي فاه المسيح فيه بكلامه السابق (٣٧: ٧ - ٢٠: ٨) استطرد في ذكر هذا الكلام اللاحق (٢١: ٨) ، فقدم لليهود : (١) انذاراً « أنا أمضي » . ولقد اتاهم هذا الانذار في اوانه . لان هذا كان آخر يوم في

(١) يحيل بعض المفسرين مثل هنجستنبرج الى ابدال حرف « في » بحرف الباء في الترجمة فيقولون « وتموتون بخطيتكم » اي بسببها

خطيتكم. حيث أمضي أنا لا تقدرُونَ أن تأتوا. ٢٢ فقال اليهود

آخر عيد، اجتمع فيه المسيح باليهود كجموع، فلم تبق سوى بضعة أشهر على حلول عيد الفصح الذي فيه رُفِعَ المسيح على الصليب فصيحاً لنا. إن هذه الحقيقة تكسب هذا الإنذار مسحة من الرهبة والوقار. (ب) نبوة: «ستطلبونني» — بعد فوات الفرصة حيث لا ينفع الندم بعد العدم. إن قول المسيح هنا أشد منه في ٣٣: ٧ و ٣٤. لأن طلب اليهود إياه فيما بعد، ليس طالب الإيمان، بل طلب الاتقاذ من الضيقات الزمنية، التي ستحقق بهم عند خراب اورشليم، وتشتت شملهم كأمة. (ج) حكماً: «وتموتون في خطيتكم» — ذكرت كلمة: «خطية» بالمفرد، إشارة إلى حالة قلوبهم الطبيعية في بعدها عن الله، وعدم إيمانها بالمسيح. فالمفرد يصف الأصل — كقولنا «تينة» للتعبير عن شجرة التين. والجمع يصف الأفرع والثمر، كقولنا «تين» للتعبير عن الثمر. (د) أمثلة: «حيث أمضي أنا لا تقدرُونَ أن تأتوا». إن الهوة العظيمة التي كانت بينهم وبين المسيح، والتي كان في إمكانهم أن يرتقوها بسلم الإيمان، ستثبت بواسطة عدم إيمانهم ويُختم عليها (انظر لوقا ١٦: ٣٦). هذا هو الموت الروحي الأبدي — انفصال النفس نهائياً عن المسيح — وهو يختلف كل الاختلاف عن الاقتراق الوقتي، الذي تحدث عنه المسيح مع تلاميذه في يو ١٣: ٣٣ حين وعدم أن يأتي ويأخذهم إليه (٣: ١٤)

عدد ٢٢. رد اليهود. «فقال اليهود العله يقتل نفسه». كان قول المسيح في العدد السابق كطعنة نبلاء، جرحت كبرياءهم. فقصدوا أن ينتقموا لأنفسهم،

العله يقتل نفسه حتى يقول حيث أمضي أنا لا تقدرُونَ أنتم أن تأتوا . ٢٣ فقال لهم أنتم من أسفل . أما أنا فمن فوق . أنتم من هذا العالم . أما أنا فلست

ويردوا الطعنة الى صدر المسيح ، فقالوا : « العله يقتل نفسه » ؟ فجاءت طعناتهم هذه أحدٌ منها في ٧: ٣٥ . لقد آلمهم قول المسيح : « لا تقدرُونَ أنتم أن تأتوا » ، وفي ثورة كبرياتهم ألصقوا به تهمة الانتحار — وعقاب الانتحار كما كان معروفاً لديهم — عن حق ، هو الانحذار الى الهاوية (تاريخ يوسفوس الجزء الثالث الفصل الثامن) . فاذا سلموا معه بعجزهم عن اللحاق به ، فما هذا إلا — حسب ادعائهم — عجز السماويين عن ان ينحدروا الى الهاوية ! عدد ٢٣ . جواب المسيح ٨: ٢٣ و ٢٤ . « فقال لهم أنتم من أسفل . » لقد شهد عليهم كلامهم السابق ، بأنهم كانوا في انفسهم مخدوعين . لذلك اراد القادي ان يكشف لهم حقيقة حالهم ، فبين لهم انهم واهمون ، وان الامر على عكس ما يزعمون . فان عجزهم عن اللحاق به ، ليس سوى عجز ابناء الهاوية السفلى ، عن ان يصلوا الى ابن الله . وهو عجز الارضيين عن ان يدركوا ابن السماء الذي رضي ، تواضعاً منه وتنازلاً ، ان يقابلهم بنفسه مقابلة مزدوجة : (ا) من حيث الطبيعة : « أنتم من أسفل . اما أنا فمن فوق » . (ب) من حيث الاميال والارادة : « أنتم من هذا العالم » — تعملون ارادتكم المنافية لارادة الله — « اما أنا فلست من هذا العالم » — لان طعامي ، أن اعمل مشيئة الذي ارسلني واتم عمله . فهو يختلف عنهم اصلاً ، وطبعاً ، وارادة ، وعملاً . فاذا كانوا قد

من هذا العالم . ٢٤ فقلت لكم انكم تموتون في خطاياكم . لأنكم
إن لم تؤمنوا أني أنا هو

اجازوا لانفسهم ان ينسبوا اليه نيّة الاتحار الذي ينتهي بالهاوية ، فما ذلك
الا لانهم هم من ابناء الهاوية

عدد ٢٤ . من انذر فقد اعذر : « فقلت لكم انكم تموتون في خطاياكم » .
وردت كلمة « خطايا » في هذا العدد ، بصيغة الجمع ، على خلاف ورودها في
عدد ٢١ بصيغة المفرد . فالكلام في عدد ٢١ يتناول الخطية في اصلها الواحد
— حال العداوة لله . والكلام هنا ، يتناولها في مظاهرها المتنوعة . « ان
اجرة الخطية هي موت » . فهم ابناء الموت بحكم خطاياهم . لان الخطية تتقدم
أجرتها على آخر قسط . وما من احد يغير طبيعتهم الخاطئة ، ويخلصهم من
سلطان الخطية وذنوبها ، سواه « هو » . ولا سبيل الى اتصاّهم بالمسيح سوى الايمان .
« ان لم تؤمنوا اني أنا هو تموتون في خطاياكم » . ان قول المسيح : « اني أنا هو »
— في معناه ، ومبناه حسب الترجمة السبعينية — هو ذلك القول عينه الذي نطق
به الرب « يهو » في العهد القديم (تث ٣٢: ٣٩ واشعيا ٤٣: ١٠) . ان رسالة
الله في العهد القديم هي : « انا أنا هو وليس اله معي » . ورسالته في العهد
الجديد هي . « انا أنا هو القادي وليس غيري مخلص » . ويعتقد جودي ان
المسيح قصد ان يقول لليهود : « ان لم تؤمنوا اني أنا هو مسيحكم المنتظر
تموتون في خطاياكم » ، وانه حذف كلمة « مسيحكم المنتظر » ، ليكون بلاغه أوقع
في نفوسهم . وما المسيح سوى « يهو » اله العهد القديم ، الذي ظهر في الجسد

تموتون في خطاياكم . ٢٥ فقالوا له من أنت . فقال لهم يسوع أنا من

وردت كلمة : « انا هو » ، ثلاث مرّات في هذا الفصل (عدد ٢٤ و ٢٨ و ٥٨)

عدد ٢٥ . سؤالهم وجواب المسيح عليه ٨: ٢٥ - ٢٩ : (١) سؤالهم (عدد ٢٥ (١)) : « فقالوا له » . لم يسألوا سؤالهم هذا بلهجة المستنيرين المستنيرين ، بل بلهجة الهازئين الساخرين ، المتحفزين لوقوع كلمة منه يمسكونه بها ، ويتقدمون به الى القضاء . (ب) جواب المسيح (عدد ٢٥ (ب) - ٢٩) . يقع جواب المسيح في ثلاثة أشرطة . اولها يختص بشخصه (عدد ٢٥ (ب)) . وثانيها يتعلق بهم (عدد ٢٦) . وثالثها يتعلق بشخصه ايضا (عدد ٢٨ و ٢٩) . أما عدد ٢٧ فهو كلمة تفسيرية

(١) الشطر الاول (عدد ٢٥ (ب)) . هذا جواب ، غاية في الحكمة ، مفاده : « ليس لكم ان تنتظروا مني اعلاناً جديداً عن شخصي فوق ما اعلتكم به منذ بدء خدمتي وكرازتي . فاستجمعوا اقوالي السابقة عن نفسي ، تعرفوا من انا . ان حاجتكم ليست الى اعلان جديد بل الى قلوب جديدة تفهم الاعلانات التي سبقت فقلتها منذ بدء خدمتي » . ويحمل بنا الآن ان نستعرض الاعلانات التي فاه بها المسيح عن نفسه فيما مرّ بنا من هذه البشارة : فهو الكلمة الاولى (ص ١) ، وهو الرب كل الحقيقي (ص ٢) ، وهو المخلص الحقيقي (ص ٣) ، وهو الماء الحي (ص ٤) ، وهو الابن الحقيقي (ص ٥) ، وهو الخبز الحي (ص ٦) ، وهو الصخر الحقيقي (ص ٧) ، وهو النور الحقيقي (ص ٨) . فلو كانت لهم

البدء ما أكلكم أيضاً به . ٢٦ إن لي أشياء كثيرة

عقول مستنيرة ، وقلوب متجددة ، وبصائر تقدر الحقائق ، لهتفوا بعل أفواههم قائلين مع بطرس : « نحن قد آمنّا وعرفنا انك انت المسيح ابن الله الحي » (٦٩: ٦) . ولكن اني للذين من اسفل ان ينطقوا بلغة السماء

يقول وستكوت : ان كلام المسيح يُفهم على هذا الوجه : « ان شخصي هو تعليمي » . ويعتقد هنجستنبرج ، ان معنى كلام المسيح في هذا العدد هو : « اني انا منذ الأزل هو يهوه المتجسد الذي اكلّمكم عنه الآن » . لكن العقبة في سبيل الأخذ بهذا الرأي الاخير هي قوله : « ما اكلّمكم به » ، لا « من اكلّمكم به » . ويميل غيرها الى تفسير كلام المسيح على الوجه الآتي : « انا منذ الازل ما صرّحت به الآن — اي « اني انا هو » . ونميل نحن الى الرأي الاول الذي اوضحناه : اي ان كلمة « من البدء » كما استعملت هنا ، معناها : « منذ بدء خدمتي » ، لا « منذ الأزل »

عدد ٢٦ . (٢) الشطر الثاني : « ان لي أشياء كثيرة . . » اذا لم يكن اولئك القوم في حاجة الى اعلانات جديدة عن المسيح ، بل كانوا في مسيس الحاجة الى اعلانات جديدة عن انفسهم . فالعقبة الكؤود في سبيل ايمانهم به ، لم تكن فيه ، بل فيهم هم . لقد تقدّموا اليه وهم متخذون ، بالنسبة له ، موقف الحكم المتحكم ، فأراهم هو انهم هم المتهمون الذين عليهم ان يسمعوا حاكمه عليهم « ان لي أشياء كثيرة اتكلم واحكم بها من نحوكم » . وفي

أَتَكَلِّمُ وَأَحْكُمُ بِهَا مِنْ نَحْوِكُمْ . لَكِنْ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَقٌّ . وَأَنَا

الحقيقة ان كل حكم يصدره الانسان على المسيح أو له ، انما هو حكم يصدره
الانسان على نفسه أو لها ^(١)

« ان لي اشياء كثيرة اتكلم واحكم بها . » بهذه الكلمات وما بعدها تابع
المسيح حديثه المذكور في عدد ٢٤ ، وفصلاً قد اسمعهم هذه الاحكام المدونة في
عدد ٣٤ و ٣٧ و ٤٠ و ٤١ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٩ و ٥٥ . « ولكن الذي ارسلني هو حق »
— شعر المسيح ان احكامه عليهم ستكون الية وشديدة الوقع . « ولكن » —
لم يكن لديه بُدٌّ ، من ان يسمعهم هذه الاحكام ، وذلك لسببين — اولهما : انه
مكلف برسالة . فمن الضروري ان يؤديها على اكمل وجه ، وان تكن اداتها
الية عليه وعلى غيره : « لكن الذي ارسلني . . » . ثانياً . ان هذه الرسالة
حق ، لانها صادرة من الله الحق : « الذي ارسلني هو حق » . ومهما يكن
الحق مُرّاً ، فلا بُدٌّ من ان يُقال . اذا كان الله هو « الحق » في جوهره ،
فمن المحقق ان رسالته هي « الحق » في ظهوره . ان نسبة رسالته اليه كنسبة
اشعة الشمس الى جرمها . « وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم » — لا يقتصر
كلام المسيح هنا على ما سمعه من الآب منذ الازل ، بل يتناول بالاولى الكلام
الذي كان يسمعه من الآب باستمرار حتى قبيل تكلمه مع اليهود ، وذلك بحكم
صلته الدائمة ، المستمرة مع الآب . (قابل هذا بما جاء في ١٩: ٥ و ٢٨: ٨) .

(١) ذهب احدى الى متحف خاص وهناك رأى صورة فنية أثرية معروضة في احدى
فاعاته . فهُزأ من تلك الصورة وسخر بها . واخيراً جاءه الرقيب وهمس في اذنه قائلاً :
احترس ! لان هذه صورة ثمينة نادرة ، وقد وضعت هنا لتحكم على اذواق الناس !

ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم . ٢٧ ولم يفهموا أنه كان يقول لهم عن الآب . ٢٨ فقال لهم يسوع متى رفعتم

يتكلم المسيح هنا عن نفسه باعتبار كونه « كلمة الله » . الذي أعلن ارادة الله للعالم . وهو ايضاً على هذا الاعتبار ، الوسيط الاوحد بين الله والناس

عدد ٢٧ . كلمة تفسيرية . « ولم يفهموا انه كان يقول لهم عن الآب » هذه الكلمة التفسيرية ، سجلها قلم يوحنا البشير ليعطينا صورة دقيقة لعقلية اولئك اليهود ، الذين كانوا يعتقدون ان الفهم هجر عقول جميع الناس ، واستقر في ادماغهم وحدهم . فكان جيلاً ذلك الوصف الذي خلعه البشير عليهم . « ولم يفهموا . . . » — كانت عقولهم في واد ، وكلام المسيح في واد . وكيف يتأتى للأقل الطبيعي ان يفهم ما لروح الله ؟ ان الفهم المقصود هنا هو فهم التمييز . فمع ان المسيح لم يذكر لفظة « الآب » تصريحاً ، في حديثه الاخير (عدد ٢١ — ٢٧) الا انه ذكره تلميحاً في قوله : « الذي ارسلني » . . « ما سمعته منه »

كان اولئك القوم ماديين منتظرون مسيحاً مادياً سياسياً ، فلم يميزوا ان الذي كان يخاطبهم هو المسيح المرسل من الآب

عدد ٢٨ . (٣) الشطر الثالث . الحجة القاطعة . « فقال لهم يسوع متى رفعتم » ان الحر تكفيه الاشارة . لكن اولئك اليهود كانوا عبيداً (عدد ٣٤) ، فلم يفهموا الكلام الصريح ، لذلك أنبأهم المسيح بآية عملية تكون حجة قاطعة نهائية — هي آية « رفع ابن الانسان » . ومتى تمت هذه الآية امام عيونهم ، فحينئذ يفهمون انه هو المسيح . ان الصليب هو المقصود بالذات في قوله : « متى رفعتم »

ابن الانسان حينئذ تفهمون اني انا هو ولست افعل شيئاً من نفسي بل اتكلم بهذا كما علمني ابي .

وان يكن الصليب والقيامة ، والصعود ، وعطية الروح القدس ، متضمنة كلها في معنى «رفع ابن الانسان» . اليس من المحزن ان اليهود يظنون غير مقدرين قيمة المسيح ، حتى يفرغوا من جريمتهم برفعهم اياه على الصليب ؟ عندئذ يفهمون — لكنه فهم من لا يقدر قيمة النور الا بعد ان يغمره الظلام ، ومن لا يفهم قيمة تاج الصحة الا بعد يُبتلى بالعلل ، ومن لا يدرك قيمة الحياة ، الا عند مجيئ ساعة المنون

على ان الصليب في ذاته ، لم يكن كافياً لاعلان حقيقة شخص المسيح لليهود ، لو لم يجعله الله في تدبيره سُلماً للقيامة ، والصعود الى عرش العظمة في الاعالي . كأن المسيح قال لهم مؤنباً : متى صلبتموني وأدركتم بعد ذلك انكم بصلبكم اياي قد اجلستموني على العرش ، حينئذ تعلمون :

(١) حقيقة شخصي : «اني انا هو» . لقد وصف نفسه بقوله : «ابن الانسان» دلالة على مظهره الوضع الذي بسببه خفيت عنهم حقيقته ، «فلم يفهموه»

هذه الكلمات تعيد الى اذهانتنا كلمات يهوه في العهد القديم : «فلا تشفق عليك عيني . . فتعلمون اني انا الرب» (حزقيال ١: ٤) . (انظر ايضاً حزقيال ١١: ١٠ و ١٢: ٢٠ وخروج ٢: ١٠ ومت ١٢: ٣٩ و ٢٦: ٦٤) .

(٢) حقيقة تعليمي : «لست افعل شيئاً من نفسي» — ان كلام المسيح جزء من عمله الموكل اليه — «بل اتكلم بهذا كما علمني ابي» (انظر ١٦: ١٧ و ١٧)

٢٩ والذي أرسلني هو معي ولم يتركني الآب وحدي لأنني في كل حين أفعل ما يرضيه

عدد ٢٩ . (٣) حقيقة معني الربانية « والذي أرسلني هو معي . ولم يتركني الآب وحدي . . » بهذه الكلمات أراهم البون العظيم بين موقعهم بالنسبة له ، وبين موقف الآب معه . اذا كانوا هم سيرفضونه ، فان الآب معه . فماذا بهم اذا انطفأت كل الشموع وظل وجه الشمس مشرقاً ؟ !

ان طاعة المسيح الكاملة الاختيارية ، للآب ، هي الضمان الاكيد لمراقبة الآب له . « لاني في كل حين أفعل ما يرضيه » . لا لأن ارادة الآب فرضت على المسيح فرضاً ، كناموس خارجي عنه ، بل لانها في أحشائه ، فمن الطبيعي ان يعملها : « طعمني ان اعمل مشيئة الذي أرسلني وأتم عمله » . ليس وجه العجب ان المسيح عاش متمماً ارادة الآب ، بل ان يكون هو المسيح ابن الله ، ويقصر في أمر منها

بما انه جعل ارادة الآب ، ارادته ، لذلك صارت ارادته هو ، ارادة الآب « في كل حين أفعل ما يرضيه » . ليس هذا وصفاً لأعمال المسيح وكفى ، لكنه وصف للبواعث التي كانت تدفع المسيح للقيام بأي فعل : « أفعل ما يرضيه » ان من يتجاسر ان يقول هذه الكلمة ، لا يكون فقط واثقاً من انه لم يرتكب خطية ، بل انه ايضاً لم يجد امراً مرضياً لله الا وأنجزه . ليس فقط ان كل اعماله كانت مرضية للآب ، بل ان كل ما وجده مرضياً للآب قد أجراه بالتام . كذلك كان المسيح — والمسيح وحده . ذلك لانه « لم يكن وحده » ٣٢: ١٦

٣٠ وبينما هو يتكلم بهذا آمن

عدد ٣٠. سماع من النور في ليلة ظلماء: « وفيما هو يتكلم بهذا آمن به كثيرون ». على رغم الاعتراضات التي وجهها اليهود الى المسيح ، وُجد كثيرون ممن آمنوا به ، فلم تخل ليلتهم الظلماء من كواكب شاهدة لنور الفادي . « آمن به كثيرون » — هذه العبارة تعني انهم ألقوا اعتمادهم على شخص المسيح . وهي كما وردت في الاصل ، تختلف عن تلك التي وردت في عدد ٣١ « آمنوا به » ، التي تعني تصديقهم لكلام المسيح . في عدد ٣٠ ، وردت كلمة : « آمنوا » متبوعة بحرف الجر « بـ » او « على » . وفي عدد ٣١ ، وردت كلمة « آمنوا » ، مجردة ، وترجمتها الحرفية « صدقوا المسيح » . فالإيمان ، كما يصفه عدد ٣٠ ، متوجه الى شخص المسيح . وكما يوضحه عدد ٣٠ ، متجه الى كلام المسيح . فكل من العديدين يصف فرقة من اليهود غير التي يصفها الآخر . عدد ٣٠ ، يصف قوماً استمعوا للمسيح ، فصدقوا كلامه ، ثم اعتمدوا على شخصه . ولكن عدد ٣١ ، يصف قوماً آخرين استمعوا للمسيح ، ثم صدقوا كلامه ووقفوا عند هذا الحد . فأراد المخلص ان يتقدم بهم خطوة جديدة في سبيل الإيمان ، اذ قال لهم « ان ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي » كلمة : « آمنوا به » ، كما جاءت في عدد ٣٠ ، تكررت مراراً عدة في هذه البشارة — ١١: ٢ ; ١٦: ٣ و ١٨ و ٣٦ ; ٣٩: ٤ ; ٢٩: ٦ و ٣٥ و ٤٠ و ٤٧ ; ٥: ٧ و ٣١ و ٣٨ و ٤٨ و ٣٥: ٩ ; ٤٢: ١٠ ; ٢٥: ١١ و ٤٥ و ٤٨ ; ١١: ١٢ و ٣٦ و ٤٢ و ٤٤ و ٤٦ ; ١٤: ١ و ١٢ و ١٦: ٩ ; ٢٠: ١٧ . مع انها لم ترد سوى مرة واحدة

به كثيرون . ٣١ فقال يسوع

في البشائر الاخرى لتصف ايمان «الصغار» — ايمان البساطة (مت ١٨: ٦) .
فهي اذاً من الكلمات التي اختص بها يوحنا البشير

«اتسم وانا» ٨: ٣١ — ٥٩

اتهيئنا من الحوار الذي دار بين المسيح واليهود ، ونحن شاعرون ان
المسيح لم يبلغهم بعد ، رسالته الى أقصى حدودها . لانه أوقفنا وايهم عند حد
قوله لهم : « ان لي اشياء كثيرة أتكلم واحكم بها من نحوكم » . وبما ان كل
ممنوع مرغوب ، فمن المحقق ان من يسمع هذا القول ، لا يتمالك نفسه من
التساؤل عن هذه الاشياء الكثيرة التي كانت لدى المسيح ، ولم ينطق بها بعد
لقد جاد علينا المسيح بخير جواب على هذا التساؤل ، في الجزء الأول من
هذا الحديث (٨: ٣١ — ٤٧) . أما الجزء الثاني منه (٨: ٤٨ — ٥٩) ، فقد وقفه
على شهادته لبنوته وازليته . فلنا ان نعتبر هذا الحديث بجزئيه ، خير مفسر لقول
المسيح في حديثه السابق : « ان كنت انا أدين فدينونتي حق ... انا هو الشاهد
لنفسى ويشهد لي الآب الذي ارسلني » (٨: ١٦ و ١٨) . فالجزء الاول من هذا
الحديث يفسر قوله الاول (٨: ١٦) ، والجزء الثاني يوضح قوله الثاني (٨: ١٨)
الجزء الاول من الحديث — حكم المسيح على اليهود ٨: ٣١ — ٤٧ . في
هذا الجزء اصدر المسيح على اليهود اربعة احكام مؤلفة جارية — الثلاثة الاولى
سلبية ، والرابع ايجابي . فالثلاثة الأحكام السلبية هي : (أ) «لستم احراراً» (٨:
٣٦ — ٣١) . (ب) «لستم ذرية ابراهيم» (٨: ٣٧ — ٤٠) . (ج) «لستم اولاد الله»

لليهود الذين آمنوا به

(٨: ٤١-٤٣). وأما الحكم الرابع الايجابي فهو (د) «أنتم من أب هو ابليس» (٨: ٤٤-٤٧). وعند اختتام هذا الجزء الاول من الحديث، بعد عجزوا اليهود ان يردوا الاحكام الصادقة التي وجهها اليهم المسيح. لم يجدوا ما يروون به غليلهم، سوى تهمة شنيعة وجهوها الى «قدوس الله» (٨: ٤٨). فأجابهم عنها المسيح بترفع من غير كبرياء (٨: ٤٩-٥٠).

(أ) الحكم الاول: «لستم احراراً»: (٢: ٣١-٣٦). يتضمن هذا الفصل ثلاث حلقات: (١) كلام المسيح (٨: ٣١-٣٢). (٢) اعتراض اليهود عليه (٨: ٣٣). (٣) جواب المسيح على اعتراضهم (٨: ٣٤-٣٦). عدد ٣١ و ٣٢. كلام المسيح. «فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به...» قد يعجب المرء، لاول وهلة، اذ يجد ان هؤلاء اليهود الذين يصفهم البشير بالقول: «الذين آمنوا بالمسيح». هم بذاتهم الذين يقول لهم المسيح: «أنتم من أب هو ابليس». لكن لدى التأمل، ينكشف لنا السبب، فيبطل العجب. لم يكن ايمان هؤلاء متجهاً الى شخص المسيح، كما كان ايمان اولئك المذكورين في العدد السابق (*)، لكنه كان متوجهاً فقط الى كلام المسيح. هؤلاء كانوا مصدقين كلامه لكنهم لم يلقوا اعتمادهم بالتام على شخصه. فقد يشاهد احدهم في ساعة خطر، سلماً قائمة بين الارض وبين دور علوى في احدى ناطحات السحاب، ثم يصدق كل ما يقال له عن متانة تلك السلم. لكنه على رغم ذلك يظل خائفاً فلا يلقي بنفسه على السلم. فالتصديق شيء، والاعتماد شيء آخر.

(*) قد جودي ان يوماً او بعض يوم توسط بين عددي ٣٠ و ٣١

إنكم إن ثبتتم في كلامي

التصديق من فعل العقل . والاعتماد من عمل القلب (راجع تفسير عدد ٣٠)
 ان هؤلاء المذكورين في عدد ٣١، صدقوا ان يسوع هو المسيح، لكنهم
 كانوا يبيتون في قلوبهم افكاراً غير صحيحة ، عن حقيقة . لذلك لم يكونوا
 قد اعتمدوا عليه بعد . لقد فتحو عيونهم للنور ، فرأوا المسيح كمن يرى خيالاً
 في ضوء الفجر ، وكان في امكانهم ان يصلوا الى نور النهار الكامل لو تابعوا
 السير والتقدم : والظاهر من قول المسيح لهم « إن ثبتتم في كلامي » انهم من
 النوع الذي وصفه يعقوب في قوله : « سامعين فقط خادعين نفوسهم
 رجلاً ناظراً وجه خلقته في مرآة . فانه نظر ذاته ومضى . والوقت نسي ما هو ..
 ولكن من اطلع .. وثبت ... » (يع ١: ٢٢-٢٥)

ان قوماً كهؤلاء، قد يكونون مستنيرين لكنهم لا يضيئون . قد يذوقون
 لكنهم لا يأكلون ويشبعون . نصيبهم من التأثير بالحق قد لا يزيد عن تأثر
 جدران المكان الذي كان الرسل مجتمعين فيه (اعمال ٤: ٣١)

في هذين العديدين قدم لهم المسيح : (أ) شرطاً : « ان ثبتتم في كلامي » .
 ان المسيح بوضعه هذا الشرط ، رَحَّبَ بالخطوات التمهيدية التي خطوها في
 سبيل الايمان ، وشجعهم على التقدم والمثابرة ، ليتقدموا من ضوء الفجر الى
 نور النهار الكامل . « ان ثبتتم في كلامي » — أي ان كان كلام المسيح
 بالنسبة لهم كالماء للسماك ، وكالهواء للطير ، وكالتربة الجيدة للنبات الحي ،
 وكجذع الشجرة للأفرع . فالثبوت في كلام المسيح ، يفيد الجلوس باستمرار

فبالحقيقة تكونون تلاميذي . ٣٢ وتعرفون

عند قدميه والتمكن منه والاعتناء بعصارته . (ب) وعراً : «فبالحقيقة تكونون تلاميذي» هذا وعد يقيني في طبيعته ، لأن المسيح استهله بقوله : «بالحقيقة» ، وهو مثلث في محتوياته . ما أشبه في محتوياته ، بكؤوس الورد ، تفتح احداها من الأخرى . فالكأس المركزية في هذا الوعد ، هي التلمذة الحقّة «فبالحقيقة تكونون تلاميذي» ، ومنها تتفرع الكأس الثانية وهي : معرفة الحق «وتعرفون الحق» (عدد ٣٢) . ومن هذه الكأس الثانية ، تتفرع الكأس الثالثة وهي : حرية الحق : «والحق يحرركم» . بل ما أشبه محتويات هذا الوعد بقم جبل منيف ، لا يرى الصاعد عليه سوى القمة الأولى . وبعد ان يرتقيها يجد القمة الثانية ، ثم الثالثة . قم عالية يأخذ بعضها بيد بعض . انوار يأخذ بعضها برقاب بعض . هذا وعد متين — فالتلمذة الحقيقية غرته : «بالحقيقة تكونون . . .» ، والحق عماده : «وتعرفون الحق» ، والحرية تاجه : «والحق يحرركم» . الحق (*) هو خلاصة كلام المسيح ، بل هو كلام المسيح متأنساً . فهو اذاً المسيح نفسه ، الذي هو كلمة الله النهائية للبشر .

يمتاز الحق عن الصدق ، في ان الصدق هو ما وافق عقيدة المتكلم . ولكن الحق هو ما وافق الواقع . فالصدق نسبي لكن الحق مطلق . «والحق يحرركم» — الحق والحرية صنوان لا يفترقان ، فالحق يلد الحرية ، والحرية تدعم الحق . الحق يحرر من عبودية الموت ، والخوف ، وعذاب الضمير ،

(*) يعتقد يوحنا فم الذهب واغسطينوس ان المسيح انما قصد نفسه بقوله «والحق

الحق

والاضاليل ، والذات المتمردة ، والحرية الزائفة ، التي هي العبودية بعينها . فكم من حريات بلا حرية . فالحرية الحقيقية لا تقوم باطلاق العنان للشهوات والاميال العاطلة ليعمل المرء ما يريد ويهوى ، بل هي القدرة على عمل ما هو واجب . هي الارادة المتجددة ، التي تريد ما يريد الله . فقد تخرج الافى من جحرها ، لكنها تظل عبدة لغريزة الاذى المنطبعة عليها . فهي لن تتمتع بالحرية الحقيقية الا متى تحررت من طبيعتها المؤذية ، ولبست طبيعة جديدة تسعى وراء الخير ، وتألف الأذى

هذا وعد جميل في ذاته، غني بمحتوياته . لكنه لمزيد الأسف لم يصادف قبولاً لدى أولئك اليهود، الذي كانوا ينتظرون حرية سياسية من نير الرومان . فبدلاً من ان تتجه قلوبهم الى محاسن هذا الوعد ليحتلوها ، اذا بهم قد بحثوا عن الوجه الجارح فيه ، فاستنشقوا منه ان المسيح يترهم بالعبودية . وعوضاً عن ان يرحبوا بالوعد ، حصنوا انفسهم ضده ، واحتجوا . بدلاً من ان يقبلوا المسيح مخلصاً ومسيحاً ، اتخذوا منه خصماً ، فاستجمعوا كل قواهم لمعارضته

اعتراضات اليهود — ٨: ٣٣ و ٣٩ و ٤١ و ٤٨ و ٥٣ و ٥٧

وهنا يجدر بنا ان نلقي نظرة عامة على اعتراضاتهم ، لنرى من وراء ظلالها انوار كلمات المسيح . لقد قدموا ستة اعتراضات : — (١) « اننا . . لم نستعبد لأحد قط » (عدد ٣٣) . (٢) « أبونا هو ابراهيم » (عدد ٣٩) . (٣) اننا لم نولد من زنا . لنا أب واحد وهو الله » (عدد ٤١) . (٤) « ألسنا نقول حسناً

والحق يحرركم.

انك سامري و بك شيطان» (عدد ٤٨) ؟ (٥) «ألملك اعظم من ابينا ابراهيم الذي مات» (عدد ٥٣) ؟ (٦) « . . أفرأيت ابراهيم » (عدد ٥٧) ؟
ولدى التأمل يتضح لنا انهم في الثلاثة الاعتراضات الاولى ، دافعوا عن انفسهم. وفي الثلاثة الاخيرة هاجموا المسيح

في دفاعهم تحصنوا : (١) هربتهم الزائفة (عدد ٣٣) . (٢) نسبهم الوراثي (عدد ٣٩) . (٣) امتيازاتهم الدينية (عدد ٤١) . وفي هجوماتهم طعنوه في : (١) شخصه (عدد ٤٨) . (٢) سلطانه (عدد ٥٣) . (٣) ازيته (عدد ٥٧)

جواب المسيح ٨: ٣٤-٤٧ و ٤٩-٥١ و ٥٤-٥٦ و ٥٨

على هذه الاعتراضات والمهاجمات ، أجاب المسيح بستة أجوبة سديدة ، نافذة بقوتها كسنة سهام قوية : — بالثلاثة السهام الاولى دفع اعتراضاتهم على كلامه ، فحكم على اشخاصهم . وبالثلاثة السهام الاخيرة ، صدّ النبأ التي صوبوها الى شخصه

اما حكمه على اشخاصهم ، فهو حكم مثلث : (١) «انهم ليسوا احراراً» (عدد ٣٤-٣٦) ، (٢) «ليسوا اولاد ابراهيم» (عدد ٣٧-٤٢) ، (٣) بل «اولاد ابليس» (عدد ٤٣-٤٧)

واما فيما يختص بشخصه فقد قرر لهم : (١) انه «ابنه الله» (عدد ٤٩-٥٠) . (٢) انه كلامه بهب الحياة للموتى (عدد ٥١-٥٣) . (٣) انه لم يولد بل انه يكونه ابراهيم (عدد ٥٤-٥٨)

٣٣ أجابوه إننا ذرية ابراهيم ولم نستعبد لأحد قط . كيف تقول

عدد ٣٣ . اعتراضات اليهود - (أ) اعتراضهم الاول - افتخارهم
بميرتهم الذاتية : «اجابوه اننا ذرية ابراهيم ولم نستعبد لأحد قط...» . ان كلام
المسيح عن حرية الحق ، وقع على نفوسهم وقعاً أليماً . فكان كياه باردة صُبَّت على
آمالهم الوطنية «الغالية» . فبدلاً من ان يتقدموا خطوة اخرى الى الامام ، في سبيل
الايمان ، نكصوا على اعقابهم . وعوضاً عن ان يعترفوا بحقيقة حالهم ، ركبوا منطاد
الغرور ، وقالوا : «اننا ذرية ابراهيم» . وبدلاً من ان يتضعوا فيقبلوا هبة الحرية التي
لوّخ بها امام اعينهم ، نراهم وقد تمردوا ، واحتجوا ، فاستعاروا كلمة نيقوديموس
قبل ان تفتح عيناه للنور ، وقالوا : «كيف» ! ؟ ان اعتراضهم هذا . مركب
من ثلاثة عناصر : (أ) كبرياء : «اننا ذرية ابراهيم» . (ب) مطابقة : لم نستعبد
لأحد قط - وما رأيهم في المصريين الذين اذلّوهم ، والبابليين الذين سبّوهم
والرومان الذين كان «نسرهم» باسطاً جناحيه فوق هيكلهم ؟ ؟ ! هذا ضرب
من ضروب خداع الخطية ، فانها تعمي العين عن حقيقة الواقع . فتجعل العبد
يفخر بالسلامل كأنها حلي وجلاجل ! ألعلم في قولهم هذا ، تعلقوا باهداب
النظريات المعسولة ، واغمضوا عيونهم عن الواقع ؟ ولكن ما النفع من حرية
الطفولة ومرحها لمن يقضي رجولته في غياهب السجون ؟ بل ما قيمة الاهرام
التليدة لمصري يقضي حاضره في كوخ متهدم ؟ يعتقد هنجستنبرج ان اليهود انما
كانوا يفخرون هنا بميرتهم الدينية ، اي انهم لم يستعبدوا قط لوثن . ويقول
جودي انهم قصدوا حرّيتهم كأفراد ، على اعتبار ان الشريعة الموسوية ، كفلت

أنت إنكم تصيرون أحراراً. ٣٤ أجابهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن كل من يعمل الخطية

لهم حريةتهم الفردية (لاويين ص ٣٥). (ج) استجاباً: «فكيف تقول أنت...؟» يلوح لي أن كلمة: «أنت» يحيط بها جو من التحقير والازدراء.

عدد ٣٤. جواب المسيح — الشرط الأول من جواب المسيح على اعتراضهم الأول: «لستم أحراراً» (٨: ٣٤-٣٦): «أجابهم يسوع الحق الحق أقول لكم...». افتخر اليهود في اعتراضهم السابق بأمرين: — بنوهم يوبرهم، وهرتهم. فنقض المسيح بناء فخرهم من أساسيه، مبتدئاً بهم الأساس الثاني — هرتهم (عدد ٣٤-٣٦)، ثم عقب عليه بهم الأساس الأول — بنوهم (عدد ٣٧ و ٣٨). فضلاً عن كون هذا الجواب نافذاً كالسهم، فهو أيضاً قاطع كالسيف، راسخ كالصخر، فاستهله بقوله: «الحق الحق» كعادته — في هذه البشارة — كما أراد أن يعلن حقاً جديداً، ممتازاً (انظر شرح ٣: ٣ و ٥).

في الشرط الأول من جواب المسيح الذي هدم به ثقة اليهود بحريةتهم الموهومة، أعلن لهم: (أ) حقيقة هالهم (٨: ٣٤): «إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية». هذا مبدأ عام، لأنه يضم بين ذراعيه جميع الجنس البشري، وهو أيضاً مبدأ خاص، لأنه ينطبق على الناس أفراداً لا جماعات: «كل من». كلمة: «يعمل» تشير إلى حال الخطية المولود فيها الإنسان، وإلى ارتكاب الخطية، وإلى العيشة في الخطية. فهي تتناول الخطية من حيث كونها حالة طبيعية، وفعلاً، وعادة، وخلقاً. لأن من يزرع فكراً يحصد

هو عبد للخطية . ٣٥ والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد .

فعلاً ، ومن يزرع فعلاً يحصد عادة ، ومن يزرع عادة يحصد خلقاً ، ومن يزرع خلقاً يحصد مصيراً

من أقوى تأثيرات الخطية على مرتكبها ، انها تستعبده . لان كل مرة يقع فيها المرء في الخطية ، تسهل عليه العودة الى ارتكابها ، لانها تضعف فيه قوة المقاومة ، وتستأسر عقله وتستعبد ارادته ، « وتسببه الى ناموس الخطية والموت » (رومية ٧: ٢٣) . في بدء حياة الشر ، يسير الانسان في منحدر متدرج . لكن هذا الانحدار يصير فيما بعد عمودياً . فليست العبودية او الحرية قضية سياسية ، لكنها حالة روحية نفسية

عدد ٣٥ . (ب) غاية ما أكرم (٨: ٣٥) . (١) الجانب السلبي : « والعبد لا يبقى في البيت الى الأبد » . بهذا الحكم تقض المسيح ادعاءهم الكاذب بأنهم « ذرية ابراهيم » ، واهل بيت الله -- فان يستطيع الانسان ان يكون عبداً للخطية وابناً لله في آن واحد . وحاشا لله ان يكون ابناؤه عبيداً لسواه ! الى الآن ، كان اليهود في بيت الله ، لكنهم بحكم عبوديتهم ، قد أمسوا غريبين عن « البيت » ، على رغم كونهم متمتعين ببعض مزاياه الخارجية . فليست البنوة لابراهيم أب المؤمنين ، مسألة محلية جغرافية ، ولا هي قائمة بالتسلسل التاريخي ، وانما هي اختبار قلبي روحي : « منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا لانهم لو كانوا منا لبقوا معنا » (١ يوحنا ٢: ١٩) . وليس للعبد ان يبقى في البيت الا على قدر الوقت الذي ينتفع به سيده منه . فمن الجائز ان يُباع العبد في اي وقت ، او

أما الابن فيبقى الى الابد . ٣٦ فان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون

يُطرد . وقد حدث هذا بالفعل في عائلة ابراهيم — فان اسماعيل ابن الجارية طرد ، وتركز الوعد في اسحق

(٢) الجانب الانجيلي «أما الابن فيبقى الى الابد» . الاشارة هنا الى البنوة بوجه عام ، مقابل العبودية . وإنما من قبيل التطبيق تشير الى المسيح بالذات

عدد ٣٦ . (ج) وعمداً : «فان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون احراراً» . بعد ان ابان لهم المسيح حقيقة حالهم — انهم عبيد (عدد ٣٤) ، وغاية ما آلمهم : الطرد من بيت الله (عدد ٣٥) ، اراهم نوراً مطعماً من الرجاء في شكل وعد يقيني (عدد ٣٦) . كلمة : «الابن» في هذا العدد ، تشير الى المسيح ابن الله اذا القينا نظرة مجملة الى هذه الثلاثة الاعداد (عدد ٣٤ و ٣٥ و ٣٦) ،

ألقينا بينها تدرجاً فكرياً مزدوجاً — فمن العبودية للخطية (عدد ٣٤) ، ينتقل الفكر الى العبودية لله (عدد ٣٥) . ومن البنوة العامة في عدد ٣٥ ، ينتقل الفكر الى البنوة الخاصة لله — بنوة المسيح ابن الله الوحيد (١٦: ٣) . ولكونه هو الابن الأوحد ، قد آلت اليه كل حقوق البيت . فهو لا يتمتع بالحرية وكفى ، لكنه يهب الحرية للعبيد ليصيّرهم ابناء ، لانه صاحب الحرية وربها . بذلك يصبح تلاميذ المسيح أبناء الله بواسطة الايمان بابن الله الوحيد . (غل ٣: ٢٦) فالمسيح هو الابن الاصيل ، لكن المؤمنين به هم ابناء بالتبني . ان بنوة المسيح حق ، لكن بنوة المؤمنين هبة يمنحون اياها بتحريرهم من الخطية بواسطة المسيح . على ان هذا لا يمنع كون بنوة المؤمنين بنوة حقيقية :

أحراراً. ٣٧ أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم. لكنكم تطلبون أن تقتلوني

«فبالحقيقة» — في الروح، وفي الداخل، وفي عين الحقيقة والواقع، على خلاف بنوة إسرائيل التي كانت سطحية خارجية، وهمية. وردت كلمة: «بالحقيقة» في الاصل، في هذا المكان وحده في بشارة يوحنا. ان خير مفسر لهذه الاعداد هو ما جاء في غلاطية ص ٣ و ٤

ان الابن الذي محرر المؤمنين، هو الحق بعينه (عدد ٣٢). (انظر ١٤: ٦ و ١٠ يو ٥: ٢٠)

اذا كانت الخطية بغيرورها، وبطلها، واستعبادها، قد صيرت الابناء عبيداً وطردتهم من بيت أبيهم، فان المسيح، بحقه وحرية، يجعل العبيد احراراً، ويردهم الى البيت الذي منه طردوا

عدد ٣٧. (٢) الشطر الثاني من جواب المسيح على اعتراضهم الاول: «لستم ذرية إبراهيم» (٨: ٣٧-٤٢). بدأ المسيح حكمه هذا: (١) بتسليم معهم بأنهم اولاد إبراهيم حسب الجسد «انا عالم انكم ذرية إبراهيم» — حسب السجل المدني التاريخي. (ب) ثم اورد لهم حجة دامغة تقسم حلقات هذا التسلسل الجسداني. فيئن لهم ان ثمار حياتهم الادبية، تدل على انهم متفرعون روحياً من شجرة اخرى غير زيتونة ابراهيم (مت ص ٣، ورومية ص ٩، وغلاطية ص ٣). فالقتل ليس من ثمار زيتونة ابراهيم الطيبة: «لكنكم تطلبون ان تقتلوني». (ج) ثم تعمق في البحث فوصل الى العلة الرفيعة لهذا الموقف الاجرامي الذي وقفه تجاهه. فالعلة الحقيقية ليست فيه هو، بل فيهم

لأن كلامي لا موضع له فيكم . ٣٨ أنا أتكلم بما رأيته عند أبي .
وانتم تعملون ما رأيتم

هم — في قلوبهم . فقد اوصلوها ضد كلامه : « لان كلامي لا موضع له فيكم » .
لان الحقد ، والتعصب الأعمى ، والجهل المطبق — كل هذه قد خنت كلام
المسيح ، فلم يجد له متسعاً في قلوبهم ، للنمو والاثمار . الكلمة المترجمة : « موضع »
معناها الحرفي . « تقدم او سير الى الامام » . فهي تستعمل في لغة الأغريق
عن السهم النافذ ، والنبت المزدهر ، والمال المتكاثر ، والماء المتدفق . فهي تفيد
الحركة ، والقوة ، والتقدم . ان كلام المسيح قد بلغهم وتركهم على ما هم عليه
من تعصب وظلام (عدد ٣٣) ، لانه اصطلم قلوبهم للتعجربة فلم يجد له منفذاً
اليها . فكان نصيبه نصيب البذار التي وقعت على الأرض المحجرة

عدد ٣٨ . مبدأ قاله : ان كل شخص مرتبط ارتباطاً وثيقاً بأصل خفي ،
عنه يصدر كل كلامه واعماله . وعن طبيعته يتم . وعلى هذا المبدأ قارن المسيح
بين كلامه واعماله . فكلامه يتم عن اصله الروحي . كما ان أعمالهم تقضح
حقيقة أصلهم : « انا اتكلم بما رأيته عند أبي . وانتم تعملون ما رأيتم عند ابيكم » .
هذه مقابلة مزدوجة : (ا) « انا اتكلم » — وكلامي روح وحياة . « انتم تعملون
— وعملكم ظلم وقتل . (ب) « أنا ... أبي » — هو الحي الحي « وكلامي
روح وحياة » . « انتم ... ابيكم » — هو القاتل وانتم تريدون ان تقتلوني .
ان علة اختلاف المسيح عنهم ، ناشئة عن اختلاف اصله عن أصلهم . وما قاله
المسيح هنا عن اليهود يصدق أبداً على كل البشر في كل عصر

عند ايكم . ٣٩ اجابوا وقالوا له ابونا هو ابراهيم . قال لهم يسوع لو كنتم اولاد ابراهيم لكنتم تعملون اعمال ابراهيم . ٤٠ ولكنكم الآن

اذا كان المسيح قد نسب الى نفسه ، « الكلام » ، والى اليهود ، « الاعمال » فما ذلك الا لانه كان حينئذ يشهد لهم عن حق الله ، وعن الله الحق ، في وقت كانوا هم يدبرون فيه « كيف يقتلونه »

عدد ٣٩ (١) . (٢) اعترضهم الثاني : افتخارهم بنسبهم الوراثة : « نحن ذرية ابراهيم . » جرحت كبرياء اليهود ، اذ أحسوا من كلام المسيح ، في العدد السابق ، بوخز يطعنهم في أعز ما يفخرون به ، فقرروا له وكرروا ما سبقوا فقالوه في عدد ٣٣ ، واضعين النبرة على كلمة : « ابراهيم » ، وكانوا قد وضعوا النبرة في عدد ٣٣ ، على كلمة : « لم نُستعبد » . قبلاً كانوا يفخرون بحريتهم لما رأوه يهتمهم بالعبودية . والآن نراهم يفخرون بكون ابراهيم ابا لهم حين سموه يطعنهم في شرف أصلهم وحسبهم

عدد ٣٩ (ب) — ٤١ (١) . جواب المسيح على اعترضهم الثاني . كان المسيح قد سلم معهم في عدد ٣٧ ، بأنهم اولاد ابراهيم حسب التسلسل الجسدي ، والآن نراه ينكر عليهم تسلسلهم من ابراهيم بالروح والعمل . لان فعلهم يدل على أصلهم : « لو كنتم اولاد ابراهيم لكنتم تعملون اعمال ابراهيم » — مثل طاعة ابراهيم لله (تك ص ٢٢ و ١٢) ، واحترامه لرسول الله ، وبينهم ملاك العبد (تك ص ١٦ و ١٨) . « ولكنكم الآن تطلبون ان تقتلوني » . فيما يلي من الكلام ، وصف المسيح نفسه ثلاثة أوصاف ، متصاعدة في نظام

تطلبون ان تقتلونني وانا انسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله .
هذا لم يعمله ابراهيم .

متدرج الى الاعلى : (ا) « انسان » : ان المسيح اله كامل وانسان كامل ،
وانما عبر هنا عن نفسه بقوله : « وانا انسان » ، لكي يصف نفسه حال كونه
فادياً ووسيطاً ، ولان القتل لا ينصب على اله بل على « انسان » . على انه
ليس مجرد انسان بل هو (ب) المتكلم بالحق — وهو الحق بالذات . وهو لم
ينطق بحق ابتدعه من ذاته او لذاته ، انما جاء (ج) متكلماً « بالحق » الذي
سمعه من الله (عدد ٣٨) . هذا الوصف المثلث يصف المسيح في عمله الفدائي
كرسول ووسيط بين الله والناس . وبحسب هذا الوصف المثلث تكون خطية
اليهود مثلثة ، ومستكملة . « هذا » — أي طلب قتل الرسول المتكلم
بالحق من قبل الله — « لم يعمل ابراهيم » — بل عمل ما هو ضد ذلك على
خط مستقيم : « وظهر له الرب عند بلوطات ممرا . . فرفع عينيه واذا ثلاثة
رجال . . فلما نظر ركض لاستقبالهم وسجد » (تك ١٨: ١ و٢)

بعد ان نفى المسيح عنهم اتسابهم الروحي الى ابراهيم ، نظراً لتناقض
اعمالهم مع اعمال ابراهيم ، أراد ان يدلهم على والدهم الحقيقي الذي تربطهم وياه
طبيعة العمل المشترك : « اتم تعملون » — الآن ، بمحاولتكم ان تقتلونني —
« أعمال ايكم » . هنا وصف المسيح حقيقة حالهم التي نمت عنها طبيعة اعمالهم .
وهو لم يكن بقوله هذا ، محرضاً اياهم على عمل مقضي به عليهم ، بل كان
مقرراً حقيقة الواقع ليس الا

٤١ أنتم تعملون أعمال ايكم . فقالوا له اننا لم نولد من زنا . لنا أب واحد وهو الله . ٤٢ فقال لهم يسوع

عدد ٤١ . (٣) اعتراضهم الثالث : « فقالوا له اننا لم نُولد من زنا . لنا أب واحد وهو الله » (٨: ٤١) . يقع اعتراضهم هذا ، في شطرين — احدهما سلبى ، استنكروا فيه الاتهام الذي استنتجوه من كلام المسيح فقالوا بأَنفة الغاضب : « لم نُولد من زنا » ولعلمهم ارادوا بذلك انهم من دم يهودي ، لم يداخله عنصر انمى ، فهم عبرانيون من عبرانيين (فيلبي ٣: ٥) ، لان زواج اليهود من الامميات كان محسوباً بآثر من الزنى . وربما ارادوا بهذه الكلمة معنى روحياً اي انهم مولودون من عنصرٍ شريفٍ ، موالٍ لله وحده ، ولم يزن عن عبادته (هوشع ٢: ٤) ، على خلاف السامريين

والشطر الثاني من اعتراضهم ، ايجابى : « لنا أب واحد وهو الله » وهنا نلاحظ ارتقاء منهم على سلم العجرفة ، فبعد ان تمسكوا ببنوتهم الجسدية لابراهيم استطالوا باعناقهم وفاخروا ببنوتهم الروحية لله . فهم على هذا الاعتبار ، وليدو العهد الذي قطعه الله مع شعبه اسرائيل

عدد ٤٢ — ٤٧ . جواب المسيح على اعتراضهم الثالث ٨: ٤٢ — ٤٧ . في هذا الجواب تقض المسيح ادعاءهم البنوة لله ، بنفس المول الذي هدم به ادعاءهم البنوة لابراهيم (عدد ٤٠) ، اذ قلم لهم محكاً طبيعياً ، يتبينون به صدق دعواهم من بطلانها (انظر عدد ١٤) . بنعمة الواثق المتيقن ، ابلغهم المسيح انه « خرج من قبل الله » — بالتجسد — « وآتى » الى العالم ، حاملاً

لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأنني خرجت من قبل الله

اسم مرسياه وجلاله ، وعلى جبينه الوضاح طابع الازل والخلود . فلو كانوا هم من الله ، لعرفوا مسيح الله ، وفهموا كلامه ، واحبوه (عدد ٤٢) ، أما وقد جهلوه — او تجاهلوه — ولم يستمعوا لكلامه ، وابغضوه ، وفكروا في قتله ، فقد برهنوا بعدم معرفتهم اياه ، على انهم لا يعلمون المصدر الذي منه أتى — الله (عدد ٤٣)

وبمحاولتهم ان يقتلوه ، اقاموا الحجة على انهم ليسوا ابناء الله لان « الله محبة » ، فلا بد ان يكونوا اذاً اولاد القاتل الاعظم — ابليس (عدد ٤٤ (ا)) . فمار الشجرة ، عنوان حقيقتها ، والاعمال تنبئ عن حقيقة الخصال ، وكل اناة ينضح بما فيه

و بعدم سمعهم كلامه ، قدموا دليلاً عملياً على انهم اجنيثون عن لغته ، وبما أن لغته هي « الحق » ، فمن لا يفهم « الحق » فهو ليس من ابناؤه ، بل من ابناء الكذب ، ومن سلالة « الكذاب وابي الكذاب » (عدد ٤٤ (ب) و ٤٥) . اردف المسيح قوله هذا بتحدٍ تاريخي ، لم يجسر فم ، غير فمه الطاهر ان ينطق بمثله : « من منكم يكتني على خطية ؟ » (عدد ٤٦) ، ثم ختم هذا التحدي بتقرير حقيقة طبيعية : « الذي من الله يسمع كلام الله » ، ومنها صاغ الممول الذي هدم به صرح ادعائهم الباطل : « لذلك لستم من الله » (عدد ٤٧) . عدد ٤٢ . تجسر المسيح ، وفهمته ، ورماته . ان العبارة الأولى : « خرجت من قبل الله » تشير الى حقيقة التجسد في الماضي . والعبارة

واتيت. لأنني لم آت من نفسي بل ذاك ارسلني . ٤٣ لماذا لا تفهمون

الناية : « أتيت » تشير الى خدمته في اتمامه اياها ، وقت تكلمه معهم . والعبارة الثالثة : « لاني لم آت من نفسي . . بل ذاك ارسلني » تشير الى حقيقة رسالته في مصدرها : بكلمتين — احدهما سلبية « لم آت من نفسي » . والثانية ايجابية : « بل ذاك ارسلني »

ان قوله « من قبل الله خرجت » ورد مرة واحدة غير هذه (٢٨: ١٦) ، وهو يحمل اشارة الى مصدر بنوة المسيح الازلية — من الآب اذا كانت العبارة الاولى : « خرجت من قبل الله » ، تشير الى التجسد في الماضي . والعبارة الثانية : « وأتيت » ، تصف حقيقة رسالته في الحاضر ، فان هذه العبارة الثالثة : « لاني لم آت من نفسي بل ذاك ارسلني » ، تربط الماضي بالحاضر برباط ممكن

عدد ٤٣ . عدم فهمهم كلامه هذا . « لماذا لا تفهمون كلامي لانكم لا تفهمون ان تسموا قولي » . اراد المسيح بقوله « كلامي » ، غير ما اراد بكلمة : « قولي » ، فالقول أعم واوسع من الكلام . ولعله اراد : « قوله » ، جوهر رسالته ، و : « كلامه » مضمون رسالته . فاذا مثلنا بقطعة موسيقية ، قلنا ان « الكلام » هو لغتها وتعبيرها ، « والقول » هو نغمتها . الكلام هو جسم رسالة المسيح ، والقول هو روحها

ان السمع الذي اراده المسيح بقوله : « ان تسموا قولي » ، هو القبول والترحيب — بالاذن المفتوحة ، والقلب الواعي . هذا شرط لازم ، بل خطوة

كلامي . لأنكم لا تقدرُونَ أن تسمعوا قولي . ٤٤ أنتم من أب هو ابليس وشهوات ايكم تريدون أن تعملوا . ذاك كان قتالاً للناس من

تمهيدية للفهم ، والادراك ، والتمييز . وعلم القدرة ، نتيجة طبيعية لعلم الارادة . فقول المسيح : «لأنكم لا تقدرُونَ ان تسمعوا قولي» ، انما هو بمثابة قوله : «لأنكم لا تريدون ان تقبلوا قولي ورسالتي» . ان عجزهم عن ان يسمعوا قول المسيح ، ليس ناتجاً عن حالة فرضها الله عليهم ، وهم غير مسئولين عنها ، لكنه نتيجة طبيعية لحالة خلقوها لأنفسهم ، بعنادهم وتمردهم (قابل هذا بما جاء في ٤٤: ٥ - ٤٧)

عدد ٤٤ . المسيح يصارهم بمفارقة بنوهم . ان تصرف اليهود نحو المسيح يتلخص في كيتين - (١) عدم محبتهم اياه - والبغضة هي القتل بعينه . (١ يوحنا ٣: ١٥) ، (٢) - عدم قبولهم كلامه - وكلامه حق ، بل هو الحق بعينه . اذاً قد نمت أعمالهم عن هاتين الشهوتين - القتل والكذب ولما كانت لكل شخص اصل ينتسب اليه ، ويستمد منه عصارة حياته ، واخلاقه ، فقد صاروا خليقين بان يكونوا اولاد ابليس الذي اتصف بنفس هاتين الشهوتين : (١) القتل : «ذاك كان قتالاً للناس من البدء» لانه اغرى ابونا الاولين بمخالفة وصية الله ، ووقعهما في موت النفس والجسد . فان «اجرة الخطية هي موت» . (٢) الكذب : «لم يثبت في الحق لانه ليس فيه حق» . متى تكلم بالكذب قائماً يتكلم بما له . لأنه كذاب وأبو الكذاب» ان قول المسيح : «ذاك كان قتالاً للناس من البدء» ، يشتمل على اشارة

البدء ولم يثبت في الحق لانه ليس فيه حق . متى تكلم بالكذب فانما يتكلم مما له لانه كذاب وابو الكذاب . ٤٥ . واما انا فلا اقول الحق

ضمنية الى اصل سقوط الجنس البشري . وقوله : « ولم يثبت في الحق » ، يحمل اشارة ضمنية الى اصل سقوط ابليس . ولعل كلمة : « لم يثبت » ، تتضمن اشارة من طرف خفي الى سقوط ابليس في امتحان أدبيّ روحيّ ، حين سقط من ثباته . وان علة سقوطه ، لم تنشأ عن أمر خارجي عنه ، بل عن استعداد داخلي فيه « ليس فيه حق »

وانما تنجح المقالة في المر ، اذا صادفت هوى في الفؤاد
« لم يثبت في الحق لانه ليس فيه حق » . « حق » في الخارج وهو اعلانات الله . « وحق » في الداخل - وهو الاخلاص ، والبساطة ، والاستقامة المتفقة مع حق الله . لذلك لم يثبت ابليس في حق الله ، لانه كان خالياً من الاخلاص والبساطة ، والاستقامة

ان ما قاله المسيح ، عن ابليس ، بصيغة سلبية : « لم يثبت في الحق لانه ليس فيه حق » ، عاد فقرره بصيغة ايجابية ، للتوكيد : « متى تكلم بالكذب فانما يتكلم مما له لانه كذاب وابو الكذاب »

عدد ٤٥ . هذه هم ايمانهم : « واما انا » — الآن قد انتقلنا من بيئة كلها ظلام في ظلام (عدد ٤٤) ، الى بيئة كلها قداسة في قداسة ، وحق في حق . ان علة عدم ايمان اليهود بالمسيح ، كائنة في الاختلاف البين ، بين ما نادى به هو : « الحق » وبين ما فيهم هم : « الكذب » . وكيف يدخل

لستم تؤمنون بي . ٤٦ من منكم يبكتني على خطية . فان كنت اقول الحق فلماذا لستم تؤمنون بي . ٤٧ الذي من الله

الهواء في حراشف السمك ؟ وكيف يدخل الماء الى رثي العصفور ؟ !
 عدد ٤٦ . المسيح يجرى الاميال . « من منكم يبكتني على خطية . . »
 كما تتجمع اشعة الشمس في نقطة واحدة ، ملهبة . محرقة ، كذلك تجمعت
 كلمات المسيح ، والتقت في هذه الكلمة المنيرة لقلوب المؤمنين ، والمحرقة
 لأعشاب الاقتراء في قلوب المترين : « من منكم يبكتني على خطية » . من
 من البشرية يجسر ان يقول ، ان الناطق بهذه الكلمات ، مجرد انسان ؟
 اللهم ! اذا كان قائل هذه الكلمة انساناً ، فانه غير موجود . لان الانسان
 الذي يتحدّى اعداءه بمثل هذه اللغة ، لم يُخلق بعد . ولن يُخلق ، بل ينبغي
 ان يكون « مولوداً غير مخلوق . مساوياً للآب في الجوهر » — هذا هو
 المسيح — والمسيح وحده

ان المسيح بتعديده اليهود ، قد تحدّى كل الاجيال . فقد مضت عشرون
 قرناً ، ولم يقم فيها واحد يستطيع ان يقول : « انا ابكتك على خطية » ، فهو
 يارُّ بشهادة الاحياء ، يارُّ بشهادة الاعداء ، يارُّ بشهادة اليرّ نفسه !!

ان عجز اليهود — والعالم اجمع — عن ان يحملوا خطية واحدة في المسيح ،
 معناه انه يجب عليهم ان يسلّموا بأنه نطق بالحق ، بل انه هو « الحق » ، بل
 وجب عليهم ان يقبلوه في قلوبهم ، لان من يقبله ، يقبل الحق

عدد ٤٧ . نتيجة طبيعية مؤسسة على مبدأ طبيعي : « الذي من . . » . اما

يسمع كلام الله. لذلك اتم لستم تسمعون لانكم لستم من الله. ٤٨ فأجاب

المبدأ الطبيعي فهو : «الذي من الله يسمع كلام الله» — لانه ما دام في الله ،
فالله فيه ، وما دام الله فيه ، فمن الطبيعي ان يسمع كلام الله ، ويرحب به ،
ويطيعه . «وشبيهه الشي* منجذب اليه»

الشطر الثاني من حديث المسيح . ٤٨:٨ — ٥٩

قبل الآن ، كان اليهود متخذين من المسيح جانب الدفاع ، ومنذ الآن
سنراهم متخذين منه جانب الهجوم . اذ هاجموا في ثلاث نواح : —

(١) في شخصه (عدد ٤٨) . (٢) في سلطته (عدد ٥٢ و ٥٣) . (٣) في
ازليته (عدد ٥٧) . فاجابهم المسيح اجوبة سديدة ، شبيهة بسهام مسددة
في جوابه على هجومهم الاول : ابان لهم : انه يكرم الآب (عدد
٤٩) ، وانه لا يطلب مجدا لنفسه (عدد ٥٠) ، ثم ختم هذا بتقديم وعد
مخير لمن يحفظ كلامه (عدد ٥١) . وفي دفاعه عن هجومهم الثاني : ابان لهم
ان سلطته مستمدة من الآب الذي يعجده ، والذي يدعون هم انه الههم (عدد
٥٤) . ثم صارحهم بحقيقة مؤلة جارحة وهي انهم لا يعرفون هذا الاله الذي يعرفه
هو (عدد ٥٥) . وقد بلغ سهمه صميم قلوبهم عند ما اعلن لهم ان اباهم ابراهيم
الذي يفاخرون به على الاجيال ، «قد تهلل بأن يرى يومه فرأى وفرح»
(عدد ٥٦) ، وفي دفاعه عن هجومهم الثالث ، قرر لهم ، بلغة الواثق الموقن ،
انه ازل — «قبل ان يكون ابراهيم انا كائن» (عدد ٥٨)

عدد ٤٨ . هجومهم الاول — موجه الى المسيح في شخصه « فأجاب

اليهود وقالوا له ألسنا نقول حسناً انك سامري و بك شيطان .

٤٩ اجاب يسوع

اليهود وقالوا له . ألسنا نقول حسناً انك سامري و بك شيطان ؟ يستفاد من قولهم : « ألسنا نقول حسناً » ان العبارة التي تقولوا بها على المسيح ، كانت متداولة بينهم . فقد كان في نظر اليهود : (أ) « سامرياً » — لانهم كانوا يعتبرونه العدو لوطنتهم الضيقة الزائفة . (ب) « به شيطان » . ان القلم ليرتجف في يد الكاتب عند تسطيره هذه التهمة النكراء التي وجهها اليهود الى « قدوس العلي » . (راجع تفسير ٧ : ٢٠) . وهكذا تصل البشرية الى الحضيض في اتهامها ربها وفاديتها ومسيحها . اراد اليهود بهذا القول المنكر ان يردوا على المسيح التهمتين اللتين الصقهما بهم فيما مضى (عدد ٣٩ و ٤٤) . فقولهم له : « انك سامري » ردوا به قوله لهم : « لستم اولاد ابراهيم » (عدد ٣٩) . وقولهم له : « بك شيطان » ردوا به قوله لهم : « انتم من أب هو ابليس » (عدد ٤٢) . على ان المسيح لم يكللهم القول جزافاً ، ولا حباً بالاتهام ، وانما اراد ان يصارحهم بحقيقة حالهم ، فيصلحوها قبل فوات الفرصة . كان سلاحه كشرط الطبيب المعالج ، وكان سلاحهم كحناجر قطاع الطرق

ان في قولهم له : « انك سامري » اعترافاً منهم ، على غير قصد ، بان شخصية المسيح جامعة لشتات البدائع ، تضم بين جوانبها ابعاد المتناقضات ، ويجتمع في باحتها الفسيحة ، اليهودي بعدوه السامري

عدد ٤٩ — ٥١ . دفاع المسيح ضد هجومهم الاول — المسيح يكرم الاله

انا ليس بي شيطان لكني اكرم ابي واتم تهيونني . ٥٠ انا لست

(٨: ٤٩ - ٥١). في هذه الكلمات، تفاضى المسيح عن اتهامهم اياه بأنه «سامري» ودفع عن نفسه التهمة الثانية «بك شيطان»، مفرغاً دفاعه في كلمات هادئة كالنسيم، قوية كأشعة الشمس، جميلة كالقمر. «اذ شتم لم يكن يشتم عوضاً واذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضي بعدل» (١ بطرس ٢: ٢٣). ان كلمات بطرس هذه، تلقي نوراً ساطعاً على دفاع المسيح هنا. وكأن بطرس كتبها في نور هذا الدفاع المجيد، الذي سجله يوحنا. فالشطر الاول من كلمات بطرس: «اذ شتم لم يكن يشتم عوضاً»، يفسر عدد ٥٠، والشطر الثاني: «واذ تألم لم يكن يهدد». بل كان يسلم لمن يقضي بعدل»، يفسر عدد ٥١ يتضمن دفاع المسيح في هذه الاعداد: (أ) انظاراً صريحاً، للتهمة الثانية التي وجهوها اليه: «أنا ليس بي شيطان». (ب) تقريباً ايجابياً عن غاية رسالته: «أنا اكرم ابي». اذاً لم تكن كلمات المسيح السابقة، صادرة عن قلب مملوء من الغلّ نخوهم، ولا عن عقل جامح، وانما هي رسالة الآب وقد بلغها لهم بأمانة. فكان بذلك مكرماً الآب. (ج) وصفاً هادئاً لحقيقة كلامهم: «انتم تهيونني» تظهر شناعة خطيتهم هذه، من كونهم يهينون المسيح اثناء تأدية وظيفته بتكريمه الآب. ان النبوة في كلام المسيح واقعة على كلمتي «انا» و«اتم»، وعلى كلمتي «اكرم» و«تهينون». (د) تسامحاً متخفياً: «انا لست اطلب مجدي» (عدد ٥٠). وكأني به يقول لهم اما اهانتمكم لي، فلا يعنيني أمرها، لاتي ما جئت لأطلب مجدي، وانما الذي «يطلب مجدي

لطلاب مجدي . يوجد من يطلب ويدين . ٥١ الحق الحق اقول لكم ان كان احد يحفظ كلامي فلن يرى الموت الى الابد .

ويدين» من يهينوني، هو الآب، واليه اسلم الامر: «كان يسلم لمن يقضي بعدل». ان الآب قد مجد المسيح، باقامته من الموت، واجلسه عن يمين العظمة في الاعالي. وقد دان اليهود بتأسيس اسرائيل روحي — الكنيسة المسيحية — بدلاً من اسرائيل العتيق، وب تسليمه اليهود لرامي اعدائهم، الذين اخرجوا مقدسهم وشتتوهم في ارجاء المعمور. (د) وعدا أكيداً: «الحق الحق اقول لكم ان كان احد يحفظ كلامي فلن يرى الموت الى الابد». على ذكر الدينونة التي اختتم بها المسيح كلامه في العدد السابق (عدد ٥٠)، لم يشأ ان يتركهم في ظلامها، ولأن يختتم دفاعه بها، بل قصد ان ينقلهم من ظلامها الى نور الحياة، فاراهم وسيلة النجاة من الدينونة، والتجمع بالحياة — وهي حفظ كلامه: «ان كان احد يحفظ كلامي» — ان حفظ كلام المسيح معناه الالتباه اليه، وقبوله قبولاً حسناً، بدلاً من عدم اعتباره والعبث به (انظر عدد ٣١). ويراد بـ «كلام» المسيح خلاصة وصاياه وروح تعاليمه. اما الوعد المقدم لمن يحفظ كلام المسيح، فقد أفرغه المسيح في كلمات صريحة قاطعة: «لن يرى الموت الى الابد» (قابل هذا مع ما جاء في يوحنا ٣: ٣٦ ولوقا ٢: ٢٦ وعبرانيين ٥: ١١ واعمال ٢٧: ٢ و ٣١ و ٣٥: ١٣ ورؤيا ١٧: ٧). ان الرؤية المقصودة بقوله: «لن يرى»، يراد بها رؤية التفرس، والاختبار، التي هي بمثابة اختبار الموت في الموت. (تكوين ٢: ١٧ و ١١: ٢٦ و ٦: ٥٠)

٥٢ فقال له اليهود الآن علمنا ان بك شيطاناً . قد مات ابراهيم
والانبياء . وانت تقول ان كان احد يحفظ كلامي فلن يذوق الموت
الى الابد . ٥٣ أملك اعظم من ايننا ابراهيم الذي مات . والانبياء
ماتوا . مَنْ يجعل

عدد ٥٢ و ٥٣ . هجر مسهم الثاني - موجه الى المسيح في ملطية (٥٢:٨ و ٥٣)
سمع اليهود هذا الوعد الذي اختتم به المسيح دفاعه سالف الذكر . فبدلاً من ان
يقبلوه قبولاً حسناً ، ويتمتعوا بالبركة المتضمنة فيه : « ان كان احد يحفظ كلامي
فلن يرى الموت الى الأبد » ، نراهم يكيلون الشتائم جزافاً لقدس الله متهمين
اياهم بانه يتقلد سلطة ليست له : « مَنْ يجعل نفسك ؟ »

لو كان المسيح قد قال لهم ، انه لن يموت الى الابد ، لكان قوله هذا
عسر القبول لديهم . لان ابراهيم أباهم ، والانبياء الذين هم موضوع اجلالهم
وتقديسهم ، قد ماتوا . اما وقد قال لهم المسيح انه صاحب السلطان في إعطاء
الحياة الابدية لكل من يحفظ كلامه ، فلم يتألكوا انفسهم من ان يهرفوا بهذه
الكلمات : « الآن علمنا ان بك شيطاناً . قد مات ابراهيم والانبياء وانت تقول
ان كان احد يحفظ كلامي فلن يذوق الموت الى الابد . أملك اعظم من ايننا
ابراهيم الذي مات والانبياء ماتوا . مَنْ يجعل نفسك ؟ »

ان اليهود في احتجاجهم هذا ، قد حرقوا كلمة رئيسية في وعد المسيح ،
فبدلوا كلمة : « يرى » (عدد ٥١) ، بكلمة : « يذوق » (عدد ٥٢) . ان « ذوق
كأس الموت » يراد به الموت الجسدي . ولكن « رؤية الموت » يراد بها الموت

نفسك. ٥٤ اجاب يسوع ان كنت اعبد نفسي فليس مجدي شيئاً.
ابي هو الذي يمجدي الذي تقولون اتم انه الهكم. ٥٥ ولستم
تعرفونه. واما انا فاعرفه.

الروحي. وواضح من عبرانيين ٩: ٢، ان المسيح « ذاق » الموت، مع انه لم
ير الموت أي لم يموت روحياً

عدد ٥٤-٥٦. دفاع المسيح ضد هجومهم الثاني - المسيح بمجد الآب،
وسلطانه مستمر منه. اجابهم المسيح في دفاعه عن هجومهم الثاني، بأن
سرمديته، وان السلطة التي بها يهب حياة لمن يحفظ كلامه، ليستا مستمدتين
من سلطان اختلسه لنفسه اختلاساً، بل من المجد الذي اعطاه الآب اياه، وان
اياه ليس اجنبياً عنهم، فانهم « يقولون انه الههم ». ومن المؤسف ان ادعاءهم
هذا باطل، لانهم لا يعرفون الله الذي ينسبون انفسهم اليه ظلاماً وبهتاناً
ما كان أشد وقع هاتين الكلمتين على سامعهم: « ولستم تعرفونه »، وهم
الذين يدعون العلم بكل شيء. كان من الصعب جداً عليهم ان يسموا شخصاً
ينسب اليهم عدم المعرفة بالناموس، او بتفسيره، او بتقليدات الآباء. اما ان
يُتهموا بانهم لا يعرفون الله - فهذا شيء لا تطيقه طبائعهم المتكبرة، والمكابرة
وفي الوقت الذي صارح فيه المسيح اولئك اليهود بأنهم لا يعرفون الله،
قرّر لهم محققاً انه هو « يعرفه ويحفظ قوله ». ومن الملاحظ ان نذكر ان المعرفة في
قوله عنهم: « تعرفونه » تعني المعرفة الاكتسابية التعليمية، مع ان المعرفة في قوله
عن ذاته: « انا اعرفه » تعني المعرفة المباشرة، العيانة، الجوهرية، الذاتية

وان قلت اني لست اعرفه اكون مثلكم كاذباً . لكني اعرفه واحفظ
قوله . ٥٦ ابوكم ابراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح .

ولا يغرب عن بالنا ان المسيح لم يقرر لهم انه يعرف الله ، حباً في المقارنة
بين جهلهم وعلمه ، وكفى ، بل لان تصريحه بهذه الحقيقة ، قضت به ضرورة
شهادته بكل الحق : «وان قلت اني لست اعرفه اكون مثلكم كاذباً» . لان
الكذب ، لا ينحصر في اعطاء معلومات غير صادقة ، وانما هو ايضاً عدم
التصريح بكل الحق . فالحق المبترس ، لا يختلف كثيراً ، في نظر الله ، عن
الكذب الصراح

الى هنا جاوبهم المسيح عن سؤالهم : «من تجعل نفسك» (عدد ٥٣) ؟
وفي العدد الآتي (عدد ٥٦) ، جاوبهم عن سؤالهم «أأنتك أعظم من ابينا
ابراهيم» (عدد ٥٣) ؟ فقرر لهم «ان اباهم ابراهيم تهلل بان يرى يومه فرأى وفرح»
جدير بنا ان نستوقف انفسنا قليلاً ، امام هذا الاعلان الجليل ، الخاص
بنسبة المسيح الى ابراهيم الخليل . لقد طرب ابراهيم متمنياً ان يرى يوم المسيح
«فرأى وفرح» . فالرؤية حصلت بالفعل — لا بالرجاء ، ولا بالتوقع . وهي ايضاً
حدثت لما كان ابراهيم بالجسد حياً — لا بعد ما خلع ابراهيم رداء الجسد وصار
في عالم الأرواح . فالأشارة منصبة على الاوقات التي رأى فيها ابراهيم «ملاك
يهوه» — «ملاك العهد» (اطلب تكوين ١٥: ٨ و ١٨: ١) . ويجوز ان يكون
قد رآه في نور الموانعيد (عب ١١: ١٣) وفي ضوء ذبيحة اسحق ، والكبش
الذي وجدته مُعداً لفدائه (تكوين ٢٢: ١٣)

٥٧ فقال له اليهود ليس لك خمسون سنة بعد. أفرأيت ابراهيم.
 ٥٨ قال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون ابراهيم أنا
 كائن.

عدد ٥٧. هجرهم الثالث - موجه الى المسيح في ازمته : « قال له
 اليهود . ليس لك خمسون سنة بعد : أفرأيت ابراهيم ؟ هذه هي المرة الثانية
 التي حرفوا فيها كلمات المسيح . لم يقل لهم القادي انه رأى ابراهيم . بل ان
 ابراهيم رأى يومه (انظر ايضاً عدد ٥٢)

ان قولهم له : « ليس لك خمسون سنة بعد » لا يستل من شيء عن
 مقدار عمر المسيح وقتئذٍ ، لانهم لم يذكروا العدد ٥٠ الا لكونه عدداً كاملاً ،
 وعنده ينتهي دور الرجولة (عدد ٦: ٣) . فكأنهم ارادوا ان يقولوا له : انك
 لم تتم بعد دور الرجولة ، فهل تحسب نفسك معاصراً لابراهيم

عدد ٥٨ . دفاع المسيح ضد هجرهم الثالث . المسيح ازمى مطلقاً . هنا قرر
 لهم المسيح بلغة الواثق المطمئن ، انه ازمى : « قبل ان يكون ابراهيم ، انا كائن »
 (عدد ٥٨) . ومن الالهية بمكان عظيم ان نلاحظ الفرق بين صيغة الفعل الذي
 استعمله المسيح عن ابراهيم : « يكون » و بين صيغة الفعل الذي وصف به نفسه :
 « كائن » . فهو لم يقل : « قبل ان يكون ابراهيم انا كنت » وانما قال « انا كائن » .
 فليس في سجل الزمن وقت لم يكن فيه المسيح كائناً . ان الوقت الذي وُجد
 فيه المسيح ، لم يولد بعد على احضان الزمن . فالمسيح هو رب الزمن لانه ازمى ،
 ابدي (١: ١)

٥٩ فرفعوا حجارة ليرجموه . أما يسوع فاخفى وخرج من الهيكل
مجتازاً في وسطهم ومضى هكذا

عدد ٥٩ . مائة مخزنة : لم يتلق اليهود هذه السهام المسددة اليهم ، بصدر
رحبة ، بل صاروا — كما عهدناهم — حَتَقِينَ غَضُوبِينَ ، اذ لم يبق في قوس
صبرهم منزع « فرفعوا حجارة ليرجموه » . الآن قد تبلور كلامهم السابق
وتحجر ، وبهذه اللغة الحجرية الجامدة ، ارادوا ان يقدفوا المسيح . هذه
خاتمة مخزنة دلت على الحالة النفسية التي وصات اليها نفوسهم من الجحود
والتحجر ! قلوب حجرية بين ضلوعهم ، ومواد حجرية في ايديهم
وكم من « حجارة » يتناولها اليوم كثيرون ، ليرجموا بها المسيح ، في
مدارس النقد الاباحي ، وفي برية الشكوك ، وفيافي العلم الغبي ، وظلمات
العناد . فالحجارة هي ، في كل عصر ، جواب محبي الظلمة على ناشر النور
ولكن اذا كانت الظلمة تجاوب النور بالاحجار ، فهل تقوى الاحجار على
اطفاء النور ؟ فهل اذا رُجِمَت الشمس بالاحجار كل صباح ، تكف عن
الاشراق ، وهل عوي الذئب بقادر ان يمنع جبار القضاء عن المسير في فلكه ؟ !
« اما يسوع فاخفى وخرج من الهيكل ، مجتازاً في وسطهم » — من غير
ان يلجأ الى معجزة خاصة — « ومضى هكذا »

الاصحاح التاسع

المعجزة السادسة

المسيح يرى الأعمى . والاعمى يرى المسيح

هذا فصل جليل ، عامر بالعظات والعبر . فيه شقاء وشفاء ، فيه عذاب وعزاء ، فيه دموع وابتسام ، فيه شكّ ويقين — كذلك الحياة . فالشفاء ، والعذاب ، والدموع مرتسمة على جبين الأعمى . والشكّ يختلج في قلوب التلاميذ في هذا الفصل نرى ظلام البصر ممثلاً في شخص ذلك البائس ، الذي وُلد أعمى . وظلام البصيرة متجسداً في القريسيين ، فتفيض عيوننا بالدموع . لكننا اذ نرى نور الابصار والبصائر متأنساً في شخص المسيح الذي قال « انا هو نور العالم » ، يغلب علينا الفرح ، والرجاء ، والابتسام

هذا فصل مطبوع بالطابع المزدوج الذي دُمغت به كل إشارة يوحنا — تدرّج في الايمان بالمسيح ، وفي الشهادة للاهوته ، يرافقه تدرّج في علم الايمان به

فالتدرج ، نفسه في ايمان الاعمى : — في أول درجات ايمانه ، قال عن المسيح : « إنسان يُقال له يسوع » (عدد ١١) ، وسرعان ما ارتقى ايمانه درجة اخرى حتى قال : « إنه نبي » (عدد ١٧) ، ثم تطور ايمانه متسامياً حتى قال فيه : « انه الرسول الكامل الفرد » (عدد ٣٢ و ٣٣) . واخيراً تدرج ايمانه متصاعداً حتى قال فيه : انه « ابن الله » (عدد ٣٧) . وما هي الا لحظات حتى تطور ايمانه فاضحى عبادة (عدد ٣٨)

واما الشهادة للاهوت المسيح ، فاننا نراها مدعمة ببراہین لا تدحض .
لان المعجزة الناطقة بهذه الشهادة ، لم تجر في الخفاء ، بل على مرأى ومسمع من
وجوه اليهود الرسميين ، فاعترفوا صراحة بصدق المعجزة (١٥: ٩ و ١٦) ،
واعترفوا ضمناً بصحة رسالة المسيح (٣٤: ٩)

هذا اصحاب جميل ، فالمسيح هو اول من نرى فيه . وهو آخر من نودع .
يتقسم هذا الاصحاح الى ثلاثة اقسام : أولاً : الوضع التاريخي للمعجزة
(١: ٩ - ٥) ثانياً : قلب المعجزة (٦: ٩ و ٧) . ثالثاً : نتائج المعجزة (٨: ٩ - ٤١) :
(ا) موقف الجيراز (٨: ٩ - ١٢) . (ب) موقف الفريسيين (١٣: ٩ - ٣٤)
(ج) موقف المسبح : (٣٥: ٩ - ٤١)

أولاً : الوضع التاريخي للمعجزة (١: ٩ - ٥)

يرتبط هذا الفصل بالفصل الماضي ، ارتباطاً وثيقاً . فكلاهما موعظة
مبنية على قول المسيح : « انا هو نور العالم » (٨: ١٢ و ٩: ٥) . والفرق بينهما
هو ، ان الفصل الماضي موعظة أُفرغت في قالب كلام . وهذه المعجزة ، موعظة
تمثلت في انسان . الفصل الماضي معجزة الحكمة ، وهذه المعجزة آية العمل .
تلك موعظة في دائرة الروح ، وهذه موعظة في منطقة الحياة العملية . تلك
موعظة موجهة الى « مدينة نفس الانسان » عن طريق السمع فقط . وهذه
موعظة موجهة اليها عن طريق السمع ، والبصر ، واللمس .

هذه احدي المعجزات الاختيارية ، التي اجراها المسيح اجابة لداع في
قلبه . فلم يسترحمه الاعمى ، ولا استعطفه التلاميذ — وكذلك كل المعجزات
المذكورة في يوحنا — ما عدا واحدة (٤: ٤٧) . بل هذه احدي المعجزات التي تفرّد

١ وفيما هو مجتاز رأى

بذكراها يوحنا البشير . وهي الثانية بين المعجزات التي أجراها المسيح في اليهودية حسب رواية يوحنا . وهي إحدى المعجزات ، التي سبق العهد القديم فانبأ بحدوثها في العصر المسيحي : « وتنظر من القتام والظلمة عُيون العمي » (اش ٢٩: ١٨) ، بل هي أولى المعجزات التي تحدث عنها المسيح مع رسولي المعدادان : « . . . العمي يبصرون » (متى ١١: ٥)

ومن الأمور التي تسترعي الالتفات ، ان المعجزات التي أجراها المسيح لشفاء العمي ، أكثر من معجزاته التي أجراها في أي مرض آخر . فلا نجيل يعرفنا ان المسيح ، مرة واحدة شفى أعقد اصم ، ومرة واحدة ايضاً شفى مفلوجاً ، ومرتين ابراً أبرصاً ، وثلاث مرات اقام ميتاً ، واربع مرات فتح عيون عميان
أولاً : الوضع التاريخي لهذه المعجزة (٩: ١ - ٥) . في هذا الوضع التاريخي ، نرى : (١) الطرف الذي نمت فيه : « وفيما هو مجتاز رأى انساناً » . (٢) الانسان الذي صارت فيه آية الشفاء : « انساناً أعمى منذ ولادته » (عدد ١) . (٣) المسطرة الفلسفية التي سبقها (عدد ٢ - ٥)

عدد ١ . (١) الطرف الذي نمت فيه المعجزة : « وفيما هو مجتاز رأى انساناً » - هذه حلقة الاتصال التي تربط الفصل الماضي بالفصل الآتي ، فكلاهما موعظة مبنية على كلمة المسيح : « انا هو نور العالم » . الفصل الماضي ينتهي بالقول : « اما يسوع فاخفى وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى هكذا » . ويبتدى هذا الفصل بقوله : « وفيما هو مجتاز رأى » .

إنساناً أعمى

فالحادثتان يربطهما معاً زمن قصير^(١) . و يعتقد جودي ان هذا الزمن القصير قد يمتد الى بضع ساعات . فاذا كانت الحادثة الأولى قد تمت في الصباح ، فان الثانية تكون قد وقعت قبيل غروب ذلك اليوم عينه . لان نعمة عددي ٤ و ٥ ، تتفق وساعات الغروب . على انه ليس من الضروري ان نستنتج ان المشهد المذكور في الاصحاح التاسع ، حدث حالاً بعد المشهد الذي ودعناه في الاصحاح الثامن . لان سؤال التلاميذ للمسيح (عدد ٢) ، لا يتفق والحالة النفسية التي يكون عليها قوم قد نجوا حالاً من بين أفواه الاسود

غالباً جداً ، كان ذلك الأعمى جالساً يستعطي عند مدخل الهيكل (اعمال ٣: ٢) أو عند احد ابواب اورشليم . « وفيما هو مجتاز رأى انساناً » — اذا كانت هذه العبارة تربط مشهد الاصحاح الماضي بمشهد هذا الاصحاح : فهي ايضاً تفتح بوناً شاسعاً بين روح المشهدين . في الاصحاح الثامن رأينا مشهد البشرية العمياء العنيدة — ممثلة في الفريسيين — نائرة على فاديها ومخلصها ، فرفعت حجارة لترجه . وفي الاصحاح التاسع نرى الفادي مشفقاً على البشرية العمياء ، اليائسة — ممثلة في المولود أعمى — ففتح عينيها لتتمتع بالنور والحرية . فما اكبر جرم الانسان ، وما اجل تسامح الفادي . ما اشد قدرته اذ يقابل الرجم بالاحجار ، بمعجزة رحمة من اجل معجزاته !

(١) يعتقد وستكوت بناء على استقرآت علمية ، لا يتسع لها المقام هنا ، ان الاصحاح التاسع منفصل عن الاصحاح الثامن ، ومتصل بالاصحاح العاشر ، من حيث الزمن . وان الحوادث التي تمت في كليهما — ص ٩ و ١٠ — حدثت في عيد التجديد ٢٢: ١٠ و ٢٣

منذ ولادته .

(٢) الانسان الذي صارت فيه آية الشفاء : «إنساناً أعمى منذ ولادته» .
 أي مشهد في الوجود أكثر إيلاًماً من هذا : «إنساناً أعمى منذ ولادته» . في
 كل الصليبان التي توضع على اكتاف البشر ، ربما لا يوجد أثقل من العمى .
 فالكلمة نفسها مكروهة يحجبها السمع . وهل في العالم مصور يستطيع ان يرسم
 آلام من يولد أعمى ؟ ! ان عاهته هذه تفصله عن المجتمع البشري كما لو كان
 في جزيرة نائية ، بل تحبسه في عالم مستقل بذاته تسود فيه الظنون السيئة ،
 والافكار المظلمة ، والشكوك المتضاربة . فهو محروم من ابتسام الزهور ، وبهاء
 الشمس ، وجمال القمر ، وكنوز الكتب ، ومرح الاطفال .

«وفيما هو مجتاز رأى انساناً» — قد يظهر لنا ان رؤية المسيح للأعمى
 جاءت عن طريق المصادفات . والحقيقة انه لا يوجد شيء اسمه «مصادفات»
 في برنامج العناية . وان ما نحسبه مصادفات في اعمال العناية ، ليس سوى
 ترتيبات في برنامج الرحمة الالهية ، التي أوحى الى المسيح ان يسلك هذا
 الطريق حيث كان الأعمى جالساً يستعطي

«رأى انساناً» — غير المسيح ينظر الى الأعمى ، فلا يرى فيه سوى كتلة
 مهملة من سقط المتاع ، لكن المسيح نظر الى الأعمى ، فرأى فيه إنساناً .
 «من اجل ذلك لم يمر به ، كما يمر غير الكرام» بل اعتنى به عناية الاله
 الرحيم محب الانام

٢ فسأله تلاميذه قائلين يا معلم من اخطأ هذا

عدد ٢. (٣) مشكلة فلسفية (٢:٩-٥). (أ) سؤال التوميز (عدد ٢)
(ب) جواب المسيح (عدد ٣-٥)

(أ) سؤال التوميز (عدد ٢). عجيب ان هؤلاء الصيادين يلهوت
بالمشاكل الفلسفية عن اعمال الرحمة، في وقت ينشغل فيه رب الحكمة والعلم،
عن كل فلسفة كلامية، بأعمال الرحمة الالهية. ربما في هذا برهان على ان
اكثر الناس رغبة في إثارة المشاكل اللاهوتية الفلسفية، ليسوا هم أوسع
الناس عقولاً، بل أضيقهم قلوباً. فوارحمنا على القرون الطوال التي
صرفتها الكنيسة في المجادلات الكلامية وانصرفت بها عن المشروعات
التبشيرية الجليلة!

من الاعتقادات التي كانت شائعة بين اليهود وغيرهم وقتئذ، ان الآلام
تحل بالانسان عقاباً على خطايا معينة (سفر ايوب واعمال ٤:٢٨ ولوقا ١٣:
٥-١)

وبما أن التلاميذ فهموا ان هذا الرجل كان اعمى منذ ولادته - سواء منه
او من احد القرابين منه - ارادوا ان يرجعوا بعله مرضه الى مصدر من اثنين
إما: (١) الى خطية ارتكبها هو: «من أخطأ. هذا»؟ على اعتبار ان أرواح
البشر كانت عائشة قبل حلولها في الاجساد، وانها ارتكبت خطأ في وقت سابق
لتجسدها: (انظر سفر الحكمة (٥: ٨: ٢٠) وكان هذا الاعتقاد متغلغلاً في

(*) وهو أحد الاسفار المعروفة بـ «الأبوكريفا»

أم ابواه حتى ولد اعمى . ٣ أجاب يسوع لا هذا أخطأ

كتابات الرايين . فضلاً عن ذلك ، فان فكرة تناسخ الارواح ، لم تكن غريبة عن هاتيك الأيام (انظر ايضاً تك ٢٥: ٢٢ ومزمور ٥١: ٧) . او (٢) الى خطية ارتكبتها أبواه : «أم ابواه» . ولعل هذا الاعتقاد مؤسس على ما فهموه من قول الله في الخروج ٢٠: ٥ «أفقد ذنوب الآباء في الابناء» . وبما ان التلاميذ لم يكونوا مقتنعين بأحد هذين الحلين ، نظراً للصعاب التي تحيط بكل منهما : فالاول عسير والكلام فيه كثير ، والثاني يتنافى ظاهره مع عدالة الله ، لذلك التجأوا الى المسيح ليحل لهم هذه المشكلة القديمة المجددة : — مشكلة «علة البلايا» . وربما شجعهم على اعتقادهم بأن المرض مرتبط بالخطية ، ذلك الكلام الذي حذر به المسيح مريض بركة بيت حسدا (١٤: ٥)

عدد ٣. (ب) جواب المسيح (٩: ٣ - ٥) . ان اجابة المسيح على التلاميذ ، تعتبر المثل الأعلى لأسلوب الحكيم . لانه لم يقتصر في كلامه على الاجابة عن سؤال التلاميذ ، بل تعداه الى ما هو أجل واسمى ، فرفع عقول التلاميذ وقلوبهم ، من التفكير في أصل الشر ، الى التأمل في الخير الاعظم ، اذ حدثهم عن : (١) قصر الله السامى في السماع بالمصائب (عدد ٣) . (٢) الرسالة المعبودة المسماة الى المسيح (عدد ٤) . (٣) طبيعة رسالة المسيح (عدد ٥)

(١) قصر الله السامى في السماع بالمصائب : «لا هذا أخطأ ولا أبواه» لم يقصد المسيح بجوابه هذا ، ان ينفي عن الاعمى ، ولا عن ابويه ، تهمة ارتكاب الخطية ، وانما اراد ان ينفي الصلة التي ظنها التلاميذ قائمة بين

ولا أبواه لكن لتظهر

عمى الرجل وبين خطيته، او خطية أبويه. لان قول المسيح: «لا هذا خطأ ولا أبواه»، تكلمه جملة مخدوفة تقديرها «...أكثر من غيره حتى ولد أعمى»
 فمع ان البلايا بوجه عام، دخلت الى العالم من الباب الذي دخلت منه الخطية، ومع ان بعض الامراض يرسلها الله تأديباً على خطايا خاصة، الا انه لا يُستنتج من هذا بالضرورة، ان كل مرض جاء نتيجة خطية معينة. والا فلماذا يتألم الابرار، وينعم الاشرار؟

كان جل قصد المسيح في هذا العدد، ان يحوّل اتجاه افكار التلاميذ من التوغل في مجاهل البحث عن الشر وظلماته، الى التأمل في مقاصد الله السامية، التي تسيطر على الشر، وتتخذ منه فرصة لعمل الخير والرحمة: «لكن لتظهر اعمال الله فيه». كان قصد هذا المعلم الاعظم، كقصد معلم مدرسة، يريد ان يحوّل انظار التلاميذ عن الانشغال باللوحة السوداء التي في غرفة الدراسة، الى جمال الكتابة البيضاء المسطرة عليها

مهما يكن من أمر الشر، فان يد الله مهيمنة عليه. فلولا الضعف لما وُجدت فرصة للرحمة. ولولا الفقر لما أُتيحت فرصة للاحسان. ولولا الشر لما وُجد مجال للغفران التام. فبدلاً من التأمل في اسرار الشر فتفشل، ينبغي لنا ان نتأمل في مقاصد الله المرتبة التي «تظهر» لنا تدريجياً على لوحة البلايا. ويكفي ان نذكر «ان الله غير مجرب بالشرور وهو لا يجرب احداً».

(يعقوب ١:١٣)

اعمال الله فيه. ٤ ينبغي أن اعمل اعمال الذي ارسلني

على انه لا يُستفاد من هذا ، ان المسيح اراد ان يسد امامنا سبل المباحث اللاهوتية ، اذ لا يُعقل ان مَنْ أوصانا ان نحب الرب الهنا من كل عقولنا ، يمنع عنا لذة البحث الفكري. فالمباحث الفلسفية جميلة—ولكن على شرط ان تكون في مكان الدرس الهادي ، ولكن ما اقبحها في وجود ذلك البائس المولود اعمى. ان وجود الأعمى ينبغي ان يثير عطف القلوب لا فلسفة العقول. اذا ما رأى احدهم النار مشتعلة في مكان ما ، فان اول واجب عليه ، ان يسعى في اطفائها ، لا ان يقف جامداً ل يبحث عن أسبابها. واذا ما لمح احدهم غريقاً ، فان اوجب ما عليه ، ان يجري لا تقاذه لا ان يقف مستمعاً لمحاضرة عن ثقل الماء النوعي ، او عن اسباب تيارات البحار

اننا نزداد قرباً من الله ، لا بعدد المباحث الفلسفية التي نضيفها الى قائمة مباحث الأولين ، بل بعدد الويلات التي نخففها ، والدموع التي نجففها

عدد ٤ . (٢) الرسالة المعجزة المسماة الى المسيح : « ينبغي ان اعمل اعمال الذي ارسلني ما دام نهار . » ان حلقة الاتصال بين هذا العدد وبين سابقه ، هي كلمة : « أعمال » : « لكي تظهر اعمال الله فيه . . » . « ينبغي ان اعمل اعمال الذي ارسلني » . فالبلايا بانواعها ، فرصة تظهر فيها اعمال الله ، لكن المسيح هو العامل الفعال في اظهارها . ولولاه لأصبحت البلايا فرصة يظهر فيها ابليس اعماله بايقاعه الناس في الشكوك والتجاذيف . (١ بطرس ٥ : ٨ و ٩) . هذه هي الرسالة المعجزة ، التي قبلها المسيح مختاراً . وكان يدفعه على التعجيل بها عاملان

ما دام نهار . يأتي ليل حين لا يستطيع أحد ان يعمل . ٥ ما دمت
في العالم فأنا

احدهما : داخلي ، وهو الالتزام الأدبي الذي قبله على نفسه ، بحق نسبته الى
الآب « ينبغي ان اعمل اعمال الذي ارسلني » . هذا تطوع الابن المختار ،
الذي قبل ارادة ابيه ، فامتزجت بعصارة حياته ، واصبحت لذته الخالدة :
« طعامي أن اعمل مشيئة الذي ارسلني واتم عمله » — (اذا اردت المزيد من
الايضاح فاطلب شرح بشارة لوقا صفحة ٢٤٣) . والعامل الثاني — هارموني
وهو قصر الوقت : « ما دام نهار . يأتي ليل حين لا يستطيع أحد ان يعمل » .
ربما كان المسيح في ذلك الوقت ، ناظراً الى الشمس وهي تتهياً للغروب ،
فكان غروب شمس النهار الطبيعية ، رمزاً لغروب شمس حياته عن الارض ،
وراء افق الصليب والقبر (٢١: ٨) . فمع ان اليوم كان « سبتاً » : الا انه
لا يستطيع ان يترك فيه فراغاً الى اليوم التالي

عدد ٥ . (٣) طبيعة رسالة المسيح : « ما دمت في العالم فأنا نور العالم » . كما
ان شمس الطبيعة تنير العالم مدّة اشراقها عليه ، كذلك « شمس البر » ، هو نور
الأبصار والبصائر . هذه لغة الواثق من جلال رسالته ، وسموها ، ونفعها .
فهل يجسر شخص غير المسيح ان يتفوه بمثلها ؟ على انه لا يغرب عن اذهانتنا
انه وان كان المسيح قد ارتفع بجسده عن العالم ، لكنه لا يزال بشخصه وروحه
في العالم ، فهو الى اليوم في العالم ، والى اليوم هو نور العالم . فلتن كانت هذه
الكلمات ، تحمل معنى خاصاً لوقت خاص ، الا ان معناها الاكمل يضم بين

نور العالم . ٦ قال هذا وتقل على الارض وصنع من التفل طيناً وطلّى

فراعيه مدة تجليات المسيح قبل التجسد حتى يأتي ثانية . وهو الآن في المجد يتم ما قد اكمله على الارض

اذا القينا نظرة اجمالية الى هذه الثلاثة الاعداد ، المتضمنة جواب المسيح (عدد ٣ و ٤ و ٥) ، وجدنا ان اولها (عدد ٣) يتحدثنا عن رمة المسيح الفائقة عمر البصر . وثانيها (عدد ٤) ، يكلمنا عن ولوء التام لبوب . وثالثها (عدد ٥) يكشف لنا عن ثقة التامة يمول شخصه ، وممال رسالته وعظيم نفعا

ثانياً : قلب المعجزة (٦ و ٧)

في هذين العدين تمت المعجزة الجليلة التي هي محور الاصحاح كله . وفيها يرينا البشير : (أ) ما عمده المسيح : «تقل على الارض . . .» (عدد ٦) (ب) ما قاله المسيح : «وقال له اذهب واغتسل . . .» . (ج) ما عمده الاعمى : «فمضى واغتسل» . (د) ما ناله الاعمى : «وأتى بصيراً» . هذه هي الدرجات الاربع التي ارتقت عليها هذه المعجزة : فمرد ، فرصة ، فطاعة ، فشفاء

عدد ٦ . (أ) ما عمده المسيح : «قال هذا وتقل على الارض . . .» . ان حرف الواو السابق لكلمة «تقل» يفيد ان ما فعله المسيح ، كان تطبيقاً عملياً لما قاله في الاعداد السابقة (*) . هل قام المسيح بهذا العمل المثلث الكامل — «تقل ، صنع ، طلى» — ليعين ايمان الرجل الاعمى ، بهذا العمل المادي الذي يُعتبر بمثابة جسر ، يلتقي عليه ايمان الاعمى بقوة الفادي ؟ او لكي يحمل قوة الشفاء الى الاعمى عن طريق حاسة اللمس ، بعد ان حُرم حاسة البصر ، فحُرم

(*) الظاهر ان المسيح رأى في ذلك الاعمى صورة مجسة للعالم المحاط بالظلمة

بالطين عيني الاعمى. ٧ وقال له اذهب اغتسل في بركة سلوام.

معها رؤية نظرات المسيح ، ورحمته ، المرتسبة على جبينه الوضي* (مر ٧:٣٣ و ٢٣:٨) ؟ او لأن المسيح ، هو ذات الخالق الذي سبق فجبل ذلك الانسان من طين (تك ٢:٧) ، فأراد ان يكمل ما قص منه بقطعة من ذات الطين الذي منه جبلة ؟ او لان القادي ستر عمى الرجل الطبيعي بحجاب كثيف من الطين ، ليعطي فرصة لعينه حتى تفتتح تدريجياً للنور ؟ او ان المخلص غطى عمى الرجل الطبيعي ، بغلاف من العمى الصناعي ، ليكسب معجزة الشفاء قوة مضاعفة (١ مل ١٨: ٣٤) ؟ أم ان المسيح المرسل من الآب ، اراد ان يدخل ماء «عين سلوام» ، في عملية الشفاء ، لينتقل بالرجل وبمشاهدي معجزة الشفاء ، من الرمز الى الحقيقة ، فيكشف لهم ان بركة سلوام التي كان يستقي منها المعيدون ماء للعيد، ليست الا رمزاً للمسيح — ذ «سلوام» معناه «مرسل» والمسيح حدثنا عن نفسه ، انه بعمله هذه المعجزة ، انما جاء ليعمل أعمال الذي أرسله (عدد ٥) ؟؟ ام ان طيب الأرواح ، قصد ان يضيف الى قوته الاعجازية ، وسيلة طبيعية للشفاء ، لأن التفل كما اعتقد الرايون كان ضمن وسائل شفاء العيون وقتئذ ؟ (انظر تاريخ تاسيتوس ٤: ٨١) ؟ أم كانت كل هذه الاسباب — او بعضها — مجتمعة معاً ؟؟

عدد ٧. (ب) ما قاله المسيح : «وقال له اذهب اغتسل في بركة سلوام».

لقد امره المسيح بهذا ، ليقدم له فرصة ، يظهر فيها ايمانه بالطاعة . فاذا كانت

(١) كلمة «سلوام» ، ارامية . وهي متطورة في النطق والاشتقاق من كلمة « شلح »

العبرية ، ومعناها « أرسل » ولعل منها ايضاً « شلوه » (اشياء ٨: ٦)

الذي تفسيره مرسل . فمضى واغتسل

قوة المسيح ، هي العامل الاساسي في الشفاء ، فان ايمان الرجل هو اليد التي تقبل الشفاء ، وان طاعته هي برهان ايمانه . وكذلك قيل عن البرص العشرة : « وفيما هم منطلقون طهروا » (لوقا ١٧ : ١٤) ، وعن الرجل الذي كانت يده يابسة : « فمداها فمادت صحيحة » (مرقس ٥ : ٢)

« الذي تفسيره مرسل » — هذه جملة تفسيرية من كلام البشير . بركة سلوام واقعة عند ملتقى وادي يهوشافاط بوادي ابن هنوم ، وتغذيها قناة صغيرة ، منحدره من « نبع العذراء » في وادي يهوشافاط . فالكلمة « مرسل » قد تكون صفة لماء عين سلوام . اي انه ماء آت او مرسل ، من مكان بعيد . ومن المحتمل ان تكون صفة للعين نفسها ، باعتبار انها « هبة » رسالة من الله . وهذا قريب من الاعتقاد السائد في الشرق ، ان عيون الماء هبة رسالة من الله . ومهما يكن من أمر تسميتها بهذا الاسم ، فان بركة سلوام كانت رمزاً الى المسيح

ويغلب على اعتقادنا ، ان المعنى الرمزي الذي تحمله « مياه سلوام » ، يرجع تاريخه الى العهد القديم (اشعيا ٦٨ : ٧) ، حيث يقابل النبي بين مياه شيلوه الهادية المناسبة من تحت اقدام الهيكل ، رمزاً للخلاص الذي يأتي به مسيا ، وبين المياه القوية والكثيرة — مياه نهر الفرات — التي كانت رمزاً للقوة الطبيعية الغشومة

(ج) ما عمده الاعمى : « فمضى واغتسل » — هذا هو الايمان العامل

وَأَتَى بِصِيرًا. ٨ فالجيران

بالطاعة. «وَأَتَى» — هذه أولى ثمرات الايمان العامل بالشكر. لان الرجل أتى الى المكان الذي فيه وجده المسيح، ليقدّم له الشكر على الشفاء، فلم يجده. لان المسيح كان «مجتازاً». وما يلد لنا ذكره عن المرتين اللتين التقى فيهما المسيح بالأعمى — أولاً قبل الشفاء (عدد ١)، وثانيتها بعد الشفاء (عدد ٣٥)، ان الأعمى لم يسع الى المسيح، وانما المسيح سعى اليه. في المرة الاولى رآه المسيح. وفي المرة الثانية، وجده المسيح. هذه حجة مزدوجة، تشهد بصلق قول يوحنا: «في هذا هي المحبة. ليس اننا نحن احببنا الله بل انه هو أحبنا»... «نحن نحبه لانه هو أحبنا اولاً» (١ يو ٤: ١٠ و ١٩)

(د) ما ناله الأعمى: «وَأَتَى بِصِيرًا». هنا نمسك القلم عن وصف السرور الذي ملأ قلب هذا الذي كان أعمى منذ ولادته، وترك المجال للقارىء حتى يصوّر لنفسه، بعض هذا الفرح «الذي لا يعبر عنه ومجيد»

ثالثاً: نتائج المعجزة (٨: ٩-٤١)

(١) موقف الجيران (٨: ٩-١٢). (ب) موقف الفريسيين (٩: ١٣-١٤)

(٣٤). (ج) موقف المسيح (٩: ٣٥-٤١)

(١) موقف الجيران (٨: ٩-١٢). رجع الرجل من بركة سلوام التي لم

تبعد كثيراً عن الهيكل، ليقدّم الشكر للمسيح، ولما لم يجده في المكان الذي فيه شفاه — لان المسيح كان قد مضى وعبر — رجع الى بيته. وهنا يصف البشير موقف الجيران وصفاً بليغاً ببساطته، سامياً بدقته. فاذا اتينا نظرة

والذين كانوا يرونه قبلاً أنه كان أعمى قالوا أليس هذا هو الذي كان يجلس ويستعطي . ٩ آخرون قالوا هذا هو ، وآخرون أنه يشبهه .

عامة على هذه الأعداد ، رأينا فيها : (١) وصفاً لموقف الجيران قبل أنه يسمعوا شهادة الرجل الذي تمت فيه آية الشفاء (٩: ٨ و ٩ (أوب)) . (٢) موقفيهم بعد أنه سمعوا شهادته (٩: ١٠ و ١٢) . أما شهادته ، فلها جانبان — أحد هما عن نفسه : « أنا هو » (٩: ٩ (ج)) . والثانيهما عما كان يعتقد به وقشده عن المسيح (٩: ١١ و ١٢ (ب)) .

ان تأثرات الجيران ، قبل استماعهم لشهادة الرجل الذي تمت فيه المعجزة ، ترينا : (أ) ان الجنس البشري واحد في جميع الأجيال . فما أسرع الناس الى التقولات والاستنتاجات ، قبل ان يستمعوا لشهادة صاحب الشأن نفسه . (ب) ان الطبائع البشرية متنوعة على قدر تنوع استعداد كل شخص . واليك بعض هذه الأنواع :

عدد ٨ . النوع الاول — المتعجبون : « فالجيران والذين كانوا . . قالوا ليس هذا هو الذي كان يجلس ويستعطي » — في هذا العدد ، انبأنا البشير بمهنة ذلك الرجل قبل شفائه : « يستعطي »

عدد ٩ . النوع الثاني — المصدقون : « آخرون قالوا هذا هو » (٩ (أ)) . النوع الثالث — المتشككون : « وآخرون أنه يشبهه » (٩ (ب)) . وهنا نأتي الى اقرار الرجل . فاذا به اقرار مختصر ، واضح ، يقيني ، جريء : « أنا هو » لعل تضارب آرائهم ، يُعزى الى الفرق العظيم بين صورة الرجل في عماه

وأما هو فقال إني أنا هو. ١٠ فقالوا له كيف انفتحت عيناك..
 ١١ أجاب ذلك وقال . إنسان يقال له يسوع صنع طيناً وطفى عينيَّ
 وقال لي اذهب الى بركة سلوام واغتسل . فمضيت واغتسلت
 فأبصرت . ١٢ فقالوا له اين ذلك.

وعبوسه ، وبؤسه ، ويأسه ، وبين صورته بعد الشفاء وقد ارتسم على محياه
 السرور والرجاء

عدد ١٠ . استجواب واستيضاح . من هنا انتقل موقف الجيران ، من
 التعجب والتحير ، الى الاستجواب والاستيضاح : فقالوا له : « كيف انفتحت
 عيناك » . من الامة يمكن ، ان نذكر انهم لم يسألوه عن حقيقة المعجزة ،
 بل عن كيفية اتمامها . مثلهم مثل نيقوديموس حين قال : « كيف يمكن ان
 يكون هذا » ؟ هذا موقف الانسان الطبيعي على ممر الاجيال : « كيف » ؟ !
 عدد ١١ . مطلع شهادة الرجل . في هذا العدد ، سجل الوحي شهادة الرجل
 منذ بداءتها . هذه الف باء الشهادة للمسيح : « انسان يقال له يسوع » . فمع ان
 عيني الرجل الطبيعيتين قد انفتحتا بالتمام ، الا ان عينيه الروحيتين لم تنفتحا الا
 تدريجياً . ومهما يكن من بساطة هذه الشهادة ، فهي الى هذا الحد مقبولة .
 لان الاخلاص يحدوها ، والشكران ينطق بها ، والبساطة تدعمها . وما لا
 شك فيه ، ان المسيح يزيد النور تدريجياً لمن يكون أميناً للنور خطوة خطوة
 عدد ١٢ . (١) سؤالهم : « فقالوا له اين ذلك » ؟ الآن قد أصبح المستفهمون
 باحثين . فمن سؤالهم عن كيفية اتمام المعجزة ، اضحوا باحثين عن المسيح . ومن

قال لا اعلم . ١٣ فأتوا الى

بجثهم عن الكيفية ، صاروا باحثين عن الحقيقة ، بل باحثين عن الحق نفسه :
« اين ذاك »

ان فريقاً كبيراً من هؤلاء السائلين ، كانت مدفوعاً في سؤاله بذات
الباعث ، الذي دفع هيرودس الى ان يقول للمجوس : « اذهبوا واخصبوا
بالتدقيق عن الصبي » (مت ٢: ٨)

(ب) جوابه : « لا أعلم » — هذا جواب قاطع كالسيف ، خاطف
كالبرق . هذا جواب تمتاز فيه البساطة ، والأمانة ، بالجرأة ، والحكمة . .
فالبساطة ظاهرة من سهولته ، والأمانة واضحة من كون الرجل لم يدّع فوق ما
يعلم . والجرأة برزت في عدم استحيائه من قوله : « لا أعلم » . أما الحكمة فقد
تجلت في علمه بالحد الذي ينتهي عنده علمه . هذا دليل على انه كان عارفاً
بالامور التي يعلمها . بخلاف من يزج بنفسه في كل شيء ويتخبط في مجاهل
الحقائق وهو لا يدري ما يعلم مما لا يعلم

(ب) موقف الفريسيين (١٣: ٩ — ٣٤) . هذا دور تحقيق واستجواب ،
كما لو كانت المعجزة جريمة ارتكبت ، لا نعمة مُنحت . في هذا الدور ترسم
أمامنا صورتان متقابلتان : امرأتهما تمثل دركات الانحطاط التي هوى اليها
عدم ايمان الفريسيين (عدد ٦ و ٢٤ و ٣٤) . والثانية تمثل درجات النمو التي
ارتقى اليها ايمان الرجل الذي تمت فيه معجزة الشفاء (عدد ١٧ و ٣٠ و ٣٨)
يقع هذا الدور في ثلاث حلقات : (١) الفريسيون يستبرئونه الرجل .

الفريسيين بالذي كان قبلاً اعمى . ١٤ وكان سبت حين صنع

(١٣:٩-١٧) . (٢) الفريسيون يواهبونه الرجل بأجره (١٨:٩-٢٣) .

(٣) الفريسيون يعيدونه استجواب الرجل (٢٤:٩-٣٤)

عدد ١٣ . (١) الفريسيون يستجوبونه الرجل (١٣:٩-١٧) . « قاتوا الى الفريسيين . . » - في العدد الماضي ، تركنا أولئك « الخيرات » ، يبحثون عن المسيح . والآن - وقد عزّ عليهم ان يهتدوا اليه - أمسكوا بالرجل الذي تمت فيه عملية الشفاء ، وأتوا به الى الفريسيين ، ليتعرفوا رأيهم في أمره ، وفي طبيعة شفائه العجيب ، وفي حقيقة الشخص العجيب الذي شفاه ، سيما وأن المعجزة تمت في يوم « سبت » (عدد ١٤) . ان الفريسيين هم الفريق الأكثر عدداً ، والأقوى نفوذاً ، والأشدّ تعصباً ، في مجمع السندريم . ويجوز ان البشير اختصهم بالذكر دون سواهم ، من باب التغليب ، الذي يجوز فيه اطلاق اسم الاغلبية على المجموع . ويعتقد وستكوت ان الفريسيين المذكورين هنا ، هم الذين تتألف منهم المحكمة الدينية الجزئية . ولكن الحكم الذي صدر على الرجل (عدد ٣٤) ، يرجّح كفة الرأي الاول ، لان مثل ذلك الحكم ، لا يجوز صدوره الا من مجمع السبعين المعروف بالسندريم

عدد ١٤ . نوفيت تامنخي « وكان سبت » : ربما ذكرت الواو السابقة لكلمة « كان » ، على سبيل ذكر السبب الذي لاجله أتى بالرجل الى الفريسيين . ومن المحقق ، ان ما بعدها يعيّن السبب الذي لاجله استجوب الفريسيون ذلك الرجل ، اعتقاداً منهم ان في صنع « عجينة » الطين (عدد ١) ،

يسوع الطين وفتح عينيه. ١٥ فسأله الفريسيون أيضاً كيف أبصر.
فقال لهم وضع طيناً على عينيّ واغتسلت

يوم السبت، كسراً للسبت، على رغم كونها قد صُنعت لشفاء أعمى.
على ان المسيح بعمله هذا، لم يكسر السبت، انما كسر ذلك التمثال الهزليّ،
الذي اقامه الفريسيون للسبت، في مخيلاتهم. وانّ كسر مثل هذا التمثال
الوهميّ النفعيّ، لا يعتبر امراً جائزاً وكفى، بل هو امر واجب، لا بل
« فرض عين »

لقد اجاز الناموس اقامة ثور عاثر، يوم السبت، فكم بالأولى اقامة رجل
متعثر بأذيال عماء المستديم !!

عدد ١٥. سؤالهم الاول: « فسأله الفريسيون ايضاً... ». ان قوله:
« ايضاً » يرجع بنا الى عدد ١٠، حين استجوبه الجيران. والسؤالان مشتقان
من مصدر واحد، لانهما يُستهلان بكلمة: « كيف؟ ». عجيب ان حقيقة
الشفاء لا تفرحهم، قدر ما تزعجهم طريقة الشفاء

مواجه الاول: اجاب الرجل على سؤال الفريسيين، بصيغة اكثر
اقتضاباً من جوابه على سؤال الجيران. وربما ملكه شيء من الملل والتعجب،
بسبب استجوابهم اياه عن احسان صُنع له، كما لو كانت الحسنة رشوة يُعاقب
من يحصل عليها. وغنيّ عن البيان ان هذا الرجل قد تمتع بشفاء مضاعف—
شفاء بصره، وشفاء بصيرته. ببصره استطاع ان يرى وجوههم الجاحدة،
التي كانت تنظر اليه بعيون جامدة، كأنها من زجاج. وببصيرته استطاع ان

فأنا أبصر. ١٦ فقال قوم من الفريسيين هذا الانسان ليس من الله لانه لا يحفظ السبت. آخرون قالوا كيف يقدر انسان خاطيء

ينفذ الى قلوبهم المتحجرة، فكشف نياتهم الخبوءة وراء استجوابهم اياه، فاجابهم بتقمة العايب، المتضجر: «وضعطينا...»

عدد ١٦. انقسامهم الى فريقين: «فقال قوم... آخرون قالوا...». كان جواب هذا الرجل، بسيطاً، قوياً، شاطراً. كسهم من ضوء الفجر، شقهم الى شطرين كما الى ليل ونهار. اما ليلهم فقد استتر تحت جناحه المظلم فريضهم الاول: «فقال قوم من الفريسيين هذا الانسان ليس من الله لانه لا يحفظ السبت». ومن اقوى الادلة على ان هؤلاء يكونون فريق الظلام، كونهم وضعوا النتائج قبل المقدمات. وقدّموا النظريات على الحقائق، وفضلوا السبت على الانسان. فبدلاً من ان يفحصوا المعجزة من حيث هي، فيكوتوا رأيهم عن صانعها، اذا بهم قد كونوا اولاً رأياً في السبت، فحكموا على من يظنون انه كسره. يقولون «ان السبت مقدس. اذاً فكل عمل يتم فيه، ليس بمعجزة، وكل شخص يأتي هذا العمل، ليس من الله». ومن المحزن ان هذا الصنف من الناس، له أنسال في عصرنا الحاضر — يقولون مثلاً: ان المعجزات، لا وجود لها. اذاً فكل المعجزات التي يقول بها الكتاب، ليست بمعجزات. مثلكم مثل من يضع العربية أمام الحصان

على انه وان وجد بين الفريسيين، قوم مكابرون ومعاقدون، فان بينهم ايضاً فريقاً ثانياً، سطع عليه نور الحقيقة: «آخرون قالوا كيف يقدر انسان

ان يعمل مثل هذه الآيات . وكان بينهم انشقاق . ١٧ قالوا أيضاً
للأعشى ماذا تقول انت عنه من حيث انه فتح عينيك . فقال انه

خاطي أن يعمل مثل هذه الآيات ؟ هؤلاء هم المنطقيون ، الذين قدّموا
الحقائق على النظريات . فالمعجزة تمت . اما الاعتقاد بكسر السبت ، او بعلم
كسره ، فليس سوى نظرية . ومن حيث ان المعجزة تمت بشهادة كثيرين
« من اهلها » ، فلا بد أن يكون الشخص الذي صنعها ، رجلاً صالحاً . لانها
معجزة شفاء ، ولا بد أن يكون على الأقل : « إنساناً غير خاطي »

عدد ١٧ . مؤلّهم الثاني : « قالوا ايضاً للأعشى ماذا تقول أنت عنه ؟
ان الشقاق الذي اوجده جواب الرجل بين صفوفهم ، قد شقّ قلوبهم ، فأوقعهم
في حيرة . ولا عجب ، فليست القوة بكثرة العدد ، ولا هي بوزارة العلم ، وانما
هي قوة الحق . وان رجلاً واحداً معه الحق ، يكوّن اغلبية ساحقة ، ولو
كان كل العالم ضده . لانه واقف في جانب الواحد الأحد

ان الحيرة التي وقع فيها اولئك القريسيون ، قد قدمت للرجل فرصة
نادرة ، ليشهد فيها للمسيح ، مع أنهم كانوا قد قصدوا ان يعطوه فرصة ليشهد
عليه : « ماذا تقول انت عنه » . لانهم لما رأوه قد فتح ثغرة في صفوف ائلافهم ،
ارادوا ان يتحايلوا عليه ، ليفتحوا هم أيضاً ، ثغرة بين حلقات اجوبته . لكنهم
كلما تمادوا في الاضطراب ، تقدم هو في الايمان

مزمزم الثاني : « فقال انه نبي » — هذه هي الدرجة الثانية في سلم ايمانه . اما
الدرجة الاولى ، فقد مررتا بها في عدد ١١ : « انسان يقال له يسوع » . الآن

ني . ١٨ . فلم يصدق اليهود عنه انه كان اعمى فأبصر حتى دعوا أبوي

وقف الرجل على مستوى واحد مع نيقوديموس الذي قال : « ليس احد يقدر ان يعمل هذه الآيات التي انت تعمل إن لم يكن الله معه » (٢:٣)

(٢) عدد ١٨ . الفريسيون يواهبونه الرجل بأبويه (١٨:٩ — ٢٣) .
(أ) الشك الذي يلده التعصب : « فلم يصدق اليهود عنه انه كان أعمى » . ان كلمة : « اليهود » ، تصف الفريق العنيد في الفريسيين ، الموصوف في الجزء الاول من عدد ١٦ ، وهي تعين موقفهم العدائي نحو المسيح . كما ان كلمة : « فريسيين » تصفهم في مقامهم الديني بين أمتهم . لقد تمثل فيهم ذلك الشك الذي هو وليد التعصب . هؤلاء مغرضون في احكامهم . لانهم يرتبون نظرياتهم الجامدة المتحجرة ، وعلى احجارها يكسرون هيكل الحقائق الملموسة . فاذا حدثتهم نظرياتهم بأن الشمس تطلع من المغرب ، جعلوا الشرق غرباً ، والغرب شرقاً . في سبيل تحقيق نظرياتهم — في السبت وغيره — « يجعلون المرّ حلواً والحلو مرّاً ، يصيرون الظلام نوراً والنور ظلاماً » . ولا شيء أدل على جهلهم المطبق ، من انكارهم الحقائق الراهنة . فاذا ينفعهم قولهم ان المعجزة لم تحدث حال كون الاعمى قد أبصر

اي شهادة اقوى ، وأفصح ، من الرجل نفسه ؟ انه تمثال حي للشهادة الحقيقية . لكن ما قيمة مثل هذه الشهادة القوية لمن وضعوا حجاباً كثيفاً على عيونهم . انهم لا يصدقون لانهم لا يريدون

(ب) استدعائهم أبويه « دَعُوا أبوي الذي أبصر » — لقد اغرقهم تعصبهم

الذي أبصر. ١٩ فسألوهما قائلين أهذا ابنكما الذي تقولان انه ولد أعمى. فكيف يبصر الآن. ٢٠ أجابهم أبواه وقالوا نعلم ان هذا ابننا وأنه ولد أعمى. ٢١ وأما كيف يبصر الآن فلا نعلم. أو من فتح عينيه فلا نعلم. هو كامل السن. اسألوه فهو يتكلم عن نفسه.

في لُجّ الشك والتورط. فصاروا يتخبطون، عليهم يهتدون الى خيوط واهية يتمسكون باهدابها، ليتخلصوا من تورطهم. ولكي يكونوا « قانونيين »، دعوا ابوي الذي أبصر. على أمل ان يجدوا — او يوجدوا — تناقضاً بين شهادتهما وشهادة ابنهما

عدد ١٩. استجوابهم ابوي: « فسألوهما قائلين »: يتضمن استجوابهم لابويه ثلاثة امور — اولها: التحقق من شخصية ابسرها: « أهذا ابنكما ». ثانيها: التثبت من ولادته أعمى: « الذي تقولون انه ولد أعمى ». وثالثها الاستعلام عن كيفية شفاؤه: « فكيف يبصر الآن »؟

عدد ٢٠ و ٢١. (د) جواب ابوي: « أجابهم أبواه . . . ». ان في جواب الابوين جيناً معجوناً بدهاء. وهما خلتان قلماً تفرقان. اما جنبهما، فيحدّثنا عنه البشير في عدد ٢٢. واما دهاؤهما، فنمت عنه اجابتهما عن السؤالين الأولين، وتخلصهما من السؤال الثالث، وابتكارهما حجة قانونية معقولة تساعدنا على هذا التخلص: « هو كامل السن »

ان تكرارهما لضمير الغائب: « هو » ثلاث مرات في عدد ٢١ — في الاصل — ينبئ عن نغمة تهكمية لازعة، تمشّت مع اجابتهما عن اسئلة القريسيين

٢٢ قال أبواه هذا لانهما كانا يخافان من اليهود . لان اليهود كانوا قد تعاهدوا انه ان اعترف أحد بانه المسيح يُخرج من المجمع .
٢٣ لذلك قال أبواه إنه كامل السن اسأله

عدد ٢٢ و ٢٣ . الباعث لهما على ايمائتهما هذه : « لانهما كانا يخافان من اليهود » . مع اننا لا نلتبس لهما عذراً في هذا الخوف ، الا انه لم يكن خوفاً على غير اساس : « لان اليهود كانوا قد تعاهدوا انه ان اعترف احد بانه المسيح يُخرج ^(١) من المجمع » . ان هذا التعاهد وحده كان يكفي لاجراج هذه الفئة من حظيرة القضاء الشريف ، لانهم تعاهدوا على حكم معين ، قبل سماعهم حجة التهمين . وليس أقبح من جبن التهم ، سوى عدم نزاهة القاضي . ان هذا الحكم دليل على اتجاه قلوب اليهود ، التي كانت تزداد تحجراً على مر الزمن (ص ١١ : ٥٣) . كما ان جبن التهمين ، يعتبر رمزاً لجبن الشعب اليهودي الاعمى الذي كان يقوده عميان في شكل حكام

بين هذا العدد ، وبين الاعداد التالية ، خلا القضاة الى انفسهم ، فاستقر رأيهم على ان يعيدوا استجواب الانسان الذي كان أعمى لعل تواطؤاً قد حلت سراً بينه وبين المسيح

(١) كان لمجامع اليهود وقتئذ ان تصدر حكم « الاجراج من المجمع » على ثلاث درجات . الدرجة الاولى كانت معروفة « بالندوي » وبسببها يحرم المحكوم عليه ، زياها الدينية والاجتماعية مدة ثلاثين يوماً . والدرجة الثانية كانت معروفة بـ « الشماتا » وبسببها تطال هذه المدة ثلاثين يوماً اخرى . والدرجة الثالثة كانت معروفة بـ « المحرّم » وبسببها كان يحرم هذه الامتيازات مدة مديدة . اما حكم الموت فكان من الضروري ان يصادق عليه الرومان

٢٤ فدعوا ثانية الانسان الذي كان أعمى وقالوا له أعط مجداً لله.

(٣) القريسيرون يعيدونه استجواب الرجل ٩: ٢٤ — ٣٤

عدد ٢٤. هجومهم الاول : في هجومهم هذا ، حكموا بادانة الرجل ، وقدموا له فرصة للتوبة : « فدعوا ثانية الانسان الذي كان أعمى وقالوا له أعط مجداً لله » — هذه صيغة عبرية توجّه عادة لمن يثبت عليه ارتكاب ذنب مبین لله ، فتعطى له الفرصة ليفسل هذه الالهانة ، ويرد المجد لله (قضاة ١٩: ٧ و ١ صموئيل ٥: ٦) . كأنّ اولئك القريسيين ، قد حكموا بان الرجل أهان الله باقراره ان المسيح نبيّ (عدد ١٧) ، لان الله — حسب فكرهم الاضيق — اقدس من ان يُنسب اليه نبيّ كاسرٌ للسبت

ولكي يبرهنوا على علم اهليتهم للجلوس على كراسي القضاء ، حاولوا ان يقنعوا الرجل ، بحجة او هي من خيوط الرداء الذي كان يستترون به ، ان ينكر حقيقة لمسها وذاق حلاوتها ، وان يعتنق نظرية وهمية ، لا وجود لها الا في مخيلتهم الضعيفة : « نحن نعلم ان هذا الانسان خاطي » — فمن اين استقوا هذا العلم ، مع انهم اعترفوا فيما بعد ، بانهم لا يعلمون (عدد ٢٩) ؟ لقد اجهلوا أنفسهم في أن يظفروا من فم الرجل باقرار ، يعترف فيه بان المسيح خاطي ، وان الشفاء اتاه من الله رأساً . وكل حجّتهم في هذا — : « نحن نعلم » . اذاً لقد غامروا بأشخاصهم وقامروا بمرآة كزهم في هذا الليدان ، فباءوا بخسران مبین « نحن نعلم » — بحكم وصايتنا على الشعب ، وبحق حملنا « مفاتيح الملكوت » « ان هذا الانسان خاطي » — هذا ادعاء الجهلاء اللابسين لباس العلماء

نحن نعلم ان هذا الانسان خاطىء . ٢٥ فاجاب ذاك وقال أخاطىء هو . لست أعلم . إنما أعلم شيئاً واحداً . أني كنت أعمى والآآن ابصر . ٢٦ فقالوا له أيضاً ماذا صنع بك .

« ونحن نعلم ان الله لا يسمع للخطاة » (عدد ٣١) — هذا يقين العالم المرتدي رداء البسطاء — هذا علم متواضع

عدد ٢٥ . الرجل بردهمهم الاول . في بادى الأمر ، لم يرغب الرجل في ان يزج بنفسه معهم في منطقة المجادلات اللاهوتية الفلسفية ، التي يدعون لانفسهم التفرد فيها ، بل تمسك بيقين المعرفة الاختبارية التي ذاق حلاوتها ولس قوتها : « أخاطىء هو . لست أعلم » — اي لست أعلم العلم الكافي لاقتناعكم (لوقا ٢٢: ٦٧ أعمال ١٩: ٤ و ١٩: ٢) . « إنما أعلم شيئاً واحداً » — لا تستطيعون ان تجادلوني فيه — « اني كنت أعمى والآآن ابصر » . بهذا الاقرار اليقيني ، قدم لنا هذا الرجل البسيط ، المثل الاعلى للشهادة للمسيح . ان درهماً واحداً من المعرفة الاختبارية ، خير من قناطير مقنطرة من المعرفة النظرية . بهذا الاقرار قلم « المتهم » « للقضاة » ، المثل الأعلى للسير في القضايا — وذلك بان يقدموا الوقائع الحقيقية على النظريات الاستدلالية مجتهدهم لهم — ان المسيح خاطىء لانه كسر السبت ، والخاطي لا يكون نبياً مجتهد هو — ان المعجزة تمت فعلاً ، فالمسيح نبي ، لان الله لا يسمع للخطاة عدد ٢٦ . هجومهم التالى . شعر القريسيون بمثانة موقف الرجل ، فاعادوا هجومهم عليه ، واستجوبوه عن طبيعة المعجزة : « ماذا صنع بك » ؟

كيف فتح عينيك . ٢٧ أجابهم قد قلت لكم ولم تسمعوا . لماذا تريدون ان تسمعوا أيضاً . ألكم أنتم تريدون ان تصيروا له تلاميذ . ٢٨ فشتموه وقالوا انت تلميذ ذاك .

وعن كفيها : « كيف فتح عينيك » ؟ ، أملاً منهم في ان يتعلم في الاجابة ، ويورط نفسه بالتناقض . وهم لا يعلمون انهم كانوا يطيلون حبال تورطهم لما تعذر عليهم ، ان يظفروا عليه باستنتاجاتهم الفلسفية ، قصدوا ان يصوبوا الى كلامه سهام النقد ، عليهم يوقعونه

عدد ٢٧ . الرجل يصدر هجومهم بهجوم اشد . « قد قلت لكم ولم تسمعوا » هنا يتطور الموقف ، فيصبح المتهم متهماً ، والقضاة متهمين . لان الرجل (ا) انهمهم بالصمم الادبي : « ولم تسمعوا » . كأنه اراد ان يفهمهم ان عاهته التي كان مصاباً بها قبلاً ، أخفت بكثير من عاهتهم هم . عاهته هو ، عمى البصر . اما عاهتهم هم فهي الصمم الادبي الناتج عن عمى البصيرة . (ب) استجوبهم بنقمة تركية لاذعة : « لماذا تريدون ان تسمعوا أيضاً ألكم انتم تريدون ان تصيروا له تلاميذ » ؟ هنا تسلح الرجل بشجاعة نادرة

عدد ٢٨ : جهنهم الفادح : « فشتموه وقالوا انت تلميذ ذاك » . امام شجاعته النادرة لم يقووا على الوقوف ، فاحتسوا وراء الكمة الشتم : « فشتموه » على انهم في شتمهم اياه قد رفضوه ، وفي محاولتهم ان يرفضوا انفسهم عليه ، انخفضوا الى الحضيض

« انت تلميذ ذاك » — واي شرف اعظم من هذا ؟ ! لقد نطقوا بكلمة

واما نحن فاننا تلاميذ موسى . ٢٩ نحن نعلم ان موسى كلمه الله .
واما هذا فما نعلم من اين هو . ٣٠ اجاب الرجل وقال لهم

«ذاك» ، مرسلين معها وابلاً من سخطهم وتحقيرهم ، فكانوا بذلك محقرين
أنفسهم . «اما نحن فاننا تلاميذ موسى» . بهذا قد برهنوا على انهم ابناء الماضي
البالي . لقد اشرق عليهم نور الانجيل والنعمة ، لكنهم ظلوا متمسكين
بأهداب السبت والناموس

عدد ٢٩ . تصرفهم غير المنظم : « نحن نعلم . . . واما هذا فما نعلم من
اين هو » . انهم بقولهم هذا ، قد انكروا ما سبقوا فقالوه في عدد ٢٤ ، « نحن
نلم ان هذا الانسان خاطي » . الآن صاروا اقل منهم ثقة بعلومهم «الغير المحدود» ،
واعترفوا من غير قصد ، بأنهم «لا أدريون» : «فما نعلم من اين هو» . اهكذا
يفرّ «الجباية» من الميدان ، امام رجل اعزل الا من سلاح الحق ؟

تقول الامثال : « اذا كنت كذوباً فكن ذكوراً » ، ولكن اتى مثل
هؤلاء القوم ان يذكروا ما قالوه في مناسبة اخرى ! لو ذكروا لعلوا انهم
بقولهم : «اما هذا فما نعلم من اين هو ؟» ، قد حكموا له بأنه هو المسيح ، لانهم
سبقوا فقالوا «اما المسيح فمتى جاء لا يعرف احد من اين هو» (٢٧:٧) . قابل
هذا مع ما قاله المسيح عن نفسه في ١٤:٨

عدد ٣٠ . الرجل برأهم ويطاردهم (٣٠:٩ - ٣٣) . « اجاب
الرجل وقال لهم ان في هذا عجباً . . . » . في بادى الامر (عد ٢٥) ، لم يأنس
الرجل في نفسه شجاعة للدخول مع الفريسيين في مجادلات كلامية . اما الآن ،

إِنَّ فِي هَذَا عَجَبًا إِنَّكُمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ هُوَ وَقَدْ فَتَحَ عَيْنَيَّ
٣١ وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْمَعُ لِلخَطَاةِ . وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَتَّقِي اللَّهَ

وَقَدْ اكْتَسَبَ مِنْ ضَعْفِهِمْ قُوَّةً ، وَمَنْ تَهْقِرُهُمْ تَقْدِمًا^(١) ، هُمْ لِمَوَاجِهَتِهِمْ بَعْضِيَّةَ
مَنْطِقِيَّةٍ ، اسْتَهْلَاهَا : (أ) بِتَعْيِيدِ مَنْهُمْ (عَدَد ٣٠) ، (ب) ثُمَّ مَهَّدَ لَهَا بِمَقْدَمَةِ
مَنْطِقِيَّةٍ صَغْرَى (عَدَد ٣١) ، (ج) وَأَرْدَفَهَا بِمَقْدَمَةِ مَنْطِقِيَّةٍ كَبْرَى (عَدَد ٣٢) .
(د) وَانْخَبَرًا لَوُجَّهَا بِنَتِيجَةِ مَنْطِقِيَّةٍ (عَدَد ٣٣)

(أ) تَعْيِيدِ (٩: ٣٠) : « أَنْتَ فِي هَذَا عَجَبًا » . رَأَى الرَّجُلُ فِي جَهْلِهِمْ
الِاخْتِيَارِيَّ ، عَجَبِيَّةَ تَفُوقِ عَجَبِيَّةِ شِفَائِهِ مِنْ عَمَاهُ . أَمَّا وَجْهُ تَعَجُّبِهِ ، فَهُوَ أَنَّهُمْ
وَهُمْ حَمَلَةُ مِفْتَاحِ الْعِلْمِ ، وَالتَّصَدُّرُونَ زُعَامَةُ الشَّعْبِ « لَا يَعْلَمُونَ » مِنْ أَيْنَ آتَى
الْمَسِيحُ ، حَالُ كَوْنِهِ قَدْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ . طَبَعًا بَعْدَ أَنْ تَمَتَّعَ الرَّجُلُ بِالشِّفَاءِ ، صَارَ لَهُ
الْمَسِيحُ الْكُلُّ فِي الْكُلِّ ، فَمَنْ حَقُّهُ أَنْ يَعْجَبَ بِمَنْ لَا يَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ آتَى هَذَا
الْمَسِيحُ ، وَقَدْ آتَى بِمُعْجَزَةٍ فِي دَائِرَةِ النِّعْمَةِ لَا فِي دَائِرَةِ النِّقْمَةِ

عَدَد ٣١ . (ب) الْمَقْدَمَةُ الْمَنْطِقِيَّةُ الصَّغْرَى : « وَنَحْنُ نَعْلَمُ . . . » . « نَحْنُ »
— عَامَّةُ الشَّعْبِ الْيَهُودِيِّ ، « نَعْلَمُ » — عِلْمًا بَسِيطًا ، لَا كَلِمَ الْفَرِيسِيِّينَ الْفَلَسْفِيِّ
« أَنْ اللَّهَ لَا يَسْمَعُ لِلخَطَاةِ . . » (عَدَد ٢٤ وَ ٢٩) وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ « يَتَّقِي
اللَّهَ وَيَفْعَلُ مَشِيتَهُ » — أَيُّ يَقُومُ بِوَاجِبِهِ نَحْوَ اللَّهِ وَالنَّاسِ (١ تِي ٢: ١٠) —
« فَلِهَذَا يَسْمَعُ » . إِذَا قَدْ حَقَّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْجَبَ ، لِأَنَّ « الْخَاصَّةَ » يُؤَكِّدُونَ
أَنَّهُمْ لَا « يَعْلَمُونَ » (عَدَد ٢٩) بَيْنَمَا تَقَرَّرُ « الْعَامَّةُ » أَنَّهُمْ هُمْ « يَعْلَمُونَ »

(١) اعْتَقَدَ الرُّومَانُ قَدِيمًا أَنَّهُ إِذَا تَضَارَعَ خَصِمَانِ وَغَلِبَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ ، فَالْقُوَّةُ تَنْتَقِلُ
مِنْ ذِرَاعِ الْمَغْلُوبِ إِلَى ذِرَاعِ الْغَالِبِ

ويفعل مشيئته فلهذا يسمع . ٣٢ منذ الدهر لم يُسمع ان احداً
فتح عيني مولود اعمى ٣٣ لو لم يكن هذا من الله لم يقدر ان
يفعل شيئاً . ٣٤ اجابوا وقالوا له في الخطايا ولدت انت بحملتك

الى الآن ، لم يكن ايمان هذا الرجل قد بلغ دور النضوج ، لانه بلغ فقط
حد الثقة بان المسيح من اتقياء الله الذين يسمع الله صلاتهم ، وانه انما عمل
هذه المعجزة نتيجة استجابة صلاته ، لا بقدرة ذاتية فيه . وما علينا الا ان
نتنظر حتى عدد ٣٨ ، لنرى ايمان الرجل بالغاً حد النضوج

عدد ٣٢ . (ج) المقدمة المنطقية الكبرى : « منذ الدهر لم يُسمع » .
من المقدمة المنطقية الصغرى الخاصة بعلمه هو ، ومن على شاكلته من اهل جيله ،
انتقل الرجل بهم الى شهادة الأجيال بأسرها منذ بدء التاريخ : « منذ الدهر
لم يُسمع » . فاحكمه لانه لم يكتف بشاهد واحد ، بل استدعى جميع الاجيال
لتشهد معه على جهالة هؤلاء الحكماء في اعين انفسهم

عدد ٣٣ . (د) النتيجة المنطقية : « لو لم يكن هذا من الله » (٣٣:٩)
هذا منطق عجيب . حقاً ينطبق على هذا الرجل البسيط ذلك القول الجليل :
« كل كاتب متعلم في ملكوت السموات يخرج من كنزه جديداً وعتقاء »

عدد ٣٤ . هروبهم من المجد : « اجابوا وقالوا له . في الخطايا ولدت » .
انهم بقولهم هذا ، قد عبروا عن : (أ) عقيدتهم الباطلة في عند اليهود . فقدموا
جواباً عاطلاً على سؤال التلاميذ (عدد ٢) ، كأنهم ارادوا ان يقولوا ان العمى
مظهر لعلة دقيقة أشد منه خطورة - أعني بها الخطية . لكنهم في الوقت نفسه ،

وأنت تعلمنا . فأخرجوه خارجاً . ٣٥ فسمع يسوع أنهم أخرجوه

فضحوا أنفسهم لأنهم عبروا أيضاً عن: (ب) اعتقادهم بعصمة المعجزة . الآن قد اعترفوا بأن الرجل كان أعمى منذ ولادته . وإن المسيح شفاه . إن النتيجة الوحيدة التي ينتهي بها عدم الايمان ، هي القضاء على نفسه بنفسه

يراد بالقول : « فأخرجوه خارجاً » — أنهم طردوه من المكان الذي كانوا ملتجئين فيه ، بحجة ظاهريّة ، وهي : « انه لا يستحق الفحص » ، وبحجة حقيقية أقوى منها ، وهي : « أنهم لم يقدروا ان يقاوموا روح الحكمة الذي كان متسلحاً به » . وقد كان اخراجهم اياه من مكان التآمر ، تمهيداً واساساً لـ اخراجهم اياه من المجمع

هذا مطلع الصراع بين المجمع اليهودي ، وبين كنيسة المسيح في نواتها

(ج) مرقف المسيح (٣٥:٩ - ٤١) . يحدثنا هذا الفصل عن امرين

مهمين — أولهما : المعجزة الروحية التي تبعت المعجزة المادية : (٣٥:٩ -

٣٨) . وثانيهما : المفزى الروبي للمعجزتين — العمي يبصرون ، واليبصرون

يعبون (٣٩:٩ - ٤١)

(١) المعجزة الروحية : الاعمى يبصر : (٣٥:٩ - ٣٨)

عدد ٣٥. (١) المسيح يجر الرجل الطير . مضى بعض الزمن على اخراج

الفريسيين ذلك الرجل ، « فسمع يسوع أنهم أخرجوه خارجاً ، فوجده ^(١) » .

عند ما توصل طاقات الارض ، تنفتح أبواب السماء . وغضب العبد ،

(١) يقول يوحنا فم الذهب : لما طردوه من هيكل الرب ، وجده رب الهيكل . ولما

رذله راذلوا المسيح ، قبله المسيح المجدد من الملائكة والقديسين

خارجاً فوجدته وقال له أتؤمن بابن الله

عربون رضى الرب . ولعنات الظالمين ، عربون ابتسامات أرحم الراحمين .
لما طُرد ذلك الرجل من محضر اليهود ، ادخله المسيح الى محضره : « ليظهر
مجد الله فيه » (عدد ٣ و ٤) . وهو دائماً يفتش عن المطرودين من اجل اسمه .
ان الاخلاق الذي نلقاه من البشر هو توفيق لنا من الله . فقد قصد المسيح في
مراحمه ، أن يجود على الرجل بمعجزة أُسمى وأهم من معجزة فتح عينيه
الجسديتين ، فيتم فيه معجزة فتح عينيه الروحيتين ، لذلك أراد بحكمته ان
يُعد الرجل وبيئته للمعجزة الثانية ، بعد ان تمت فيه المعجزة الأولى . وان
الصراع العنيف ، الذي اجتازه الرجل في احتجاجه لدى اليهود ، كان خير
وسيلة ، لاعداده لقبول بركة المعجزة الثانية . وربما لو أجريت المعجزتان في
وقت واحد ، لما قوي نظر الرجل على مواجهة أنوار المعجزتين في آن واحد

تنكشف امامنا هذه الحقيقة في ضوء التدرج الذي استخدمه المسيح مع

الرجل — لقاء : « وجدته » ، فرعوة : « أتؤمن » ، فاعمره : « هو هو » .
(ب) المسيح يرعوه الى الابد باسمه باسم الله : « أتؤمن بابن الله » ؟ هذا
سؤال يحمل معه نوراً باسطاً ، رفعه المسيح امام عيني الرجل ، داعياً اياه اليه .
وكأنني بالقادي يقول له : « يا من وقفت امام عاصفة الفريسيين وانتصرت ،
هل أنت مستعد الآن ، أن تخطو الخطوة الثانية الايجابية ، وتؤمن بابن الله ؟
وما لا ريب فيه ، ان المسيح اراد « الايمان » في اسمى درجاته ، واعمقها ،
واكملها ، على خلاف الايمان السماعي السطحي . كما انه قدّم نفسه للرجل
في أرفع القاب واكلها ، واعمقها : « ابن الله »

٣٦ أجاب ذاك وقال مَنْ هو يا سيد لأؤمن به. ٣٧ فقال له يسوع
قد رأيتَه

مع ان هذه دعوة حرة ، الا انها تحمل معها ايجاء ، ووعداً ، وتشجيعاً
عدد ٣٦ . (ج) الرجل يظهر استعداداً لتلبية الدعوة : « أجاب ذاك
وقال مَنْ هو يا سيد لأؤمن به » . هذا قبول من غير تردد ، مما يدل على ان
دعوة المسيح للرجل صادفت منه صدراً رحيماً ، وان الخطوات التي اجتازها
ايمانه — من القول انه « انسان » (عدد ١٠) ، الى الاعتقاد بانه « نبي » (عدد
١٧) ، قد أعدته للايمان بالمسيح « ابن الله »

فرق عظيم بين سؤال الجيران : « أين ذاك » ؟ (عدد ١٢) ، وبين
سؤال هذا الرجل : « من هو » ؟ اولئك يسألون عن البعيد : « ذاك » .
وهذا يسأل عن القريب : « هو » . هل داخل الرجل شيء من الظن ، انه ربما
كان هذا « هو » ؟؟ !

عدد ٣٧ . (د) المسيح يعلن نفسه للرجل : « فقال له يسوع قد رأيتَه
والذي يتكلم معك هو . هو » . ما احكم هذه الطريقة التي بها اعلن المسيح
نفسه للرجل ! كان من الممكن ان يقول له : « انا هو » ، لكنه أراد
بحكمته السامية ، أن يعلن نفسه بكيفية تشعره بفضله عليه ، وتذكره بحسن
صنيعه معه : « قد رأيتَه » . بهذه الكلمة ذكره المسيح في لمح البصر : بماضيه
التعيسى : « كان أعمى » ، وأشعره بحاضره المجد : « والآن يبصر » . فأوقعه
في ربه فانه لا يمكنه ان يتخلص من التزاماته : « قد رأيتَه » . بهذه الكلمة

والذي يتكلم معك هو هو . ٣٨ فقال أو من

ذكره المسيح بفضلين — أولهما : انه وهبه نعمة البصر في حد ذاتها. وثانيهما . وهو الأم : انه منحه برؤية شخصه العجيب : « الذي هو أبرع جمالاً من بني البشر » . فضل عظيم ان الرجل استطاع ان يرى على الاطلاق ، واعظم منه ، انه استطاع ان يرى المسيح نفسه

في مقننة هذا الاصحاح ، رأينا المسيح ناظراً الى الأعمى ، والآن نرى الأعمى ناظراً الى المسيح . « نجه لانه هو أحبنا أولاً » . « انا لحبيبي وحبيبي لي » « والذي يتكلم معك هو هو » — اذا كان المسيح قد ذكر الرجل بفضله الخاص عليه ، بقوله له : « قد رأيته » ، فانه بقوله له : « والذي يتكلم معك هو هو » ، قد اوقفه امام فضله العام على جميع البشر ، ومنهم هذا الأعمى الذي اختصه بالتكلم معه : « الذي يتكلم معك هو هو » — وأي فضل أهم من تجسّد « الكلمة » ؟ « الذي يتكلم معك هو هو » — ان خير تفسير لهذه الكلمات ، نجده في مقدمة الرسالة الى العبرانيين : « الله بعد ما كلم الآباء بالانبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الايام الاخيرة في ابنه » (عب ١: ١ و ٢) . « هو هو » ان الذي يقول عنه الناس : « ذاك » ، متخيلين اياه شعباً بعيداً بعيداً ، هو الآن اقرب اليك من حبل الوريد . هذا هو المحبة متجسدة . يقول المسيح له : « قد رأيته » ، أشعره بنعمة الشفاء . وبقوله له : « الذي يتكلم معك » ، أشعره بنعمة الخلاص . « لان ابن الانسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك » عدد ٣٨ . (هـ) الرمل يجب الدعوة نهائياً ونصر عن انمانه : عبر

يا سيد . وسجد له . ٣٩ فقال يسوع لدينونة أتيت أنا الى هذا العالم

الرجل عن ايمانه تعبيراً مزدوجاً — جانبه الاول ، بالكهرس واللسانه : « فقال
أومن يا سيد » . وجانبه الثاني : بالعمل والحق : « وسجد له » . هنا بلغ الرجل
ذروة الايمان في العبادة . فليس هذا سجود الاحترام وكفى ، بل هو سجود
العبادة أيضاً (يوحنا ٢٠:٤ ; ٢٠:١٢)

عجيب ان هذا الرجل الذي وقف جامداً امام كبرياء الفريسيين ، ينحني
بكل اجلال امام ابن الله ويسجد « له » ، لا « امامه » . فالانسان أسير الاحسان
الآن قد اثمر ايمانه شكراً ، فأضحى شكره محبة ، فصارت محبته عبادة

ومن الالهية بمكان ، ان نذكر ان المسيح قبل هذا السجود ، فاذا لم يكن
المسيح إلهاً تاماً ، فمن المستحيل ان يكون انساناً كاملاً . لان الانسان الكامل
لا يقبل العبادة التي تقدم له وهو عالم انها لا تجوز الا لله وحده

هذا هو « ابن الله » بشادته ، وبشهادة معجزاته ، وبشهادة اعماله

(٢) المفزى الرومى للمعجزة — « حتى يبصر... ويعمى » (٣٩:٩ — ٤١)

عدد ٣٩ . اعموده رهيب : أمام هذا المشهد المقدس الذي نرى فيه الرجل
جائئياً عند قدمي المسيح ، فاه المخلص بهذا الاعلان الرهيب ، موجهاً الخطاب
الى التلاميذ ، والى بعض الفريسيين الذين كانوا معه ، تلاميذ سطحيين .
ولعلمهم كانوا جواسيس ، فقال : « لدينونة أتيت الى هذا العالم » . ان الغرض
الاساسي من مجي المسيح الى العالم ، هو منح البصر للعميان . لكن العيون
التي لا ترحب بنوره ، يدركها الظلام . لان للنور تأثيراً مزدوجاً : فهو بهجة

حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى

العيون السليمة ، وأذى العيون الرمداء . فمع ان الدينونة ليست غاية المسيح من مجيئه ، الا انها احدى النتائج الطبيعية الناشئة عن هذا المجي . فالذراع التي تُوقَف عن الحركة ، يدركها الجمود . والعيون التي تظل مدة طويلة في الظلام ، تفقد قوة البصر . فالمسيح نور ، وهو ايضاً موضوع الابصار ، فكل عين تراه وترحب به ، يتزايد نورها الى النهار الكامل . وكل عين تتحول عنه ، يُرفع عنها النور ، فيدركها ظلام الليل الدامس .

هذه النتيجة الاخيرة هي حكم الانسان على نفسه

ان قول المسيح : « الى هذا العالم » ، يعيد الى ذاكرتنا تصريحه الجليل : « انا هو نور العالم » (عدد ٥) . وان « الذين لا يبصرون » ، هم العائشون في ظلمة الجهل ، ويشعرون بحقيقة حالهم . بل يقرون بها . وهم الذين وصفهم المسيح « الاطفال » (لوقا ٢١: ١٠ مت ٢٥: ١١) . ولعل منهم اولئك الذين وصفهم الفريسيون ، بـ « الشعب الذي لا يفهم الناموس » (٤٩: ٧)

و « الذين يبصرون » ، هم الذين يملأون الجوّ صياحاً بقولهم : « نحن نعلم » (عدد ٢٤ و ٢٩) ، وهم الذين وصفهم المسيح بـ « الحكماء والفهماء » (لو ٢١: ١٠ مت ٢٥: ١١) — هؤلاء هم المغترون بمعرفتهم الضئيلة ، فتحرم انفسهم من المعرفة الحقيقية الكاملة — هم الذين يمثلون في شخصية ملاك كنيسة اللاودكيين ، الذي وجه اليه المسيح الخطاب قائلاً : « لانك تقول . اني انا غني . . وقد استغنيت ، ولا حاجة لي الى شي . . ولست تعلم انك أنت الشقي والبئس وفقير وأعمى وعريان » (رؤيا ٣: ١٧)

الذين يبصرون. ٤٠ فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسيين وقالوا له أعلنا نحن أيضاً عميان. ٤١ قال لهم يسوع لو كنتم عميان لما

من حكمة المسيح انه لم يقل عن البسطاء انهم عميان ، بل اكتفى بان وصفهم : بـ «الذين لا يبصرون» . وفي الوقت نفسه ، حكم على الحكماء في اعين انفسهم ، بالعمى التام

عدد ٤٠ . اعتراض السامعين من الفريسيين : « فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسيين » . يقول يوحنا الذهبي الثم ، « ان هؤلاء كانوا تلاميذ سطحيين للمسيح ، يرتدّون لدى قيام أية صعوبة » . ويقول عنهم ديقس سمث « انهم كانوا جواسيس على المسيح في صورة تلاميذ » . وربما انطبق عليهم الوصفان معاً . « وقالوا له أعلنا نحن ايضاً عميان » — يريدون بكلمة « ايضاً » ان يتعالوا عن غيرهم . كيف لا ، وهم العلماء المعروفون عند عامة اليهود بـ « المتفقيين » اي المتفقيين ، والمفتوحين العيون ؟ اي نعم . وقد كانوا كذلك . الا ان مثلهم مثل بلعام الذي قال عن نفسه انه مفتوح العينين — ولكن في الظلام !! (عدد ٣: ٢٤)

عدد ٤١ . حكم لا يقبل استئنافاً : « لو كنتم عميان ، لما كانت لكم خطية » . قد فجب اسمعنا هذه الكلمات ، من فم حمل الله الوديع ، على ان عجبنا يزول متى ذكرنا ، ان حمل الله الوديع هو هو الأسد الخارج من سبط يهوذا . ان قلب الحمل يفيض حنواً على قدر ما تندح عينا الأسد ناراً وشرراً . وفي اعتقادنا ان المسيح نطق بهذه الكلمات الجارحة ، وقلبه يتوجع

كانت لكم خطية. ولكن الآن تقولون إننا نبصر فخطيتكم باقية

ياليتمهم كانوا من الذين وصفهم المسيح في بدء عدد ٣٩ : ب «الذين لا يبصرون»! عندئذٍ، كان يتزايد لهم النور الكامل. اما وقد اعترفوا بعلمهم بالناموس والانبياء، فقالوا عن انفسهم انهم مبصرون، «فخطيتهم باقية». لقد ركز المسيح كل خطاياهم، في خطية واحدة—خطية عدم ايمانهم به. هذه بذرة كل خطية. «اما على خطية فلا أنهم لا يؤمنون بي»، «هذا هو الوارث هم تفتله». هذه خطية العارفين، التي تبقى بلا غفران، وتتقدمهم الى القضاء ان المسيح نور ورؤيا. فبالايمان به نرى شخصه، وفيه نرى الله. ها قد وضع السبيل الذي به يستطيع الانسان ان يراه — وذلك بسماع صوته، واطاعة أمره، والاعتراف بشخصه، والتسلح بنية قبول كل اهانة من أجل اسمه، والسجود له

ان لهذه المعجزة مغزى تاريخياً يتمشى مع مغزاها الأدبي الروحي. فالرجل الذي كان أعمى فأبصر، تتمثل فيه نواة العرس الجديد الذي انبته المسيح، ليأخذ مكان زيتونة الجمع اليهودي التي أدركها البلى. هذه هي الحصاة الاولى في هيكل المسيحية الجديد الذي اقامه المسيح على أقاض هيكل سليمان. منذ الآن سيحمى وطيس القتال والصراع بين النظامين، حتى يُراق دَمُ المسيح على تربة الجليئة، فتفتدى به زيتونة الكنيسة، وترعرع، وتفرخ، وتثمر، فتتأوى في اغصانها طيور كثيرة، في وقت تصاب فيه زيتونة النظام اليهودي، بالانحلال، والذبول

الاصحاح العاشر

الرابع والرعية

عَلِمَ الْمَسِيحُ بِمَا قَضَى بِهِ الْفَرِيسِيُّونَ عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَمَّتْ فِيهِ مُعْجَزَةُ الشِّفَاءِ، إِذْ «أَخْرَجُوهُ خَارِجًا» (٣٤:٩)، فَرَأَى فِي فَعْلَتِهِمْ هَذِهِ، مَثَالًا لِمَا سَيَفْعَلُونَ مَعَ غَيْرِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، فَفَتَحَ فَاهُ بِكَلِمَاتٍ تَحْمِلُ عِزَاءً «لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبَرِّ»، مُؤَكِّدًا لَهُمْ، أَنَّهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تُوصَدُ فِيهِ أَبْوَابُ الْمَجْمَعِ الْيَهُودِيِّ أَمَامَ وَجُوهِهُمْ، يَنْفَتَحُ لَهُمْ بَابُ السَّمَاءِ. وَحِينَ يُخْرَجُونَ مِنْ حَظِيرَةِ الْيَهُودِ الضَّيْقَةِ، يُفْتَحُ لَهُمْ بَابُ حَظِيرَةِ أَوْسَعٍ، وَأَفْضَلِ

أَنَّ الرُّوحَ الَّذِي يَسْرِي فِي هَذَا الْفَصْلِ، هُوَ بَعِينُهُ الَّذِي أَمْلَيْتَ بِهِ الرِّسَالَةَ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ. وَيُلَوِّحُ لَنَا أَنَّ مِفْتَاحَ هَذَا الْفَصْلِ، هُوَ بَعِينُهُ مِفْتَاحُ تِلْكَ الرِّسَالَةِ — أَعْنِي بِهِ كَلِمَةُ: «أَفْضَلُ». (يُو ١٠:١٠ وَعَب ٢٢:٧)

إِذَا كَانَتْ كَلِمَاتُ هَذَا الْفَصْلِ، مُسْتَمْدَةً رُوحًا مِنْ مَوْقِفِ الْفَرِيسِيِّينَ تَجَاهَ ذَلِكَ الرَّجُلِ، فَإِنَّ الْأَمْثَالَ الْمَتَضَمِّنَةَ فِيهِ، مُسْتَعَارَةٌ غَالِبًا مِنَ الْوَقْتِ الْخَاصِّ الَّذِي كَانَ الْمَسِيحُ مُوجُودًا فِيهِ مَعَ تَلَامِيذِهِ، وَبَعْضُ الَّذِينَ رَافَقُوهُ مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ، خَارِجَ اسْوَارِ أُورُشَلِيمَ. كَانَتْ شَمْسُ ذَلِكَ النَّهَارِ قَدْ آذَنْتْ بِالْمَغِيبِ، بَعْدَ أَنْ فَرَّغَ الْفَرِيسِيُّونَ مِنْ مُحَاكَمَةِ الْأَعْمَى الَّذِي أَبْصَرَ، وَمِنْ الْمَحْتَمَلِ جَدًّا أَنَّ رِعَاةَ فِلَسْطِينَ، كَانُوا آتَيْنِ رَاجِعِينَ بِأَغْنَامِهِمْ^(١) مِنَ الْبَادِيَةِ إِلَى أَحَدَى الْحِطَّائِرِ، الَّتِي كَانَتْ عِبَارَةً عَنْ سُورٍ مِنْ غَيْرِ سَقْفٍ، لِتَقْضِي فِيهَا الْأَغْنَامُ فَحْمَةَ اللَّيْلِ، فِي حِرَاسَةِ

(١) كَانَ فِي أُورُشَلِيمَ سُوقَانِ — أَحَدَاهُمَا لِلْأَغْنَامِ، وَالْأُخْرَى لِلْأَصْوَافِ

«بواب» خاص . فأمام حكم الفريسيين على الرجل من جهة ، وأمام هذا المشهد الطبيعي المؤلف، من جهة أخرى ، فاه المسيح بهذا الاعلان ، المطبوع بسلطانه المطلق المعهود، مُلبساً إياه لباسَ المثل : «الحق . الحق . اقول لكم ان الذي لا يدخل من الباب ...»

في هذا الفصل ، فاه المسيح — أولاً : بأمثال نموتة ، خرج منها بالتثنية : انه «هو الراعي الصالح» (١٠: ١-١٨) . ثانياً : بأعمده مجبر ، قرّ فيه انه هو «يهوه» راعي اسرائيل في القديم (١٠: ١٩-٤٢)

أولاً : نموتة امثال (١٠: ١-١٨) . ان هذه الامثال الثلاثة ، تحمل معها رسالة مثلية — توبيخ الفريسيين على تصرفهم العاتي مع ذاك الذي كان أعمى فأبصر ، وتثبيح الرجل على النمو في الايمان والثقة، ووصف أنجيل المسيح الشافي ، والمحبي ، والمُشبع

هذه الثلاثة الامثال مرتبطة معاً ارتباطاً وثيقاً . لدرجة تكاد تُحسب فيها مثلاً واحداً ، لا ثلاثة أمثال : (أ) فالمثل الاول ، عام . والمثلان — الثاني والثالث تطبيقاه تفسيرياه . في المثل الاول (١٠: ١-٦) ، تكلم المسيح عن الباب الحقيقي ، والراعي الحقيقي بوجه عام ، فلم يفهموا قصده . وفي المثلين الاخيرين ، خصص لنفسه ، ما سبق فذكره في المثل الاول على وجه التعميم . (ب) ففي المثل الثاني (١٠: ٧-١٠) خصص لنفسه العنصر الاول المتضمن فيه — «الباب» ، فقال «انا هو الباب» . (ج) وفي المثل الثالث (١٠: ١١-١٨) خصص لذاته العنصر الثاني — الراعي . فقال : «انا هو الراعي الصالح» ولقد رسم المسيح هذه الامثال الثلاثة . صورة كاملة ، مثلية . في المثل

الحق الحق

الاول ، رسم صورة للاغنام في الصباح الباكر ، حين يأتي الراعي الى باب الحظيرة ، وعن طريق البوَّاب ، يدخل الحظيرة ، وينادي خرافه الخاصة باسمائها ، ويخرج أمامها ، وهي تتبعه . (عدد ٣ و ٤) . وفي المثل الثاني ، رسم صورة للاغنام في الظهيرة ، حين تدخل الى الحظيرة ، ثم تخرج لتجد رعي (عدد ٩) . وفي المثل الثالث رسم صورة لها عند الوصول ، حين تهب الشمس لتختبئ وراء افق الغروب ، فيخرج الذئب من مخبئه لیتصيد عشاءه

(١) المثل الاول (١٠ - ٦) . يقدم لنا هذا المثل صورة لامة لا يعتمد الراعي الحقيقي (١٠: ٢ - ٤) . ولكي يكشف الفادي ، عن جمال صورة الراعي الحقيقي ، احاطها باطار قائم ، به اُبان قُبْح صورة الراعي الغير الامين . فهد لوصفه الراعي الحقيقي ، وعقب عليه ، بوصف بليغ للراعي الزائف (عدد ١ و ٥) - وبضدها تبيين الاشياء . ثم اختتم البشير هذا المثل بكلمة عامة ، وصف فيها مبلغ الجهالة التي استحكمت على عقول اولئك الذين كانوا يحسبون انفسهم متفقيين (عدد ٦) . والظاهر من استهلال المسيح هذا المثل ، واختتامه اياه بالكلام عن الراعي الزائف ، انه قصد ان يقدم للفريسيين ابلغ رد على ما عملوه بذلك الرجل الذي كان اعمى فأبصر (٣٤: ٩) ، اذ اراهم اصدق صورة لانفسهم . ويكاد يكون من المحقق ان المسيح كان واضعاً نصب عينيه تلك الصورة الرسومة في زكريا ص ١١

عدد ١ . (١) الراعي الزائف : «الحق . الحق» - اطلب شرح ٣: ٣ -

أقول لكم إن الذي لا يدخل من الباب الى حظيرة الخراف بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولص. ٢ وأما الذي يدخل

«ان الذي لا يدخل من الباب الى حظيرة الخراف بل يطلع من موضع آخر» — أي يتسلق الجدار او يتسور السور — «فذاك سارق» — وهو من ينسل خفية (انظر في الاصل ١٢:٦ و ١٠:٢٥) «ولص» — وهو من يقتحم عنوة (١٨:٤٠ ومت ٢٦:٥٥)

«الحظيرة» هي نظام خارجي ، وهي تشير بمعناها الاولي الى النظام اليهودي ، وترمز بمعناها النهائي الى الكنيسة المسيحية . و«الباب» هو المسيح سواء أكان في العهد القديم أم في العهد الجديد ، لان الكتاب المقدس يحدثنا عن أزلية المسيح ، وعن عمله الفدائي في العهد القديم ، قبل التجسد . فكل انبياء العهد القديم ، وملوكه ، وكهنته ، انما دخلوا الى قدس وظيفتهم عن طريق هذا «الباب» الاوحد . و«السراق والاصوص» هم الفريسيون ، الذين استلبوا خلسة حرية الشعب الساذج ، واغتصبوا السلطة اغتصاباً

عدد ٢. (٢) الراعي الخفي (١٠:٢ — ٤) . في هذه الاعداد ، نرى وصفاً سباعياً لمؤهلات الراعي الحقيقي ، وفيه ترسم أمامنا صورة كاملة لما يعمل عند ما يأتي في الصباح ، ليخرج قطيعه الى المراعي :

(١) الراعي الخفي يدخل الحظيرة من الباب (عدد ٢) : « وأما الذي يدخل من الباب فهو راعي الخراف » . ان طلاب وظيفة الرعاية ، طمعاً في المجد العالمي الذي يحفّ بها ، هم متشامخون بسبب شوكة الغرور المتمكنة من

من الباب فهو راعي الخراف . ٣ لهذا يفتح البواب

أعناقهم ، فيتعذر عليهم أن ينحنوا ليدخلوا من الباب المنخفض الاعتاب ، لذلك يلتجئون الى التسور من موضع آخر . عجيب ان الانسان يقبل عن طيب خاطر ، ما تكلفه به ارادته النفسانية من متاعب وتضحيات ، ويتبرم من الهنات الهيئات التي يتطلبها الله منه ! « واما الذي يدخل من الباب فهو راعي الخراف » . هذا مجاز مركب . فالمسيح « هو الراعي » الذي دخل الى حظيرة الخراف ، بتعيين من الآب (مز ٧: ٢ و ٨) . وهو ايضاً « الباب » الذي به دخل الانبياء ، والمرسلون ، والملوك ، الى هيكل وظيفتهم الرعوية . كلمة « راعي » كما وردت في الاصل — في هذه الآية — تصف الراعي في صفاته ومؤهلاته ، لا في شخصه . فهي صفة لا ذات

كما ان الحظيرة الواحدة كانت تضم اكثر من رعية واحدة (عدد ٢ و ٧) ، كذلك قد تكون الرعية الواحدة في اكثر من حظيرة واحدة (عدد ١٦)

عدد ٣ . -- ب - الراعي الحقيقي يعرف البواب ويرمب به : « لهذا » — أي للراعي الحقيقي دون سواه — « يفتح البواب » . قد تباينت أفكار المفسرين في تعيين المراد بـ « البواب » . يقول لانجي . « يراد بـ « الباب » ، الروح القدس الذي يدعو الرعاة الى وظيفة الرعاية » . ويقول بنجال « يراد به الله الآب الذي يجتذب الناس اليه بالمسيح » (٤٤: ٦) . ويقول اغسطينوس « ان البواب هو المسيح . فهو اذاً الباب والبواب » . ويعتقد وستكوت « ان « الباب » لا يرمز الى شخص معين ، بل الى عمل الروح القدس العامل في

والخراف تسمع صوته

الكنيسة بواسطة رعاتها». ويقول الذهبي الفم «هو موسى». ويعتقد رايل «ان كلمة: «بواب» لا ترمز الى شخص معين، وانما ذُكرت تكملة للصورة المرسومة في المثل». ويعتقد جوذي «ان البواب هو يوحنا المعمدان» استناداً الى ما قاله البشير عنه في صدر هذه البشارة (١: ٦ و٧)

— ج — الراعي الخفي برمل الحظيرة رينادي، فتسمع جميع الخراف صوته: «والخراف تسمع صوته». يقول آدم سميث في كتابه «الجغرافية التاريخية للارض المقدسة» انه بينما كان جالساً ليسترىح على مقربة من عين ماء، مستظلاً بني، احدى الاشجار، أقبل الى العين أربعة رعاة، لكل منهم قطع خاص. واذا بقطعانهم قد اندفعت لترتوي من عين الماء، فاختلط حابلها بنابلها. وبعد ان استقى الرعاة للاغنام سوية، وكان وقت القيلولة قد انقضى، اخذ العجيب من هذا السائح كل مأخذ، حين رأى الرعاة، وقد انفرد كل منهم عن الآخر، ووقف في مكان ظاهر على رأس الوادي، واطلق صوته الرنان بنداء خاص، واذا بالاغنام قد افترق بعضها عن بعض، كما يفترق الليل عن النهار، وما هي الا لحظة، حتى التأم معاً كل فريق منها مكوناً قطيعه الخاص، كما تلتئم الجداول الصغيرة لتصب في النهر

كلمة: «الخراف» في بدء هذا العدد تعني جميع خراف الحظيرة، بما فيها خراف الراعي. فالنداء مسموع من الجميع. ما اشبهه بالدعوة العامة التي يسمعاها جميع الناس، لكن لا يميزها ويفهمها سوى المدعوين باسمائهم دعوة خاصة

فيدعو خرافه الخاصة بأسماء ويخرجها . ٤ ومتى أخرج خرافه
الخاصة يذهب أمامها

— د — الراعى الحقيقى يدعو خرافه الخاصة بأسماء : « فيدعو خرافه
الخاصة بأسماء » . الدعوة هنا خاصة . موجهة الى كل بفردة كما لو لم يكن
في كل القطيع إلاه ، مقابل الدعوة العامة المنوّه عنها سابقاً . هذا يذكرنا بقول
« يهوه » : « دعوتك باسمك . أنت لي » (اشعيا ٤٣ : ١ ، ٤٥ : ٣)

— ه — الراعى الحقيقى يخرج رعيته : « ويخرجها » . فهو يخرجها
ليكوّن منها قطيعه . هذا « خروج » يعقبه « التكوين » . ويحمل بنا ان نذكر
ان كلمة « يخرج » الواردة هنا ، هي بعينها التي وردت في ٣٤ : ٩ و ٢٢ . أخرج
الفريسيون الرجل ، طاردين اياه ، فأخرجه المسيح من الحظيرة اليهودية
العتيقة الى حرية مجد اولاد الله . ان عمل الفريسيين معه كان حكماً منهم عليه .
لكن عمل المسيح معه ، بركة انجيلية مجيدة لا تمتاز عنها بركة « خروج »
بني اسرائيل من مصر . اخرج الفريسيون الرجل بقوة سخطهم ، والمسيح
أخرجه الى الرحب بسلطان محبته (٢ كو ٥ : ١٤) . فكان اليهود صاروا خدام
مقاصد المسيح وهم عميان !! (٩ : ٤٠ و ٤١) . في هذا تعزية كبرى للرجل .
لان الفريسيين لم يخرجوه الا الى المراعى الخضراء

عدد ٤ . — و — الراعى الحقيقى يقود خرافه الى المراعى الخضراء :
« ومتى أخرج خرافه الخاصة يذهب أمامها » . في أثناء اخراجه اياها من الحظيرة ،
يقف خلفها لكي لا تتخاف منها واحدة . ومتى اخرجها كلها يذهب أمامها .

والخراف تتبعه لانها تعرف صوته . ه واما الغريب فلا تتبعه

في بعض البلدان يسوق الرعاة اغنامهم امامهم ولكن في فلسطين يتقدم الرعاة الخراف . وهذا افضل لانه يجعل الراعي زعيم رعيته، وهاديا، وحاميا، ومثلها الأعلى . ان في رضى المسيح بان يكون راعيا لنا، اتضاعاً عظيماً . لان الرعاية في حد ذاتها كانت خدمة حقيرة في نظر الممالك القديمة - وفي مقدماتها مصر . فضلاً عن ذلك فان المسيح لم يكتف بان يكون راعياً لنا، بل صار واحداً منا لكي يتقدمنا حقاً (رؤ ١٧: ٧)

ز - الراعي الحقيقي يعرف رعيته فتقبل زعامته . «والخراف تتبعه لانها تعرف صوته» . فالمعرفة متبادلة بين الراعي والرعية - هو يعرفها باسمائها وهي تعرفه بشخصه وذاته . هو يتقدمها وهي تتبعه - ولو قادها الى المخاطر . وان مخاطر يتقدمها فيها راعيها خير من أمن تكون فيه وحيدة موحشة . «الاتباع» يفيد الاعتراف بالزعامة ، والطاعة، والولاء . انه اتباع عن علم لا عن جهل وغباءة : «لانها تعرف صوته» . ولئن جهلت الخراف اشياء كثيرة حتى صارت مضرب الامثال في الجهالة ، الا انها تعرف صوت راعيها . في هذا اشارة ضمنية الى طاعة الرجل المولود اعمى ، لدعوة المسيح (٣٥: ٩)

عدد ه . (٣) الراعي الغريب : «واما الغريب فلا تتبعه بل تهرب منه لانها لا تعرف صوت الغرباء» . «الغريب» هو غير السارق واللص (عدد ١). ان عمل السارق واللص، موجه الى الاغنام وهي داخل الحظيرة، ولكن عمل الغريب موجه الى الخراف وهي تتبع راعيها خارج الحظيرة . السارق يختلس

بل تهرب منه لانها لا تعرف صوت الغرباء. ٦ هذا المثل قاله لهم يسوع. وأما هم فلم يفهموا

خفية ، واللص يهاجم عنوة ، والغريب يفوي ويفري بالوعود الجاذبة الخلابه. ولعل في قوله: «لا تتبعه بل تهرب منه» اشارة ضمنية الى عدم انصياع الرجل لنصح الفريسيين حين قالوا له «اعطِ مجداً لله» (٩: ٢٤). على ان هذه الاوصاف الرباعية : «سارق» ، «لص» (عدد ١٥) ، «غريب» (عدد ٥) ، «أجير» (عد ١٣) ، ليست سوى مظاهر متنوعة لتصرف الفريسيين ومن اليهم

. عدد ٦ . مبررات العلماء : « هذا المثل قاله لهم يسوع . وأما هم فلم يفهموا .. » . كان امام المسيح غرض مزدوج في نطقه بالامثال : لكي يبصر العميان ، ولكي يعمي المبصرون (مت ١٣: ١٠ و ١٣) . « وأما هم فلم يفهموا » على رغم كون يعقوب ابيهم ، قد تحدث عن الله كراعٍ (تك ٤٩) ، وداود ملكهم ترنم برعاية الرب له (مز ٢٣) ، واشعيا نبينهم تغنى برعاية الرب لشعبه (اش ٤٠: ١١) . (انظر أيضاً حزقيال ٣٤ و زكريا ١١) . ان السر في عدم فهمهم ، كائن في الفسادة التي اعمت بصائرهم ، والكبرياء التي ملكت قلوبهم . فلم يخطر لبالم ان امثالهم يكونون «سراقاً ولصوصاً» . وكم للكبرياء من ضحايا . هؤلاء هم الذين لم يقبلوا ان يقال عنهم انهم عميان (٩: ٤٠) !!

ب - المثل الثاني - مثل باب الخراف (١٠: ٧ - ١٠) . في هذا المثل خصص المسيح لنفسه احد العناصر المكوّن منها المثل الاول (١٠: ٢) ، فقال : « انا هو الباب » ، مقررأ بهذا انه هو الواسطة الوحيدة للدخول الى الكنيسة

ما هو الذي كان يكلمهم به . ٧ فقال لهم يسوع أيضاً الحق الحق.

في كل العصور . به يدخل المؤمنون ، وبه يستمتعون بكامل حقوقهم المقدمة لهم من الله . في هذا المثل تقدم كلام المسيح ، مرحلة أخرى عن كلامه في المثل الاول . فما قاله في المثل الاول بوجه التعميم ، فاه به هنا على وجه التخصيص ، فقال : « أنا هو الباب » . المثل الاول يقدم لنا مشهداً صباحياً حين يأتي الراعي الى الحظيرة ويكون قطيعه مخرجاً اياه الى المراعي . والمثل الثاني يصور لنا مشهداً نهائياً حين تكون الرعية قد خرجت من الحظيرة العامة ، لتسرح وتمرح في المراعي ، حيث يقام لها عادة سياج مفتوح بابه باستمرار ، لتحتمي فيه عند قبولة النهار . فان ارادت حمى لجأت اليه ، وان طلبت مرعى ، خرجت منه الى المراعي ، وهي ممتعة بكامل الحرية التي يتمتع بها ابن البيت

عدد ٧ . باب الخراف : « فقال لهم يسوع أيضاً » - مفسراً لهم بعض ما اشكل عليهم فهمه في المثل الاول - « الحق الحق اقول لكم » - بذات التوكيد الذي أورد به المثل الاول - « اني أنا باب الخراف » . في الغالب جداً ، مضى بعض الوقت بين المثل الاول وبين هذا المثل . ومن المحقق ان في هذا المثل الثاني انتقالاً في الفكر عما في المثل السابق . في المثل الاول تكلم المسيح عن « باب الحظيرة » ، وهنا قال عن نفسه انه « باب الخراف » . في الكلام عن « باب الحظيرة » المعنى منصرف الى النظام الخارجي المتعلق بالرعية . وفي الكلام عن « باب الخراف » المعنى منصب الى الحياة الخلاصية الروحية الخاصة بالرعية . ويقول جودي ان « باب الحظيرة » يرمز الى نظام العهد

أقول لكم إني أنا باب الخراف. ٨ جميع الذين أتوا قبلي هم سراق

القديم. ولكن «باب الخراف» يشير إلى الخلاص التام المقدم في الإنجيل. إن «باب الخراف» هو الباب الذي إليه تدخل الخراف، للخلاص والحماية، ومنه تخرج للريضة والرعاية (عدد ٩). ويظن ماير وآخرون إن «باب الخراف» هو الباب الذي منه يدخل الرعاة إلى الخراف. على أنه إذا كان هذا المعنى الأخير متضمناً في العبارة، فائماً يكون من باب التطبيق

«أنا باب الخراف» — هذا هو الومعور الثالث الذي فاه به المسيح في هذه البشارة (اطلب ٣٥: ٦ و ١٢: ٨)

عدد ٨. صفات من يعرفهم أنهم باب الخراف: «جميع الذين أتوا قبلي» — زاعمين أنهم باب الخراف — «هم سراق ولصوص» — «ولكن الخراف» — أعني بها خرافي الخاصة التي تعرف صوتي. هذه لا خوف عليها منهم لأنها عرفت أيضاً صوتهم — «ولم تسمع لهم»

إن الكلمة الأصلية المترجمة: «قبلي»، تعني أما: (أ) قبلي في الزمان، أو (ب) قبلي في المكان، أو (ج) قبلي في المقام، أو (د) قبلي من حيث المبدأ المحلي. وهي في هذا المجال تحمل على المعنيين الآخرين. هؤلاء هم الكتبة والفريسيون ومن اليهم، من معاصري المسيح

ما أعظم الفرق بين ادعائهم وبين شهادة يوحنا للاممдан: «هذا هو الذي قلتُ عنه يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي». ويهمننا أن نلاحظ أن المسيح لم يصفهم كأنهم عاشوا في زمن مضى، بل باعتبار كونهم معاصرين له.

ولصوص . ولكن الخراف لم تسمع لهم . ٩ أنا هو الباب . ان دخل
بي أحد فيخلص ويدخل

فلم يقل « كانوا سراقاً » بل « هم » — في الحال — « سراق ولصوص »
« ولكن الخراف لم تسمع لهم » — ان الذين كانوا ينتظرون تعزية اسرائيل ،
لم تشبعهم الوعود الخلافة ، ولم تحذعهم الكلمات المعسولة ، التي قصد بها اضداد
المسيح ان يصرفوهم عن رجاء اسرائيل . وفي الحقيقة لم يتم انجيل للمساكين
الا بمجيء المسيح (لو ٢٠: ٦ ومت ٣: ١١)

ان مثل الكرامين المذكور في سائر البشائر، يُعتبر خبر تفسير لهذا الكلام
عدد ٩ . مزايا الرافض من هذا الباب : في هذا العدد، عاد المسيح فقرر
لهم مؤكداً، ما سبق فقالة في العدد السابع ، ثم بين لهم المزايا الكاملة التي يتمتع
بها من يدخل من هذا الباب . هذه مزايا اختبارية تمنح لكل من يتحد
اتحاداً روحياً حيوياً بالمسيح ، ويتخذ لذاته فادياً وشفيعاً . « فمن ثم يقدر أن
يخلص ايضاً الى التمام الذين يتقدمون به الى الله » . وهي ايضاً مزايا مثلثة —
والثلاثة رمز الكمال . فهي (ا) فهو من تام : « فيخلص » . (ب) حرية ^(١)
« ويدخل ويخرج » . هذا تعبير يطلق على من صار متمتعاً بحرية وحقوق ابناء
البيت ، الذين يدخلون ويخرجون من غير حرج ولا استئذان (تث ٢٨: ٦
وارميا ٣٧: ٤ واعمال ٢١: ١) . (ج) مُبْع « ويجد مرعى » . ان ابناء العالم

(١) قابل هذا بما هو معروف في هذه الايام من ان مجلس احدى المدائن أنعم على
شخص ممتاز بنيشان : « حرية المدينة »

ويخرج ويجد مرعى. ١٠ السارق لا يأتي إلا ليسرق ويذبح ويهلك.

لا يعرفون الشبع. لان كلمة «شبع» محذوفة من قاموسهم. ولكن من يعرف الله، ويصير من ابنائه، يشهد لصدق القول: «أمامك شبع سرور»

يعتقد ماير وستراخان وغيرهما، أن «الداخين» من هذا الباب هم الرعاة الذين يدخلون الى اقداس الشركة مع الله، فيتمتعون بالخلاص التام لأنفسهم (١ تي ٤: ١٦)، ويدخلون ويخرجون ليجدوا مرعى لرعيتهن. ولا يبعد ان يكون هذا المعنى متضمناً في الآية من قبيل التطبيق

عدد ١٠. (١) غرضه السارق من مجيء (١٠: ١١٠). «السارق لا يأتي الا ليسرق ويذبح ويهلك». يلاحظ بنوع خاص في هذا المثل، ان كل عدد فيه متخالف في معناه مع سابقه، ومتخالف مع سابق سابقه. هذا هو التوازن المتباين: فعدد ١٠ متخالف في معناه مع عدد ٩، ومتخالف مع عدد ٨. وكذلك عدد ٩ متخالف مع عدد ٨، ومتخالف مع عدد ٧. ومن محاسن هذا المثل انه ينتدى بالحسن وينتهي «بالافضل»

من كلام المسيح عن الشبع، الذي تجده الرعية في راعيها الحقيقي، انتقل الى الكلام عن الهلاك الذي تمنى به الرعية، من السارق الذي لا يأتي الا «ليسرق ويذبح ويهلك»

هذه الكلمات الثلاث: «يسرق، يذبح، يهلك» سائرة في نظام تدرجي فالقتل اشد من السرقة، والهلاك نتيجة لكليهما

وأما أنا فقد أثبت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل . ١١ أنا
هو الراعي الصالح .

(٢) غرضه المسيح من مجيئه (١٠: ١٠ ب) . «وأما أنا فقد أثبت» . ان
العطايا الحقيقية ، مشتقة من قلب مُعطيها ، فهي عنوان حياته ، ورمز صفاته :
فالسارق ، لا يمكنه الا ان يسرق ، ويذبح ، ويهلك — لان هذه من طبعه .
اما المسيح رب الحياة ، فلا يمكنه الا ان يكون واهب الحياة الفضلى : «لتكون
لهم حياة ، وليكون لهم افضل» . والمراد بقوله : «افضل» ان الرعاية تجد مراعي
أوفر مما تستطيع ان تأكل . فبعد ان تأخذ كفايتها من الحياة وتشبع ، تفضل
عنها الحياة وتزيد «كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز» (لوقا ١٥: ١٧) . «ومن
ملئه نحن جميعاً اخذنا ونعمة فوق نعمة» (يو ١: ١٦) . فالمسيح جاء لكي تكون
لنا الحياة ، وتكون لنا اوفر في كبريتا ، وقباسرها ، ونوعرها . السارق لا يأتي الا
ليستلب الحياة ، وينتقص منها ، اما المسيح فانما اتى لكي يفيضها فتغمرنا

(ج) المثل الثالث — مثل الراعي الصالح (١٠: ١١ — ١٨) . في هذا
المثل ، خصص المسيح لنفسه العنصر الثاني ، المتضمن في المثل الاول — الراعي .
ان المثل الاول ، تجمله اشعة الصباح البهية . والمثل الثاني يُظله في الظهيرة ،
والمثل الثالث مصطبِع بأشعة الغروب الذهبية ، حين تميل الشمس لتختبئ
وراء الافق ، فنقل الاغنام راجعة الى الحظيرة ، وتعرض لهجمات الدنّاب
التي تكون كامنة في مخابئها ، متحينة الفرصة لتفتك بها . في هذا المثل الثالث
بلغ المعنى ذراه ، فقد قال فيه المسيح عن نفسه انه «الراعي الصالح» . فالمقابلة

والراعي الصالح يبذل نفسه

فيه ، ليست بين الراعي والاصح كما في بدء المثل الاول وفي المثل الثاني ، بل بين الراعي الصالح والراعي المأجور . فالمسيح ليس مجرد راع ، بل هو الراعي الصالح . كلمة « صالح » كما وردت في الاصل ، معناها « الجميل ، والبديع ، والفاضل ، والخير » . لان اليونان ، الذين كُتب الانجيل بلغتهم ، كانوا يرون « الخير الاعظم » في الجمال . ومن مميزات هذا الراعي الصالح :

(١) تضحية نفسه عن الرعية (١٠:١١ - ١٣) . (ب) المعرفة المتبادلة بينه وبين الرعية (١٠:١٤ - ١٦) . (ج) تضحية اختيارية لا اضطرارية (١٠:١٧ و ١٨) عدد ١١ . « الميزة الاولى للراعي الصالح : تضحية نفسه عن الخراف » (١٠:١١ - ١٣) . « والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف » . هذا هو العنصر الفدائي في مزايا الراعي الصالح . الكلمة المترجمة : « يبذل » ، وردت في العهد الجديد ضمن كتابات يوحنا البشير دون سواه (١٠:١٥ و ١٧ و ١٣:١٣:٣٧ و ٣٨ و ١٥ و ١٣ و ١٦:٣) . وفي كل هذه المواضع تُرجمت الى « يضع » . ويقول بعض النقاد ان هذه الكلمة كانت تستعمل « لتقديم الفدية » التي بها يُشترى شيء . ثمين (قابل هذا بما جاء في مت ٢٨:٢٠) . ومعناها الحرفي : « خلع » ^(١) (انظر يوحنا ١٣:٤) — أي ان الراعي الصالح « يخلع » حياته على رعيته . ومن المحتمل جداً انها تحمل بين دفتيها اشارة

(١) بين هدايا الملوك وجوائزهم شيء يعرف « بالخلعة » — وهي ما تعود الملوك تقديمه من الثياب لمن يخدمه في أعينهم . وآخر من أعطى خلعة من الملوك ، هو الملك فيصل حين كان سلطاناً على سورية

عن الخراف . ١٢ واما الذي هو اجير وليس راعياً الذي ليست الخراف له فيرى الذئب مقبلاً ويترك الخراف ويهرب . فيخطف

ضمنية الى ما جاء في اش ١٠: ٥٣ « جعل نفسه ذبيحة اثم » . اما كلمة : « عن » ، فمعناها : « من اجل » — هذا تعبير آخر لكفارة الصليب . هذه هي التضحية العظمى ، التي تنطوي على : (١) حب الراعي الصالح لرعيته (٢) شجاعة التي بها يستوف بالمخاطر . (٣) حرصه على ألا يتبدد من الرعية أحد « أنا هو الراعي الصالح » — هذا هو الوجود الرابع الذي فاه به المسيح عن نفسه في هذه البشارة (قابل ٣٥: ٦ و ١٢: ٨ و ١٠: ٧)

عدد ١٢ و ١٣ . الومير . مقابل تضحية الراعي الصالح لرعيته ، وصف المسيح أنانية الاجير . اذا كانت تضحية الراعي تنطوي على حبه للرعية ، وشجاعته ، وحرصه عليها ، فان انانية الاجير ، تنطوي على : (١) حب الومير لذاته ، فهو يقدم رعيته على مذهب مصلحته الذاتية : « واما الذي هو اجير وليس راعياً » — على الاطلاق : فلا هو بالراعي الصالح ولا الطالح ، بل مأجور من الراعي لحراسة الاغنام — « الذي ليست الخراف له فيرى الذئب مقبلاً ، ويترك الخراف » . المقابلة هنا ليست بين الراعي الصالح وبين السارق واللص كما في عددي ٨ و ١٠ ، بل بين الراعي الصالح وبين الاجير . ليس من الضروري ان تقرر ان المسيح قصد : « الاجير » شخصاً خاصاً او طبقة معينة ، فربما ذكر الاجير والذئب كعنصرين مكملين للمثل . على أننا اذا حسبنا « السراق واللصوص » ، ممثلين للاربيين الذين كانوا متقلدين السلطة التنفيذية في الامة اليهودية ، فان

الذئبُ الخرافَ ويبددها. ١٣ والاجير يهرب لانه اجير ولا يبالي بالخراف .

«الاجير»، يمثل الكهنة واللاويين الذين استودعوا نفوس الشعب باعتبارهم مرشديهم الروحيين، وهم الطبقة المأجورة في النظام اليهودي. ان من خصائص «السارق واللص»، السلب والنهب - كذلك كان الفريسيون. ومن خصائص «الاجير»، الجبن والهرب - كذلك كان الكهنة (يوحنا ١٢: ٤٣)

الفريسي الاول يمثل العنصر المعادي للمسيح: «فقال قوم من الفريسيين هذا الانسان ليس من الله». والفريسي الثاني يمثل العنصر الذي يميل الى الايمان بالمسيح، لكنه يخشى بطش المشايخين: «آخرون قالوا كيف يقدر انسان خاطيء ان يعمل مثل هذه الآيات» (١٦: ٩). «الذئب»، يرمز الى الشيطان، او الى قوة يتخذها الشيطان آلة في يده، لاختطاف رعية المسيح

(٢) مبعين الامير: «ويهرب». ان لهروبه تليجتين - امر اللهما منصبة على الرعية أفراداً: «يخطف الذئب الخراف». فالذئب لا يختطف الا فرداً فرداً. والثانية واقعة على الرعية كجماعة، وهي مترتبة على النتيجة الاولى. لان الرعية بعد ان ترى الذئب يخطف منها واحداً فواحداً، لا تستطيع ان تقف ضد هجماته «فتبدد»

عدد ١٣. (٣) عدم مبالاة الامير «...ولا يبالي بالخراف». في هذا العدد كشف المسيح عن علة هروب الاجير - عدم المبالاة. فالهرب عمل خارجي. وعدم المبالاة احساس داخلي في القلب. هذه خطية سلبية - فهي من خطايا الترك - لكنها من اشنع الخطايا (يعقوب ٤: ١٦)

١٤ أما انا فاني الراعي الصالح وأعرف خاصتي وخاصتي تعرفني ١٥ كما أن الآب يعرفني وأنا اعرف الآب.

عدد ١٤ . الميزة الثانية للراعي الصالح — المعرفة المتبادلة بينه وبين الرعية : « أما انا » — على خلاف الاجير — « فاني الراعي الصالح . واعرف خاصتي » — ليست هذه مجرد معرفة سطحية تميز الرعية من شكلها الخارجي . لكنها معرفة عميقة داخلية . هي معرفة العين المحبة الفاحصة التي تصل الى اعماق قلوب الرعية فتعرفها فرداً فرداً . وتعرف حالة كل فرد معرفة دقيقة تحيط بكل صغيرة وكبيرة في حياته . كلمة « خاصته » معناها « الذين هم له » ويقابلها في عدد ١٢ « الذي ليست الخراف له » . هذا هو الجانب الاول والاساسي لهذه المعرفة — ان المسيح يعرف خاصته . اما جانبها الثاني الذي ينبني على الجانب الاول ويُشتق منه فهو — ان خاصة المسيح تعرفه : « وخاصتي تعرفني » . هو يعرف « خاصته » باسمائها وبكل ما يحيط بها . و « خاصته » تعرفه بصوته وشخصه

عدد ١٥ . مقياس المعرفة المتبادلة ونسبها (١٥ : ١٠ أ) . « كما ان الآب يعرفني وانا اعرف الآب » . ان مقياس المعرفة المتبادلة بين المسيح ورعيته ، هو المعرفة المتبادلة بين المسيح والآب . فهي معرفة مؤسسة على وحدة الطبيعة والحب الصادق ، والتفاهم المتبادل . يا عجبى من هذا الحب المجيد الذي به رفعنا المسيح الى نفسه . فلقد تنازل ليرفعنا اليه . وشاركنا في لحمنا ودمنا ليجعلنا شركاء الطبيعة الالهية — هنا يطرح المفسر قلمه جانبا ليجلس مبهوراً من فرط هذه الامجاد التي تشتهي الملائكة ان تطلع عليها

وانا اضع نفسي عن الخراف

وسيلة المعرفة المتبادلة وغايتها (١٥:١٠ ب). «وانا اضع نفسي عن الخراف». هذه العبارة سببية للجملة التي قبلها، وتابعة لها. لان وحدة الطبيعة التي بين المسيح ورعيته، لم تتخذ لها حيزاً في الظهور الا بالصليب، كما ان معرفة المسيح بحقيقة حالات الرعية وحاجاتها، لا يمكن الا ان تنتهي بالصليب ما اشبه قول المسيح: «وانا اضع نفسي عن الخراف» بقرار نشيد محبب رددته القادي واعاده ثلاث مرات (عدد ١١ و ١٥ و ١٨). فاذا كان مخلصنا قد وجد لذة في ان يلهج بموته عنا—والموت كأس مريرة. أفلا نجد نحن لذة في ان نلهج بالحياة التي صارت لنا بهذا الموت—والحياة حلوة لذينة؟!

ليست هذه اول مرة نعر فيها على مثل هذا القرار. فقد سبق القادي فردّد قراراً آخر: «وانا اقيمه في اليوم الاخير» (٦: ٣٩ و ٤٠ و ٤٤ و ٥٤) في هذا المثل رفع المسيح حب الراعي لرعيته الى مستوى يعلو عما جاء في مثل الخروف الضال، الذي في بشارة لوقا. هناك رسم المسيح صورة الراعي وقد وضع عنقه تحت الخروف. وهنا ارانا الراعي الصالح، وقد وضع نفسه من اجل الحمل. ان موضوع المثل في لوقا هو الراعي العادي: «اي انسان منكم» ولكن موضوع المثل في يوحنا هو الراعي الصالح متفرداً في جماله وجلاله

كلمة: «الخراف» تعني جميع المؤمنين. ان كفارة المسيح «عامة» من حيث كفايتها، «خاصة» من حيث فاعليتها. فهي «كافية» لجميع الناس، «شافية» لجميع المؤمنين (١ يوحنا ٢: ٢). على ان المؤمنين بالمسيح لا تحدهم طائفة. ولا تحصرهم أنظمة منظورة بل هم في كل قبيلة وأمة

١٦ ولي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي ان آتي بتلك

عدد ١٦ . رعية واحدة في مظار متعددة : « ولي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي » . يُخيل إلينا ان المسيح نطق بالكلمات المدونة في العدد السابق ، وهو مثبت نظره في الصليب الذي كان منه قاب قوسين او أدنى . وما هي الا هنيهة حتى رفع عينيه اللتين تخترقان حجب المستقبل ، فرأى جمهور المؤمنين به مقبلاً إليه من كل قبيلة ولسان وشعب وامة . فاراد ان يرفع انظار سامعيه الى ما وراء أفق الحظيرة اليهودية الضيقة : « ولي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة » . في الاعداد ١ و ٢ و ٣ حدثنا المسيح عن حظيرة واحدة تضم رعايا كثيرة . وفي هذا العدد (عدد ١٦) يكلمنا عن رعية واحدة موجودة في حظائر كثيرة . كلمة « هذه الحظيرة » تعني النظام اليهودي . و « الخراف الاخر » تعني اتباع المسيح من الامم . اذا كان النظام اليهودي أضيق من ان يضم كل اتباع المسيح ، فان اية كنيسة نظامية مهما علا شأنها وكبر ، لن تستطيع ان تضم بين جدرانها كل المؤمنين بالمسيح . فالكنيسة الغير المنظورة اوسع مدى من اية كنيسة منظورة . ان اتباع المسيح لا يمكن ان تحصرهم جدران معينة . وانما تحصرهم محبة المسيح . فعلى قدر ما ضيق المسيح مبادئ ملكوته ، بهذا القدر عينه وسع أفق حدوده . فالى الاخ المسلم تمد المسيحية يدها وتفتح قلبها مرحبة به ليأخذ مكانه في صدر المسيح . والى كل يهودي تقدم الدعوة ليأخذ مقامه في الزيتونة الاصلية . ان شخصية المسيح الغنية هي المغناطيس الاكبر الذي يجتذب ابناء الله المتفرقين ويضمهم الى صعيد واحد (١١ : ٥٢) . هذه رسالة

أيضاً فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد. ١٧ لهذا يحبني المسيح التي جاء ليتممها وهو عالم انه تحت التزام ادبي قبله على نفسه طائعاً مختاراً. لذلك قال: «ينبغي ان آتي بتلك أيضاً». ما دامت الرعية له فهي ملكه لذلك يجب ان تكون عنده «فتسمع صوتي» — (اعمال ٢٨: ٢٨) — «وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد» — (افسس ١٤: ٢ — ١٧). ان كل مؤمن بالمسيح واقع تحت هذا الالتزام عينه: «صرت للكل كل شيء لاخلص على كل حال قوماً». ويضاف الى هذا الالتزام الاختياري، التزام آخر اجباري: «ويل لي ان كنت لا أبشر». لان كل مسيحي واقع تحت دين: «اني مديون لليونانيين والبرابرة. للحكماء والجهلاء» (رومية ١: ١٤)

عدد ١٧. الميزة الثالثة للراعي الصالح — ضحيته الاختيارية (١٧: ١٠ و ١٨). «لهذا يحبني الآب لاني اضع نفسي». لاحظ المسيح ان الصورة المرسومة في الاعداد السابقة (١٤ و ١٥ و ١٦)، لا تمثلها تماماً، لان الذئب لا يستطيع ان يفترس الراعي المضحي بنفسه عن الخراف، الا اذا استضعف الراعي امامه. فمع ان الراعي متصف بالشجاعة والتضحية، الا انه يحاط بالضعف الذي لولاه لما تمكن الذئب منه. وان هذا الضعف هو وجه الخلاف بين المسيح وبين أي راعٍ. فالمسيح لم يسلم نفسه للموت، عن ضعف، بل عن سلطان ارادته الحرة المختارة. فبارادته الحرة، أسلم نفسه للموت. وبارادته الحرة، كسر شوكة الموت وقام: «لي سلطان ان اضعها ولي سلطان ان آخذها أيضاً». الراعي العادي يضحي بنفسه، ولا قدرة له على ردها. لكن المسيح يضع نفسه ليأخذها أيضاً

الآب لاني أضع نفسي

ما أشبه هذين العديدين بجناحين ، بهما ترتقي النفس وتصعد داخلة الى ما وراء الحجاب ، في محضر مشورة الله ، قبل كون العالم ، وقت تدبير الفداء ، حين قبل المسيح على نفسه طائعاً مختاراً ، باعتبار كونه « الابن » ، أن يجيء الى ارضنا ليتم مشيئة الآب ، فجعل ارادة الآب طعامه الذي به يفتات . ويتلذذ ، ويشبع ، ولما جاء ملء الزمان مات ، وفي الوقت المعين قام

في هذين العديدين يصف المسيح تضحيته الاختيارية ، وصفاً رباعياً :

- (١) في صلتها بمحبة الآب له : « لهذا يحبني الآب » (عدد ١٧ أ)
- (٢) في محبتها الذاتية : « أضع نفسي لأخذها أيضاً » (عدد ١٧ ب)
- (٣) في صلتها بقوة ارادته : « ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي . لي سلطان ان أضعها ولي سلطان ان آخذها أيضاً » (عدد ١٨ أ)
- (٤) في صلتها بوظيفته الفدائية : « هذه الوصية قبلتها من أبي » (عدد ١٨ ب)

(١) تضحية المسيح في صلتها بمحبة الآب له : « لهذا يحبني الآب » . ان تضحية المسيح نفسه اختيارياً ، هي علة محبة الآب له . نعم ان الآب يحب الابن منذ الازل . لكن هذا تعبير مستعار من لغة البشر ، ليترجم لنا عن الصلة المتبادلة بين الآب والابن في تدبير الفداء . فالمسيح كابن ، مطيع للآب . والآب يحب الابن . على ان هذه الصلة مبنية على الرضى المتبادل . فالابن راض بمشيئة الآب الى درجة السرور بها : « سررت ان اعمل مشيئتك » . والآب راض بالابن الى درجة السرور به : « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » اذا كان الآب قد سر بابنه الحبيب في شخصه ، وكلامه ، وأعماله ، وطاعته ،

لَا أَخَذَهَا أَيْضًا.

فإن طاعة الابن للآب بلغت ذروتها ، في الصليب : «وأطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفعه الله أيضاً» (فيلبي ٢: ٩ و ١٠). ولهذا السبب عينه ، يعتبر بولس الرسول أن كفارة المسيح «نسيم رائحة طيبة» لدى الله الآب (افسس ٥: ٢)

(٢) **نضجة المسيح في ههيقترها الذاتية :** «لاني أضع نفسي لأخذها ايضاً». في هذا ايضاً يمتاز المسيح عن الراعي البشري . لان الراعي البشري، متى بذل نفسه عن الخراف، لا يبقى في مقدوره ان يستردها بعد. لانها تخرج من حوزته عند بذله اياها . اما المسيح، ففي سلطانه ان يضع نفسه بموته الاختياري ، وفي سلطانه ايضاً ان يأخذها بقيامته المقتدرة . فلقد مات بقوة ارادته ، وقام ايضاً بقوة هذه الارادة عينها . ان قيامته غير منفصلة عن صليبه . لانه وضع نفسه وهو متسلح بنية أخذها ايضاً . وفي كل البشائر لا نجد المسيح يتحدث عن الصليب الا ويردف حديث الصليب بنبوة القيامة . هذا دليل قاطع على ان المسيح كان مقدراً قيمة التضحية العظمى التي بذلها لاجلنا . اذ لم يبذل كرهاً منه لها، كمن يضع شيئاً على نية التخلص منه ، بل وضعها وفي نيته ان يستردها، بعد قيامته وصعوده، ليتم ما اكمله على الصليب ، الى ان يأتي بآخر حمل من تلك الخراف الاخر، التي ليست من الحظيرة اليهودية، فيعود متحداً بالآب كما كان قبل التجسد

يقول جودي : لو اكتفى المسيح بتقديمه نفسه على الصليب بغير قيامه، لاعتبر موته انسحاباً من محضر الاب. وبذبيحة ناقصة كهذه، لا يرضى الآب

١٨ ليس أحد يأخذها مني بل اضعها أنا من ذاتي . لي سلطان أن اضعها ولي سلطان ان آخذها أيضاً .

عدد ١٨ . (٣) ضحية المسيح في صلتها بمحض سلطانه . « ليس أحد ... بل اضعها أنا ... لي سلطان ... » . في هذا العدد يصف المسيح موته الاختياري : (١) وصفاً سلبياً : « ليس أحد يأخذها مني » . فلا اليهود ، ولا بيلاطس ، ولا هيرودس ، ولا يهوذا عم الدين اسلموه . انما المسيح هو الذي اسلم نفسه لانه أحب ، وأحب لانه أراد (١٤: ٣٩) . لم تكن المسامير بقادرة ان تثبت يديه ورجليه في الصليب . لكن حبه للبشرية ، ورضاه بمشيئة الآب ، هما اللذان ثبتا يديه ورجليه بنخشة اللعنة . ان كلمة : « احد » تعني كل هؤلاء جميعاً ، وتمتد الى كل قوة أرضية ، وهي ايضاً تعني « الآب » . فالمسيح لم يشرب من يد الآب كأس الصلب المريرة لانها فرضت عليه فرضاً ، بل شربها لانه قبلها راضياً مسروراً : « الكأس التي اعطاني الآب ألا أشربها » ؟ (ب) وصفاً إيجابياً : « بل اضعها أنا من ذاتي » هذا يذكرنا بقوله لبيلاطس (١٩: ١١) . (ج) وصفاً يقينياً : « لي سلطان ان اضعها ولي سلطان ان آخذها » هذه نعمة الواثق — بدليل تكرار كلمتي « لي سلطان » . لم يكن الموت « فرض عين » على المسيح ، ولا فرض كفاية . لان الموت قصاص الخطية . والمسيح خلو من الخطية بشهادة الاعداء والاصدقاء .

ان هذه الكلمات تقرر لنا ايضاً بطريقة حاسمة ، ان قيامة المسيح كانت من عمله الخاص وبقوته الذاتية . لان نفسه التي « خلعها » بالموت لاجل البشرية

هذه الوصية قبلتها من أبي . ١٩ فحدث أيضاً انشقاق بين اليهود بسبب هذا الكلام . ٢٠ فقال كثيرون منهم

كانت تحت اذنه حتى استردها . هنا يلتقي عمل الآب بعمل الابن ، لان القيامة من عمل الآب ايضاً

(٤) ضحية المسيح في صلتها بوظيفته الفرائضية: «هذه الوصية» — أي مأمورية موت المسيح وقيامته اختيارياً — «قبلتها من أبي» — هذه الكلمات تعود بنا الى حيث ابتدأنا في غرة العدد السابق : «لهذا يحبني الآب». هذه مهمة عجيبة بل هي مهمة الاجيال ، بل هي مهمة الازل والابد . فليس الصليب اذاً وليد المصادفات ، ولا هو ثمرة مؤامرات الكتبة والفريسيين ، ولا هو غصبة الارض الظلمة ، بل هو وليد تدبير ازلي مُحكم في محضر الله . والمسيح ، تواضعاً منه ، يسمى هذا التدبير «وصية» بالنسبة له «كابن» ، لكنه قام به لانه «قبله» عدد ١٩ . نتيجة وقع كلام المسيح على سامعيه (١٩:١٠ — ٢١) . «فحدث ايضاً» — كما حدث سابقاً (١٢:٧ و ٣٠ و ٣١ و ٤٠ و ٤١ و ٨:٩ و ٩ و ١٦) . كلمة «ايضاً» تفيد عملية متكررة . في هذا تم قول المسيح : «ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً» ، وتمت كلمات سمعان عنه : «وُضع لسقوط وقيام كثيرين» . وكما ان النور يشق غلاف الليل ، فيفصل بين الخيط الابيض والخيط الاسود كذلك كان كلام المسيح «نورُ العالم» . فحدث بسببه «انشقاق» بين اليهود عدد ٢٠ . لهذيانه لبناء الليل «فقال كثيرون منهم» — وللأسف الاشواك اكثر من الورود . والرخم اكثر من الاسود — «به شيطان وهو

به شيطان وهو يهذي. لماذا تستمعون له. ٢١ آخرون قالوا ليس هذا كلام من به شيطان. ألع شيطاناً يقدر

يهذي». هذا ضرب من هذيانهم حين رأوا السلطة تفر منهم هاربة ولا جئة اليه. واكبر دليل على هذيانهم، خوفهم على الناس منه. وهم يعلمون انه لم يعمل ذنباً. بل ان كل اعماله وأقواله معجزات، وكل معجزاته حسنات. فقالوا: «لماذا تسمعون له؟» فاذا كان كلامه شراً، فليميزه الناس، وان خيراً فم يخافون؟ كما ان المسافر في قطار سريع، يتخيل اعمدة التليفون متحركة، كذلك عبر هؤلاء القوم عن هذيانهم بقولهم عن قدوس الله: «به شيطان». وعن رب الحكمة بقولهم: «يهذي». هذه خطية التجديف على الروح القدس

عدد ٢١. منظر ابناء النور «آخرون قالوا» — عن حكمة فقاهاوا بحجتين منطقيتين — اوروهما مستمدة من طبيعة كلامه: «ليس هذا كلام من به شيطان» — والثانية مبنية على طبيعة اعماله: «ألع شيطاناً يقدر ان يفتح اعين العميان؟» ان الشيطان قاتل، فلن يجد الاحسان الى قلبه باباً. هؤلاء هم طليعة رعية المسيح الحقيقية، وقد خرجوا من الخطيئة اليهودية الضيقة الى حرية مجد اولاد الله

ويجدر بنا ان نذكر هنا ان في تشبيه المؤمنين بالخراف اوجه شبه كثيرة، نذكر منها بعضها: (ا) عدم الوعي. (ب) الرذاعة. (ج) الضعف. (د) الاعتياب الى راع. (هـ) الطاعة. (و) قبول التعليم. (ز) النفع لمؤيديه. فالمؤمنون هم رعية المسيح وخاصته، للاسباب الآتية: (ا) لمحبتهم.

ان يفتح أعين العميان . ٢٢ وكان عيد التجديد في اورشليم

(ب) لكونهم عطية الآب له . (ج) لانه افتداهم واشتراهم بموته . (د) لانه اختارهم ودعاهم . (هـ) لانه يرعاهم ويحميهم ويكفل لهم الامن والصيانة والاشباع . (و) لكونهم قد اختاروه

ثانياً : الخطاب الاول ٢٢:١٠ - ٣١ . والكلام منقسم فيه الى (١) مقدمة ٢٢:١٠ - ٢٤ (ب) نص الخطاب ٢٥:١٠ - ٣٠ (ج) تأثير الخطاب ٣١:١٠ عدد ٢٢ . (١) مقدمة تاريخية ٢٢:١٠ - ٢٤ . « وكان عيد التجديد في اورشليم وكان شتاء » . بهذه الكلمات يقدم لنا البشير وصفاً دقيقاً للملايسات الخاصة التي احاطت بهذا الحديث الثاني ، من حيث الزمان : « عيد التجديد » ، والمكان : « في اورشليم » ، والطقس « وكان شتاء » . اذاً قد توسط شهران بين عددي ٢١ و ٢٢ . فأولهما ينتتم حديثاً فاه به المسيح بعيد عيد المظال الذي يقع عادة في الخامس عشر من شهر تشرين (اكتوبر) . وثانيهما يمهّد لحديث نطق به الفادي في عيد التجديد الذي يقع عادة في الخامس والعشرين من شهر كسلو (ديسمبر) . هذا العيد الثاني انشأه يهوذا المكابي بعد ان طهر المذبح من الرجاسات والنجاسات التي ألحقها به انطيوخوس الشهير واعاد الذبيحة . وكان يظل قائماً مدة ثمانية ايام ابتداء من ١٩ ديسمبر في ذلك العام (٢٩ للميلاد) . وكان يسمى أيضاً « عيد الانوار » نظراً للانوار البهية التي كانت تضاء بها اورشليم ، وكل الاراضي المقدسة آنذ . ومن فرط ابتهاج اليهود بهذا العيد ، انهم كانوا يحرمون فيه الصوم والحزن . « ليفرح الشعب فرحاً كاملاً امام الرب »

وكان شتاء . ٢٣ وكان يسوع يتمشى في الهيكل في رواق سليمان .

٢٤ فاحتاط به اليهود

ومن المؤسف ، ان اليهود لم يأخذوا من تلك الانوار البهية الا ظلها الكثيف . فلا تجد ما يناسب حالتهم التعسة ، من الملابس الطبيعية المحيطة بهم الا هذا الوصف الدقيق : « وكان شتاء » . فلقد كانوا في شتاء حساً ومعنى فالشتاء يمثل عواطفهم في عواصفه الباردة ، لا في ثلوجه الفضية الناصعة (٣٠: ١٣) .
قضى المسيح تلك المدة التي بين عيد المظال وعيد التجديد ، في الجليل ، ولما أقبل عيد التجديد ، عاد المسيح الى اورشليم ومعه بعض رسله ، تاركاً السبعين ليتمموا رسالتهم في البلاد التي ارسلهم اليها . هذا يوافق ما جاء في سائر البشيرين (مت ١٠: ١٩ ومر ١٠: ١٠ ولوقا ٩: ٥١) .

عدد ٢٣ . البقعة الخاصة التي كان المسيح مزمعاً فيها وقشز « وكان يسوع يتمشى في الهيكل في رواق سليمان » . بسبب زمهرير الشتاء وامطاره ، اعتكف المسيح في الهيكل في رواق سليمان . فلا يفوتنا انه انسان تام واله تام وما يُروى عن هذا الرواق انه كان قائماً على اعمدة في جهة الهيكل الشرقية ، في الساحة المعروفة بـ « دار الام » . والمعروف عنه انه من بناء سليمان ، وهو كل ما سلم من الخراب ، الذي ألحقه بالهيكل ، نبوخذ نصر عام ٥٨٦ ق . م . وقد شغلت هذه البقعة التاريخية حيزاً في ذاكرة البشير ، لانها شهدت حوادث مهمة في تاريخ الكنيسة الاولى (أعمال ٣: ١١)

عدد ٢٤ . (١) المنارة العسكرية التي قام بها اليهود : « فاحتاط به

وقالوا له الى متى تعلق انفسنا. إن كنت انت المسيح فقل

اليهود « بدلاً من ان يحتاطوا به ، كما تحتاط النجوم بالقمر ، فتكتسب بهاءً وجمالاً ، او كما يحتاط النحل بالزهر فيكتسب منه عصرة شهية ، نراهم وقد قاموا بمنورة وضربوا حوله نطاقاً «عسكرياً» ، فقطعوا عنه كل اتصال بتلاميذه ، محتاطين لخروجه بكل وسيلة . وساعدهم على ذلك ، موقع رواق سليمان بالنسبة للهيكل

(٢) استجوابهم اياه: «وقالوا له الى متى تعلق انفسنا» — هذه نعمة للمهددين الذين اشهروا سلاحهم عليه مقدمين له فرصة وحيدة لجواب مختصر ، قاطع : نعم او لا ، واضعين أمامه ، الموت والحياة . انهم باستجوابهم اياه في هذه المرة ، قد اعادوا عليه استجوابهم اياه في مرة سابقة (٢٥: ٨) ولكن بطريقة تهديدية صارمة . لقد عيل صبرهم ، ولم يبق لهم في قوس الرجاء منزع ، والنير الروماني كان يحز رقابهم حز السكين . وقد تعلق انفسهم طويلاً بأجوبته غير المفهومة تماماً ، وكأني بهم قد وضعوا فأسهم على اصل شجرة حياته الارضية ، وألزموه ان يقول صراحة ما اذا كان هو المسيح المنتظر ، الذي يحرمهم من النير الروماني ، كما حررهم يهوذا المكابي من نير انطيوخوس ايفانوس ، ام أن يقول انه ليس المسيح ، فينفضوا من حوله ، اذ يعرفون نهاية امره . ويكاد يكون محققاً ، ان بين هؤلاء ، قوماً كانوا متسلحين بنية سيئة ، آملين ان يفوزوا منه بالجواب : «أنا المسيح» لكي يقتنصوه ، فيقدموه للمحاكمة

في قلب هذا النطاق العسكري ، فاه المسيح بجواب غاية في الحكمة

لنا جهرًا. ٢٥ أجابهم يسوع اني قلت لكم

وسداد الرأي ، وقوة المنطق . ويقع جوابه هــذا في دورين ، انتهى أولهما بشروع اليهود في رجه بالحجارة (٢٥: ١٠ - ٣١) واختتم ثانيهما بمحاولتهم أن يلقوا القبض عليه (٣٢: ١٠ - ٣٩)

عدد ٢٥. (ب) نص الخطاب الاول (٢٥: ١٠ - ٣١) «اجابهم يسوع» ان الاجابة على سؤالهم ، على جانب عظيم من الصعوبة . لان العلم بحقيقة المسيح يستلزم معرفة اختبارية ، ولا تكفي فيه الاخبار السماعية - هذا من جهة ، ومن الجهة الاخرى لانهم يفهمون من كلمة : «المسيح» غير ما تعنيه هذه الكلمة . هم ينتظرون «مسيحا» سياسيا يرفع عن اعناقهم نير الرومان . وهو في حقيقته مسيح روحي سماوي يهب الحياة لموتى الرجاء ، ويمنح الحرية لمن يرسفون في قيود الخطية والآثام . فان قال لهم «انا هو المسيح» ، كان بذلك مخالفاً الحق كما يفهمونه هم . وان قال : «لست انا المسيح» كان بذلك مخالفاً الحق كما يقصده الله ، وكما فهمه الانبياء . وما قيمة الجواب الذي يقال تحت سيف التهديد ، لقوم يريدون ان يتخذوا من جوابه سبباً للوقعة بينه وبين الهيئة الرومانية الحاكمة ، وهو لا يريد ان يستقدم ساعة صلبه ولا يستأخرها ؟

أمام هذه الصعاب يمكننا ان نقدر الحكمة الممتازة التي أملت هذا الجواب الواضح ، القاطع ، الجريء ، الذي فيه ابان لهم ، بكيفية لا يأتيها الريب من ناحية من نواحيها ، انه سبق فعرفهم بحقيقة شخصه ، وأن السبب في عدم ايمانهم ، ليس في قلة التصريحات التي بلغتهم منه ، بل في عدم ايمانهم به .

ولستم تؤمنون . الاعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي .
 ٢٦ ولكنكم لستم تؤمنون

فالتصريحات متوفرة، والشهادات لصدقها متواترة، إنما قلوبهم هي المتوترة
 بعدم الايمان: «لستم تؤمنون»

في هذا الجواب، قدم لهم المخلص شهادة مثلية على انه هو المسيح:
 (١) شهادة تصريحات السابقة (٢٥: ٨). «اني قلت لكم» — اني أنا
 المسيح — «ولستم تؤمنون». (٢) شهادة معجزاته: «الاعمال التي انا اعملها...
 هي تشهد لي» — اني انا المسيح. لقد نبر المسيح على كلمة: «أنا»، كما نبروا هم
 على كلمة «أنت»، في استجوابهم اياه (عدد ٢٤). ان في استعماله كلمة: «أعمل»،
 بصفة الحاضر، بدلاً من الماضي، دليلاً على انه لم يكف عن صنع المعجزات:
 «أبي يعمل حتى الآن وانا اعمل». (٣) شهادة الرب له: «باسم أبي» لو لم
 يكن الآب مصادقاً على ان يسوع هو المسيح، لما سمح له باتيان هذه المعجزات
 باسمه، لان اسمه الكريم ختم جليل على رسالة المسيح (قابل هذا بما جاء في
 ٢: ٣ و ٣٦: ٥ و ٣١: ٧ و ٩: ٣٣ و ٣٤ و اعمال ٢: ٢٢). كلمة: «باسم أبي»،
 معناها: «حال كوني مرسلًا من أبي، وعاملاً باسمه»

عدد ٢٦. «سحابة فائمة — الذئب ليسوا له» أنتم...: «ولكنكم لستم
 تؤمنون...». في هذا العدد بين لهم المسيح، ان علة عدم اقتبالهم اليه، كائنة
 في عدم ايمانهم به: «ولكنكم لستم تؤمنون». وان عدم ايمانهم به، بيئة واضحة
 على انهم ليسوا من خرافه. لان من مميزات خرافه الخاصة انها: (١) تسمع

لأنكم لستم من خرافي كما قلت لكم . ٢٧ خرافي تسمع صوتي وأنا اعرفها فتتبعني . ٢٨ وانا اعطيها حياة أبدية ولن تهلك الى الابد ولا يخطفها أحد من يدي .

صورة ، (٢) وتعرفه ، (٣) وتتبعه (عدد ٣ و ٤) . هذا معنى كلمة : «لأنكم» . فهي لا تدل على ان كونهم من غير خرافه ، منعهم من الايمان به ، بل ان عدم ايمانهم به ، برهان على انهم ليسوا من خرافه . ان استعمال كلمة «لأن» هنا ، يتفق واستعمالها في لوقا ٤٧: ٧ : «قد غفرت خطاياها الكثيرة ، لأنها أحببت كثيراً» . فكلمة «لأن» في كلا الموضعين «برهانية» وليست «سببية» . «كما قلت لكم» — الاشارة هنا الى ما تحدث به المسيح اليهم في ١٠: ٣ و ٤ و ٨: ٤٧ ، وقت اجتماعه بهم في عيد المظال . والخطاب في هذا الكلام موجه الى الذين كانوا حاضرين وقت القائه خطابه السابق في ذلك العيد عدد ٢٧ و ٢٨ . سحابة نيرة — الذبيحة لهم له — «رعيتي . . . وأنا» : «خرافي تسمع صوتي . . .» اذا كنا قد رأينا في جو العدد السابق ، سحابة قائمة مظلمة ، يستتر وراءها الذين لم يؤمنوا بالمسيح . فاننا نرى في جو هذين العديدين سحابة نيرة تظلل خاصة المسيح التي تؤمن به : «خرافي تسمع صوتي» من الممكن ان نفصل هذين العديدين كما ترى على الصفحة التالية : —

ان استماع الخراف لصوت راعيها يتمشى مع معرفة الراعي لرعيته . وان اتباعها اياه ، يكافأ بمنحه اياها هبة حياة الابد . وان صياتها من الموت مضمونة بقوة . هذا الوعد الاخير من أقوى الادلة على ثبات المؤمنين في النعمة .

٢٩ أبي الذي اعطاني اياها هو اعظم من الكل ولا يقدر أحد ان
يخطف من يد ابي . ٣٠ أنا والآب

عدد ٢٩ و ٣٠ . الختم الملكي — الضمائم المزروع : «أبي . . وانا» . اذا
كان موضوع الكلام في عدد ٢٦ : «انتم . . وانا» ، وفي عددي ٢٧ و ٢٨
«رعتي . . وانا» ، فانه في هذين العددين : «أبي وانا» . هذا هو الضمائم
الكامل الذي به تُختم هبات المسيح لرعتيه . ان كلام المسيح في هذين
العددين متصاعد كما طلى سلم ، حتى بلغ القمة عند قوله : «أنا والآب
واحد» . فالكلام في عدد ٢٩ له جانبان — ابرههما ايجابى «أبي هو اعظم
من الكل» — اي من كل القوات المهاجمة لرعتي — قوة العالم ، والجسد ،
والشيطان . والجانب التالى سلبى — وهو نتيجة للجانب الايجابى : «لا يقدر
أحد ان يخطف من يد ابي» . ولئلا يتبادر الى ذهن بعض سامعيه ان كلمة
«الكل» قد تتسع وتبسط جناحيها ، وتظلل المسيح تحتها ، قرر لهم بطريقة
قاطعة ، لا يأتينا الشك من ناحية من ناحيتها ، انه : «هو والآب واحد» —
فهو واحد معه في : الجوهر . والقدرة . والارادة . هذا هو المعنى الذي فهمه
اليهود . لذلك ارادوا ان يرموه . بل هذا هو المعنى الذي ارادهم المسيح ان
يفهموه . لانه لم يعتذر عما قال . ولا هو تراجع في هذا الاعلان . لا بل هذا
هو المعنى الذي يريدنا المسيح ان نفهمه الآن . انه هو والآب واحد : جوهره
جوهرة الآب . سلطان سلطانه الآب . قدرته قدرته الآب . وان لم يكن المسيح

واحد. ٣١ فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه. ٣٢ اجابهم يسوع

بكاله وينكروا لاهوته ، نوجه الخطاب : فاما ان تقولوا صراحة انه مجدف
فترجموه. او ان تعترفوا به الها فتعبدوه. وان لم تكونوا ضمن عابديه باختياركم،
فاتم على رغم ارادتكم من راجيه !

ان حياة المؤمنين مدعمة بأسس اربعة : — أ — كون الله اعطى المسيح
ايام — ب — تحصيل يسوع الحياة الابدية لهم ومنحهم اياها — ج — تعهد
الآب والابن معاً بوقايتهم — د — ليس لقوة في العالم ان تبطل مقاصد الله

عدد ٣١ . تأثير خطاب المسيح : «فتناول اليهود أيضاً» — مرة أخرى
علاوة على المرة السابقة (٥٩: ٨) . — «حجارة ليرجموه» — بسبب كلامه في
عدد ٣٠ ، الذي اعتبروه تجديفاً . لم يكن عملهم في هذه المرة ، على سبيل
التهديد ، بل كانوا يقصدون ما يعملون . لقد كانوا في هذه المرة أشد انتقاماً
منهم في المرة السابقة . لان حقدهم استوى ونضج . هذا هو التدرج السفلي
الى دركات عدم الايمان — بل هذا هو التدهور الى الهوة التي لا تعرف قراراً

ثالثاً : الخطاب الثاني : (٣٢: ١٠-٣٩) . في هذا الخطاب عالج المسيح
مسألتين مهمتين : اولاهما — نزهة التجديف التي رجمت اليه (٣٢: ١٠-٣٦)
وثانيتهما . نسبة الى ايوّاب (٣٧: ١٠ و ٣٨) . وفي عدد ٣٩ وصف البشير
مبلغ تأثير اليهود من هذا الخطاب الثاني

عدد ٣٢ . (أ) المسيح يرفع عن نفسه نزهة التجديف (٣٢: ١٠-٣٩) .
(١) المسيح يستجوبهم (٣٢: ١٠) . لم ينسحب المسيح في هذه المرة كما فعل

أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي . بسبب اي عمل منها
ترجوني . ٣٣ اجابه اليهود قائلين لسنا نرجمك لاجل عمل حسن بل
لاجل تجديف . فانك وانت انسان تجعل نفسك إلهاً .

في المرة السابقة (٥٩: ٨) ، بل قارعهم بالحجة . فحبس الحجارة في ايديهم ،
بسؤال منطقي اطلقاً به نار حقدهم : «اعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي .
بسبب اي عمل منها ترجوني ؟ ان اعمال المسيح حسنة بكمال قداستها ،
وسلطانها ، وفائدتها . وقوله «أريتكم» يدلنا على ان الاعمال الحسنة التي أتاها
المسيح ، هي عيّنات لأعمال الله المكنونة والمستورة في خبايا علمه الازلي

هذا سؤال لاذع بتأنيبه . جرح بعذوبته ورقته . فهو موجه الى ضمائرهم .
ولكن اين هذه الضمائر وقد عبث بها الحقد وحب الاجرام ؟ وهل من برهان
أدل على هذا ، أكثر من كونهم لا يشورون عليه الا كلما رأوه يعمل خيراً
بالإنسانية العذبة ؟ فلقد ثاروا عليه بعد ابرائه . مريض بركة بيت حسدا (ص ٥)
وبعد فتحه عيني المولود اعمى (ص ٩) . وفيما بعد سنراهم هائجين عليه بعد
اقامته لعازر من القبر (ص ١١) !!

عدد ٣٣ . (٢) مزمور المزمور «لسنا نرجمك لاجل عمل حسن بل
لاجل تجديف» - هذا هو التكييف القانوني الذي صاغوا فيه عملهم لكي
يرضوا به ضمائرهم المشتكية والمحتجة . ان جوابهم هذا واقع في شطرين -
اولهما ذكر على وجه التعميم «لاجل تجديف» . والثاني ذكر على سبيل
التخصيص والتطبيق : «لانك وانت انسان تجعل نفسك الها»

٣٤ اجابهم يسوع أليس مكتوباً في ناموسكم أنا قلت انكم آلهة.
 ٣٥ إن قال آلهة لأولئك الذين صارت اليهم كلمة الله . ولا يمكن
 ان يُنقض المكتوب . ٣٦ فالذي قدسه الآب وأرسله الى العالم

عدد ٣٤ - ٣٦ . (٣) احتجاج المسيح المنطقي «أجابهم يسوع . . .» . يقع
 هذا الاحتجاج المنطقي في حجتين متدرجتين - من الأدنى الى الأعلى .
 الدرجة الأولى : اذا كان كتابكم الذي بين ايديكم قد قال عن قضاتكم ، وهم
 بشر مثلكم ، انهم آلهة (أوهيم) من ٨٢: ٦) ، ولم تستطيعوا ان تتهموا هذا الكتاب
 بالتجديف «لأنه لا يمكن ان يُنقض المكتوب» ، فعلى فرض اني لست سوى
 بشر كأحد قضاتكم ، وقلت عن نفسي اني إله ، فلماذا تتهمونني أنا بالتجديف
 مع أني لم اقل الا ما قاله كتابكم المعصوم؟ الدرجة الثانية : اذا جاز لكتابكم ان
 يخلع هذا اللقب الجليل على بشر ، لأنهم كانوا يحكمون باسم الله ، حال كونهم خطاة ،
 وقد تكون احكامهم خاطئة - كما يشهد بذلك العدد الثاني من ذات الزمور -
 فكم بالأحرى يحق لي انا ، ان اقول عن نفسي : اني ابن الله ، حال كوني انا
 «الكلمة» الحي المعصوم ، وقد قدّسني الآب وكرسني منذ الازل ، لأنني
 بأخذي ذاتي منه في ميلادي الازلي ، قد اخذت كمال القداسة ، وفي ملء
 الزمان ارسلني للعالم مخلصاً وفادياً ؟ ؟ !

المراد « بالناموس » ، كلمات الله المكتوبة . وقد أُطلقت عليها كلمة
 « الناموس » من باب التغليب الذي يجوز فيه ان يسمّى الكل باسم احد
 أجزائه . وقد أسند المسيح كلمة : « ناموسكم » الى ضمير المخاطبين ، لا

أَتَقُولُونَ لِي أَنِّي تَجْدِفُ لِأَنِّي قُلْتُ إِنِّي ابْنُ اللَّهِ . ٣٧ إِنْ كُنْتُ لَسْتُ
أَعْمَلُ أَعْمَالِ أَبِي فَلَا تُؤْمِنُوا بِي . ٣٨ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ فَإِنْ لَمْ
تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالْأَعْمَالِ

ليُخْرِجَ نَفْسَهُ عَنْ دَائِرَةِ احْتِرَامِهِ وَتَقْدِيسِهِ لِلنَّامُوسِ، بَلْ لِكِي يَتَّخِذَ مِنْ كِتَابِهِمْ
سَهْماً يَرُدُّ بِهِ هُجْمَاتِهِمْ . (اطْلُب تَفْسِيرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي ١٧: ٨).

كَلِمَةُ « قَدْسُهُ » مَعْنَاهَا الْحَقِيقِيُّ كَرْسِيُّهُ وَمَسَاحَةُ لَأَجْلِ الْفِدَاءِ

عَدَد ٣٧ وَ ٣٨ . (١) الْمَسِيحُ يَرَعْرِعُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ قَالَهُ « إِنْ كُنْتُ
لَسْتُ . . » . لَمْ يَكْتَفِ الْمَسِيحُ بِأَنْ دَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ تَهْمَةَ التَّجْدِيفِ . بَلْ
تَقَدَّمَ فَقَرَّرَ لَهُمْ حَقِيقَةَ لَاهُوتِهِ بِطَرِيقَةِ قَاطِعَةٍ . وَلَمْ يَقْنَعْ بِأَنْ وَقَفَ مِنْهُمْ مَوْقِفَ
الْمُدَافِعِ ، كَأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئاً لَا شَرّاً وَلَا خَيْراً، بَلْ وَاجَهَهُمْ مُهَاجِماً أَيَّامَ هُجُومِهِمْ
لَطِيفاً، وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ « يَعْرِفُوا وَيُؤْمِنُوا أَنَّ الْآبَ فِيهِ وَانَّهُ هُوَ فِي الْآبِ »

لَقَدْ صَرَحَ لَهُمُ الْفَادِي فِي عَدَد ٣٧، أَنَّهُ وَإِنْ تَسَامَحَ مَعَهُمْ فِي عَدَمِ تَصْدِيقِهِمْ
شَهَادَةَ كَلَامِهِ لِحَقِيقَةِ الْوَهْيَةِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَتَسَامَحَ مَعَهُمْ فِي عَدَمِ إِيمَانِهِمْ بِهِ، بِسَبَبِ
شَهَادَةِ أَعْمَالِهِ . فَصَوْتُ الْأَعْمَالِ أَعْلَى مِنْ صَوْتِ الْكَلَامِ . وَإِذَا كَانَ كُلُّ عَمَلٍ
مُطْبُوعاً بِطَابَعِ الشَّخْصِيَّةِ الَّتِي تَعْمَلُهُ . فَإِنَّ الْأَعْمَالِ الَّتِي أَتَاهَا الْمَسِيحُ مُطْبُوعَةٌ
بِطَابَعِ شَخْصِيَّةِ الْآبِ . وَإِذَا فَالَآبُ فِي الْمَسِيحِ . وَالْمَسِيحُ فِيهِ . فَإِنْ لَمْ تَكُنْ
لَهُمْ آذَانٌ لِتَسْمَعَ كَلَامَهُ، فَإِنَّ لَهُمْ عَيُوناً لِتَرَى أَعْمَالَهُ، وَتُمَيِّزُ الطَّابِعَ الْمُطْبُوعَةَ بِهِ
« آمِنُوا . . نَعْرِفُوا . . تُؤْمِنُوا . . » - هُنَا دَرَجَتَانِ فِي الْإِيمَانِ تَتَوَسَّطُ
بَيْنَهُمَا الْمَعْرِفَةُ - أ - « آمِنُوا » - هَذِهِ هِيَ الدَّرَجَةُ الْإِبْتِدَائِيَّةُ فِي الْحَيَاةِ الْمَسِيحِيَّةِ.

لكي تعرفوا وتؤمنوا ان الآب في وانا فيه . ٣٩ فطلبوا أيضاً ان
يمسكوه فخرج من ايديهم .

ايمان التصديق والطاعة . هذا الايمان يسبق المعرفة ، كما قال المسيح لاحد
تلاميذه الاولين « تعال وانظر » (يو ١: ٤٦) ، وكما قال لليهود في عيد المظال
« ان شاء أحد ان يعمل مشيئته يعرف التعليم » (١٧: ٧) - ب - « تعرفوا... »
هذه هي اولى ثمرات شجرة المسيحية الجديدة - شجرة معرفة الخير الاعظم .
اذا كان الانسان الاول قد سقط بأكله من شجرة معرفة الخير والشر ، فان
الانسان الجديد يتجدد حسب صورة خالقه باكله من شجرة معرفة الخير الذي
لا يدنو منه شر - ج - « وتؤمنوا... » هذه درجة أرقى في سلم الايمان -
ايمان التمييز والتحقق . اننا نصدق أولاً . ثم نعرف . ثم نميز ونتحقق فيما بعد
« ان الآب في وانا فيه » - ما اشبه هذا الكلام بقوله « أنا والآب واحد »
(عدد ٣٠) . هذا افصاح عن الاتحاد الكلي ، والمساواة ، بينه وبين الآب

عدد ٣٩ . وقع هذا الخطاب الثاني : « فطلبوا ايضاً » - مرة أخرى -
« أن يمسكوه » ، ولعلمهم عدلوا عن رجمه بالاحجار في الهيكل ، حرصاً على حرمة
الهيكل الرسمية ، فطلبوا ان يمسكوه ليقتلوه في مكان آخر ، اولي يقدموه
للمحاكمة امام السنهدريم ، بحجة انهم وجدوه متابعاً بجرمة التجديف . انهم
يقدسون الهيكل المبني بالاحجار ، ولا يخافون الاعتداء على رب الهيكل !!
« فخرج من ايديهم » . ليس من الضروري ان يكون هذا الخروج

بمعجزة ، ولعله كان كخروج سابق (٨: ٥٩ ولو ٤: ٣٠)

٤٠. ومضى أيضاً الى عبر الاردن الى المكان الذي كان يوحنا يعتمد فيه أولاً ومكث هناك .

عدد ٤٠ - ٤٢ . هاتمة تاريخية . «ومضى أيضاً» - علاوة على المرة المذكورة في ٢٨: ١ - «الى عبر الاردن» . أمام هذه المقاومة التي اتخذت الآن شكلاً عنيقاً ، ما كان من الممكن ان يظل المسيح في اورشليم من غير ان تثار ثورة اليهود عليه ، فيقدموه للصلب ، ولما تأت ساعته بعد . لذلك انتهز فرصة انقضاء عيد التجديد ، وترك العاصمة اليهودية ، قاصداً بيرية «الى عبر الاردن» الى المكان الذي كان يوحنا يعتمد فيه أولاً ومكث هناك» . ولا شك في ان زيارة المسيح وتلاميذه لهذا المكان التاريخي ، قد ملأت نفوسهم بالتذكارات العميقة المقدسة . هذا هو المكان الذي وجد فيه المسيح تلاميذه الاولين . وفيه تفتحت عيونهم الى «نور الحياة» لأول مرة . ومن المذا ان يعود المسيح ، عند اختتام خدمته الى المكان الذي شهد بدايتها . هنا ، في هذا المكان ، خدم الرجل الذي عمّد المسيح . وألقى على تلاميذه ألف باء المسيحية . هنا عاش الرجل الذي لم يخف احداً الا الله فكانت الناس تخشاه . هنا أقام اعظم المولودين من النساء بعد المسيح . هنا رن صوت الحق الصارخ ، الذي أخفيت في ظلمات السجن بعد حين . هنا نزل الروح القدس بهيئة جسمية على المسيح كلمة : «اولاً» ، تحمل مقارنة بين المكان الذي خدم فيه يوحنا في ١ : ٢٨ ، وذاك الذي خدم فيه في ٣ : ٢٣ . كان المسيح قبيل خدمته الجهارية في هذا المكان . وقبيل صليبه عاد اليه حيث كان أولاً

٤١ فأتى اليه كثيرون وقالوا ان يوحنا لم يفعل آية واحدة . ولكن كل ما قاله يوحنا عن هذا كان حقاً . ٤٢ فأمن كثيرون به هناك .

عدد ٤١ . إيمانهم الكثير به : « فأتى اليه كثيرون » . فرق عظيم بين جهود اهل اليهودية وجحودهم ، وبين إيمان اهل بيرية المبني على الفحص والاستقراء . انهم بايمانهم هذا اضافوا تهمة جديدة الى قائمة الاتهام التي لصقت باليهود يتضمن ايضاً هذا العدد التاريخي ، مقارنة مزدوجة بين الممدان وبين المسيح . جانبرها الاول : ان الممدان لم يفعل آية واحدة — بشهادة اهل تلك البقعة ، وان المسيح عمل معجزات كثيرة . جانبرها الثاني : ان يوحنا لم يكن هو الشخص الذي يحقق انتظارهم لكن يسوع هو المسيح المنتظر الذي قد تحققوا فيه كل ما قال فيه الممدان : « كل ما قاله يوحنا عن هذا كان حقاً » . ان يوحنا لم يفعل آية واحدة . ولكن كل ما قاله يوحنا عن هذا كان حقاً . اذاً لم تكن قوة يوحنا في عمل المعجزات ، بل في الشهادة بالحق وللحق . أو ليست الشهادة بالحق ، من اسمى المعجزات في عالم هو البطل مجسماً غير انه اذا كان عصر المعجزات قد مضى وانقضى ، فان عصر الشهادة للحق لم ينقض ، ولن ينقضي . وان في ميدان الشهادة للحق متسعاً للجميع . عدد ٤٢ . متنام مهبل « فأمن كثيرون به » — إيماناً قلبياً عملياً — « هناك » — في عبر الاردن — لا في اورشليم . هذه طعنة نجلاء في قلب اورشليم !!

الاصحاح الحادي عشر

المعجزة السابعة

اقامة لعازر — أو المسيح رب الحياة

في هذا الاصحاح وفي الاصحاح الذي يليه ، يمتد أمامنا بستانٌ منزرع على أكمة مرتفعة ، تشبعت ثماره بحرارة الشمس ، ونضجت . فما كان منها صالحاً اكتسب صلاحاً فوق صلاح ، وما كان منها مريراً ، ازداد مرارةً على مرارة . في هذا البستان الجليل نرى ثمرة الايمان وقد نضجت . فأضحت دانية القطوف (١١: ١٥ و ٤٥) ، وثمره عدم الايمان وقد بلغت أشدها من النمو ، فأمت «قريبة من اللعنة التي نهايتها للحريق» (١١: ٤٦ - ٥٣)

من كل معجزة عملها المسيح في الماضي ، استجمع اليهود «باروداً» ضموه الى مستودع الذخائر الملتهبة ، المخزنة في قلوبهم ضد المسيح . فكانت المعجزة الاخيرة — اقامة لعازر — اشبه الاشياء بشاره نار ، ألهبت الذخائر المفرقة فاندلعت نيران الحقد والغضب في صدورهم ، فتمت عن الحفيظة الكامنة فيهم ، وفضحت حقيقة نواياهم (١١: ٥٣)

بين هذا الاصحاح وبين سابقه ، وقعت الحوادث المدونة في لوقا ١١: ١٧ — ١٠: ١٧ . اما معجزة هذا الاصحاح ، وما ترتب عليها من نتائج ، فيقع ترتيبها ما بين العدد العاشر والعدد الحادي عشر من لوقا ١٧

هذا الاصحاح ، لؤلؤة درية في عقد هذه البشارة . فيه امتزج الجلال .

بالبساطة ، واقترن الحنان بالمهابة ، وتجلى ناسوت المسيح ، جنباً الى جنب مع لاهوته . فيه نرى دموع المسيح الانسان ، وقدرة المسيح الاله

اما المعجزة التي تشعُّ بها صفحات هذا الانجيل ، فهي تاج معجزات المسيح ، اذا استثنينا معجزة قيامته هو من بين الاموات . بل هي الالة اليتيمة في تاج المعجزات . لا ينتقص من قيمتها ، كون يوحنا البشير قد انقرد بتسجيلها . فهي معجزة المسيح المحب ، وقد أجراها في لعاذر الحبيب ، فكان من الطبيعي ان يختص بذكرها يوحنا الحبيب ، الذي كان اقرب التلاميذ الى قلب المسيح . (يوحنا ١٣: ٢٣) . وفوق ذلك ، فان سائر البشرين قد اختصوا بالمعجزات التي أجراها المسيح في الجليل ، وفقاً لوجهة نظر كل منهم في كتابة بشارته . مع العلم انه لا هذا البشير ولا ذاك ، ولا كلهم مجتمعين معاً ، قد دونوا كل معجزات القادي (مت ١١: ٥ ويوحنا ٢١: ٢٥)

هذه معجزة عظيمة في سجلها . لان البشير كتب فيها بأفاضة لا عهد لنا بها من قبل . وهي عظيمة بعدد الادلة المؤيدة لصحتها ، فالكان الذي تمت فيه ، وزمانها ، وظروفها ، وملابسها ، والشخصيات البارزة فيها ، والاسلوب البسيط الذي كتبت به ، والعواطف الطبيعية التي تجلت فيها ، واعتراف اعداء المسيح بصحتها ، كل هذه شهادات صريحة ، متجمعة ، صارخة بان هذه المعجزة حدثت حقاً . واذا لم تكن هذه المعجزة حقيقية ، فليس في كل التاريخ شي حقيقي . لأن صعوبة انكارها اعظم بكثير من صعوبة تصديقها . وان القوة اللازمة لتنفيذها ، اكبر من القوة اللازمة لتأييدها . وهي عظيمة أيضاً بنتيجتها الخطيرة

فهي الخطوة التمهيدية التي خطاها المسيح الى الصليب ! وربما قصد المسيح ان يقيم من هذه المعجزة نبوة لقيامته هو .

اذا ألقينا نظرة عامة على المعجزات السبع التي كتبت في هذه البشارة (١:٢ و ٦:٤ و ١:٥ و ٥:٦ و ١٩:٦ و ١:٩ و ١:١١) تبين لنا ان هذه السبع المعجزات ، شبيهة بسبع حلقات مكونة لسلسلة واحدة ، يلتقي طرفاها معاً ، ويتصلان بل يتحدان في نقط عدة . فالمعجزة الاولى ، والمعجزة الاخيرة ، أجريتا في دائرة الحياة العائلية ، وفي بيئة تربطها بالمسيح صلة الصداقة والتفاهم . وكان قصد المسيح في كليهما : اظهار مجده (١١:٢ و ٤٠:١١) . وتقوية ايمان تابعيه (١١:٢ و ١٥:١١) . وفي كليهما حدث تأجيل في موعد اتمامها عن الوقت الذي ظنه البشر ملائماً (٤:٢ و ٦:١١) . وكلاهما أُنجزت في الوقت الذي رآه المسيح موافقاً (٧:٢ و ١١:١١) . والطلب في كليهما أتى الى المسيح من شخص تربطه به صلة قوية (٣:٢ و ١١:٣) . وكلاهما ذات صلة بالحياة . فالأولى أُنجزت لتغذية بهجة الحياة ، وقد نصب معينها (٣:٢) . والأخيرة أُجريت لاعادة الحياة وقد انطفأ سراجها (١٤:١١) . وكلاهما تمت في ظرف كانت فيه العواطف البشرية ثائرة — إما لفرط السرور في عُرس (١:٢) او لعمق الألم في مأتم (١١:٣٣)

هذه معجزة جليلة بدقائق الامور التي ذُكرت فيها ، وبالتفصيلات التي حذفت منها . فمن الامور الدقيقة التي رُويت فيها : صلة المسيح بالعائلة المنكوبة (عدد ٦) ، وتأجيله الذهاب الى بيت عنيا يومين ، (عدد ٦) ، وتعيين موقع بيت عنيا بالضبط (عدد ١٨) ، ووجود اليهود (عدد ١٩) ، والرسالة الخفية

(عدد ٢٨) . واللقب العام الذي كان يُلقب به المسيح (عدد ٢٨) ، وتمهل المسيح (عدد ٣٠) ، وخروج اليهود مع مريم (عدد ٣٠) ، ومشاركتهم اياها في البكاء (عدد ٣٣) ، وسجود مريم (عدد ٣٢) ، والافاضة في وصف شعور المسيح الانساني (عدد ٣٣ و ٣٥ و ٣٨) ، ومنظر لعازر خارجاً توأً من القبر (عدد ٤٤) . كل هذه أدلة صريحة ، على ان الكاتب شاهد عيان

ومن الامور التي تحاشى الكاتب ذكرها لحكمة جليلة: عودة الرسول (عدد ٤) ، والرسالة التي بعث بها المسيح الى مريم (عدد ٢٨) ، والترحيب بالحبيب المقام من الاموات (عدد ٤٤) ، مما يدل على ان يدأ رفيعة كانت تسوق قلم الكاتب فحفظته من الاختصار المحلّ والاسراف الملّ

في هذه المعجزة ، تجتمع الثلاثة العناصر المكونة للحياة الفضلى : « المحبة » « والنور » ، « والحياة » . فكأنها أبراج ثلاثة تقسم منطقة هذه المعجزة الى ثلاثة حقول : المحبة (١١: ٦-٦) ، النور (٧-١٦) . الحياة (١٧-٤٦)

ويجوز ان ننظر الى هذا الاصحاح ، قتراه مصطبغاً كله بصبغة واحدة — هي صبغة المحبة ذات السبعة الألوان : (١) انتظارات المحبة (١١: ٣-٣) (٢) تأهيلات المحبة (١١: ٤-٧) . (٣) الممنايات المحبة (١١: ٨-١٠) (٤) قلب المحبة (١١: ١٦-١٦) . (٥) عواطف المحبة (١١: ١٧-٣٧) . (٦) انتصارات المحبة (١١: ٣٨-٤٤) . (٧) ضحية المحبة (١١: ٤٥-٥٧)

وفي درسنا هذا الاصحاح ، نلاحظ ان النقطة المركزية فيه ، هي هذه المعجزة . وانه على هذا الاعتبار يقسم نفسه الى خمسة اقسام رئيسية: أولاً — ربامة المعجزة (١١: ١٦-١٦) . ثانياً . المشرم في بيت عنيا : (١١: ١٧-٣٧) . ثالثاً : قلب

١ وكان إنسان مريضاً وهو لعازر من

المعجزة: (١١: ٣٨ - ٤٤). رابعاً: الوتر الذي تركته المعجزة (١١: ٤٥ - ٥٣). خامساً: قائمة تاريخية (١١: ٥٤ - ٥٧).

أولاً: رباعية المعجزة (١١: ١ - ١٦). وهذه تتضمن: (أ) نوطته (١١: ٢ و ١). (ب) رسالة الاثنين (١١: ٣). (ج) المسيح يؤمل إجابة رسالتهما إلى حين (١١: ٤ - ٦). (د) المسيح يجب رسالتهما في وقت الخاص (١١: ٧ - ١٦).

عدد ١. (أ) نوطته (١١: ٢ و ١). القصد من هذه التوطئة وصف الظروف الخارجية والداخلية التي اكتنفت المعجزة. في العدد الاول، نجد وصفاً مثلثاً للإنسان الذي أُجريت فيه المعجزة. وفي العدد الثاني نرى الصلة التي كانت تربط عائلة هذا الانسان بالمسيح. في عدد ١، يصف البشير هذا الانسان في: (١) حالته: «مريضاً». مع ان المرض في حد ذاته من البليات التي تحيق بالانسان، لكنه متى تقدّس بيد الله، أضحي مصدر بركات عدة (٢) اسمه: «لعازر»: هذا الاسم، مقتضب من الاسم «اليعازار» ومعناه: «الهي يسند ويعضد». وهو غير لعازر الذي ورد اسمه في لوقا ١٦: ٢٠. (٣) بصره: «من بيت عنيا من قرية مريم ومرثا». تكررت كلمة: «من»، مرتين في هذه الجملة، لتفيد ان العبارة الثانية: «من قرية مريم ومرثا» توضيحية للأولى: «من بيت عنيا». أي ان «بيت عنيا» هي بعينها قرية مريم ومرثا اختها. ويقول جودي وآخرون من المفسرين: ان «من» الاولى تصف مسكن لعازر، الذي كان يعيش فيه. و «من» الثانية، تعين موطنه الذي اليه

بيت عنيا من قرية مريم ومرثا اختها .

ينتسب . اي انه من بيت عنيا وطناً وسكناً (عدد ١٨). « بيت عنيا » — ومعناها بيت البؤس او النحس ، وقد صارت في هذه المعجزة بيت الظفر والفرح — هي قرية ، الى الجنوب الشرقي من جبل الزيتون ، على بُعد ميلين تقريباً من مدينة اورشليم ، وتدعى الآن : « العازرية » — نسبة الى لعازر — وهي قرية صغيرة مبنية على اكمة صخرية عسرة المسالك . وقد شهدت هذه القرية الصغيرة حوادث جساماً في حياة القادي سينا في ايامه الاخيرة (مت ٢١ : ١٧ و ٢٦ : ٦ ومر ١١ : ١١ و ١٢ و ١٤ و يو ١٢ : ١٠) . ويزعم بعضهم ان بقايا بيت لعازر لا تزال موجودة الى يومنا الحاضر ، واما قبره فمنحوت في الصخر وله مدخل ، علوه ثلاثة اقدام ونصف ، وعرضه قدمان ، وفيه سبع وعشرون درجة ، تنتهي الى غرفة مساحتها تسعة اقدام مربعة ، وداخلها اربعة نواويس . « مريم ومرثا » : ذكر البشير هاتين الاختين ، من غير مقدمة ولا تمهيد ، اعتقاداً منه ، انهما كانتا معروفتين لدى قارئيه بشارته ، مما كتبه عنهما لوقا البشير (لوقا ١٠ : ٣٨ — ٤٢) . وجدير بالذكر ، ان التصرفات المنسوبة الى كلٍّ من هاتين الاختين ، تتفق تماماً وما نعلمه عن طبع كل منهما في بشارة لوقا . والظاهر ان مرثا كانت اكبر من اختها سناً ، واكثر منها نشاطاً . وأن مريم كانت أقوى من اختها شخصية ، واكثر منها ورعاً ورزاقاً ، وأوسع شهرة . وقد ذكر اسم « مريم » ، مقدماً على اسم « مرثا » في هذا العدد ، تمهيداً لذكر العمل الممتاز الذي قامت به دون اختها (عدد ٢)

٢ وكانت مريم التي كان لعازر اخوها مريضاً هي التي دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها . ٣ فارسلت الاختان اليه قائلتين

عدد ٢. الخدمة الممتازة التي اشتهرت بها هذه العائلة: «وكانت مريم...» يفترض البشير في هذا العدد ان الخدمة التكريسية التي قامت بها مريم للمسيح كانت معروفة لدى جمهور قارئيه ، مع انه لم يكن قد حدثهم عنها بعد (١٢: ٣ و ٤)، لان خبرها كان قد ذاع، وشاع، وملاً الاسماع . «وكانت مريم... هي التي...» — هذه جملة تفسيرية ، كتبها يوحنا كمعادته، تمييزاً لشخصية مريم. لان هذا العمل الجليل لازم اسمها في أدوار التاريخ . فهي غير مريم زوجة كلوبا ، وغير مريم المجدلية . «دهنت الرب بطيب» — في الغالب دهن الرب بطيب ثلاثة مرات (*) . المرة الاولى : في بيت سمعان القريسي ، في الجليل ، في بدء خدمة المسيح (لوقا ٧: ٣٧ و ٣٨) . والثانية : في بيت لعازر ومريم ومرثا ، قبل الصلب بستة ايام (يوحنا ١٢: ٣ و ٤) : والثالثة : في بيت عنيا ايضاً ، في منزل سمعان الابرص ، قبل الصلب بيومين (مر ١١: ١١ — ١٤)

عدد ٣. رسالة الراضين الى المسيح : «فارسلت الاختان اليه قائلتين

(*) يعتقد هنجستنبرج — على غير اساس متين — ان سمعان الابرص هو سمعان القريسي ، وان مريم هذه هي «الخاطئة» التي ورد ذكرها في لوقا ٧ ، وانها هي بنتها مريم المجدلية التي اتخذت مجداً مسرحاً لحياتها غير النزيهة . وانها في آخر ايامها تابت ورجعت الى الله ، وان اختها مرثا كانت زوجة سمعان الابرص ، وكان يعيش معها في هذا البيت ، اخوها لعازر واختها مرثا !!؟

يا سيد هوذا الذي تحبه مريض

يا سيد هوذا الذي تحبه مريض: هذه الرسالة البليغة الموجزة، هي المثل الأعلى للصلاة الحقيقية في مثل هذا الظرف، فهي تتم عن (١) رجاء وطير — هذا واضح من حرف «الفاء» الذي به يتسدىء العدد، وايضاً من قولها: «هوذا الذي تحبه». (٢) انترام شير: «يا سيد». فمع انه كان معروفاً بـ «المعلم»، الا انه قدرته كصانع معجزات جعلتهما يوجهان اليه الخطاب بقولها: «يا سيد» (٣) خبر فطير: «هوذا الذي تحبه مريض» هذا كل ما تضمنته رسالتها — مجرد التبليغ عن مرض اخيهما (٢ مل ١٩: ١٤). (٤) الطمئانه اكبر — هذا ظاهر من صمتها، فلم تزيدها على خبر مرض اخيهما كلمة، بل تركنا الامر للمسيح وهكذا فلتكن الصلاة مصحوبة بتسليم تام. يا ترى هل كانت الاختان عالمتين بالخطر الذي كان رايضاً للمسيح في اورشليم؟ (٥) محبة بليغة: «هوذا الذي تحبه» — هذه ابلغ حجة يتقلم بها المصلي. وخلق بنا ان نذكر ان حب المسيح لنا، لا يمنع عنا الامراض والبلايا، التي هي ميراث طبيعي مشترك لجميع بني البشر. ولا تمنع عن عيوننا مسح الدموع ان الكلمة التي عبرت بها الاختان عن حب المسيح لاهيهما في عدد ٣، هي غير الكلمة التي عبر بها يوحنا عن هذه المحبة عينها في عدد ٥. فالكلمة التي استعملتها الاختان، تشير الى الشعور الشخصي الناشيء عن العاطفة الطبيعية. والكلمة التي استعملها يوحنا البشير، تصف الشعور الناتج عن المعرفة الاختبارية. الكلمة الاولى تصف محبة هي وليدة العاطفة، والكلمة الثانية تصف محبة هي

٤ فلما سمع يسوع قال هذا المرض ليس للموت

وليدة حكم العقل والارادة . الكلمة الاولى تفيض بروح الحنان ، والكلمة الثانية مشبعة بروح السموات والرفعة

جميل انهما لم تتوسلا الى المسيح بمحبة اخيهما له ، بل بمحبة هو لانيهما

(ج) المسيح يؤمل اجابة رسالتهما الى حين (١١: ٤-٦) . تتضمن هذه

الاعداد : (١) امرنا بمسير فاه به المسيح عن غاية هذا المرض (عدد ٤) .

(٢) عبارة تفسيرية من قلم البشير (عدد ٥) ، (٣) تأمير مقصوداً (عدد ٦)

عدد ٤ . (١) امرنا بمسير ، فاه به المسيح عن غاية هذا المرض : « فلما

سمع يسوع قال : هذا المرض ليس للموت » . ان في هذا الاعلان الجليل ،

اجابة ضمنية لرسالة الاختين ، وتهدئة لروعهما وسط عاصفة المرض ، وتحريضاً

لها على ان تتسلحا برجاء حي ، توقعاً لعمل جليل آتٍ ، سيما وان الرسالة بلغت

المسيح في وقت كان فيه المريض قد مات ودُفن^(١) (عدد ١٧ و ٣٩) . هذه

بيانة واضحة على ثقة المسيح بنفسه ، فهو يعلم ما سيأتيه من اعمال في المستقبل ،

علمه بما يعمل في الحاضر ، وبما اتاه في الماضي . ولا يفوتنا ان نذكر الدرس

الذي تلقاه التلاميذ من هذا الاعلان ، لان المسيح فاه به على مسمع منهم

ان هذا الاعلان الجليل جانين - الجانب الاول : مهي : « هذا

المرض ليس للموت » - أي ان النصر النهائية في هذا المرض ، ليست

للموت بل للحياة ، وفعلاً قد كسبت الحياة هذه المعركة الفاصلة بقيامة لعازر من

(١) استيضاحاً لهذا ، اطلب شرح عدد ٦

بل لاجل مجد الله ليتمجد ابن الله به . ه وكان يسوع

الاموات . ومن الجائز ان تطلق هذه العبارة ، من قبيل التطبيق ، على مرض كل قدّيس — وان مات بسببه — لان الموت ، وان انتصر في امراض القديسين ، فالى حين . الجانب الثاني : ايجابى : « بل لاجل مجد الله ليتمجد ابن الله به » (٣: ٩) . يراد بـ « مجد الله » ، جلاله الذي يتألق ويُنشر في قلوب البشر ، نتيجة ظهور كمال قداسه ، وجلال رحمته ، واقتدار قوته ، في انتصار الحياة على الموت . فكان هذا المرض لوحة سوداء تظهر عليها الكتابة البيضاء . او كظلام الليل الدامس ، يتجلى على صفحته ، جلال النجوم وجمالها . كلمة : « لاجل » كما وردت في الاصل ، تفيد ان مرض لعازر ، كان اداة إظهار مجد الله . اما الغاية النهائية التي قصدها الله ، بهذا المرض ، وبالموت الذي عقبه ، وبالقيامة التي توجّتها فهي : « ليتمجد ابن الله به » . وربما خير تفسير لهاتين العبارتين : « لاجل مجد الله ليتمجد ابن الله به » ، هو كلام المسيح ، الوارد في عددي ٤٠ و ٤٢

ان في قوله : « ليتمجد ابن الله به » اشارة صريحة الى المجد الذي يعود على المسيح ، لا من اقامته لعازر ، وكفى ، بل من آلامه ، وصلبيه ، وقيامته ، التي كانت نتيجة لازمة لقيامة لعازر ، التي أيقظت الحسد ، والحقد ، والضعينة ، الكامنة في قلوب اليهود (قابل هذا بما جاء في ١٢: ٢٣ و ١٣: ٣١) . ان تمجيد الله يقوم بتمجيد المسيح ، وان تمجيد المسيح يقوم بالايمان به ، وان الايمان بالمسيح يقوم بتوجيه القلب الى آلامه ، وصلبيه ، وقيامته

عدد ٥ . بمحة تفسيرية : « وكان يسوع يحبّ مرثا واختها ولعازر » . ذكر

يحب مرثا وأختها ولعازر . ٦ فلما سمع انه مريض

البشير هذه الكلمات، تمهيداً وتعليلاً لما سيوضحه في عدد ٦ — اي ان تأجيل المسيح اجابة طلب الاختين، لم يكن ناشئاً عن فتور، ولا عن عدم اكتراث، بل عن المحبة الصادقة. ويعتقد جودي، ان ما جاء في هذا العدد (عدد ٥)، يُعدّ تعليلاً لتصرف المسيح الموصوف في عدد ٦، لا ذاك الموصوف في عدد ٧. اي ان محبة المسيح لهذه العائلة، حملته على ان يلبي نداء الاختين، فيخاطر بحياته ويذهب الى اليهودية (عدد ٧)، مع انه أجل اجابة طلبهما الى حين. والظاهر من حرف «الفاء» الذي به يُستهل العدد السادس، ان الرأي الاول، اقرب الى روح الحادثة، ولو ان شقة الخلاف بين الرأيين ليست متسعة ان الكلمة التي يستعملها البشير لوصف محبة المسيح للعائلة، تختلف — في الاصل — عن الكلمة التي استعملتها الاختان (عدد ٣). (راجع شرح عدد ٣) في هذا العدد قدّم البشير اسم مرثا على اسم مريم، لان الاولى كانت اكبر سناً من اختها على ما يظهر، ولأن السبب الذي لاجله قدّم اسم مريم على اسم مرثا في عدد ١، هو عمل مريم الممتاز المذكور في عدد ٢

عدد ٦. تأمير مقصوداً: « فلما سمع انه مريض مكث حينئذ... يومين ». لم يكن هذا التأجيل ناشئاً عن عدم مبالاة المسيح بمرض لعازر، ولا صدر عنه عفواً، بل جاء تنفيذاً لقصد معين، تنبئنا عنه كلمة: « حينئذ ». ويعتقد بعض المفسرين ان المسيح أجل ذهابه الى بيت عنيا انتظاراً لمعجزة

مكت حينئذ في الموضع

أعظم . فلو ذهب توما الى بيت عنيا لشفى مريضاً ، ولكنه ارجأ سفره حتى يموت المريض ، وفيما بعد ، يذهب ليقم ميتاً . الا ان هذا الرأي — على رغم ما فيه من جمال — لا يستند الى اساس متين . لان لعازر كان قد مات حين جاء الرسول الى المسيح . اذ أن بيت عنيا تبعد عن اريحا مسيرة ست ساعات . والمسافة بين اريحا وعبر الاردن — حيث كان المسيح (في بيت عنيا الثانية) — يقطعها المسافر في ساعتين . اذاً يكون حامل الرسالة قد ظل مسافراً نهار اليوم الأول . واذا اضعفنا اليه اليومين اللذين مكثهما المسيح في بيرية ، بعد ان قابله حامل الرسالة (عدد ٦) ، ويوماً آخر قضاءه المسيح في السفر من بيرية الى بيت عنيا ، اتضح لنا ان ما حدث منذ أن خرج رسول الاختين من عند المريض حتى وصل المسيح الى قبر الميت ، يستغرق أربعة ايام — وهي المدة التي كان لعازر قد قضاها في القبر حين جاء المسيح (عدد ١٧ و ٣٩) . فيكون لعازر قد مات قبيل خروج الرسول من بيت عنيا ، ودُفن^(١) قبل بلوغ الرسالة الى المسيح . ويعتقد آخرون ، ان المسيح بقي يومين في بيرية ، لكي يتم عمله في تلك الجهة ، سيما لانه سيتركها في هذه المرة نهائياً متجهاً الى الصليب . ويقول اصحاب هذا الرأي : ان كلمة « حينئذ » انما ذكرت لمجرد سرد حقائق تاريخية . على ان قصد المسيح بهذا التأجيل . يتبين لنا من مقابلة ما جاء في ٣:٢ — ٥ و ٣:٧ — ١٠ بما جاء في هذه الحادثة التي نحن بصددها . فالطلب

(١) بهذا قضت عادات اليهود ، ان يدفنوا الميت في يوم وفاته من غير ابطاء

الذي كان فيه

في كل من هذه الثلاث الحوادث ، قدّم للمسيح من أشخاص تربطهم به صلة خاصة. وفي كل من الثلاث الحوادث استخدمت العاطفة الطبيعية — سواء أ كانت عاطفة الامومة (٣: ٢) ، ام عاطفة الاخوة (٧: ٣ و ٦) ، ام عاطفة الصداقة (١١: ٥) ، لحمل المسيح على ان يأتي أمراً قبل وقته الذي عينه الآب.

وفي كل من هذه الثلاث الحوادث رفض المسيح الطلب — الى حين — حتى تدق الساعة التي جعلها الآب في سلطانه (٢: ٨ و ٧: ١٠ و ١١: ٧) ، لانه وان كان المسيح يحترم كل صلة طبيعية ، الا ان صلة قوية ، روحية ، باطنية ، كانت تربطه بمن هو اعظم من الكل — الآب ، لذلك قد صمّ اذنيه عن اصوات الصلوات الطبيعية ، لان صوت هذه الصلة الروحية كان أعلى . وفي اعتقادنا ان انتظار المسيح يومين ، بعد ان اخبره الرسول بمرض حبيبه لعازر ، وبعد أن علم هو من ذاته بموت هذا الحبيب ، يستلزم قوة اكبر من القوة اللازمة للذهاب عاجلاً الى بيت عنيا . لان من يقوى على مثل هذا الانتظار ، لا بُدّ وان يكون واثقاً من نفسه ، مطمئناً الى سلطانه المطلق على الحياة والموت ، مسلماً تمام التسليم لارادة الآب — مما يدل على انه اله تام وانسان تام . هذه احدى المرات التي يُرى فيها المسيح كأنه نائم على وسادة في سفينة الحياة ، وتلاميذه واقعون فريسة لعواصف الفزع ، والقلق !

قد رسم الآب في برنامجهِ الازلي ، ان لا يذهب المسيح الى بيت عنيا ، الا بعد ان يكون الميت قد أُنْتِن ليقطع السبل على الذين ادّعوا فيما بعد ، ان

يومين . ٧ ثم بعد ذلك قال لتلاميذه لنذهب الى اليهودية أيضاً .

لما زر لم يكن ميتاً ، بل كان مغشياً عليه ؟ ! لذلك كان خائفاً بهذه المعجزة ان تكون خاتمة معجزات المسيح ، لان حجتها اقوى من الحجة الناطقة بها معجزتا اقامة ابنة يائرس (لو ٨: ٤٩-٥٥) ، و اقامة ابن ارملة نايين (لو ٧: ١١-١٢) لان ابنة يائرس كانت ميتة ولم تكفن بعد ، وابن ارملة نايين كان مكفناً ، ولم يكن قد دُفن بعد ، واما لما زر فكان قد مات ، وكفن ، ودفن ، واثن . لذلك حاول اليهود ان يقتلوه ليهدموا الحجة التي اقامتها قيامته ، ولما عجزوا عن قتل المقام ، صلبوا من اقامه . وما كانوا يستطيعون ذلك ، لولا انه هو أراد (١٨: ١٠)

عدد ٧ . (د) المسيح يجب رماله الاثنتين في وقته الخاص (١١: ٧-١٦) .
تتضمن هذه الاعداد حواراً طريفاً بين المسيح وتلاميذه ، ما اشبهه بكثافة ذات سبعة سهام :

(١) السرم الاول - عزيمه المسيح - او اقدام المحبة المتجسدة : « ثم بعد ذلك » - اي بعد انتظاره يومين في بيرية ، حتى جاءت ساعته - « قال لتلاميذه : لنذهب الى اليهودية » - ولم يقل لهم لنذهب الى بيت عنيا ، لكي ينبيه اذهانهم للخطر الذي ينتظره واياهم ، فتشور في نفوسهم عاصفة الخوف ، من ثم تهيأ له الفرصة لتهديئة هذه العاصفة . « ايضاً » - اي مرة اخرى ، علاوة على تلك التي حاول فيها اليهود ان يرموه . ان المحبة الحقيقية تطرح الخوف الى خارج . والظاهر ان المسيح كان يقصد ايضاً ان يضع امام التلاميذ مقابلة صريحة بين ايمان « بيرية » ، وعلم ايمان « اليهودية »

٨ قال له التلاميذ يا معلم الآن كان اليهود يطلبون ان يرموك وتذهب
أيضاً الى هناك . ٩ أجاب يسوع أليست ساعات النهار اثنتي
عشرة. ان كان أحد يعيش في النهار لا يعثر لانه ينظر نور هذا العالم.

عدد ٨. (٢) السرم الثاني : احتجاج التلاميذ على عزيمة المسيح — او
المجرى بقم العقبات في سبيل المحبة : « قال له التلاميذ » — حالاً سمعوا منه
كلمة : « اليهودية » ، ثارت في نفوسهم عوامل الاحتجاج ، فقالوا له : « الآن
كان اليهود يطلبون ان يرموك ». ولشدة فزع التلاميذ من هول تلك الحادثة
(٣١: ١٠) ، ظلت مائلة امام اذهانهم ، فقالوا : « الآن »

عدد ٩ و ١٠. (٣) السرم الثالث : مبدأ جليل عن الوراء للواجب —
او ولاء المحبة المتجسدة : « أجاب يسوع أليست ساعات النهار اثنتي عشرة .. »
يدكرنا قول المسيح هنا ، بقوله السابق في ٩: ٤ و ٥ . فكلاهما مكمل للآخر ،
بل هما تعبيران لحقيقة واحدة ، وما نراه بينهما من فارق ، انما نشأ عن الوقت
الذي فيه قيل كل منهما . فأولها (٩: ٤ و ٥) فاه به المسيح ، والشمس مائلة الى
خدرها في الغروب ، وثانيهما نطق به والشمس خارجة من حجبها عند الشروق .
ان رسالة المسيح في كلامه الاول هي : ان ساعات النهار محدودة وثمينة ، فليس
للمرء ان يضيع منها شيئاً بتهاونه في واجبه . اما رسالته في كلامه الثاني فهي :
ان ساعات النهار كافية لاتمام الرسالة التي وضعها الله عليه ، فليس له ان
يستزيدها بمحاولته الفرار من الواجب خوفاً من المخاطر . لان كل انسان خالد
حتى يتم رسالته ، اما اذا فرّ من طريق الواجب ، طمعاً منه في اطالة حياته ،

١٠ ولكن ان كان أحد يمشي في الليل يعثر لان النور ليس فيه .

عن الحدّ الذي رسمه الله لها ، فقد حرم نفسه من نور رضى الله ، وعرض حياته للخطر المحقق

قد يحمل كلام المسيح في هذين العديدين ، على معنيين — المعنى الاول : هرقى ، مازى — على اعتبار انه كان يكلم تلاميذه عن ذهابهم واياه الى بيت عنيا ، فان ساعات النهار الاثنتي عشرة كافية ليقطعوا فيها الطريق من يريه الى بيت عنيا — هذا اذا شرعوا في السير من غير توان ولا تردد . اما اذا قدموا رجلاً وأخروا أخرى ، خوفاً من شبح الموت الذي تخيلوه ماثلاً امامهم في اليهودية — فقي تردّدهم خطر محقق . لان شمس النهار لا بد ان تغيب عليهم وهم في الطريق ، فتدركهم ظلمة الليل ، عندئذ ان يتعثرون في مسيرهم . والمعنى الثانى روحى مجازى ، كما أجملنا آنفاً . فيكون « النهار » رمزاً للحياة — في مدتها وفي رسالتها . و « السير في النهار » يشار به الى السلوك في نور ارادة الله . و « المشي في الليل » يُكنى به عن خروج المرء عن دائرة نور الله . ان تعثر الانسان يبتدىء ببدء الساعة الثالثة عشرة — اي في اللحظة التي يحاول فيها ان يطيل عمره بهروبه من المخاطر التي يتمثلها أمامه . لأن حياة المرء ليست من المصادفات . وانما هي رسالة من الله . وان موتاً تلقاه في سبيل ارادة الله ، هو خير حياة . وان حياة نتلمسها في القرار من طريق ارادة الله ، هي شرّ من الموت . لان الحياة الحقيقية هي التمتع برضى الله . فالحياة لا تقاس ، بل توزن . وليس الخطر في ما يراه الانسان خطراً ، ولا الأمن في ما يتصوره

١١ قال هذا وبعد ذلك قال لهم . لعازر حبيبنا قد نام .

الفتى أمنًا ، بل الخطر كل الخطر في الحيدان عن ارادة الله ، والأمن كل الأمن في اتمام ارادته ولو كانت هذه الارادة صليباً لنا

صرّح المسيح بهذا المبدأ الجليل ، امام تلاميذه ، لينفخ فيهم روح الاقدام والشجاعة في هذا الظرف الخاص الذي كانوا فيه ، ولكي يمحضهم بمناعة روحية كافية لمغالبة المخاوف التي كانت تنتظرهم في خدمتهم المقبلة ، ولكي يبعث فينا ، نحن الذين انتهت اليها اواخر الدهور ، نصيباً من روح في الولاة لارادة الآب ، والشجاعة في القيام بالواجب

عدد ١١ . (٤) السهم الرابع . المسيح يخصص هذا المبدأ لنفسه في هذه

الحادثة — او اقدام المحبة : « قال هذا » — كبدأ عام — « وبعد ذلك » — خصص هذا المبدأ لنفسه في هذه الحادثة و « قال لهم » — بروح النبوة — « لعازر حبيبنا قد نام » . هذه النبوة تكشف لنا عن ثلاث حقائق مهمة —

(١) ان المسيح خلع على الموت اسماً جديداً ، فدعاه : « نوماً » — ومن اوجه الشبه بينهما : (١) ان الانسان ينام ليستريح . كذلك من يموت في الايمان ، يستريح من اتعاب الحياة ، واعماله تتبعه . (ب) ان من ينام لا يزال متمتعاً بالحياة وكذلك المؤمنون لا يموتون ، بل يُنقلون الى عالم الاحياء . (ج) ان الانسان ينام على امل ان يقوم مجدّد القوى ، وكذلك المؤمن ، يموت على رجاء القيامة المجيدة . (د) ان نوم الانسان لا يزعج اهله بل يبعث في قلوبهم اطمئناناً عليه . (٢) ان لعازر بانتقاله الى العالم الآخر لم يخرج عن دائرة نفوذ

لكني اذهب لأوقفه. ١٢ فقال تلاميذه يا سيد ان كان قد نام فهو يُشفى.

محبة المسيح ، لان المحبة اقوى من الموت . (٣) ان المسيح ادخل تلاميذه معه في هذه الصلة التي بينه وبين لعازر فقال «حبيبنا». يا ليت المسيحيين يشطبون من قاموسهم كلمة: «فقيدنا» و«راحلتنا»، و«سندنا» وما اليها، ويستعوضونها بكلمة «حبيبنا»

«لكني اذهب لاوقفه» — هذه لغة الواثق من اقتداره على الموت. يقول البشر من فرط تخوفهم «الآن كان اليهود يطلبون ان يرجوك وتذهب ايضاً الى هناك» ؟ ويقول الاله المتجسد ، في ثقة و يقين : «ولكني اذهب لاوقفه» هنا نرى «المحبة» المتجسد ، مقتدرًا على الموت ، وطارحًا الخوف الى خارج

عدد ١٢ . السرم الخامس — عجز التلاميذ عن البلوغ الى عمق كلمات المسيح — أو أعمق المحبة «يا سيد ان كان قد نام» . لم يفهم التلاميذ عن هذا النوم «الجديد» ، أكثر مما فهم نيقوديموس عن الولادة الجديدة . أو المرأة السامرية عن ماء الحياة الابدية . فالؤمن يجد نفسه كل يوم امام اكتشافات جديدة . ولعلّ عجزهم هذا نشأ عن سوء فهمهم كلام المسيح في عدد ٤ . فربما ظنوا خطأ ، ان المسيح كلمهم عن «النوم» الذي ينامه المريض عند بدء اتجاهه الى الصحة — «نوم العافية» ! لذلك قالوا : «ان كان قد نام فهو يُشفى» . فلم يبقَ اذاً ما يدعو الى هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر ، سيما وان خلة سيدهم قد صادفت نجاحاً في بيرية ، حيث كانوا موجودين وقتئذٍ .

١٣ وكان يسوع يقول عن موته. وهم ظنوا انه يقول عن رقاد النوم.
 ١٤ فقال لهم يسوع حينئذ علانية لعازر مات. ١٥ وانا افرح
 لاجلكم اني لم اكن هناك لتؤمنوا.

فلماذا يتركون نجاحاً قد ذاقوا حلاوته ، ويطوّحون بانفسهم في اقليم منزرعة
 ارضه بالاشواك المريرة ؟!

الكلمة المترجمة : « يُشفي » ، يجوز ان تترجم حرفياً : « يخلص » . فالشفاء
 هو خلاص الجسد ، كما ان الخلاص هو شفاء الروح

عدد ١٣ . محمد تفسيرية : « وكان يسوع يقول عن موته » — هذا توضيح
 لقصد المسيح — « وهم ظنوه انه يقول عن رقاد النوم » — هذا مبلغ ظن التلاميذ
 عدد ١٤ و ١٥ . (٦) السرم السادس — المسيح يصارع التلاميذ بموت
 لعازر — اربطة المحبة . في هذين العديدين أعلن المسيح لتلاميذه ثلاثة امور —
 (أ) صار مهم بموت لعازر باللغة التي يفهمونها ، من غير تحفظ ، ومن غير التجاء
 الى استعارات ومجازات : « علانية » (عدد ١٤) . (ب) شعوره نحو هذا
 الحادث التاريخي : « وانا افرح » — عجيب ان نرى المسيح يفرح ، في نفس
 اللحظة التي ينبي فيها تلاميذه بموت لعازر . غير انه لم يفرح لقيامه لعازر في حد
 ذاتها ، بل فرح بالأمر الذي نتجت عنه قيامة لعازر — أي غياب المسيح عن بيت
 عنيا وقت مرض لعازر . فلو كان هناك لشفى مريضاً ، لكنه بغيا به أقام ميتاً .
 وفرح ايضاً بالخير الروحي الذي اثمرته للتلاميذ قيامة لعازر : « لتؤمنوا » . فمع
 ان التلاميذ كانوا مؤمنين بالمسيح قبل قيامة لعازر ، الا ان هذه درجة أرق

ولكن لنذهب اليه . ١٦ فقال توما الذي يقال له التوأم للتلاميذ
رفقائه لنذهب نحن أيضاً لكي نموت معه

في الايمان . هذا هو ايمان التدرج والنمو . ان العين الجسدية تحصر نظراتها في
الواقع فتكتسب وتتحصر ، لكن العين الالهية تنظر الى الواقع ، قراء حلقة في
سلسلة العناية الالهية ، فتفرح بالحلقات السابقة ، ونبتهج بالحلقات اللاحقة .
كان موت لعازر حادثة وقتية في سجل الزمن . لانه قام من ذلك الموت .
وكذلك كانت قيامته ، لانه مات بعد تلك القيامة . لكن الخير الروحي الذي
أنتجته القيامة ، قد طُبع بطابع الخلود . هذه هي الحلقة الخالدة في سلسلة
العناية الالهية . (ج) ما يرى انه يقوم به تجاه هذا الحادث الجلل : « ولكن
لنذهب اليه » . هذا آخر سهم من النور ، صوبه المسيح الى قلوب تلاميذه
فطرد منها ظلمة الخوف . يستفاد من كلمة : « ولكن » ، ان المسيح لم
يرغب في ان يفسح امامهم مجالاً للاستسلام للحزن ، ولا للتساؤل عن سبب
الفرح . لانه حينما تدق ساعة العمل ، لا يبقى مجال للكلام . والظاهر ان التلاميذ
أذعنوا للمسيح ، ولو انهم لم يكونوا قد وصلوا بعد الى عمق قلبه وافكاره ، كما
يبدو من كلام توما

عدد ١٦ . السرم السابع — المحبة الساذجة التي اظهرها توما — او
المحبة في الظنوم : « فقال توما — لنذهب نحن ايضاً لكي نموت معه » — هذه
محبة قوية ، لكنها ليست حسب المعرفة . فهي تدل على عزيمة قوية ، وفهم
ضعيف . هذا برهان على ان توما كان يحب شخص المسيح ، لكنه لم يكن

١٧ فلما أتى يسوع وجد أنه

قد اخذ من روحه بعد . ان شخصية توما ، الظاهرة في هذه الكلمات ، هي هي شخصيته التي تمّ عنها كلماته في ص ١٤:٥ ; ٢٠:٢٥ . ففي هذه الثلاثة المواضع ، نرى شخصية مطبوعة على الصراحة والعزيمة — كدت أقول العناد — وعدم توضحية المنظور . الكلمة : «توما» مشتقة من أصل آرامي ، ومعناها : «التوأم» — هذا هو الاقرب الذي كان معروفاً به — غالباً — في نواحي آسيا الصغرى ، التي عاش فيها يوحنا البشير . واذا كان توما «توأمًا» في ميلاده الجسدي ، فهو في الغالب توأم أيضاً في روحه . ففي شخصه التقى الايمان بعلم الايمان ، والمحبة بالسذاجة . فكأننا نرى فيه يعقوباً وعيسو ، يصارع أحدهما الآخر . وانا نحمد الله لان النصر في النهاية للمحبة والايمان : «ربي والهي» ولا يغرب عن بالنا ان توما هذا قد اظهر استعداداً لان يموت عن المسيح الذي عرّض حياته للخطر لأجله ولأجل التلاميذ رفاقه . هذه شهادة لتوما بانه قد ترّ توضحية سيده ، بل هي شهادة لسيد توما بانه أمير المضحّين

ثانياً : المصهر في بيت عنيا (١١:١٧-٣٧)

يقع هذا المشهد في ثلاثة مناظر : (١) وصف تاريخي لطبيعة المرقف في بيت عنيا (١٧:١١-١٩) . (٢) مرثية توما في المسيح (١١:٢١-٢٧) . (٣) المسيح يلتقي بمريم (١١:١٨-٣٧)

عدد ١٧ . (١) وصف تاريخي لطبيعة المرقف في بيت عنيا (١٧:١١-٦٩) . « فلما أتى يسوع وجد . . . » . بين عددي ١٦ و ١٧ انقضت سحابة يوم

قد صار له أربعة ايام في القبر . ١٨ وكانت بيت عنيا قريبة من اورشليم نحو خمس عشرة غلوة . ١٩ وكان كثيرون من اليهود قد

كامل في السفر من يريّة الى بيت عنيا . كلمة «وجد» تصف الغرض الرئيسي الذي لأجله جاء المسيح الى بيت عنيا . (انظر ٤٣: ١ ; ١٤: ٢ ; ١٣: ٥ ; ٩: ٣٥) . «قد صار له اربعة ايام في القبر» - (اطلب شرح عدد ٦)

عدد ١٨ و ١٩ . سرورنا بحبي يهود كثيرين من اورشليم الى بيت عنيا . «وكانت بيت عنيا قريبة من اورشليم نحو خمس عشرة غلوة» . كانت الغلوة مقياساً يونانياً، نحو ١٤٥ خطوة، او ثمن ميل . وتسمى ايضاً فرسخاً . فالمسافة التي بين بيت عنيا واورشليم ، تقلّ عن ميلين ، مما يدل على ان المكائين كانا قريبين من بعضيهما . فكان هيناً على كثيرين من اليهود ان يجيئوا من اورشليم الى مريم ومرثا ، ليعزوّهما عن اخيهما . هذه حلقة مُحْكَمَة في تدبير العناية الالهية ، لان وجود كثيرين من اليهود في بيت عنيا، أعطاهم فرصة ليعضوا ايمانهم على المحكّ النهائي ، فيخرجوا من هذه المعجزة إما مؤمنين او جاحدين . والظاهر ان كلمة «يهود» استعملت هنا كما في سائر المواضع في هذه البشارة ، لتصف جماعة خاصة اصطبغت بعلم ايمانها بالمسيح . (راجع المقدمة العامة) . على ان وجود كثيرين من اليهود في مأثم لعازر، يدل على ما كان لهذه العائلة من مكانة في نظر اليهود

مراراً نسمع عن ولائم استعالت مأثم . وقلما نسمع عن مأثم استحال وليمة

(٢) مرثا تهتفي بالمسيح - او بمجاهدة الاعداء (١١: ٢٠ - ٢٧)

جاءوا الى مرثا ومريم ليعزوها عن أخيها .

هذا فصل غني بالحقائق السامية ، فيه نجد درساً تحليلياً لايمان مرثا .
والأدوار التي اجتازها حتى بلغ ذراه ، والعوامل التي عملت على تطوره :

(١) إيمانه مرثا قبل محادثتها مع المسيح (١١: ٢١ و ٢٢) : كانت مرثا مؤمنة
ب : (أ) ان المسيح شخص ممتاز : «يا سيد» (عدد ٢١) . (ب) ان المسيح يقدر
ان يشفي المريض — على شرط ان يكون حاضرًا عند المريض : «لو كنت
ههنا لم يمت اخي» (عدد ٢١) . (ج) ان في امكان المسيح ان يقيم الميت —
على شرط ان تأتية القيامة هبة من الله ، استجابة لصلاته : « كل ما تطلب
من الله يُعطيك الله اياه» (عدد ٢٢) . اذاً كانت مرثا تعتقد ان قدرة المسيح
محدودة — بالمكان ، والزمان ، وبارادة الله في استجابة الصلاة

(٢) إيمانه مرثا اثناء حديث المسيح معها (عدد ٢٤) . كانت مرثا مؤمنة
بالقيامة — ولكن في اليوم الأخير : « انا اعلم انه سيقوم في القيامة في اليوم
الآخر» (عدد ٢٤) . اذاً كان ايمانها بالقيامة محدوداً بالزمن

(٣) الرغبات التي برزها عالم المسيح إيمانه مرثا (١١: ٢٠ — ٢٦) . (أ) غياب
المسيح عن بيت عنيا اثناء مرض لعازر (عدد ٢٠) . (ب) تباطؤ المسيح عن
الحضور في الوقت الذي كانت تستحسنه مرثا (عدد ٢١) . (ج) حضور المسيح في
الوقت الذي استحسنه هو (عدد ٢١) . (د) الوعد الغير المعين الذي قدمه لها
(عدد ٢٣) . (هـ) الاعلان الصريح الذي أفضى به اليها (عدد ٢٥ و ٢٦) .
(و) استجواب المسيح اياها : «أتؤمنين بهذا» ؟

٢٠ فلما سمعت مرثا أن يسوع آت لاقتة . واما مريم فاستمرت جالسة في البيت .

(٤) القمّة العليا التي سما إليها إيمان مرثا (عدد ٢٧) . الآن اضحت مرثا مؤمنة : بان يسوع هو المسيح : « انا قد آمنت انك انت المسيح » وبانه هو : « ابن الله » . وبانه هو المسيح للشهود له من الانبياء ، الموعود به ، والمنتظر من الشعب : « الآتي الى العالم »

الآن، بعد ان درسنا هذا الفصل درساً تحليلياً، لننتقل الى درسه تفسيرياً:
عدد ٢٠ . (أ) مرثا مترقبة ومريم ما كتة : « فلما سمعت مرثا . . لاقتة واما مريم فاستمرت جالسة في البيت » . هذا يتفق تماماً وما نعلمه عن الاختين من بشارة لوقا (لوقا ١٠: ٣٩ و ٤٠) . ان الخواص التي انطبعت بها شخصية كلٍّ من الاختين، قد ظهرت بارزة في وقت حزنهما العميق (يو ١١: ٢٠)، كما في وقت سرورها باضافة زائر كريم (لوقا ١٠: ٣٩ و ٤٠) . فرثا في كلا الطرفين ، قلقة ، كثيرة الحركة ، لا تطيق صبراً على التمهّل والانتظار—وهذا مما يخفف عنها اعباء الحياة ، سيما في اوقات الاحزان ، لان الحزن الصامت ، أشد فتكاً من الحزن الناطق . وكذلك مريم في كلا الحالين كانت جالسة صامته . على ان الاختين كانتا في انتظار السيد ، فرثا كانت في انتظارها مترقبة — مثلاً مثل الرقيب الذي يقف على المرصد ، ليكون اول من يرحّب بأشعة شمس الصباح . ومريم كانت في انتظارها ، هادئة — مثلاً مثل زهرة نابتة في كنف صخر منتظرة بسكون أشعة النور

٢١ فقالت مرثا ليسوع يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي. ٢٢ لكني الآن أيضاً أعلم ان كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه

عدد ٢١. (ب) مرثا منحصرة : « فقالت مرثا ليسوع يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي ». هذه نعمة التحسر، وهي لا تخلو من رنة عتاب خفيف. اذا جاز لنا ان نرسم صورة رمزية للتحسر، فلنا ان تمثل شخصياً داعم العينين، دامي القلب، متجهاً بوجهه الى الماضي : وفي فمه كلمتان مقتضبتان لا يعرف إلاهما — « لو كنت ... ». لو كنتُ بكرت في استدعاء الطبيب...! لو كنتُ اخترت ذلك السبيل دون هذا...! لو كنت تلفظت بتلك الكلمة دون هذه...! لو كنت! لو كنت! ان هاتين الكلمتين شديتان بشوكتين سامتين في وسائل كثيرين، وبسببهما لا ترى أجفانهم نوماً ولا عيونهم نعاساً. هاتان سكينتان تحزان في قلوب الكثيرين، فتدميانها

مسكينة مرثا. هذا أقصى ما بلغ اليه ايمانها حتى الآن. كانت تؤمن ان المسيح مجرد طبيب يشفي المردى، وان قدرته، لا تفرق عنه قيد شبر، فان غاب بجسده، غابت معه قدرته. اذاً كان ايمان قائد المئة الوثني أقوى من ايمان مرثا، لانه كان يعتقد ان قدرة المسيح تتخطى المسافات وتجتاز الأبعاد (متى ٨: ٨)

عدد ٢٢. (ج) مرثا مؤمنة — « لكني الآن أيضاً أعلم ان كل ما تطلب من الله يُعطيك الله إياه ». ما أجمل كلمة : « لكني »، بعد كلمة : « لو »! اذا كانت كلمة : « لو »، لاوية عنقها الى الوراء باستمرار، فان كلمة « لكن » تمتدّ بهامتها الى الامام. « لو » يائسة متحسرة، أما « لكن » فهي مؤمنة

٢٣ قال لها يسوع سيقوم أخوك

راجية . بعد ان لفظت مرثا كلمات التحسر المدونة في العدد السابق ، لمحت عيناها من خلال دموعها ، بارقة أمل مبني على اعتقادها باقتدار المسيح في الصلاة ، فلو طلب من الله ان يهبه حياة جديدة للعازر ، لاعطاه الله اياها . وربما كان أملها هذا مبنياً على فهمها للكلمة التي فاه بها المسيح امام رسول الاختين : « هذا المرض ليس للموت » (عدد ٤) . قابل بين قول مرثا في هذا العدد : « انا اعلم » ، وبين قولها في عدد ٢٧ : « انا قد آمنت » . هذا ايمان حي ، ولكن يعوزه النور . مثله مثل تائه يتلمس في الظلام . وما يدل على محدودية ايمانها ، ترديدها لاسم الجلالة : « الله » مرتين في عبارة قصيرة ، في سياق كلامها عن قدرة المسيح كرجل صلاة ليس إلا . ويجدر بنا ان نلاحظ ، ان الكلمة التي عبرت بها مرثا عن صلاة المسيح : « تطلب » ، تفيد سؤال التوسل ، وهي لم ترد قط على لسان المسيح في كلامه عن نفسه ، مع انه استعملها مراراً ليعبر بها عن صلاة البشر (١٤: ١٣ و ١٥: ١٦ و ١٦: ٢٣) عدد ٢٣ . (د) المسيح يشر السبيل أمام ايمان مرثا ، بوعد غير معين . « قال لها يسوع سيقوم ^(١) أخوك » . ان العين الرمضاء لا تتحمل النور القوي . اذا سُلط عليها دفعة واحدة . فالطبيب الماهر ، يقلم لها النور اقساطاً . هذه خطة حكيمنا الاعظم في معالجته ضعف ايمان مرثا ، لانه اذ رأى ايمانها في حاجة

(١) كان يعتقد كثيرون من اليهود ، سيما شيعة الفريسيين ، ان كثيرين من الراقدين في التراب ، سيقومون من الموت ، استعداداً للحجي ، « مسيا » . وكان اعتقادهم هذا مؤسساً على تفسيرهم لما جاء في دانيال ١٢: ٢ . و ٢ مكايين ٧: ٩ و ١٤ (احد الاسفار غير القانونية)

٢٤ قالت له مرثا انا اعلم انه سيقوم في القيامة

الى النور ، رفع يديه الرقيقتين مصباح هذا الوعد ، ليهدي به ايمانها بعض الخطوات الى الامام . وليعدها به لانتظارات أفضل . لانه قبل أن يهب هباته ، يهيء القلوب والأيدي لتسلمها . هذه خطته التي تجلت لنا في الاصحاحين — الخامس والسادس ، انه يمد لعطاياه بوعود مفرغة في صيغة عامة ، تكاد تكون غامضة : «سيقوم اخوك» — مهما تكن طبيعة الموت ، فليس الموت آخر فصل في سجل الحياة ، إنما الفصل الاخير للحياة نفسها

هذا اصحاب عامر بالعبارات التي ترينا الحياة من خلال الموت (عدد ٤ و ١١ و ١٦) ، والموت من خلال الحياة (عدد ٥٠)

عدد ٢٤ . (هـ) مرثا منتظرة : «قالت له مرثا انا اعلم انه سيقوم في القيامة في اليوم الاخير» . في هذا الكلام ، أقرت مرثا بايمانها بالقيامة — ايمان لا يخلو من قوة ، الا انه في حقيقته محاط بضعفات كثيرة — فمنها :

(١) انه ايمانه يتطلع الى المستقبل البعيد : « في اليوم الأخير » — لذلك فهو منعدم من كل تعزية في الحاضر . اننا نريد الايمان الذي يملأ قلوبنا بالابدية في هذه الحياة ، قبل ان نذهب نحن الى الابدية في الحياة العتيدة

(٢) انه ايمانه ممسك بعقيدة لا بشخص : «سيقوم» . بما اننا اشخاص ، لا اشياء ، فلن تستريح نفوسنا الا اذا كان ايماننا ممسكاً بشخص حي . اننا ندين بالمسيح الذي هو روح المسيحية ، وحياة المسيحية ، بل حياة المسيحيين .

(٣) انه ايمانه عام ، متعلق بأمر عام يشترك فيه جميع الناس سواء بسواء : « في القيامة » . فما قيمة القيامة العامة لمرثا التي لا ترتوي الا متى رأت لعازر

في اليوم الأخير. ٢٥ قال لها يسوع أنا هو القيامة والحياة

اخاها مُقاماً الآن. فلا عجب اذا رأينا مرثا غير قانعة ، متبرمة ، منتظرة . «انا اعلم انه سيقوم في القيامة»

(٤) انه ايمانه مادي لا يرتضي الا بالنتائج الملموسة: «قيامه لعازر»
 فاهت مرثا بهذه الكلمات ، بروح التساؤل ، وهي تنتظر شيئاً افضل .
 كأنني بها سألت السيد قائلة «ماذا تعني بقواك سيقوم أخوك» ؟ اذا كنت
 تقصد القيامة في اليوم الأخير ، فهذا ما تعلمته منذ حدثاتي. اما اذا كنت تعني
 قيامة أخرى ، فاسعفني حالاً ووضح قصدك ، لاني منتظرة على آخر من الجمر»
 عدد ٢٥ و ٢٦ . (و) المسيح يقوى ايمانه مرثا بتصريح واضح : «قال لها
 يسوع . انا هو القيامة والحياة . . » . هذا هو التصريح الخامس في هذه
 البشارة ، وبه عالج المسيح ضعف ايمان مرثا ، فنقلها من الاعتقاد بعقيدة ، الى
 الايمان بشخص . ومن الايمان بشي مخبوء في بطن المستقبل البعيد البعيد ،
 الى الثقة بذات حي ، حاضر امامها . ومن التعلق باهداب امر عام يشترك
 فيه جميع الناس ، الى التمسك بشخصية فردية . ومن الاعتقاد بان الحياة هبة
 من الله للمسيح ، الى اليقين بان المسيح هو الحياة ذاتها. يتضمن هذا التصريح
 (١) اعمداً مجيداً : « انا هو القيامة والحياة » — في هذا الاعلان ذكر
 المسيح النتيجة قبل العلة ، وقدم الثمرة على البزرة ، ودل على المصب قبل
 المنبع . فالقيامة هي ثمرة الحياة ، وهي نتيجة لها. لان الحياة اصيلة ، والموت معتد
 وانما البصرة النهائية ، هي للحياة ، التي تتخذ القيامة من الموت مظهراً لها . «أنا
 هو . . » بهذه العبارة حول المسيح نظر مرثا من التمس في الظلام ، الى

من آمن بي ولو مات فسيحيا .

التمسك بشخصه الحيّ، الحاضر الآن: «أنا هو» لا: «أنا سأكون». والظاهر انه ذكر القيامة قبل الحياة، لان القيامة كانت الشغل الشاغل لمرثا، بل للجميع، في هذا الظرف التاريخي. لم يقل المسيح لمرثا: «أنا اهب الحياة» — كأن الحياة شيء منفصل عنه، وإنما قال «أنا هو الحياة». ان الحياة مودعة فيه، لأنه هو اصلها، وينبوعها، ومبناها (٦: ١٤). فالمسيح هو الحياة — بكل انواعها — لكل انسان على حدة (رو ٦: ١١)، وهو الحياة لكل الكتلة البشرية (كو ١: ١٧)

في هذا الاعلان، استعمل المسيح خطة التدرج التي استعملها في مناسبات سابقة — من التعميم الى التخصيص، ومن المادي الى الروحي. من الكلام عن القيامة بوجه عام، الى تخصيص القول عن نفسه انه، «هو القيامة»، ومن التحدث عن القيامة للمادية الى الكلام الأخص عن ذاته انه هو الحياة. بهذه الدرجات هذب المسيح ايمان مرثا، ورفع من الماديات الى الروحيات

(٢) وعراً ملبساً: «من آمن بي .. وكل من كان ..» (عدد ٢٥ و ٢٦). كما ان تصريح المسيح في العدد السابق، له جانبان — اولهما عن القيامة، وثانيهما عن الحياة، كذلك لهذا الوعد جانبان. اولهما عن القيامة، وثانيهما عن الحياة. فكان جانبي الوعد يسيران جنباً الى جنب مع جانبي التصريح السابق. فقول المسيح: «أنا هو القيامة»، يوافق وعده القائل: «من آمن بي ولو مات فسيحيا». وتصريحه القائل: «أنا هو الحياة»، يترتب عليه

٢٦ وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت الى الابد. أتؤمنين بهذا

وعده القائل : « وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت الى الابد » . وكما انه في تصريحه ، ابتداءً من المظهر المادي الخارجي ، حتى بلغ الجوهر الروحي الباطني — فتكلم أولاً عن القيامة ثم عن الحياة ، كذلك ايضاً في وعده ، بدأ بالمظهر الخارجي للحياة التي تنتصر على الموت الجسدي ، : « من آمن بي ولو مات » — كما في امر لعازر — « فسيحيا » ، ثم تحدث بعد ذلك عن الجوهر الباطني الروحي للحياة الابدية ، التي لن تصل اليها يد الموت : « وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت الى الابد » — كما في امر مرثا وسائر المؤمنين

الجانب الاول من هذا الوعد، يرينا معنى الموت. فهو ليس موتاً حقيقياً — وان ظهر بمظهر الموت ، والجانب الثاني يريق نوراً سماوياً على معنى الحياة الابدية — فهي سلسلة ذهبية طويلة لن تنكسر فيها حلقة ما . الجانب الاول — يتناول الحاضر ، والجانب الثاني يضم المستقبل بين ذراعيه . ان هذا الجانب الثاني هو العنصر الخالد في هذه المعجزة — بل هو الغرض الذي جاء المسيح الى ارضنا لاجله . ان اقامة لعازر من الموت ، مسألة وقتية ، لان لعازر عاد بعدها الى القبر كما كان ، انما المعجزة الاعظم ، لا بل المعجزة الخالدة ، هي اقامة النفوس من قبور الخطية — هذه هي الحياة الابدية

(ز) المسيح يستخلص من مرثا ايماناً حياً باستجوابه لها : « أتؤمنين بهذا » ؟ قبل ان وقف المسيح على قبر لعازر ، واخرج منه لعازر بكلمة ، نراه هنا واقفاً امام مرثا ، وبكلمة منه استخلص منها ايماناً حياً : « أتؤمنين بهذا » ؟ هذا بمثابة القول : « هل هذا هو ايمانك » ؟

٢٧ قالت له نعم يا سيد . أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله
الآتي الى العالم

عدد ٢٧ . (ح) مرة منتصرة : « قالت له نعم يا سيد » . ان مرثا ،
بقولها هذا : (١) أقرت بقبولها كلام المسيح انه هو « القيامة والحياة » . فرق عظيم
بين موقفها هذا ، وموقفها السابق حين قالت « يا سيد لو كنت » . اننا في حاجة
الى الملاك الذي رآه حزقيال في رؤياه (حز ٤٧) ، ليقيس لنا المسافة بين الموقفين !
(٢) اعترفت بايمانها اليقيني ، المبني على التحقق والاختبار : « قد آمنت » .
هذا هو الاكتشاف الاعظم الذي وجدته مرثا في هذه المرحلة الشاقة ، التي
قطعتها نفسها الحزينة المتأللة : « قد آمنت » . « قد » — كما يقول النحاة ، تفيد التحقيق
اما موضوع ايمانها ، فهو : ان يسوع هو : (١) « السيد » ، المعظم فوق كل
عظيم . (٢) « المسيح » — الممسوح من الله نبياً ، وكاهناً ، وملكاً . فهو
ملتقى آمال اليهود ، وموضوع نبوات الأقدمين . (٣) « ابيه الله » — الذي تربطه
بالله صلة قدسية ، سرية ، روحية ، لا يدانيه فيها سواه ، وهو بحق هذه النسبة
يستطيع ان يصالح العالم مع الله ، لانه هو : « الله ظهر في الجسد » . هنا قد
ارتقت مرثا الى صف ثنائيل ، وبطرس ، ويوحنا المعمدان . (٤) « آتوني الى
العالم » — فهو مشتغى الامم . ان هذه الكلمات التي فاهت بها مرثا ليست
سوى ترجمة اخرى لتصريح المسيح لها بأنه « هو القيامة والحياة » . ما دام هو
القيامة والحياة ، فهو المسيح . وما دام هو المسيح فهو ابن الله . وما دام هو
المسيح ابن الله ، فهو الذي آتى الى العالم ليفدي ، وسيأتي عند القيامة ليحكم ويدين

٢٨ ولما قالت هذا مضت ودعت مريم أختها سرّاً قائلة المعلم قد حضر وهو يدعوك. ٢٩ اما تلك فلما سمعت قامت سريعاً

- (٣) المسيح يلتقي بمريم (٢٨: ١١ - ٣٧). في هذا الفصل نرى مشهدين
(أ) مزمه مريم (٢٨: ١١ - ٣٣). (ب) تأثيرات المسيح (٢٣: ١١ - ٣٧)
(أ) مزمه مريم (٢٨: ١١ - ٣٢). في هذا نرى: (١) مريم مدعوة.
(٢) مريم تلي الدعوة. (٣) مريم ساجدة باكياً

عدد ٢٨. (١) مريم مدعوة: «ولما قالت هذا» — أي كلامها المذكور في العدد السابق، وبه رفعت الغمة عن نفسها، «مضت ودعت مريم أختها سرّاً» — من غير ان تُعلم اليهود الموجودين، لان جلهم كانوا معزين وسميين و بعضاً منهم كانوا جواسيس للفريسيين (عدد ٤٧). «قائلة المعلم» — بهذا اللقب كان المسيح معروفاً بين خاصته (انظر ١٦: ٢٠؛ ١٣: ١٣؛ مت ٢٦: ١٨). «وهو يدعوك» — الظاهر ان السيد ارسل فدحاً مريم سرّاً، اعتقاداً منه ان الحزن العميق يكون صامتاً امام الجماهير، فلا يبوح بمكنوناته، الا للرب وحده، وكذلك سرّ الرب لخائفيه

يعتقد كيرلس الاسكندري، ان مرثاً تطوعت، ودعت أختها لمقابلة السيد، لتنبئها معها نصيباً من العزاء الذي نالته هي. ونميل نحن الى الرأي الاول عدد ٢٩. (٢) مريم تلي الدعوة عاجلاً. ان السرعة التي بها اجابت مريم هذه الدعوة، لدليل على استعداد ايمانها. فمع انها بطبيعتها متأنية، الا أنها بروحها نشيطة. انها بعملها هذا، قدّمت لنا أجمل تفسير للقول: «اجذبني

وجاءت اليه . ٣٠ ولم يكن يسوع قد جاء الى القرية بل كان في المكان الذي لاقته فيه مرثا . ٣١ ثم ان اليهود الذين كانوا معها في البيت يعزونها لما رأوا مريم قامت عاجلاً وخرجت تبعوها قائلين إنها تذهب الى القبر لتبكي هناك .

وراءك فتجري» . هنا تركت المعزين المتعبين ، قاصدة المعزي الصالح الأوحـد عدد ٣٠ . *بمعنى تفسيرية* « ولم يكن يسوع قد جاء الى القرية . » . كان قبر لعازر خارج القرية لان مدينة الاموات بعيدة عن حي الأحياء كما في سائر العصور . وغالباً لم يذهب المسيح الى بيت مرثا ومريم ، لانه لم يأت ليعزيها بكلمات مهما تكن طيبة ، بل جاء ليقم أخاها الميت . لذلك دعاها الى المكان الذي سيكون مسرحاً لا كبر معجزة في التاريخ — بعد معجزة قيامته هو — لتشهدا تلك المعجزة ومعهما المعزون من اليهود

عدد ٣١ . *المعزوة الزبده أصبحوا فيما بعد مشهوداً* : « ثم ان اليهود الذين كانوا معها في البيت يعزونها .. » . لما خرجت مرثا للافاة المسيح (عدد ٢٠) ، لم يخرج معها اليهود المعزون ، لان اختها مريم استمرت جالسة في البيت (عدد ٢١) ، فظأوا معها . اما وقد خرجت الاختان معاً ، فبقي امام المعزين ، أمر من اثنين : إما ان ينصرفوا الى بيوتهم — وهذا غير طبيعي ، لان مدة « المأتم » لم تنقـض بعد ، او ان يتبعوا الاختين الى القبر ، ليكملوا « المناحة » هناك . ولعل بعضاً منهم خاف على مريم من الاستسلام للحزن عند القبر — والقبور مثيرة الاشجان — فذهبوا معها ليشجعوا ويواسوها . كان هذا قصدهم في خروجهم

٣٢ فریم لما أتت الى حيث كان يسوع ورأته خرت عند رجله
قائلة له يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي .

لكن الله قد قصد بهم ان يكونوا شهوداً لحقيقة المعجزة، فيؤمنوا او يتقسطوا
عدد ٣٢ . مريم ساجدة باكية : «فریم لما أتت الى حيث كان يسوع .
خرت عند رجله . . .» . يختلف حزن مريم عن حزن مرثا اختها ، باختلاف
طبيعهما . مرثا كثيرة النشاط ، فهي في حزنها مجاهدة . ومريم ميالة الى السكون
والهدوء ، فهي في حزنها مسلّمة باكية . فجاءت هذه الى المسيح معبرة عن
حزنها العميق بأمرين : (١) اولهما سجدتها عند قدميه : «خرت عند رجله»
هذا هو المكان الذي سبقت فاخترته مريم لنفسها ، فصار لها خير نصيب
(لوقا ١٠: ٣٩ ؛ يوحنا ١٢: ٣) . هذا موقف مثلث — فهو : موقف المتواضع
وموقف التلميز المكرم ، وموقف المصلّي الساجد . (٢) تائبها دموعها الناطقة
بلغة التحسّر . «يا سيد لو كنت ههنا» . بهذه العبارة عينها استقبلت مرثا
المسيح . والفرق بينهما هو ان مرثا نظمت بها واردفتها بوابلٍ من الكلام .
ومريم قاهت بها وسقتها بوابلٍ من الدموع (عدد ٣٣) ، فكانت بدموعها
اكثر اقتداراً من اختها بكلامها . فاذا كان كلام مرثا قد انطق فم المسيح بوعود
وتشجيعات ، فان دموع مريم ، استدّرت من قلبه عطفاً ، ومن شخصه اقتداراً
يظهر من ترديد الاختين للعبارة الواحدة : «لو كنت ههنا» ، ان الشغل
الشاغل ، لهما ولاخيهما ، في ساعات المرض الاخيرة ، كان غياب المسيح وقتئذٍ
(ب) تأثرات المسيح (١١: ٣٣-٣٧) . في هذا المشهد نرى : (١) تأثرات

٣٣ فلما رآها يسوع تبكي واليهود الذين جاءوا معها يكون

المسيح (١١: ٣٣-٣٥). (٢) تحليل اليهود لهذه التأثيرات (١١: ٣٦ و ٣٧)

عدد ٣٣. تأثيرات المسيح: (١١: ٣٣-٣٥). نحن واقفون الآن على أرض مقدسة، فلنخام نعالنا من أرجلنا. ان كل محاولة يُراد بها تحليل هذه التأثيرات القدسية، مقضي عليها بالفشل. فلسنا ندري: نحن امام ناسوت المسيح المتأثر، ام امام لاهوته المقتدر المؤثر، او امام الاثنين معاً! ان ناسوته غير منفصل عن لاهوته، ومظاهر الناسوت مُعبّرة عن جوهر اللاهوت. فالله يسخط، ويعلم، ويحرك، ويحب. والانسان يرتعش، ويستعلم، ويبكي. فارتعاش الناسوت معبر عن سخط اللاهوت وغضبه، ودموع الناسوت معبرة عن حب اللاهوت. في هذه الثلاثة الاعداد تتجلى ثلاثة مظاهر:

(أ) تأثر يسوع في رومه (عدد ٣٣). (ب) استفهام يسوع عن موضع القبر (عدد ٣٤). (ج) دموع يسوع (عدد ٣٥). (أ) تأثر يسوع في رومه في هذا العدد يتجلى امامنا أمران: (١) ما رأى يسوع: «فلما رآها يسوع تبكي» الكلمة المترجمة: «تبكي» تعني الزفرات والعويل، وهي غير الكلمة التي قيات عن المسيح في عدد ٣٥، التي تعني مجرد سكب الدموع الصامتة. كان نوح مريم مظهرًا من مظاهر ضعف الايمان. لانها لم تكن قد ارتقت بعد الى مستوى الايمان الذي بلغته مرثا في عدد ٢٧. على ان نظر المسيح لم ينته عند رؤيته دموع مريم، ودموع اليهود الذين جاءوا معها، بل نفذ الى ما وراء حجب المادة، فرأى العوامل المختلفة التي كانت مبعث هذه الدموع، وعلم

انزعج بالروح واضطرب

بكسر قلب مريم ، ولس عدم ايمانها ، وكشف رياء بعض اولئك اليهود المتباكين ، الذين كانوا يسكبون دموعاً رخيصة هي دموع التماسيح . وادرك ان كثيرين غيرهم ، كانوا يعويلهم يطرحون وقوداً على نيران حزن مريم لتزداد اشتعلاً . (٢) ما شعر به يسوع : « انزعج بالروح ^(١) واضطرب » . ربما كان اقرب الى الاصل ان تترجم هذه العبارة الى : « ارتعش بالروح وحرك نفسه » . هذا احساس من يرى امراً مخالفاً للصواب ، فتحتد روحه فيه ، وينضب غضبه لاجل الحق ، ثم يستخدم قوة ارادته لصد تيار هذا السخط ، ومنعه من الظهور ، فيهتز من أعماق نفسه

فما هو هذا الأمر الذي كان موضوع غضب المسيح وسخطه ؟ أهو رياء اليهود المتباكين الذين جاءوا ليعزوا مريم عن فقد أخيها ، وصاروا فيما بعد ، من المؤثرين على قتل أخيها (١٢: ١٠) ؟ أم هو علم ايمان مريم ومن كانوا معها ؟ أم ان المسيح احتدت روحه فيه ، لانه علم ان وراء دموع مريم وعلم ايمانها ، ووراء رياء اليهود ، يختبئ شبح قبيح أسود — هو الموت ، وان وراء هذا الشبح الاسود يستتر شبح آخر ، أشد منه قبحاً وسواداً يُقال له « ابليس » ، وان في كنف ابليس تختبئ غداة خائنة اسمها الخطية ؟ أم هذه كلها مجتمعة

(١) يعتقد يوحنا « فم الذهب » وكيراص الاسكندري ، ان الروح الانسانية في المسيح ، قد ملكها التأثير حين رأى الفادي دموع الباكين ، ولكن الروح اللاهوتية فيه ، قد حجزت تأثيرات الروح الانسانية ، فحدث هذا الاهتزاز كما تحدث الهزات الطبيعية نتيجة احتباس قوات ثائرة . ويشاركها في هذا الرأي الدكتور دافيد براون

٣٤ وقال أين

معاً؟ أم لأسباب لا نعلمها؟ على أن هذا الارتعاش الذي حدث ليسوع، لم يكن نتيجة ضعف بشري. وإنما كان بإرادته القوية. لذلك قال البشير عنه إنه «حرك نفسه». أي أنه ادخل على نفسه هذه التأثيرات طوعاً واختياراً. وهو في تحريكه نفسه، لم يكن متصنعاً التأثير بل كان متأثراً من صميم نفسه. من هذا نرى أن هاتين العبارتين: «ارتعش بالروح» و«حرك نفسه» متشابهتان، تدعم أحدهما الأخرى وتثبتها. ويعتقد جوذي أن الروح هي مركز التأثيرات الروحية، وأن النفس هي مركز الانفعالات الطبيعية. وأن العبارة: «انزعج بالروح» لم تُطلق على المسيح سوى مرة أخرى في هذه البشارة (٢١: ١٣) — حينما كان مواجهاً خيانة يهوذا، وأنه انزعج في روحه، لأنه من الجهة الواحدة. رأى أن دموع الباكين على حبيبيهم، تناديه بل تستعطفه، أن يقيم لعازر — حبيبه هو أيضاً — من الأموات. ومن الجهة الأخرى، علم أن تلميذته هذا النداء، ستؤدي حتماً إلى إقامته لعازر، وأن إقامته لعازر — وهي منة منه على البشرية، ستكون أول خطوة حاسمة تؤدي به إلى الصليب. فتمثلت له خطية البشرية في اقبح مظاهرها، حين ردت عليه حسناته سيئات واتخذت من نعمه عليها، فرصة لنقمته عليه. لذلك احتدّت روحه فيه، «وحرك نفسه»، أما لينهض نفسه للصراع العنيف الذي ينتظره، ضد الخطية، والموت، وإبليس، أو ليدفع عن نفسه هذا التأثير، ويتقدم للقيام بالمعجزة

عدد ٣٤. (ب) استفهام يسوع عن موضع القبر: «وقال أين

وضعتموه . قالوا له يا سيد تعال وانظر .

وضعتموه» — هذه هي المرة الوحيدة — في كل البشائر — التي يُرى فيها يسوع مستعلماً عن أمر ما . على ان علام الغيوب ، لم يسأل هذا السؤال ، لانه كان يجهل — او يتجاهل — الموضع الذي دُفن فيه لعازر . فليس من العسير على الذي استطاع ان يرى ثنائيل تحت التينة ، ان يرى لعازر في القبر ، وإنما سأل هذا السؤال ايقاظاً للحاضرين الى المعجزة التي كان مزماً ان يصنعها جهراً . فكان سؤاله هذا بمثابة دعوة قدّمت اليهم لينحضروا هذه الوليمة الروحية . فتكون لهم رائحة حياة حياة او رائحة موت لموت . اما جوابهم على سؤاله هذا فهو : « تعال وانظر » — هذا صدى صوت المسيح في يو ١١: ٤٦ ؟

عدد ٣٥ . (ج) دموع يسوع — « بكى يسوع » . عظيم هو الفرق بين اللغة التي تكلم بها المسيح مع مرثا ، واللغة التي بها خاطب مريم . كانت مرثا مجاهدة جهاد الايمان الحسن ، فوجه اليها كلمات طيبة ، هداها بها سواء السبيل اما مريم فجاءته ساجدة باكية ، فخاطبها بالدموع ، وبهذه الكلمات المتبلورة الصامتة ، جبر كسر قلبها . كلمة : « بكى » التي عبر بها البشير عن تأثرات يسوع ، غير كلمة : « بكى » التي عبر بها عن تأثرات مريم ومن معها (عدد ٣٣) . فهي لم ترد سوى هذه المرة في العهد الجديد ، وترجمتها الحرفية : « دمع يسوع » . فالمسيح ، في حزنه الصامت ، مكب دموعاً هادئة . « بكى يسوع » — هذه اقصر آية في كل الكتاب المقدس ، لكن من يستطيع ان يقيس اتساعها وعمقها وسموها ! هذه قصيدة كاملة مركزة في نبذة ، وبحر خضم متجمع في قطرة ،

٣٥. بكى

وابدية طويلة مختزلة في لحظة ، وثروة طائلة . مختزنة في لؤلؤة
 « بكى يسوع » — هنا نرى دموع يسوع الانسان ، معبرة عن محبة
 للمسيح الاله . هذا ختم ناسوته الكامل الذي به صار واحداً منا ، نائلاً قسطه
 من هذا الميراث المشترك . بل هذا مظهر لاهوته الكامل ، الذي تقرأ عنه في
 العهد القديم : « في كل ضيقهم تضايق » . بهذه الدموع اللؤلؤية ، الفدائية ،
 تُشفى العيون التي قرّحها البكاء والعويل ، ويُزال صدام اليأس المتراكم على
 النفوس . بل بهذا المزم البُلّوري ، تُجبر القلوب الكسيرة

من لنا بالمنديل الذي مُسحت به هذه الدموع القدسية ، لنكفكف به
 كل الدموع ! فلقد بكى القادي لنبي نحن ، وبكى لكي تفرح !!

ما أجمل دموعك ايها القادي ! ما أثنىها ، وما أطهرها ! فما قطر الندى
 الجميل ، تسكبه اجفان الفجر على اكمام الأزهار ، الا قبلاً بجانب جمالها . ولا
 اللآلى الكريمة تزين تيجان القياصرة سوى تراب أمام تبرها . ولا عين
 الشمس الوضية ساكنة اشعتها الوهاجة لتتقي أدران الكون ، سوى قدر
 بجانب طهارة دموعك القدسية النقية ! اننا نكرمك لاجل كلامك ، ونعظمك
 لاعمالك ، ونُجذب اليك بسبب ابتسامك . لكننا اذ نراك دامعاً لاجلنا ، نخرُّ
 عند قدميك خاشعين ساجدين . فليس أعزّ من دموعك سوى دمائك —
 هذا اذا جازت المفاضلة في الكمال — وهيئات ! ان دموعك هي مادة سحرية

(١) ثلاث مرات ذكر في الانجيل ، ان المسيح بكى — هنا ، وعند دخوله اورشليم

(لوقا ١٩: ٤١) ، وفي جثسياني (عب ٥: ٧)

يسوع

تذيب القلوب المتحجرة، وهي « كيميا » مقدسة تجمع بين القلوب المتنافرة
 « انزعج بالروح واضطرب . . . بكى يسوع » — بعد العاصفة نزل المطر .
 ليس عجيب ان يبكي المسيح ، مع علمه بانه سيقم لعازر بعد دقائق ، لان
 « الكلمة » صار جسداً وحلّ بيننا، ولان من يقف على قبر ميت ليقيمه ، لا
 يمكن ان يضمّ بين ضلوعه قلباً من حجر . « من ثم كان ينبغي ان يشبه اخوته
 في كل شي لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة اميناً في ما لله حتى يكفر خطايا
 الشعب » (عب ٢: ١٧) . ومن الهم ، ألا ننسى ان الكلمة : « بكى يسوع » ،
 التي تصف ناسوت المسيح التام ، قد وردت في هذه البشارة المكرّسة لآيات
 لاهوت المسيح . فليس من المستغرب ، ان نرى البشير الذي استهل بشارته
 بتجسد الكلمة الازلي ، يكثر من ايراد الادلة المثبتة ان « الكلمة » المتجسد
 « حلّ بيننا » ، حقيقة لا وهماً . فيوحنا دون سواه ، حدثنا عن عطش المسيح
 (٧: ٤ و ١٩: ٢٨) ، رغبه (٦: ٤) . فالمسيح اله تام ، وانسان تام
 هل بكى يسوع متأثراً بما رآه ؟ ام بكى عطفاً على الباكين الذين لم يبكوا
 على انفسهم ؟ ام بكى منفعلًا بسبب الاجرة القاسية التي تقدها الخطية لحبيبه
 لعازر — بالموت ؟ ام بكى اشفاقاً على لعازر ، اذ علم انه بهذه المعجزة سيعيده
 الى حياة الشقاء والهوان ، بعد ان كان ناعماً في جوار ربه ؟ ام بكى لاسباب لا نعلمها ؟
 (٢) تعليل اليهود لتأثرات المسيح (١١: ٣٦ و ٣٧) — « فقال اليهود . . .
 وقال بعض منهم » . اي نعم ! وعلى قبر لعازر ايضاً « تعلن افكار من قلوب
 كثيرة » . وفي ساعة الحزن ايضاً يُعرف المخلصون من الماكرين .

٣٦ فقال اليهود انظروا كيف كان يحبه . ٣٧ وقال بعض منهم ألم
يقدر هذا الذي فتح عيني الاعمى ان يجعل هذا أيضاً لا يموت

عدد ٣٦. (أ) اليهود الحسنو النظم بالمسيح : «فقال اليهود» — وهم فريق
منهم — «انظروا كيف كان يحبه» (انظر ٢: ٢٠). جميل بهؤلاء القوم ان
يقدروا دموع المسيح ، وان ينسبوها الى باعث شريف كحبة للعازر . ولكن
كان عليهم ان ينظروا الى العمق ، ويعلموا ان المسيح بكى ، لان في عينيه
دموعاً . وان في عينيه دموعاً لان له عينين طبيعيتين ، وان له عينين طبيعيتين
لانه انسان ، وانه انسان لانه تجسد طوعاً واختياراً لاجل خطايانا نحن
ونخطايهم م

عدد ٣٧. (ب) اليهود الجامدونه : «وقال بعض منهم.. ألم يقدر هذا»
— ولعلمهم لفظوا كلمة : « هذا » ، بنغمة التحقير والازدراء — «الذي فتح
عيني الاعمى» — المذكورة سيرته في ص ٩ . وربما اشاروا الى هذه الحادثة
دون سواها ، لانها كانت ماثلة امام اعينهم ، وقد اجراها المسيح في مدينتهم
منذ عهد قريب . « ان يجعل هذا ايضاً لا يموت » — فكأنهم نسبوا الى
المسيح امراً من اثنين . اما انه غير مخلص في حبه للعازر ، او انه كان مغروراً
حين افهم الناس انه فتح عيني الأعمى . وهل في الامكان ان يهوى انسان
الى درك أسفل من هذا الذي هبط اليه هؤلاء ، الذين يكيلون هذه التهم
لأقدس شخص ، في اقدس ظرف؟! هذه حال قوم اغلقوا قلوبهم ضد النور ،
فمجزت نار الاحزان عن ان تصهرها ، وقصرت رهبة الموت عن ان تطهرها

٣٨ فانزعج يسوع أيضاً في نفسه وجاء الى القبر. وكان مغارة وقد وُضع عليه حجر .

ثالثاً : قلب المعجزة (١١: ٣٨ - ٤٤)

افاض البشير في وصف المراحل التي قطعها هذه المعجزة ، وصفاً دقيقاً ، لا يترك مجالاً للشك في انه كان شاهد عيان . فلم يكتف بذكر ما عمله المسيح بل حفظ لنا : (١) تأثيرات المسيح (عدد ٣٨) و (ب) كلمات المسيح (عدد ٤٤) عدد ٣٨. (١) تأثيرات المسيح ، وشروعه في عمل المعجزة : « فانزعج يسوع أيضاً في نفسه وجاء الى القبر » . يحدثنا هذا العدد عن : (١) تأثير المسيح : « فانزعج يسوع ايضاً في نفسه » . ان تأثير المسيح الموصوف هنا لم يتخذ مظهراً قوياً ، كتأثيره الموصوف في عدد ٣٣ . ويُستنتج من حرف الفاء الذي به يُستهل هذا العدد ، ان سخرية اليهود بدموع المسيح ، كانت احدى العوامل التي اثارت فيه هذا التأثير . يضاف اليها وقوف المسيح محاطاً بدهوع الباكين ، وشك الغير المؤمنين ، ورياء المتباكين

(٢) شروعه في عمل المعجزة : « وجاء الى القبر » . هذه اول خطوة فعلية ، خطاها المسيح نحو اتمام المعجزة ، بل هذه اول خطوة خطاها في حومة الوعى ليصارع الموت في عرينه ، فيصرعه

(٣) وصف عام للقبر : « وكان مغارة وقد وُضع عليه حجر » - إما ان قم القبر كان مفتوحاً الى فوق ، والحجر موضوعاً عليه - وعلى هذا الاعتبار تكون الحفرة عمودية . او ان قم القبر كان متجهاً الى احد الجوانب ،

٣٩ قال يسوع ارفعوا الحجر . قالت له مرثا أخت الميت يا سيد قد أنتن لان له أربعة ايام

والحجر موضوعاً مقابله — وعلى هذا الاعتبار تكون الحفرة اقية
عدد ٣٩ . (ب) كلمات المسيح (١١: ٣٩ — ٤٤) . هذه خمس كلمات :
(١) كلمة الاولى للواقعين : « قال يسوع ارفعوا الحجر » . هذا يتفق
وما نعلمه عن المسيح وميله الى الاقتصاد . فلا اسراف ولا تبذير في تدبير عنايته .
بطلبه هذا علم الاجيال كلها ان الله لن يقوم بواجب الانسان بدلاً منه ،
ما دام في قدرة الانسان ان يقوم بواجبه . فلن يساعد القدير إلا المجددين .
ولن تمطر السماء ذهباً وفضة على رؤوس من يفعلون عن القيام بواجباتهم
فالمسيح بطلبه هذا ، قدّم لهم فرصة بها يظهرّون طاعتهم وولاءهم له
وفوق ذلك فانهم ، برفعهم الحجر ، اوضحوا شهود عيان لصحة هذه المعجزة .
كلمة مرثا : « قالت له مرثا أخت الميت يا سيد . قد أنتن لانه له أربعة ^(١)
ايام » . اننا مدينون لمرثا بهذه الكلمات التي شهدت بها امام الاجيال — من
غير قصد — بأن لعازر اخاها لم يكن في حالة اغماء ولا اعياء ، بل كان قد
انتن . في هذا يصدق القول : « وشهد شاهد من اهلها »

ان وصف البشير لمرثا بانها « أخت الميت » ، يريق نوراً ساطعاً على كلام

(١) وردت الكلمة الآتية في تلمود اليهود ، وهي تريق نوراً ساطعاً على كلمات مرثا :
لا يبلغ الحزن على الميت اشدّه ، الا بعد اليوم الثالث . لان روح الميت تظل حائرة حول
القبر بمدة ثلاثة ايام آملة ان تعود الى الجسد الذي منه خرجت ، ولكنها بعد اليوم الرابع ،
اذ ترى ان الجسد بدأ في الانحلال ، تتركه فاصدة موضعها في عالم الارواح

٤٠ قال لها يسوع ألم أقل لك

مرثا ، فيعلن لنا قصدها . علمت مرثا ان جثة اخيها قد اتتنت ، فأشفقت على حاسة المسيح ، والواقفين معه ، من الرائحة الكريهة التي تنبعث من قبر اخيها ، متى رُفع الحجر عنه ، لانها بحكم قرابتها لـ اخيها ، لا تريد ان يظهر منه للناس الا احسن ما فيه ، وفي الوقت نفسه لم ترد ان تكافي المسيح على معرفته معها ، ومع اخيها ، بتلك الرائحة المنبعثة من قبره

ويظهر من كلام المسيح لها ، ان كلامها هذا نَمَّ عن تراجع في ايمانها الذي اعترفت به في عدد ٢٧ . فالانسان انسان : في صعود وهبوط . وهبوط وصعود

عدد ٤٠ . (٢) كلمته لمرة : « قال لها يسوع ألم أقل لك . ان آمنت ترين مجد الله » . بهذه الكلمة انتشل المسيح مرثا من الهبوط في لجة اليأس ، وأعادها الى يقينية الايمان ، بان رفع فكرها من « الجثة » التي أتننت ، الى العنصر الخالد في هذه المعجزة — « مجد الله » . فلم تكن هذه المعجزة قاصرة على قيامة لعازر من الاموات ، بل قصد بها ان تكون « آية » يتجلى فيها مجد الله . اما قيامة لعازر فهي حادث وقتي ، لان لعازر لم يخلد بل عاد فمات

« ألم أقل لك ان آمنت ترين . . » — ومتى قال المسيح هذا الكلام لمرثا ؟ هل في خلال حديثه معها (عدد ٢٣ — ٢٦) ؟ أم في ثنايا الرسالة التي بعث بها اليها مع الرسول (عدد ٤) ؟ أم كان هذا الوعد مستمداً من روح الرسالة والحديث معاً ؟ ! اننا نميل الى الأخذ بالرأي الاخير

إن آمنت ترين مجد الله. ٤١ فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً ورفع يسوع عينيه الى فوق وقال أيها الآب أشكرك لانك سمعت لي. ٤٢ وأنا علمت انك في كل حين تسمع لي.

«إن آمنت ترين مجد الله» — لا يُراد بهذا ان اتمام المعجزة كان موقوفاً على ايمان مرثا، بل ان ايمان مرثا كان شرطاً اساسياً لرؤيتها «مجد الله» في المعجزة. وكم من اعمال عظيمة تجري امامنا، لكننا نُحرم فيها رؤية مجد الله، بسبب عدم ايماننا. ان رؤية مجد الله هي نبع فرح فياض لا ينضب معينته يقول الناس عادة «انظر لتؤمن». ويقول الله «آمن لتري»

لقد ظهر مجد الله في انتصار قلعة محبته وقداسته على الموت (٤: ٦)

عدد ٤١ و ٤٢. (٣) كلمته لموآب: «فرفعوا الحجر..» ورفع يسوع عينيه..» لم يبدُ من الواقفين اي تردّد. ولم يقدم احدهم اعتراضاً ما على امر المسيح لهم. «فرفعوا الحجر» — ولما قام البشر بنصيبتهم، جاء دور المسيح «رفع يسوع عينيه الى فوق..». ليس الله محدوداً بمكان، فقد وسع كرسيه السموات والارض، ألا ان السموات المنظورة هي خير رمز للسماء الغير المنظورة، حيث يسكن الله في نور لا يُدنى منه، لذلك رفع المسيح عينيه اللتين تخترقان حجب المادة الى حيث يسكن الله في عزته وبهائه

اما الكلمات التي وجهها المسيح الى الآب، فهي ليست صلاة بالمعنى الذي قصدته مرثا بقولها له. «كل ما تطلب من الله يُعطيك الله اياه». فليس في كلمات المسيح ما يفيد التوسل ولا الطلب، وانما هي شكر، واطمئنان، وثقة.

ولكن لاجل هذا اجمع الواقف قلت . ليؤمنوا انك ارسلتني .

هذا تعبير المسيح عن الصلة السرية ، الوثيقة ، الدائمة ، التي تربطه بالآب . فليس شكر المسيح وليد هذه الحادثة ، ولا هو قاصر عليها ، بل هو لغة المسيح الدائمة ، وهو حالته النفسية « في كل حين » ، بل هو شعاره في حياته التي قضاها على الارض . وانما عبّر عن هذا الشكر بكلمات مسموعة لانه كان ينتظر علامة منظورة نتيجة هذا الشكر فيؤمن اجمع الواقف « ان الآب قد أرسله » . لقد فاز المسيح بحياة لعازر قبل ان اقام لعازر ببضعة ايام ، والا لما استطاع ان يقول — وهو بعد في يريه — « هذا المرض ليس للموت » (عدد ٤)

قبل ان يأتي المسيح الى بيت عنيا ، وقبل ان يخطو خطوة واحدة الى قبر لعازر (عدد ٣٨) ، كان قد سبق قبض على ناصية الهاوية ، وانزع حياة لعازر من بين مخالبها ، فلما جاءت ساعة اتمام المعجزة ، وقف المسيح على قبر لعازر ، لا موقف من استنفد موارده ، فارسل في طلب العون والمدد ، بل موقف الظافر الغني بموارده ، « يسحب » منها ، ما يراه لازماً لاتمام قصده

وكما هيا المسيح قلب مرثا بوعوده المشجعة ، وكما اعد قلب مريم بدموعه المعزية ، كذلك ايضاً جهز قلوب اجمع الواقف بكلمات الشكر المسموعة ، حتى يروا « العلامة » التي لاجلها صنع المعجزة : « ليؤمنوا انك ارسلتني » — وفي هذا خير تمجيد لله . لأن قيامة لعازر ، بعد هذه الكلمات التي ارتفعت من المسيح الى الآب على مسمع من ذلك اجمع ، هي خير دليل على ان المسيح كان يأتي بمعجزاته باصبع الله ، لا بقوة بطربول

٤٣ ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجاً.

فيا من شكرت على قبر الميت ، علمنا ان نشكر ونحن في الظلام ، قبل ان يشرق علينا النور . انا غافلون كثيراً عن الشكر على الماضي والحاضر ، ومتغافلون أكثر عن الشكر على بركات المستقبل

عدد ٤٣ . (٤) كلمته للعازر : «لما قال هذا صرخ بصوت عظيم . لعازر هلم خارجاً» . هذه هي النقطة المركزية في المعجزة . فكل كلمات المسيح السابقة ، ممهدة لها . وكلمته اللاحقة ، ناجمة عنها

بكلمتين وصف البشير تأثيرات ابن الانسان : «بكى يسوع» (عدد ٣٥) . و ثلاث كلمات وصف النعمة التي بها تكلم «ابن الله» . وثلاث كلمات أيضاً خلّص المسيح لعازر من فم الموت ، خلاص عزيز مقتدر . «صرخ بصوت عظيم» — دلالة على الثقة الربوبية ، والعزيمة الشريفة ، والسلطان الذي لا يفتر .

«لعازر هلم خارجاً» : دعا المسيح لعازر باسمه ، كمن يوقظ نائماً من نومه «صرخ بصوت عظيم» — إيقاظاً لا يتباه الحاضرين ، وتمييزاً لذاته عن المعزّمين الذين يتمنون . على ان قيامة لعازر لا تُعزى الى الصوت العظيم ، بل الى ارادة المسيح الهادئة . وما الصوت العظيم الا تعبيراً لهذه الارادة

اين كنت يا لعازر حتى سمعت صوت المسيح ، وقد فأتك ان تسمع زفرات مرثاً وتنهّدات مريم ؟ اما الموضع الذي كان فيه لعازر ، فليس لنا ان نعرفه ، ولا نريد ان نعرفه ، لكننا نعلم شيئاً واحداً ، وهو ان صوت المسيح يتفد

٤٤ فخرج الميت ويده ورجلاه مربوطات بأقطة ووجهه ملفوف
بمئيد.

الى كل مكان . ان ارادته قانون السموات والارض . وكلماته نسمة حياة
تبعث الروح في سكان القبور . وان ما عمله المسيح هنا ، ليس الا عربوناً لما
سي عمله عند قيام الساعة : « حين يسمع جميع الذين في القبور صوته »

عدد ٤٤ . الميت يحيى التراء ونخرج : « فخرج الميت ، ويده ورجلاه . . »
— كما يستيقظ النائم ، حالاً يسمع اسمه على لسان من يحبه ويحترمه ، كذلك
قام لعازر من نوم الموت (عدد ١١ و ١٣) ، حالاً يسمع صوت المسيح . « فخرج الميت
ويده ورجلاه مربوطات . . » . آية ريشة تستطيع ان ترسم لنا صورة هذا
الميت الحي الذي قام من قبره ملفوفاً بكفنه ، ويده ورجلاه مربوطات بأقطة ،
وعيناه لا تقويان على مواجهة شمس الطبيعة ، بعد ان حرمتا منه ، اربعة ايام ،
فحالاً واجههما نور « شمس البر » ، طرد عنهما بقايا نفاس القبر ؟

يعتقد بعض المفسرين ، ان في خروج لعازر من القبر ، على رغم كون يديه
ورجليه مربوطات ، معجزة داخل معجزة ، فليس ما يمنع من كسر سلاسل
الموت ، ان يفك او يرخي أربطة من قماش . على انه لم يكن من المستحيل
على لعازر ان يحرك يديه ورجليه مع وجود الاربطة ، من غير حاجة الى قوة
خارقة تساعد على ذلك ، لان اقطة الموتى لم تكن محكمة الى الحد الذي
تستحيل معه الحركة . ومن المحتمل ان كل رجل كانت مربوطه على حدة
وكذلك كل يد — حسب عادة للصريين القدماء في تقييط جثث موتاهم

فقال لهم يسوع حلّوه ودعوه يذهب ٤٥ فكثيرون من اليهود الذين جاءوا الى مريم ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به. ٤٦ وأما قوم منهم فمضوا الى القريسيين

(٥) كلمة المسيح الثانية للواقفين : «فقال لهم يسوع. حلّوه ودعوه يذهب» ان قصد المسيح في هذه الكلمة لا يخرج عن قصده في كلمته الاولى لم (عدد ٣٩). فاطلب الشرح هنالك. (انظر ايضاً لو ١٥: ٧ و ١٥: ٨ و ٥٥) رابعاً: الاثر الذي تركته المعجزة (١١: ٤٥-٥٧) : (أ) الاثر القريب (١١: ٤٥ و ٤٦). (ب) الاثر البعيد المدى (١١: ٤٧-٥٣) (أ) الاثر القريب الذي تركته المعجزة (١١: ٤٥ و ٤٦). مرة اخرى، نرى احدى معجزات المسيح تقسم مشاهديها الى صفتين متقابلين، مثلما يفصل نور الصباح بين النهار والليل. على ان الاثر الذي تركته هذه المعجزة، بعيد المدى، لان نورها الفاحص والمميز، قد امتد الى اليهود انفسهم فشطروهم شطرين - مؤمنين وغير مؤمنين. فكان معجزات المسيح قد وضعت «لسقوط وقيام كثيرين»

عدد ٤٥. (١) الشرود المؤمنون : «فكثيرون من اليهود الذين جاءوا الى مريم ونظروا.. آمنوا». ان بعضاً من هؤلاء، جاءوا ليعزوا مريم. وجاء بعضهم ليروا، وفي النهاية آمنوا. هؤلاء رأوا احدى اعمال المسيح، وفيه رأوا شخصه «لان اموره غير المنظورة تُرى بالمصنوعات. قدرته السرمدية ولاهوته» عدد ٤٦. (٢) الشرود المتجسسونه : «واما قوم منهم فمضوا الى القريسيين

وقالوا لهم عما فعل يسوع . ٤٧ فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون

وقالوا لهم . . . « . كلمة : «اما» تضع حداً فاصلاً بين هؤلاء وبين سابقينهم .
لم يكن هؤلاء مخلصين في دَهابهم الى الفريسيين، بل كانوا «مخبرين سرين»،
وكانت نيتهم ان يشوا يسوع . على انه ليس من المستبعد ان كان بين هذا
الفريق، قوم متحIRON، ذهبوا الى الفريسيين ليسروا اليهم الحيرة التي ملكتهم

عدد ٤٧ و ٤٨ . الاثر البعير المرى (١١: ٣٧ - ٥٣) . لم تكن قيامة
لعازر، علة الحكم على المسيح بالموت ، لكنها عجّلت بهذا الحكم . ان كأس
اليهود كانت مليئةً بالحقد والسعاية ضد المسيح، فلما تمت هذه المعجزة طفحت
الكاس ، «فجمع رؤساء الكهنة» - وهم من الصدوقيين الذين كان ييدهم زمام
السلطة ، فكانوا بحكم وظيفتهم ، المنفذين لهذه الحركة الآثمة - وقد اتفق معهم
«الفريسيون» الذين كانوا متخذين غالباً موقف المحرّضين . ومع ان الصدوقيين
كانوا مختلفين مع الفريسيين في العقيدة، الا ان حقدهم على «عدوهم المشترك»،
قد ألّف بين قلوبهم . ولكم تجمع ايها الناصري بين القلوب المتنافرة ، حتى
في وقت التآمر عليك . دعا رؤساء الكهنة والفريسيون ، مجمع السندريم
الى التّسام خاص للنظر في هذه الحالة الطارئة التي كانت تهدّد كيانهم .

(١) المتآمرين المخبرين . لما استقر بهم المقام، قالوا : «ماذا نصنع . فان
هذا الانسان يعمل آيات !» (١١: ٤٧ و ٤٨) . انهم في تأمرهم هذا قد طبّقوا
على انفسهم تلك النبوة القديمة ، التي طالما ردّوها في تلاواتهم وهم لا يفهمون
حقيقتها : «تأمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه» (مزمو ٢: ٢) . عند ما

مجمعاً وقالوا ماذا نصنع فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة . ٤٨ ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا

خلا هؤلاء القوم الى انفسهم، صرّحوا بما كانوا يضمرون . فاعترفوا (أ) بحيرتهم وعجزهم : «ماذا نصنع» ؟ (ب) بعمة معجزات المسيح : «فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة» . (ج) بتخوفهم على مصالحهم الشخصية : «يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون..» اذاً كانوا يتخوفون من امرين، يترتب ثانيهما على اولها . وفي كلا الامرين كانوا يخافون على مصالحهم هم ، لا على الدين ولا على مصالح الشعب . هؤلاء هم الرعاة الذين يرعون انفسهم — ولكن ليوم الذّبح الذي هم عنه غافلون . وكمن كثيرين يصيحون وينادون بالويل والثبور وعظائم الامور، لان الدين اصبح في خطر، بل لان مصالحهم النفسانية ، العالمية ، قد صارت مهددة . اليوم الاول الذي كانوا يخشونه هو انصراف الجميع الى المسيح، وانصرافهم عنهم . وربما كان انصراف الناس الى المسيح مصحوباً بشي من الحماس ، مما يعطي الرومان حقاً في التدخل ، لمنع الثورة التي يحدّثها الشعب — وكثيرون منهم لا يفهمون طبيعة ملكه، فقد يطمعون في جعله ملكاً . **واليوم الثاني :** تدخل السلطة الرومانية في صد تيار هياج الشعب ، مما يؤدي الى سلخ البقية الباقية من السلطة التي كانت بيد اعضاء السنيديريم . هذا مرادهم من القول : «يأتي الرومانيون و يأخذون موضعنا وامتنا» . ولعلمهم قصدوا : «موضعهم» كراسي الحكم التي في اورشليم ، وما فيها من اسباب السلطة : كالهيكل وما اليه ، ويعتقد بنغال : ان

وأمتنا . ٤٩ فقال لهم واحد منهم . وهو قيافا . كان رئيساً للكهنة في تلك السنة .

كلمة «موضع» تعني أرض اليهودية. ولكن الرأي الاول أقرب الى الصواب حسب اعتقادنا . والمراد بكلمة «أمتنا» الشعب اليهودي . فكأنهم كانوا حريصين على اورشليم والهيكل — وهما مكان الحكم والسلطة، وهما أمتهم — وهي الرعية المحكومة بهذه السلطة . اذاً كان خوفهم منصباً على التمتع المادي ، والنفوذ الادبي ، الاجتماعي ، ليس الا . اما الدين . . . وأما الله . . . (مت ٢١: ٣٨) .

عدد ٤٩ و ٥٠ (٢) **اللاهوت المتكهن** : «قال لهم واحد منهم وهو قيافا كان رئيساً للكهنة في تلك السنة» . قضت تقاليد اليهود، بأن يكون رئيس الكهنة، رئيساً لجمع السندريم . ولكن يظهر من القول : «واحد منهم» ، ان قيافا لم يكن رئيساً لهذه الجلسة، وغالباً كان الالتئام غير رسمي^١، لانه كان غير عادي (عدد ٤٧) . والمراد بقوله : «في تلك السنة» ، ان قيافا كان رئيساً للكهنة في السنة الموعودة — كدت اقول المشئومة! لان لتلك السنة مقاماً خاصاً في ذهن البشير، فهي نقطة الارتكاز في التاريخ . وغالباً قال البشير : «في تلك السنة» ، تنوياً بالتقليل الذي كان يهدد وظيفة رئيس الكهنة، في تلك الايام^(١)

فاه قيافا بنصيبته التي املاها عليه القدر الساخر . فلنتأمل في :

(١) جاء في تاريخ يوسفوس : ان الحاكم الروماني فاليرموس جراتوس ، عزل رئيس الكهنة حنان واقام اسماعيل بدلا منه . وبعد فترة وجيزة عزل اسماعيل واقام اليعازار بن حنان عوضاً عنه . وبعد مضي سنة واحدة عزل اليعازار ونصب سمعان مكه . وهذا الاخير لم يظل في وظيفته غير عام واحد ، ثم عين بدلا منه يوسف الملقب قيافا الذي ظل في وظيفته احد عشر عاماً

أنتم لستم تعرفون شيئاً . ٥٠ ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت
إنسان واحد عن الشعب

(أ) نفهمها : كان قيافا من فئة الصدوقيين الذين عرفوا بالخشونة والعجرفة،
فلم تبرحه خشونته وهو يتحدث الى الفريسيين بنغمة العالم المتجبر : « انتم لستم
تعرفون شيئاً ولا تفكرون » (اعمال ٦: ٤ و ١٧: ٥)

(ب) غايته : « خير لنا... » . « كان قيافا رئيساً للكهنة في تلك السنة » ،
فكان اذاً بحكم وظيفته متمكناً بمقاصد الله ، وناطقاً بلسانه ، ومترجماً عن فكره
(خروج ٣٠: ٢٨ وعدد ٢١: ٢٧ و ١ صم ٧: ٣٠) . فمع انه لم يكن نبياً في ذاته،
لان اخلاقه بعيدة كل البعد عن صفات الانبياء ، سيما لانه مُقام في وظيفته
بيد الرومان ، لا بارادة الشعب ، الا انه كان يتقلد الوظيفة الكهنوتية ، وكان
« الاوريم والتميم » — اداة التكهّن بالمستقبل — في قبضة سلطانه . لذلك سخرته
العناية فتفوه : « نبوة » ، وهو لا يدري . فجاءت منه « رمية من غير رام » .
اذاً كان هذا الرجل أحكم من نفسه (٢٧: ٧ و ٣٥)

تفوه قيافا بهذه النصيحة ، مدفوعاً بـ (أ) مبه لذاته : « خير لنا » . (ب)
مبه لشعب وامته : « يموت انسان واحد عن الشعب ولا تهلك الامة » .
(ج) عدم تقديره لشخص المسيح : « ان يموت انسان واحد » — كما لو كان
هذا الانسان ، كأني انسان آخر من البشر — فلا مانع من ان يسفك دم هذا
الانسان الواحد ، فدية عن امة بأسرها . (د) عدم تقديره لمعنى الصلابة
كان هذا قصد قيافا ، وقد فاته « ان الساكن في السماء يضحك ،

ولا تهلك الامة كلها . ٥١ ولم يقل هذا من نفسه بل اذ كان رئيساً
للكهنة في تلك السنة تنبأ ان يسوع

ويستهزئ به» (مز ٢: ٤) فسخر القدر رئيس الكهنة الزائف وصيِّره احكم مما
هو ، فلفظت شفاته كلمات تتفق في ظاهرها مع قصد الله ، مع انها تختلف عنه
كل الاختلاف في الباعث عليها ، وفي مبررها ، وفي نتيجةها

عدد ٥١ و ٥٢ . كلمة تفسيرية : « ولم يقل هذا من نفسه . . » . ان وجه
الحق في كلمات قيافا ، هو ان موت المسيح فدائي . من اجل ذلك ، تبرع يوحنا
البشير لهذه الكلمات بلقب « نبوة » مع انها لا تحمل من علامات النبوة الا
صورتها . ويعتقد بعضهم ، ان البشير قال هذا تهكماً . كأنه والقدر يسخران بقيافا
ان الذي دفع قيافا الى النطق بهذه الكلمات ، باعث شيطاني ، سداه
حب الذات ولحمته الحرص على المصلحة المادية . ولكن الباعث لله على صلب
المسيح ، هو حب التضحية لاجل الآخرين . اما جوهر نصيحة قيافا فيتم عن
ظلم فاحش ، لانها ترمي الى موت البار عن الائمة قسراً واعتباطاً ، مع ان
جوهر القداء الالهي هو موت البار عن الائمة ، تقديساً للعدالة ، وتنزيهاً لقداسة
الاله البار الذي قال « ان اجرة الخطية هي موت »

كان يعتقد قيافا ان موت المسيح ، خير وسيلة لحفظ كيان الشعب
اليهودي ، مادياً ، واجتماعياً . لكن موت المسيح ، كان في تدبير الله ، الممول
الذي هدم كيان الشعب اليهودي . فبسببه تقض الهيكل الذي كان رمز
آمالهم ، وحامل لواء مجدهم . وبسببه تشتت الشعب اليهودي وتفرقوا ايدي

مز مع ان يموت عن الامة ٥٢ وليس عن الامة فقط بل ليجمع
أبناء الله المتفرقين الى واحد . ٥٣ فمن ذلك اليوم

سبا ، حتى لقد قيل : لا يوجد اقوى من اليهود افراداً ، واضعف منهم جماعة
وشعباً . وبسببه طارت ملائكة المجد من موضع «الشكينا» في الهيكل وكتب
عليه : «ايخابود» — «زال المجد» . وبسببه انشق حجاب الهيكل ، وصار
دم المسيح — حسب طلبهم — «عليهم وعلى اولادهم الى الابد»

على ان موت المسيح ، وان كان قد وضع جرة نار حامية ، على رؤوس
اليهود ، بخلاف رأي قيافا ، الا انه كان برداً وسلاماً على أبناء الله المؤمنين
في كل العالم : «ليجمع أبناء الله المتفرقين» — في شتات اليونانيين وسائر
الامم — «الى واحد» — اي الى جسد واحد رأسه المسيح

اذا اردنا ان نعرف من هو النبي الحقيقي ، فهو يوحنا لا قيافا . ذلك لان
يوحنا رفع عينيه الشبيهتين بعيني النسر ، وتطلع الى المستقبل البعيد ، فرأى
«الخراف التي ليست من هذه الحظيرة» — من الذين لم يكونوا بعد
مؤمنين بالمسيح ، لكنهم مع ذلك كانوا أبناء الله بحق امتلاكهم اياهم ، وباعتبار
ما سيصرون اليه ، ويتن لنا ان المسيح مات ليجمع هؤلاء المتفرقين في أطراف
الارض ، الى حظيرة واحدة ، بل الى جسد واحد رأسه المسيح

عدد ٥٣ . ايوثر الذي تركه مشورة قيافا : «فمن ذلك الوقت تشاوروا
ليقتلوه» . يستدل من قوله : «فمن ذلك الوقت» ، ان مشورة قيافا صادفت
هوى في افئدتهم ، فصارت نواة لمؤامرات عديدة دبروها في الخفاء ضد

تساوروا ليقتلوه. ٥٤ فلم يكن يسوع أيضاً يعيش بين اليهود علانية بل مضى من هناك الى الكورة القريبة من البرية الى مدينة يقال لها أفرام ومكت هناك مع تلاميذه. ٥٥ وكان فصيح اليهود قريباً. فصعد كثيرون من الكور الى اورشليم قبل الفصح

القادي. فكان قيامة لعازر كانت تحريضاً لليهود على قتل المسيح. وكمن خير يعمل في هذه الحياة، فينتج شراً، الى حين. وانما الغلبة النهائية للخير
فترة هارئة (١١: ٥٤-٥٧)

عدد ٥٤. عزه المسيح وتلاميذه في أفرام: «فلم يكن يسوع أيضاً يعيش بين اليهود علانية» — لا خوفاً ولا تخوفاً — لكن لانه لم يرد ان يستقدم ساعة صليبه. فلم يشأ ان يتعرض لخطر كان في غنى عنها — «بل مضى من هناك الى الكورة القريبة من البرية الى مدينة يقال لها أفرام ومكت هناك مع تلاميذه». ان موقع مدينة أفرام، شمالي غربي أريحا. وتبعد عن اورشليم نحو ٢٤ كيلومتراً الى الشمال الشرقي. وفي أيامنا تقوم في موضعها «قرية الطيبة» (انظر ٢ اي ١٣: ١٩)

التجأ المسيح مع تلاميذه الى هذا المكان الهادي، وما من شك في ان افكاره كانت مشغولة بالصليب. ولا يبعد انه في ذلك الحين، أسرّ لتلاميذه الشئ الكثير عن آلامه، وزودهم لتلك المعركة الفاصلة التي كانت تنتظره وإياهم
عدد ٥٥ و ٥٦. مناجاة المعبرين من بهرته: «وكان فصيح اليهود قريباً. فصعد كثيرون من الكور» — اي من الريف — الى اورشليم قبل الفصح

ليطهروا أنفسهم . ٥٦ فكانوا يطلبون يسوع ويقولون فيما بينهم وهم واقفون في الهيكل ماذا تظنون . هل هو لا يأتي الى العيد . ٥٧ وكان أيضاً رؤساء الكهنة والفريسيون قد أصدرُوا امراً أنه ان عرف أحد أن هو فليدل عليه لكي يمسكوه

ليطهروا انفسهم» (تك ٢: ٣٥ وخروج ١٩: ١٠ و ١١ و ٢ أي ١٦: ٣٠ - ٢٠ واعمال ٢٤: ٢١) . وقد جاء في التلمود : « ينبغي لكل شخص ان يتطهر قبل العيد » . حالما وصل هؤلاء المعيدون الى اورشليم ، توجهوا الى الهيكل ، وهناك بدأوا يتساءلون عن امكانية مجيئ المسيح الى العيد . ولا يهمنا من تساؤلهم هذا ، الا كونهم ذكروا المسيح في الهيكل . هذه شهادة ضمنية على ان من اراد المسيح فليطله في « هيكل قدسه » . ان تساؤلهم هذا لا ينم عن حب ولا عن عدا

عدد ٥٧ . الزئاب المنقطعة لدم البار : « وكان أيضاً رؤساء الكهنة والفريسيون قد أصدرُوا امراً أنه ان عرف احد ان هو ، فليدل عليه لكي يمسكوه » - هذه حلقة جديدة تُضم الى سلسلة مؤامراتهم على قدوس الله ، وقد حرص يوحنا البشير على ان يستعرض امامنا سلسلة مؤامراتهم في حلقات متتابعة متدرجة (انظر ١٦: ٥ و ١٨ و ٣٢: ٧ و ٢٢: ٩ و ١١: ٥٣)

ان رؤساء الكهنة هم ارباب السلطة التنفيذية . والفريسيون هم اصحاب الفكر المدبر . (٤٥: ٧)

الاصحاح الثاني عشر

الربام الاغبرة في خدمة المسيح على الارض

ها قد بلغنا الآن نقطة انتقال مهمة في خدمة المسيح على الارض . في الاصحاحات السابقة ، رأينا المسيح في خدمته الجهرية . وفي الاصحاحات اللاحقة ، سنراه على اكتاف هضبة الآلام والتضحية . وفي الاصحاح الذي أمامنا ، نشهد ثلاث حوادث ، هي أشبه الاشياء ببوغاز يوصل بين خدمته في الدائرة المتسعة — بحياته وكلامه ، وبين خدمته لخاصته — بعلناته وآلامه ، وقيامته

اننا مدينون ليوحنا البشير بترتيب حوادث أسبوع الآلام . فهو يرجع بنا ستة ايام قبل عيد الفصح اليهودي ، ويستهلها بالولية التي صنعت تكريماً للمسيح الذي كسر أبواب الهاوية . واحتفاء بليعازر الذي عاد الى العالم الحاضر ، بعد مرحلة قصيرة في عالم الأبد

في هذا الاصحاح حدثنا البشير عن : أولاً : الولية التكرمية في بيت عنيا (١٢ : ١ - ١١) . ثانياً : دخول المسيح اورشليم ظافراً (١٢ : ١٢ - ١٩) . ثالثاً : انبال البرنانيين الى المسيح (١٢ : ٢٠ - ٣٦) . وبعد هذه الحوادث الثلاث ، ينتتم الاصحاح بلمحة عن تأثير خدمة المسيح على اليهود (١٢ : ٣٧ - ٥٠)

أولاً : الولية التكرمية (١٢ : ١ - ١١) . (انظر مت ٦ : ٢٦ ومر ٣ : ١٤) في هذه الولية ، تجلت عواطف اصدقاء المسيح في اسمى مظاهرها — بمثابة في اصحاب الولية . وفي الوقت نفسه ثارت عواصف الداء المسيح في ابدع

١ ثم قبل الفصح بستة ايام اتى يسوع الى بيت عنيا حيث كان لعازر الميت الذي اقامه من الاموات .

صورها — ممثلة في يهوذا الاسخريوطي . ومن المحزن جداً ، ان يكون في صفوف المقرئين ، رجل برهنت الايام على انه كان مندوب المعادين ا

عدد ١ . (١) ميعاد الولاية : « ثم قبل الفصح بستة ايام » . يقع الفصح اليهودي في اليوم الرابع عشر من نيسان (مارس — ابريل) . اذاً قد اقيمت هذه الولاية في اليوم الثامن منه . وبما ان الفصح ، وافق يوم سبت في تلك السنة، طبق التقويم المعتمد، فتكون هذه الولاية قد صنعت بعد غروب السبت « ستة ايام » — تقابلها ستة ايام التكوين التي فيها خالق الله العالم . ان ستة ايام الآلام ، أهم في نظرنا من ستة ايام الخلق ، لاننا بآلام المسيح ، « ولدنا ثانية لرجاء حي » ، بل « خلقنا خليفة جديدة . لولاها لكأنت خليقتنا الاولى ويلاً علينا ووبالاً . هذه احدى النقط التي يلتقي فيها يوحنا بموسى ، ثم يسمو فوقه محققاً بجناحي النسر . « ستة ايام » — بأسبوع مقدس يستهل يوحنا بشارته (١ : ٢٩ و ٣٥ و ٤٣ و ١ : ٢) ، وبأسبوع أكثر منه قدسية يختتم بشارته (ب) مطاه الولاية : « أتى يسوع الى بيت عنيا » . خرجنا من الاصحاح الماضي ، مردعين المسيح في افرايم ، وهانحن نراه الآن ، وقد ترك افرايم الى وادي الاردن ، وقبل أريحا انضم الى المعبد ، الصاعدين الى اورشليم « حيث كان لعازر الميت الذي اقامه يسوع من الاموات » — بهذه الكلمات يمهّد البشير للمناسبة المفرحة التي بسببها أُقيمت هذه الولاية

٢ فصنعوا له هناك عشاء وكانت مرثا تخدم واما لعازر فكان احد المتكئين معه . ٣ فأخذت مريم مناً من طيب ناردین خالص كثير

عدد ٢ . (ب) الوليمة : « فصنعوا له هناك عشاء » — اننا لا ندري بالتحقيق من هم الذين صنعوا العشاء . وفي الغالب هم آل لعازر . ويظن وستكون انهم اهل القرية ، وقد صنعوا العشاء تكريماً للمسيح

(ج) نصيب مرثا في الوليمة : « وكانت مرثا تخدم » . لقد ظلت مرثا حريصة على « نصيبها » الذي حدثنا عنه لوقا : « في خدمة كثيرة » (لو ١٠: ٤٠) . وفي اعتقادنا انها بعد قيامة أخيها ، كانت تخدم مجردة عن روح التذمر ، والشكوى ، لأن الآلام قد صقلتها ، والايمان القويم قد قوتها

(د) نصيب لعازر من الوليمة : « واما لعازر فكان احد المتكئين معه » . يُستنتج من وجود لعازر بين المتكئين ، ومما جاء في متى ٢٦: ٦ ، ومرقس ١٤: ٤ ، ان صاحب الوليمة هو سمعان الابرس وليس لعازر

عدد ٣ . (هـ) نصيب مريم في الوليمة : « أما مريم فكانت ، كما عهدناها ، ملازمة للمكان الذي اختارته نصيباً لها — الجالوس عند قدمي المسيح . في بشارة لوقا (لو ١٠: ٣٩) ، رأينا مريم جالسة عند قدمي المسيح ، مستمعة . وفي يو ١١: ٣٢ وجدناها ساجدة عند قدمي القادي ، باكية متألماً . وهنا تراها عند قدمي المخلص مقدّمة أثمن وازكى ما عندها

بهذه الكلمات ، يصف يوحنا تقدمة مريم : « مناً من طيب ناردین خالص كثير الثمن » . « المنا » — او المنّ — كما جاء في التلمود — هو اللتر .

الثلث ودهنت قدمي يسوع ومسحت قدميه بشعرها . فامتلاً البيت من رائحة الطيب . ٤ فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا

و «الناردين» هو نوع من الطيب الزكي الصافي . وقد ذكر بين أطياب عروس سليمان (نشيد ١: ١٢ و ٤: ١٣ و ١٤) وهو يُستخرج من ساق نبات من فصيلة حشيشة الهر، المعروفة في اللاتينية باسم (Nardostachys Jatamansi) ويتبين من كلام يهوذا (عدد ٥) ، ان ثمن الناردين الذي دهنت به مريم قدمي يسوع ، كان ثلثمائة دينار — والدينار يساوي اربعة غروش مصرية . فيكون ثمنه نحو اثني عشر جنيهاً مصرياً — أي نحو اربعة اضعاف الثلاثين من الفضة التي اخذها يهوذا ثمناً للمسيح . فتأمل كم اعطت مريم وكم أخذ يهوذا !! ولكي تعبّر مريم عن كمال تكريسها للقادي القدوس، لم تكتف بتقديم ما عندها، بل مسحت قدمي يسوع بشعرها وهذا أقصى غاية التكريس (انظر مز ٢٣: ٥) . «فامتلاً البيت من رائحة الطيب» — هذه العبارة الاخيرة، من التفاصيل الدقيقة ، التي لا يقوى على الالمام بها ، الا من كان شاهد عيان يقول متى ومرقس ، ان الطيب سُكب على رأس المسيح . وفي هذا لا يختلفان عن يوحنا الذي قال أن قدمي المسيح قد دُهنتا بالطيب . لان مريم بعد ان سكبت الطيب على رأس المسيح كالعادة، دهنت أيضاً قدميه (لو ٧: ٤٤) عدد ٤ و ٥ . نصيب يهوذا في الوليمة — «فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا». بهذه الكلمة المرة اللاذعة ، يعرفنا البشير يهوذا . هذه خير نعمة لمن يحفظها، وشرّ نعمة لمن لا يقدرها . ما كانت نوراً لغير يهوذا ، صار له ناراً :

سمعان الاسخريوطي المزمع ان يسلمه • لماذا لم يبع هذا الطيب

«واحد من تلاميذه». وعلى قدر الصعود يكون الهبوط (٧١: ٦ و ١٣: ٢ و ٢٦) «المزمع ان يسلمه» — يُستفاد من هذه العبارة ، ان نية الخيانة كانت متوفرة في قلب يهوذا . فلقد بيّنها بين ضلوعه ، وغذاها ، ورباها ، حتى كملت ، ونضجت ، فاثمرت هلاكاً لنفسه ، وخلاصاً للعالمين !

«لماذا لم يُبع هذا الطيب...؟» غريب أمرك يا يهوذا! كان يكفيك منك ان تكون بغير ثمار حسنة ، فتقف تجاه من يثرون طيب الثمار ، وثمار الطيب ، موقف المحايد ، على الاقل ، اذا عزّ عليك ان تقف منهم موقف المشجع . ولكن أنى للقلب الذي يبتّ الشرف فيه ، ان يكفّ عن ان ينضح بما فيه؟ ألم يقل القادي : « من فضلة القلب يتكلم اللسان » ؟ وهكذا برهن يهوذا ، من غير قصد منه ، على انه من المستحيل على اي انسان ان يكون بغير ثمر ، فان لم يثمر ريحاناً وورداً ، أثمر شوكةً وقتاداً

« لماذا لم يُبع هذا الطيب بثلاثة دنانير ويُعطى للفقراء » ؟ — تحت ستار الشفقة على الفقراء ، اراد يهوذا ان يطعن مريم طعنةً نجلاء ، فطعن نفسه ، وهو لا يدري . ان شرّ انواع الشرّ ، هو ما كان ظاهره خيراً

« لماذا لم يُبع هذا الطيب...؟ » بمثل هذه الكلمات ، نطق قوم آخرون (مت ٨: ٢٦ و مر ٤: ١٤) لكنهم يختلفون عن يهوذا في ان ما قالوه كان تعبيراً عن طيف خطر لباهم ثم ذهب ، واما يهوذا فقد كان معبراً عن نية بيّنها في نفسه ، ليظهرها متى جاء اوانها . ان في كلمة يهوذا تعريضاً بالمسيح

بثلثة دينار ويعطى للفقراء. ٦ قال هذا ليس لانه كان يبالي بالفقراء بل لانه كان سارقاً وكان الصندوق عنده

من طرف خفي ، كما لو كان مقدماً مصلحة الفقراء على مذبح منفعة الشخصية ، وقد فات يهوذا ان امر الفقراء لم يكن منسياً من المسيح (٢٩: ١٣) ، وان الفادي انما جاء لاجل الفقراء ، فولد فقيراً ، وعاش فقيراً ، ومات في زمرة الفقراء ، وانه لاجل الفقراء افتقر وهو غني . الا ينجل يهوذا ، من مريم ، وقد قدمت للمسيح طيباً ، يعادل اربعة اضعاف الثمن الذي به باع هو سيده

عدد ٦ . محنة تفسيرية معترضة : « قال هذا ليس لانه كان يبالي بالفقراء » . الكلمة الاصلية المترجمة « يحمل » ، قد تترجم حرفياً الى : « يحمل بعيداً » او « يقصي وينهب » ما أقسى هذا الوصف الذي خلعه البشير على يهوذا : « لصاً » . ولكن ما عيب المصور اذا كان الوجه المصور قبيحاً ؟

قد تساءل بعضهم قائلاً : « لماذا رضي المسيح بتسليم الصندوق ليهوذا وهو عالم انه سيكون تجربة له » ؟ وعلى قدر ما عندنا من النور نجيب بان المسيح رضي بان يتسلم يهوذا الصندوق ، ربما لانه كان اكثر التلاميذ كفاءة في الامور المالية . على ان نقطة القوة في الانسان ، قد تستحيل يوماً ما الى نقطة ضعف اذا انقلب من التجربة التي تعرض له من ناحيتها ، كما انها قد تصبح فيه مصدر قوة وبركة ، اذا استفاد من عوامل الخير والصالح التي تعرض له من ناحيتها . وبما ان هذين الطريقين كانا امام يهوذا ، بل كانت العوامل المحيطة به مما يساعد ، ويرفع ، ويشجع ، اذ كان محاطاً باحسن بيئة في

وكان يحمل ما يلقي فيه . ٧ فقال يسوع اتركوها .

الوجود—أعني بها المسيح نفسه ، لكن يهوذا، اختار الظلام وهو في حضرة النور . ويقول وايس ، ان المسيح سلم الصندوق ليهوذا لانه رأى فيه كفاءة لإدارة الشؤون المالية، وفيما بعد ، لم يُرد ان يتدخل في أمر له مكانته في تنفيذ برنامج الفداء . وهذا ما تميل الى الأخذ به

ويظن جودي ان المسيح لم يتدخل في تعيين يهوذا «امينا» للصندوق، بل ان هذا التعيين تم بين التلاميذ وبين يهوذا ، الذي اظهر غالباً ميلاً شديداً الى هذه الوظيفة فاسلمه المسيح الى «اهواء الهوان» (رومية ١: ٢٦) .

عدد ٧ . المسيح يتنى على مريم : «فقال يسوع . . .» في هذه الكلمات اثني المسيح على مريم وطيبها ، ثناء مستطاباً وفي ثنائه عليها ، قدّم : —

- (١) دفاعاً: «اتركوها» — لا تزعموها بانتقاداتكم وتأنيباتكم (مر ١٤: ٥)
- (ب) نصيحة: «انها ليوم تكفيني قد حفظته» . ان المسيح بلطفه قد اعطى لعمل مريم قيمةً أسمى مما قصدت هي ، مثلاً أعطى البشير كلمات قيافا معنى ابعد مما كان يرمي هو اليه (٥١: ١١) . كان وجه انتقاد يهوذا لعملها انه ذهب ضياعاً من غير فائدة ، فأظهر القادي ان لعمل مريم قيمة أعظم مما يحل به يهوذا أو سائر الموجودين الذين ظنوا ان في عملها اتلافاً (مر ١٤: ٤) . لقد رأت عين المسيح الطاهرة، في ما عملته مريم، امراً سابقاً لأوانه، وفي الوقت نفسه في اوانه الحقيقي . لانه علم ببصره الثاقب انه بعد موته ودفنه سيرفع بجسده الى السماء ومتى جاء اوان وضع الطيب على جسده ، يكون هذا

انها ليوم تكفيني

الجسد قد رُفِع من القبر (مر ١٦: ١) اذاً الاوان الحقيقي لوضع الطيب على جسده هو تلك الآونة التي قامت فيها مريم بعملها المبرور. كأنها ببصيرة المحبة تخطت الزمن وسابقتها فسبقته : « قد سبقت ودهنت بالطيب جسدي للتكفين » (مر ١٤: ٨). هم يقولون : « لماذا هذا الاتلاف ؟ » والمسيح يقول : « انها قد حفظته ». ان خير وسيلة بها نحفظ ما انا هي سكبته عند قدمي المسيح . لان دهن قدمي المسيح هو اول خطوة في تكفينه

هذا تقدير المسيح لعملها. اما هي فقد ارادت تكريم جسد المسيح الحي . في هذا يظهر تفوقها على نيقوديموس الذي جبن عن ان يتبع المسيح الحي ، فقدّم اطيباً لجسده في القبر . إن كأس ماء بارد تقدمها لانسان في حياته خير من الف زهرة تنثرها على قبره ميتاً. وان كلمات طيبة نقولها لصديق في حياته، خير من وابل الدموع نسكبها على تربته. فلا تؤجل عمل اليوم الى الغد

اما قوله : « قد حفظته » ففاده ان مريم حرصت على هذا الطيب ، ولم تبعه او تتصرف فيه ، لانها كرّسته لتكفينه . ويميل وستكوت الى الاعتقاد بان المسيح نطق بهذه الكلمات ، والمستقبل ماثل امامه كالحاضر ، فتكلم عن التكفين كما لو كان ماثلاً امامه في ساعة دهن قدميه بالطيب . فرأى في دهن قدميه ، درجة ابتدائية في تكفين جسده . هذه هي الفرصة الوحيدة التي فيها كان يمكن لمريم ان تشترك ، في تكفينه (انظر ١٩: ٤٠ ومر ١٦: ١) هذا هو ثناء المسيح على مريم . ولكن الا نلاحظ فيه تقريباً خفياً ،

قد حفظته . ٨ لان الفقراء معكم في كل حين . واما انا فلست

وخفيفاً ليهوذا؟ وهل في الامكان ان تذكر تكفين المسيح ، من غير ان تذكر
الصور الذي لعبه فيه يهوذا الخائن؟ ان مريم باماتها وولاتها رفضت ان تبيع
طيباً زكياً ، وكرسته لتكفين الجسد المقدس ، الذي في سبيله كسب يهوذا
ثلاثين من الفضة ليسلمه الى الموت . ان عمل مريم قد ظهر مقابل عمل يهوذا .
فلا يوازي نور اولها الا ظلام ثانيهما . وبضدتها تتبين الاشياء

عدد ٨ . (ج) تعليل مريم : « لان الفقراء معكم في كل حين واما انا
فلست معكم » — بالجسد الذي يلزمه التكفين — « في كل حين » . واما
بالروح ، فالمسيح « معنا كل الايام والى اقضاء الدهر » (مت ٢٨: ٢٠) . فام
المسيح بهذا القول وهو يعني جسده الذي سيُبعث الى السماء ، في الوقت
تقضي فيه عادة اليهود بدهنه بالحنوط (مر ١٦: ١) . ولا يفوتنا ان تذكر ان
مريم هذه لم تكن بين النساء اللواتي قصدن القبر لهذا الغرض

لم يقصد المسيح بقوله هذا ، ان يزاحم الفقراء ، وهو الذي قد علمنا أن
شخصه قد يكون ممثلاً في الفقراء ، وان كل معروف يُصنع مع الصغار ، انما
هو مصنوع معه هو بالذات (مت ٢٥: ٤٠) ، بل اراد ان يفهم يهوذا والعالم
اجمع ، ان كل غال رخيص متى قُدِّم لمن قدم ذاته لاجلنا ، فلم يحسب نفسه
عزيزة حتى الموت . واما ما قاله عن الفقراء ، فهو ترديد لما جاء في تث ١٥: ١١
ان امثال يهوذا كثيرون في عصرنا الحاضر ، ممن يعتبرون الاتفاق على
التبشير باسم المسيح ، اتلافاً . ويفضلون عليه ما يسمونه بالمشروعات الاجتماعية .

معكم في كل حين . ٩ فلم جمع كثير من اليهود انه هناك فجاءوا
ليس لاجل يسوع فقط بل لينظروا ايضاً لعازر الذي اقامه من
الاموات . ١٠ فتشاور رؤساء الكهنة ليقتلوا لعازر ايضاً .

وقد فاتهم ان كل مشروع اجتماعي لا يقوم على اسم المسيح ، محكومٌ عليه
من ذاته بالفشل المحقق ، وان التبشير باسم القادي فيه اكبر ضمان للعناية
بالفقراء . فلاجي* الايتام والعجزة ، ومستوصفات الفقراء والفقيرات ، المقامة
في ظلال الصليب ، ارفع عماداً ، وانبل قصداً ، واشرف غاية من كل مشروع
خيرى يقام في برية المجتمع المجذبة القاحلة

عدد ٩-١١ . (د) عاقبة الرليمة : «فلم جمع .. فجاءوا .. لينظروا ..
فتشاور رؤساء الكهنة ليقتلوا لعازر ايضاً.» ان بعضاً من الحجاج الذين صعدوا
مع المسيح من اريحا الى اورشليم ، نشروا بين معارفهم خبر وجوده على مقربة
من اورشليم - في بيت عنيا ، ولما كان المسيح موضوع حديث القوم (١١ :
٥٥ و ٥٦) ، لم يتمالكوا انفسهم من الذهاب الى بيت عنيا ، ليروه ، ولينظروا
ايضاً لعازر الذي اقامه من الاموات . هؤلاء هم عامة الشعب . اما رؤساء الكهنة
الذين ملأ الحسد والغل* قلوبهم ، فتشاوروا ليقتلوا لعازر ايضاً مثلما تشاوروا
ليقتلوا يسوع من قبل (١١ : ٥٠) . لانهم رأوا في لعازر شهادة حية بان يسوع هو
المسيح ، وقد غاب عنهم ان نور الشمس لا تحجبه الاكف* . وان الحق حق
ولو مات بعض شهوده ، فالحق اعظم شاهد لنفسه ، وفعلاً قد كان ما خافوا
ان يكون ، فان تيار الشعب قد بدأ يتحول الى شخص المسيح ، نتيجة

١١ لان كثيرين من اليهود كانوا بسببه يذهبون ويؤمنون يسوع

١٢ وفي الغد

الشهادة الحية التي قدمتها قيامة لعازر من الاموات. ومما اخجل كبرياء رؤساء الكهنة ، ان شعب اورشليم ، الذي كانوا يعتمدون عليه ، في صدّ تيار شعب الجليل ، قد صار من اتباع هذا المسيح

كل هذا يُعتبر مقدمة اعدادية لدخول المسيح ظافراً الى اورشليم. فساعته التي ارادت امه ان تستقدمها (٤: ٢) ، والتي طلبها اخوته في وقتهم ولم تكن قد جاءت بعد (٤: ٧) ، قد دقت الآن

ثانياً : دخول المسيح اورشليم ظافراً (١٢: ١٢ - ١٩)

انظر شرح بشارة لوقا للمؤلف (صفحة ٤٩٠ - ٤٩٧)

اهتمّ الاربعة البشIRON بذكر هذه الحادثة التاريخية ، لأنهم رأوا فيها اقراراً من الشعب ، ومصادقة من المسيح نفسه ، على أنه هو «مسيا» المنتظر ، ملك اليهود . وقد كتب عنها البشIRON ، كلٌ بحسب وجهة نظره . فأتجه نظر متى بنوع خاص الى هتاف الاولاد في الهيكل ، والى مجيئ العمي والعرج الى المسيح لكي يستشفوا (مت ٢١: ١٤ و ١٥) . والتفت مرقس الى تسجيل نظرات المسيح «الى كل شي حوله في الهيكل» (مر ١١: ١١) . وعُني لوقا بحفظ دموع المسيح على قرطاسه (لو ١٩: ٤١) . واراننا يوحنا ذلك الجمع الحافل الذي خرج من اورشليم للقاء المسيح ، وهم يحملون سعف النخل (يو ١٢: ١٣ و ١٢) سبق المسيح فكبح جماع الذين أرادوا ، في مناسبات سابقة ، أن يجعلوه

سمع الجمع الكثير الذي جاء الى العيد ان يسوع آت الى اورشليم .
١٣ فأخذوا سعف النخل وخرجوا للقاءه وكانوا يصرخون أوصنا

ملكاً (١٦: ٦ ولوقا ٢٥: ١٤ - ٣٣ و ١١: ١٩) . لان ساعته لم تكن قد
جاءت بعد . فهو لا يقبل تاجاً منفصلاً عن الصليب

عدد ١٢ و ١٣ . (١) الجمع يحتفى بالمسيح — « وفي الغد » — اي في غد
يوم الولاية ، وحسب التقويم المسلم به ، وقع هذا اليوم في صباح الأحد ١٠
نيسان — « سمع الجمع الكثير الذي جاء الى العيد » — وُجِّلَه ، ان لم يكن
كله من الجليليين . يمتاز هذا الجمع الجليلي ، عن ذاك الجمع اليهودي المذكور
في عد ٩ ، بالاخلاص والولاء للقادي . « ان يسوع آت الى العيد » — غالباً
اتصل بهم هذا الخبر من المعبدن القادمين من بيت عنيا (انظر متى ١: ٢١)
لما علم هذا الجمع الجليلي ان يسوع آت الى اورشليم ، احتفوا بقدمه
الميمون ، وعبروا عن احتفائهم هذا ، بوسيلتين — اولاهما رمزية : « فأخذوا
سعف النخل » — المنزرع على الطريق — « وخرجوا للقاءه » . وبما ان
سعف النخل دائم الاخضرار والازدهار ، فهو رمز الى النصر ، والفرح ،
والجمال ، والخلاص (لاويين ٤٠: ٢٣ ورؤيا ٩: ٧) . والوسيلة الثانية تعبيرية :
« وكانوا يصرخون اوصنا » — هذه كلمة ارامية اصلها « هوشعنا » — اي
خلصنا . ومنها تسمى هذا اليوم بـ « أحد الشعانين » . « مبارك الآتي باسم
الرب ملك اسرائيل » . ان هذا القول مقتبس من مزمور ٢٥: ١١٨ . ويعتقد
فريق من المفسرين ان هذا المزمور تلي لأول مرة في حفلة تدشين الهيكل الثاني .

مبارك الآتي باسم الرب ملك اسرائيل. ١٤ ووجد يسوع جحشاً
 فجلس عليه كما هو مكتوب ١٥ لا تخافي يا ابنة صهيون . هوذا

ويقول فريق آخر ان الجماعة انشدته يوم وضع الحجر الاساسي للهيكل . ويظن
 فريق ثالث انه أنشئ خصباً ليرتل يوم عيد المظال . فاذا صدق ظن هذا
 الفريق الثالث ، كان لسعف النخل معنى ممتاز في هذه المناسبة ، لان له مقاماً
 خاصاً عند اليهود في عيد رأس السنة ، وفي اعيادهم القمرية . « الآتي باسم
 الرب . . » — ان في هتافهم هذا ، اقراراً منهم : (ا) مصدر رسالته : « الآتي
 باسم الرب » . (ب) مقام الملكي : « ملك اسرائيل » فهو مسيا المنتظر

عدد ١٤ و ١٥ . (٢) نبوة قديمة تمت : « ووجد يسوع جحشاً فجلس
 عليه » . هذا تسليم من المسيح بانه هو مسيا المنتظر ، ملك اليهود . نعم هو
 ملك ، ولكن على طراز جديد . فهو الوديع المتواضع القلب ، ورب
 السلام ، لذلك امتطى الأتان — لا العربات المظلمة تجرها الفخر الجياد

« كما هو مكتوب » — لم يكن اتمام المكتوب باعثاً للمسيح على اقدامه
 على هذا الأمر ، وانما أقدم عليه اجابةً لنداء « الساعة » ، فتمت بعمله هذا ،
 احدى النبوات الرئيسية التي اشارت منذ القديم الى « مسيا » (زكريا ٩: ٩)
 ان اتمام هذه النبوة للمتازة في هذا الظرف الخاص ، يلقي نوراً ساطعاً
 على : (ا) حقيقة ملك المسيح . فهو ملك حقيقي ، لا بشهادة الجماهير المتحمسة
 التي قد تخطى محموله وراء ثورة عواطفها ، بل بشهادة نبي من خيرة الانبياء

ملكك يأتي جالساً على جحش اثنان . ١٦ وهذه الامور لم يفهمها تلاميذه اولاً . ولكن لما تمجد يسوع حينئذ تذكروا ان هذه كانت مكتوبة عنه وانهم صنعوا هذه له .

الاقدمين — زكريّا . (ب) طبيعة ملكوت المسيح — فان ملكه مطبوع بطابع السلام . (ج) مبزة ملك المسيح — فهو ملك وديع ومتواضع القلب

عدد ١٦ . كلمة توضيحية : « وهذه الامور لم يفهمها تلاميذه اولاً . ولكن لما تمجد حينئذ تذكروا . » . لا شك في ان هذه الذكرى ، كان يمتزج فيها الفرح ، والحزن ، والتعجب . اما الفرح ، فبالاعلانات الجديدة التي كشفت لهم . واما الحزن ، فعلى قصورهم — حتى هم — في الادراك . واما التعجب ، فمن حكمة العناية الالهية التي اتاحت لهم ان يكرموا سيدهم ، وهم لا يدرون ان النور الذي كشف هذه الحقيقة للتلاميذ ، لم يكن قاصراً على نور التاريخ الذي يريه المستقبل على الحاضر والماضي ، وانما هو نور الروح القدس الذي استقر في قلوب التلاميذ بعد صعود المسيح وارساله الروح القدس كانت لهذه الحقيقة مكانة خاصة في قلب يوحنا البشير ، لذلك كرر كلمة : « هذه » ثلاث مرات في هذا العدد الواحد ، مشيراً بها الى المعنى الخفي الذي كان كامناً في هذا الحادث التاريخي . ولم ينسَ يوحنا انه كان واحداً منهم ان ضمير الجماعة في قوله : « وانهم صنعوا هذه له » ، يعود على التلاميذ . وخير تفسير لهذه العبارة ، ما جاء في لوقا ١٩: ٢٩ — ٣٦ . هذا دليل جديد على اتفاق البشيرين ، وعلى ان يوحنا اغفل عمداً بعض ما كتبه سائر البشيرين

١٧ وكان الجمع الذي معه يشهد انه دعا لعازر من القبر واقامه من الاموات
١٨ لهذا ايضا لاقاه الجمع لانهم سمعوا انه كان قد صنع هذه الآية .

عدد ١٧-١٩ . (٣) تأثير هذا الحادث الجلل . «وكان الجمع . . يشهد . .
.. فقال الفريسيون» . لم يقصد يوحنا ان يرسم صورة تاريخية كاملة لدخول
المسيح ظافراً الى اورشليم ، وانما اراد ان يبين (١) الصلة المزدوجة التي بين
هذا الحادث وبين قيامة لعازر (ب) التأثير الذي تركه هذا الحادث

عدد ١٧ و ١٨ . (١) الصلة المزدوجة التي بين هذا الحادث وبين قيامة
لعازر . ان «الجمع» المذكور في عدد ١٧ ، يتألف غالباً من الذين كانوا مع المسيح
حين اقام لعازر . وهم خليط من اليهود المذكورين في ١٢: ٩ و ١١ ، ومن
اولئك المذكورين في ١١: ٤٩ ، ومن بعض مستوطني بيت عنيا . ان شهادة
هذا الجمع ، شهادة عيانة يقينية ، لم تقتصر على ذكر المعجزة بكلمة مجملة ، بل
وصفتها في درجتين متتابعتين — «دعا لعازر من القبر» و «اقامه من الاموات»
من هذا يتضح لنا ان قيامة لعازر من الاموات ، كانت موضوع شهادة الجمع
الذي كان مع المسيح حين اقام لعازر ، وظل في معيته حتى دخوله اورشليم

على ان لمعجزة قيامة لعازر ، صلة اخرى بهذا الحادث التاريخي . فهي
ايضاً علة خروج الجمع من اورشليم لاستقبال المسيح عند دخوله اليها . وكان
هذا الجمع ، قد جاء الى اورشليم ليعيد (عدد ١٢) . وكانت قد اتصلت به
اخبار هذه المعجزة من الحجاج الذين مروا ببيت عنيا في طريقهم الى اورشليم .
فاذاً هذا «الجمع» المذكور في هذا العدد ، هو غير «الجمع» المذكور في عدد ١٧

١٩ فقال الفريسيون بعضهم لبعض انظروا. انكم لا تنفعون شيئاً.
هوذا العالم قد ذهب وراءه

عدد ١٩ . (ب) تأثير هذا الحادث: «فقال الفريسيون...» ان هذا الحادث المبهج الجلل ، قد لعب هو ايضاً دوره في انضاج عوامل البفضاء الكامنة في قلوب الفريسيين، حتى عملوا على صلب المسيح. فاذا كان عددا ١٧ و ١٨ يحدداننا عن صلة معجزة اقامة لعازر، بحادثة دخول المسيح الى اورشليم، فان عدد ١٩ ينبئنا بالصلة الكائنة بين دخول المسيح ظافراً الى اورشليم ، وبين رفعه على الصليب ان الفريسيين هم اللون القاتم، الذي يظلل به البشرون كل صورة جميلة. واذا كان يوحنا قد حرص على وصف المرارة النفسية التي كان يعانيها هؤلاء المساكين ، والحسد يحز في رقابهم وقلوبهم من غير سكين ، فهو ايضاً لم ينس ان يذكرنا بعبادة هؤلاء الحكماء في اعين انفسهم . فانهم في كلامهم ضد المسيح ، صاروا احسن الشهود لنجاحه وانتصاراته : « انظروا . . هوذا العالم قد ذهب وراءه . . » . هذه احدى الآيات التي تتألف منها « بشارة الفريسيين » ! ما اشبهها بتلك التي فاه بها قيافا ! (١١ : ٥٠) . ان مؤامرة هؤلاء ، كان القصد منها تنفيذ مشورة ذاك . والجالس في السموات يضحك ! تتضمن كلمتهم هذه : (ا) توبيخاً لموتقات : « انظروا . . » انهم يشيرون بهذا الى ما حدث عند دخول المسيح اورشليم . (ب) تحريصاً : « انكم لا تنفعون شيئاً » . (ج) اعترافاً بفشلهم ونجاحه : « هوذا العالم قد ذهب وراءه » — يريدون بـ « العالم » ، مستوطني اورشليم والغرباء . بهذا ايدوا اعتراف السامريين (٤ : ٤٢)

٢٠ وكان اناس يونانيون

ثالثاً : اقبال اليونانيين الى المسيح : (١٢: ٢٠ - ٣٦)

من كل الحوادث التي وقعت بين يوم الاحد — الذي فيه دخل المسيح لورشليم ظافراً — المعروف عادة بـ «أحد السعف» ، وبين يوم الخميس المشهور بـ «خميس العهد» — الذي فيه اكل المسيح الفصح الجديد مع تلاميذه — ، تفرد يوحنا بذكر حادثة واحدة اغفلها سائر البشيرين — وهي التي نحن بصددھا الآن . لانه رأى فيها صلة مكينة بالام المسيح واجاده ، ومنها تبينّت وجهة نظر المسيح الى الصليب . يتقسم هذا الفصل الى ثلاثة اقسام :

(١) طلب اليونانيين ومجواب المسيح (١٢: ٢٠ - ٢٧) . (٢) الصوت السمائي وتأويله (٢٠: ٢٨ - ٣٣) . (٣) تحذيرات وعود (١٢: ٣٤ - ٣٦)

(١) طلب اليونانيين ومجواب المسيح (١٢: ٢٠ - ٢٧) . (١) طلب اليونانيين (١٢: ٢٠ - ٢٢) . عند مذود بيت لحم ، جاء الامم ممثلين في المجوس ، وقبيل الجلجثة نرى الامم ايضاً ، ممثلين في هؤلاء اليونانيين . ان قوله : «ليسجدوا في العيد» دليل على انهم كانوا يونانيين دخلاء . وقد جرت العادة ، ان يقضي مثل هؤلاء اليونانيين مدة العيد في دار الهيكل الخارجية ، المعروفة بـ «دار الامم» (١ مل ٨: ٤١ - ٤٣) . وفي الغالب وقع هذا الحادث في صباح الخميس ، بعد ان دخل المسيح ظلال الصليب . هذه آخر مرة نشهد فيها المسيح في الهيكل عدد ٢٠ . لمحة عنهم . سمع هؤلاء اليونانيون بدخول المسيح اورشليم ظافراً — ان لم يكونوا قد شاهدوه بعيونهم — وغالباً رأوا المسيح وهو يظهر

من الذين صعدوا ليسجدوا في العيد. ٢١ فتقدم هؤلاء الى فيلبس
الذي من بيت صيدا الجليل وسألوه قائلين يا سيد

المهيكل ويطرد التجار اليهود من المكان المخصص اصلاً للامم — ومنهم هؤلاء
اليونانيون . ولا شك في انهم سمعوا تلك الكلمة الخالدة التي وُجِّعَ بها المسيح
اولئك التجار قائلين : «يتي بيت الصلاة يُدعى لجميع الامم». فكانت هاتان
الكلمتان برداً وسلاماً على قلوب اليونانيين، فقالوا في انفسهم من هو هذا
اليهودي العجيب العامل على استرداد حقنا المهضوم؟ ومما لا جدال فيه، انهم
سئموا الفتات اليابسة المتساقطة من مائدة اليهودية المتعالية، ولم يجدوا طعاماً
في فلسفة الابيقوريين للمادية، ولا لذة في حكمة الرواقيين الغبية، فتمطشت
قوسهم الى ما هو اعلى، وتاقت قلوبهم الى من هو اسمى. الا ان تهيبهم وتغريبتهم
الجنسي حالاً دون تقدمهم باشخاصهم الى هذا السيد اليهودي الجديد. لذلك
وسَّطوا احد تلاميذه : «فيلبس». والذي حدا بهم الى اختيار «فيلبس»
دون سواه، هو ان فيه عنصراً يونانياً، كما يستفاد من اسمه اليوناني، بخلاف
سائر الرسل — ما عدا اندراوس — فان اسماءهم يهودية. وقد يُستفاد من
ذكر وطن فيلبس : «من بيت صيدا الجليل» ان هؤلاء اليونانيين اتوا من
مكان مجاور للجليل

عدد ٢١. امنيتهم. «يا سيد. نريد ان نرى يسوع». ان مجد السيد،
يُكسِبُ التلميذ رفعة، لذلك قالوا لفيلبس : «يا سيد! نريد ان نرى يسوع». .
لم يقصدوا مجرد رؤية المسيح بالعين الجسدية، كما رآه زكا، لان مثل هذه

نريد ان نرى يسوع . ٢٢ فأتى فيلبس وقال لاندراوس ثم قال
اندراوس وفيلبس لیسوع . ٢٣ واما يسوع فأجابهما قائلاً

الرؤية كانت ميسورة لهم من غير وساطة ، ويكاد يكون من المحقق ، انهم
الى الآن كانوا قد فازوا بهذه الرؤية ، وانما ارادوا ان يخلوا الى المسيح حيناً من
الزمن ، فيه يثبته اشواق قلوبهم ، ويمتعون بصائرهم برأى سناء ، ويلذذون
استماعهم بطيب حديثه ونجواه . ولعلمهم ارادوا بأمنيته هذه ، وقد رأوا مقاومة
اليهود للمسيح ، ان ينتهزوا هذه الفرصة فيقدموا اليه الدعوة ليذهب اليهم^(١) ،
فينال منهم كل اجلال — بذلك كانت تتم كلمة اليهود التي القوها جزافاً في
مناسبة سابقة : «العله مزعم ان يذهب الى شتات اليونانيين» (٣٥: ٧)

عدد ٢٢ . تصرف فيلبس بطلبهم : لم يأنس فيلبس في نفسه الشجاعة
ليتقدم بهم الى المسيح ، من اجل ذلك استأنس برأى اندراوس — وهو
ايضاً يوناني الاسم — فاستقر رأي اندراوس على ان يرافقهما مع فيلبس الى
المسيح . في هذا العدد كما في ٧: ٦ ، يتمثل لنا فيلبس رجلاً شديداً الحرص ،
يحسب حساباً لكل خطوة يخطوها . وليس من المستبعد انه حسب حساباً
لهذه الخطوة ، لانه ذكر كلام المسيح في مناسبة سابقة : متى ١٥: ٢٤

عدد ٢٣ . (ب) جواب المسيح (١٢: ٢٣-٢٧) . «واما يسوع فأجابهما»
— أي اندراوس وفيلبس — «قائلاً . . .» . رأى المسيح في طلب اليونانيين ،

(١) يقول يوسايوس المؤرخ الكنسي الشهير ان ملك ادسا (Edessa) من اعمال
سورية ، ارسل وفداً الى المسيح طالباً اليه ان يقيم معه ، واعداً اياه بمخافة ملكية ، تعوض
عليه رفض اليهود اياه . (تاريخ يوسايوس الجزء الاول صفحة ١٣)

قد أتت الساعة ليتمجد ابن

قطرة من مطر غزير سوف ينهمر ، و حبة من حصاد عظيم سيُضم من حقول
الامم الى خزائن الملكوت ، لكنه علم ان العالم الاعمى لن يُقبل اليه أفواجا
افواجا ، الا بعد ان يخلع هو الرداء اليهودي المتسربل به ويُرفع على الصليب ،
فيخرج من البيئة الضيقة المنظورة ويدخل الى المجد ، فيضحى شخصية عامة
تبسط قوة جاذبيتها على العالم اجمع . فالصليب اذاً هو باب النصر ، والمجد
والحرية . هذه هي الحقيقة الباهرة التي أعلنها المسيح ، وامام بهاء نورها لم
نستطع ان نرى هؤلاء اليونانيين فيما بعد ، ولا علمنا ماذا تم بطلبهم . فامام
شمس هذا الاعلان اختفت كواكب شخصياتهم . على اننا وان كنا لا نجد
في كلام المسيح جواباً مباشراً لهذا الطلب ، الا اننا نرى فيه تصریحاً ضمنيّاً ،
بأن : (١) وقت اقبال اليونانية — والروم — اليه قد حان . (٢) انه اقبلهم
اليه لا يتم الا بعد صلبه ، وقيامته ، وصعوده

«قد أتت الساعة» — التي جعلها الآب في سلطانه (انظر تفسير ١٣: ١) .
« ليمجد ابن الانسان » . استفاد من قرينة الكلام انه اراد بتمجيده
أمرين — أولهما : اجتذاب الجميع اليه ، بالصليب (عدد ٣٢) ، وثانيهما : ارتقائه
فوق القيود البشرية ، وارتقاعه الى المجد ، عن طريق الصليب (عدد ٢٤)
ان قوله «ابن الانسان» في هذا العدد، يقابله قوله «ابن الله» في ١١: ٤ .
هنا تحدث عن نفسه باعتبار كونه حاملاً جسم بشريتنا معه الى المجد ، وهناك
تكلم عن ذاته باعتبار كونه حاملاً طبيعة الله وممثلاً اياه على الارض

الانسان. ٢٤ الحق الحق اقول لكم ان لم تقع حبة الحنطة في الارض
ومت في فهي تبقى وحدها . ولكن ان ماتت تأتي

ان الحقيقة التي تنطوي عليها هذه العبارة: «قد أتت الساعة ليعتد ابن
الانسان»، هي نواة لكل الحديث الذي فاه به المسيح (١٢: ٢٣ - ٣٦)، وقد
اوضحها: (١) تمثيل من الطبيعة (عدد ٢٤). (٢) مبدأ اولى تناول حياة تلاميذه
(عدد ٢٥ و ٢٦). (٣) تصريح عن الغاية الختلى من عبارة (عدد ٢٧ و ٢٨)

عدد ٢٤. تمثيل من الطبيعة: «الحق الحق» - اطالب تفسير ٥٣: ٦
- «اقول لكم ان لم تقع حبة الحنطة في الارض...» - ما اعلمى فلسفة
المسيح وما ابسطها! فهي عميقة لدرجة انها غابت عن «الحكماء والفهماء». .
وبسيطة لدرجة ان حبة الحنطة تخبر بها المموت حقائق تحدثنا عنها حبة الحنطة:
(١) الموت باب الحياة لان حبة الحنطة ان بقيت مخبوءة في الخازن، أكلها
السوس. (٢) التضحية باب الاثمار والانتاج: «ان لم تقع في الارض وتمت
فهي تبقى وحدها ولكن ان ماتت تأتي بثمر كثير». (٣) الصليب باب المجد.
لان حبة الحنطة المجردة تكاد تكون خالية من كل اسباب الجمال. لكنها
متى ماتت، نبتت، فازهرت، فايضت، فلبست ثوباً اخضرًا قشيباً، ثم توجت
في النهاية بتاج السنبلة الذهبي. فما أقوى المسيح وما اقدره. لانه بحبة الحنطة
هلم صرح الفلسفة اليونانية المؤسسة على سفسطة ديمتريوس القائلة: ان
الحياة الطبيعية هي كل شيء، ومتى ادركها الموت، فلا مناص لها من الفناء
والزوال. فأفهمهم المسيح ان فناء الحياة الطبيعية، هو بدء الحياة الابدية.

بشر كثير . ٢٥ . من يحب نفسه يهلكها ومن يبغض نفسه في
هذا العالم يحفظها الى حياة ابدية

أو لا نجد في هذا الكلام خير جواب لطلب اليونانيين — اذا صح الفرض
انهم طلبوه ليقدموا له في وطنهم كل اكرام وتمجيد — فصارحهم بان الصليب
— لا مجد وطنهم — هو خير باب المجد ؟ !

عدد ٢٥ و ٢٦ . مبدأً أولى يتناول حياة الترميز : « من يحب نفسه...
ومن يبغض نفسه... » . كلمة : « نفس » ، تعني الحياة الطبيعية الحسية . اما
الحياة الابدية فهي الحياة في كمال مظهرها : في طولها ، وعرضها ، وعمقها ،
وعلوها . ان من يحرص على حياته الجسدية حرص الغني الغني على حنطته في
مخازنه ، لا يلبث ان يخسرها . لان الحياة الطبيعية تحمل في قلبها بزور الفناء ،
ولكن من يضحي بهذه الحياة في سبيل الله والبشرية ، فانه يرفع حياته من
المستوى الطبيعي القاني ، الى المستوى الروحي الخالد . فالتضحية ، وانكار
النفس ، والموت ، هي باب الحياة الفضلى . وحب الذات هو سمها القاتل ! ان من
يلصق نفسه بالقانيات ، يحكم على نفسه بالفناء مثلها ، ومن يرفعها عن الماديات ،
يمجدها . هذا اكبر معول يتقض الفلسفة اليونانية القائلة بان الحياة وهمية

مع ان هذا مبدأ عام (متى ١٠: ٣٩ و ١٦: ٢٥ ومرقس ٨: ٣٥ ولوقا ٩: ٢٤ و ١٧: ٣٣) ، إلا انه لا يوجد ما يحول دون انطباقه على المسيح . فانه ضحى بحياته
الانسانية ، مختاراً ، فربحها حياة ممجدة وكسب نفوس جميع تابعيه
على ان صليب المسيح ، ليس فقط موضوع اتكالنا ، بل هو ايضاً

٢٦ ان كان احد يخدمني فليتبني . وحيث اكون انا هناك ايضا
يكون خادمي . وان كان احد يخدمني

مثالنا . هذه هي الحقيقة المبينة في عدد ٢٦ : « ان كان احد يخدمني فليتبني »
— الاتباع هنا منصب على ناحية خاصة — هي الصليب والتضحية . فقد
تبع المسيح الى بحر الجليل فناكل الطعام الذي يقدمه لنا ، وقد اجلس تحت
قدميه عند جبل الموعظة ، وقد نرتقي معه صاعدين الى جبل التجلي فتتلى
من بهاء سناه ، وقد تتبعه حتى جثسياني ، ودار الولاية ، والمحكمة . ولكن
ان لم تتبعه حتى الجلجثة — حتى الصليب — فان كل خطواتنا السابقة تذهب
هباء . نعم ان كل حياة المسيح مليئة بالمجد لكن المجد كله قد تركز على قمة
الجلجثة — في الصليب . فان لم نشاطره عاره ، فلا نصيب لنا في اجماده وفخاره
يحدثنا هذا العدد عن نموت حقائق مهمة تتعلق بالخدمة : (١) شرط
الخدمة : « ان كان احد يخدمني فليتبني » . (٢) شرف الخدمة : « حيث
اكون انا هناك ايضا يكون خادمي » — وهل من شرف معادل للوجود في
معية المسيح — في الألم والمجد ؟ ان كان تألمنا معه خيرا مجدا لنا ، فكم بالحري
تمجيدنا معه ؟ ان افضل تفسير لهذه الكلمات ، هو تلك الطلبة التشفعية التي
قدمها المسيح لاجل تلاميذه : « ايها الآب اريد ان هؤلاء الذين اعطيتني
يكونون معي حيث اكون انا . لينظروا مجدي الذي اعطيتني » . (٣) ملافة
الخدمة : « ان كان احد يخدمني » — سواء اكان من اليهود أم من الامم —

يكرمه الآب . ٢٧ الآن نفسي قد اضطربت . وماذا اقول . ايها

«يكرمه الآب». للمسيح المجد (١٧: ٥) ، ولخادمه الامين ، الكرامة . ان هذا العدد ، خير مفسر للشطر الثاني من العدد السابق ، واليك البيان :

{ «فلتبعني» .. «من يفيض نفسه في هذا العالم» . } «حيث اكون انا هناك»
{ «يكرمه الآب» .. «يحفظها الى حياة ابدية» . } «ايضاً يكون خادمي»

عدد ٢٧ و ٢٨ (١) (٤) . **الغاية الختامية من حياة المسيح :** «الآن نفسي قد اضطربت . وماذا اقول ..» نطق المسيح بالكلمات السابقة ، متمثلاً امامه شبح الصليب الذي تاباه النفس الانسانية بحكم طبيعتها . وكأني بموجة من التأثير ، صدمت صخرة عزمته ، وما هي الا لحظة حتى تكسرت هذه الموجة وزالت وبقيت عزمته قوية كالصخرة — بل الصخرة قوية مثلها — فرحب بالصليب ، وقهر المنون قهر عزيز مقتدر

كلمة « نفس » المستعملة هنا ، هي بعينها التي وردت في عدد ٢٥ ، وهي «نفس» المسيح الانسانية التي تنفر بحكم طبيعتها من الموت ، تقور البرارة من الظلام ، سيما وان موت المسيح لم يكن بالموت العادي ، بل كان موتاً كفارياً ، حمل فيه كل خطايا البشرية في جسده على الصليب ، من غير ان تنقض ظهره . انه لم يمت موت شهيد ، بل موت المخلص القادي المجيد ويغلب على اعتقادنا ان هذين العددين يصوران لنا صراعاً نفسياً اجتازه المسيح فخرج منه ظافراً . عند ما رأى الصليب ماثلاً امامه ، احست نفسه الانسانية بقشعريرة ، لكن روحه الالهية ظلت مثبتة وجهها شطر الصليب فكان القادي بين عاملين . فهل يستسلم لهزة نفسه الانسانية ويقول « ايها

الآب نجني من هذه الساعة. ولكن لاجل هذا أتيت الى هذه الساعة

الآب نجني من هذه الساعة؟ كلا . لانه انما لاجل هذه الساعة قد جاء — ساعة الصليب . أم ينفي عن احساس النفس البشرية ، ويصفي الى ايجاء روحه الالهية فيقول : «ايها الآب مجد اسمك» ! — وهذا ما فعله المسيح هنا وفيه كال الظفر والفوز . لان اسم الآب لا يتمجد الا بالصليب الذي هو اعظم مترجم عن محبة الله المضحية ، الغافرة ، المجانية .

يميل بعض المفسرين الى الاعتقاد بان الكلمات : «نجني من هذه الساعة» هي صلاة رفعها المسيح الى الآب ، ويرون فيها « جثسيماني ^(١) » بشارة يوحنا . لكننا نعتقد مع جمهور المفسرين الموثوق بهم بأن هذه الكلمات ليست سوى خاطر ^(٢) نفسي ، لم يلبث ان تبخر امام حرارة عزيمة المسيح الالهية القوية فحلت محله هذه الامنية الجليلة التي أفرغها في شكل طلب : «ايها الآب مجد اسمك» . ان الاشارة الى جثسيماني، في هذه البشارة، ليست في هذا العدد . بل في ١٨: ١ « حيث كان بستان »

(٢) الصوت السماوي وتأويله (١٢: ٢٨ ب — ٣٣). (١) الصوت السماوي

(١٢: ٢٨ ب) . (ب) تأويله (١٢: ٢٩ — ٣٣)

(١) لقد اجاد احد المصورين الايطاليين اذ رسم صورة الملاك الذي ظهر في جثسيماني حاملاً صلياً في يده ليقوي المسيح به

(٢) يختلف هذا الخاطر عن صلاة جثسيماني في انه مجرد من القول : « ان امكن » و« لكن ليس كما اريد انا بل كما تريد انت » (متى ٢٦: ٣٩) — انظر شرح بشارة لوقا

للمؤلف صفحة ٥٧٦ — ٥٨٢

٢٨ ايها الآب مجد اسمك . فجاء صوت من السماء مجدت وامجد ايضاً

عدد ٢٨ ب . (١) الصوت السماوي : « فجاء صوت من السماء .
مجدت وامجد ايضاً » . كان هذا الصوت اجابة لامنية المسيح التي افرغها في
شكل طلب . هذا مستفاد من حرف الفاء في كلمة « فجاء »

مثلاً شهد الآب للمسيح شهادة مسموعة عند بدء خدمته وقت المعمودية
(٣٢: ١) ، ومثلاً شهد له ايضاً في قلب خدمته على جبل التجلي (متى ١٧) ،
كذلك شهد له ايضاً عند خاتمة خدمته قبيل الصلب . وكان القصد من هذه
الشهادة ، ختم عمل المسيح وشخصه ، بخاتم رضى الآب

ومن المحقق ان هذا الصوت لم يكن ظاهرة طبيعية اولها المسيح روحياً ،
وانما كان علامة خارقة للطبيعة ، فأولها الغير المؤمنين الى ظاهرة طبيعية .
ويختلف هذا الصوت عما يسميه اليهود الرايون : « بَتَّ قول » — اي « بنت
الصوت » او « صوت الوجدان » ، في ان هذا الصوت كان مسموعاً ، بخلاف
صوت الوجدان الذي هو اشبه الاشياء بلسان الحال

ان الكلمات التي حملها هذا الصوت : (١) تتناول الماضي : « مجدت » —
يشير هذا القول الى خدمة المسيح بين اليهود وقد دنت الى النهاية . (ب) تمتد
الى المستقبل : « وامجد ايضاً » — يشير هذا القول الى خدمة المسيح بين الامم
وقد آذنت بالبداية . ان حلقة الاتصال بين الخدمتين هي « الصلب » . بهذا
يتجدد اسم الآب بين اليهود ، وبين الامم ، فتتم بذلك نبوة سمعان — « نور
اعلان للام ومجداً لشعبك اسرائيل » ، (انظر ايضاً يوحنا ١٧: ١ و ٢ و ٤ و ٥)

٢٩ فالجمع الذي كان واقفاً وسمع قال قد حدث رعد . وآخرون قالوا قد كلمه ملاك . ٣٠ اجاب يسوع وقال ليس من اجلي صار هذا

عدد ٢٩ و ٣٠ . تأويل هذا الصوت (٢٩: ١٢ - ٣٣) . اختلف السامعون في تأويل هذا الصوت ، باختلاف استعدادهم . فالفريسي الاول ، وهم الغير المدربين على التمييز ، قالوا: «قد حدث رعد» . هؤلاء — لمزيد الاسف — كانوا الإغائية . ومن المحزن ، ان أنسالم لا يزالون يعيشون بين ظهرانينا الى اليوم ، اذ يحاولون ان يفسروا كل معجزة كتابية ، كأنها ظاهرة طبيعية . والفريسي الثاني — وهم اكثر تمييزاً من الاولين ، استطاعوا ان يميزوا في الصوت بعض النبرات فسمعوا فيه كلمات ، لكنهم جهلوا مصدرها ، فقالوا : «قد كلمه ملاك» . وكم من مرار يكلمنا فيها الله ، فلا نفهم ولا نميز ، لان اسماعنا غليظة ، وقلوبنا اشد غلاظة . فالعبرة ليست بالصوت بل بالاذن السامعة ، وبالعقل الذي يوحى الى الاذن ، ويترجم لها المعاني التي تحملها الاصوات . فالوحوش الغير المدربة ، قد تسمع كلاماً ، فلا تجد فيه الا مجرد صوت . لكن الحيوانات الاليفة ، تستطيع ان تميز في الصوت أمراً او زجراً . والبيغاء الذي يفوق كل الحيوانات تهذيباً ، يستطيع ان يميز الكلمات ، لكن قوة المعاني تغيب عنه . لكن الانسان العاقل ، يفهم الفكر الذي تحمله الكلمات الصادرة من انسان آخر ان صوت الله لم يميزه سوى الاله المتجسد : «اجاب يسوع وقال ليس من اجلي صار هذا الصوت بل من اجلكم» . لم يكن المسيح في حاجة الى الشهادة له بصلق رسالته ، لان له الشهادة في نفسه . وانما جاءت هذه الشهادة

الصوت بل من اجلكم . ٣١ الآن دينونة هذا العالم .

ليسمعها كل من له اذنان ، وليميزها كل من لم يضع اصابعه في اذنيه . وكان القصد منها امتحان ايمان السامعين ، وتثبيت ايمان المؤمنين

اما رسالة هذا الصوت ، فهي مثثة ، ولها صلة وثيقة بالعالم :

- (١) دنو ساعة دينونة هذا العالم (عدد ٣١): «الآن دينونة هذا العالم».
- (٢) حلول وقت انزال رئيس العالم عن عرش الزائف : «الآن يُطرح رئيس هذا خارجاً». (٣) مجيء ساعة ارتقاء المسيح على عرسه الصليب. (عدد ٣٢): «وانا ان ارتفعت عن الارض اجذب اليّ الجميع»

عدد ٣١ . (١) دنو ساعة دينونة هذا العالم . يراد بدينونة العالم ، اماطة اللثام عن وجه العالم الفادر ، فيُرى في صورته الحقيقية. و«العالم» المقصود هنا، ليس العالم الطبيعي الذي خلقه الله : كالبحار والجبال وما اليها ، ولا الناس العائشين على وجه هذه البسيطة ، فهؤلاء قد احبهم الله (١٦: ٣) . وانما يراد به الروح العالمية ، المادية ، الغارقة في الحاضر المنظور ، والمعادية لروح الله «لان كل ما في العالم شهوة الجسد ، وشهوة العيون ، وتعظم المعيشة . ليس من الآب، بل من العالم. والعالم يمضي ..» (١ يوحنا ٢: ١٦) . هذا يوافق قول بولس: «ديماس تركني اذ احب العالم الحاضر» (٢ تيموثاوس ٤: ١٠)

ان اداة الدينونة المقصودة هنا ، هي الصليب . لان في نور الصليب انكشفت نيات العالم وخفاياه وتجسست عداوته للمسيح في اشخاص الذين عملوا على صليبه . فالعالم ، حين صلب المسيح ، فضح نفسه وشهر بذاته . فاذا

الآن يُطرح رئيس

الصليب صلب العالم . فأت العالم ، برفضه مسيح الله برهن على أن افكاره مضادة لافكار الله ، لان افكار العالم سطحية افقية ، لكن افكار الله علوية عمودية . وهل الصليب الا تقاطع خط افقي مع خط عمودي (+) ؟ !

ان دينونة العالم ، التي ابتداء اول فصل منها يوم «الجمعة الحزينة» ، وتم الفصل الثاني منها يوم « خراب اورشليم » ، وتنتجز بعض فصولها مع تعاقب الزمن ، سيتم آخر فصل منها يوم يقام العرش الابيض العظيم (عدد ٤٨) . وسيكون الصليب موضوع الدينونة ، فكل الخطايا المنصوص عنها في ناموس موسى ، تهون امام خطية صلب المسيح . « من خالف ناموس موسى ، فعلى شاهدين او ثلاثة شهود يموت بدون رافة . فكم عقاباً اشر تظنون انه يحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قدس به دنساً » (عبرانيين ١٠: ٢٨ و ٢٩) . على ان خطية صلب المسيح ليست منحصرة في الذين قاموا بهذا الفعل الذميمة في بدء القرن الاول للميلاد ، لكنها تتعداهم الى الذين يرفضون صليبه ، و يقيمون في قلوبهم كل يوم جلجلة جديدة يصلبونه عليها في القرن العشرين ويشهرونه . (عبرانيين ٦: ٦)

(٢) هلول ساعة ازال رئيس العالم عن عرش الزائف : « الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً » — اذا كان الصليب قد أُمِط اللثام عن حالة العالم الروحية المعادية لله ، فانه قد استنفذ آخر سهم في جعبة الشيطان — رئيس العالم الزائف ، واذا جرّده عن سلاحه ، طرحه خارجاً . في مناسبة سابقة (لوقا

هذا العالم خارجاً . ٣٢ وانا

(١٨: ١٠) ، سمعنا المسيح يقول انه : « رأى الشيطان ساقطاً » امام كلمة البشارة التي حملها تلاميذه . وهو الآن يراه وقد قوَّض الصليب دعائم عرشه الزائف ، وطرحه خارجاً . في الصليب ظهرت خطية الشيطان الخاطئة في اشنع مظاهرها . قديماً حرَّض الشيطان حواء على الاكل من الثمرة المحرمة ، وبعدها بقليل سَوَّل لعاين ان يقتل اخاه هابيل ، لكن اشنع الخطايا التي ارتكبها ابليس هي تحريضه البشر على قتل المسيح البار الذي جاء ارضهم ليخلصهم . وبخطية الخطايا هذه ، جُرد الشيطان من رياسته للعالم ، ونُفي كما يُنفي اسرى الحروب . ان الصليب هو المعركة الفاصلة بين المسيح وابليس ، فيها استجمع ابليس كل قواه ، وضرب ضربة ، فكانت القاضية — ولكن عليه لا على المسيح ومن المؤسف ان معلمي اليهود ، كانوا يقولون ان الله اسلم العالم كله — الا اليهود — ليد ابليس . فبرهنت الايام على ان ابليس استخدمهم هم — قبل سواهم — في صلب ملكهم ومسيحهم

ان قوله : « يُطرح خارجاً » يشار به الى تجريده من سلطته التي يسبي بها النفوس تحت سحر تأثيره (١ يو ٥: ١٩) . فعند ما أُكمل الفداء على الصليب (١٩: ٣٠) ، تم الفصل الاول من هزيمة الشيطان ، وعند ما تتم عملية الفداء (رؤيا ٦: ٢١) ، يُختتم الفصل الاخير من انهزامه . ان هذا اللقب « رئيس العالم » يقابله ذلك اللقب الجليل الذي وُصف به المسيح : « رئيس الحياة » (اعمال ٣: ١٥) عدد ٣٢ . مجيء ساعة ارتقاء المسيح على عرشه الصليب . « وانا » . ان ساعة

ان ارتفعت عن الارض اجذب

انكسار «رئيس العالم» ، هي ساعة انتصار «رئيس الحياة» . وان سقوط الملك الزائف ، هو قيام الملك الحقيقي . وما كان الصليب الذي رُفِعَ المسيح عليه الا عرشاً جلس عليه ، وما كان الرداء الارجواني الذي لبسه اياه البشر هزءاً وسخرية ، الا حلة ملكية لبسه الله اياها حقاً ، وما كانت تلك القصة سوى صولجان . اما اسلحته التي بها يملك ، فهي سهام محبته . وجواهره التي يزين بها تاجه هي قطرات دمه الثمين . ليس في معداته شيء من القوات الدافعة ، فكل قواته رافعة ، وليس بين جيوشه جنود غاصبة ، فكل قواته تأثيرات جاذبة : « وانا ان ارتفعت عن الارض اجذب اليّ الجميع »

كان الصليب ، رفعة للمسيح حساً ومعنى . اما حساً ، فلأن صليب المسيح كان مرفوعاً عن الارض فوق اكمة . واما معنى ، فلأن صليب القادي كان افصح ترجمان عن محبته المضحية ، فانتهى بالقيامة وتوج بال صعود ، فالجلوس على العرش في الاعالي (٣: ١٤ و ٨: ٢٨) . (اطلب تفسير هذين العديدين في موضعيهما) . ان مركز الجاذبية في المسيحية هو صليب المسيح

ومن المهم ان نذكر ان المسيح لم يجلس على عرش الارض ، الا بعد ارتفاعه عن الارض ، وفوقها . اما الفارقون في الارض وفي مادتها ومجدها ، فليسوا ملوكها ، وانما هم عبيدها المتوِّجون : فلا عرش ارسخ اساساً واثبت على تقلبات الزمان من العرش المنحضب — لا بدماء الرعية بل بدم الراعي ان هذا العرش الصليبي او الصليب الملكي الذي رُفِعَ عليه المسيح ، قد

اليّ الجميع . ٣٣ قال هذا مشيراً الى اية ميتة كان مزماً ان يموت .
٣٤ فأجابه الجمع نحن سمعنا من الناموس

جرّده من القيود الجسدية التي قبلها على نفسه بالتجسد ، ورفع فوق الحدود الوطنية ، التي كان مرتبطاً به كيهودي ، فصار مسيحاً للعالم اجمع — ولليونانيين بنوع خاص : «أجذب اليّ الجميع» — اي جميع الناس من كل امة ، ولغة ، وجنس . نعم ان «الجميع» لم يأتوا اليه بعد ، لان الكثيرين لا يزالون مقاومين سحر تأثيره الخفي ، لكن الغلبة في النهاية هي لمصلوب الجلجثة ، الذي اضحى وهو على الصليب اعز من الف ملك ، على الف عرش ، في الف مملكة . وعما قريب «تصير جميع ممالك العالم للرب وللمسيحه» . « فيملك من البحر الى البحر ، ومن النهر الى اقاصي الارض » . (انظر رومية ١٨: ٥ و ٢ كورنثوس ١٥: ٥ و ١ تيموثاوس ٦: ٢ وعبرانيين ٩: ٢ و ١ يوحنا ٢: ٢ وكولوسي ٢٠: ١)
عدد ٣٣ . كلمة تفسيرية : « قال هذا مشيراً الى اية ميتة كان مزماً ان يموت » . هذه كلمات يوحنا البشير — كماداته في تعليقه على بعض الحقائق . ليس كلام المسيح منحصراً في «الميتة التي كان مزماً ان يموت» ، بل يتناول ايضاً القيامة والصعود ، اللذين يتبعان موته ، وان تكن الاشارة في كلامه متجهة بنوع خاص الى الصليب قابل هذا بما جاء في ١٨: ٣٢ و ٢١: ١٩

(٣) تحذيرات ودعوات (١٢: ٣٤-٣٦) . (١) اعتراف الجمع (١٢: ٣٤) .
(ب) جواب المسيح (١٢: ٣٥ و ٣٦)

عدد ٣٤ . (١) اعتراف الجمع : « فأجابه الجمع نحن سمعنا من الناموس

ان المسيح يبقى الى الابد . فكيف تقول انت انه ينبغي ان يرتفع
ابن الانسان . فمن هو هذا ابن الانسان .

ان المسيح يبقى الى الابد . فكيف تقول أنت كان يفهم اليهود مما جاء
في اشعيا ٩: ٦ ومزمور ١٠٠: ٢ - ٤ ودانيال ٧: ١٤ ، ان المسيح سيأتي ليقم
ملكوتاً ارضياً مستديماً ، يظلّ هو عليه ملكاً الى الابد . فوجدوا في كلامه
عن موته وارتفاعه عن الارض ، صعوبة - امران - : كيف يقول
عن نفسه انه «ابن الانسان» - بوجه التعميم - حال كون مسيحهم المنتظر
يلقب بـ «ابن داود» على وجه التخصيص . فمن هو «ابن الانسان» هذا ؟ أهو
شخصية مستقلة عن المسيح ، ام هو مسيح على طراز جديد لم يسمعوا به من
قبل ؟ والصعوبة الثانية : كيف يتأتى وجود ملك منفصل عن ملكوته ؟ فاذا
كان يسوع هو المسيح باعتراف الجماهير يوم احد السعف ، وباقراره هو ،
واذا كان سيقم ملكوتاً ارضياً مستديماً ، فما معنى انفصال هذا الملك عن ملكوته
بارتفاعه عنه ؟ واي نوع من الملكوت هذا ؟ بل واي طراز من الملوك هذا ؟

ان في قولهم له : «أنت» ، نغمة استهانة بشخصه ، مقابل تكريمهم
لناموس . (قد اوضحنا معنى كلمة «ناموس» في ١٠: ٣٤ فاطلبها هناك) . غير
ان المسيح لم يذكر كلمة : «ابن انسان» في عرض كلامه عن ارتفاعه ، وانما
ذكرها في عدد ٢٣ في كلامه عن تمجيده . ولعل اليهود ربطوا هاتين الآيتين
معاً في احتجاجهم عليه . اما «ارتفاع ابن الانسان» بحصر اللفظ ، فقد تكلم
عنه المسيح في ١٤: ٣ «هكذا ينبغي ان يرفع ابن الانسان»

٣٥ فقال لهم يسوع النور معكم زماناً قليلاً بعد. فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام. والذي يسير في الظلام لا يعلم الى

(ب) جواب المسيح : « فقال لهم يسوع . النور معكم زماناً قليلاً . . . » لم يشأ المسيح ان يدخل معهم في حوار جدلي ، بل قدّم لهم مزيداً من حقه الايجابي . واذا كان قد تكلم عن صلة الصليب بشخصه وبتلاميذه في عدد ٢٣-٢٧ ، فقد تحدّث في عددي ٣١ و ٣٢ عن صلة الصليب بالعالم ، وفي عددي ٣٥ و ٣٦ ، عن صلة الصليب بالمستمعين له من اليهود . ان الكلام المتضمن في هذين العددين ، أشبه بكلمات وداع من المسيح لليهود كأمة . لانه بعد هذا ، مضى واختفى عنهم ، فغابت شمس مجدهم وراء الافق . يتضمن كلامه في هذين العددين : —

عدد ٣٥ . (١) « اعمرونا عظيماً بان شمس نعمتهم آذنت بالمغيب : « النور معكم زماناً قليلاً » . لعلّ المسيح ذكر هذه العبارة معارضة لقولهم له : « ان المسيح يبقى الى الابد » (عدد ٣٤) . ان الشمس التي ستغرب عنهم لا تزول ، لكنها تشرق في حيّ الامم . وسفر الاعمال ، خير موعظة على هذه العبارة

(٢) تحريفاً : « فسيروا ما دام لكم النور » في السير حياة ، ونفع ، وتقدّم . والويل كل الويل لمن يقف لان الوقت قصير ، والمسافة طويلة . كلمة : « ما دام » تتشّى مع كلمة « زماناً يسيراً بعد »

(٣) تحذيراً « لئلا يدرككم الظلام » — بعد غروب شمس النعمة عنهم ، فيكونون كبني اسرائيل في البرية من غير عمود النار . (قابل هذا بما جاء في ارميا ١٣: ١٦) . « والذي يسير في الظلام لا يعلم الى اين يذهب » ، لان الظلمة

اين يذهب . ٣٦ ما دام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا ابناء النور .
تكلم يسوع بهذا ثم مضى واختفى عنهم . ٣٧ ومع انه

اعمت عينيه . ومن المحزن جداً ان يغمض الانسان عينيه في الظلام والشمس
لا تزال مشرقة — هكذا فعل اليهود

عدد ٣٦. (٤) وقرأ: « ما دام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا ابناء النور » .
لم يشأ رب النعمة ان يَخْتَمَ كلامه معهم بالتحذير ، بل خاطبهم مشجعاً وواعداً ،
بل داعياً اياهم الى الايمان به ، على اعتبار انه هو « النور » . ان من يسير في الظلام ،
لا يقف عند حد صيرورته اعمى ، بل يصير مظلماً ، وفي النهاية يعمى ظلاماً
مجبباً . وكذلك من يؤمن بالنور ، ويقبل اليه ، لا يكتفي بان يكون مبصراً ،
بل يصير منيراً لان طبيعته تستحيل الى نور — هذا معنى قوله « لتصيروا
ابناء النور » . قابل هذا بما جاء في لوقا ١٦: ٨ « ابناء النور في جيلهم » ، وفي
١ تس ٥: ٥ « جميعكم ابناء نور واطباء نهار » ، وفي افس ٥: ٨ « اسلكوا كالاولاد
نور » . ان كل شخص يتأثر بالبيئة المحيطة به ، فتصير هي فيه ، وهو فيها

وبنوة عدم الانحياز (١٢: ٣٧-٥٠)

بهذا الفصل ، يُخْتَمُ القسم الاول من هذه البشارة . في القسم الاول حدثنا
البشير عن خدمة المسيح الجهرية في العالم ، وسيحدثنا في القسم الثاني عن خدمة
المسيح الخاصة بين خاصته . ثمرة القسم الاول — عدم الايمان . وثمره القسم الثاني
— الايمان . شعار القسم الاول : « خرجت من عند الآب وقد اتيت الى
العالم » . وشعار القسم الثاني : « اترك العالم واذهب الى الآب » (١٦: ٢٨) .

كان قد صنع امامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به . ٣٨ ليم قول اشعياء النبي الذي قاله يا رب من صدق

فما اشبه هذا الفصل ببرزخ يفصل بين بحر خدمة المسيح الجهرية، وبحر خدمته الخاصة . بل ما اشبهه باكمة وقف عليها البشر والتي نظرة استشفاف الى الماضي ، فحدثنا عن : (١) وصف عدم ايمانهم وعلة (١٢: ٣٧-٤٣) . (ب) كلمات متنامية عن مقام المؤمنين ، ومقام غير المؤمنين (١٢: ٤٤-٥٠)

(١) وصف عدم ايمانهم وتعليله (١٢: ٣٧-٤٣)

عدد ٣٧ . (١) انه عدم ايمانهم عنادياً ، على رغم كثرة البراهين : «ومع انه» — اي المسيح — «كان قد صنع امامهم آيات هذا عددها، لم يؤمنوا به» . هذا اقرار من البشير ، بان المسيح صنع معجزات اكثر كثيراً من السبع المدونة في بشارته كعنايات رمزية ، تحمل كل منها «آية» لقوم يعقلون . فهي «آيات» في السماء ، وفي الارض ، وفي البحر . منها «آيات» صنعت في الاحياء ، واخرى تمت في الموتى . منها ما تم في بيت الوليمة ، وما أجري في بيت النوح . لكن اليهود ، على الرغم من ذلك ، لم يريدوا ان يؤمنوا ، لانهم اغمضوا عيونهم عن النور لئلا يروا !

عدد ٣٨ . (٢) لم يكن عدم ايمانهم ، هادئاً هديرأ — فقد سبق وتنبأ عنه اشعياء : «ليم قول اشعياء النبي الذي قاله يا رب من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب» . يراد بقوله «خبرنا» — تلك الرسالة التي حملها اشعياء وسائر الانبياء ، الى الناس . ان اشعياء ، في قوله : «من صدق» (١: ٥٣) ،

خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب . ٣٩ لهذا لم يقدرُوا ان يؤمنوا .
لان اشياء قال ايضاً ٤٠ قد أعمى عيونهم واغلظ قلوبهم لئلا

يشكوا قلة عدد المؤمنين لا عدم وجودهم على الاطلاق . وهو يشكو عدم ايمان
الناس بأمره — اولهما : الخبر الذي جاءهم من الله على يد انبيائه : «خبرنا» .
وثانيهما : القدرة الالهية التي استعلنت لهم : «ذراع الرب» . ولا يبرح عن
اذهانتنا ان النبوة التي يستهلها اشياء بهذا القول : «من صدق خبرنا» ، خاصة
بمسيا (المسيح) المتألم . واذا كان الشعب في ايام اشياء لم يصدق هذه النبوة
لغموضها وعدم وضوحها ، فتمت فيه هذه النبوة مبدئياً ، الا ان زعماء اليهود
العاشين في وقت المسيح ، لم يصدقوا تعاليم المسيح — المعبر عنها بقوله :
«خبرنا» ، ولم يؤمنوا بمعجزاته وآياته المنوّه عنها بقوله : «ذراع الرب» ، على
رغم جلالها ووضوحها ، فتمت فيهم نبوة اشياء كلياً . اذاً لم يكن عدم ايمان
الشعب في ايام اشياء ، سوى رمز ونبوة لعدم ايمان زعماء اليهود ايام المسيح

عدد ٣٩ و ٤٠ . عدم قدرتهم على الاعتراف له نتيجة طبيعية لعدم ارادتهم
انه يؤمنوا : «لهذا لم يقدرُوا ان يؤمنوا لان اشياء قال ايضاً..» . ليس معنى
هذا ، ان ما قاله اشياء كان له تأثير عليهم ، بل ان المبدأ الذي قاله اشياء ينطبق
عليهم : ان من يرفض الايمان في بادى الامر ، حراً مختاراً ، يرفضه الايمان
في نهاية الامر ، قهراً واجباراً . وان من يغمض عينيه عن النور ، يُرفع
عنه النور ، وتُسحب منه قوة الابصار . هذا مبدأ طبيعي بل حكم الهى لان
الله يستخلص العوامل الطبيعية لاتمام مقاصده . ان من يكف عن تحريك

يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فاشفيهم . ٤١ قال اشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه . ٤٢ ولكن مع ذلك آمن به كثيرون من الرؤساء ايضاً

ذراعه حيناً من الدهر ، لا يلبث ان ينحسر هذه الذراع ، لانها تصبح فريسة للجفاف والجود . ويقول علماء الاحياء ، ان في كهف « ماموث » بأمريكا الشمالية ، بركة مظلمة ، يعيش فيها نوع من السمك ، وان هذا السمك امسى بلا عيون ، لان عدم فتح العيون الى حين ، انتهى الى فقدانها . فاما ان نتفح بما عندنا فيزداد لنا ، او ان ننحسره فيزال عنا . وما ربك بظلام للعبيد

عدد ٤١ . كلمة تفسيرية: « قال اشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه » بهذه الكلمة قدم يوحنا المفتاح الحقيقي لرؤيا اشعياء (اش ٦) ، ومن غير يوحنا الرائي ، يستطيع ان يكشف اسرار رؤيا اشعياء ؟ هذا دليل من اقوى الادلة لاثبات لاهوت المسيح ، وحجة دامغة على ان المسيح كائن قبل التجسد ، فرأى ابراهيم يومه (٥٦: ٨) ، ورأى اشعياء مجده ، حين « رأى السيد (أدوناي) جالساً على كرسي عالٍ ومرتفع . واذاياله تملأ الهيكل » (اش ٦: ١) . هنا يلتقي يوحنا ببولس في تفسير رموز العهد القديم (انظر ١ كورثوس ١٠: ٤) . ان ضمير « الهاء » في كلمة « عنه » يعود على المسيح

عدد ٤٢ و ٤٣ . الامامة الذي مجزه الخوف: مع ان السواد الاعظم من اليهود لم يؤمن بالمسيح كجموع ، كما يستفاد من عدد ٣٧-٤١ ، « ولكن مع ذلك آمن به كثيرون من الرؤساء ايضاً » — وهم افراد مثلاً . فنقدهم ،

غير أنهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به لئلا يصيروا خارج الجمع.
 ٤٣ لانهم احبوا مجد الناس اكثر من مجد الله . ٤٤ فنادى يسوع
 وقال . الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي

ويوسف الرامي ، اللذين تغلبا على ضعفهما فيما بعد (١٩: ٣٨ - ٤٢)، وغمائليل
 الذي غالبه الضعف فعليه . وقد دلنا يوحنا في هذين العديدين على العلة التي
 كانت السبب في خفق ايمان امثال غمائليل - وهي : الخوف على المركز
 الاجتماعي : « غير أنهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به لئلا يصيروا خارج
 الجمع » . اما علة هذا العلة فقد كشف عنها يوحنا بقوله : « لانهم احبوا مجد
 الناس اكثر من مجد الله » ! الا نجد في قوله « اكثر من مجد الله » مقابلة بين
 هؤلاء الرؤساء المستضعفين ، هواة الصيت والمديح المستطاب ، وبين اشياء
 الذي شبع وارتوى من رؤية « مجد الرب » (عدد ٤٠) ؟ ان قوله « مجد الرب »
 يعني المجد الذي أعدّه الله للمؤمنين به (انظر رومية ٢٣: ٣)

(ب) كلمات متنامية عن مقام المؤمن ، ومقام غير المؤمن ١٢: ٤٤ - ٥٠
 ليست هذه كلمات جديدة فاه بها المسيح في هذا الوقت الذي انتهت فيه
 خدمته الجهرية، وانما هي خلاصة استجمعها البشير ، من اقوال المسيح ، ليبين
 لنا منها : (١) مقام المؤمن (١٢: ٤٤ - ٤٦) . (٢) مقام الغير المؤمن (١٢ :
 ٤٧ - ٤٩) . (٣) مقام كلام المسيح (١٢ : ٥٠)
 عدد ٤٤ - ٤٦ . (١) مقام المؤمن : مراراً وتكراراً شهد المسيح بالصلة
 المسكنة التي بينه وبين الآب - تلك الصلة التي اظهرت الآب بكمال تجلياته

بل بالذي ارسلني. ٤٥ والذي يراني يرى الذي ارسلني ٤٦ انا قد جئت
نوراً الى العالم حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة. ٤٧ وان سمع

في شخص المسيح . فكل من يؤمن بالمسيح لا يقف ايمانه عند شخص يسوع
الانسان ، بل يمتد الى الآب الذي ارسله . وكذلك كل من يرى المسيح ،
لا يقف نظره عند حجاب جسد المسيح ، بل يتعداه الى شخص الآب الذي
ارسله . هذه شهادة قوية ، من فم المسيح ، تدحض قول القائلين بان من
يؤمن بالمسيح ، يُعدّ كافراً بالله . لقد كذبوا في ما يدعون . لان من يؤمن
بالله ، يؤمن بالمسيح ومن يؤمن بالمسيح يؤمن بالله (١: ١٤)

ليس في هذا القول اية رائحة للادعاء ، لكنه يتم عن تضحية تامة ،
واخلاء للذات : « انا قد جئت نوراً الى العالم ، حتى كل من يؤمن بي ، لا يمكث
في الظلمة » - الطبيعية المولود فيها ، بل يرى الله الذي جاء المسيح ليرينا اياه .
(٩: ١٤) . وكما ان النور لا يجذب الانظار الى ذاته ، بل الى المرئيات التي يكشفها ،
كذلك جاء المسيح نوراً الى العالم ، ليرينا الله ما هو ومن هو . ولا يبرح
عن باننا ان المسيح تكلم في هذا العدد الاخير ، عن وظيفته ، لا عن مقامه

عدد ٤٧ - ٤٩ . (٢) مقام الغير المؤمن . اذا كان المجد من نصيب
من يؤمن بالمسيح ، فالدينونة واقعة على من لا يؤمن به . لانه كما ان شخص
المسيح ، هو مرآة تجليات شخص الآب ، كذلك كلامه ، مرآة فكر الآب . فهو
المحك الذي يدان به الغير المؤمنين . وجدير بنا ان نلاحظ الاهمية الكبرى
التي جعلها المسيح لكلامه ، اذ جعله في مقام شخصه بالذات : « وان سمع

احد كلامي ولم يؤمن فأنا لا ادينه . لاني لم آت لادين العالم بل
لاخلص العالم . ٤٨ من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه . الكلام
الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الاخير . ٤٩ لاني لم اتكلم
من نفسي لكن الآب الذي ارساني هو اعطاني وصية ماذا اقول
وبماذا اتكلم . ٥٠ وانا اعلم ان وصيته هي حياة ابدية . فما اتكلم انا
به فكما قال لي الآب هكذا اتكلم

احد كلامي ولم يؤمن» (عدد ٤٧) ، «من رذلني ولم يقبل كلامي» (عدد ٤٨) .
اما قول المسيح : «لاني لم آت لادين العالم . .» فارجع في تفسيره الى ١٥: ٨
من الكلام عن الدينونة الابدية ، في هذه الحياة ، انتقل المسيح الى
الكلام عن الدينونة الابدية ، في اليوم الاخير ، وبما ان كلامه ، هو مرآة
فكر الله وارادته ، فهذا الكلام هو خير شاهد في القضاء ، بل اكمل مقياس
للدنونة العتيدة . لانه وصية تسلمها المسيح من الله

عدد ٥٠ . مقام كهرم المسيح . «وانا اعلم ان وصيته هي حياة ابدية . .»
ان الوصية التي تسلمها المسيح من الآب ، ليست مأمورية تلقاها منه دفعة
واحدة قبل التجسد ، وانما هي رسالة متواصلة كانت تُبَاغ اليه على التوالي
حسب مقتضيات الاحوال . وقد تكلم بجزء منها للعالم الخارجي ، واما جزؤها
الباقى ، فسيحدث به الى التلاميذ الاختصاص فيما يلي . يُراد بقوله : «هي حياة
ابدية» ، انها تبعث الحياة في القلوب الميتة ، وتأتي بالناس الى معرفة الاله
الحقيقي وحده ، ويسوع المسيح الذي ارسله - هذه المعرفة هي الحياة الابدية

الاصحاح الثالث عشر

قدس الاقداس

بهذا الاصحاح ، يُستهل القسم الثاني الرئيسي في هذه البشارة الخالصة .
في القسم الاول أظهر المسيح ذاته للعالم ، وفي القسم الثاني أعلن ذاته لخاصته .
استغرقت حوادث القسم الاول ثلاثة وثلاثين عاماً ونيفاً من حياة المسيح ،
اما حوادث القسم الثاني فلم تستغرق الا يوماً واحداً . في القسم الاول ، وردت
كلمة : « آية » ١٦ مرة ، ولم ترد سوى مرة واحدة في القسم الثاني (٣٠ : ٢٠)
في القسم الاول ، أُجريت ٧ معجزات ، وفي الثاني تمت ٢٥ نبوة

في درسنا هذا الاصحاح ، والاربعة الاصحاحات التي تليه ، نشعر اننا دخلنا
« قدس الاقداس » في هيكل هذه البشارة ، بل « قداس اقداس » المعلنات
الالهية كلها . في هذه الاصحاحات الخمسة ، بنوع خاص يلتقي جلال لاهوت المسيح
وهيبته . بحنو ناسوته ورقته . وتجتمع في اقواله ، بساطة الكلام ، بعمق المعاني
في هذه الاصحاحات ، وقد حان وقت افتراق المسيح عن تلاميذه ، ودنت
ساعة ارتقاؤه الى الجلجثة ، كشف لتلاميذه القناع عن وجهه الوضي ، وفتح
لهم قلبه الرحيب ، ومن مكنوناته أخرج لهم لآلىء وجواهر ، قد يراها غيرهم
فيجهل قدرها ، لان كنوز المحبة لا يقدرها غير المحبين

في « قدس الاقداس » هذا ، الذي لا يُسمح بدخوله ، الا للذين جعلهم
المسيح « ملوكاً وكهنة » ، استراحت نفوس متعبة ، واطمأنت قلوب مضطربة ،
وتشدت ركب مخلعة . اما جدرانهم فكم سمعت من تأوهات استحالت الى

ترنيات، وكم شهدت من دموعٍ حالت الى ابتسامات. وكم أصغت الى أنات، آلت الى تشكرات. تنقسم هذه الاصحاحات الى ثمثة أقسام رئيسية :-

اولاً : المسيح ينقي التلاميذ بفعليين (١٣: ١ - ٣٠) : (١) بغسل أرجلهم (١٣: ١ - ٢٠). (ب) باماطة اللثام عن يهوذا (٣٠: ٢١ - ٣٠)

ثانياً : المسيح يشرح التلاميذ بسلسلة أماريث (١٣: ٣١ - ص ١٦) : (١) أماريث التي فاه بها في العلية (١٣: ٣١ - ١٤: ٣١). (ب) أماريث في الطريق (١٥ و ١٦)

ثالثاً : صمود لاهتنا ابو عظيم (١٧) : (١) المسيح والادب (١٧: ١ - ٥). (ب) المسيح والتلاميذ (١٧: ٦ - ١٩). (ج) المسيح والكنيسة (١٧: ٢٠ - ٢٦)

اولاً : المسيح ينقي التلاميذ بغسل أرجلهم (١٣: ١ - ٢٠). يقع هذا الفصل في ثمثة ادوار : (١) تمهيد (١٣: ١ - ٣) (٢) المسيح يغسل أرجل التلاميذ (١٣: ٤ - ١١). (٣) المسيح يوضح مفزى الخاتمة (١٣: ١٢ - ٣٠)

(١) تمهيد (١٣: ١ - ٣). نحن الآن في العلية التي كلف المسيح اثنين من تلاميذه باعدادها، وهناك اكل الفصح معهم، « قبل ان يتألم ». ويقول سائر البشيرين، ان خلافاً شجر بين التلاميذ عمن يكون الاعظم فيهم. من اجل هذا أراد السيد ان يظهرهم ويصهر ايمانهم

يستهل يوحنا البشير هذا الاصحاح بمقدمتين - امران عامتان (عدد ١)، وهي تمهيد لما عمله المسيح وما قاله في الاصحاحات الخمسة (ص ١٣ - ١٧). والثانية خاصة (عدد ٢ و ٣)، وهي منصبة على العمل الخاص الذي أجراه المسيح بغسله أرجل تلاميذه. وكل مقدمة منهما تتضمن ثلاثة ظروف ملازمة للفعل

١ أما يسوع قبل

الممتاز المهيّدة له . وكل ظرف من الثلاثة الظروف التي في المقدمة الاولى
يتمشى مع الظرف الذي يقابله في المقدمة الثانية . واليك البيان :

عدد ١	يقابله	عدد ٢ و ٣
الظرف الاول توقيت تاريخي	«... قبل عيد الفصح» (عدد ١)	«...» « حين كان العشاء » (عدد ١)
الظرف الثاني شعور يقيني	«... وهو عالم ان ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم الى الآب» (عدد ١ ب)	« يسوع وهو عالم ان الآب قد دفع كل شيء الى يديه وانه من عند الله خرج والى الله يعطي » (عدد ٣)
الظرف الثالث هالة نفسية	«... اذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم » (عدد ١ ج)	« وقد اتى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الاسخريوطي ان يسلمه » (عدد ٢ ب)
المعلم الممتاز الذي اظهره	« احبهم الى المنتهى » (عدد ١ د)	« قام عن العشاء ... » (عدد ٤)

من مميزات قلم يوحنا البشير ، انه يستهل اعمالاً واقوالاً للمسيح بمثل
هذه المقدمة ، التي تضم بين دفتيها ، توقيتاً تاريخياً ، وهالة نفسية . فمن مثيلاتها
٢٣:٢ - ٢٥ و ٢٢:٣ - ٢٤ . ان نسبة كل من هذه المقدمات الى الحادث
الذي يليها ، كنسبة المقدمة العامة ، للتضمنة في ١:١ - ١٨ ، الى البشارة كلها
عد ١ . صيغة عامة : «أما يسوع» - وهل يوجد اسم اعذب من هذا
الاسم المقدس ، ليكون براعة استهلال «قدس أقديس» هذه المعلنات الالهية ؟
الظرف الاول - توقيت تاريخي : « قبل عيد الفصح » . يذكرنا

عيد الفصح وهو عالم ان ساعته قد جاءت لينتقل

هذا الظرف التاريخي، بذاك الذي استهل به الاصحاح السابق : « قبل الفصح بستة ايام » (١٢ : ١). على ان التعبير الذي استهل به هذا الاصحاح ، يختلف نوعاً ما عن ذاك الذي أفتتح به الاصحاح السابق . هناك قيل : « قبل الفصح » ، وهنا قيل « قبل عيد الفصح » . يراد بـ « الفصح » ، ذلك العشاء الذي كانوا يأكلون فيه الحمل التذكاري ، في المساء الواقع في تمام اليوم الرابع عشر من شهر نيسان (مارس - ابريل) . (خروج ١٢ : ٨ ولأوين ٢٣ : ٥ وعدد ٢٨ : ١٦)

اما كلمة : « عيد الفصح » التي يُبدأ بها هذا الاصحاح ، فهي أعم واوسع من كلمة : « الفصح » ، فهي تشمل اليوم الرابع عشر ، الذي كانوا ينزعون فيه الخبز من البيت ، ويحسبونه عادة ضمن ايام العيد (عدد ٣٣ : ٣) . قابل هذا بما جاء في يشوع ١١ : ٥ حيث يُعتبر اليوم الخامس عشر، ضمن ايام عيد الفصح . فإذا قوله : « قبل عيد الفصح » يحملنا الى آواخر اليوم الثالث عشر من شهر نيسان، الذي صادف في تلك السنة يوم خميس . واما اليوم الرابع عشر الذي هو يوم نزع الخبز من السبت ، فقد وافق يوم جمعة ، وفيه رُفِعَ المسيح على الصليب ، في نفس الوقت الذي ذُبِحَ فيه حمل الفصح في الهيكل ، ليكون المسيح — حساً ومعنى — « فصحنا الاعظم » . على هذا الاعتبار ، يكون المسيح قد اكل الفصح مع تلاميذه قبل موعد الفصح المعتاد بيوم واحد

لمزيد الايضاح ، اطلب « شرح بشارة لوقا » للمؤلف ، صحتي ٥٥٢ و ٥٥٣
الظرف التالي — شهر يقيني : « وهو عالم ان ساعته قد جاءت لينتقل

من هذا العالم الى الآب

من هذا العالم الى الآب» هذا برهان ناسوته الكامل ، وحجة لاهوته الشامل . بناسوته الكامل أحسّ بذلك الاحساس عينه ، الذي يحيش في قلب كل انسان ، عند دنو ساعة توديعه اصدقاءه . فمن منا لا يشعر عند اقتراب ساعة الوداع ، ان القلب يكاد يضيق بما فيه من شعور فياض ، فيحاول ان يعبر عما يمكنه بكلمة ملتهبة ، او هدية ثمينة ، او خدمة جليلة ممتازة ؟ اما لاهوته الشامل فقد ترجم عنه علمه اليقيني بمجيء «ساعته لينتقل من هذا العالم» — حيث التقلقل ، والشقاء ، والغدر ، والخيانة ، «الى الآب» — هناك البقاء ، والراحة ، والامن ، والحب الخالص . اما «ساعته» ، فهي تلك التي قال عنها في مناسبات سابقة ، انها لم تكن قد أتت بعد (٢: ٤ و ٧: ٦ و ١١: ٩) — اعني بها ساعة صلبه الذي تُوج بالقيامة والمجد

يكنم الله عن الناس ساعة موتهم ، اشفافاً عليهم من هولها ، ورغبة منه في ان ينتفعوا من جهلهم بميعادها . فيكونوا مستعدين على الدوام للقاءه . أما المسيح ، المتحد بالآب ، فقد كان عليماً بهذه «الساعة» ، وواقعاً من أنها ليست بساعة موت ، بل ساعة «انتقال» من دائرة الى دائرة أرقى وأوسع . فهي اذاً ساعة ارتقائه ، ومجده ، ومآبه الى حيث اتى . اذاً لم يكن صلبه حكماً اجبارياً ، بل فعلاً اختيارياً . وما كان موته انحداراً الى القبر ، بل ارتفاعاً الى الآب

ومما يلذ لنا ذكره ، ان المسيح «وهو عالم ان ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم الى الآب» ، وموقن ان هذه الساعة مريرة بالآلام ، لم يسمح

اذ كان قد احب خاصته الذين في العالم احبهم الى

لآلامها بان تاهيه عن الاهتمام بتلاميذه ، بل انشغل بحبهم عن نفسه — هذا اقصى غاية الحب

الطرف الثالث — هاته نفسية : « اذ كان قد احب خاصته الذين في العالم » . ان محبة المسيح التي اظهرها لخاصته ، لم تكن عاطفة مرتجلة ، ولا هي بنت ساعتها ، كقطينة يونان ، التي ترعرعت في يوم وذبات في ليلة . بل كانت مبنية على تصميم أزلي . وان ازليتها خير ضمان لابديتها . فكل مياه لا بد مرتفعة الى المستوى الذي منه نبعث . كلمة : « خاصته » ، تعني الذين اشتراهم بدمه ، واقتناهم بحبه (اعمال ٢٣: ٤ و ٢٣: ٢٤ و ١ تي ٨: ٥) . ان « العالم » الذي كان المسيح مزماً ان ينتقل منه ، هو نفس « العالم » الذي ترك فيه « خاصته » . وردت كلمة : « العالم » ، في كتابات يوحنا ، في ٢٣: ٨ و ٣٩: ٩ و ١١: ٩ و ١٢: ٢٥ و ٣١ و ١٦: ١١ و ١٨: ٣٦ و رسالته الاولى ١٧: ٤ . وهي كثيرة الورد في كتابات بولس الرسول

العمل الممتاز الذي اظهره : « احبهم الى المنتهى » — اي اظهر لهم حبه الى الغاية . ان اقتراب ساعة افتراق المسيح عن تلاميذه ، لم يزد في حبه لهم . لان حبه ، نظير شخصه ، غير متغير . لكن المسيح اتخذ من هذه المناسبة الخاصة ، فرصة اظهر فيها اقصى حدود محبته ، كما لو اراد ان يستنفدها . ان قوله : « الى المنتهى » ، ليس قاصراً على وصف محبة المسيح في زمنها ومداهها ، بل يصفها أيضاً في نوعها ، وقياسها ، وشدةها — فقد احبهم

المنتهى. ٢ فحين كان العشاء وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا

الى غاية الحب. هذه العبارة: «الى المنتهى»، يقابلها القول: «قد ادركهم الغضب الى النهاية» — اي الى نهاية حدود الغضب (١ تسالونيكي ٢: ١٦)، وقوله: «ولما انتهى يشوع من ضربهم ضربة عظيمة» (يشوع ١٠: ٢٠)، وقوله: «فلم يهلكه تماماً» (٢ ايام ١٢: ١٢)

عدد ٣ و ٢. مقدمة خاصة: «فحين كان العشاء...». اذا اعتبرنا العدد الاول، مقدمة عامة لما عمله المسيح وما قاله في الخمسة الأصحاحات الآتية (ص ١٣ — ١٧)، فان عددي ٣ و ٢ يحسبان مقدمة خاصة لعمل المسيح الممتاز الذي اجراه بغسله ارجل تلاميذه. وهي نظير المقدمة العامة — تقع في نموة ادوار:

(١) الطرف الاول — نوبت تاربخي: «فحين كان العشاء» — اي ولما اجتمعوا معاً للعشاء، الذي اكاه المسيح مع تلاميذه، وفيه رسم فريضة العشاء الرباني (راجع تفسير العدد السابق). يغلب على اعتقادنا ان يوحنا البشير لم يذكر رسم فريضة العشاء الرباني، لان سائر البشيرين سبقوه الى ذلك. وكانت هذه الفريضة وقت كتابة بشارته أعرف من أن تعرف

الطرف الثاني — هاتئ نفسية: «وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الاسخريوطي». ما اعظم الفرق بين الموقف الروحي في هذا العدد، وبين ذلك الموقف الموصوف في العدد الاول: «اذ كان قد احب خاصته الذين في العالم»! ذاك وصف منير يكشف عن قلب المسيح الفياض بالحبية الازلية لخاصته، وهذا وصف مظلم يلتقي حجاباً كثيفاً على قلب يهوذا وقد

سمعان الاسخريوطي أن يسلمه . ٣ يسوع وهو عالم ان الآب قد

اختاره الشيطان حقلاً خصيباً التي فيه بزور مؤامراته وإيحاءاته . ان هذا التلميذ التعيس ، لم يحصن قلبه بالسهر والصلاة ، فلما جال الشيطان مفتشاً عن قلب يلقي فيه بذاره السامة، وجد قلب يهوذا كمدينة بغير سور، فألقى فيه بذاره ومن المحزن ، انها وجدت في هذا القلب التاعس تربة خصيبة ، فارتوت من مياه عدم اخلاصه ، واغتذت بمصارة حبه للمادة، فازهرت ، واثمرت هلاكاً لنفسه . لم يكن حب المسيح لتلاميذه ، حباً ارتجالياً وكذلك بغض يهوذا لسيدته لم يكن ايضاً ارتجالياً . وما كان كلام المسيح له (عدد ٢٦) ، الا نوراً كاشفاً القناع عن حقيقة نيّاته . ومن العجيب ان محبة المسيح لتلاميذه ، كانت بلا سبب ، وكذلك كانت كراهة يهوذا له . وخلق بنا ان نذكر ان يوحنا البشير ذكر هذا الخائن باسم الخاص : «يهوذا» ، واسم العام : «سمعان» ، ولقبه «الاسخريوطي» تمييزاً له عن «يهوذا ليس الاسخريوطي» (٢٢: ١٤)

عدد ٣. الطرف الثالث — شعور يقيني : «يسوع وهو عالم . . .» . يدخلنا هذا الكلام الى اعماق قلب المسيح، ويكشف لنا عن المعنى الحقيقي لاتضاعه . يختلف موضوع علمه المذكور هنا، عن ذاك الوارد في العدد الأول في هذا: هناك رأيناه عالماً بدنو ساعة اقتراقه عن خاصته ، وهنا نراه شاعراً بـ : (١) مقام الملكي وسلطانه المطلق : «ان الآب قد دفع كل شيء الى يديه» — هذا علمه بحقيقة حاضره . (٢) علو اصد وسمو رسلته : «وانه من عند الله خرج» — هذا علمه بحقيقة ماضيه . (٣) مهول ما به : «والى الله يمضي» — هذا علمه

دفع كل شيء الى يديه وانه من عند الله خرج والى الله يعضي .

بحقيقة مستقبله . بهذا الشعور المثلث الذي تناول حاضره ، وماضيه ، ومستقبله ، اتضع المسيح الى الحد الذي فيه غسل أرجل تلاميذه بما فيهم يهوذا الخائن . لم يكن اتضاع فادينا متنافيا مع شعوره بعظمته فان العظمة الحقيقية ليست عقبة في سبيل الاتضاع ، وانما هي خير باعث له ، وااقوى تحريض عليه . ومما يكسب عظمة المسيح ثوباً بهيئاً ، وضاعة مركز التلاميذ . ان الاستعباد لأجل العبيد هو العظمة مجسمة ، لكن الاسترقاق لأجل السادات ، هو العبودية بعينها . التواضع الاختياري ، عظمة مقننة ، والتواضع الالزامي ، مذلة سافرة .

(٢) العمل الممتاز الذي قام به المسيح - غسل أرجل التلاميذ ١٣: ٤-١١ . اننا مدينون ليوحنا المؤرخ الباطني الذي عرفنا في الاعداد السابقة ، بالحالة النفسية الداخلية التي كان عايشها المسيح ، فكانت تحريضاً له على اتيان العمل الجليل الذي قام به ، اذ غسل أرجل تلاميذه . وكذلك نحن مدينون ايضاً للوقا البشير المؤرخ ، لأنه أعلمنا بالموقف التاريخي الذي كان محيطاً بالتلاميذ ، فكان بمثابة فرصة خارجية ، هيأت للمسيح القيام بهذا العمل الفذ (لوقا ٢٢: ٢٤-٢٧) : « وكانت بينهم أيضاً مشجرة من منهم يُظن انه يكون اكبر » .

من هذا يتضح لنا ، ان المسيح وهو مشتبّع بالحالة النفسية التي وصفها قلم التلميذ الذي كان يسوع يحبه ، قد وجد في مشجرة التلاميذ مع بعضهم البعض ، فرصة سانحة لينزع من قلوبهم بقايا خمر الطمع ، والكبرياء ، والحسد ، قبل ان يأكلوا فصحهم الجديد

٤ قام عن العشاء وخلع ثيابه واخذ منشفة

يقع هذا الفصل في دورته رئيسيين : الدور الاول - غسل ارجل التلاميذ (١٣: ٤ و ٥). الدور الثاني : هو ارجل المسيح وبطرس (١٣: ٦ - ١٠). ثم ختمها يوحنا البشير بكلمة توضيحية (١٣: ١١)

الدور الاول - غسل ارجل التلاميذ (١٣: ٤ و ٥)

عدد ٤. (١) المسيح يهرباً لفرز العمل الجليل : « قام ... ». وصف البشير استعداد المسيح لهذا العمل بأربع خطوات متتابة، متدرجة، مما يدلنا يقيناً، على ان كاتب هذه الاوصاف الدقيقة كان شاهد عيان، فأخذ بهذا المشهد العجيب، الذي ترك في ذاكرته أثراً لم يمحه كراً الأيام ومرّ العشي. كان التلاميذ، في مسيس الحاجة الى من يقوم لهم بخدمة غسل الارجل من الأتربة والغبار، بعد المرحلة التي قطعوها من بيت عنيا الى اورشليم في حرّ النهار

ومن المرحح ان كلا منهم امتنع عن القيام بهذه الخدمة الوضيعة ، فكان رب المجد اسبقهم اليها . اما الخطوات الأربع التي اتخذها المسيح في هذا العمل الاعدادي ، فهي : (١) « قام عن العشاء » - ولا شك ان عيون الجميع شخصت اليه متفرسة ، منتظرة ان ترى ماذا ينبغي من قيامه هذا . (٢) « خلع ثيابه » الخارجية ، وبينها ذلك الثوب المنسوج كله بغير خياطة . وغالباً هذه هي الثياب عينا التي اقتسمها الجنود عند الصليب (٣) « أخذ منشفة » - هذا هو المنديل الذي كان يلبسه العبيد عند قيامهم بخدمة أسيادهم. فياله من تواضع عجيب ! (٤) واتخذ بها - كما يتمنطق العبد الواقف على

واترربها . ٥ ثم صب ماء في مغسل وابتدأ يغسل ارجل التلاميذ

خدمة سيّده . هل كنت مقدراً هذا الصنيع يا يهوذا ؟ وهل أدركت قيمته يا بطرس ؟ وهل تقدرينه انت يا نفسي ؟ وجدير بالذكرا انه لا يوجد عنصر ناقص في استعداد المسيح . لان كل عمل يقوم به ، يتمه على اكل صورة

عدد ٥ . (ب) المسيح يغسل ارجل تلاميذه : « ثم صب ماء . . . وابتدأ يغسل . . . ويمسحها بالمنشفة » . هذه ثمرة درجات متتابعة في هذه الخدمة الشريفة . ومع انه كان في امكان المسيح ان يكلف غيره بمعاونته في احد أركان هذه الخدمة او في بعضها ، الا انه رضي أن يقوم هو وحده بكل أركانها . حتى متى حان الوقت الذي يقول فيه : « قد أكل » ، لا يبقى مجال لانسان ما ، ان يدّعي ان كانت له يد في ما عمل المسيح

(١) « صب ماء في مغسل » — كان الماء موضوعاً عادة في ردهة الطعام ، لمثل هذا الغرض (انظر ٢ ملوك ١١: ٣)

(٢) « ابتدأ يغسل ارجل التلاميذ » لو غسل للمسيح عيون التلاميذ ، لحسب هذا منةً منه وتكرماً . ولو غسل أيديهم ، لكاف هذا منه منتهى التواضع . اما وقد تنازل وغسل أرجلهم القذرة ، فان الملاذكة وحدهم ، قد يستطيعون ان يقدروا هذا العمل الجليل . يقول اهل التلمود — في تفسيرهم ما جاء بحزقيال ١٦: ٩ — « عند البشر ، يقوم العبيد بغسل اقدام اسياهم . ولكن عند الله ، الامر بالعكس » . (انظر تكوين ١٨: ٤ و ١٩: ٢ و ٢٤: ٣٢ و ٤٣: ٢٤ وقضاة ١٩: ٢١ و ١ تيموثاوس ٥: ١٠) . ان كلمة « ابتدأ » كثيرة ورود في

ويعسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها.

كتابات سائر البشرين ، لكنها لم ترد في يوحنا سوى هذه المرة . ويهمننا ان نلاحظ، ان « الغسيل » يعبر عنه في اللغة اليونانية بموت كلمات وردت كلها في العهد الجديد ، ولكل منها معنى خاص . فالكلمة الاولى وردت في مرقس ٧: ٣ وهي تعني غسل جزء من الجسد كاليدين والرجلين — هذه هي الكلمة المستعملة في هذا العدد . وقد وردت خمس مرات آخر في الاعداد التالية عند الكلام عن غسل الرجلين . والكلمة الثانية تعني غسل الجسد كله (الاستحمام) — هذه هي الكلمة الواردة في عدد ١ من هذا الاصحاح . والكلمة الثالثة تفيد غسل الملابس وقد وردت في سفر الرؤيا ١٤: ٧ و ١٤: ٢٢ وسنكتبين ضرورة التمييز بين هذه الكلمات الثلاث لدى بلوغنا العدد العاشر .

(٣) « وعسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها » — لكي يكمل تعب محبته

« قام عن العشاء » و « خلع ثيابه » و « أخذ منشفة » و « أترز بها » ثم « صب ماء في مفسل » و « ابتدأ يغسل ارجل التلاميذ » و « يعسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها » — هذه سبع خطوات تاريخية متتابعة ، قد تحمل بين ثناياها رمزاً ضمنيّاً الى الخطوات التاريخية الخالدة التي اتخذها القادي في تنفيذه تدبير القلاء المجيب . فقيامه عن العشاء ، يرمز الى تركه أمجاد السماء . وخلعه ثيابه ، يشير الى اخلاّته نفسه . وأخذه المنشفة ، يُكنى به عن لبسه جسم بشريتنا . وأترزه بالمنشفة يرمز الى أخذه صورة العبد . وصبه الماء في المفسل ، يشير الى بذله دمه الثمين لأجلنا . وغسله ارجل التلاميذ ، يُكنى به عن تطهيره اياهم . ومسحه ارجلهم ، يرمز الى اتمامه عملية التقديس .

٦. فجاء الى سمعان بطرس فقال له ذاك يا سيد انت

هوار بين المسيح وبطرس (١٣: ٦ - ١٠). يقع هذا الحوار، في نموة أدوار - وفي كل دور منها كان بطرس البادئ بالكلام. في الدور الاول (١٣: ٦ و ٧)، نرى بطرس مستقرها متعباً. وفي الدور الثاني (١٣: ٨)، نجد بطرس متعباً ممانعاً. وفي الدور الثالث (١٣: ٩ و ١٠) نشاهد بطرس منزعجاً متطرفاً. وفي كل دور من هذه الثلاثة الادوار نرى القادي المحب، معالجاً ضعفات بطرس بلطف حازم لا يأتيه الضعف من ناحية من نواحيه

عدد ٦. الدور الاول (١٣: ٦ و ٧). (١) بطرس مستقرها متعباً.

«فجاء الى سمعان بطرس..». يقول تقليد قديم: «ان المسيح، عند ما شرع في غسل ارجل تلاميذه، ابتداءً بيهوذا الذي خانته، واختتم ببطرس الذي انكره، لكي يفهم يهوذا أنه أحبه فضلاً، ولكي يقدم لبطرس اطول وقت ممكن، ليعتبر فيه بتواضع سيده العجيب». ومهما يكن نصيب هذا التقليد من الصحة، فانه يكاد يكون من المحقق، ان بطرس لم يكن أول من غسل المسيح رجليه (عدد ٢٤). يؤيد هذا قول البشير: «فجاء الى بطرس». ويغلب على اعتقادنا، ان بطرس، بعد ان رأى ان من سبقوه من التلاميذ، سمحوا للمسيح بان يغسل ارجلهم، أراد أن يسبقهم هو الى فضيلة التواضع، لينرهن على انه أعظم منهم في هذا الباب أيضاً. لذلك سأل متعجباً: «يا سيد أنت تغسل رجلي؟!». هذا تكبر مقنع يدل على محبة ذات كامنة في القلب. ان احترام بطرس لسيده، ظاهر من تنبيره على ضمير المخاطب: «أنت»، وعلى

تفسل رجلي . ٧ أجاب يسوع وقال له لست تعلم أنت الآن ما أنا
أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد ٨ قال له بطرس لن تفسل رجلي
أبدًا . أجابه يسوع

ضمير المتكلم في : «رجلي» . غير أنه احترام زائف . فهو وليد عدم الاحترام
الحقيقي (انظر متى ٢٢: ١٦) . لان أثبت علامة للاحترام ، هي الطاعة

عد ٧ . جواب المسيح : «أجاب يسوع وقال له لست تعلم أنت الآن ما أنا
أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد» - كما نبرّ بطرس ، في سؤاله ، على ضميري
المخاطب والمتكلم ، كذلك وضع المسيح النبرة في جوابه ، على كلمتي : «أنت»
و «أنا» . ان في جواب المسيح مظهرين متقابلين . فقوله في الشطر الاول :
«لست تعلم» ، يقابله قوله في الشطر الثاني : «لكنك ستفهم» . وكلمة «الآن»
تقابلها كلمة : «فيما بعد» . غالباً فهم بطرس اول معنى من معاني اتضاع المسيح ،
عند ما أوضح المسيح له ، ولسائر التلاميذ ، مغزى هذا العمل الجليل الذي قام
به (عدد ١٤) . لكن المعنى العميق ، لم يفهمه بطرس الا «فيما بعد» ، لما أرسل
الروح القدس بملئه الى الكنيسة . والمعنى الاكمل ، لم يفهمه بطرس الا «فيما بعد»
حينما رفع هو على الصليب منكس الرأس - كما يحدثنا التقليد

عدد ٨ . الدور الثاني : بطرس مخنجا ممانعا : « قال له بطرس لن تفسل
رجلي أبدًا» . في عدد ٦ ، رأينا بطرس مستفهماً . وكأن لطف السيد قد شجعه
على التمادي في موقفه ، فأضحى الآن رافضاً ، ومتصلياً في رفضه الى النهاية : «لن»
جواب المسيح «أجاب يسوع ان كنت لا أغسلك فليس لك معي

ان كنت لا اغسلك فايس لك معي نصيب .

نصيب» . إن تشدد بطرس في رفضه خدمة التواضع المقدمة له من المسيح ، جعل السيد يتشدد أيضاً في إقحام بطرس حقيقة موقفه . وما كان أشد وقع هذه الكلمات على أذني كلیم الرسل : « ليس لك معي نصيب ! » وفي الغالب لم يكن بطرس منتظراً ان يسمع من فم المسيح مثل هذه الكلمات ، جواباً على مماثته التي لم يقصد بها سوى مبالغته في التواضع . الا أنه اتضاع نعم عن كبرياء و صلف . ولعل المسيح قصد بجوابه هذا ، أن يضع بطرس على المحك الحقيقي ، فيرى ما اذا كان يقدر حرمانه من سيده ، فيعدل عن امتناعه ، أم يصر على موقفه مضحياً بهذه الصلة القدسية ؟ يراد بـ « الغسل » ، غفران الخطايا ، في الولادة الجديدة . ويعبر عنه أيضاً ، بـ « غسل الميلاد الثاني » (تيطس ٣: ٥) و « غسل الماء بالكلمة » (أفسس ٥: ٢٦) . و « الميلاد من الماء والروح » (رو ٥: ٣)

أما « النصيب » الذي أراده المسيح ، فهو القسم الذي يصيب الرؤوس من غنيمة ظفر بها رئيسه (يشوع ٢٥: ٢٢ و ٢ صموئيل ١: ٢٠ و ١ ملوك ١٢: ١٦) وهو يشير : إما الى نصيب بطرس من المسيح في الحياة الحاضرة ، او نصيبه في الحياة العتيدة . على أن جواب المسيح ، لم يكن فيه شيء من الصرامة ، فهو نتيجة طبيعية لتطرف بطرس ، لأنه برفضه خدمة التواضع التي قدمها له المسيح ، برهن على انه كان بعيداً عن « روح المسيح » . « ومن ليس له روح المسيح فذلك ليس له » . هذا يؤيده قول المسيح « الحق الحق أقول لكم ان لم ترجعوا وتصيروا مثل هؤلاء الاولاد ، فلن تدخلوا ملكوت السموات . فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الاعظم في ملكوت السموات » (متى ١٨: ١-٤)

٩ قال له سمعان بطرس يا سيد ليس رجلي فقط بل ايضاً يدي ورأسي . ١٠ قال له يسوع . الذي قد اغتسل ليس له حاجة الا الى

عدد ٩ و ١٠ . الدور الثالث — بطرس منرفعاً متطرفاً « قال له سمعان بطرس يا سيد ليس رجلي فقط بل ايضاً يدي ورأسي » ان هذا القول يرسم أمامنا صورة وافية لبطرس كما عهدناه في اندفاعه ، وتطرفه . فمن الرفض بإباء في عدد ٨ ، الى رفض ذلك الرفض ، بنفس ذلك الإباء . قبلاً رفض رغبة للمسيح ، والآن نراه طالباً أكثر بما رغب المسيح . لم يطلب المسيح منه سوى غسل رجليه ، لكنه بعد ان رفض بتطرف ، عاد فطلب غسل رجليه ، وزاد عليهما يديه ، ورأسه . هذا هو بطرس بعينه الذي نراه في سائر البشائر . ففي لحظة يندفع ليمشي على الماء . وبعد لحظة أخرى يصرخ قائلاً : « اني هلكت » . بغير استئذان ، يقطع أذن عبد رئيس الكهنة ، وفي لمح البصر يهرب كالجبان . في برهة يندفع داخلاً بيت رئيس الكهنة ، وبعد هنيهة ، ينكر سيده أمام جارية . مثله مثل « رقاص الساعة » ، لا ينتقل من ابعد نقطة عن اليسار الا الى ابعد نقطة عن اليمين . واما الموقف الوسط فلا يعرفه .

عدد ١٠ جواب المسيح : « قال له يسوع الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا الى غسل رجليه » . كلمة : « اغتسل » ، تختلف في الاصل ، عن كلمة « غسل » . فالاولى تعني غسل كل الجسد بالاستحمام في الصباح ، وهي ترمز الى غسل الميلاد الثاني دفعة واحدة عند التجديد — هذا العمل لا يتكرر في اختبار المؤمن . ولكن الثانية ، تعني تنظيف القدمين مما علق بهما من غبار

غسل رجله بل هو طاهر كله . وانتم طاهرون ولكن ليس كلكم .
 ١١ لانه عرف مسلمه . لذلك قال لستم كلكم طاهرين . ١٢ فلما
 كان قد غسل ارجلهم واخذ ثيابه واتكأ ايضاً قال لهم

الطريق اليومي . وهي ترمز الى عملية التقديس التي تتكرر مراراً في اختبار
 المؤمن . من اجل هذا ، قال المسيح لبطرس : «الذي قد اغتسل ليس له حاجة
 الا الى غسل رجله» . اراد المسيح ان يعلم بطرس وسائر التلاميذ ، درساً في
 التواضع ، بغسل الرجلين . لان هذا العمل يتطلب انحناء . واما غسل اليدين
 او الرأس ، فلا شيء فيه من معنى التواضع . (راجع شرح عدد ٥)

ما اسرع انتقال المسيح من الماديات الى الروحيات (١٣: ٤) ! فمن الكلام
 عن الغسل للمادي انتقل الى الكلام عن الطهارة الروحية «بل هو طاهر كله
 » وانتم طاهرون ولكن ليس كلكم « — لان بينهم واحداً لم يكن قد اغتسل
 بعد بغسل الميلاد الثاني . فلم يكن قد تطعم بعد ، في الكرم الحقيقية . وهذا
 الواحد هو الذي كان أحوجهم الى ما طلبه بطرس — الى غسل الرجلين ، وأيضاً
 اليدين والرأس . هذه اول اشارة خفية الى خيانة يهوذا الوشيمة الظهور ، بل
 ربما كانت هذه اول نبذة من ذلك الصوت العلوي ، الذي أريد به ردّ يهوذا
 عن ضلال طريقه . ولكن ما تقع الأصوات ، لمن قد وضع اصابعه في اذنيه !
 عدد ١١ . كلمة تفسيرية : «لانه عرف مسلمه . . » هذا دليل على ان

المسيح لم يؤخذ بخيانة يهوذا على غرة

المسيح يوضح تلميذه مفزى بهذا الحادث (١٣: ١٢-٢٠) . تكلم

أتفهمون ما قد صنعت بكم . ١٣ انتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً
تقولون لاني انا كذلك . ١٤ فان كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت
ارجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم ارجل بعض . ١٥ لاني

المسيح في هذا الفصل عن امرين : (١) عظيم القوم خادمهم (١٣: ١٢-
١٧) . (٢) ومجرد الخصى بين الجواهر (١٣: ١٨-٢٠)

عدد ١٢-١٧ . (١) عظيم القوم خادمهم (١٣: ١٢-١٧) . بعد
ان أتم المسيح هذه الخدمة الجليلة ، لبس ثيابه التي كان قد خلعها ، وعاد
فاتكاً . ثم فتح فاه قائلاً : « اتفهمون ما قد صنعت بكم . انتم تدعونني معلماً
وسيداً . وحسناً تقولون . لاني انا كذلك » . من هذا نفهم ان التلاميذ كانوا
يطلقون على السيد لقبين : اولهما « معلم » — وهو يصف المسيح في تنويره
العقل والقلب . وثانيهما : « سيد » وهو يصف المسيح في تسلطه على الحياة ،
وسيادته عليها ، وامتلاكه اياها . اللقب الاول تقابله في اللغة الارامية ، كلمة :
« ربّاي » . والثاني تقابله كلمة « مار » . اللقب الاول يفترض ان تابع المسيح
تلميذه له . واللقب الثاني يفترض انه عبده له . وقد ذكر هذان اللقبان من
الادنى الى الاعلى — « معلم » ، « سيد » ، على سبيل التدرج

عدد ١٤ و ١٥ . مثلنا الاعلى . « فان كنت . . . لاني اعطيكم
مثلاً ، حتى كما صنعت انا بكم تصنعون انتم ايضاً » — هذا هو مثلنا الاعلى .
ظن فريق من المسيحيين ان المسيح اراد حذيفة هذا الفعل بقوله : « فأنتم
يجب عليكم ان يغسل بعضكم ارجل بعض » . فاصدر مجمع توليدو قراراً

اعطيتمكم مثلاً حتى كما صنعت انا بكم تصنعون انتم ايضاً .
 ١٦ الحق الحق اقول لكم انه ليس عبد اعظم من سيده ولا رسول

سنة ٦٩٤ ميلادية ، يقضي بضرورة ممارسة هذا الفعل كفريضة ، في اسبانيا والغال ، مساء « خميس العهد » من كل سنة . والى يومنا الحاضر ، يمارسها رئيس الكنيسة الرومانية ، في حفل حافل ، تحف به مظاهر الابهة والجلال ، وترنم له اناشيد الاطراء والتعديد . وكان ملوك انجلترا يمارسون هذه العادة كفريضة ، حتى ايام حكم جيمس الثاني . على ان المسيح لم يقصد شكل ذلك الفعل ولا صورته ، لان الشكل والصورة ، أوحى بهما ظروف الحادثة المحلية . وهما عرضة للتقلب ، حسب مقتضيات الظروف والملابسة لهما . فقد تتخذ هذه الخدمة شكل التنازل عن حق ، أو « شكل » البدء بالاستغفار بين شخصين متنازحين ، أو « شكل » الصبر على الاذى ، بقلب صفوح غافر . « فالشكل » ليس بذى خطر ، ولكن « الموضوع » ذو خطر بعيد الأثر

ان المبدأ الذي قصده المسيح ، هو : ان العظمة الحقيقية ، هي العظمة متواضعة . وان التواضع الحقيقي هو التواضع خادماً ، وان الخدمة الحقيقية هي الخدمة مخلصه ومخلصه . وان عظيم القوم خادهم . ومما يجدر بنا ملاحظته ان المسيح ، وان يكن مثلاً لنا في كل شيء — في المحبة ، والطهارة ، والكلمات الاخلاقية ، الا انه بنوع خاص مثال لنا في التضعية (٢ بطرس ٢: ٦)

عدد ١٦ . السيد مثال للعبد . من المحال ، ان يكون العبد احقر من ان يقوم بعمل قام به سيده من قبل . او ان يكون الرسول أشرف من ان

اعظم من مرسله . ١٧ ان علمتم هذا فطوبواكم ان عملتموه . ١٨ لست اقول عن جميعكم .

يؤدي رساله ، قد سبقه سيده في تحمل اعبائها . ولقد ورد ذكر هذا المبدأ في مناسبات أخرى (لوقا ٤٠: ٦ ومتى ١٠: ٢٤ و ٢٥)

عدد ١٧ . تطويب العالم العامل . هنا اضاف المسيح تطويبة جديدة الى قائمة التطويبات التي استهل بها ، وعظته على الجبل (متى ٥) — اعني بها « الطوبى » التي يناها العالم العامل : « ان علمتم هذا فطوبواكم ان عملتموه » . سهل على المرء ان يعرف لزوم خدمة الآخرين ، واسهل منه ان يتكلم عن اللذة الكامنة في القيام بخدمتهم ، لكن من الصعب جداً ان يطبق الانسان العلم على العمل سيما في هذا الباب . وان من يقوى على هذا ، هو السعيد حقاً ان المسيحية الحقيقية ، هي المسيحية الخادمة — لا من المنبر ، « بكلام واللسان » ، بل في سبل الحياة ، « بالعمل والحق »

(٢) ومهرد المصى بين الجواهر (١٨: ١٣ ٢٠)

ان غبطة التلميذ الحقيقي ، المقدم نفسه قرباناً على مذبح خدمة الآخرين ، تقابلها شقاوة ذلك « التلميذ الزائف » الذي قدم سيده على مذبح منفعة الذاتية . هذا هو الفكر الذي يربط هذا الفصل بسابقه . فبعد ان تكلم المسيح والسرور يطفح على محياه ، عن سعادة التلميذ الحقيقي ، تكلم والحزن يملأ قلبه ، عن شقاوة يهوذا الذي « اكل معه الخبز » مدة ثلاث سنوات — والثلاثة عدد كامل — وفي نهايتها « رفع عليه عقبه » . « لست اقول عن جميعكم

انا اعلم الذين اخترتهم. لكن ليم الكتاب. الذي يأكل معي الخبز رفع
علي عقبه. ١٩ اقول لكم الآن قبل ان يكون

انا اعلم الذين اخترتهم» — ليس هذا اختيار التلاميذ للخلاص قبل تأسيس
العالم ، وانما هو اختيارهم للتلمذة والرسولية منذ بدء خدمة المسيح الجهرية .
ومع ان المسيح كان « يعلم الذين اختارهم ، لكن » — اختار يهوذا وهو عالم
به هو ايضاً — « ليم الكتاب » — القائل — « الذي يأكل معي الخبز رفع
علي عقبه » . ورد هذا القول في مزمو ٩٠: ٤١ ومع انه ينطبق مبدئياً على
اختيول مشير داود وخائنه ، الا انه ينطبق كلياً على يهوذا الاسخريوطي
تلميذ يسوع ، ومسلمه . ان رفع العقب بعد الاكل هو من عمل الحيوان الناكِر
الجميل ، الذي بعد ان يأكل العلف يرفس صاحبه . وقد استعملت هنا مجازياً
للتعبير عن جحود الانسان ، وتعمره الاذى ، والغدر . ومن المؤسف ان
الانسان ، قد يهوى الى درك الحيوان ، وقد يسمي أخط واسفل : « الثور
يعرف قانيه ، والحمار معلق صاحبه . اما شعبي فلا يعرف » (اشعيا ٣١: ٣)
يُستنتج من قوله « ليم الكتاب » ، ان خيانة يهوذا ، لها مكانها في
تدبير الله الازلي . والظاهر ان يوحنا استعمل هذه العبارة « ليم الكتاب »
من قبيل القول : « مصداقاً لما جاء في الكتاب » (انظر ايضاً ١٨: ٩ و ١٧: ١٢)

عدد ١٩ . مبر عشرة يستحيل الى مبر معرفة : « أقول لكم الآن قبل
ان يكون » — أي قبل أن تظهر خيانة يهوذا — « حتى متى كان » — أي
متى تمت هذه الخيانة ، بانتهاك — « ليم الكتاب » — لا هذا الكتاب

حتى متى كان تؤمنون اني انا هو . ٢٠ الحق الحق اقول لكم الذي
يقبل من أرسله يقبلني . والذي يقبلي يقبل الذي ارسلني

الذي اقضى به المسيح الى تلاميذه عن خيانة يهوذا قبل ظهورها، لصارت لهم
حجر عثرة . اما وقد نبههم القادي الى الخطر قبل وقوعه ، فمتى وقع بعد هذا
التنبيه، أضحي وقوعه «حجر معونة» في صرح ايمانهم، اذ يتأكدون حينئذ ان
قاديهم يعلم بالمستقبل ، علمه بالحاضر والماضي . ويعتقد المفسر وايس ، ان خيانة
يهوذا صارت سبباً في ازدياد ايمان التلاميذ بالمسيح ، لانها عجبت بالصليب،
والقيامة، والصعود—وبهذه الخطوات ، أعلن لهم سيدهم ، رباً ومسيحاً

عدد ٢٠ . بحر الرسول مشتهر من بحر مرسله : «الحق . الحق . اقول لكم
الذي يقبل من أرسله يقبلني والذي يقبلني يقبل الذي ارسلني» . بعد ان تكلم
المسيح في عددي ١٨ و ١٩ ، عن شقاوة يهوذا ، عاد الى كلامه الذي بدأه في
عددي ١٦ و ١٧ عن غبطة التلاميذ الحقيقيين ، فأكد لتلاميذه في هذا العدد
ان الرسول الأمين لا تفترق عنه شخصية مرسله : «الذي يقبل من أرسله
يقبلني والذي يقبلني يقبل الذي ارسلني» . في عدد ١٦ قرر المسيح أن الرسول
ليس بأعظم من مرسله ، وفي هذا العدد أكد ، ان الرسول ليس دون مرسله

اذا كانت هذه الكلمات تبين عظمة مكافأة خادم المسيح الأمين ، فهي
أيضاً تصف المكافأة العظمى التي يحظى بها من يرحبون بخُدَّام المسيح، كما انها
تحدد المسؤولية الخطيرة الواقع تحتها من يرفض خُدَّام العلي

٢١ لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال الحق الحق اقول لكم ان واحداً منكم سيسلمني . ٢٢ فكان التلاميذ

ثانياً . المسيح يميّط اللثام عن يهوذا (١٣: ٢١ - ٣٠)

هذا هو العمل الثاني الذي به تقى المسيح تلاميذه في تلك الليلة الوداعية إذ انتزع من بينهم ذلك العضو الدخيل - يهوذا الاسخريوطي - الذي تمثلت فيه الآمال العالمية التي كانت تنتظر مسيحاً سياسياً أرضياً غير المسيح المخلص الروحي ، فاصطدمت بصخره وتحطمت

عدد ٢١ . شعور المسيح تجاه هذا الحادث المروع . يحدثنا هذا العدد عن أمرين - أولهما مبلغ احساس المسيح بهذا الحادث الجلل : «لما قال يسوع هذا» - أي كلامه عن خيانة يهوذا - «اضطرب بالروح» . ليس هذا اضطراب الخوف أو الجزع ، وإنما هو شعور عميق روحي تولّد في روح القادي الانسانية ، تجاه أكبر خيانة في التاريخ ، لأن المخلص ، رأى وراء هذه الخيانة ، شبح يهوذا الذي كان واحداً من أتباعه ، ووراء يهوذا الخائن ، شبح ابليس الغادر الذي استجمع كل قواه لمحاربة قدوس الله (راجع شرح ١١: ٣٣)

الأمر الثاني : تصريح المسيح من مهول هذا الشعور : «وشهد وقال الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمني» ، لقد صرح المسيح في هذه العبارة ، بما سبق فلمّح به في عددي ١٠ و ١٨ ، كما تدل عليه كلمة : «شهد» . ان قوله : «الحق الحق» ، يعطي لهذا التصريح يقينية أكيدة

عدد ٢٢ . هيرة التلاميذ الناشئة عن عدم تفهم بعضهم البعض ،

ينظرون بعضهم الى بعض وهم مختارون في من قال عنه . ٢٣ وكان متكئاً في حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه .

وعن شكرهم في انفسهم : «فكان التلاميذ ينظرون بعضهم الى بعض وهم مختارون في من قال عنه». لم يكن شك التلاميذ متجهاً الى كلام القادي ، بل كان منصّباً على أشخاصهم . ويحدثنا متى البشير (متى ٢٦: ٢٢ و ٢٥) أنهم «حزنوا جداً وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل انا يا رب ؟» ومن العجيب أن يهوذا أيضاً سأل قائلاً : «هل أنا هو يا سيد» ؟. والظاهر أن المسيح أجاب على تساؤلهم جميعاً ، بذلك الجواب العملي الذي دونه يوحنا في عدد ٢٦

عدد ٢٣ — ٢٥ . بطرس وبرنابا وعاملاونه انه يتعرفا شخصية الخادم . كان المسيح وتلاميذه متكئين حول مائدة العشاء ، فكان كل منهم متوكئاً بذراعه اليسرى على وسادة ، مسنداً رأسه ، وهو يأكل بذراعه اليمنى ، وماداً رجله الى الخلف . وعلى هذا الوضع ، كان رأس كل منهم قريباً من صدر المتكئ عن يساره -- هذا معنى القول «متكئاً في حضنه» . لأن هذا هو المكان الذي كان يشغله يوحنا بالنسبة الى المسيح في هذا العشاء الاخير . لذلك قال البشير «وكان متكئاً في حضن يسوع واحد من تلاميذه . كان يسوع يحبه» — قاصداً نفسه بهذا القول . فقد أجمع كل مؤرخي العصور الاولى على ان يوحنا البشير هو المعني بالقول : «واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه» (عدد ٢٣)

راجع المقدمة العامة في صدر هذا التفسير ، تظهر لك هذه الحقيقة

٢٤ فأوماً اليه سمعان بطرس ان يسأل من عسى ان يكون الذي قال عنه . ٢٥ فأثكأً ذاك على صدر يسوع وقال له يا سيد من هو . ٢٦ اجاب يسوع هو ذاك الذي اغمس انا اللقمة واعطيه . فغمس

عدد ٢٤ . بطرس يرمي الى يوحنا ليتعرف حقيقة الامر . يستفاد من كلمة «أوماً» ، ان بطرس كان متكئاً قبالة يوحنا ، وغالباً كان بعيداً عنه حتى أنه استعمل الایماء دون الكلام ، وأنه (بطرس) ، لم يكن متكئاً في جوار المسيح ، والا كان قد سأله هذا السؤال بنفسه ، من غير أن يوسط يوحنا . فيا ترى ما هو قول الذين يحتكرون الزعامة لبطرس دون سواه من الرسل ؟

عدد ٢٥ : يوحنا يلبي نداء بطرس . لبي يوحنا النداء ، الذي استوحاه اليه بطرس ، بإيمانه فال بذراعه اليسرى ولامس صدر يسوع . وقال له : «يا سيد من هو» ؟

عدد ٢٦ . جواب المسيح . قضت عادة اليهود ، في ممارستهم الفصح ، أن يتصدّر رب العائلة مائدة العشاء ، ويقدم لضيوفه قطعة من لحم ، أو لقمة خبز ، مغموسة في خلاصة فاكهة ممزوجة بعصير العنب . فاتخذ المسيح من هذه العادة القديمة ، أداة بها أجاب يوحنا ، جواباً عملياً ، على سؤاله الذي أوحى به بطرس اليه . وكان هذا الجواب العملي ، متفقاً عليه بين المسيح ويوحنا وحدهما : «فغمس اللقمة وأعطاهم ليهوذا الاسخريوطي» . لم يكن اذاً في إعطاء المسيح هذه اللقمة ليهوذا أي احراج لمركز يهوذا ولا ثمت تحريض له على القيام بفعلته الشنعاء . فقد كان في امكان يهوذا أن يرى في اللقمة علامة جديدة من علائم

اللقمة واعطاها ليهوذا سيمان الاسخريوطي . ١٧ فبعد اللقمة دخله الشيطان . فقال له يسوع ما انت عمله

محبة المسيح له — تلك المحبة التي لا تعرف نهاية لانها ازلية لا بداية لها . لكنه بدلاً من أن يفتح قلبه لعوامل الخير، فتحه للشيطان، وأدخله اليه على الرحب والسعة، وبدلاً من أن يتشدد بالرب، تقوى بالشيطان

عدد ٢٧ (١). الشيطان يحل قلب يهوذا امتمرو مؤبراً . «فبعد اللقمة دخله الشيطان». كما أن دخول الروح القدس قلب انسان ما، يتم تدريجياً، وبارادة الانسان نفسه، كذلك دخول الروح النجس، يتم أيضاً تدريجياً (عدد ٢)، وبرى الانسان نفسه

ظن بعضهم خطأ أن دخول الشيطان قلب يهوذا، كان نتيجة تأثير سحري، فعلته اللقمة في قلب يهوذا . لكن بطلان هذا الظن، يتضح لنا، متى ذكرنا أن الشيطان لم يدخل قلب يهوذا مع اللقمة، بل بعدها . فكان هذه اللقمة كانت آخر شعاع من نور المحبة، وجهه المسيح الى قلب يهوذا . واذ رفضه يهوذا، أدخل نفسه الى ظلمة الليل الدامس طائعاً مختاراً

عدد ٢٧ . (ب) رسالة المسيح الاخيرة الى يهوذا : «فقال له يسوع ما أنت عمله فاعمله باكثر سرعة» . ليس في هذا القول، تصريح ولا تحريض من المسيح ليهوذا ، بأن يشرع في أمر لم يكن قد بدأ به ، لكنه حث من المسيح ليهوذا ، لينجز ما سبق فشرع فيه بنيتة — والأعمال بالنيات . فلم يقل له المسيح : ما أنت «ستعمله» بل : ما أنت «تعمله» — أي ما قد شرعت فيه

فاعمله بأكثر سرعة . ٢٨ وأما هذا فلم يفهم أحد من المتكئين لماذا
كلمه به . ٢٩ لان

فعلاً ، أتجزه بسرعة . هنا ذكر المسيح تصريحاً ، ما فاه به في عدد ٢٤ تلميحاً
الآن ، وقد وطن يهوذا نفسه على فعل الشر ، وادخل نفسه ، باختياره ،
في منطقة العدو ، رغم كل نداء ، معتقداً بأن السيد صار في قبضة يديه ، لم يجد
المسيح بداً من أن يستعشه على اتمام مأموريته التي شرع فيها ، سيما وان الليل
قد أرخى سدوله (عدد ٣٠) ، والقادي يريد وقتاً يخلو فيه الى خاصته ليبوح
لهم بأسرار قلبه قبيل ساعة الوداع ، فلا مندوحة من أن يزيح هذا «الحاجز»
الآدمي الكثيف الذي كان يحول دون كشفه مكنونات قلبه لتلاميذه . وفوق
هذا ، فان المسيح أراد أن يعبر بهذه الكلمات عن استعداداته التام لمواجهة
الصليب لان يهوذا وسيدته الجديد ، عاجزان عن صلب المسيح لو لم يُرد هو
يعتقد الدكتور ادي ان هذا اذن من المسيح ليهوذا ، على قياس اذن الله
لبلعام حينما كان مع رسل بالاق (عدد ٢٢: ٢٠) ، وعلى نمط قول المسيح
للفريسيين «املاؤا أتم مكيال آبائكم» (متى ٢٣: ٣٢)

عدد ٢٨ . عدم فهم المتكئين مغزى هذه الرسالة . «وأما هذا» . ان
إشارة البشير الى يهوذا بكلمة «هذا» بدلاً من ذكره اسمه — في هذا العدد
وفي عدد ٣٠ — لدليل على ان يهوذا لم يعد محسوباً فيما بعد في عداد الرسل .
«فلم يفهم أحد من المتكئين» — الا يوحنا البشير (عدد ٢٦) — «لماذا كلمه به»
عدد ٢٩ . تأويل بعضهم لهذه الرسالة ، وعدة هذا التأويل : « لان

قوماً اذ كان الصندوق مع يهوذا ظنوا ان يسوع قال له اشتر ما نحتاج اليه للعيد او ان يعطي شيئاً للفقراء . ٣٠ فذاك لما اخذ اللقمة

قوماً — اي بعضاً منهم — « اذ كان الصندوق مع يهوذا » — وهل كان هذا الصندوق علة انحدارك الى الهاوية يا يهوذا ؟ ! فياويلنا من الصناديق الخاوية التي تكسر القلب بخلوها ، وياويلنا من الصناديق المليئة التي تمجّر قلوبنا بوفرتها — « ظنوا ان يسوع قال له اشتر ما نحتاج اليه للعيد » — من هذا يُستنتج ان الفصح اليهودي لم يكن قد ابتداءً بعد ، والا لما جاز الشراء فيه . لان كل يوم فيه ، سبت . فضلاً عن ذلك ، فان كل « لوازم » العيد كانت تُشترى قبيل العيد ، قبل اعداد حمل الفصح . اذاً قد مارس المسيح وتلاميذه فصحاً جديداً قبل الفصح اليهودي ، يوم واحد (راجع عدد ١) ألا تلقي هذه الكلمات نوراً على اخلاق يهوذا الشاذة ؟ ان في تكتمه الشديد ، واخفائه نياته عن زملائه ، دليلاً على انه لم يكن منهم ، على رغم كونه معهم . لان له تدبيرات ومؤامرات لا يطلع عليها أحداً

عدد ٣٠ . الليل المزدوج : « فذاك لما اخذ اللقمة خرج للوقت . وكان ليلاً » . هذا ليل مزدوج — ليل طبيعي وليل معنوي . وكذلك حرص البشير على ان يربط بعض الاعمال بما يناسبها من الملابس الطبيعية المحيطة بها (انظر ١٠: ٣٠) . ان الوقت الذي ارتكب فيه بطرس خطيته ، غير الوقت الذي اقترف فيه يهوذا جريمته . فبطرس انكر السيد عند اقبال السّحر ، ويهوذا باع مولاه عند اقبال الليل الدامس . فخرج بطرس من خطيته الى فجر

خرج للوقت . وكان ليلاً . ٣١ فاما

التوبة ، الذي اعقبه صبح الغفران . وخرج يهوذا من خطيته الى ليل داج ظلامه ، فالتقت ظلمة الليل الطبيعي ، بظلمة قلبه الطبيعي الغير المتجدد

يحاول بعض المفسرين ان يبين الوقت الذي فيه رسم المسيح فريضة العشاء الرباني في هذه البشارة . فيميل هنجستنبرج الى وضع هذه الفريضة ما بين عددي ٢٧ و ٣٠ . ويعتقد جوذي ان توزيع الخبز حدث قبل الكلام الذي في عدد ١٨ ، وان توزيع الكاس حدث بعد الكلام المذكور في عدد ٣٠ . ولكننا نعترف ان تقرير هذا الامر بالضبط ، ليس ميسوراً لنا

الخطاب الوداعي - (١) هريث العلية (٣١: ١٣ - ٣١: ١٤)

يتقسم هذا الفصل الى قسمين رئيسيين -

اولاً : اقتران المسيح عن تلاميذه : مالهية ، وضرورية ، ونتيجة (٣١: ١٣ - ٣٥)

ثانياً : اربع محادثات دارت بين المسيح وبعض تلاميذه (٣١: ١٤ - ٣٦: ١٣)

المحادثة الاولى - بين بطرس والمسيح - (٣٦: ١٣ - ٣٨)

كلمة تشجيع للتلاميذ - (١٤: ١ - ٤)

المحادثة الثانية - بين ثوما والمسيح - (١٤: ٥ و ٦)

كلمة ترغيب للتلاميذ - (١٤: ٧)

المحادثة الثالثة - بين فيلبس والمسيح - (١٤: ٨ - ١١)

المسيح واثنائه الى تلاميذه - ثموت مزايما (١٤: ١٢ - ٢١)

المحادثة الرابعة - بين المسيح ويهوذا ليس الاخر يوطي (١٤: ٢٢ - ٢٦)

كلمات ختامية للشطر الاول من الخطاب الوداعي (١٤: ٢٧ - ٣١)

المسيح
والاب

خرج قال يسوع

(١) افتراء المسبح عن تلاميذه — ماهيته ، وضرورته وتبينه (١٣: ٣١-٣٥). الآن ، قد انزل من التلاميذ ، ذلك العنصر الممثل للظلام ، وكان خليقاً به حقاً ان «يخرج في الظلام» ، فيتلاءم ظلام الطبيعة الخارجي ، وظلام نفسه الباطني ، ويكون الطرف الخارجي متناسباً مع الحالة الداخلية. وفي الوقت نفسه خلا الجو لربّ النور ، فانفرد بأبناء النور ، فاطمأن اليهم ، وحدثهم بلغة المحبة التي تأتي ان يعكس صفاءها وجود عدو أو رقيب ، عن :

(١) مجد الصليب — (١٣: ٣١ و ٣٢) (ب) رفو ساعة افتراء عنهم (١٣: ٣٢). (ج) الشعار الذي ترك لهم في غيابه (١٣: ٣٤ و ٣٥). (د) التدريب اللازم لهم ، قبل انه يشاطروه أفعاله (١٣: ٣٦-٣٨)

عدد ٣١. مجد الصليب : «فلما خرج» — يهوذا من تلقاء ذاته — «قال يسوع : الآن تمجد ابن الانسان وتمجد الله فيه» — ان حرف الفاء الذي به يُبدى هذا العدد ، يدل على أن كلمات المسيح الملونة في هذين العدين ، صلة قوية بخروج يهوذا

تبيين لنا هذه الصلة من ملاحظة أمرهم . اولهما — ان خروج الخائن من مجلس المسيح وأحبائه يُعدّ بمثابة ازاحة حاجز كان عائلاً لحرية التعبير ، بين قلب المسيح وقلوب أحبائه . لان زهرة المحبة لا تتفتح الا في جو يسوده الصفاء ، والاخلاص ، والموَدَّة . وثانيهما — ان خروج يهوذا كان اول خطوة تنفيذية في الاتيان بالصليب ، مما جعل المسيح يرى الصليب مثلاً

الآن تمجد

امامه كحقيقة قد تمت ، وقلبه عامر بالثقة والظفر ، فصرّح بهذه الكلمات بنعمة
 المهتف والتمجيد : «الآن تمجد ابن الانسان ...» . أراد بقوله : «الآن» ، ان
 وقت خدمته على الأرض ، على وشك الانتهاء بموته . وقد وردت كلمة «تمجد»
 بصيغة الماضي ، لتحقيق لان خروج يهوذا كان اول حلقة من سلسلة حلقات
 متصل بعضها ببعض تمام الاتصال ، فهي الخطوة العملية المؤدية للقبض عليه ،
 فحاكته ، فصلبه ، ققيامته ، فصعوده ، فجلوسه عن يمين العظمة في الاعالي .
 وان وقوع اول حلقة من هذه الحلقات المتماصة كان بمثابة انقراط السلسلة
 كلها ، لذلك قال المسيح «الآن تمجد» مع ان هذه كانت بداية التمجيد . لان
 الماضي أُدخل في حكم الحاضر والماضي ، «باعتبار ما سيكون» . وقد اختار
 المسيح لنفسه ، في هذا الظرف ، لقب «ابن الانسان» ، بياناً انه لم يباغ التمجيد
 المقصود هنا الا باتضاعه . ان اتضاع المسيح يسير جنباً الى جنب مع تمجيده —
 حتى في بشارة يوحنا التي عُرف عنها انها «بشارة لاهوت المسيح»

أما التمجيد الذي ذكره للمسيح في هذين العديدين ، فهو تمجيد مثلث :
 (١) ابيه الانسان تمجد بالصليب : «الآن تمجد ابن الانسان» . (٢) الله
 تمجد في ابيه الانسان : «وتمجد الله فيه» (عدد ٣١) . (٣) ابيه الانسان
 تمجد وبيئتمجده في ذات الله : « فان الله سيمجده في ذاته » (عدد ٣٢)

(١) ابيه الانسان تمجد بالصليب : «الآن تمجد ابن الانسان» . عجيب
 ان يكون الصليب اداة تمجيد للمسيح . فالصليب رمز العار ، واللعنة . لان

ابن الانسان

«المعلق على الخشبة ملعون» (تثنية ٢١: ٢٣). فكيف يتأتى لرمز اللعنة والعار، ان يصير اداة للمجد والفخار؟ !

صار الصليب وسيلةً لتمجيد المسيح، من رمزيين - أولهما: ان الصليب هو اكمل مظهر لاعظم نصره أحرزها المسيح. فمع ان المسيح اظهر قوة فائقة في صنعه المعجزات، ومع انه رأى الشيطان نازلاً مثل البرق من السماء حين اذاع رساله كلمة بشارته، الا انه على الصليب، جلس على عرش الحياة والقوة، لان الصليب كان اكمل مظهر لأبهى انتصاراته. هنالك استجمع الشيطان كل قواته على امل ان يظفر بالمسيح في معركة فاصلة، فكان الصليب معركة فاصلة حقاً - ولكن في جانب المسيح. ففي الصليب كسر المسيح شوكة الخطية، «اذ مح الصلص الذي علينا في الفرائض، الذي كان ضدنا لنا، وقد رفعه من الوسط مسمراً آياه بالصليب». اذ جرّد الرياسات والسلطين أشهرهم جهاراً، ظافراً بهم فيه» (كولوسي ٢: ١٤ و ١٥). ثانيهما: ان الصليب هو اعظم مظهر لمجلى محبته المضحية للبشر. وفي اعلان هذه المحبة للبشر، تمجيد للمسيح. فم ظهرت محبة المسيح المضحية، في رضاه ان يتسر بل لباس البشر، وفي ميلاده في المنود، وفي رضاه ان يعلم الخطاة المحترقين الاشقياء، وفي ابرائه العمي، والبرص، والجدع، الا ان محبته للبشر تجلت في اكمل مظاهرها على الصليب، لانه في تجسده تنازل عن مقامه. وفي تعاليمه جاد على البشر بكلامه. وفي معجزاته، من على البشر بقوة من قواته. لكنه

وتمجد الله فيه . ٣٢ ان كان الله

على الصليب ، جاد على البشر بنفسه وحياته ، اذ بذل دمه — والسم هو النفس — هذا اقصى غاية الجود . ان محبة المسيح المضحية ، منشورة باستمرار على البشر في كلام حكمته ، واعمال قدرته . لكن على الصليب ، قد تركت اشعة انوارها في نقطة واحدة مضيئة ، لامعة ، ملتهبة ، ملهبة

(٢) الله تمجد في ايمه انوناسه : « وتمجد الله فيه » . ان اسرار المعلنات الالهية تزداد عمقا ، كلما تقدمنا في هذه البشارة . ليس بعجيب ان يتمجد الله في ابن الانسان ، ولكن وجه العجب ان يتمجد الله في موت ابن الانسان البري ، موت مجرم اثم ؟ فain اذا جزاء الفضيلة ؟ بل اين العدالة الالهية ؟ بل اين سلطان الله المسيطر على الكون ؟ ان الجواب على هذه الاسئلة ، وعلى سواها ، نجده متى ذكرنا ان ابن الانسان الذي رفع على الصليب وهو بار ، قدم للعالم صورة جليلة واضحة لمحبة الله وعطفه على البشر « ان الله كان في المسيح مصالحا العالم لنفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم » (٢ كورنثوس ٥: ١٩) فاذا كانت كلمات المسيح هي مجلى حكمة الله ، واذا كانت اعماله ، مظهر قدرته ، فان صليبه هو مجلى محبة الله البار، للبشر الفجار . على الصليب تكلمت محبة الله للناس بلفظ بليغة واضحة ، مؤثرة ، مفتحة للقلوب الحجرية

عدد ٣٢ . (٣) ايمه انوناسه تمجد وبتتمجد في ذات الله : « ان كان الله قد تمجد فيه » — في ابن الانسان — « فان الله سيمجده في ذاته » — أي في ذات الله — « ويمجده سريعا » . ان خير تفسير لهذه الكلمات ، نجده في قول المسيح

قد تمجد فيه فان الله سيمجده في ذاته ويمجده سريعاً. ٣٣ يا اولادي
انا معكم زماناً قليلاً بعد . ستطلبوني

في ١٧: ٤ و « انا مجدتك على الارض . العمل الذي اعطيتني لاعمل قد اكلمته .
والآن مجدني ايها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم » .
ان تمجيد ابن الانسان . المذكور في العدد السابق ، هو تمجيد علني امام
الناس ، لكن تمجيده المذكور في هذا العدد ، هو تمجيد سرّي خاص ،
فيه يُرفع ابن الانسان ، ويُقبل الى المجد الذي يتمتع به الآب ذاته ، فيكون
الجو المحيط به مجداً في مجد (راجع ١٨: ١) . ان كلمة : « في ذاته » تتشّى مع
كلمة : « فيه » . فالجزء من جنس العمل . والوقت المقصود في قوله : « سيمجده
سريعاً » ، هو وقت قيامته وصعوده بعد ان اكمل الفداء .

عدد ٣٣ . افتراه المسيح عن تلاميذه : « يا اولادي انا معكم زماناً
قليلاً بعد . . » . من التفكير في الصليب وما يجلبه له من مجد ، انتقل المسيح
بفكره الى تلاميذه ، وما يصيبهم بعد ان يُرفع هو عنهم ، فالتفت اليهم بوجه
يفيض عطفاً ، وحنواً ، ورقة ، ووجهً اليهم الخطاب ، قائلاً : « يا اولادي .
انا معكم زماناً قليلاً بعد » ، ان هذه الكلمة الرقيقة : « يا اولادي » لم ترد
سوى هذه المرة وحدها في كل البشائر ، وقد أوحى بها ذلك الظرف الخاص ،
الذي شعر فيه المسيح ، بأن تلاميذه سيكونون يتامى ، بعد افتراقه عنهم .
ولقد عبّر القادي أجمل تعبير عن شعورهم في وحشتهم ، بقوله : « ستطلبوني » .
كان المسيح للتلاميذ خير عضد وسند ، فهو لهم الأب ، والمرشد ، والمؤدب .

وكما قلت لليهود حيث اذهب انا لا تقدرُونَ ان تأتوا اقول لكم انتم الآن . ٣٤ وصية جديدة انا اعطيكم

لقد عرفهم وعرفوه ، فتركوا الاشتغال باعمالهم الاعتيادية ، وانصرفوا عن دينهم الاصلي — اليهودية ، واعتنقوا المسيح ديناً لهم . ومن المحقق ان غيبته عنهم ، في وقت قيام اليهود عليهم ، ستشعرهم بمسيس الحاجة اليه — وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر . عندئذ يتمنون اللحاق به ولكن هيهات ! « وكما قلت لليهود » — منذ ستة اشهر — « حيث اذهب انا لا تقدرُونَ انتم ان تأتوا » — ٣٤: ٧ و ٢١: ٨ ، « اقول لكم انتم الآن » — لانكم لستم مستعدين بعد للحاق بي . على ان عجز التلاميذ عن اللحاق بالمسيح يختلف عن علم قدرة اليهود على اللحاق به ، في انه عجز التلاميذ ، وقتي . فالنبوة في كلام المسيح لليهود واقعة على كلمة « لا تقدرُونَ » ، وفي كلامه مع التلاميذ ، واقعة على كلمة : « الآن » . فمتى انقضت هذه الفترة الاعدادية التي سيكمل فيها التلاميذ سعيهم ، يأتي المسيح « ويأخذهم اليه » (١٤: ٣) . ولكن عجز اليهود كان حكماً عليهم ، قضت به طبائعهم العنيدة ، والبعيدة عن الايمان . وهو لمزيد الاسف حكم نهائي لا استئناف له ، ولا يقبل تقضاً ولا ابراماً

عدد ٣٤ و ٣٥ . شعار التلاميذ في غيبة سيدهم — أو الوصية الجديدة :

« وصية جديدة انا اعطيكم . . . » . قد نعجب لقول المسيح عن المحبة انها : « وصية جديدة » ، لعلمنا ان هذه الوصية وردت في لاويين ١٩: ١٨ . فبأي معنى اذاً ، اعتبرها المسيح « وصية جديدة ^(١) » ؟ يقول ناپ ، ان هذه وصية

(١) اعتاد هليل ، احد احبار اليهود ، ان يقول : « لا تصنع بقريبك ما تكرهه لنفسك »

ان تحبوا بعضكم بعضاً . كما احببتكم انا تحبون انتم ايضاً بعضكم بعضاً . ٣٥ بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي ان كان لكم حب

جديدة في قياسها — لان قياسها كان قبل المسيح: « تحب قريبك كنفسك » . فأخفى ، منذ ان نطق بها المسيح : « تحب قريبك اكثر من نفسك » ، « مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة » ، « حاسين بعضكم البعض افضل من انفسهم » (رومية ١٢: ١٠ وفيلي ٢: ٣) . ويقول اولزهوزن : انها « جديدة » بمعنى انها « متجددة على الدوام » . ويقول اوغسطينوس انها « وصية مجددة » . وفي اعتقادنا ان المحبة التي اوصى بها المسيح تلاميذه ، جديدة في نوعها ، وفي مثالها ، وفي الباعث لها ، وفي غايتها : « كما احببتكم » . « فانه بالجهد يموت أحد لاجل بار . ربما لاجل الصالح يجسر احد ايضاً ان يموت . ولكن الله يثبّن محبته لنا ، لانه ونحن بعد خطاة مات المسيح لاجلنا » (رو ٥: ٧ و ٨) . ان محبة اليهودي لليهودي ، مبعثها الاعتقاد بأن الله اختار اليهود ليكونوا له شعباً خاصاً . لكن محبة المسيحي للمسيحي ، وللغير المسيحي ، مستمدة من الاعتقاد بان المسيح مات لاجل الاعداء ، فهو يحبهم « في المسيح » . ان قوله « كما احببتكم » لا يقتصر على وصف المحبة في قياسها ، بل يصفها ايضاً في طبيعتها ، وفي مبررها علاوة على الباعث المذكور في عدد ٣٤ : « كما احببتكم » ، اضاف المسيح ، باعثاً آخر في عدد ٣٥ : « بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي ان كان لكم حب » — اي ان محبتهم لبعضهم البعض ، هي الميزة الخاصة التي تميزهم عن سواهم ، في غيبة سيدهم عنهم ، فهي اذاً رمز حضوره معهم ، وشعاره الدائم

بعضاً لبعض . ٣٦ قال له سمعان بطرس يا سيد الى اين تذهب .

الذي خلعه عليهم . وقد تم هذا فعلاً . فقال فيهم مينوتيسوس فيلكس : « لقد نجح سيدهم في اقناعهم بأنهم جميعاً اخوة » . وقال طرطليانوس : « لقد دهش الوثنيون من محبة المسيحيين لبعضهم البعض حتى الموت »
منذ الآن حتى نهاية الاصحاح الرابع عشر سنستمع لدرع محادثات جرت بين المسيح وبعض تلاميذه

عدد ٣٦-٣٨ . المحادثة الاولى - بين بطرس والمسيح

عدد ٣٦ . (١) سؤال بطرس « قال له سمعان بطرس يا سيد الى اين تذهب ؟ »^(١) هذه اول حلقة من سلسلة أسئلة ألقاها التلاميذ على المسيح ، بعد ان سمعوا كلامه عن مبارحته لهم . ومن يكون البادىء بهذه الاسئلة ، سوى بطرس كلهم ؟ ! ولا شك في ان بطرس كان مخلصاً في سؤاله هذا ، لانه أراد أن يتحاشى به اقتراق المسيح عنه وعن سائر التلاميذ ، بعد ان سمع من فم المسيح هذه الكلمة الالهية : « حيث أذهب أنا لا تقدر ان تاتوا (عدد ٣٣) . على ان بطرس ، في سؤاله هذا ، كان مدفوعاً أيضاً برغبته في ان تكون له الاسبقية على سائر التلاميذ في التضحية والاقدام

(١) جاء في اسطورة قديمة ، ان بطرس كان في سجنه الاخير في رومية ، متوقفاً بالحكم عليه بالصلب . ولما هاله توقع هذا الحكم ، انسل من الحراس ، وهرب من السجن ، فانطلق في الطريق الموصل بين رومية وجاثوبي ايطاليا ، المعروف بـ « طريق ابيوس » . وهناك تمثل له المسيح حاملاً صليبه ، ومتوجهاً الى رومية . فابتدره بطرس بالقول : يا سيد . « الى اين أنت تذهب ؟ » . فأجابه السيد : « أنا ذاهب الى رومية » . فقال بطرس : « ولاي غرض ؟ » فكان جواب الفادي : « لكي اصلب ثانية » . فصرخ بطرس قائلاً : « ولكنك

اجابه يسوع حيث اذهب لا تقدر الآن ان تتبعني ولكنك

(ب) جواب المسيح : « أجابه يسوع . حيث اذهب لا تقدر الآن ان تتبعني . ولكنك ستتبعني اخيراً » . لم يكن سؤال بطرس قاصراً على استعماله عن المكان الذي يذهب اليه المسيح ، بل كان منطوياً على رغبة منه في الذهاب معه . فهو شبيه بقول الولد لأبيه حينما يراه خارجاً : « الى أين أنت ذاهب » ولسان حاله يقول : « خذني معك يا أبي » . لذلك لم يكتف المسيح بان يجيب عن سؤال بطرس ، بل جاوبه أيضاً عن رغبته المستترة وراء سؤاله . فكأنه به يقول له : « ليس المهم عندك يا بطرس ان تعرف الى أين انا اذهب ، وانما يهمك ان تعلم انك لا تقدر ان تتبعني الآن ، لكن لا تيأس ولا تقنط ، فانك ستتبعني بعد حين » . بهذا الجواب قرّر المسيح لبطرس : (١) انه افتراقه عنه وعنه سائر التلاميذ ، امر لا بد منه . (٢) انه هذا الافتراق وقتي : « الآن » ، (٣) انه بطرس لا يفترقه انه يتبع سيده الا انه لان عليه رسالة لم تكمل بعد ، ولأنه للآن لم يفهم معنى الصليب . سواء أكان الصليب الذي سيحمله سيده من أجله ، أم الصليب الذي سوف يحمله هو من أجل سيده . ولأن الفداء لم يكمل بعد (١٩: ٣٠) ، وبالتالي فان مكان بطرس في المجد ، غير مُعدّ بعد (١٤: ٢ و ٣) ، و بطرس غير مُعدّ

صلبت مرة يا سيد . فأجابه المسيح : « نعم صلبت مرة في أورشليم . وها انا ذاهب لاصلب مرة ثانية في رومية » . « ولم يا سيد ؟ » . « عوضاً عنك يا بطرس . لانك هربت من صليبك هناك » . فخرن بطرس وبكى بكاء مرّاً . ثم عاد الى رومية ، قابلاً حمل صليبه . ولما جاءت ساعة صليبه ، قال للجلادين : « لا تصلبوني مرفوع الرأس كسبدي . بل اصابوني منكساً »

ستتبعني أخيراً ٣٧ قال له بطرس يا سيد لماذا لا أقدر أن أتبعك الآن . اني اضع نفسي عنك . ٣٨ اجابه يسوع اتضع نفسك عني . الحق الحق اقول لك لا يصبح الديك حتى تنكرني ثلاث مرات

لهذا المكان . (٤) انه بطرس سيتبع سيده بعد وقت ، حين يكون قد امتلاً من روح المسيح في التضحية ، وانكار الذات ، والشجاعة

عدد ٣٧ . (ج) اندفاع بطرس : « قال له بطرس يا سيد . لماذا » . عنى على بطرس ان يسمع هذا الجواب الصريح ، فأخذته الحمية على كرامته الشخصية . لقد مشى على الماء ليكون مع سيده (مت ١٤: ٢٩) ، وارتقى معه على جبل التجلي (لوقا ٩: ٢٨) ، ووقف معه في وجه الموت (لوقا ٨: ١٥) . فأني مكان اذاً يتعذر عليه ان يتبع سيده اليه ؟ هل الى الموت ؟ . وهنا بلغ الغرور ببطرس مبلغاً عظيماً ، وفي ثورة اندفاعه ، توهم نفسه « فادياً للفادي » ، فقال - ولم يكن يدري ما يقول « اني اضع نفسي عنك » . (انظر لوقا ٩: ٣٣)

عدد ٣٨ . (د) الحق المر : « أجابه يسوع اتضع نفسك عني ؟ » عرف المسيح بطرس أكثر مما عرف بطرس نفسه ، فصارحه بحقيقة حاله - والحق مر ، لكنه لازم - وخاطبه بنعمة يمازجها الحزن والاسى : « أنت يا بطرس تبذل نفسك عني » ؟ نعم سأمتعك بهذا الشرف - ولكن فيما بعد . أما الآن ، « فالحق الحق اقول لك لا يصبح الديك حتى تنكرني ثلاث مرات »

وقعت هذه الكلمات على مسمع بطرس ، وقع الصاعقة . فخبست لسانه عن الكلام والاستفهام الى ما بعد نور القيامة (٢١: ٢١)

الاصحاح الرابع عشر

١ لا تضطرب

نسيجات وعود

ترتبط فاتحة هذا الاصحاح ، بخاتمة الاصحاح السابق ، ارتباطاً مكيناً ، لان الكلام لم ينقطع بين الاصحاحين ، لدرجة يخيّل اليّنا فيها ، انهما اصحاح واحد ودّعنا الاصحاح السابق وداعنا ليل داجٍ ظلامه . فالحقول خائرة ، والعواطف ثائرة . العواصف عنيفة ، والسحب كثيفة ، والصواعق مخيفة . فقد أنبأ المسيح تلاميذه ، بأن ساعة اقتراقه عنهم قد دنت ، وأن واحداً منهم سيخونه ، وبأن بطرس سوف ينكره ثلاثاً . فخابت آمالهم الوطنية التي عقدوا لواءها على مسيّا المنتظر . وملاً الاضطراب قلوبهم ، وما هي الا هنيئة ، حتى طلع عليهم المسيح بنور الرجاء المتلألئ في غرّة هذا الاصحاح ، معزياً أيامهم ومشجعاً ، بالقول : « لا تضطرب قلوبكم »

في استهلال هذا الاصحاح ، تابع المسيح وعده الذي صرّح به لبطرس في خاتمة الاصحاح السابق : « ولكنك ستبغني أخيراً » . فأبان له والتلاميذ : انه وان كان اقتراقه عنهم ، امراً لا مفرّ منه ، فان لحاقهم به ، امرٌ لا بد منه . وانهم سيقيمون معه ، في بيت أبيه حيث المنازل الكثيرة (عدد ٢) . بذلك قلم المسيح خير جواب على سؤال بطرس : « يا سيد الى اين تذهب » (٣٦ : ١٣) عدد ١ . نريّاض اضطراب القلوب : في هذا العدد وضع طبيب القلوب ، يده على موطن الداء في التلاميذ ، فيبين لهم ان الداء دفين في القلب :

قلوبكم . أنتم تؤمنون بالله

« لا تضطرب قلوبكم » . ان مرض القلب من اخطر الادواء الجسدية التي يُعنى بها الانسان . فبعض القلوب الجسدية مصاب بمخفقان ، والبعض الآخر مبتل بلغط في شريان القلب الرئيسي . فكم يكون حال من يُعنى بهذين المرضين او بما يماثلهما في قلبه المعنوي ؟ ! على ان طيب القلوب والارواح ، لم يكتف بان وضع مِبضعه على الداء ، بل تقدم فوصف الداء : « انتم تؤمنون بالله . فآمنوا بي » . يجوز أن تُترجم هذه الكلمات ، كما وردت في الاصل — الى احدى هذه الاربعة صيغ :

- (١) « انتم تؤمنون بالله ، فطبعاً انتم تؤمنون بي ايضاً » — فالجملتان خبريتان
- (٢) « آمنوا بالله تؤمنوا بي ايضاً » — فالجملة الاولى امرية والثانية خبرية
- (٣) « انتم تؤمنون بالله فآمنوا بي » — فالجملة الاولى خبرية ، والثانية امرية
- (٤) « آمنوا بالله . وبي ايضاً آمنوا » — فالجملتان في صيغة الامر . هذا رأي احدث المفسرين . على هذا الاعتبار يكون الجزء الاول من العدد — حيث وُصف الداء — مفرغاً في صيغة نهية : « لا تضطرب قلوبكم » . والجزء الثاني منه — حيث وُصف الدواء — مفرغاً في صيغة امر : « آمنوا بالله . وبي ايضاً آمنوا » . من هذا نلاحظ : (١) ان الايمان بالله ، هو ترياق لغط القلوب واضطرابها . (٢) ان الايمان بالله يقود حتماً الى الايمان بالمسيح . (٣) ان الايمان بالمسيح يدعم الايمان بالله . هذه حجة لاهوت المسيح ، ووحدانيته مع الله . والا كان الايمان به شركاً بالله . (٤) مع ان التلاميذ كانوا

نآمنوا بي . ٢ في بيت ابي منازل كثيرة .

مؤمنين بالله وبالمسيح، الا ان المسيح دعاهم الى ايمان أرقى نوعاً، واقوى فاعلية، اوسع مدى من ايمانهم الذي كانوا عليه مرة، فقالوا فيه: «يا رب زد ايماننا». هل يقوى شخص غير المسيح ان يقول «آمنوا بالله في ايضاً آمنوا»، مع ن بينه وبين الموت يوماً واحداً؟! فاذا لم يكن المسيح الهاً تاماً، فن المحال ان نكون إنساناً كاملاً. لان صدور مثل هذا القول من مجرد انسان يُعتبر تعديفاً

لاحظ الالقاب التي وصف بها المسيح اسم الجلالة: «الله» (عدد ١)، «أبي» (عدد ٢)، «الآب» (عدد ٦)

عدد ٢. ضمامه، وتطمين، وتجميع

ضمامه: «في بيت ابي منازل كثيرة». يراد بالمنازل، تلك المساكن الخالصة لتي كان الهيكل الزائل رمزاً لها (١٦: ٢). قابل هذا بما جاء في ٨: ٣٦. ان بي قوله «منازل» مجازاً مبنياً على ما في قصور ملوك الارض: من محال كثيرة و«اجنحة» لهم، ولذريتهم، وحاشيتهم، وضيوفهم. ويقول وستكون ان هذا المجاز مبني على ما كان في الهيكل اليهودي من غرفات و«اروقة» يطباق كثيرة (١ ملوك ٦: ٥ و ٦ و ١٠ وحزقيال ٤١: ٦). ومع ان السماء حالة روحية، الا انها ايضاً مكان علوي معد لاناس معدّين له. ويكفي ان نعرف عن موضع هذا المكان انه حيث يوجد المسيح. «اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣: ٤٣)، «ان اكون مع المسيح ذاك افضل جداً» (فيلي ١: ٢٣)، «نستوطن عند الرب»، ٢ كو ٥: ٨. وان المسيح موجود حيث

والا فاني كنت قد قلت لكم

الآب : «أبانا الذي في السموات» . اما عمل المؤمن هناك فقد عبر عنه يوحنا نفسه في رؤياه : «وعبيده يخدمونه ، وهم سينظرون وجهه» (رؤيا ٢٢: ٣ و٤) كلمة : «منازل» — كما جاءت في الاصل — لا تعني الدرجات التي يكون عليها المؤمنون ، لكنها تعني المساكن المستديمة . فهي جمع «منزل» ، لا «منزلة» . هذا المعنى يتفق تماماً وغرض المسيح في سياق كلامه . فان خوف التلاميذ لم يكن من عدم وجود درجات في السماء ، بل من عدم وجود امكنة كافية لهم جميعاً . مثلاً كان يحدث عادة في فنادق اورشليم سباً في ايام الاعياد كما يدل عليه المكان الذي وضعت فيه امّ المخلص ابنها البكر : « اذ لم يكن لها موضع في المنزل » . ويقول وستكوت : ان كلمة : «منازل» كما وردت في الاصل ، قد تعني «المحطات» او «الابراج» التي عندها يستريح المسافرين ، وفيها يجدون عزاءً وغذاءً — مما يدل على ان هذه الكلمة تنطوي على عنصرين : — الرامة ، والتكرم . ويقول لانجي ان المسيح فاه بهذه الكلمات وهو شاخص الى السماء المتلائلة بالنجوم

تطمين : «والا فاني كنت قد قلت لكم» — اي لو كنت سأقترب عنكم فراقاً لا لقاء من بعده في المساكن السماوية — حيث تكونون معي ، لكنني قد اعلتكم بهذا من قبل ، لاني لا ارضى لنفسي بأن اترككم معلقين انفسكم الى الآن ، برجاء غير وطيء . ويعتقد دافيد سميث ، وكايل ، بأن قول المسيح : «والا فاني كنت قد قلت لكم» ، راجع الى قوله : « في بيت ابي منازل

أنا امضي لأعد لكم مكاناً . ٣ وإن مضيت واعدت لكم مكاناً

كثيرة . اي لو لم يكن للتلاميذ منازل كافية ، لكان المسيح قد سبق فانيهم هذا من قبل . على اننا نعتقد بالرأي الاول . لان التلاميذ لم يكونوا خائفين من قلة المنازل ، وانما كانوا يخشون تضر لحاقهم بسيدهم اني ذهب

تجميع : « أنا امضي لأعد لكم مكاناً » . يتضمن هذا الوعد جواباً صريحاً على سؤال بطرس الذي عبّر به عن أشواقه واشواق سائر التلاميذ (٣٦: ١٣) ان ايمانهم بالله يضمن لهم حق دخول المنازل السماوية ، وايمانهم بالمسيح فتح لهم الطريق الى تلك المنازل . لان المسيح بموته ، وقيامته ، وصعوده ، يفتح طريق السماء ، ودخل كسابق لنا . وهل من كلمات ، تصف محبة المسيح لتلاميذه ، ورغبته في خدمتهم وراحتهم ، ابلغ من قوله : « أنا امضي لأعد لكم مكاناً » ؟ عادة يمضي الخادم ليعد مكاناً للسيد . ولكن في هذه الحال ، ذهب السيد ليعد مكاناً للعبيد . ان القلب ليهتف من سويده قائلاً : يا أعجب القادي ، وحب الشديد . اذ بالرضى السامي ابتغى ، ان يخدم العبيد

« أنا امضي لأعد لكم مكاناً » — تذكرنا هذه الكلمات بما جاء في سفر لعدد ١٠: ٣٣ « فارتحلوا (بنو اسرائيل) من جبل الرب مسيرة ثلاثة ايام وتابوت عهد الرب راحل امامهم مسيرة ثلاثة ايام ليلتمس لهم منزلاً »

عدد ٣ . رعد ، فلقاء ، فبقاء . « وإن مضيت . . »

رعد : « وإن مضيت واعدت لكم مكاناً آتي أيضاً » . فهو اذا وعد بعود المسيح الى تلاميذه . وقد تم هذا الوعد تدريجياً على دفعات متتابة .

آتي أيضاً وأخذكم اليّ حتى حيث أكون أنا

قمّ في معناه الابتدائي للتلاميذ وقت ظهور المسيح لهم في الفترة التي بين القيامة والصعود. وتمّ لهم روحياً في مجيء المسيح اليهم في شخص الروح القدس يوم الخمسين، وتمّ لهم اختبارياً بمجيء المسيح لهم ساعة موت كل منهم، وسيتمّ لهم والمؤمنين كالياً بمجيء المسيح ثانية ليملك، ويحكم، ويدين. وبمنفس هذه الادوار المتعاقبة — الا أولها — يتمّ هذا الوعد لجميع المؤمنين. ان اظهر وجهه في هذا الوعد، هو مجيء المسيح بشخصه الى التلاميذ والمؤمنين، وقد كان في امكانه ان يكل هذه المهمة الى ملاك أو رسول. ان قوله: « ان مضيت واعلّدت » يتمشى مع قوله في العدد السابق: « أنا امضي لأعد ». لقاء: « وأخذكم اليّ ». لا يتمّ هذا اللقاء الا بعد اعداد المكان، كما ان ذهاب التلاميذ الى الساكن السماوية لا يتأتى لهم الا وشخص المسيح معهم، ليتقدم بهم الى الآب: « ها أنا والاولاد الذين اعطيتني ». وهذا تمّ اما عند موت كل منهم، أو يتمّ في مجيء المسيح الثاني. ان قوله « وأخذكم اليّ » يفيض رقة وحناناً، فيه تمثل أباً محباً عائداً الى صغاره ليأخذهم معه حيث كان، فيضمهم الى صدره الحنون، ثم يتقدم حاملاً اياهم طيلة مدة السفر.

لقاء: « حتى حيث أكون أنا، تكونون انتم ايضاً ». هذه هي الشركة الدائمة بين المسيح وتلاميذه. اننا لا نعلم بالضبط موقع السماء، ولا نريد ان نعلم. ويكفي ان نعرف أن السماء هي حيث يكون المسيح، فهو منبع الفرح والمجد. فوجهه نور السماء، وابتهامته بهجة السماء، وصوته موسيقى السماء، وشخصه سماء.

تكونون انتم أيضاً. وتعلمون حيث انا اذهب وتعلمون الطريق.
 ه قال له توما يا سيد لسنا نعلم أين تذهب

السما. « حيث اكون أنا تكونون انتم أيضاً ». ألا يحمل هذا القول إشارة
 ضمنية الى مشاركة المؤمنين للمسيح في طبيعته المجددة ، على اعتبار انه صعد
 الى المجد حاملاً معه جسم بشريننا ؟ (انظر ١ يوحنا ٣: ٢ و يوحنا ١٤: ٧ و ٣٦)

عدد ٤ . التلميذ يعلمونه بالفاية وبالطريق ، وهم لا يعلمونه :
 « وتعلمون حيث انا اذهب. وتعلمون الطريق ». وهل كان التلاميذ يعلمون
 حقاً ؟ نعم . ولا . اما نعم ، فلانهم كانوا يعرفون المسيح ، الذي هو الطريق .
 واما لا ، فلانهم ما كانوا يعلمون بعد ان المسيح هو الطريق . لان افكارهم
 عن المسيح ، لم تزل ارضية كافكار سائر اليهود (١٢: ٣٤) ، ولان آمالهم لم
 تنتقل بعد من الرجاء المنظور ، الى الملكوت الغير المنظور . ومن الجائز ، ان
 للمسيح صرح بهذا القول لكي يحرض شية التلاميذ انتظاراً لاعلانات أجل
 المحادثة الثانية : بين توما والمسيح : المسيح هو الطريق (١٤ : ٥ و ٦)

عدد ٥ . التلميذ يصرمونه بلسانه توما بانهم لا يعلمونه انهم يعلمونه
 « قال له توما يا سيد لسنا نعلم اين تذهب فكيف تقدر ان تعرف
 الطريق ». ثلاث مرات نواجه توما في هذه البشارة . الاولى في ١٦: ١١ ،
 والثانية في هذا العدد ، والثالثة في ٢٠: ٢٦ . وفي هذه الثلاث المرات نرى
 فيه الرجل الصريح ، المحكوم بحواسه ، والمتحس لِمَا « يلمسه » من الحق .
 في خاتمة الاصحاح الثالث عشر ، رأينا بطرس في اندفاعه وهو يريد ان يتبع

فكيف تقدر ان تعرف الطريق . ٦ قال له يسوع انا هو الطريق

المسيح حالاً ، فصبَّ المسيح مياهاً باردة اخمد بها حماسه غير المهذب ، وافهمه انه سيتبعه — ولكن فيما بعد . فجاءت فرصة توما ليستعلم عن «المكان» الذي يذهب اليه المسيح ، والطريق الى هذا المكان ، فصاغ سؤاله في نفس الكلمة القصيرة البصر ، التي سمعناها من نيقوديموس (٣: ٤ و ١١) ، والسامرية (٤: ٩) ، واليهود (٦: ٥٢) — « كيف » ! ؟ كانت الغاية مجهولة من توما — حسب نظره القصير — فكيف يقدر ان يعرف الطريق ؟ على اننا مدينون لتوما بهذا السؤال الذي فاز من السيد بالجواب الخالد ، الذي نحفظ لنا في العدد التالي

عدد ٦ . جواب المسيح : « انا هو ... » . هذا جواب جامع : « انا هو الطريق ... » . مانع : « ليس أحد .. الا بي » . في الشطر الاول منه ، اجاب المسيح صراحة على قول توما : « كيف تعرف الطريق » . وفي الشطر الثاني ، اجاب ضمناً على قوله : « لسنا نعلم اين تذهب »

« انا هو الطريق ... » - ان الكلمة الرئيسية في جواب المسيح ، هي : « الطريق » . وقد ذكر « الحق » و « الحياة » توضيحاً لها . « فالحق » هو الله معلناً في قداسه ومحبه (عدد ٩) ، و « الحياة » هي الله متصلاً بالنفس في قوته وغبطته . فالمسيح هو الطريق لانه هو الحق والحياة . يقول كالقن ولوثر ان هذه الثلاث الكلمات : « الطريق . الحق . والحياة » منسقة تنسيقاً بديعاً . فالطريق هي البدء ، والحق هو الوسط ، والحياة هي الختام .

« انا هو الطريق . والحق . والحياة » — هذا تصريح خطير لا يقوى

والحق والحياة . ليس احد

على النطق به الا المسيح . فهو لم يقل انه يدل الى الطريق ، ويقول الحق ، ويهدي الى الحياة ، بل قال بصورة قاطعة : «أنا هو الطريق» — فلا طريق إلاه . وانا هو «الحق» — فلا حق سواه . وانا هو «الحياة» — فلا حياة غيره . أمام هذه الكلمات الجليلة يستد كل فم . قد يقول غير المسيح انه هو الطريق فتظهر الايام بطلان ادعائه . لكن المسيح هو الطريق والحق . وقد يقول غير المسيح انه هو الطريق وانه يأتي بالحق ، فيأتي للموت في نهاية الامر ويسحقه بين يديه . أما المسيح فهو وحده الطريق ، والحق ، والحياة . في هذه الثلاث الكلمات تجدد البشرية ربيًا لعطشها في كل زمان ومكان . قال باطني المتصوف يحول هائمًا في مجاهل فرائض العبادة قائلاً : «أين الطريق» ؟ والعالم المتفلسف يهيم باحثًا في فيافي الفلسفة العقلية قائلاً : «أين الحق» ؟ وجميع الناس يصرخون سواء بسواء قائلين : «أين الحياة» ؟ فيقول المسيح للاول : «أنا هو الطريق» ، والثاني : «أنا هو الحق» ، وللاخرين : «أنا هو الحياة»

المسيح هو الطريق لانه هو الوسيط الاوحد بين الله والناس . وهو الحق لانه هو كلمة الله . وهو الحياة لانه هو القادي الذي مات وقام النفس تائهة — فالمسيح طريقها . النفس في وادي البطل — فالمسيح حقها . النفس ميتة ، فالمسيح حياتها

المسيح هو «الطريق» الحي الحقيقي بين الناس والله
المسيح هو «الحق» لانه يعلن لنا كل ما يلزمنا معرفته عن نفوسنا، وعن الله

يأتي الى الآب الابي . ٧ لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم ابي ايضا .

المسيح هو « الحياة » لانه اشترى لنا الحياة بموته ، ووهبنا اياها بروحه
(عب ٢٠:١٠ واش ٨:٣٥ - ١٠ ويو ٢٥:١١ و ٥٧:٦ و ١٠:١٠)

« انا هو الطريق » : هذا جواب المسيح على المتسائلين : « اين الطريق » ؟
« انا هو الحق » : هذا جواب المسيح على القائلين « كيف نعرف » ؟
« انا هو الحياة » : هذا جواب المسيح على المتسائلين « الى اين تذهب » ؟
« ليس أحد يأتي الى الآب الابي » - هذا هو الجانب المانع في هذا
الجواب الخالد . والكلام فيه منصرف الى العبارة الرئيسية : « انا هو الطريق » .
فكل طريق غيره ضلال . وكل حقّ عداه بُطل . وكل حياة سواه موت .
« انا هو الطريق » - هذا موضوع كلام المسيح في عدد ٧ - ١٤ .
« انا هو الحق » - هذا موضوع الكلام في عددي ١٧ و ١٨ - عن « روح
الحق » . « انا هو الحياة » . هذا موضوع الكلام في عدد ١٩ - ٢١ « انا
حي » . فأنتم ستحيون »

عدد ٧ . مت ، وتبليغ ، وتفسير :

المث : « لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم ابي ايضا » - في هذا القول لا ينكر
المسيح على التلاميذ معرفتهم به ، وانما اراد ان يستحثهم لمعرفة ارقى ، واعمق ،
واقى . هذا على مثال قوله لهم في عدد ٢٨ « لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون » ،
وقوله لهم في لوقا ٦:١٧ « لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل . . » ، جواباً على
طلبهم منه ان يزيد ايمانهم

ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه . ٨ قال له فيلبس

التبليغ : « ومن الآن تعرفونه » — يعتقد يوحنا الذهبي الثم ان كلمة « من الآن » تعني وقت حلول الروح القدس يوم الخمسين . ولكن هذا الرأي يطوّح بكلمة « الآن » أكثر مما تحتمل ، فيجعلها في حكم « سوف » ، ويعتقد ماير ان معناها « منذ تصريحي الذي افضيت به اليكم في عدد ٦ » . ولكننا نعتقد انها تعني « من الوقت الذي شرع فيه المسيح يخاطبهم بهذا الخطاب الوداعي »
التفسير : « وقد رأيتموه » — هذه هي الرؤية الروحية التي امتاز بها التلاميذ عن احبار اليهود الاقدمين . بما ان المسيح هو صورة الله غير المنظور ، وطبيعته وطبيعة الآب كلتاها شي واحد ، وليس الاثنان الا الهاً واحداً ولكن يتميزان بالاقنوم ، فينتج من هذا ان من رأى المسيح فقد رأى الآب . على ان التلاميذ لم يكونوا قد تحققوا هذا الامتياز بعد ، لانهم لم يكونوا يعرفون ذلك معرفة جلية ، لغلبة الحواس عليهم

« وقد رأيتموه » — كما ان قول المسيح للتلاميذ « وتعلمون حيث انا اذهب وتعلمون الطريق » (عدد ٤) ، قد استحثّ توما الى ان يسأل قائلاً : « كيف ندر ان نعرف الطريق ؟ كذلك كان قول القادي للتلاميذ : « وقد رأيتموه » ، محرّضاً فيلبس على ان يطلب الطلبة المدونة في العدد التالي

المحاضرة الثالثة : بين فيلبس والمسيح : المسيح في الآب ، والآب في فيلبس (١٤ : ٨ - ١٠)

عدد ٨ . طلب فيلبس : « قال له فيلبس يا سيد أرنا الآب وكفانا » .

يا سيد ارنا الآب وكفانا . ٩ قال له يسوع انا معكم زماناً هذه مدته

تعذر على بطرس ان يتبع المسيح حالاً ، وعزّ على توما ان يعرف الطريق تماماً، فجاء دور فيلبس الرجل العملي الذي يكتفي بعمل حساب للمنظور (٧: ٦) ، فعبّر عن امنية قلبه ، التي هي امنية الاجيال بأسرها : «ارنا الآب وكفانا» — فان هذه الرؤية تكفيها مؤونة الاسئلة الكثيرة ، وتمنع عنا اضطراب القلوب. قديماً كانت هذه امنية موسى، لكنها عزّت عليه (خروج ١٨: ٣٣ — ٢٣). وفيما بعد تغنى بها داود ، ومات على رجاء توقعها : «اما انا فبالبرّ انظر وجهك» (مزمور ١٧: ١٥). غالباً جداً كان فيلبس ينتظر استعمالاً لمجد الله مصحوباً بآيات وقوات وعلامات من السماء. فكانت طلبته هذه شبيهة بطلب اليهود آية من المسيح. وقد فاتهم ان الله محبة، وانه قدوس، ولذلك فان تجلياته لا تكون على اتمها، في مظاهر القوة الجامدة ، بل في شخصية حية ، اديّة ، كاملة ، تنطق بلغة الله وتعمل اعمال الله — هذه هي شخصية المسيح الحيّ ، الكامل ، الاوحد ، الذي رآه التلاميذ

عدد ٩ — ١٤ . جواب المسيح : « قال له يسوع انا معكم . . . » . يعتقد بنجال ان جواب المسيح على قول فيلبس « ارنا الآب » ، واقع في عدد ٩ — ١١ ، وان جوابه على قوله : « وكفانا » متضمن في عدد ١٢ — ١٤ . ويلوح لنا ان جواب المسيح في الاعداد ٩ — ١٤ شبيه بكنانة ذات خمسة سهام : —

السهم الاول — عتب لطيف : « قال له يسوع انا معكم . . . ولم تعرفني يا فيلبس » ؟ في هذه الكلمات تذكير، يمازجه عتب لطيف، موجه الى فيلبس

ولم تعرفني يا فيلبس . الذي رأي فقد رأى الآب فكيف تقول
انت ارنا الآب . ١٠ أأست تؤمن اني انا

باسمه — كنيائس عن التلاميذ — ليرفعه واياهم الى الحالة الروحية الراقية التي
يريدهم المسيح ان يكونوا عليها . ولا تخلو هذه الكلمات من رنة حزن ، كأن
تعيب السيد طوال هذه المدة قد ذهب ضياعاً ، لان فيلبس بانكاره معرفته
بالآب ، انكر ضمناً معرفته بالمسيح . لان المسيح في الآب والآب فيه

السرهم الثاني — نصريح خطير : « الذي رأي فقد رأى الآب » . ان
نفس الانسان تطبع تأثراتها ، وصفاتها ، وارادتها ، على صحيفة جسده ،
كذلك صفات الله ، وارادته ، ومقاصده ، تجلت في المسيح الذي هو « صورة
الله غير المنظور » . على ان جوهر الله لا يُرى

لو لم يكن المسيح الهاً ، لما جاز له ان يفوه بهذا التصريح

السرهم الثالث — توبيخ خاص : « فكيف تقول أنت ارنا الآب » ؟
النبرة في هذه الكلمات ، واقعة على كلمة « أنت » . كأنني بالمسيح يقول لفيلبس :
لو صدرت هذه الكلمة من غيرك ، لكان وقعها هيناً ، اما أن تصدر منك أنت
يا من اطعت امري منذ بدء خدمتي (١ : ٤٣ و ٤٤) ، فوجدت في شخصي
ملتقى نبوات الله ومواعيده (١ : ٤٥) ؟ ! فهذا لا يطاق . إذ كيف تلجأ أنت ، عند
ختم خدمتي ، الى طلب آية منظورة لتتحقق بها من صدق اقوالي (١ : ٤٦) ؟

عند ١٠ . السرهم الرابع — توضيح صريح : « أأست تؤمن اني انا في
الآب ، والآب فيَّ » ؟ ان في طلب فيلبس من المسيح ، ان يريه الآب ،

في الآب والآب في . الكلام الذي اكلكم به لست اتكلم به من نفسي لكن الآب الحال في

اعترافاً ضمناً من فيلبس بان المسيح في الآب ، والآب فيه . وان لم يكن المسيح ذلك ، فلن يبق في طاقته ان يجيب فيلبس الى طلبه . هذا مفاد قول المسيح لفيلبس : « ألسنت تؤمن » ؟ بل هذا ما كان يجب ان يؤمن به فيلبس ، حتى ولو لم يطلب هذه الطلبة ، لان المسيح سبق فقرر هذه الحقيقة على مسمع من جميع تلاميذه ، بما فيهم فيلبس

« انا في الآب ، والآب في » . ان الآب والابن اقنومان متميزان . وان الاتحاد الكائن بينهما ، تام في القصد ، والعمل ، ولا يجوز فيه الانفصال ، لان لهما جوهرأ واحداً . وان موضوع الايمان الذي توقعه المسيح من فيلبس ، له ركنان : أولهما : « انا في الآب » — اي ان المسيح أخلى نفسه ، ليحيا في الآب . ثانيهما : « الآب في » — اي ان الآب قد اودع كل مل قدرته ، وحكمته في المسيح الذي : « فيه يحل كل مل اللاهوت » (كو ٢: ٩) وعلى كل من هذين الركنين تُبنى نتيجة مهمة ، كما يظهر من باقي العدد ، فالركن الاول — أي اخلاء المسيح نفسه ليحيا في الآب ، تُبنى عليه النتيجة الاولى وهي : « الكلام الذي اكلكم به لست اتكلم به من نفسي » . والركن الثاني — اي ايداع كل قوات اللاهوت في المسيح ، تُبنى عليه النتيجة الثانية وهي : « الآب الحال في » هو يعمل الاعمال . فالنتيجة الاولى خاصة باقوال المسيح كلها . والنتيجة الثانية تتعلق باعماله — وكل اعماله معجزات . النتيجة

هو يعمل الاعمال . ١١ صدقوني اني في الآب والآب في . والا
فصدقوني لسبب الاعمال نفسها . ١٢ الحق

الاولى سليمة : مفادها ان كل كلماته ليست من عندياته . والثانية ايجابية :
مؤداها ان كل معجزاته مصنوعة باصبع الله

عدد ١١ . السرم الخامس - مطالبة مئة . « صدقوني . . » . بناء على
المجتبىين اللتين اوردهما المسيح في العدد السابق ، تقدم مطالباً لتلاميذه ، بان
يصدقوه : (١) بحسب كلامه : « صدقوني اني في الآب والآب في » . (٢) لسبب
اعماله : « صدقوني لسبب الاعمال » . ان كلامه يحمل في ذاته برهان صدقه . فكان
من الواجب على التلاميذ ان لا يحتاجوا مع كلامه الى برهان آخر . ولكن اذا
لم يقتنعوا بحجة كلامه ، عليهم أن يقتنعوا بحجة اعماله ، المنبئة بطبيعة اقواله ،
والمؤيدة لصدقها . فمن لا يقتنع بسمع اذنيه ، عليه ان يقتنع بمراى عينيه . لان
جلال اعمال المسيح ، يشهد لكمال اقواله ، وكمال اقواله يشهد لسمو طبيعته

عدد ١٢-٢١ . وعود للتلاميذ : نموت مزايا تعود عليهم (١٤: ١٢-٢١)

بعد ان اجاب المسيح على سؤالي توما وفيلبس ، عاد الى مواصلة كلامه
الذي استهل به هذا الاصحاح ، مشجعاً التلاميذ ومواسياً اياهم في اضطرابهم
الذي اصابهم بسبب توقع اقتراقه عنهم . فذكر لهم في هذه الاعداد نموت مزايا
سيتمتعون بها متى غاب عنهم . الاولى - انه التلاميذ سيواصلونه انفسهم
بارعمال التي ابشراها المسيح ، ويقرمونه باعمال اعظم (١٤: ١٢-١٤) .

الحق اقول لكم

والثانية - انه المسيح سيرسل اليهم مغنياً آخر بمكت معزم (١٥:١٤ - ١٧٠)
والثالثة - انه المسيح يأتي الى التلاميذ بذاته (١٨:١٤ - ٢١)

عدد ١٢ - ١٤ . الميزة الاولى التي تعود على التلاميذ من افتراءه
المسيح عنهم - مواصلتهم اعماله وقيامهم باعمال اعظم (١٢:١٤ - ١٤) .
هذه الاعداد تصف : (١) طبيعة الاعمال التي تجري بعد صعود المسيح :
« الحق . الحق » - فاه المسيح بهاتين الكلمتين تقريراً للتصريح الممتاز الذي
يعقبها (اطلب شرح ٣:٣ و ٥) - « اقول لكم . . . الاعمال » - اي
المعجزات - « التي انا اعمالها » - كانت هذه المعجزات ماثلة امام المسيح
والتلاميذ، كما لو كانت في حكم الحاضر ، لا الماضي . « يعملها هو أيضاً . ويعمل
اعظم منها » ليست هذه الاعمال اعظم من اعمال المسيح في مظهرها ولا في فخامتها .
- اذ لا تفاضل في المعجزات - بل في طبيعتها ومداها ، لانها في دائرة الروح :
مثل تخليص ثلاثة آلاف نفس في يوم واحد على يدي بطرس يوم الخمسين ، لان
تخليص النفوس الهالكة ، اعظم من ابراء الاجسام المريضة ، واقامة الاجساد
الميتة . ولان اعمال المسيح ، كانت غالباً قاصرة على اليهود ، لكن الاعمال التي
أجريت على ايدي التلاميذ تمت في الامم أيضاً . ويعتقد بنجال انها اعمال
اعظم في مظهرها امام عيون الناس ، مشيراً بذلك الى المرضى الذين كانوا
يستشفون بظل بطرس (اعمال ٥:١٥) ، وبالنناديل التي كان يمسها جسد
بولس (اعمال ١٩:١٢)

من يؤمن بي فالأعمال التي انا اعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها لاني ماضٍ الى ابي .

(٢) العامل الثانوي الظاهر المتمرك في هذه الأعمال العظمى — هو التلميذ المؤمن بالمسيح : « من يؤمن بي » . هذا هو ايمان الثقة ، والائتكال ، والتسليم . وهو أرقى من ايمان التصديق الذي تحدث عنه المسيح في عدد ١١ ، بقوله : « صدقوني .. والا فصدقوني » . وهل يكون التلميذ اعظم من معلمه ، والمريد أكثر اقتداراً من سيده ؟ ان الجواب على هذا السؤال نجده في الحقيقة التالية :

(٣) العامل الاول الخفي المتمرك — هو المسيح الممجّد « لاني ماض الى ابي » (عدد ١٢) . « فذلك أفعله » (عدد ١٣) « فاني أفعله » (عدد ١٤) . فما نصيب أيدي التلاميذ في هذه المعجزات ، با كبر من نصيب يد الصبية الصغيرة التي تمسك بها يد أبيها فتبرسم بها أبدع الصور ، أو توقع بها أجل الالحان . لم يكن في الامكان القيام بهذه المعجزات الاعظم الا بعد ذهاب المسيح الى الآب . عندئذ ان تكون ذبيحة المسيح الفدائية قد قبلت بقبول السماء اياه ، ويكون حائط السياج المتوسط بين الامم واليهود ، قد أزيل . ويكون المسيح قد تمجد ، فيرسل الروح القدس ليملا التلاميذ والكنيسة فيتم اتحاد التلاميذ بالمسيح ، ويكون في استطاعتهم حينئذ ان يواصلوا عمله الذي بدأه على الارض (اعمال ١ : ١) . (انظر أيضاً يوحنا ٧ : ٣٩) وكما ان اغصان الشجرة لا تقوى على الاتيان بثمار الا اذا اتحدت اتحاداً حيوياً بالكرمة ، كذلك لا تجود الكرمة بثمرها الا عن طريق الاغصان الحية

١٣ ومهما سألتكم باسمي فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن . ١٤ ان
سألتكم شيئاً باسمي

المتحدة بها . (٤) نصيب التمييز في القيام بهذه الاعمال الاعظم — الصلاة
باسم المسيح : «مهما سألتكم باسمي» (عدد ١٣) . . . «ان سألتكم شيئاً باسمي»
(عدد ١٤) . هذه اداة الاتصال بين العامل الثانوي والعامل الاولي في هذه
المعجزات . على ان الصلاة باسم المسيح ، لا يراد بها مجرد ذكر اسم المسيح
في نهاية الصلاة أو في بدايتها ، وانما يراد بها الصلاة في روح المسيح ،
واستحقاقاته ، بل في شخصه ، كما لو كانوا هم هو — كل هذا في نور
الاعلانات الجليلة التي أفضى بها اليهم عن شخصه وعمله ، لان اسم شخص ما ،
لا يعبر عن الحروف التي يتركب منها هذا الاسم وكفى ، بل يشتمل الذات ،
والصفات ، والمقام ، والمؤهلات ، المعروفة عنه . في صلبه عنا ، قام مقامنا ، ليحق
لنا ان نقوم مقامه متى طلبنا شيئاً لاجل ملكوته . (٥) الغاية القصوى من
اتيانه هذه الاعمال الاعظم : «ليتمجد الآب بالابن» . ذلك لان المسيح لم
يؤسس ملكوتاً لذاته ، بل لاجل مجد الآب . فالايمان به ، يُدعم الايمان بالآب
(١٤ : ١) ، وتمجيد اسمه ، تمجيد للآب ، فهو والآب واحد (١٠ : ٣٠)

في عدد ١٤ ، قرّر المسيح مؤكداً ما سبق فقّاه في عدد ١٣ . ولعلّ
النبرة واقعة على كلمة : « افعله » . فمع ان الصلاة مقدمة الى الآب ، الا ان
المجيب عنها هو المسيح العامل باسمه وسلطانه . فالتلاميذ يصلون باسم المسيح ،
والمسيح يعمل باسم الآب

فاني افعله . ١٥ ان كنتم تحبونني فاحفظوا

كرّر المسيح هذا الوعد: (أ) للتوكيد . (ب) لبيان مدى اتساع الوعد .
فان كلمة « مهما » لا حد لها . (ج) لبيان انه المحيى هو المسيح
عدد ١٥-١٧ . الميزة الثانية - المسيح يرسل معزيا آخر ليملك معهم .
هذه هي ميزة المزايا ، فهي اس كل المزايا التي يتمتع بها التلاميذ بعد صعود
سيدهم عنهم . في هذه الاعداد أبان المسيح لتلاميذه :

(١) الشرط الاربى فظنهم بهذا المعنى الآخر : « ان كنتم تحبونني
فاحفظوا وصاياي وانا اطلب » (عدد ١٥) . يتضمن هذا الشرط بذرة وثمرها
أما البذرة فهي محبة التلاميذ للمسيح ، وأما الثمرة فهي حفظهم وصاياهم .
أو قل ان هذا الشرط يتضمن أساساً و بناءه . فالأساس هو المحبة ، والبناء هو
الطاعة . وعلى هذا الأساس بُني الكلام في عدد ١٧ . ان الوصايا التي يطالبهم
المسيح بحفظها هي التزامات المحبة التي وضعها المسيح عليهم مدة اتباعهم اياه ،
وبخاصة في هذه الليلة الاخيرة . وبما انها التزامات ، فلا يستطيعون القيام بها
الابوة المحبة التي أقاضها السيد عليهم ، فجاءت محبتهم له صدى صوت محبته
لهم ، ولا فضل لهم . لان الفضل للمقدم . لقد أحبنا هو حتى الموت ، أفكثير
علينا اذا نحن أحببناه حتى الحياة ؟ !

ليس في قول المسيح لهم « ان كنتم تحبونني .. » انكار لمحبتهم له ، ولا
اظهار لتشككه في هذه المحبة ، بل حض على المزيد منها . وكما سبق فحضمهم
على المزيد من الايمان به (عدد ١) ، استحثهم هنا على المزيد من المحبة له . وقد

وصاياي . ١٦ وأنا أطلب من الآب فيعطىكم معزياً آخر

كرّر المسيح هذا القول — ولكن بصورة أخرى — في عدد ٢١ . فالكلام في عدد ١٥ يُبدأ بالبزرة ويصل منها الى الثمرة — فالبزرة الحية تجود بثمر حتماً . والكلام في عدد ٢١ يتناول الثمرة ويرجع بها الى البزرة — فالثمره تنم عن طبيعة البزرة : «من ثمارهم تعرفونهم»

عدد ١٦ . (٢) العلة الفعالة لظهور التلاميذ بالمعزى الآخر — شفاعته المسيح «وأنا أطلب من الآب» — هذا ركنٌ من أركان شفاعته المسيح . وموضوع هذه الشفاعه : عطية الروح القدس للتلاميذ . على ان كلام المسيح في هذا العدد، لا يتعارض مع قوله في ١٦: ٢٦ «في ذلك اليوم تطلبون باسمي ولست اقول لكم اني انا اسأل الآب من اجلكم» . فالكلام هنا يشير الى ما قبل يوم الخمسين . لكن الكلام في ١٦: ٢٦ يشير الى ما بعد يوم الخمسين — حين يكون الروح القدس قد حلّ بعلء في التلاميذ ليحكث فيهم الى الابد . فلا يبقى بعد مجال لأن يتشفع المسيح عن التلاميذ بشأن عطية الروح القدس لهم .

(٣) اوصاف المعزى الآخر . في عددي ١٦ و ١٧ وصفه المسيح وصفاً سراسياً — ا — في عمده : «معزياً» — الكلمة المترجمة «معزٍ» وردت في الانجيل خمس مرات — في اربع منها، قيلت عن الروح القدس (١٤: ١٦ و ٢٦ و ١٥: ٢٦ و ١٦: ٧)، وفي الخامسة، عن المسيح (١ يوحنا ٢: ١). الكلمة الاصلية «باركليتوس» تتضمن موهبة معانٍ : «المستعان» و«المعزى» و«الوكيل» — في التقى . — او الاثوكاتو . وليس فيها على الاطلاق شيء من معنى الحمد .

ليمكت معكم

نقول هذا بمناسبة زعم بعضهم ان المسيح انما انبأ في هذه الآية بمجيء نبي العرب ، مرتكنين فعلاً الى ما جاء في سورة الصف آية ٦ «ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد». ورداً على هذا نكتفي بإيراد هجتين - اوجهين : ان الاوصاف المنسوبة الى المعزي في يوحنا ١٤:١٦ و ١٧ ، تتناقض تناقضاً كلياً والوصاف المعروفة عن نبي العرب في: (١) ان المعزي روح لا يراه العالم ولا يعرفه واما نبي العرب فهو انسان رآه العالم وعرفه . (٢) ان المعزي يمكت بشخصه مع المؤمنين، الى الابد، واما نبي العرب فقد مات، وقبره معروف امره ، واليه يحج كثيرون من اتباعه في كل عام مرة . (٣) ان المعزي أرسل الى تلاميذ المسيح وهم يهود جنساً ، واما نبي العرب فقد جاء الى العرب . (٤) ان الغاية القصوى من رسالة الروح هي تبكيك العالم على خطية عدم الايمان بالمسيح (يوحنا ١٦:٩) والشهادة للاهوت المسيح (١ كورنثوس ١٢:٣) . واما نبي العرب فقد وقف رسالته على محاولة هدم لاهوت المسيح

والهبة الثانية هي: ان معنى الكلمة الاصلية المترجمة «المعزي» ينقض هذا الرأي من اساسه . ذلك لان معناها الاساسي: «الوكيل» . وواضح من سور الاسراء آية ٥٤ ، ان نبي العرب ليس بالوكيل: «وما ارسلناك عليهم وكيلاً» كما انه يتضح جلياً من سورة النساء آية ٨٠ ، ان الله وحده هو الوكيل: «وكفو بالله وكيلاً» ، وبما ان كلمة «الوكيل» قد نسبت في الانجيل الى الروح القدس ، والى المسيح (١ يوحنا ٢:١) ، فهذه شهادة ضمنية من القرآن للاهوت المسيح

الى الأبد . ١٧ روح الحق

وفوق هذا ، فانتا نهمس في آذان اخوتنا الذين يزعمون هذا الزعم ، مسرّين اليهم بان حساباتهم ما جاء في الانجيل عن « المعزي » منطبقاً على نبيهم ، يُعتبر اعترافاً ضمنياً منهم بان نبيهم هو رسول المسيح . لان المسيح يقول فيه « ومتى جاء المعزي الذي سارسله انا اليكم » (يوحنا ١٥: ٢٦) ، فينتج عن هذا ان المسيح هو الله ، الذي يُرسل الانبياء والمرسلين

ولنعد الآن الى الوصف التالى الذي به وصف للمسيحُ للمعزيّ :-
 (ب) في اقنومية : « آخر » — فالمسيح هو المعزي الاول الذي مكث مع التلاميذ بالجسد مدة خدمته على الارض (لوقا ٢: ٢٥) . هذا دليل على ان الروح القدس اقنوم^(١) ذاتي لا مجرد تأثير . فهو الاقنوم الثالث في اللاهوت القائم مقام المسيح في الكنيسة ، بعد صعوده . (ج) في مدة عمله : « ليكث معكم الى الأبد » — على خلاف مدة اقامة المسيح معهم بالجسد . فانها كانت قصيرة . واما اقامته معهم بالروح ، فالى جيل الاجيال (متى ٢٨: ٢٠) . هذه الاقامة الروحية ، تمت للتلاميذ ، وتم للكنيسة بواسطة الروح القدس

عدد ١٧ . (د) في لقبه ، وطبيعته ، ومصدره — « روح الحق » — اي الروح الذي يبلغ الحق الى روح الانسان ، ويرشد الى الحق (يوحنا ١٥: ٢٦ و ١٣: ١٦ و ١٠: ٤) — مقابل روح الضلال الذي يبتث الضلال في الازهان والقلوب . ويُراد أيضاً : « روح الحق » ، روح المسيح الذي هو

(١) كلمة « اقنوم » سرّانية الاصل : « قنما » ومعناها شخص او ذات

الذي لا يستطيع العالم ان يقبله لانه لا يراه ولا يعرفه . واما اتم فتعرفونه لانه ما كث معكم ويكون فيكم . ١٨ لا اترككم يتامى .

« الحق » (٦: ١٤) ، فكلمة : « الحق » تصف الروح في طبيعته ، وفي مصدره (هـ) في موقف العالم لراه - الذين هم في الضلال : « الذي لا يستطيع العالم ان يقبله لانه لا يراه ولا يعرفه » . بما ان العالم مشبع بروح الضلال فمن الطبيعي أن لا يقبل روح « الحق » . ولانه مغلوب بالمادة ، فقد عميت عيناه عن ان يرى « روح » الحق . ولانه « قد وُضع في الشرير » ، فلا يقدر ان يعرف « روح الحق » . يراد « بالعالم » الناس الذين باعوا انفسهم للعالم ، وتشبعوا من روحه ، فصاروا ماديين او طبيعيين (١ كو ٢: ١٤ و ٢١: ٢ و ٢ كو ٤: ٤) . من اجل ذلك « لا يستطيع العالم ان يقبل » الروح القدس - قبول الايمان (١١: ١ و ١٢) « لانه لا يراه » - لان البصيرة الروحية منعدمة فيه . « ولا يعرفه » - معرفة التمييز ، والتحقق ، والاختبار . (و) في موقف التمييز تجاهه - الذين هم في النور : « واما اتم فتعرفونه » - منذ ان عرفتموني فعرفتموه من كلامي ، واعمالتي ، واختبرتموه يوم ولدتكم الولادة الجديدة (٣: ٦ و ٥) . « لانه ما كث معكم » - الآن ، للعون والتعصيد . « ويكون فيكم » - بعد ان تمتثلوا به يوم الخمسين ، للتقوية ، والتعزية . قبل يوم الخمسين كان الروح مع التلاميذ ليسندهم ، وبعد يوم الخمسين صار في التلاميذ نبع قوة فياض

الميزة الثالثة : المسيح يأتي الى التلاميذ بذاته (١٤: ١٨ - ٢١)

عدد ١٨ . (ا) وعد جليل - انبائه المسيح الى تلاميذه - « لا اترككم ..

اني آتي اليكم . ١٩ بعد قليل لا يراني العالم أيضاً وأما انتم فترونني .

اني آتي . ان لهذا الوعد مآثرتين — اولهما : ملهي : « لا اترككم يتامى » . هذه كلمة والد يفيض قلبه حنواً على اولاده ، قبيل تركه ايام (١٣: ٣٣) . ان كلمة : « يتامى » ، لها وجهان امرهما مظل — يصف حالة التلاميذ التابعة بعد مبارحة المسيح لهم . والآخر منير — يرفع التلاميذ الى مصاف الابناء . اما الجانب الثاني من هذا الوعد فهو ايجابي : « اني آتي اليكم » . في اعتقادنا ان هذا الوعد منصرف الى مجيئ المسيح الى تلاميذه بالروح القدس يوم الخميس على ان بعض المفسرين يميلون الى الاعتقاد بان هذا المجيئ تم تدريجياً على دفعات ، كما في ١٤: ٣ . فاطلب شرحه في موضعه . ومع ان الروح القدس معز آخر ، الا ان مجيئه الى التلاميذ ، يُعتبر مجيئاً روحياً للمسيح بذاته . هذا وان مجيئ المسيح روحياً لا يمنع كونه مجيئاً ذاتياً أيضاً ، لان « الرب (المسيح) هو الروح » (٢ كورنثوس ٣: ١٧) . وهذا لا يمنع كون المسيح اقنوماً ، والروح القدس اقنوماً آخر ، حال كونه ايضاً « روح المسيح »

عدد ١٩ . (ب) امتياز خاص — غروب شمس المسيح عن العالم ، وشروقها على التلاميذ : « بعد قليل » — هذا القليل ينقص عن يوم . لان المسيح قال هذا الكلام ليلة النهار الذي رُفع فيه على الصليب ، ومن ثم رُفع الى المجد . « لا يراني العالم أيضاً وأما انتم فترونني » . ان هذا الوعد الجليل ، الذي حُرِم منه العالم ، قد تم للتلاميذ ، على صورة جزئية ابتدائية يوم قيامة المسيح من الاموات ، حين ظهر لخاصته — دون العالم . وقد تم ايضاً

اني انا حي فأنتم ستحيون . ٢٠ في ذلك اليوم تعلمون اني انا في ابي

على صورة أتي واوفى ، يوم الخمسين ، حين رأى التلاميذُ سيدهم حيون الايمان . هذا اليوم الثاني هو المقصود بقوله : « في ذلك اليوم »
ان المسيح المجد ، والآتي الى تلاميذه سيكون لهم ايضاً مصدر قوة وحياة : « انا انا حي فأنتم ستحيون » . من المهم ان نلاحظ الفرق بين الكلمة التي قالها المسيح عن نفسه : « انا حي » ، وتلك التي عبر بها عن اختبار التلاميذ : « ستحيون » . فالمسيح « حي » في الماضي ، والحال ، والاستقبال . فالموت الذي اعترى جسده ، لم يجد الى اماتته سبيلاً . ولكن التلاميذ سيتمتعون بفيض الحياة الروحية عند ما يمتلئون من روح المسيح . ان كون المسيح حياً ، مكن التلاميذ من رؤيته . ورؤية التلاميذ اياه ، بعثت في نفوسهم الحياة ان حياة المسيح ضمان لحياة المؤمنين ، فهي عربونها . وان حياة التلاميذ مستمدة من حياة المسيح ، فهي ثمرتها

عدد ٢٠ . (ج) علم يقيني — النور الذي سيصيدهم من اشراق المسيح عليهم : « في ذلك اليوم » — يوم الخمسين حين يأتي اليهم المسيح بروحه الاقدس متمماً ما وعدهم به في عدد ١٨ ، « تعلمون » — علم اليقين والاختبار ، لا بسمع الاذان (قابل هذا بما جاء في ٢٥: ١٦) . هذا العلم مثلث : (١) علمهم بأنه المسيح في الرب : « انا في ابي » — أي ان المسيح يحيا في الآب ، ويتكلم باسمه ، ويعمل بسلطانه . فهو متحد واياه اتحاداً حيويًا (٣٨: ١٠) . (٢) علمهم بأنهم هم في المسيح : « وأنتم في » — أي انهم أحياء في المسيح ، ومتحلون

وانتم فيّ وأنا فيكم . ٢١ الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي

به ، وثابتون فيه . هذا أكبر ضمان لأمنهم ، ومصدر قداستهم ، وأساس قبولهم لدى الآب . (٣) علمهم بأنه المسيح فيهم : « وأنا فيكم » - أي حي فيكم ، ومتكلم بلسانكم ، وعامل بأيديكم . هذا نبع حياتهم ، ومورد شجاعتهم ، وضمان نجاحهم . هذه بعض « عظام الله » التي تكلم بها بطرس يوم الخمسين (اعمال ٢: ١١) . (قابل هذا بما جاء في يوحنا ١٧: ٢١ و ٢٣ و ١ يوحنا ٣: ٢٤)

عدد ٢١ . (د) شرط تمنعهم بأشراى المسيح عليهم : « الذي عنده وصاياي .. » . ان الكلمة المركزية في هذه الآية هي « يحبني » . ومن هذه الكلمة يمتد الجزء الاول من هذه الآية ، ويتفرع الجزء الثانى . فالجزء الاول خاص بسلامة المحبة أو برهانها : « الذي عنده وصاياي ويحفظها » . والجزء الثانى متعلق بمكافأة المحبة المطيعة : « يحبه أبى . وأحبه أنا . وأظهر له ذاتي » . اما الجزء الاول فقد سبق المسيح وصرح به في عدد ١٥ - ولكن بصيغة أخرى . في عدد ١٥ ، أبان لهم ان حفظهم وصاياهم شرط لازم لطلبه الروح القدس ليكنث معهم ، وفي عدد ٢١ أوضح لهم ان حفظهم وصاياهم شرط لازم لاظهاره ذاته لهم . وكلاهما تعبير لحقيقة واحدة . فقد أظهر المسيح ذاته لهم ، بارساله الروح القدس اليهم . « الذي عنده وصاياي » - كنز في اعماق نفسه ، « ويحفظها » - عملياً كنبراس حياته ، فقد برهن بذلك على انه يحبني . هذا برهان محبة التلميذ للمسيح

اما مكافأة محبة التلميذ للمسيح ، فهي مثلثة : (١) انها تعد موضوع محبة

يحبني . والذي يحبني يحبه أبي وأنا احبه واظهر له ذاتي . ٢٢ قال له

الآب الخاصة : « يحبه أبي » . بما ان المسيح ، هو موضوع مسرة الآب ، فكل من يحفظ وصاياه ، يصير موضوع محبة الآب الممتازة ، وهي غير تلك المحبة العامة المذكورة في ١٦: ٣ « هكذا أحب الله العالم » . تلك تُمثل بمحبة جار لجاره الذي اعتدى عليه وأساءه . واما هذه فهي محبة الآب لأبناء بيته . تلك عامة . وهذه خاصة . (٢) انما نصيره موضوع محبة المسيح الممتازة : « وأحبه أنا » . ان المحبة الممتازة التي يختص الله بها حافظي وصايا المسيح ، تربط المسيح واياهم برابطة قوية متينة ، وتزيد حب المسيح لهم بعد اذ صاروا موضوع عناية الآب الخاصة من النديجتين السابقتين اللتين تكافأ بهما محبة التلميذ للمسيح ، تنفرع نتيجة ثالثة ، وهي : (٣) اظهار المسيح ذاته لتلميذه . من أجل ذلك يستطيع التلميذ ان يرى المسيح ويعرفه ، في الوقت الذي لا يستطيع العالم ان يراه فيه . هذا هو التجلي الروحي الباطني الذي لم يفهمه « يهوذا ليس الاسخريوطي » فسأل وتساءل . وعلى الرغم من سؤال يهوذا وغيره ، لم يتحول المسيح عن قصده الذي رسمه في هذا الخطاب الوداعي ، بل اتخذ من كل سؤال اداة لمتابعة كلامه ، فكان كربان سفينة ماهر اقتاد سفينته من غير ان تؤثر في اتجاهها والتيارات المعاكسة ، بل استعان بهذه التيارات على بلوغ غرضه

المحادثة الرابعة — بين المسيح ويهوذا ليس الاسخريوطي : المعلنات المسيحية :

شرطها ، وأستاذها ، واسلوب استاذها في التعليم (١٤ : ٢٢ — ٢٦)

عدد ٢٢ . (١) سؤال يهوذا ليس الاسخريوطي : « قال له يهوذا ليس

يهوذا ليس الاسخريوطي يا سيد ماذا حدث حتى انك مزعج ان
تظهر ذاتك لنا

الاسخريوطي». عُرف هذا التلميذ باسمه «يهوذا» في هذه البشارة وفي كتابات
لوقا (لوقا ١٦: ٦ و اعمال ١: ١٣). وعُرف بلقبه: لباوس وتداوس - أي الشجاع
والمعزز - في كتابات متى (مت ١٠: ٣) ومرقس (مر ٣: ١٨). ولقد حرص
يوحنا على أن يحفظ لهذا الاسم - ومعناه المحمود - ثقافته التي دنسها
الأسخريوطي بفعلته الشنعاء، فقال البشير: «يهوذا ليس الاسخريوطي». ولعله
ذكر هذه العبارة ليبعد عن فكر القاري احتمال عودة الاسخريوطي
الى زمرة التلاميذ بعد ان خرج «وكان ليلاً» (١٣: ٣٠). وربما أورد البشير
هذه العبارة، لأن يهوذا الأسخريوطي كان أكثر شهرة من يهوذا الآخر -
للأسف! وهكذا يشتهر الناس بأعمالهم البارزة، ان في قائمة الخير او الشر.
أما الذين لا يتحمسون لاهذا ولا لذاك، فهؤلاء يصيرون نسياً منسياً

لقد دلّ سؤال هذا اليهودا الغير الاسخريوطي على ما كان في قلبه من
انتظارات خاطئة من جهة «مسيا المنتظر». فقد كان يتوقع مع كثيرين غيره
من التلاميذ، ان المسيح سيظهر ذاته لخاصته وللعالم معاً، بان يقيم نفسه ملكاً
أرضياً، سياسياً، مادياً. واذ سمع يهوذا قول المسيح: «بعد قليل لا يراني العالم.
وأما أنتم فترونني...» والذي يحبني أظهر له ذاتي» (١٤: ١٩ و ٢١)، شعر كأن
آماله وانتظاراته في المسيح قد خابت، وأحس ان برنامج المسيح قد تغير
فجأة لسبب ما، فأراد ان يسأل عن هذا السبب قائلاً: «ماذا حدث حتى انك

وليس للعالم . ٢٣ أجاب يسوع وقال له ان احبني احد يحفظ كلامي
ويحبه ابي واليه نأتي

مزمع ان تظهر ذاتك لنا» - وحدنا - «وليس للعالم»؟ كان سؤال يهوذا مؤلفاً
من شرطية : أهما اختصاص المسيح تلاميذه بهذا الاعلان الممتاز .
وثانيهما حرمان العالم منه . على ان يهوذا ، بدلاً من أن يشكر سيده على
امتياز نعمته ، لوى عنقه سائلاً : «ماذا حدث؟! » وكذلك الانسان بوجه عام !
عدد ٢٣ و ٢٤ . (ب) جواب المسيح «أجاب يسوع وقال له . . . » . في
جواب المسيح على سؤال يهوذا ، واصل كلامه الذي انتهى اليه قبل ان يسأل
يهوذا سؤاله ، فكرر في عدد ٢٣ الشرط الذي وضعه في عدد ٢١ - فكان
هذا خير جواب على الشرط الاول من سؤال يهوذا «ماذا حدث حتى... تظهر
ذاتك لنا؟» . وفي عدد ٢٤ قرر بصيغة سلبية ما سبق فصرح به في عدد ٢٣
بصورة ايجابية - هذا جوابه على الشرط الثاني من سؤال يهوذا : «وليس للعالم؟»
عدد ٢٣ . شرط التمتع بالمعلمات المحيية : «ان احبني احد يحفظ كلامي»
هذا هو الشرط الذي تفرضه محبة التلميذ لسيده : حفظ كلام المسيح في
اعماق القلب ، لافي الذاكرة على ظهر القلب . على ان محبة التلميذ لسيده ، وان
كانت تفرض شيئاً على التلميذ ، فانها تجلب له مكافآت وامتيازات . فمنها :
(١) محبة الاب له : «يحبه ابي» . راجع عدد ٢١ . (٢) اتيانه الابه والاب اليه :
«واليه ناتي» . ان في قول المسيح عن نفسه وعن الاب «ناتي» لا كبر دليل
على لاهوت المسيح . (قابل هذا مع ١٠: ٣٠ و ١٧: ٢٠) (٣) سكن الابه

وعنده نصنع منزلاً. ٢٤ الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي. والكلام الذي تسمعونَه ليس لي بل للآب الذي أرسلني. ٢٥ بهذا كلمتكم

والآب مع التلميذ المحب المطيع، سكناً دائماً: «وعنده نصنع منزلاً». هذا يماثله كلام المسيح في لوقا ١٧: ٢١ «ها ملكوت الله داخلكم»، وعلى نسق قوله في رؤيا ٣: ٢٠ «ان سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل اليه وأتعشى معه وهو معي». ان قول المسيح «نصنع منزلاً»، يعيد الى ذاكرتنا كلامه في غرة هذا الانجيل: «في بيت أبي منازل كثيرة» (١٤: ٢). هنا على هذه الأرض، يصنع الله «منزلاً» عند المؤمنين ويسكن معهم. وفي السماء، يسكن المؤمنون مع الله في «المنازل» السماوية. فالحال الاولى لعددية الثانية، وفي كليهما تنازل من الله ومجد للمؤمنين. (لمزيد الايضاح، راجع تفسير ١٤: ١)

عدد ٢٤. عدة مرماه العالم من المعلنات المسبية، ومسؤولية: اما عدة الحرماه فهي: «الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي». لانه لا يستطيع، ولا يريد. ذلك لأنه في وادي ووصايا المسيح في وادي آخر. اما مسؤولية العالم في عدم حفظ كلام المسيح، فهي: ان كلام المسيح ليس من عندياته، وانما هو كلام الآب الذي أرسله. «والكلام الذي تسمعونَه» — الآن وفي كل المناسبات السابقة — ليس لي — أي لم ابتدعه انا من ذاتي — «بل للآب الذي أرسلني»

عدد ٢٥ و ٢٦. المعلنات المسبية — استازها واسلوبه في التعليم: في عدد ٢٥، قرر المسيح لتلاميذه انه في الوقت الحاضر، كلهم هو بشخصه: «بهذا كلمتكم وانا عندكم»، وفي عدد ٢٦، أبان لهم ان «المعزي» سيكون العامل في

وانا عندكم . ٢٦ وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء

هذه المعلنات في المستقبل . فالمسيح تكلم في الحال ، والمعزي سيعلّم ويدّكر في الاستقبال . المسيح تكلم « بهذا » أي بكلمات مركزة قد لا تكون مفهومة تماماً ، لكن الروح القدس سيعلّمهم « كل شيء » . ويدّكرهم بكل ما قاله لهم .
على ان المعزي ليس منفصلاً عن المسيح بل متحدّاً به اتحاداً وثيقاً :
(١) في شخصه لأنه سيأتيهم مرسلًا من الآب « باسم المسيح » . فكما ان المسيح متحدّ اتحاداً تاماً بالآب ، وجاء باسمه (٤٣: ٥ و ٢٥: ١٠) ، هكذا المعزي متحدّ اتحاداً تاماً بالمسيح وسيأتي باسمه . ان مهمة المسيح هي اظهار الآب للناس . ومهمة المعزي هي اظهار المسيح للكنيسة والعالم . ويراد بـ « اسم » المسيح : — ذاته ، ومقامه ، وصفاته ، وكل ما يتصل بهذا الاسم المبارك ، من سلطان وأعمال . ويجوز ان يكون معنى كلمة بـ « اسمي » ، ان الآب سيرسل الروح القدس اجابة لشفاعة المسيح (عدد ١٦)

اما اسم المعزي فقد ذكره المسيح كاملاً في هذه الآية : « الروح القدس » . كلمة « القدس » تصف طبيعة الروح ، وتعيّن نوع عمله — فهو مقدّس الكنيسة ومهيّء اياها للمسيح . هذه هي المرة الوحيدة التي ورد فيها هذا الاسم كاملاً في هذه البشارة . وقد ورد في مواضع عدة في سائر البشائر (مت ١٢: ٣٢ ومر ٣: ٢٩ ولوقا ١٢: ١٠ و ١٢: ١٣ ومر ١١: ١٣ ومت ٢٨: ١٩) (٢) في أسلوبه : « فهو يعلمكم كل شيء » . ويدّكرهم بكل ما قلته لكم . مع

ويذكركم بكل ما قلته لكم . ٢٧ سلاماً

انه يظهر كأن عمل الروح القدس أوسع من عمل المسيح، اذ قيل « يعلمكم كل شيء »، الا ان الروح، في الواقع، لا يأتيهم بشيء لم يكن موجوداً، بل يعلمهم كل شيء عن طريق تذكيره اياهم بكل ما قاله لهم المسيح . ان عماد أسلوبه، هو الاكتشاف، وليس الاختراع . فالتعليم والتذكير يسيران معاً وينبغي احدهما الآخر، لانه اذ يعلمهم يذكرهم، وكما ذكرنا، ازدادوا علماً ان كلام المسيح لهم شبيه بالبذار، لكن تعليم الروح لهم، شبيه بتغذية هذه البذار، وانماها حتى تستحيل الى ثمار

عدد ٢٧ - ٣١ . كلمة ختامية للشطر الاول من الخطاب الوداعي -

سروم المسيح في وجه العواصف والمهاجرات (١٤: ٢٧ - ٣١)

عدد ٢٧ . سروراً! - بهذه الكلمة تُسهل التحية، ويختتم الوداع . على انها في فم المسيح أضحت أكثر من تحية وأجل من وداع، فاستعالت الى بركة، وزركة، وعطية: « سلاماً اترك لكم . سلامي أعطيكم » . في عددي ٢٥ و ٢٦ قدم المسيح لتلاميذه نوراً جلاباً ما غمض عليهم من كلامه، وفي الاعداد التي أمامنا أخلف لهم تركة مجيدة، ومنحهم منحة خالدة، لمواجهة العواصف التي تصادهم، والصعاب التي تصادفهم في مستقبل الأيام

السلام خير ميثاق عقده الله قديماً مع فينحاس ونسله من بعده: «هأنذا أعطيه ميثاقى، ميثاق السلام» (عدد ٢٥: ١٢) . وهو خير ما ترك المسيح لتلاميذه وكنيسته . قال ماثيو هنرى: «قبل أن يغادر المسيح هذا العالم، رتب

أترك لكم . سلامي أعطيكم . ليس كما يعطي العالم أعطيكم انا .

وصيته . فترك روحه للآب ، وجسده ليوسف الرامي ونيثوديموس . وثيابه للجنود الذين صلبوه . وأمه ليوحنا الحبيب ، وأما التلاميذ ، فلم يترك لهم ذهباً ولا فضة ، وإنما ترك لهم ما هو آمن وأبقى وأبقى — اذ ترك لهم سلامه»

السلام هو اطمئنان القلب ، على رغم ما يحيط به من عوامل القلق . أساس هذا السلام ، المصالحة مع الله . وشعاره التسامح مع الناس . ورمزه ، راحة الضمير . هذا هو السلام الذي اشتراه لنا المسيح بموته على الصليب ، اذ صالحنا مع الله ، ووضع لنا المثل الاعلى في التسامح ، ووهبنا راحة الضمير . «سلاماً اترك لكم» — هذا هو السلام العام الذي أنتجته كفارة المسيح . «سلامي أعطيكم» — هذا هو السلام الخاص المشتق من قلب المسيح المطمئن الهادي ، وهو خير هدية منه للمؤمنين به . فهو هبة مستمدة من كنز قلبه الطاهر الصفوح . هنا أعطى المسيح سلامه لتلاميذه ، وفي لوقا ١٠: ٥ و ٦ قد تلاميذه سلطان إبطاء السلام للناس

«سلاماً أترك لكم سلامي أعطيكم» — وهل في قلب الحزن الخيم ، وفي مواجهة الصليب ، وامام العواصف المقبلة ، يليق التحدث بالسلام ؟ أي نعم ! وان لم يكن السلام ذلك ، وجب ان يكون كذلك . هذا هو الفرق بين السلام الذي يهبه المسيح ، والسلام الذي يعطيه العالم : «ليس كما يُعطي العالم أعطيكم انا» . ان العالم يكتفي بأن «يلقي» السلام بكلمة جوفاء لا شيء فيها من الاطمئنان أو السلام . لكن المسيح يعطي السلام حقاً . العالم يعطي السلام كجرّد أمنية .

لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب . ٢٨ سمعتم اني قلت لكم انا اذهب ثم آتي اليكم . لو كنتم تحبوني لكنتم تفرحون

لكن المسيح يهب سلامه لتلاميذه هبة أكيدة . العالم يعطي سلاماً ظاهرياً ، بمحاولته ان يحسن الظروف المحيطة بالانسان — وهيات ! لكن المسيح يعطي سلاماً عميقاً قلبياً وسط كل انزعاج واضطراب ، كالواحة في قلب الصحراء القاحلة الجرداء . ومن المهم ان نذكر ان للمسيح سلاماً يعطيه — فهو اذاً يعطي مما يملك : « سلامي » . واما العالم فلا سلام له . فهو يحاول ان يعطي مما لا يملك . فالسلام محذوف من عطية العالم : « سلامي أعطيكم ليس كما يعطي العالم » . فأي شيء يعطيه العالم ؟ انه يعطي الصدقة من غير اللواؤة . والقشور مجردة من اللب . والمصباح خالياً من النور . أما المسيح ، فانه يعطي النبع الفياض وسط الصخور والاحجار . لذلك أردف كلامه بالقول : « لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب » . فردد النعمة التي بها استهل هذا الاصحاح ، مؤكداً ومقرراً : « لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب » فالهبة وليدة الاضطراب . أما سبب عدم اضطرابهم وعدم رهبتهم ، فقد أوضحه المسيح في العديدين التاليين :

عدد ٢٨ و ٢٩ . انظروا المسيح عن التلاميذ ، ينبغي انه يكونه موضوع فرهم ، وعزاء ايمانهم : « ... لكنتم تفرحون .. وتؤمنون » . لم يكتفِ المسيح بان أوصى تلاميذه بعدم الاضطراب ، وعدم الرهبة ، بل انتظر منهم فرحاً ايجابياً ، وايماناً قوياً : « لكنتم تفرحون .. حتى متى كان تؤمنون » . « سمعتم اني قلت لكم انا اذهب ثم آتي اليكم » — (عدد ٢ و ١٢ و ١٨) — « لو كنتم

لاني قلت امضي الى الآب . لان ابي اعظم مني . ٢٩ وقلت لكم
الآن قبل ان يكون حتى متى كان تؤمنون . ٣٠ لا اتكلم أيضاً
معكم كثيراً لان رئيس هذا العالم يأتي

تحبوني » — محبة مجردة من حب ذواتكم ، على مثال محبتي لكم — « لكتم
تفرحون » — لاجلي ، ولاجل انفسكم بالتالي — « لاني قلت امضي الى الآب .
لان ابي اعظم مني » . ليست للمقارنة هنا بين الآب والابن في الطبيعة ، فهما فيها
متساويان ، ولا في الجوهر فان لهما جوهرًا واحدًا ، ولا في اللقام فقامهما واحد .
لكنه قارن بين ذاته في حال الاتضاع والتجسد ، وبين الآب في مجده
الاعلى . أو قل ان للمقارنة قائمة بين المسيح في حال اتضاعه وبينه هو نفسه
في حال الارتفاع والمجد . لان الابن ذاته سيعود الى الآب ليتمتع بالمجد الذي
أخلى نفسه منه عند التجسد ، ويسترد السلطان الذي تنحى عنه طوعاً واختياراً ،
اثناء وجوده على الارض . من اجل ذلك رغب المسيح الى تلاميذه ان يحملوا
عودته الى المجد بموضوع فرحهم ، وغذاء ايمانهم (١ : ١ - ١٨)

عدد ٣٠ و ٣١ . نظرة الى قلب المسيح — برارته ، ومحبة ، وطاعة ،
وسرامة : « لا اتكلم أيضاً معكم كثيراً » — فالوقت ليس وقت الكلام ، بل
وقت الصراع الذي ينتظرني . غير اني لا أخشى هذا الصراع فأنا واثق من
النصرة قبل دخولي المعركة « لان رئيس هذا العالم » — اي الشيطان — « يأتي
وليس له في شيء » . هذا دليل قوي على شعور المسيح ببرارته التامة وخلوه
من كل شبه شر . وهل يجرؤ اقدس قديس على القول : « ليس له في

وليس له في شيء. ٣١ ولكن ليفهم العالم اني احب الآب وكما
أوصاني الآب هكذا افعل. قوموا ننطلق من ههنا

شيء؟ أو هل يقوى المسيح نفسه على ان يقول هذا القول لو كان مجرد انسان؟
«ليس له في شيء» — اي ليس له سلطان، ولا رئاسة، ولا ملكية، لاي شيء
في. ولو كانت للشيطان اي شيء في المسيح، لكان له عليه حق
الموت، وبهذا الحق كان يذهب المسيح الى الصليب جبراً واضطراً،
لا طوعاً واختياراً «لان أجرة الخطية هي موت». اما وان المسيح ابراً من
البر نفسه، فلم يذهب الى الصليب اذا؟ الجواب في هذه الكلمات: «لكن ليفهم
العالم اني احب الآب، وكما أوصاني الآب هكذا افعل». اذا رغبة المسيح في
تفهم العالم مقدار كمال محبة وروء له وب، هي التي تقدمت به الى الصليب.
فليست حبال الجند الرومان، هي التي اوثقت يدي المسيح، بل هي حبال
محبة للآب، وطاعته الكاملة له. اذ كان في امكانه ان لا يُصلب لو لم يرد!
اما سرامة المسيح فقد تجلت في قوله لتلاميذه «قوموا ننطلق من ههنا»
وهو عالم انه منطلق لمواجهة يهوذا الخائن، ورؤساء الكهنة الاشرار، وبيلاطس
المراوغ، وهيرودس اللاهي، والجنود القساة القلوب. على انه لم يذكر شيئاً
عن هؤلاء، وانما ذكر الشيطان. لانهم كانوا آلات يحركها الشيطان
«قوموا ننطلق من ههنا» — لم يترك المسيح تلاميذه وحدهم، بل ذهب
واياهم — ما خلا يهوذا — الى وادي قدرون — والى جثسياني، ومنها ذهب
وحيداً الى الجلجثة — والى القبر — والى المجد!

الاصحاح الخامس عشر

هربت الطريقه ص ١٥ و ١٦

فاه للمسيح بالكلمات التي بها اختتم الاصحاح السابق ، وقام مع تلاميذه من العلية حيث اكل عشاء الفصح الأخير مع تلاميذه . وتحدث اليهم أحاديث أعذب وأحلى من لذيذ الأطايب ، وشهي الطعام . فانطلقوا في قاصداً جبل الزيتون ، فاجتازوا شوارع أورشليم الضيقة في سكون الليل الرهيب ، وبدر العيد في تمامه يحيى " شمس البر " قبيل وقت غروبه ، وغالباً عرجوا في طريقهم على الهيكل الذي كانت ابوابه مفتوحة طوال ليالي العيد ، فلهجوا لآخر مرة ، تلك الكرمة النهمية التي كانت تزين باب الهيكل وترمز الى مجد اسرائيل (تاريخ يوسفوس) . ومن هناك ساروا في الطريق المؤدي الى وادي قدرون وكانت أرضه يومئذ مزرعة بكثير من الكروم ، فانتحى واياهم بقعة هادئة في ذلك المكان . وهناك استأنف حديثه الوداعي الذي مررنا بالقسم الأول منه في ٣١:١٣ — ٣١:١٤ ، وكان تلاميذه في هذا القسم الثاني من الحديث ، مستمعين في صمت رهيب ، من غير أن يجزأ أحدهم على مقاطعته بسؤال أو استفهام ، الامر واحد أرادوا فيها أن يسألوه فملكتمهم الرهبة ، واكتفوا بأن يهمسوا الى بعضهم البعض بما كانوا يسمعون (١٧:١٦) ، فتساءلوا من غير أن يسألوا (١٩:١٦) . أما المسيح فقد استهل هذا الجزء من الحديث باستعارة مستمدة من البيئة المحيطة بالتلاميذ — سواء أكانت الكرمة التي على باب الهيكل ، ام كروم وادي قدرون ، فقال : «أنا الكرمة الحقيقية»

١ انا الكرمة

يتضمن هذا الجزء ثمرة افكار رئيسية : أولاً . مقام التلاميذ في المسيح (١٥:١ - ١٧) : ثانياً . موقف العالم تجاه التلاميذ (١٥:١٨ - ١٦:٤) . ثالثاً . النصرة التي سيظفر بها الروح القدس على العالم بواسطة التلاميذ (١٦:٥ - ١٥) . كلمات ختامية (١٦:١٦ - ٢٣)

ويجوز ان ننظر الى هذا الجزء نظرتنا الى جعبة فيها سبعة سرام نوراينة
(١) التلاميذ والمسيح (١٥:١ - ١١) . (٢) التلاميذ وبعضهم البعض (١٥:١٢ - ١٧) . (٣) التلاميذ والعالم (١٥:١٨ - ١٦:٤) . (٤) العالم والمسيح (١٦:٥ - ١١) . (٥) المسيح والتلاميذ (١٦:١٢ - ١٥) . هذه يستحيل الى فرع (١٦:١٦ - ٢٤) . (٧) نصرة بعد كسرة (١٦:٢٥ - ٢٣)

السر الاول - التلاميذ والمسيح (١٥:١ - ١١) . هذا سهم سباعي : عدد ١ - ٣ . (١) الاتحاد المهي الذي بين التلاميذ والمسيح - التلاميذ في المسيح، والمسيح فيهم، كالأغصان في الكرمة والكرمة في الأغصان : «أنا الكرمة الحقيقية» . هذا هو الاعلان السابع في هذه البشارة، وبه تختم سباعية التصريحات المجيدة التي أفضى بها المسيح الى تلاميذه عن ذاته : «أنا الكرمة الحقيقية» . لقد تبأنت أراء المفسرين في تعيين الكرمة الغير الحقيقية التي اتخذ منها المسيح مناسبة خارجية لقوله : «أنا الكرمة الحقيقية» . فجمهور المفسرين الذين يعتقدون بأن المسيح لم ينتقل من العلية بعد قوله : «قوموا نتطلق من ههنا» ، يظنون ان القادي ، حين قال «أنا الكرمة الحقيقية» ، كان ناظراً الى كرمة طبيعية كانت

الحقيقية

أغصانها وثمارها على متدلية جوانب العلية. أو ان المسيح استعار هذا المجاز من نتاج الكرمة الذي استعمل في العشاء الأخير. ويعتقد هنجستبرج ان المسيح قصد أن يقابل بين نفسه وكنيسته، وبين اسرائيل الذي كان يُرمز اليه بالكرمة في العهد القديم (اشعيا ٥: ١ ومزمور ٨٠: ٩). ونميل نحن الى الاعتقاد بأن للمسيح كان يشير ضمناً الى الكرمة الذهبية التي كانت تزين باب الهيكل، أو الى كرم كانت منزرعة في وادي قدرون (انظر مقدمة هذا الاصحاح). ان قوله: «الكرمة الحقيقية» معناه الكرمة الروحية، الحاملة في ذاتها نموذج الكمال وقد اختار المسيح الكرمة^(١) — دون غيرها من الأشجار — لأنها تفضل سواها في تادية للمعنى الذي أراده. فالكرمة غنية بصارتها، سخية بثمارها التي هي خير غذاء، وبهجة، وعزاء. وفي الكرمة لا تجد حداً فاصلاً بين جذعها وأغصانها. ولا قيمة لأغصان الكرمة إلا في ثمارها. بخلاف أغصان سائر الأشجار. وقد قال باسيلوس في عظته الشهيرة: «عظة للسثني»: «ان الكرمة وهي تمد اذرعها على خشب «كر بال» العنب، تحمل صورة معنوية للمسيح وهو مملود الذراعين على خشبة العار والهوان»

الكلمة: «الكرمة» تعني الجذع والأغصان معاً. مثل كلمة «الجسد» في ١ كو ١٢: ١٢ حيث تعني المسيح والكنيسة معاً. ووجه الشبه الرئيسي بين المسيح

(١) يقول ملر انه رأى على زجاج إحدى ثواقف كنيسة ارباخ من اعمال المانيا، صورة صليب منفرس في تربة فثبت وترعرع واستحال الى كرم، فاضحي ثراعه غصنين تتدلى منهما عناقيد فيها حياة وغذاء

وابي الكرام . ٢ كل غصن في لا يأتي بشر ينزعه . وكل ما يأتي

والكرمة هو النظام الحيوي الذي به تصير حياة الجذع ، حياة للاغصان أيضاً «وابي الكرام» — أشار المسيح بهذه العبارة الى أن الله الآب قد أرسله الى العالم، وجعله في تدبير الفداء مصدر حياة للعالمين، وبه أسس الكنيسة التي هو ملكها، ومالكها، وحارسها، ومتعهدا بأعمال العناية، وبروح قدسه . وقد شبه الله بالكرام في مزمور ٨٠: ٩ ومتى ٢١: ٣٣ ومرقس ١٢: ١ ولوقا ٢٠: ٩

عد ٢. الكرام ينعم الكرم : «كل غصن في...» . ان الكرام ينزع الغصن الميت ، الذي ليس في حقيقته غصناً ، بل له صورة الغصن واسمه . فهو مثبت في الكرمة تثبيتاً آلياً صورياً ، وليس ثابتاً فيها ثبوتاً حياً . وأما الغصن المثمر فان الكرام يتعمده بالتنقية ، ليحفظ عصا رته من ان تتوزع عبثاً في أطرافه المترامية ، فتتركز في اللة وهي في دور التكوين ، فتستحيل الى ثمر كثير . يستنتج هنجستنبرج ان الغصن الغير المثمر هو الأمة الاسرائيلية . على ان هذا بعيد الاحتمال . وفي اعتقادنا ان الغصن الغير المثمر هو يهوذا ، وأولئك «التلاميذ» الذين انصرفوا عن المسيح بعد حديثه عن الخبز الحي (٦٦: ٦) ان العضو الاشل ، قد يُنزع من كنيسة المسيح بسبب تجربة لا يقوى عليها ، او بسبب قصاص يوقعه الله عليه في هذه الحياة ، او بفأس الموت

وأما العضو الحي فهو موضوع تأديبات الله في هذه الحياة . والتأديب غير القصاص . فالنزع قصاص . لكن التنقية تأديب . وقد يكون المؤمن موضوع تأديبات الله في وقت فتور بعد نهضة ، أو تواكل بعد انتعاش ، أو

بشر ينقيه ليأتي بثمر أكثر. ٣ أتم الآن اتقياء لسبب الكلام الذي
كلتكم به. ٤ اثبتوا فيّ وأنا فيكم.

بسبب انصراف قواه الى اتجاهات جسدانية. فمن فرط حب الله له، بل من
علامات رضاه عنه، انه ينقيه لتصير حياته الروحية منصرفة الى الثمر الروحي.
وأدوات التنقية، هي اعمال العناية، والكلمة

عدد ٣. المسيح يطبق الجانب الخير من هذا المبدأ على التلاميذ: «أتم...»
لئلا يتبادر الى ذهن التلاميذ شك في ما اذا كانوا هم، من الأغصان الغير
المثمرة ام من الأغصان المثمرة، تداركهم المسيح بلطفه، فقال: «أتم الآن
أتقياء». هذا دليل على انهم من الأغصان المثمرة لا الغير المثمرة. ومن فرط
لطفه لم يشأ أن يتركهم تحت مرارة التخوف من ألم التنقية، بل قرّر لهم مؤكّداً
انهم «الآن أتقياء». فإذا هم أغصان مثمرة منقاة. «لسبب الكلام الذي كلمهم
به». لا «كلام المسيح حيّ وفعال وأمضى من كل سيف ذي حدين،
وخارق الى مفرق النفس، والروح، والمفاصل، والخصاخ، مميزاً أفكار القلب
ونياته» (عب ٤: ١٢). (انظر يوحنا ٥: ٢٤ و ٨: ٣١ و ٣٢ و ١٢: ٤٨)

عدد ٤. (٢) التاموس الذي يفرضه هذا الانموذج الحي - الثبوت المتبادل
«اثبتوا فيّ وأنا فيكم». ان الثبوت المتبادل بين الغصن والكرمة، هو
تاموس حياة الغصن، وهو الشرط اللازم لاتيانه بثمر. وقد افرغ المسيح هذا
التاموس في صيغة واجب مفروض على التلاميذ القيام به، باعتبار كونهم
اغصاناً في المسيح الكرمة الحقيقية «اثبتوا فيّ... كما ان الغصن لا يقدر ان يأتي

كما ان الفصن لا يقدر ان يأتي بشر من ذاته ان لم يثبت في الكرم

بشر من ذاته ان لم يثبت في الكرم كذلك انتم أيضاً ان لم تثبتوا فيّ . يراد بثبوت المؤمن في المسيح ، مثابته على الايمان به ، وتسليم حياته له ، مجردة عن كل حكمة جسدية أو ارادة نفسانية أو برّ ذاتي . ويراد بثبوت المسيح في المؤمن امتلاك المسيح للمؤمن امتلاكاً تاماً ، وامتلاء المؤمن منه امتلاء لا يعرف نقصاناً. فيحيا المؤمن — ولكن بحياة المسيح ، ويفكر — ولكن بفكر المسيح ، ويحب ويبغض — لا بقلبه هو ، بل بقلب المسيح . كما قال بولس الرسول : « فاحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ » . فما أحياء الآن في الجسد فأتما أحياء في الايمان ، ايمان ابن الله الذي أحبني واسلم نفسه لاجلي » (غلاطية ٢: ٢٠) . ان ثبوت المؤمن في المسيح شرط لازم لثبوت المسيح في المؤمن . وان ثبوت المسيح في المؤمن ، نتيجة طبيعية لثبوت المؤمن في المسيح ، وشرط لازم لحياة المؤمن واتيانه بثمر. فاذا ما وضعنا قطعة من الاسفنج في الماء ، قلنا ان الاسفنج في الماء ، والماء في الاسفنج . فوجود الاسفنج في الماء شرط لازم لوجود الماء في الاسفنج . وقس على ذلك

«اثبتوا فيّ» — عندما دعا المسيح تلاميذه في غرة خدمته الجهرية قال لهم: «هلموا ورأى» . وفي قلب خدمته ، دعا بعضاً منهم واخذهم معه الى جبل التجلي. وعند ختام خدمته، قال لهم جميعاً: «اثبتوا فيّ» — هذه ثمرة درجات متصاعدة . فالتلاميذ كانوا أولاً سائرين وراء المسيح ، ثم تقدموا درجة فصاروا في معيته ، ثم ارتقوا درجة اسمى فصاروا فيه . هاتان الكلمتان: « في

كذلك اتم ايضاً إن لم تثبتوا في . ه انا الكرمة وانتم الاغصان .
الذي يثبت في وانا فيه هذا يأتي بثمر كثير

المسيح ، ه مفتاح كنوز المعلنات الالهية الجليلة في العهد الجديد ، وعلى نوع
خاص في رسائل بولس الرسول ، التي كانت كثيرة الذيوع والانتشار قبل ان
تكتب هذه البشارة الرابعة . فقد وردت هاتان الكلمتان في العهد الجديد
١٣٠ مرة ، وفي رسائل بولس ٦٠ مرة

الولسامة الطبيعية		المؤمن ، في المسيح	
تحت الناموس	حر من الناموس	عبد للخطية	قديس بلا دنس
تحت غضب الله	مصالح مع الله	في المستنقعات	في السماويات
تحت الدينونة	لا دينونة عليه	ينحفي النون	منظار لقاء الحبيب
ناقص في كل شيء	مملوء في المسيح	في ظلمة القبر	في نور الفردوس
ميت بالخطايا	مقام مع المسيح	بعيداً عن الله	مع الرب كل حين

عدد . (٥) تطبيق هذا الناموس «أنا الكرمة وانتم الاغصان» . كرّر
المسيح في هذا العدد تصريحه الذي فاه به في العدد الاول : «أنا الكرمة» ، على
سبيل التوكيد ، مبيناً فيه صلة التلاميذ به كما يتّين في العدد الاول صلة الآب
به . فقال في العدد الاول : «أنا الكرمة وأبي الكرام» ، وقال في هذا العدد :
«أنا الكرمة وانتم الاغصان» . وما قاله في العدد الرابع ، عن الاغصان ،
خصصه في العدد الخامس للتلاميذ . فأفهمهم انهم ليسوا الا أغصاناً ،
وحذرهم من ان يتوهموا يوماً انهم الكرمة ، فيستقلوا بأنفسهم عنه . لانهم

لأنكم بدوني لا تقدرُونَ أن تفعلوا شيئاً. ٦ أن كان أحد لا يثبت
فيَّ يُطرح خارجاً كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه في
النار فيحترق

«بدونه لا يقدرُونَ أن يفعلوا شيئاً». فالمسيح هو الكل في الكل ، والتلاميذ
ليسوا شيئاً، إلا فيه ، وبه .

عدد ٦ . (٤) عقاب التفريط في هذا الناموس (أن كان أحد لا يثبت
فيَّ يُطرح خارجاً كالغصن فيجف ويجمعونه في النار فيحترق) . أن الوقت
الذي اقضى فيه المسيح بهذا الحديث إلى تلاميذه ، يوافق وقت « تقليم »
الكروم في فلسطين . وكان على مقربة من المسيح والتلاميذ وقتئذ ، في
وادي قدرون ، كثير من الأغصان الجافة ، مطروحة هناك والنيران تلتهمها.
وغالباً ، نطق المسيح بهذه الكلمات ، وهو يوجه انظار التلاميذ إلى هذا المشهد
في هذه الكلمات ذكر المسيح خمس درجات لاقتضاء على الغصن الغير
المثمر: - أ - « يُطرح خارجاً » . هذه الدرجة ، يقابلها في الروحيات طرد
الخوارج والغير المستعدين (متى ١٢: ٨ و ٢٢: ١٣) . - ب - « فيجف » . الجفاف
يكنى به عن حالة الانسان بعد أن يفارقه روح الله (عب ٦: ٦) . - ج -
« ويجمعونه » . هذا كناية عن عمل ملائكة الدينونة في اليوم الاخير (متى
٤١: ١٣) . - د - « ويطرحونه في النار » . هذا رمز إلى عذابات الضمير
والذاكرة وما إليها . - هـ - « فيحترق » . بهذه الدرجة الختامية يُسدل الستار
على أولئك الذين ادعوا الايمان بالمسيح من غير حق

٧ ان ثبتتم في وثبت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم.
٨ بهذا يتمجد ابي ان تأنوا بثمر كثير

عدد ٧ و ٨ . (٥) مطافاة الازمات بهذا التاموس . « ان ثبتتم في » :
في هذين العديدين ذكر المسيح مطافيتين للثبوت فيه : —

(١) المطافاة الاولى : الصلاة حسب ارادة الله : « ان ثبتتم في » وثبت
كلامي فيكم تطلبون .. » . استعاض المسيح بقوله « كلامي » عن قوله « أنا »
جاعلاً كلامه في مقام شخصه . « تطلبون ما تريدون فيكون لكم » . ان
ثبوت كلمة المسيح في قلب المؤمن ، يعرف المؤمن ارادة الله ، ويجرده عن
ارادته الذاتية ، فلا يطلب ما لنفسه بل ما لله . وان صلاة هذا وصفها ، هي
محققة القبول . فهي عبارة عن مواعيد الله مفرغة في قالب طلب ، وهي حاملة
جوابها في ثنايا طلبها . ومن المهم ان تذكر ان المسيح أبان للتلاميذ ان اول
خطوة في اثمارهم هي الصلاة — فهي اساس اعمالهم ، وهي خير ضمان لنجاحهم
تعود اغسطينوس ان يقول : « اللهم هبني نعمة بها اجعل ارادتك ارادتي ،
فتعجل ارادتي ارادتك »

(٢) المطافاة الثانية : الاتيان بثمر كثير : « بهذا يتمجد ابي ان تأنوا بثمر
كثير فتكونون تلاميذي » (عدد ٨) . ان اتيان التلاميذ بثمر كثير له دلالته
وتبعيته . اما دلالته فهي انه ججة تلمذتهم الحق وشعارها . « فتكونون تلاميذي »
اي فتكونون أهلاً للاسم الشريف الذي يحملونه . واما تبعيته فهي انه يؤول
الى تمجيد الآب « بهذا يتمجد ابي » . واي شيء يعود على السكرام بالجد أكثر

فتكونون تلاميذي . ٩ كما احبني الآب كذلك احببتكم انا .
اثبتوا في محبتي . ١٠ ان حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي

من اتيان كرمه بثمر كثير !

وكما ان الكرمه لازمة للاغصان، لان الاغصان تستمد منها عصارتها. كذلك
الاغصان لازمة للكرمه لان الكرمه تقدم ثمارها للعالم بواسطتها وعن طريقها
عدد ١٠ و ٩ . (٦) المثل الاعلى للثبوت في المحبة . « كما احبني الآب
كذلك احببتكم أنا . . . » . اعلما في هذين العديدين من حقائق منقسمة
الى صفين متوازنين . وكل حقيقة في الصف الاول ، أساس للحقيقة التي تليها
في صفها، ونموذج كمال للحقيقة التي تقابلها في الصف الثاني ، واليك البيان :

(١) محبة الآب للمسيح (١) محبة المسيح للتلاميذ

(٢) ثبوت المسيح في محبة الآب له (٢) ثبوت التلاميذ في محبة المسيح لهم

(٣) ثبوت المسيح في محبة الآب له (٣) ثبوت التلاميذ في محبة المسيح لهم

يقوم بحفظ وصاياهم يقوم بحفظهم وصاياهم

فحبة الآب للمسيح ، مبنية على كمال الاتحاد بينهما ، وهي مثال لمحبة
المسيح لتلاميذه في عمقها ، وسموها ، وطهارتها ، وازليتها

وثبوت المسيح في محبة الآب نتيجة لمحبة الآب له ، ومثال لثبوت
التلاميذ في محبته . فكما ان المسيح فتح قلبه للرحب لمحبة الآب له ، وأفسح
لها كل مجال لتتغلغل في كل جوانبه ، وثبت فيها ، كذلك على تلاميذ
المسيح ان يفسحوا قلوبهم لمحبه لتدخل أنوارها وتنير كل زاوية فيها . ومتى

كما اني انا قد حفظت وصايا ابي واثبت في محبته . ١١ كلمتكم بهذا لكي يثبت

قبل التلاميذ محبة المسيح لهم ، واحلوها المكان الأول في قلوبهم ، فانها تولد في قلوبهم محبة له من نوع محبته لهم ، وعلى قياسها . لان محبتنا للمسيح ليست سوى قبول أنوار محبة المسيح الى قلوبنا

وكما ان ثبوت المسيح في محبة الآب يقوم بحفظه وصايا الاب ، باعتبار كون المسيح قادياً متجسداً ، كذلك ثبوت التلاميذ في محبة المسيح ينبغي أن يقوم أيضاً بحفظهم وصايا المسيح باعتبار كونهم تلاميذه

ومن الأهمية بمكان ، ألا ننسى ان المسيح تكلم عن حفظه وصايا الآب باستعماله الفعل الماضي : « حفظت » . لان حياته الأرضية كانت وقتئذ في دور الانقضاء . ولكنه في تكلمه عن ثبوته في محبة الاب ، استعمل الفعل الحاضر المستمر : « أثبت » فلا انقضاء لمحبة الآب له ، ولا نهاية لثبوته هو في هذه المحبة

عدد ١١ . (٧) الثبوت في المحبة ، هو سر الفرح الدائم : « كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم » . لئلا يتبادر الى ذهن التلاميذ ، ان في ثبوتهم في محبة المسيح ، ارهاقاً لهم ، وثقلاً عليهم ، قرر لهم القادي انه انما تحدث اليهم عن ثبوتهم في محبته ، لكي يشاطروه فرحه الذي يتمتع به هو ، نتيجة ثبوته في محبة الاب : « لكي يثبت فرحي فيكم ، ويكمل فرحكم » . وكما ان فرح المسيح كامل بسبب كمال طاعته للآب ، كذلك أراد هو ان يكون فرح التلاميذ كاملاً ، بسبب طاعتهم الكاملة لوصاياه . فالمحبة أساس الطاعة ،

فرحي فيكم ويكمل فرحكم . ١٢ هذه هي وصيتي

والطاعة سرّ الفرح المستديم ، الفياض . ان قول المسيح : « فرحي » ، يقابله قوله : « سلامي » في ١٤ : ٢٧ . وبما ان الشيء يلد نظيره ، فينتج من هذا ، ان الفرح الذي يتمتع به المسيح نتيجة ثبوته في محبة الآب ، متى دخل الى قلوب التلاميذ وثبت فيها ، ولّد فيها فرحاً من نوعه ، وان لم يكن بمقداره . هذا مراده من قوله . . . « فرحي » . . . « فرحكم »

السهم الثاني — التلاميذ وبعضهم البعض (١٢ : ١٥ — ١٧)

ان الكلام المتضمن في السهم الاول (١٥ : ١١ —) تقابله الكلمات المكتوبة في اللوح الاول من الشريعة الادبية — واجبات الانسان نحو الله . والكلام المتضمن في هذا السهم الثاني (١٥ : ١٢ — ١٧) تقابله الكلمات المكتوبة في اللوح الثاني من الشريعة — واجبات الانسان نحو الانسان . ان الكلمة المركزية في هذه الاعداد ، هي قوله : « هذه وصيتي ان تحبوا بعضكم بعضاً » ، إذ بها تستهل هذه الاعداد ، وبها تُختتم (عدد ١٢ و ١٧) . هذه هي الحقيقة المتضمنة في عدد ١٢ ، والموضحة في الاعداد التي تليه . لان ما قاله المسيح في عدد ١٣ — ١٦ ، يعتبر خير شرح لقوله : « كما أحببتكم » (عدد ١٢) عدد ١٢ . المحبة — لزومها ومثالها : « هذه هي وصيتي .. » . يتضح لزومها من قول المسيح « هذه هي وصيتي » . كأن لا وصية له سواها . (اطلب تفسير ١٣ : ٣٤) . ليس بعجيب ان المسيح لم يوصِ تلاميذه ، قبل تركه ايام ، بأنظمة وترتيبات وعقائد — مع ان هذه كلها لها قيمتها في بابها . ولكنه

ان تحبوا بعضكم بعضاً كما احببتكم . ١٣ ليس لاحد حب اعظم
من هذا ان يضع

أوصاهم بالمحبة . و من أوصى بالمحبة فقد أوصى وزاد . فهي أسّ الفضائل ، وتاج
الخصال ، ورباط الكمال . اما مثال المحبة فقد بينه المسيح في قوله : « كما
أحببتكم » . هذا مثال المحبة في الباعث عليها ، وفي مآثيها ، وقياسها ، وغايتها .
نعم ان محبتنا بعضنا لبعض ، لا يمكن ان تكون من نوع محبة المسيح لنا في
كفارتها ، لكن في امكاننا ان نحب بعضنا بعضاً حباً ، يهون علينا فيه البذل
لأجل الآخرين . فلان تعذر على محبتنا أن تكون بحراً ، فلا أقل من ان تكون
قطراً . على انه لا فضل لنا في محبتنا بعضنا لبعض ، فهي محبة مستمدة من طبيعة
نسبتنا الى بعضنا البعض باعتبار كوننا أغصاناً حية في الكرمة الواحدة

اما قياس هذه المحبة التي علت فوق كل قياس ، فظاهر من كونها : —

عدد ١٣ . (١) محبة مضمية بنفسها : « ليس لأحد حب أعظم من هذا
ان يضع أحد نفسه لأجل أحبائه » — هذا أقصى ما تصل اليه محبة البشر ، ولكن
محبة المسيح قد ضربت الرقم القياسي المعروف في سجل التاريخ البشري ، لان
المسيح أحبنا « ونحن أعداء » (رومية ٥ : ١٠) . فواعجب من هذه المحبة الشديدة
التي سلّطت أشعتها على من كانوا بالطبيعة أعداء فصيرتهم « أحباء ! » . ان
الذين خلع عليهم المسيح لقب « أحبباء » ، هم بعينهم الذين وصفهم بولس الرسول
بقوله : « أعداء » (رومية ٥ : ١٠) . وانما المسيح وصفهم من حيث شعوره هو
نحوهم — فهم أحبائه المحبوبون منه ، ولكن بولس وصفهم في شعورهم بخبر الله

احد نفسه لاجل احبائه . ١٤ انتم احبائي ان فعلتم ما اوصيكم

— فهم أعداء الله في أفكارهم ، وتصوراتهم ، وأعمالهم : « وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنيبيين وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة قد صالحكم الآن » (كولوسي ١: ٢١) . لم يمس على قول المسيح : « يضع أحد نفسه لأجل احبائه » سوى يوم أو بعض يوم ، حتى صار هذا القول في حيز الفعل — على الصليب . ولقد أوضحنا كلمة « يضع نفسه » في شرح ١٠: ١١ فاطلب تفسيرها هنا

الكلمة الاصلية المترجمة « أحياء » يجوز أن تترجم الى : « أصدقاء وأصفياء » . ويقول ستراخان ان وظيفة رسمية كانت في وقت المسيح معروفة في البلاط الروماني ، يتقلدها شخص ممتاز يقال له « صني الامبراطور » . ولعل أقرب الوظائف اليها ، وظيفة « كبير الامناء » في مصر

عدد ١٤ . برهان المحبة الصادقة : « أنتم احبائي ان فعلتم ما اوصيكم به » هذا تأكيد لقول المسيح في عدد ١٠ « ان حفظتم وصاياي . تثبتون في محبتي » . بما أن في المحبة طرفين — الحب والمحبوب ، فعلى كل فريق منهما أن يقوم بما تفرضه عليه المحبة من واجبات . اما المسيح فقد قام بما أوجبه المحبة وزاد « فوضع نفسه لاجل احبائه » . وأما التلاميذ الذين هم الطرف الثاني ، فعليه أن يظهروا محبتهم لسيدهم بحفظهم وصاياهم . فطاعتهم له برهان حبهم له . على ان طاعتنا للمسيح ليست علة محبته لنا ، ولا هي أساسها — فقد أحبنا فضلاً اذ كنا بعد « ضعفاء » و « خطاة » (رومية ٥: ٦ و ٨) ، لكنها برهان محبتنا له ، ووسيلة تمتعنا بمحبته لنا ، وشرط دوامها لنا ، وثبوتنا فيها ،

به . ١٥ . لا أعود أسميكم عبيداً لان العبد لا يعلم ما يعمل سيده .
لكني قد سميتكم أحياء لاني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي . ١٦ ليس

وثبوتها فينا . وقد لاحظ مكلاون ان كلمة «أحياء» كما وردت في عدد ١٣ ،
تعني «محبوبي المسيح» ولكنها في عدد ١٤ تعني «محبتي المسيح»

عدد ١٥ . (٢) محبة رافعة : «لا أعود أسميكم عبيداً» . مع اننا عبيد
للمسيح شرعاً وحقاً ، لاننا صنعة يديه ، ولاننا قد «اشترينا بدمه الكريم»
(١ كورنثوس ٦: ٢٠ و٧: ٢٣ و١ بطرس ١: ١٩) ، الا أن محبته العالية قد
رفعتنا من درجة العبيد الى درجة الاصفياء . وبرهان ذلك ، ان المسيح لم يعاملنا
معاملة السيد لعبيده الذين ينتظر منهم طاعة عمياء . لأوامره من غير ان يفهموا
مراميها ولا اتجاهاتها ، بل عاملنا معاملة الصفي لاصفيائه «لاني أعلمتكم بكل
ما سمعته من أبي» . غير ان المسيح لم يفض الى تلاميذه بكل الاسرار التي
عنده بتفصيلاتها (١٦: ١٢) ، وانما قدمها لهم في البزرة . لان قابليتهم الروحية لم
تقوَ على تحمل أكثر من ذلك . واما ما بقي من التفصيلات الدقيقة فقد تركه
للروح القدس «الذي يعلمهم كل شيء» ويذكركم بكل ما قاله لهم (١٤: ٢٦)
ان كثيرين من المسيحيين كانوا في القرون المسيحية الاولى ، عبيداً لسيادة
وثنيين . فما كان ألد وقع كلمة المسيح هذه على مسمع هؤلاء العبيد وامثالهم
«لا أعود أسميكم عبيداً» ؟ على ان هذا لم يمنع رسل المسيح من أن يفخروا
بكونهم عبيد المسيح : «بولس عبد يسوع المسيح» (رو ١: ١)

عدد ١٦ . (٣) محبة لها فضل الاسبقية : «ليس انتم اخترتموني ..» . في

انتم اخترتموني بل انا اخترتكم واقتكم لتذهبوا وتأثوا بثمر ويدوم

هذا العدد ، ايان المسيح لتلاميذه امرهم مهمين : اولهما : العامل الاصل في صيرورتهم ابناء له « ليس انتم . . بل انا » . وثانيهما : القصد الاساسي من مجرد اياهم ابناء له : « لتذهبوا . . . » . اولا : العامل الاساسي في صيرورتهم ابناء له . أشار المسيح الى هذا العامل مبيناً : « ليس انتم اخترتموني » ، وايضاً « بل انا اخترتكم واقتكم » . فقد احبهم فضلاً — والفضل للمتقدم — اراد بقوله « اخترتكم » ، انتخابهم لوظيفة الرسولية (٦: ٧ و ١٣: ٨ ولوقا ٦: ١٢) . وقصد بقوله « واقتكم » ، تثبيتهم وتنصيبهم في هذه الوظيفة ، وتزويدهم بثمن نضجهم . ثانياً : القصد الاساسي من جعلهم ابناء له : « لتذهبوا وتأثوا بثمر ويدوم ثمركم لكي يعطيكم الآب » . هذا قصد مزدوج . الجانب الاول منه — الاثيان بثمر مستديم : (أ) « لتذهبوا » — الاشارة في هذه الكلمة منصرفة الى قيام الرسل بمهمة الكرازة التي وضعها المسيح على عاتقهم قبيل انطلاقه من العالم . ان كلمة « لتذهبوا » ، تحمل معنى من معاني الاستقلال الذاتي ، يمازجه الاعتماد التام على المسيح اثناء تأديتهم وظيفتهم باسمه . (ب) « وتأثوا بثمر » . ان اثمارهم المنوه عنها هنا ، هي ايصال الحياة الروحية التي حصلوا عليها ، للآخرين ليصيروا شركاءهم فيها ، فضلاً عما تتطلبه خدمتهم من قداسة السيرة والسريرة (ج) « ويدوم ثمركم » — هذا امتياز ثمرهم على الثمر الطبيعي ، لان الثمر الطبيعي يدركه الفساد عاجلاً . بل هذا امتيازهم عن الاشجار الطبيعية التي تجود بثمر في احد فصول السنة وتظل عقيمة جرداء فيما بقي من السنة . واما هم ، والؤمنون ،

ثمركم لكي يعطيكم الآب كل ما طلبتم باسمي ١٧. بهذا اوصيكم حتى

فعلهم ان يجودوا بثمار تغالب عوامل الفساد وتغلبها ، وعليهم ايضاً ان يكونوا دائمي الأثمار فيجودوا بثمار في « وقت مناسب وغير مناسب » . لان بستان الحياة الروحية لا يعرف وقتاً غير مناسب للأثمار

اما الجانب الثاني من هذا القصد فهو استجابة صلواتهم : « لكي يعطيكم الآب كل ما طلبتم باسمي » . لنا ان نعتبر هذه العبارة من الجهة الواحدة ، مرتبطة بالعبارة السابقة ، وتابعة لها — اي ان الاتيان بثمر مستديم يزيد التلميذ ثبوتاً في المسيح وبالتالي تستجاب كل صلواته (عدد ٧) ، ولنا ان نعتبرها من الجهة الأخرى مستقلة عن العبارة السابقة وسائرة معها جنباً الى جنب — اي ان استجابة الصلاة ليست نتيجة الثمر المستديم ، وانما هي والثمر المستديم ، نتيجتان متوازيتان ومتماثلتان لصيرورتنا احياء للمسيح

عدد ١٧ . غاية رغبة المسيح لنومينده « بهذا اوصيتكم حتى تحبوا بعضكم بعضاً » . كل شيء يلد شيئاً من جنسه . وكذلك المحبة تلد المحبة

الى الآن رُسم امامنا نهر المحبة بياحه البلورية اللامعة . نبعه : محبة الآب للمسيح . ومجراه : محبة المسيح للتلاميذ . ومصبه : محبة التلاميذ لبعضهم البعض . وقد مثلت امامنا شجرة دانية القطوف . فروعها : محبة الآب للمسيح . ومزعرها : محبة المسيح للتلاميذ . وثمرها : محبة التلاميذ لبعضهم البعض

السرم الثالث — التلاميذ والعالم (١٥: ١٨ — ١٦: ٤)

لكل نور ظل ، وكما كان النور باهراً ، كان ظله قائماً . ان حب المسيح

محبوا بعضكم بعضاً. ١٨ ان كان العالم يبغضكم فاعلموا انه قد ابغضني
قبلكم. ١٩ لو كنتم

لتلاميذه، وحب تلاميذه له، وحبهم لبعضهم البعض، تنشأ عنها نتيجة
عكسية — بغضاء العالم لهم. وما يحمل بنا ذكره، ان المسيح، في كلامه عن
محبه لتلاميذه، ومحبة تلاميذه له، ومحبتهم لبعضهم البعض، كرر كلمة «أحب»
ومشتقاتها ١٢ مرة (١٥: ٩-١٧)، وفي كلامه عن بغضاء العالم لتلاميذه وله
كرر كلمة «أبغض» ومشتقاتها ٧ مرات (١٥: ١٨-٢٥). وكلا العكدين كامل

ينقسم هذا الفصل الى ثمرة اقسام رئيسية: أولاً: بغض العالم للتلاميذ
(١٥: ١٨-٢٥). ثانياً: شهادة المعزي والتلاميذ في وجه العالم (١٥: ٢٦
و ٢٧). ثالثاً: تطور بغض العالم لهم الى بغضاء واضطهاد (١٦: ١-٤).

أولاً: بغض العالم للتلاميذ (١٥: ١٨-٢٥). لم يقصد المسيح بكلامه
في هذه الاعداد، مجرد احاطة التلاميذ علماً ببغض العالم لهم، وانما اراد ان
يحصنهم ضد هذه البغضة لتكون نيرانها عليهم برداً وسلاماً، فحدثهم عن:

عدد ١٨. (١) طبيعة بغضة العالم لهم — انها على مثال بغضة العالم للمسيح:
«ان كان العالم يبغضكم فاعلموا انه قد ابغضني قبلكم». لقد اوضحنا المراد
من كلمة «العالم» في شرح ٢٢: ١٤. ان علم التلميذ بان الآلام الواقعة عليه،
قد وقعت على سيده من قبل، يملأ قلبه عزاءً كاملاً، ويحمله على ان يفتخر
بالآلام التي ترفعه الى مستوى الشركة مع سيده

عدد ٩. (٢) العدة الثانوية لبغضة العالم لهم — انهم يخلفونه عن العالم

من العالم لكان العالم يحب خاصته . ولكن لانكم لستم من العالم بل انا اخترتكم من العالم لذلك يفضكم العالم . ٢٠ اذكروا الكلام الذي قلته لكم ليس عبد اعظم من سيده . ان كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم . وان كانوا قد حفظوا كلامي فسيحفظون

طبعاً : « لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته . ولكن لانكم لستم من العالم ، بل انا اخترتكم من العالم لذلك يفضكم العالم » — وهذا أمر طبيعي لان شبيه الشيء منجذب اليه . وبالعكس . في هذا العدد وضع المسيح اختياره اياهم مقابل بغض العالم لهم . فوضع العزاء مقابل العذاب

ان في قول المسيح عن العالم : « يحب خاصته » ، دليلاً على ان حب العالم مطبوع بطابع حب الذات . على خلاف محبة المسيح للمضحية

وان « الاختيار » المقصود بقوله « اخترتكم من العالم » ، هو اختيارهم للايمان ، لا لارسولية . وهو يشير الى انتخاب المسيح اياهم ، وأفرازهم من العالم ، عند دعوته اياهم في بدء خدمته : وهو لا يحمل شيئاً من معاني « الاختيار السابق »

لقد كرر المسيح كلمة « العالم » ٥ مرات في هذا العدد الواحد للتوكيد

عدد ٢٠ . (٣) تذكير مشجع على الامتثال : « اذكروا الكلام الذي قلته لكم » — غالباً يشير المسيح الى كلام سابق لما قاله في ١٦: ١٣ . ولعله يشير الى المناسبة التي سجلها متى البشير (متى ٢٤: ١٠) . ان كلامه المذكور في يوحنا ١٦: ١٣ يُعتبر تشجيعاً لهم على التواضع ، واما ما جاء في متى ٢٤: ١٠ ،

كلامكم . ٢١ لكنهم انما يفعلون بكم هذا كله من اجل اسمي لانهم لا يعرفون الذي ارسلني . ٢٢ لو لم اكن

فهو تشجيع على الصبر والاحتمال . ان ما صادفه السيد من اغضاء موجه اليه من الجماهير ، واصغاء مقدّم له من الافراد ، سيكون مثلاً لما سيلقاه التلاميذ . عدد ٢١ . (٤) العلة الاساسية لبغض العالم لهم : « لكنهم انما يفعلون .. » ان العالم يبغض التلاميذ المرسلين باسم المسيح . لانه يبغض المسيح . وان العالم ابغض المسيح الذي جاءه مرسلًا من الآب ، لانه لا يعرف الآب الذي ارسله . فالعلة الدفينة لبغضة العالم للتلاميذ ، راجعة الى عدم معرفة العالم بالله ، معرفة روحية ، قلبية ، خلاصية (اش ١: ٣) . يراد بـ « اسم المسيح » ، خلاصة ما اعلنه المسيح عن ذاته لتلاميذه ، وما سيعلمه التلاميذ للعالم عن سيدهم . ومن المحزن ان جهل اليهود بالآب ، جعلهم ينظرون الى المسيح كأنه جاءهم من تلقاء نفسه ، مع انهم رأوه . انها لا تعنى الابصار ولكنها تعنى القلوب التي في الصدور

عدد ٢٢-٢٥ . (٥) مسئولية العالم في بغضة المسيح وتلاميذه . ما أشدّ خطورة مسئولية العالم في بغضته للمسيح وللتلاميذ أيضاً : (أ) . لان العالم أبغض المسيح على رغم شهادة كلامه الذي أتى به من الآب (عدد ٢٢ و ٢٣) . (ب) لأنه أبغض المسيح على رغم شهادة اعماله الفريدة (عدد ٢٤)

ان الحقائق الرباعية المتضمنة في عددي ٢٢ و ٢٣ تتشعب جنباً الى جنب مع نظيراتها في عدد ٢٤ . واليك البيان :

قد جثت وكلمتهم لم تكن لهم خطية . واما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم .

عدد ٢٤

عدد ٢٢ و ٢٣

- | | |
|---------------------------------------|---------------------------------------|
| (١) «لو لم اكن قد عملت بينهم أعمالاً» | (١) «لو لم اكن قد» |
| «لم يعملها أحد غيري» | «جثت وكلمتهم» |
| «لم تكن» | (٢) «التبعة المترتبة عليها: «لم تكن» |
| «لهم خطية» | «لهم خطية» |
| «وأما الآن» | (٣) «مادة واقعية: «وأما الآن» |
| «فقد» | (٤) «المسئولية المترتبة عليها: «فليس» |
| «وأما» | «لهم عذر في خطيتهم» |
| «وأبغضوني أنا وأبي» | «الذي يبغضني يبغض أبي أيضاً» |

عدد ٢٢ . (أ) رفضهم المسيح على رغم شهادة اقواله : ان كل امتياز يحمل معه مسئولية مكافئة له، ومترتبة عليه . فالمسيح بمجيئه الى العالم ، أدخل معه مسئولية جديدة . وحمل العالم وزراً لم يكن في حيز الوجود ، لو لم يكن قد جاء المسيح . وان هذا الوزر هو علم الايمان به مسيحاً وفادياً . هذه هي خطيئة العالم ، التي سيبيكته الروح عليها : «أما على خطيئة فلا أنهم لا يؤمنون بي» (٩: ١٦) على ان اليهود ، بعدم ايمانهم بالمسيح ، قد ملأوا مكبال خطاياهم السالفة حتى القيضان ، فحسب عليهم ما تقدم من خطاياهم وما تأخر ، مع انهم لو كانوا قد قبلوا المسيح ، لأذهبت هذه «الحسنة» كل سيئاتهم

٢٣ الذي يبغضني يبغض ابي ايضا. ٢٤ لو لم اكن قد عملت بينهم اعمالاً لم يعملها احد غيري لم تكن لهم خطية. واما الآن فقد رأوا وانبغضوني انا وابي. ٢٥ لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في

عدد ٢٣. شاعة خطية رفضهم المسيح. تظهر شناعة هذه الخطية في نور هذه الحقيقة الخطيرة: «الذي يبغضني يبغض ابي ايضا». يتميز الجهل (عدد ٢١) عن البغض (عدد ٢٣)، في ان اولهما خطية سلبية. والثاني خطية ايجابية. اولهما هو الخطية في البزرة. والثاني هو الخطية في النضوج

عدد ٢٤. (ب) رفضهم المسيح على رغم شهادة اعمالهم الفريدة. «لو لم اكن قد عملت بينهم اعمالاً لم يعملها احد غيري». يشير المسيح بهذه الاعمال الفذة الى معجزاته التي لم يقوَ وان يقوَ سواه على ان يأتي بمثلا. فهي ممتازة في مراحلا الرومي الخيري. وفي كونها صدرت عنه وهو على بعد، وفي توقرها على محض ارادته وهو رازنه الخاص، بخلاف موسى وسائر الانبياء الذين صنعوا معجزاتهم باذن الله، وقدرته

عدد ٢٥. فطيتهم لا تدعو الى العجب، فقد سبق تاموسهم وانبا بها: «لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة». ليس المراد بهذا القول. ان الباعث لهم على خطيتهم هو اتمام المكتوب — والا أصبحوا خالين من المسئولية، وانما يُقصد بهذا القول ان ارتكابهم هذه الخطية — خطية بغضهم المسيح — جاء مصداقاً لنبوة قديمة، جرت بالوحي على لسان داود، وغايتها ترمي الى المسيح عن بُعد. وكذلك سائر النبوات المتضمنة في الزامير المصطبغة بصبغة مسيحية.

ناموسهم انهم ابغضوني بلا سبب . ٢٦ ومتى جاء المعزي الذي
سأرسله انا اليكم من الآب

وقد نسب المسيحُ الناموسَ الى اليهود، لانهم افتخروا به مدعين انهم قيمون عليه، حال كونه شاهداً عليهم . ومع ان هذه النبوة وردت في سفر الزامير (مز ١٩: ٣٥ و ٤٦: ٤)، إلا أن المسيح أطلق على هذا الجزء أيضاً كلمة «ناموس» (اطلب شرح ١٠: ٤٤). أما قوله «بلا سبب» فمعناه «بلا مسوغ». فالمسيح لم يرتكب ذنباً ولا جريرة، ولم يعمل سوى الاحسان والرحمة . وأما ذنبه الوحيد نحوم، فهو انه نور، وانهم هم ظلام . والظلام يبغض النور . وكفى . هكنا أحب الله العالم — «بلا سبب»، وهكنا أبغض العالم الله — «بلا سبب»

ثانياً: شهادة المعزي وشهادة التلاميذ في وجه العالم (٢٦: ٢٧ و ٢٦: ٢٧)
عدد ٢٦. (١) شهادة المعزي: «ومتى جاء المعزي...». في هذا العدد تحدث المسيح عن الروح القدس في : (١) وظيفته : «المعزي». اطلب شرح ١٤: ١٦
(ب) مرسله: «الذي سأرسله من الآب». أراد المسيح بهذا، إرساله الروح القدس، يوم الخمسين، حين أكمل عمله الفدائي، وجلس عن يمين العظمة في الأعالي (١٦: ١٤). ان قوله «من الآب» معناه من حضرة الآب. (ج) : اسم «روح الحق». اطلب شرح ١٤: ١٧. (د) مصدره: «الذي من عند الآب ينبثق» الإشارة هنا الى انبثاق الروح القدس منذ الازل من عند الآب . ان قوله «أرسله من عند الآب» يختلف عن قوله «من عند الآب ينبثق». فأولهما يشير الى عمل تاريخي تم يوم الخمسين . وثانيهما يشير الى عمل أزلي تم قبل

روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي . ٢٧ وتشهدون
انتم ايضاً لانكم معي من الابتداء.

كون العالم . وقوله «من الآب» يختلف عن قوله «من عند الآب»، في أن
اولهما يشير الى خروج الرسول من حضرة مرسله . وثانيهما يشير الى خروج
النهر من منبعه، أو صدور أشعة الشمس من جرمها . ومن المحزن ان هذه
الحقائق المعزية جعلها الناس آلة لسطر الكنيسة شطرين — غربية وشرقية !
(هـ) المرسل اليهم : «اليكم» — ان ضمير الجماعة في الكلمة «اليكم» يشمل
المرسل، وجميع المؤمنين . (و) عهد الخاص : «فهو يشهد لي» — في قلب هذا العالم
الملتليء بالبغضاء من نحوي، ليعلمن لهم حقيقة أمري . هذه هي الشهادة التي أداها
الروح القدس بقوة، يوم الخمسين، ولا يزال يؤديها بلسان خدامه الى يومنا
عدد ٢٧ . (ب) شهادة التلاميذ : «وتشهدون أتم أيضاً ... ان أساس
شهادة التلاميذ للمسيح هو معرفتهم التاريخية بالمسيح منذ عرفوه عند «ابتداء»
خدمته الجهرية . فالتلاميذ يشهدون بما رأوا وسمعوا الا أن هذا وحده لا يكفي .
لان معرفتهم التاريخية بالمسيح، معرفة جافة جامدة لا حياة فيها ولا نور . لذلك
أرسل المسيح روحه اليهم ليبعث في معرفتهم حياة، وينير لهم ما كن فيها . بذلك
تصبح المعرفة التاريخية معرفة نورانية، روحية، فتصير هذه المعرفة النورانية
الروحية، شهادة حية . فشهادة التلاميذ تسير جنباً الى جنب مع شهادة
الروح : «ونحن شهود له بهذه الامور والروح القدس أيضاً» (أعمال ٥: ٣٢)
ان شهادة الروح هي روح الشهادة . وشهادة التلاميذ، جسمها

الاصحاح السادس عشر

الروح المعزى

هذا أصحاح المعزى . هذا فصلٌ مطلعُه شقاء ، وقلبه شفاء ، وخاتمته عزاء .
ما أشبهه بيوم الطبيعة ، يُبدأ بالليل ويختتم بالنهار
في هذا الاصحاح ، واصل المسيح كلامه الذي انتهينا اليه في الاصحاح
السابق ، فاستهله بذكر الاضطهاد ، والقتيل ، والبغضاء ، التي كانت على
التلاميذ ان يلاقوها في مستقبل الايام ، ليكمل من صفحة الألم ، لوحة سوداء ،
يسطع عليها نور المعزى ، بلعمان باهر

وبما ان هذا الاصحاح مرتبط ارتباطاً حيويّاً بسابقه ، لذلك سنتابع فيه
التفسير طبقاً للتقسيم الذي فصلناه في غرة الاصحاح السابق صفحة ٦٣٢

عدد ١-٤ . تمت الكهرم عن التلاميذ والعالم . في ختام الاصحاح
السابق ، وعد المسيح تلاميذه بمجيء المعزى الذي سيقف معهم تجاه العالم
الليء بالبغضاء نحوم . وفي مقدمة هذا الاصحاح ، استأنف كلامه عن بغضة
العالم لهم حينما تكون قد اشتدت ، واحتدت ، ونضجت ، فأثرت طرداً ،
واضطهاداً ، وفتيلاً . في خاتمة الاصحاح السابق تحدث اليهم عن شعور العالم
نحوم . وفي مطلع هذا الاصحاح تكلم عن أفعال العالم ، التي هي وليدة ذلك
الشعور المرير . « سيخرجونكم ... كل من يقتلكم ... سيفعلون هذا بكم » .

١ قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا. ٢ سيخرجونكم من
المجامع بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم

عدد ١. غاية المسبح من تحته البهم عنه بغضة العالم لهم، ومجيء المعزي
«قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا». في اعتقادنا ان كلمة: «هذا» تعني ما حدثهم به
عن بغضة العالم لهم ومجيء المعزي (١٥: ١٧ - ٢٧). ويعتقد الاسقف وستكوت
انها تعني كل كلام المسيح الذي اقضى به الى تلاميذه عن اتحادهم به، وشركة
آلامهم معه، وشهادتهم المتفقة وشهادة الروح. اما قصد المسيح من حديثه
معهم، فقد أبانه في هذه الكلمات: «لكي لا تعثروا». وردت كلمة «يعثر»
— في الاصل — مرتين في بشارة يوحنا — هنا وفي ٦: ٦١، وهي ترسم لنا
صورة شخص سائر في طريقه فتصطدم رجله بحجر او حاجز. وهي تحمل اشارة
معنوية الى احتمال تزعزع ثقة التلاميذ بسبب ما يلقونه من تعذيب واضطهاد

عدد ٢. بعض الاضطهادات — والباعث للعالم عليها — تصدم
«قربانه» لله: «سيخرجونكم من المجامع... يظن كل من يقتلكم...». ذكر
المسيح نوعين من الاضطهاد — أ — اضطهاداً منصباً على مقام التلاميذ الديني
والاجتماعي: «سيخرجونكم من المجامع» (اطلب تفسير ٩: ٢٢ و ١٢: ٤٢).
هذه درجة اولية في برنامج اضطهاداتهم وسيأتي بعدها ما هو اشر وأمر.
— ب — اضطهاداً منصباً على هياتهم: «... كل من يقتلكم». تدل كلمة
«ساعة» على ان هذه الاضطهادات داخلية ضمن تدبير الله الذي رتبته للرسول
بعد ان ذكر المسيح للتلاميذ عيئتين من الاضطهادات الوشيكة الوقوع

انه يقدم خدمة لله. ٣ وسيفعلون هذا بكم لانهم لم يعرفوا الآب ولا عرفوني. ٤ لكني قد كلمتكم بهذا حتى اذا جاءت الساعة تذكرون

عليهم، نبيهم الى: (١) الباعث الظاهري الذي يحمل العالم على اضطهادهم: «يظن كل من يقتلكم انه يقدم خدمة لله». وكذلك فعل شاول الطرسوسي (اعمال ٩: ٢٦). ويقول هنسيوس أحد المؤرخين المصريين: ان اليهود كانوا الى العصر الماضي، يحبون قتل المسيحيين «قرباناً» يقربونه الى الله في عبادتهم عدد ٣. (٢) العلة الدفينة لاضطهاد العالم لهم: «وسيفعلون هذا بكم لانهم لم يعرفوا الآب ولا عرفوني». هذا هو التعصب الديني الاعمى الذي لا يعرف الها ولا يحب انساناً، لكنه يحب نفسه وعقيدته. ان الله محبة، فلا يمكن ان تُخدم المحبة بالبغضاء والتجريح والتقتيل. أليس من الامور المضحكة المبكية، ان الغيرة العمياء تبعد الانسان عن الغاية الاساسية التي يرمى اليها؟ فبينما يتوهم هؤلاء المخطهون انهم يقتلهم المسيحيين، «يتقربون» الى الله، اذا بهم يسمعون من الله هذه الكلمة: «انكم بعملكم هذا قد برهنتم على انكم لا تعرفوني لانكم لو عرفتموني لعرفتم من ارسلته اليكم، ولو عرفتم من ارسلته انا اليكم، لعرفتم بالتالي من ارسلهم هو اليكم». فاذا ما جهل احدهم المسيح، كان جهله هذا دليلاً على انه يجهل الله: «لم يعرفوا الآب ولا عرفوني»

عدد ٤. عود الى بدء: «لكني قد كلمتكم بهذا» — أي بما سيصيبكم في مستقبل الايام من اضطهاد وتعذيب — «حتى اذا جاءت الساعة» — التي انبأتكم بها في عدد ٢ — «تذكرون اني قلته لكم». ان المسيح اذا نبأ

لاني انا قلته لكم . ولم اقل لكم من البداية لاني كنت معكم .

تلاميذه بما سيصيبهم في مستقبل الايام ، سبق فسلحهم بسلاح الصبر ، والرجاء ، والفخر بمشاركتهم اياه ، قبل ان تجيء ساعة النضال . حتى متى حانت ، يكونون قد تهيأوا لها . « ولم اقل لكم من البداية » — اي منذ بداية اتصالكم بي كأتباع ، وتلاميذ ، ورسول — « لاني كنت معكم » — فكان وجودي خير حصن لكم . لاني كنت اتلقى عنكم نبال الاعادي ، وبعد ليلة وضحاها ، سألقى عنكم الصدمة الاخيرة على الجليشة

كيف نوفق اذاً بين قول المسيح : « لم اقل لكم من البداية » ، وبين كلماته المسجلة في متى ١٧: ١٠ و ٢١ و ٢٨ ؟ . يقول يوحنا الذهبي الثم : ان الاضطهادات التي تحدث عنها المسيح الى تلاميذه في يو ١٦: ١٤ أشد هولاً من تلك المذكورة في متى ١٧: ١٠ و ٢١ و ٢٨ . ويقول بنغال : ان المسيح ، عند دنو نهاية خدمته ، كلم تلاميذه عن الاضطهادات باسمها وافاضة (يو ١٦: ٤) . لكنه في قلب خدمته ، تحدث اليهم عن الاضطهادات بكلام مجمل . ويظن وستكوت ان كلام المسيح في يوحنا ، ليس قاصراً على الاضطهادات بل يتناول أيضاً صلته بتلاميذه ، وصلة المعزي والعالم بهم ، بخلاف كلامه في يوحنا ، فقد قصره على الاضطهادات . ويعتقد جوذي ان الكلام الذي سجله متى ليس مقصوراً على مناسبة خاصة . بل يشمل كل الكلام الذي قاله المسيح عن الاضطهادات ، سواء ما قاله في بدء خدمته أم في قلبها ، أو عند نهايتها — بما في ذلك ، الكلام المدون في يوحنا ١٦ . ونميل نحن الى الاخذ باحد الرأيين الاولين

٥ وأما الآن فانا ماضٍ الى الذي ارسلني وليس احد منكم يسألني

السهم الرابع — العالم والمعزى (١٦: ٥ - ١١)

تكلم المسيح في هذه الاعداد عن أمرين — اولهما : شرط مجيء المعزى

(١٦: ٥ - ٧) . ثانيهما : عمل المعزى في العالم (١٦: ٨ - ١١)

عدد ٥ - ٧ (١) شرط مجيء المعزى - انه مجيء المعزى متوقف على

انظروا المسبح . لا شك في ان التلاميذ جزعوا من تحدث المسيح اليهم عن

الاضطهادات ، وازداد جزعهم عند سماعهم قول المسيح : «لاني كنتُ معكم»

(عدد ٤) . لذلك اراد القادي المحب ان يعرفهم الى اين هو ماضٍ عنهم ،

معنفاً ايهم على عدم استفهامهم منه عن المكان والتقام الذين سينطلق اليهما

(عدد ٥ و ٦) ، ثم دَّلهم على الخير الذي يعود عليهم من انطلاقه (عدد ٧)

عدد ٥ . الى ايه يمضي المسبح : «وأما الآن» — هذه نقطة انتقال في الفكر ،

وفي نعمة الكلام . في الاعداد السابقة (عدد ١ - ٤) ، وعد المسيح تلاميذه

بضيق في العالم . وفي هذه الاعداد (عدد ٥ - ٧) ، وعدم مجيء المعزى

الذي ينتصر بهم على العالم . فمن ظلمة الضيق ، انتقل بهم الى نور الوعد

ان في قول المسيح لهم : «وليس احد منكم يسألني أين تمضي» ، تعنيفاً

خفيفاً لتلاميذه ، الذين ألهم حزنهم على انطلاقه ، عن ان يسألوه عن المكان

المنطلق اليه ، ولو كانوا قد سألوه لأحاطهم علماً بالمجد الذي سيتمتع هو

به ، وبالخير الذي سيعود عليهم هم ، نتيجة هذا الانطلاق . عندئذ كانوا يفرحون

عاجلاً ولا هلمهم ، لان محبتهم له تفرض عليهم ان يفرحوا لتجيدته (١٤: ٢٨) ،

٦ اين تمضي . لكن لاني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم .
٧ لكني اقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق .

ولان محبتهم لانفسهم ، توجب عليهم ان يفرحوا للخير الذي سيصيبهم . ولا يُعتبر سؤال بطرس (١٣: ٣٦) مستثنى من قول المسيح « ليس احد منكم يسألني » ، لان بطرس كان ينبغي من سؤاله ان يقنع المسيح بالمدول عن الانطلاق ، لا ان يعرف الى اين ينطلق المسيح

ان هذا التعنيف الخفيف ، يحمل معه تحريضاً من المسيح للتلاميذ ، على ان يفتحوا عقولهم وقلوبهم الى الجانب المنير من تصريحاته واعلاناته ، عندئذ يستطيعون ان يكتشفوا فيها كنوز خير ، وخير كنوز

عدد ٦ . انصرف التلاميذ الى الجانب الممزن من انطوار المسيح : « لكن لاني قلت لكم هذا » - أي اني سأنطلق عنكم - « قد ملأ الحزن قلوبكم » وكم من المرات يتبرع المرء لقلبه بالاحزان في وقت يكون فيه محاطاً بأجل النعم واكمل الخيرات ! فالعيب ليس في ما يحيط بنا ، بل في عيوننا التي تنظر الى بستان الحياة فتلهيها اوداقه القليلة الصفراء ، عن ثماره الكثيرة الناضجة

عدد ٧ . الخير الذي سيصيبهم بعد انطوار المسيح عنهم : « لكني اقول لكم الحق » . في هذا استحثاث منه لهم ، على المزيد من الوثوق بكلامه (١٤: ٢) « انه خير لكم ان انطلق لانه ان لم انطلق لا يأتيكم المعزي »

ان الخير المشار اليه ، هو - أ - تكميلهم في الايمان والمحبة . - ب - حملهم على اتمام وظيفتهم اذ كان المسيح هو العامل ، وكانوا هم يستريحون مدة

لأنه ان لم انطلق لا يأتيكم المعزي . ولكن ان ذهبت ارسله اليكم .

٨ ومتى جاء

بقائه معهم — ج — ان الخير الاعظم هو حلول الروح القدس فيهم وعليهم ، فهو موهبة قد استحقها المسيح لهم ولنا بموته . وكان ينبغي ان يملك بكمال المجد عن يمين الله الآب ، حتى يرسل هذه الموهبة التي هي ثمرة دمه الزكي . هذه الحقيقة يؤيدها قول البشير في مناسبة سابقة : «الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد لان يسوع لم يكن قد مُجد بعد» (٣٩: ٧) . اما ان الروح القدس هو «الخير الاعظم» ، فهذا واضح من مقابلة ما جاء في متى ١١: ٧ بما ورد في لوقا ١٣: ١١ . فمتى يقول «فكم بالحري ابوكم الذي في السموات ، يهب خيرات للذين يسألونه» . ولوقا يقول «فكم بالحري الآب الذي من السماء ، يُعطي الروح القدس للذين يسألونه» . فالذي قال فيه متى : «خيرات» ، قال فيه لوقا «الروح القدس» . فالروح القدس هو الخير الاعظم

عدد ٨ — ١١ . (٢) عمل الروح المعزي في العالم — التبكيث : «ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية، وعلى برّ، وعلى دينونة» . ان الروح الذي يبكت العالم، هو نفس الروح الذي يعزي المؤمنين . وكذلك كان عمود النار في البرية قديماً — ظلاماً على المصريين ، ونوراً لبني اسرائيل

في عدد ٨ ، ذكر المسيح عمل الروح القدس بكلمات مجملة، وفي الاعداد ٩ — ١١ ، فصل ما اجمله في عدد ٨ . والكلام في هذه الاربعة الاعداد (عدد ٨ — ١١) يتناول امرين — اولهما : ماهية التبكيث الذي يقوم به

ذاك يبكت العالم

الروح القدس : « يبكت العالم » . وتناهيها : موضوع هذا التبكي : « على خطية . وعلى بر . وعلى دينونة »

أولاً : ماهية التبكي الذي يقوم به الروح القدس : « ومتى جاء ذاك يبكت العالم » . ان كلمة : « يبكت » معناها ، يغاب بالحجة ، حتى يسكت . وهي تحمل معها شيئاً غير قليل ، من التعنيف ، والتوبيخ ، والتقريع . وهي كما استعملت في العهد الجديد ، بلغته الأصلية ، تعني : — أ — اعمد به النور والهدى الخطأ . « لا يأتي الى النور لئلا توبخ اعماله » (يوحنا ٣: ٢٠ و ٨: ٤٦) « الكل اذا توبخ يظهر بالنور » (أفسس ٥: ١٣) . — ب — تطيبه الحق المعلن على الانسان المعتدي : « موبخين من الناموس كتعدين » (يعقوب ٢: ٩) « ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم » (يهوذا ١٥) . « وبنخ . انهر . عظ » (٢ تيمو ٤: ٢) . — ج — التأريب العقابي : « قادراً ان يوبخ المناقضين » (تيطس ١: ٩) . « وبنخ بكل سلطان » (تيطس ٢: ١٥) . — د — التعنيف بقصر الاصمراع والرد عن الخطأ : « اني كل من احبه أوبخه وأؤدبه . فكن غيوراً وتب » (رؤيا ٣: ١٩) ، « لا تخز اذا وبنحك » (عب ١٢: ٥) ، « وبنخمهم بصرامة لكي يكونوا أصحاء في الايمان » (تيطس ١: ١٣)

قد يؤدي هذا التبكي الى الحياة اذا اطاع الانسان إيمانات الروح ، وقد يؤدي الى موت الدينونة ودينونة الموت اذا قاوم المرء تأثيرات الروح . « لهؤلاء رائحة موت ولأولئك رائحة حياة حياة » (٢ كو ٢: ١٦) . وقد

على خطية وعلى بر

تجلّت هاتان النتيجتان — احدهما مقابل الاخرى — يوم الخمسين : « وكان آخرون يستهزئون قائلين انهم قد امتلأوا سلافة » . . « قبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس » (اعمال ٢: ١٣ و ١٤) .
والظاهر من قرائن الكلام في سفر الاعمال وفي بشارة يوحنا ، ان الروح القدس يؤدي عمله التبكيّتي في العالم بواسطة الرسل والكنيسة . هذا وان تبكيّت الضمير يختلف عن تبكيّت الروح القدس ، في ان اولهما هو تبكيّت الناموس ، وثانيهما هو تبكيّت النعمة . اولهما يؤدي الى اليأس فالموت — كما في امر يهوذا الاسخريوطي . وثانيهما يقود الى الرجاء والحياة — كما في امر بطرس . ويقول تقليد قديم ان اول شخص تمتع بنعمة الخلاص يوم الخمسين هو ذاك الذي طعن المسيح بحربة في جنبه على الصليب . فالضمير يبكيّ على برّ ضاع ، والروح يبكيّ على برّ ظهر . الضمير يبكيّ على دينونة مسلّطة سينها على الرقاب . والروح يبكيّ على دينونة تمت ، وانقضت ، وزال اثرها .

ثانياً : موضوع تبكيّت الروح : « يبكيّ العالم على خطية ، وعلى بر ، وعلى دينونة » . ان جلّ بشارة يوحنا شهاة ناطقة لعمل الروح القدس المبكيّ . فتبكيّته العالم على خطية ، ظاهر في ١٩: ٣ — ٢١ و ٢٨: ٥ و ٣٨ — ٤٧ و ٨: ٢١ و ٣٤ — ٤٧ و ٤١: ٩ و ٢٧: ١٤ . وتبكيّته العالم على بر ، مبين في ٣٠: ٥ و ١٨: ٧ و ٢٤ و ٢٨: ٨ و ٤٦ و ٥٠ و ٥٤ و ٣٢: ١٢ و ١٤: ٣١ و ١٨: ٣٧ . وتبكيّته العالم على دينونة موضح في ٣١: ١٢ و ٣٠: ١٤ و ٧: ١٥ ويقول ا. ج.

وعلى دينونة . ٩ اما على خطية

غوردون. ان عمل الروح في تبكيته الثموي ، تقابله وظيفة المسيح الثموية —
كنبي، وكاهن، ومالك

«خطية»، «بر»، «دينونة». هذه ثموت كلمات — الاولى لاصقة بالانسان الساقط، والثانية متصلة بالمسيح المقام ، والثالثة لاحقة بالرئيس المتلوع . الكلمة الاولى تصف داء البشرية — خطية العالم . والثانية تصف الدواء — بر المسيح . والثالثة تصف مصير من يرفض الدواء ويرضي بالداء . فعلى الانسان ان يختار بين الحالين — اما ان يقبل بر المسيح فيُرفع معه او ان ينحاز الى جانب ابليس فيُدان معه . وجدير بالملاحظة، ان هذه الثموت الكلمات: «خطية، بر، دينونة» وردت نكرات ، من قبيل التعميم والاطلاق

عدد ٩ . مهمة تبكيته العالم على خطية . «اما على خطية فلا أنهم لا يؤمنون بي» . يراد بهذا ، ان عدم ايمان العالم بالمسيح ، دليل قاطع على ان العالم واقع في الخطية . فكأنما الخطية كانت في حاجة الى البر مجسماً ، لكي تظهر خاطئة جداً . هذا يؤيده قول سيمان الشيخ في المسيح : «ها قد وُضع لسقوط وقيام كثيرين، ولعلامة تُقاوم... لتعلن افكار من قلوب كثيرة» (لوقا ٢: ٣٤ و ٣٥) فمع ان الخطية اتخذت مظاهر شتى قبل مجيء المسيح الى العالم ، الا انها اتخذت اشنع مظهر عند ما صلبت رب المجد . هذا واضح جلياً من قول بطرس لليهود يوم الخميس . «هذا أخذتموه مسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق . و بأيدي أئمة صلبتموه وقتلتموه» (اعمال ٢: ٢٣)

اما غير المؤمنين، الذين لم يكن لهم نصيب فعلي مع الذين صلبوا المسيح،

فلاّتهم لا يؤمنون بي

فهؤلاء سيبيكتهم الروح القدس، على خطية عدم نوالهم نصيباً فعالاً في المسيح للصلوب. هؤلاء هم الذين، بعدم ايمانهم، يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه ان خطية عدم الايمان بالمسيح، ليست فقط دليلاً على اتجاه القلب الساقط المبتعد عن الله، بل هي ايضاً أس كل الخطايا، وهي خلاصتها مركزة في نقطة واحدة. لان المسيح، بموته عنا، اخذ مقامنا امام الله، فاستحقت عليه كل دينونة الخطية التي كنا رازحين تحتها، ورضيت العزة الالهية بهذه النيابة. فكل شخص يقبل المسيح فادياً، تُرفع عنه اثقال خطاياه بالتقالها الى المسيح. وكل شخص يرفضه ولا يؤمن به، يظل رازحاً تحت آثامه، مضافاً اليها اثم جديد، هو رفضه مسيح الله.

فضلاً عن ذلك، فان الروح القدس يبكت العالم على وجهة نظره في ماهية الخطية. فالعالم اليهودي كان يعتقد ان الخطية قاصرة على التعدي على الناموس الطقسي، وكسر السبت. لذلك قالوا في المسيح: «نحن نعلم ان هذا الانسان خاطيء» (٢٤:٩). فجاء الروح القدس مبكّثاً العالم على نظراته الخاطئة في الخطية. مبيّناً له ان الخطية الحقيقية هي رفض ارادة الله الظاهرة في ارساله المسيح الى العالم (اعمال ٢:٢٢ و ٣٣ و ٣٦ و ١٤:٣ و ١٥). فعلم الايمان بالمسيح، هو صورة أخرى لرفض مشورة الله، واعتناق مشورة الذات الجسدانية، او هو بمثابة رفض النور واختيار الظلام. اذ لا يختار الظلام الا المظلم القلب، فالمسيح هو اصدق محكّ للاخلاق

١٠. وأما على بر فلا تأتي ذاهب الى ابي

عدد ١٠. مهمة تبكيته العالم على بر: «أما على بر فلا تأتي ذاهب الى أبي. ولا تروني ايضاً». ذكر المسيح في هذه الكلمات حجة دامغة لبرّه — هي صعوده وجلسه عن يمين العظمة: «لأني ذاهب الى أبي» — هذا ختم رضى الآب عن المسيح. اذ رفعه من القبر واجلسه عن يمين القوة. فعندما صُلب المسيح، هتفت قوات الظلمة قائلة: «لو كان هذا باراً لما صُلب». ولو كان هو ابن الله، لنزل عن الصليب!». ولكن برّه ظهر وبان، بعد ان كسر مصاريع القبر وارتقى صاعداً الى الآب في العلا. «فأسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا» (رومية ٤: ٢٥). فاذا كانت قيامة المسيح، حجة برّه، فان ارتقاءه الى يمين العظمة هو ختم هذه الحجة. فكل ذبيحة مقبولة لدى الله، لم تكن الارض مقصدها النهائي، بل كانت السماء غايتها. لان الله كان يرسل ناراً لترفعها اليه، علامة قبوله اياها. لذلك صار صعود المسيح الى السماء، حجة برّه الكامل. ان الحجر الذي رفضه البناؤون يوم الجمعة الحزينة، قد رفعه الله وجعله رأس الزاوية، في فجر الاحد التالي. وفي يوم الخميس، نقض حكم الله أحكام البشر فالبر المقصود هنا، هو بر المسيح

ومثلما يبكت الروح القدس العالم على وجهة نظره في الخطية، كذلك أيضاً يبكته على وجهة نظره في البر. فكما ان الخطية ليست قاصرة على التعدي على الشريعة الطقسية، بل هي رفض المسيح المقدم من الله مخلصاً للعالم وقادياً، كذلك البر. فليس هو القيام بمطالب الناموس، وانما هو قبول بر المسيح الذي يبرّر الفاجر (رومية ٣: ٢١ و ١٠: ٣)

ولا تروني ايضاً . ١١ واما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم

اما قوله: «ولا تروني أيضاً»، فانه يرينا ضرورة شهادة الروح القدس لبر المسيح بعد صعوده . فكما ان رئيس الكهنة كان يدخل قديماً الى قدس الاقداس مقدماً الكفارة عن الشعب الذي كان يظل واقفاً خارجاً منتظراً حكم الله في الكفارة المقدمة منه ، وما كان الشعب يطمئن ، الا بعد ان يرى رئيس الكهنة خارجاً من الهيكل وعلام الظفر مرتسمة على مخياه، دليلاً على ان الله قبل الكفارة المقدمة منه . كذلك بعد ان دخل كاهنتنا الاعظم الى ما وراء حجاب قدس الاقداس العلوي، وغاب عن الابصار، لم يبق سبيل الى إقناع العالم بان ذبيحة المسيح الكفارية قد قبلت ، الا بمجيء الروح القدس ، من قبل المسيح ، حاملاً بشري قبول كفارته . عندئذ يتبكت العالم على بر المسيح : «فيسوع هذا اقامه الله . . . واذا ارتفع يمين الله واخذ موعد الروح القدس من الآب، سكب هذا . . . فليعلم يقيناً جميع بيت اسرائيل ان الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه انتم رباً ومسيحاً» (اعمال ٢: ٣٣-٣٥)

عدد ١١ . مهمة تبليغ العالم على دينونة: «اما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين» . ليست هذه دينونة العالم الاعمى، التي كانت منتظرة من الامم ، ولا هي دينونة اليهود التي اتخذت مظهراً قوياً يوم خراب اورشليم بل هي دينونة «رئيس هذا العالم» ، وهي عربوت واساس دينونة الامم واليهود . ومتى صرغ السلطان ولت جنوده (راجع شرح ١٢: ٣١ و ٣٣) . هذه الدينونة تمت في الصليب والقيامة . وما ادانة الشيطان ، الا نتيجة ظهور

قد دين. ١٢ ان لي اموراً كثيرة ايضاً لا قول لكم ولكن لا تستطيعون ان تحملوا الآن. ١٣ واما متى جاء ذاك روح الحق

بر المسيح لان تبرة المتهم ظلماً، هي ادانة للمشتكي بهتاناً. فالمبلغ بلاغاً كاذباً، يقع عليه عقاب من يقترف جريمة

السرم الخامس - الروح المعزى والتلاميذ (١٦: ١٢-١٥)

بعد ان تكلم المسيح عن عمل الروح في تبكينه العالم، انتقل الى كلامه عن عمل الروح في ارشاده التلاميذ والمارتهم

عدد ١٢. قابلية التلاميذ المحدودة: «ان لي اموراً كثيرة ايضاً لا أقول لكم» - علاوة على الامور الكثيرة التي حدثتكم عنها الآن - «ولكن لا تستطيعون ان تحملوا الآن» - وليس السبب في ذلك، عدم ثقتي بكم. كلا. فاني قد سبقت واكدت لكم اني لا اعود اسميكم عبيداً.. لكني قد سميتكم احباء لاني اعلمتكم بكل ما سمعته من ابي» (١٥: ١٥). وانما سببه، علم اتساع قابليتكم الروحية في الوقت الحاضر - «فأنتم لا تستطيعون ان تحملوا الآن». ان قابلية الانسان هي قياس تمتعه باي شيء، جسدياً كان ام روحياً

عدد ١٣-١٥. اتساع قابليتهم الروحية بعد مجيء الروح القدس:

«ومتى جاء ذاك..». ان عمل الروح القدس متمم لعمل المسيح، كما ان عمل المسيح عمهد لعمل الروح: «ان لي اموراً... وأما متى جاء ذاك». في كلام المسيح عن عمل الروح في قلوب التلاميذ، حدثهم عن: - أ - اهد اسماء الروح الحسنى: «روح الحق». لقد سبقنا فوضحنا المراد بهذا الاسم: «روح الحق»

فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه

في ١٤: ١٧ . — ب — مائدة عمل الروح « يرشدكم » ... « وينبئكم » ...
« يأخذ مما لي وينبئكم ». هذا عمل مموتي — (١) الانبئة : « يرشدكم الى جميع
الحق ». كلمة « يرشد » تصور لنا سائحاً متجولاً في مملكة غريبة و « الدليل »
يقوده « ويرشده » في ارض الغربة . فالروح القدس هو « دليل » التلاميذ في
مملكة الحق . هذه هي انبئة الروح ، وهي تتناول « جميع الحق » الذي
سمعه التلاميذ من المسيح ، ولم يعرفوا كل محتوياته ومكوناته الا بعد ان اُتار
لهم الروح جميع جوانب هذا الحق . فالمسيح أعطى التلاميذ الحق في البزرة ،
والروح القدس سينمي لهم هذا الحق ، وينميهم فيه (١٤: ٢٦) . (٢) الانبئة :
« ينبئكم بأمر آتية » ، هذا هو الانبئة الروح ، وهو امتياز خاص بالرسول ، يتناول
« أموراً آتية » لم يكن قد قالها المسيح للرسول بعد ، لانهم لم يستطيعوا احتمالها
(عدد ١٢) — مثل الملهيات الالهية التي وضعها الرسول في الرسائل وفي سفر الرؤيا —
نظير قيام الكنيسة على اتقاض المجمع اليهودي ، ومستقبل الكنيسة في
مجاهدتها ونصرتها (رؤيا ١: ١ — ٣) . (٣) الانبئة : « يأخذ مما لي
وينبئكم » . بعد ان يكون الآب قد مجد المسيح برفعه اليه ، يأخذ الروح
القدس من امجاد المسيح وكلماته ، ويشع بها في قلوب التلاميذ ، وقلوب
سائر المؤمنين . هذا هو انبئة الروح — وموضوعه شخص المسيح ، وكلماته .
(ج) . المصدر الذي منه يستمد الروح عمده . ذكر المسيح هذا المصدر ،
في كلمتين — اولهما ملية : « لا يتكلم من نفسه » . فكما ان المسيح

بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بامور آتية. ١٤ ذاك يعجذبني لانه يأخذ مما لي ويخبركم. ١٥ كل ما للآب هو لي. لهذا قلت انه يأخذ

لا يتكلم من عندياته، باعتبار كونه مرسلًا من الآب (١٤: ١٠)، كذلك الروح القدس لا يتكلم من نفسه لكونه مرسلًا من المسيح. والكلمة الثانية ابجائية. وقد ذكر فيها مصدر مزدوج — جانبه الاول : ما يسمعه الروح من الآب والابن في ما يختص بتدبير القداء. وجانبه الثاني : ما يقبله الروح مما للمسيح «لأنه يأخذ مما لي ويخبركم»

عدد ١٤ و ١٥. (د). غاية عمل الروح القدس : «ذاك يعجذبني... كل ما للآب هو لي. لهذا قلت انه يأخذ مما لي ويخبركم». هذا دليل قاطع، على ان المسيح شاعر بمجده الممتاز، لان كل ما للآب هو له، وان السبيل الامثل، لتمجيد المسيح، هو فتح كنوز مجده، وكلماته، وأسراره، وابلاغها الى المؤمنين به. فكما أنه لا شيء يذل الفقير، نظير اشهار فقره وبؤسه امام الآخرين، كذلك لا شيء يمجد الغني نظير كشف كنوزه، واظهارها، لأتباعه ومريديه، واشراكهم فيها. لان اظهار ما للمسيح، هو اظهار كل ما للآب. وردت كلمة «يأخذ» في صيغة الحال لتفيد العمل المستمر على التوالي. ووردت كلمة : «يخبركم» في صيغة الاستقبال. هذا دليل آخر على ان الروح شخص ذاتي

في عدد ١٥ ذكر الثلاثة الالقائمين — الآب، والابن، والروح القدس. فالابن يأخذ مما للآب، والروح القدس يأخذ مما للابن. الابن يمجد الآب،

مما لي ويخبركم . ١٦ بعد قليل لا تبصروني . ثم بعد قليل ايضا تروني لاني ذاهب الى الآب . ١٧ فقال قوم من تلاميذه

والروح القدس يعبد الابن . كل هذا قاصر على الوظيفة . واما في الجوهر ،
والقدرة ، والمجد ، فالثلاثة الاقانيم متساوون ، لانهم اله واحد

السرهم السادس - مزمر يسخيل الى فرح (١٦: ١٦ - ٢٤)

عدد ١٦ . (١) . نصريح للمسيح - قليل وقليل . « بعد قليل لا تبصروني . ثم بعد قليل ايضا تروني لاني ذاهب الى الآب » . وردت كلمة « قليل » سبع مرات في الاعداد ١٦ - ١٩ . وقد اراد بها المسيح وقتين مختلفين لهما نتيجه متناقضتان : « بعد قليل لا تبصروني » . و « بعد قليل تروني » . فال « قليل » اول مدته بضع ساعات ، ابتدأت وقت تكلم المسيح معهم وانتهت بنزوله الى القبر واحتجابه عن ابصار التلاميذ . هذا هو « القليل » الذي اراده بقوله « بعد قليل لا تبصروني » . واما « القليل » الثاني الذي قصده بقوله : « بعد قليل ايضا تروني » فهو الوقت الذي ابتداء بنزول المسيح الى القبر ، الى اليوم الذي قام فيه وظهر لخاصته : « ففرح التلاميذ اذ رأوا الرب » (٢٠: ٢٠) . على ان هذا « القليل » الثاني لم ينته بيوم قيامة المسيح ، لكنه امتد الى يوم الخمسين حين اعلن المسيح ذاته لتلاميذه بالروح القدس (اعمال ٢) . هذا المعنى الثاني يؤيده باقي العدد : « لاني ذاهب الى الآب » (عدد ١٦) ، ويدعمه كلام المسيح عن « ذلك اليوم » في عددي ٢٣ و ٢٦

عدد ١٧ و ١٨ (٢) . نسألكم من التلاميذ واعترفهم بمرسلهم :

بعضهم لبعض ما هو هذا الذي يقوله لنا بعد قليل لا تبصروني
ثم بعد قليل أيضاً تروني ولائي ذاهب الى الآب . ١٨ فقالوا ما
هو هذا القليل الذي يقول غنه . لسنا نعلم بماذا يتكلم . ١٩ فلم
يسوع انهم كانوا يريدون ان يسألوه فقال لهم أعن هذا تتساءلون فيما
بينكم لاني قلت بعد قليل لا تبصروني

« فقال قوم من تلاميذه ما هو هذا... لسنا نعلم ». يستنتج بعض المفسرين —
وفي مقدمتهم جودي — ان في تساؤل قوم من التلاميذ بعضهم مع بعض ،
دليلاً على ان المسيح أفضى الى تلاميذه بهذا الحديث في الطريق ، لاني
العلية . لان مجال خلو بعضهم الى بعض للتساؤل ، يكون في الطريق ، أوسع منه
في العلية . على انه من المحقق ان كاتب هذه الملاحظات الدقيقة ، كان شاهد
عيان . ويكاد يكون من المستحيل على كاتب — مهما كان جريئاً — أن يتحدث
عن الضعف ، والجبن ، والجهالة ، التي أحاطت بالرسل في هذا الطرف الخاص ، ما
لم يكن واحداً منهم . سيما وانهم بعد هذا الوقت بمدة وجيزة — منذ يوم الخميس
فصاعداً — صاروا مضرب الأمثال في الشجاعة ، والمعرفة ، والإقدام ، والالهام

عدد ١٩ . (٣) حكمة المعلم والطبيب « فلم يسوع » — بقوة الخارقة التي
تقرأ صفحات القلوب ، « انهم كانوا يريدون ان يسألوه . فقال لهم أعن هذا
تساءلان فيما بينكم . الحق الحق اقول لكم » — هذا دليل آخر على حكمة المسيح
المتناهية ، التي ظهرت في علمه بذات الصدور ، وفي معالجته ضعفات تلاميذه

ثم بعد قليل ايضاً تروني . ٢٠ الحق الحق اقول لكم انكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح . انتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول الى فرح . ٢١ المرأة وهي تلد تحزن

ياحسن الوسائل ، وأدقها . فمع ان المسيح لم يجبههم عن تساؤلهم عما « هو هذا القليل الذي يقول عنه » - إذ ترك معرفة هذا ، لاختباراتهم في ضوء الزمن ، بنور الروح القدس - إلا انه عاجل ضعف قلوبهم ، وسكب فيها عزاء مجيداً بنعمته ، اذ عرفهم بالشعور الذي سيكونون عليه بعد كل من هاتين الفترتين المعبرَ عنهما بكلمة : « قليل » . انهم بعد « القليل » اولد سيكون . وبعد « القليل » الثاني سيفرحون . ووجه العزاء ، ان حزنهم ذاهب ، وفرحهم مجيد خالد

عدد ٢٠ . (٤) مقابلة مزدوجة : « الحق الحق .. » . يقع هذا العدد في سطره : في الشطر الاول نجد مقابلة بين حزن التلاميذ ونوحهم ، وبين فرح العالم اليهودي : « انكم ستبكون وتنوحون » . بهذه الكلمات وصف المسيح مبلغ تأثرهم في الفترة التي رقد بها جسده في القبر . وفي الشطر الثاني ، نرى مقابلة بين حزن التلاميذ الوقتي ، وبين فرحهم الدائم الذي يعقب حزنهم . « انتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول الى فرح » . ان فرحهم هذا سبُكل عند مجي المسيح ثانية

عدد ٢١ و ٢٢ . مزاياف فرح التلاميذ : « المرأة وهي تلد تحزن .. » . من مزاياف هذا الفرع : (أ) انه وليد ماغة الشدة (عدد ٢١) . ما الذ الراحة تعقب التعب ، وما ابهج الفرع يعقب الشدة . فمن الامور المعزية والمشجعة : (١) ان

لأن ساعتها قد جاءت ولكن متى ولدت الطفل لا تُفقد تذكر
الشدة لسبب الفرح لأنه قد وُلد انسان في العالم . ٢٢ فأنتم كذلك
عندكم الآن حزن . ولكني سأراكم ايضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع

الشدة التي تعانيها المرأة ، مهما تكن قوية بحدتها ، فهي قصيرة في مدتها .
لذلك وصفها المسيح بقوله : « ساعتها » . (٢) . انها شدة تسفر عن « ولادة
انسان في العالم » ، فيولد معه فرح لا يبر عنه ومجيد . وكذلك ساعة الشدة
التي قاساها التلاميذ لم تطل كثيراً ، اذ لم تزد عن ثلاثة ايام ، لكنها تمخضت
عن مولود جديد — اعني به كنيسة المسيح الحي ، عمود الحق وقاعدته . فقد وُلدت
الكنيسة الجديدة يوم الخميس . فأخلق بها من شدة مجيدة نحمد الله عايتها

عدد ٢٢ . (ب) انه فرع ناشئ عن عودة المسيح لرؤية تلاميذه : « فأنتم
كذلك عندكم الآن حزن . ولكني سأراكم ايضاً فتفرح قلوبكم » . في عدد ١٦
تحدث المسيح عن رؤية التلاميذ اياه ، لكنه في هذا العدد تحدث اليهم
عن رؤيته اياهم . حسن وجميل ان يُتاح لنا ان نرى المسيح فنستمد منه العون
كما يستمد العبد عونه من سيده حين يرفع نظره اليه . ولكن أحسن منه
وأجمل ، ان يجود المسيح تكملاً فيُلقي نظرة علينا — هذه خير رعاية وعناية منه
لنا . فما ابهى وأعجب ان تكون هذه الرؤية متبادلة بين المسيح وتلاميذه

(ج) انه فرع قلمي لا ينزع منهم أحد « فتفرح قلوبكم ولا ينزع احد
فرحكم منكم » . هذا امتياز الفرح الذي يهبه الله ، على الفرح الذي يمنحه العالم .
ان الفرح الذي يهبه الله هو فرح قلوب . واما ذاك الذي يهبه العالم فهو فرح

احد فرحكم منكم . ٢٣ وفي ذلك اليوم لا تسألوني شيئاً . الحق الحق اقول لكم ان كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم . ٢٤ الى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي

فأنتي* عن امتلاء الجيوب . الفرح الالهي كنيع فياض في قلب الصخور والجيال، لا تستطيل اليه يد الحدثان، لكن الفرح العالمي دائم القلب . فهو في هبوط وارتفاع، وارتفاع وهبوط — ما أكثر هبوطه وما أقل ارتفاعه

عدد ٢٣ . (د) انه فرع مؤسس على معرفة رافية، وقوة لافية . فالمعرفة اللافية يدل عليها قوله : « في ذلك اليوم » — اي في يوم الحسین — « لا تسألوني شيئاً » . اي تكفون عن استلثكم (عدد ١٧ و ١٨ و ١٩) فلا تعودون تستفهمون مني عن شيء، لان الروح القدس سيأخذ مما لي ويعطيكم، فيملأ قلوبكم بما تحتاجون اليه من المعرفة . والقوة اللافية ظاهرة من قوله : « الحق الحق اقول لكم . ان كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم » . ان كلمة « كل ما طلبتم » جامعة في مداها ، وهي تشير الى صلوات التلاميذ باسم المسيح بعد امتلائهم من الروح القدس يوم الحسین . هذا نبع قوة فياض للتلاميذ ، لانه بمثابة « تحويل » على بنك السماء، بغير قيد ولا شرط — الا « اسم المسيح » . ولقد اوضحنا المراد بهذه العبارة: « اسم المسيح » في ١٤: ١٣ و ١٤ . فاطلبها هناك

عدد ٢٤ . (هـ) هت وانها صه . وتجنهما . اما الحث، ففي قوله: « الى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي » . ان معرفة التلاميذ بهذا « الاسم » الجليل ، كانت الى الآن ناقصة مبتورة ، فلم تبلغ مدى ملئها الا بالاعلانات المجيدة التي اوحى

اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً . ٢٥ قد كلمتكم بهذا بأمثال
ولكن تأتي ساعة حين لا اكلمكم ايضاً بأمثال بل اخبركم

بها اليهم الروح القدس يوم الخمسين، حين أفهمهم الغاية القصوى من تجسد المسيح
ورسالته، واحاطهم بأسرار فدائه، وأراق في قلوبهم نوراً سماوياً أبان لهم به حقيقة
ذاته وصفاته . فما كانوا اذاً يستطيعون ان يصلوا باسم المسيح، الا منذ يوم
الخمسين فصاعداً (١٤: ١٧ - ٢٣) . هذا مراد المسيح من قوله : « الى الآن لم
تطلبوا شيئاً باسمي » . بل هذا هو ايضاً موقف كل انسان يعيش قبل يوم الخمسين
اختبارياً . اما الانهزام، ففي قوله : « اطلبوا تأخذوا » - في هذه الكلمات،
انتقل المسيح بفكره تلاميذه، الى يوم الخمسين، حين يتاح لهم ان يصلوا
باسمه - اي في مقامه وفي نور الاعلانات التي ستبلغ اليهم عنه

واما نتيجة الحث والانهزام، ففي قوله : « ليكون فرحكم كاملاً » . ان
الفرح الكامل هو الفرح الناضج، السائم الوجود، والمالي القلب

السرمد السابع، والآخر - نصرة بعد كسرة (١٦: ٢٥ - ٣٣)

عدد ٢٥ . الى الابد... وفي تلك الساعة : « قد كلمتكم بهذا بأمثال
ولكن تأتي ساعة حين اخبركم عن الآب علانية » . الى الابد كلم المسيح تلاميذه
« بأمثال » - مثل كلامه عن الكرمة والاغصان، والطريق، والمرأة في شدتها.
على ان كلمة « امثال » ليست قاصرة على الالغاز، والمجازات، والاستعارات،
والكنائيات المدونة في بشارة يوحنا، لكنها تشمل ايضاً الامثال التي حفظها
سائر البشيرين (انظر متى ١٣ ولوقا ١٥) . واما متى جاءت « الساعة » التي

عن الآب علانية . ٢٦ في ذلك اليوم تطلبون باسمي . ولست اقول لكم اني انا اسأل الآب من اجلكم . ٢٧ لان الآب نفسه يحبكم لانكم قد احببتموني

يتمثلون فيها من الروح القدس يوم الخمسين ، حينئذ لا يكلمهم بالغاز غير مفهومة ، بل يخبرهم عن الآب علانية ، لان الروح القدس سيعلّمهم كل شيء بوضوح ، وجلاء ، وعلانية

عدد ٢٦ و ٢٧ . سرّة محبة الآب للتلاميذ ، وماهيتها : « في ذلك اليوم » — اي في يوم الخمسين — « تطلبون باسمي » . هذا وصف لما يجب ان تكون عليه الكنيسة في سهرها ، واستعدادها ، وصلاتها . « ولست اقول اني انا اسأل الآب من اجلكم لان الآب نفسه يحبكم » . اراد المسيح بهذه الكلمات ان يطبع على قلوب التلاميذ ، صورة واضحة ، جلية ، لشدة محبة الآب لهم فأفهمهم ان الآب يحبهم من تلقاء نفسه ، محبة قوية اختيارية . لا يحتاج معها الى استعطاف من جانب المسيح لاجلهم . ولم يقصد القادي بهذا الكلام ان ينفي شفاعته . كلا . فان خلاصة الانجيل كله ، هي ان المسيح شفيعنا الأوحد (عب ٢٥: ٧) ، ولا يُعقل ان المسيح ينقض ما سبق فقرره في هذا الخطاب الوداعي (١٦: ١٤) . وانما اراد ان يحذر التلاميذ من ان ينظروا الى شفاعته كأنها وسيلة لاستعطاف الآب نحوهم ، لان الآب يحبهم من تلقاء نفسه ، ومن فرط محبته لهم ، دبر لهم الفداء بما فيه شفاعته المسيح

ماهية محبة الآب لهم : « لانكم قد احببتموني وآمنتم اني من عند الله

وآمنتم اني من عند الله خرجت . ٢٨ خرجت من عند الآب وقد

خرجت . هذه محبة الآب الخاصة نحو المؤمنين الذين دخلوا عائلته المقدسة بحق اتسابهم الى ابنه الوحيد — اذ امبره ، وآمنوا به . فبمحبتهم له ، صاروا أهلاً لان يكونوا موضوع محبة الآب (١٤: ٢١ و ٢٣) . وبايمانهم به ، أعطوا سلطاناً ان يصيروا أولاد الله (١: ١٢) . ان الله يعتبر اصدقاء ابنه ، اصدقاءه ، ويميل الى اجابة سؤلهم . وعلة ذلك — المسيح . لانه فيه اختارنا ، وفيه احبنا ، وفيه دعانا ، وفيه بررنا ، وفيه يقلسنا ، وفيه يمجدا

«لانكم قد احببتموني وآمنتم اني من عند الله خرجت» . يقول جودي: ما دام التلاميذ ثابتين في المركز الجليل الذي اهلته لهم محبة المسيح ، فليسوا في حاجة الى شفاعة المسيح . ولكن ان سقطوا عن هذا المقام ، واخطأوا ، عندئذ تلزمهم الشفاعة: «ان اخطأنا فلنا شفيع» (١ يو ٢: ١)

«احببتموني وآمنتم» — من السهل على المرء ان يثق في من يحب . لان الثقة تاج المحبة ، وعدم الثقة وليد عدم المحبة

عدد ٢٨ . مقدمة بحيرة : «من عند الآب ... الى الآب» . هذه خلاصة مركزة لتاريخ رسالة المسيح ، في اربع كلمات :

نبع رسالته : «خرجت من عند الآب» . مرتبط رسالته : «أتيت الى العالم»

انجاز رسالته : «وأيضاً اترك العالم» . منتهى رسالته : «واذهب الى الآب»

ويجوز ان نحلل هذه الآية الخالدة تحليلاً آخر :

أولية الكلمة : «خرجت من عند الآب» . تجسد الكلمة : «وأتيت الى العالم»

أتيت الى العالم وايضاً ترك العالم واذهب الى الآب . ٢٩ قال له تلاميذه هوذا الآن تتكلم علانية

انما هم رسالة الكلمة: «ترك العالم». أبدية الكلمة: «واذهب الى الآب» ومن الممكن ان ننظر الى هذه الآية كأنها ترجمة مختصرة لحياة المسيح: من المجد: «خرجت من عند الآب»، الى المذود «وأتيت الى العالم» الى جبل الزيتون: «وايضاً ترك العالم»، الى المجد: «واذهب الى الآب» عدد ٢٩-٣٢. اقرار مفرح ومخبر مؤلم: «قال له تلاميذه.. أجابهم يسوع» عدد ٢٩ و ٣٠. (أ) اقرار مفرح: «قال له تلاميذه..». سمع التلاميذ من المسيح، تصريحه الجليل عن خلاصة ترجمة حياته: «من عند الآب... الى الآب»، فوجدوا انفسهم مغمورين بنور باهر، ما كانوا يتوقعونه. وشعروا كأنّ تصريح المسيح في عدد ٢٨، قد سبق وعده المتضمن في عدد ٢٥، فسبقه وغطاه. فأمام هذا التصريح النير، فاضت قلوبهم باقرار، جاهدوا فيه: — أ — اذراكهم معنى كلامه بوضوح (عدد ٢٩). — ب — تفقههم من علمه الكلي (عدد ٣٠ أ). — ج — ايمانهم به (عدد ٣٠ ب)

عدد ٢٩. — أ — بمجاهرة التلاميذ باذراكهم كلام المسيح بوضوح: «قال له تلاميذه، هوذا الآن تتكلم علانية». كلمة: «هوذا»، كثيرة الورد في بشارة يوحنا. فقد وردت فيها وحدها أكثر مما في سائر أسفار العهد الجديد معاً (انظر ٣: ٢٦ و ٥: ١٤ و ١١: ٣٦ و ١٢: ١٩ و ٩: ٤ و ١٤: ١). وكلمة: «علانية» تدلّ على انهم شعروا كأنهم في نور نهار العلم الكامل، الذي وعدهم به الخاص

ولست تقول مثلاً واحداً. ٣٠ الآن نعلم انك عالم بكل شيء
ولست تحتاج ان يسألك أحد. لهذا تؤمن انك من

في عدد ٢٥، فصاروا لا يحتاجون معه الى مزيد من النور. على ان «العلائية» كما
قصدتها المسيح، خاصة باعلاناته عن الآب (عدد ٢٥)، و «العلائية» كما
قصدتها التلاميذ، تصف كلام المسيح عن رسالته هو (عدد ٢٨). وهي في كلا
الحالين تعني الوضوح من غير ألغاز، والجلاء من غير خفاء.

عدد ٣٠ — ب — اقرار التلاميذ بمفهوم من علم المسيح الكامل :
«الآن» — قبل ان تأتي تلك الساعة المذكورة في عدد ٢٥ — «نعلم» — علم
اليقين والتحقق — «انك عالم بكل شيء» ولست تحتاج ان يسألك أحد. — ان
علم المسيح بنيات قلوبهم، وخواطر افكارهم، قبل ان يصرتحوا له بها، قد
أنطق ألسنتهم بهذا الاعتراف الجليل، الذي يشبه اعتراف ثنائيل حين انباه
المسيح بأنه رآه تحت التينة قبل ان يدعوه فيلبس (١: ٤٨ و ٤٩). واما قولهم:
«ولست تحتاج ان يسألك أحد»، فراجع الى اجابة المسيح على اسئلتهم
قبل ان يسألوه اياها (عدد ١٩). عادة لا يستطيع المعلم ان يفهم التلاميذ
درساً، الا متى فهم هو افكارهم، ولا يستطيع ان يفهم افكارهم الا بالامثلة
التي يلقونها عليه. اما المسيح، معلمنا الاعظم، فقد اقر له التلاميذ بأنه «عالم بكل
شيء» وليس محتاجاً ان يسأله أحد. فقد أقرّوا اذاً بأنه عليم بذات الصدور
— ج — اقرار التلاميذ بايمانهم بالمسيح ورسالته: «لهذا تؤمن انك من
الله خرجت». باقرارهم هذا، ردّدوا صدى صوت المسيح في عدد ٢٨: «خرجت

الله خرجت. ٣١ اجابهم يسوع الآن تؤمنون. ٣٢ هوذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تفرقون فيها كل واحد الى خاصته

من عند الآب. ان هذا الاقرار - نظير اقرار ثنائيل - يتناول امرين : أولهما ، سمو اصل المسيح . وثانيهما : مصدر رسالته

عدد ٣١ و ٣٢ (٢) تحذير مؤلم : «الآن تؤمنون؟ هوذا تأتي ساعة...» في هذه الكلمات يمتزج الاستفهام بالتعجب !؟ وهي ترينا - أ - انه المسيح أقر التلاميذ على ايمانهم لهذا ، ورجب به (١٧ : ٨) . - ب - انه نبأهم الى عدم نضوج هذا الايمان . وحذرهم من علم ثباتهم امام العاصفة : «هوذا تأتي ساعة» - ساعة القبض عليه ، وتسليمه الى أيدي أعدائه ، ومحاكمته ، وصلبه - «وقد أتت الآن» . بما ان اول حلقة من هذه السلسلة المحزنة قد وقعت ، بخروج يهوذا من صفوفهم ، واتفاقه مع الاعداء ، فقد انفرطت معها سائر حلقات السلسلة ، واعتبرت كلها في حكم الانحلال والوقوع . لذلك قال المسيح : «وقد أتت الآن» . فضلاً عن ذلك فان كلمة : «الآن» لا تعني مجرد وقت في سجل الزمن ، لكنها تعين نقطة فاصلة في تدبير القداء (٥ : ١٢ و ١٣ : ٧ و ٣٣ ورؤيا ١٢ : ١٠) . ومن المحزن ، ان يكون التلاميذ في هذه «الساعة» الفاصلة ، غير خليقين بهذا الايمان الذي جاهدوا به ، بل يرجعون القهقري ، وينزلون عن هذا للمستوى الراقى الذي رفعهم اليه حديث المسيح الوداعي . «تفرقون فيها» - كما تفرق الرعية بعد ان يضرب الراعي (انظر ١٠ : ١٢ و زكريا ١١ : ١٦ و ١٣ : ٧) - «كل واحد الى خاصته» . كلمة :

وتتركوني وحدي . وانا لست وحدي لان الآب معي . ٣٣ قد
كلتكم بهذا ليكون لكم في سلام . في العالم سيكون لكم ضيق .

« خاصته » قد تعني - بيته (٢٧: ١٩) ، أو مرثته (متى ٢٦: ٥٦)

- ج - المسيح ينبئهم بوحدة المأثومة : « وتتركوني وحدي . وانا
لست وحدي لأن الآب معي » . ما شبه هذا النبأ باليوم الطبيعي !
شطره الاول حالك كالليل : « وتتركوني وحدي » . وشطره الثاني مضيء
كالنهار : « وانا لست وحدي لان الآب معي »

الوحدة نوعان : وحدة محبة ملأية - كوحدة السجدين في سجنه
الانفرادي . ووحدة معنوية نفسية ، هي تلك التي يقاسيها المصلح حين يكون
محاطاً بجمهور من قومه وذويه ، الذين لا يشاطرونه افكاره ، وآماله ،
وآلامه . هذا النوع الثاني من الوحدة هو الذي قاساه المسيح . فقد كان
وحيداً في آماله ، وآلامه ، وافكاره ، وشخصيته ، وصفاته ، وتضحيته . حتى اثناء
وجود التلاميذ معه ، كان وحيداً . فكيف به بعد تفرقهم عنه ؟ غير ان وحدته
التي قاساها بالنسبة للغير ، كانت في الوقت نفسه وحدة مأثومة : « وانا لست
وحدي ، لان الآب معي » . هذه هي الوحدة التي لا تعرف الوحشة . ان
الانصراف عن الناس هياً له فرصة مناسبة للاختلاء بالآب : « لان الآب
معي » - ليست هذه مجرد معية - وان تكن ملكية - وانما هي وحدانية
الروح ، والالفة ، والمحبة ، والمساواة

عدد ٣٣ . مسك الختام : « لكم في سلام » . « في العالم ... لكم ضيق »

ولكن ثقوا . انا قد غلبت العالم

ولكن ثقوا أنا . . . » . ما اجل هذا الختام الذي فيه رسم المسيح للتلاميذ صورتين متناقضتين وختمها بتيمة مألوفة . في الصورة الاولى رسم لهم البيئة الروحية الداخلية المحيطة بهم : « في » . وفي الصورة الثانية وصف لهم البيئة المادية الخارجية المحيطة بهم : « في العالم » ، ثم قارن بين هذين البيئتين الاولى : « في » سلام ، وهياج البيئة الثانية : « في العالم . . . ضيق » . ومن فرط حب القادي ، أنه لم يتركهم في حيرة من جهة مصير كل من هاتين البيئتين ، بل انبأهم بالصراع العنيف الذي حمي وطيسه بينهما ، فانهى بانتصار المسيح على العالم

وردت استعارة « الغلبة » ، في كتابات يوحنا مراراً عدة ، ومرتين فقط في كتابات بولس (روم ٨: ٣٧ و ١٢: ٢١) . ولم ترد قط في كتابات غيرهما

ان نصرته التلميذ ، مستمدة من نصرته السيد ، وان حلقة الاتصال بينهما هي الثقة . فلن ينتفع التلميذ بنصرة سيده الا على قدر ما يثق بسيده : « ولكن ثقوا » . وان مجد نصرته القادي هو انها تمت فعلاً . فاذا ما حاربنا العالم ، فلنذكر اننا نحارب عدواً مهزوماً ، واننا نجاهد جهاداً مضمونة نتيجته

الاصحاح السابع عشر

مطالب الشفيع الروعظم

بعد ان فرغ المسيح من التحدث الى تلاميذه ، انصرف الى حديثه مع الآب . في تحدثه الى تلاميذه ، أحاطهم بحنوه ، وشملهم بنظره ، مخاطباً اياهم بالقول : « يا اولادي ! » (١٣ : ٣٣) . وفي حديثه مع الآب ، رفع عينيه نحو السماء وقال : « ايها الآب » . ما أقرب التشابه الكائن بين الحديثين في براءة الاستهلال ! فقد استهل المسيح حديثه مع تلاميذه بالقول : « الآن تمجد » ، وافتتح كلامه مع الآب بالقول : « قد أتت الساعة . مجد » . فالقائمه في كليهما تشير الى الصليب الذي يكمله المجد

هذا الاصحاح ، كما قال فيه بنفاله « يُعتَبر في مقدمة فصول الكتاب من حيث بساطة التعبير وسهولة اللفظ . وفي طبيعتها ، من حيث سمو الفكر » . في هذا الفصل ، حُفظت خير صلاة رُفعت بعد خير عظة في التاريخ . قدّم المسيح هذه الصلاة على مسمع من التلاميذ ، وعلى مقربة منهم ، في ذلك المكان عينه الذي ألقى فيه القسم الثاني من خطابه الوداعي . وقد أخذنا بالرأي القائل انه القاه في البقعة القريبة من وادي قدرون عند منحدر جبل الزيتون . قدّم المسيح هذه الصلاة بصوت مسموع من التلاميذ ، ليقيم لهم مثلاً لصلاته على الارض ، وصورة ضئيلة لشفاعته في السماء . في هذه الصلاة اجمل المسيح ما قاله في خطابه الوداعي . ووضع ختمه على كل اعماله الماضية ، ملتقياً نظره على الماضي ، والحاضر ، والمستقبل

١ تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء

هذه صلاة التكريس التي رفعها الكاهن الاعظم ، وفيها قرَّب ذاته قرباناً على مذبح التكريس في الهيكل السماوي ، قبل ان يقدمها ذبيحة على الصليب في هيكل الجلجثة . وفيها ايضاً رفع صلاة شفاعية ، ضمنها ثمرة مطالب : —

اولاً : طلب المتعلق بشخصه في صلته بالآب — ليسترده مجده (١٧:١ - ٥)

ثانياً : طلب الخاص برسمه — لاجل حفظهم وتقديمهم (١٧:٦ - ١٩)

ثالثاً : طلب بشأنه كنيسة — لاجل توحيد صفوفهم (١٧:٢٠ - ٢٦)

هذه المطالب الثمينة مجتمعة كلها حول عبارة واحدة : « مجد الله »

الطلب الاول (١٧:١ - ٥) — يتركز في كلمة واحدة : « مجد » (عدد ١ و ٥) . والطلب الثاني يدور حول كلمتين : « احفظهم » (عدد ١١) و « قدسهم » (عدد ١٧) . والطلب الثالث تجمعته ثمرة عبارات : « ليكون الجميع واحداً » ، « يكونون معي » ، « ليكون فيهم الحب » (عدد ٢١ و ٢٤ و ٢٦)

اولاً : الطلب الاول — متعلق بشخص المسيح في صلته بالآب (١٧:١ - ٥)

تحدثنا هذه الاعداد ، عن ثمرة امور خاصة بهذا الطلب المتعلق بالمسيح :

عدد ١. (أ) هو هذا الطلب . ينبثنا هذا العدد : (١) الطرف الذي قدم فيه هذا الطلب : « تكلم يسوع بهذا ورفع ... » . بعد ان فرغ المسيح من مخاطبة الارض اتجه الى مخاطبة السماء . (٢) اتجاه هذا الطلب : « رفع عينيه نحو السماء » . هذه الكلمات تعين اتجاه افكار المسيح ، كما انها تعين ايضاً اتجاه الصلاة نفسها : « نحو السماء » . في هذا درس لمن يصلون

وقال ايها الآب

وعيون اذهانهم شاخصة الى الناس ، منتظرين علامة استحسان او كلمة ثناء .
هؤلاء ، صلاتهم أقية ، لا عمودية ، فهي « حائمة » حول رؤوس الناس ،
وليست « صاعدة » بثبات الى عرش الله . على ان هذه الكلمات ليست
قاصرة على تعيين اتجاه افطار المسيح وقت رفعه هذه الصلاة ، لكنها تصف
ايضاً اتجاه حياة المسيح بأسرها ، فقد قضى كل حياته على الارض ، وهو على
اتصال دائم وثيق بالآب الذي في السماء . (قابل هذا بما جاء في ١١:٤
ولوقا ١٨:١٣ و أعمال ٧:٥٥) . ومع ان الله موجود في كل مكان ، الا ان
جلال السماء المنظورة ، هو خير رمز لمجد الله المتلألئ في السماء الغير المنظورة
وكذلك رفع العينين الى السماء ، يحمل رمزاً ضمناً الى تسامي النفس فوق
الفيود المادية المحيطة بها . (٣) الشخص الذي قدم هذا الطلب : « يسوع » .
هذه صلاة الشفيع الأعظم حال وجوده بالجسد على الارض ، وهي ايضاً دليل
على شفاعته في السماء ، حيث حمل معه بشريتنا في جسد مجده .
(٤) الشخص الذي إليه رفع هذا الطلب : « وقال ايها الآب » . لما علم المسيح
تلاميذه ان يصلوا ، قال لهم : متى صليتم فقولوا « ابانا » ، لانهم اخوة —
مع سائر المؤمنين — للآب الواحد . لكنه لما صلى هو ، قال : « ايها الآب »
غير حاسب معه شريكاً في هذه النسبة القدسية الفريدة . فهو « الابن الوحيد »
بمعنى سامٍ يمتاز عن بنوة المؤمنين للآب . وقد استعمل المسيح في هذه
الصلاة ، الكلمة الارامية : « الآب » ، للتعبير عن تلك الصلة الباطنية ، الروحية

قد أتت الساعة . مجد ابنك

السرية ، الغير المدركة ، الكائنة بين الاقنوم الاول ، والاقنوم الثاني في اللاهوت (قابل هذا بما جاء في شرح بشارة لوقا للمؤلف صفحة ٣١١)

ان الله اب لجميع الجنس البشري ، بوجه عام ، باعتبار كونه خالق الجميع وهو اب للمؤمنين بنوع خاص ، لانه تبناهم لذاته ، وادع في قلوبهم حياة روحية مستمدة من روحه ، وهو فوق كل ذلك ، اب للمسيح بصفة ممتازة ، فريدة ، على اساس ما بين الاقنومين من وحدة في الجوهر ، وتشابه في الصفات ، ومحبة عميقة ، أزلية ، أبدية . فالؤمنون هم ابناء الله بالتبني ، لكن المسيح هو « الابن » طبيعياً وحقاً . وغني عن البيان ، ان هذه الصلة الكائنة بين الاقنومين تختلف اختلافاً بيناً ، عن الصلة الكائنة بين الوالد والمولود الارضيين فالاولى صلة روحية ، سماوية ، والثانية جسدية أرضية (لمزيد الايضاح راجع تفسير ١:١٨) . ومن الملاحظ ، ان المسيح فاه بهذه الكلمة : « الآب » ، بنعمة الثقة ، التي هي وليدة الدالة البنوية الصادقة . (٥) هو هو هذا الطلب : « قد أتت الساعة » — يريد « الساعة » التي تبدأ بالصلب ، وتُتوج بالقيامة ، والصعود والمجد . هذه هي « الساعة » التي سبق المسيح فقال عنها في مناسبات سابقة : انها لم تكن « قد أتت بعد » (٧ : ٣٠ و ٨ : ٢١) . « مجد ابنك » — ان تمجيد الابن هو اظهار جلال طبيعته ، وكالات قوته ، وقوة كالاته ، امام عيون الناس ، بنصرته على الصليب ، وكسره شوكة الموت ، واعادته الى المقام الجليل الذي كان متمتعاً به قبل اتضاعه بالتجسد . كما ان تمجيد الآب هو اظهار اسمه الكريم للناس ، بقدسيته ، وقوته ، وجلاله (عدد ٦)

لتمجيدك ابنك ايضاً. ٢ اذ اعطيته سلطاناً على كل جسد

(ب) غاية هذا الطلب (عدد ١ ب) : « ليمجدك ابنك ايضاً » — باعلان اسمك واعلانه امام عيون المؤمنين ، والعالم . لم يذكر المسيح كلمة : « الابن » في حالة الاطلاق ، بل في نسبتها الى الآب : « ابنك » . ان تمجيد الابن ، شرط لازم لتمجيد ابيه ، كما ان تمجيد الآب ، نتيجة طبيعية لتمجيد ابنه (انظر ١: ٢) . فالآب يمجّد الابن ، برضاه عنه ، وتأييده له ، وتقديره اياه ، ليكسر شوكة الموت . والابن يمجّد الآب ، بتعريف الناس به ، وانعام الرسالة التي تسلمها منه ، والطاعة حتى الموت ، موت الصليب

عدد ٢. (ج) الاساس الاول لهذا الطلب — ابراهيم حياة ابدية للمؤمنين « اذ اعطيته سلطاناً على كل جسد ليعطي حياة ابدية لكل من اعطيته » . إن المجد الذي طلبه المسيح ، هو تاج رسالته على الارض ، وهو مكافأتها . وان الحياة التي أُعطي المسيح سلطاناً ليهبها لخاصته ، ليست قاصرة على البقاء ، ولا هي مجرد الشعور بالوجود ، لكنها حياة صادرة من الآب ، عن طريق المسيح الذي هو الطريق . اذ به وحده يستطيع البشر ان يعرفوا الآب . (ايوب ٢٢: ٢١ ومتى ١١: ٢٧)

الكلمة الاولى : « كل » ، في قوله « كل جسد » ، كما وردت في الاصل تعني الكتلة البشرية كافة ، التي وُهب المسيح سلطاناً مطلقاً عليها ، حين أُرسل الى الارض برسالة الخلاص (متى ٢٨: ١٨) . والكلمة الثانية : « كل » في قوله « لكل من اعطيته » ، تعني كل فرد من المؤمنين الذين أُعطوا للمسيح

ليعطي حياة أبدية لكل من اعطيته . ٣ وهذه هي الحياة الابدية ان
يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك

ليكونوا خاصته في عهد القداء . ف « كل » الاولى ، تعميمية إجمالية ، و « كل »
الثانية تخصيصية تفصيلية . وقد استعمل المسيح كلمة : « جسد » لتعني الانسان
كله في حال الضعف . هذا من قبيل إطلاق الجزء على الكل

ان العبارة الثانية في هذا العدد : « ليعطي حياة أبدية » ، موازية للعبارة
الثانية في العدد الاول « ليمجدك ابنك ايضاً » . فكأن المسيح طلب الصعود
الذي به يتمجد ، ليكون تمهيداً ليوم الخسین الذي فيه سيودع « روح » حياته
في قلوب المؤمنين . وان قوله « كل من اعطيته » يذكرنا باقواله التي مررنا بها
في ٦: ٣٧ و ٤٤ و ٦٥ — « كل ما يعطيني الآب فاليّ يُقبل ... لا يقدر احد ان
يُقبل اليّ ان لم يجتذبه الآب ... لا يقدر احد ان يأتي اليّ ان لم يُعط من أبي »

عدد ٣ . (د) الصلة الثلاثة بين تمجيد الله وإبراز الحياة للمؤمنين —
ماهية هذه الحياة الابدية : « وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله
الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلته » . فالحياة الابدية تقوم بمعرفة
الآب والمسيح الذي ارسله . ومن المهم ان نلاحظ الوصف الذي وصف به
المسيح الآب ، فهو وصف مثلث : (١) « الاله » — فهو إله ذاتي — هذا اكبر
معول يهدم الاعتقاد بالوهمية الكون . (٢) « الحقيقي » — ضد الوهمي ، والخيالي ،
والنظري — هذا اقوى معول هادم لكل فلسفة طبيعية وهمية . (٣) « وحدك » —
أي المتفرد بالالوهية — هذا اعظم معول يهدم الاعتقاد بتعدد الآلهة . وجدير

ويسوع المسيح الذي ارسلته.

بالذكر، ان هذا هو الموضع الوحيد، في كل الكتاب المقدس، الذي فيه نطق المسيح بلقبه كاملاً مردفاً إياه برسالته، فقال عن نفسه: «يسوع المسيح الذي ارسلته». ولعلّ السبب في ذلك، ان القادي كان الى الآن متجنباً استعمال كلمة «المسيح» عن نفسه امام الشعب — إلا في مرة واحدة امام السامريين (٢٦: ٤). يؤيد هذا وصيته لتلاميذه بعد اعتراف بطرس «ان لا يقولوا لأحد انه يسوع المسيح» (متى ١٦: ٢٠). أما الآن، وقد حان الوقت الذي فيه يُعدّ التلاميذ للكراسة بشخصه قادياً ومسيحاً، فلم يكن هنالك بُدّ من ان يُسمع تلاميذه هذا اللقب كاملاً ولو مرة واحدة، قبيل انقضاء حياته على الارض. فيقوله: «يسوع»، اراد اسمه الانساني — ومعناه مخلص، وهو من مصدر عبري، أصله «وسع» اي أفرج وخأص (متى ١: ٢١). وبقوله: «المسيح» اراد وظيفته الفدائية باعتبار كونه المسحوح من الله بمسحة الروح القدس ليكون ملكاً روحياً على شعبه. وبقوله: «الذي ارسلته»، يفيد سلطانه المطلق، الذي جاء ارضنا متقلداً إياه حاملاً اسم الآب وقوته. ومن الأهمية بمكان، ان نلاحظ ان في وضع اسم «يسوع المسيح» جنباً الى جنب مع اسم «الاله الحقيقي وحده»، برهاناً ضمناً على لاهوت المسيح، لان هذا معناه ان معرفة المسيح موازية لمعرفة الاله الحقيقي وحده. وان هذه المعرفة المزدوجة هي اساس الحياة الابدية، وقوامها، وتامها. اذ ليس المسيح مجرد أداة للمعرفة، بل هو موضوع هذه المعرفة بمقدار كون الآب نفسه موضوع هذه المعرفة عينها

٤ انا مجدتك على الارض . العمل الذي اعطيتني لأعمل قد اكملته .
٥ والآن مجدني انت ايها الآب

عدد ٤ . الاساس الثاني لهذا الطلب : انما هو المسيح العمل الذي يسلمه من الآب : « انا مجدتك على الارض . العمل الذي اعطيتني لأعمل قد اكملته » . ان الأساس الاول الذي ذكره المسيح في عدد ٣ ، كائن في بطن المستقبل : « ليعطي حياة أبدية » . لكن الأساس الثاني المذكور في هذا العدد يرتكز الى حقيقة تمت فعلياً في الماضي : « انا قد مجدتك على الارض ، العمل الذي اعطيتني لأعمل قد اكملته »

يتألف هذا العدد من مقطعين ، اولهما يمهد للثاني ، وتأتيهما مفسر ومكمل لاول . وكلا المقطعين يكونان انشودة جميلة صادرة عن نفس مطمئنة ، وضمير مستريح ، وحياة ظافرة ، خالية من خطايا الفعل وخطايا الترك . لان المسيح كامل كلاً ايجابياً لا سلبياً . فهو لم يعمل شراً ولم يُنفَل خيراً

عدد ٥ . عود الى بدء — المسيح يسترد مجده الاول الذي اُهدى نفسه منه عند التجسد : « والآن مجدني انت ايها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم » . ان قول المسيح : « عند ذاتك » ، يقابله المكان الوضع الذي كان فيه المسيح « على الارض » وقت رفعه هذه الصلاة . وان قوله : « المجد الذي كان لي عندك » ، يقابله اتضاع المسيح وقتئذ . نعم كان المسيح حال وجوده على الارض ، متمتعاً بمجد « كما لو حيد من الآب » (١٤ : ١) . لكن مجده في حال اتضاعه ليس سوى شعاع من شمس مجده الذي كان له

عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك

عند الآب «قبل كون العالم». وان قوله: «عند ذاتك» يفسره قول البشير في مقدمة هذه البشارة: «والكلمة كان عند الله»، «الابن الوحيد...» في حضن الآب» (١: ١ و ١٨). هذا برهان جلي، على ان المسيح ذاتي، أزلي، لان الكائن عند ذات الله، ذات مثله. ومتى كان المجد أزلياً، فالمجد، أزلي بالأولى

كان المسيح اثناء وجوده على الارض، متسربلاً ثوب بشريتنا، الذي حجب عن البشر لمان مجده الاسنى، لدرجة جهله فيها الا كثرون، حتى الأهل والاقرباء. ولو كان قد كشف القناع عن هذا المجد، لعرفه كل من نظر اليه وصاح قائلاً: «هذا هو». لكنه، بارادته «اخلى نفسه» من ذلك المجد «آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس» — بل في أوضع حال للناس — «فلا صورة له ولا جمال فننظر اليه ولا منظر فنشبهه، محتقر ومخذول من الناس.. وكسّر عنه وجوهنا محتقر فلم نفتد به». على ان المسيح لم يفقد ذلك المجد الازلي، بتجسده. وانما تخلى عنه باختياره — الى حين — وكان دواماً حاملاً اياه بصورة محجوبة عن العيون المادية، فكان كجندي حامل سيفه معه أنى سار، وهو يحجب حدّ ذلك السيف في الغمد ليجرده أنى شاء. فلما «اتت الساعة» استرد المسيح ذلك المجد. ومن الامور التي تستحق منا شكر الله، ان المسيح استردّ ذلك المجد وهو حامل معه بشريتنا في جسد مجده، ولسوف «يغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده» (فيلبي ٣: ٢١)

ثانياً — طلبه الخاص برسه: لا بل تكريسهم وتقدّيسهم: (١٧: ٦ — ١٩)

قبل كون العالم . ٦ انا اظهرت اسمك للناس الذين اعطيتني من العالم

يتركز هذا الطلب في طلبتين اولاهما « احفظهم » (عدد ١١) ،
وثانيتهما « قدسهم » (عدد ١٧) . وقد مهد المسيح للطلبة الاولى ، وأردفها بذكر
نسبة التلاميذ اليه ، ونسبتهم الى العالم على اعتبار ان هذه النسبة المزدوجة ،
أساس مزدوج لهذه الطلبة . فالاساس الاول — اعني به نسبة التلاميذ الى
المسيح ، مبين في الاعداد ٦ — ١٠ . والاساس الثاني — أي وحشة التلاميذ
في العالم ، واقع في الاعداد ١١ — ١٥

جميل ان نرى حسن ظن القادي بتلاميذه الضعفاء ، لدرجة تفاخي فيها
عن جهالتهم (١٤ : ١٩) ، وجبنهم (١٦ : ٣٢) ، حاسباً لهم ايمانهم به ، وحفظهم
كلامه ، وعلمهم بمصدر رسالته . لان عينيه الطاهرتين ، لمحتا وراء نبتة ايمانهم الفضة
ثمارة ناضجة ، ورأتا من خلال تقصيراتهم وضعفاتهم ، قلوباً مخلصاً ، ونفوساً
واثقة . هذا أجمل تفسير لتلك النبوة القديمة التي قيلت عنه : « قصبة مرضوضة
لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفى » . فمن هذه القصبات المرضوضة ، أقام اعملة
راسخة في هيكل المسيحية ، ومن هذه القتائل المدخنة ، أقام منائر مضیئة
عدد ٦ — ١٠ . (أ) الاساس الاول لهذه الطلبة : اتساب التلاميذ للمسيح
عدد ٦ : (١) وصف مثلث للتمهدة الحق في بنسرها : « انا اظهرت اسمك
للناس الذين اعطيتني من العالم . كانوا لك واعطيتهم لي وقد حفظوا كلامك » .
في هذا العدد وضع المسيح ثمرة جوانب للتمهدة الحق : — (١) التمهدة الحق
من جانب المسيح : « انا اظهرت اسمك للناس » . ان قوله : « انا اظهرت

كانوا لك واعطيتهم لي وقد حفظوا كلامك . ٧ والآن علموا ان

اسمك» ، يوازي قوله في عدد ٤ « انا مجدتك على الارض » ، وكلا القولين مفسر للآخر . اما « الناس » الذين قصدهم المسيح بقوله : « اظهرت اسمك للناس » ، فهم تلاميذه . (٢) التلمذة الحقّة من جانب الآب : « الذين اعطيتني من العالم كانوا لك واعطيتهم لي » ، فالتلاميذ هم عطية الآب (*) للمسيح (٦: ٦٥ و ٤٤) . (٣) التلمذة الحقّة من جانب التلاميذ : « وقد حفظوا كلامك » . فمن هذه الثمرة الجوانب نرى ان المسيح عرف ، والآب أعطى . والتلاميذ حفظوا . وكل هذه الثمرة الجوانب مرتبطة ببعضها تمام الارتباط ، ومكونة حجة قوية رفعها المسيح الى الآب بقوله : « احفظهم في اسمك » (عدد ١١) . هذا بمثابة القول : « لا تتخلّ عن عمل يديك » . ولا شك في ان هذه الطلبة تحمل معها إيجابتها ، لانه لا يُقبل ان الآب يجعل خدمة المسيح عبثاً ، ولا ان يجعل عطيته هو تذهب هباءً ، كما انه لن ينسى تعب محبة التلاميذ ، وعمل ايمانهم ، وصبر رجائهم ، في حفظهم كلام الله ، وقبولهم الفادي رباً ومسيحاً . عدد ٧ و ٨ . وصف مثلث للتلمذة الحقّة في نموها وكما لها : « علموا » « قبلوا » « آمنوا » . هذه ثمرات كلمات ، بمثابة ثمرات درجات في سلم الايمان الراقى . فالدرجة الاولى : « علموا » ، تعني التمييز . اي ان التلاميذ عند ما

(*) جاء في بعض المواضع في هذه البشارة : ان الآب يجتذب الناس الى المسيح ويعطيه اياهم (١٧: ٦٦ ، ٢٤ : ٣٧ و ٤٤ و ١٠٦ : ٢٩ ، ١٨ : ٩) ، وورد في مواضع اخرى ، ان المسيح « يختار » الناس و « يجتنبهم » الى نفسه (٦ : ٧٠ و ١٥ : ١٦ و ١٢ : ٣٢) وفي كلا الحالتين أعطي للبشر ان يختاروا او يرفضوا (١ : ١١ و ١٢ : ٣ ، ١٨ : ١٩ و ١٢ : ٤٧ و ٤٨)

كل ما اعطيتني هو من عندك . ٨ لان الكلام الذي اعطيتني قد اعطيتهم وهم قبلوا وعلموا يقيناً اني خرجت من عندك وآمنوا انك انت ارسلتني . ٩ من اجلهم انا اسأل . لست اسأل من اجل العالم

سمعوا رساله المسيح ، ميزوها وحكموا بأنها رسالة سماوية من عند الآب : « علموا ان كل ما اعطيتني هو من عندك » . هذا نصيب العقل في الايمان . والدرجة الثانية : « قبلوا » ، تفيد ترحيب التلاميذ بالمسيح ترحيباً قلبياً ، وادخالهم اياه الى اعماق نفوسهم ، نتيجة علمهم اليقيني الاختباري بمصدر رسالته وصدق مسيحيته . هذا نصيب القلب في الايمان . والدرجة الثالثة : « آمنوا » ، تشير الى العزيمة الثابتة الملهمه بنور العقل والمثبة بنار القلب . هذا نصيب الوراثة في الايمان . فالايان ينشأ بالمعرفة ، ويستضي بالتمييز ، ويتغذى بالمحبة ، ويتشدد بالمزمنة ، ويتوج بالثقة

ان المسيح يتكلم عن نفسه في هذه الاعداد باعتبار كونه فارياً ورسيطاً عدد ٩ . (١) مدى شفاعته المسيح : « من اجلهم انا اسأل . لست اسأل من اجل العالم بل من اجل الذين اعطيتني » . يحدثنا هذا العدد ، عن مدى تشفع المسيح ، في كلمتين — الاولى : ايجابية جامعة ، وبها يُستهل العدد ويُختتم « من اجلهم انا اسأل من اجل الذين اعطيتني لانهم لك » . والكلمة الثانية : سلبية ، مانعة ، وهي واقعة في قلب هذا العدد : « لست اسأل من اجل العالم » . على ان امتناع المسيح عن ان يتشفع في العالم ، ليس امتناعاً مطلقاً بل محدوداً بهذا الظرف الخاص ، لانه واضح من قول المسيح : « يا ابتاه اغفر لهم

بل من اجل الذين اعطيتني لانهم لك . ١٠ وكل ما هو لي فهو لك .

لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لوقا ٢٣: ٣٤) ، انه كان مصلياً من اجل العالم . ولكنه امتنع هنا عن ان يطلب للعالم حفظاً ، لان العالم لا يحتاج الى الحفظ ، ولا الى التقديس ، لكنه يحتاج اولاً الى التجديد ، والتغيير ، والايمان (١٧: ٢١) . ولان حفظ العالم في حاله ، ثمة لا نعمة . ولان اساس هذا التشفع لا ينطبق على العالم ، الذي لم يحفظ كلام الله (عدد ٦) ، ولان العالم ليس من خاصة الله ويعتقد رايل وبعض المفسرين ، ان المعنى في هذه العبارة ، منصرف الى شفاعته المسيح بوجه عام ، فهو لا يشفع في العالم المتمرد « الذي لا يقبل روح الحق » (٢٧: ١٤) . لان الصلاة من اجل عالم هذا وصفه ، تُحسب عبثاً . ونميل نحن الى الاخذ بالرأي الاول . ولعل كثيرين من الذين آمنوا بالمسيح يوم الحسين ، كانت لهم شركة فعلية في صلب المسيح يوم الجمعة الحزينة

(٢) المحبة الاولى لشفاعة المسيح في هذا الطرف: « لانهم لك » — فع ان المؤمنين أعطوا للمسيح ، ليقبليهم ويقيمهم ، الا انهم لا يزالون ملكاً للآب ، فالمسيح مكلف بحراستهم كراع مؤتمن ، وفاد أمين

عدد ١٠ — الملكية المتبادلة: « كل ما هو لي ، فهو لك . وما هو لك فهو لي » — هذا دليل على تكريس المسيح التام ، وعلى شعوره اليقيني بعظمة لاهوته ، واتحاده الكامل بالآب . فهل يقوى مجرد انسان ، على ان يخاطب الله بمثل هذه اللغة: « كل ما هو لك فهو لي » ؟ في امكان أي انسان مؤمن ، ان يشارك المسيح في العبارة الاولى: « كل ما هو لي فهو لك » ،

وما هو لك فهو لي وانا ممجّد فيهم ١١ ولست انا بعد في العالم واما هؤلاء فهم في العالم وانا آتي اليك . أيها الآب القدوس

ولكن لا يجسر احد غير المسيح ان يشاركه في العبارة الثانية: «وما هو لك فهو لي» . ان قوله: «كل ما هو لي»، ليس قاصراً على الاشخاص، بل يشمل ايضاً كل الحقوق والممتلكات

(٣) الحجة الثانية لشفاعته المسيح في هذا الطرف — التلاميذ المحفوظون، هم اداة لتعمير المسيح: «وانا ممجّد فيهم» — أي تمجّدت في الماضي ولا زلت ممجّداً فيهم بايمانهم وطاعتهم ومحبتهم وولائهم، فكما ان الكرامة تتمجّد في أغصانها المثمرة كذلك تمجّد المسيح التلاميذ في . قابل افسس ٢: ٢٠

(ب) الاساس الثاني لطلبه المسيح: رحمة التلاميذ في العالم (١٧: ١١-١٥). في هذه الاعداد، بسط المسيح هذا الاساس بكل بساطة ووضوح ثم رده بين حين وآخر، نظراً لشعره بوحشتهم الالهية التي سيتجرعون غصصها بعد ارتفاعه عنهم: «ولست انا بعد في العالم واما هؤلاء فهم في العالم وانا آتي اليك» . في هذه العبارة، رأى المسيح نفسه وقد فرغ من الصليب، وأتم عملية الفداء، ولفرط حبه لتلاميذه انشغل بهم عن ذاته، مع انه كان محاطاً بظل الصليب، فذكرهم في وحدتهم، وهو عالم انهم سيتركونه في وحدته (١) النداء الخاص الذي تسترل به هذه الطلبة: «أيها الآب القدوس»

— هذه هي المرة الثانية التي فيها يتوجه للمسيح الى الآب بنداء خاص، أثناء هذه الصلاة الشفاعية — المرة الاولى في عدد ١ . على انه في هذه المرة الثانية

احفظهم في اسمك الذين اعطيتني ليكونوا واحداً

قد وجه الخطاب الى الآب، بكلمات لم ترد إلا في هذا المكان وحده، فقال: «أيها الآب القدوس». فما أكثر ملاءمة هذا النداء الى طبيعة هذه الطلدة! إذ أن «الآب القدوس» وحده هو الكفيل بحفظ التلاميذ في اسمه، مقدسين من كل دنس في العالم. فقداسة الآب، هي الضمان الاوحد لقداسة المؤمنين

(٢) **جوهر هذه الطلبة:** «احفظهم في اسمك الذين أعطيتني» — يراد بـ «اسم الآب»، كل الحق الذي اظهره المسيح، وأعلنه للتلاميذ عن ذات الله وصفاته، بما فيها القدرة، والمحبة، والحكمة، والقداسة (عدد ٦). لحفظ التلاميذ في «اسم الآب»، يراد به حفظهم ثابتين في دائرة هذا الحق المعلن، ومتحصنين في ذات الله، وفي شخصه. لان «اسم الرب» برج حصين يركض اليه الصديق ويتمنع. وقد أراد المسيح ان يحفظ تلاميذه باستمرار داخل هذا «الحصن المنيع» فترد عنهم سهام الشرير. ان العالم بيئة خارجية محيطة بالتلاميذ، مليئة بالبغضاء والتجارب المصوبة اليهم، لكن اسم الله بيئة داخلية قدسية، تحيطهم بغلاف من المناعة الروحية التي تطفىء جميع سهام الشرير الملقية

(٣) **الغاية الاولى من هذه الطلبة:** «ليكونوا واحداً كما نحن» — هذا هو المثل الاعلى للوحدانية التي يجب ان تتوفر في المؤمنين، بالنسبة لبعضهم البعض، فهي ليست وحدانية في العقيدة، ولا هي وحدانية في النظام، ولا هي وحدانية جغرافية، لكنها وحدانية روحية، باطنية، مؤسسة على شركة في الجوهر الواحد، والروح الواحد، والرأي الواحد، والارادة الواحدة. على ان

كما نحن . ١٢ حين كنت معهم في العالم كنتُ احفظهم في اسمك.

الاتحاد الذي يمكن ان يوجد بين المؤمنين ، وان تعذر بلوغه الى الاتحاد الذي بين الآب والابن في نوعه وكميته ، فمن المستطاع ان يكون على مثاله

عدد ١٢ . (٤). « أبناء العناية ، وابنه الرهوك » : « حين كنت معهم في العالم كنت احفظهم في اسمك » — اي كنت احرسهم ، واسهر عليهم — « الذين اعطيتني حفظهم ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب » . هذه حقيقة لها مآنيها . جانبها الاول مشرق بنور دونه نور النهار ، يبعث في نفس المؤمن عزاء : « الذين اعطيتني حفظهم ولم يهلك منهم أحد » . وجانبها الثاني ، مغم ناراً لاذعة تصلي الاشرار عذاباً : « ... ابن الهلاك » . وقد نعجب اذ نسمع كلمة « ابن الهلاك » صادرة عن لسان المسيح ، الذي يفيض دوماً رقة وعذوبة ، لكن عجبنا يزول متى ذكرنا ان المسيح المحب هو المسيح « الحق » . فمع ان « الحق » مرّ ، إلا انه من الواجب ان يقال . كلمة « ابن الهلاك » وردت مرتين في العهد الجديد — هنا وفي ٢ تس ٣: ٢ ، وهي عبرية في تركيبها ومعناها — على مثال قوله « أولاد نور » (افسس ٥: ٨) و « أولاد المعصية » (اش ٥٧: ٤) و « أبناء الموت » (١ صم ٢٦: ١٦) . ويراد بها ان يهوذا مستحق الهلاك ، لانه حامل في طبيعته عوامل الهلاك وأسبابه

وهنا يعترضنا سؤال : هل كان يهوذا ضمن الذين أعطاهم المسيح من الآب ، فصار فيما بعد من أبناء الهلاك ؟ وجوابنا على ذلك : « كلا » . فان يهوذا كان منذ البداية « ابن الهلاك » ، ولم ينتفع شيئاً من وجوده مع المسيح .

الذين اعطيتني حفظهم ولم يهلك منهم احد الا ابن الهلاك ليتم الكتاب . ١٣ اما الآن فاني آتي اليك . واتكلم بهذا في العالم

وقد استعملت كلمة : «الا» في هذه الفرينة بمعنى : «أما» او «إلا أن» كما في متى ١٢: ٤ . فالاستثناء الواقع بعدها في قوله : «لم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك» ، هو استثناء منقطع ، لان يهوذا لم يكن من الذين أعطاهم الآب للمسيح . فكأنني بالمسيح يقول : « اما الواحد الذي هلك وهو يهوذا «ابن الهلاك» ، فلم يكن من الذين أعطيتني اياهم ، لذلك هلك ، وانا لم احفظه . إلا ان هلاكه لم يكن حادثاً غريباً . لان الكتاب سبق فأنبأ عنه»

«ليتم الكتاب» — الاشارة هنا الى ما جاء في مزمو ٤١: ٩ ، وليس المراد بها ان يهوذا هلك لكي يتم الكتاب — كأن اتمام الكتاب كان احد البواعث العاملة على هلاك يهوذا ، بل ان هلاك يهوذا جاء متفقاً مع ما سبق فأنبأ عنه الكتاب . وهذا لا يخلي يهوذا من المسؤولية ، لانه لم يكن عالماً بان ما في الكتاب ينطبق عليه . ولأنه لم يُقدِّم على فعلته الشنعاء ليتم ما في الكتاب ، بل ليتم شهواته الساقطة . وان أكبر حجة على ذلك ، هي شهادة ضميره الذي ثار عليه فتخلص من تأنيباته ، بأن مضى وشنق نفسه

عدد ١٣ . (٥) . الفاية الثانية من هذه الطلبة — ليكون فرح المسيح لهم في الترميز : «اما الآن فاني آتي اليك» . مع ان المسيح سبق ففاه بهذه الحقيقة في عدد ١١ ، الا انه وجد لذة خاصة في تكرارها في هذا العدد . فليس أحب الى النور من أن يلتقي بالنور . « واتكلم بهذا في العالم» — اي

ليكون لهم فرحي كاملاً فيهم . ١٤ انا قد اعطيتهم كلامك والعالم
ابغضهم لانهم ليسوا من العالم كما اني

وارفع هذه الصلاة بصوت مسموع من التلاميذ وانا معهم في العالم - « ليكون
لهم فرحي كاملاً فيهم ». ان الفرح المبر عنه هنا، هو الفرح المالى ' قلب المسيح،
نتيجة علمه بسرعة انطلاقه الى الآب، و يقينه بأن تلاميذه الذين سيتركهم
من بعده، سيكونون في حراسة الآب وحفظه . وجدير بالملاحظة، ان المسيح
أراد ان يكون فرحه : (١) ملأ للتلاميذ، بدليل قوله : « ليكون لهم »
(ب) تامر : « كاملاً » - غير مشوب بخوف او ضعف ثقة، او شعور بوحشة
وانفراد . (ج) في اعماق نفوسهم : « فيهم ». ان ممتلكاتنا التي حولنا ليست
لنا . لانها معرضة للزوال . فلا يبقى لنا إلا ما نملكه في اعماق نفوسنا

عدد ١٤ . (٦) التلاميذ بين المسيح وبين العالم : « وانا قد اعطيتهم
كلامك ». يراد بـ « كلام الله » خلاصة ما اعلنه المسيح للتلاميذ عن ذاته وعن الآب .
فالمسيح اذ اعطاهم كلام الآب، وضع في قلوبهم طبيعة جديدة مستمدة من
طبيعته، ومن نوعها، لكنها متنافية لطبيعة العالم . فالنتيجة الطبيعية لذلك، ان العالم
ابغضهم لان طبيعتهم الجديدة رفعتهم فوق مستوى العالم فاصبحوا من طبيعة
مغايرة لطينة العالم، مع انهم كانوا في العالم : « لانهم ليسوا من العالم كما اني انا
لست من العالم ». فامامنا الآن عزاء التلمذة وعذابها . اما عزاؤها فهو ان تلميذ
المسيح موضوع حراسته (عدد ١٢) وممتلىء بفرحه (عدد ١٣) ومتشبع بكلامه .

انا لست من العالم . ١٥ لست اسأل ان تأخذهم من العالم بل ان

(عدد ١٤). واما عذابها فهو ان التلميذ موضوع بنضة العالم. وهل يخشى عوي^١ الذئاب من يشرق على وجهه رضى الله ؟

عدد ١٥ . (٧) ماهية هذه الطلبة : « لست اسأل ان تأخذهم من العالم بل ان تحفظهم من الشرير » . في ختام هذه الطلبة عبر المسيح عن ماهيتها بكلمات مائة جامعة . اما كلماته المانعة، فهي قوله: «لست اسأل ان تأخذهم من العالم» . لحكمة ممتازة ، لم يسأل المسيح من الآب ان يأخذ التلاميذ من العالم لان وجودهم في العالم نافع للعالم، فهم ملح الارض، وهم نور العالم. وما نفع الطعام بغير ملح ، وما قيمة المدينة بغير نور؟ فضلاً عن ذلك فان وجودهم في العالم نافع لهم . فالعالم مدرسة يتلقى فيها التلاميذ دروساً ثمينة في الصبر والاحتمال وطول الأناة ، وفوق ذلك فان عليهم رسالة لم يكملوها بعد . فمن يحمل رسالة المسيح بعد صعوده اذا رفع تلاميذه معه من العالم ؟ واما كلماته الجامعة فهي قوله: « بل ان تحفظهم من الشرير » — كالزنبقة البيضاء تكون محافظة على جمالها وهي في وسط الاوحال، او كرأس الابرة المغنطيسية يكون على الدوام مثبتاً الى الشمال ، مهما هبت العواصف وتقلبت الاجواء، او كنبح مياه في قلب صحراء قاحلة . ان القداسة التي طلبها المسيح لتلاميذه ليست سلبية قائمة بالمنع والهرب وانما هي ايجابية تقوم بالمنح والحرب الظاهرة المنتصرة . فمجرد الاتصال المادي عن العالم لا ينفع. وانما الذي ينفع هو الاتصال التام بالله. ان القداسة القائمة على ما حولنا لا تغني قليلاً . وانما القداسة الحقة هي القائمة على ما فينا

تحفظهم من الشرير . ١٦ ليسوا من العالم

ان النيران التي كانت محيطة بالثلاثة الفتية ، لم تقوَ على احراقهم ، لانهم كانوا محاطين بابن الله ، فالبيئة الداخلية الروحية تحطم سهام البيئة المادية الخارجية (١ يو ١٨: ٥ و ١٩ ، ٢ تس ٣: ٣ ، ١ يو ١٣: ٢ و ١٤ ، ١٢: ٣)

كلمة : « الشرير » ، قد تعني الشر مجسماً في شخص ابليس ، كما في الطلبة المتضمنة في الصلاة الربانية : « نجنا من الشرير » (متى ١٣: ٦) ، وقد تعني الشر كبدأ عام ، أو « المحيط الشرير » - اي « العالم الذي وُضع كله في الشرير » (١ يو ١٩: ٥) . ان هذه الطلبة وسائر طلبات المسيح ، تحمل معها جوابها فهي وعد ، ونبوة بأن الله ، لن يحفظ الا الذين يريدون أن يحفظوا انفسهم

طلبة المسيح الثانية لاجل رسله - انه يتقدموا في الحق (١٧: ١٦ - ١٩)
مررنا في الاعداد السابقة ، بالطلبة الاولى التي رفعها المسيح لاجل رسله « ان يحفظوا من الشرير » ، وهانحن نواجه طلبته الثانية لاجلهم (عدد ١٧) .
استهل القادي هذه الطلبة الثانية بحجة ماهرة لها (عدد ١٦) ، وعقب عليها بحجة اخرى مؤيدة لها (عدد ١٨ و ١٩)

عدد ١٦ . (١) المحجة الماهرة لهذه الطلبة : انزال التلاميذ عن العالم :
« ليسوا من العالم كما اني انا لست من العالم » - سبق القادي فنطق بهذه الكلمات عند ختام الطلبة السابقة (عدد ١٤) ، وقد أوردها هنا ايضاً مكرراً ومقرراً . فهي ، والحالة هذه ، حلقة اتصال بين الطلبتين ، بها تُختتم الطلبة الاولى ، وتُستهل الطلبة الثانية

« ليسوا من العالم » - في طبيعتهم ، وامياهم ، وآمالهم ، وآلامهم .

كما اني انا لست من العالم ١٧ قدسهم في حقك .

ليس هذا انفزالاً مادياً جغرافياً ، لكنه انفزال روحي على مثال انفزال المسيح عن العالم . فمع ان التلاميذ كانوا عاكشين في العالم ، الا انهم ليسوا مع العالم . وان مغايرتهم للعالم ، نتيجة طبيعية لمشابتهم للمسيح . فالعبرة ليست بالطرفية الملائية ، بل بالخالص السوعية

عدد ١٧ . (ب) مبرهنه الطلبة : « قدسهم في حقك . كلامك هو حق » . كان من الطبيعي ، ان تأتي هذه الطلبة بعد الطلبة السابقة ، لانهما مرتبطتان معاً ارتباطاً منطقياً . فمن الطبيعي ان الحفظ يسبق التقديس ، لان الحفظ اعماري للتقديس ، والتقديس منم للحفظ . الحفظ ملهي : « من الشرير » ، والتقديس ايماني : « في الحق » . فالتلاميذ « يُنقلون » من منطقة الشرير للو بوءة ، ليوجدوا في منطقة الحق النقية ، فيتشبعوا من جوها المقدس والمقدس . اساس الطلبة الاولى ، هو افراد التلاميذ في العالم . لكن اساس الطلبة الثانية هو عمل التلاميذ في العالم ، باعتبار كونهم رسل المسيح

اراد المسيح بـ : « تقديس » التلاميذ ، معنيين : المعنى الاول دافعي ، وهو انزعاج كل ميل انساني ، جسدي ، مادي ، من قلوبهم . او بعبارة اخرى تطهيرهم من كل ما هو مغاير لروح الله وارادته . فمع ان التلاميذ تبرروا دفعة واحدة ، الا انهم يحتاجون الى التقديس يوماً فيوماً . والمعنى الثاني هارمي ، وهو تكريسهم وتخصيصهم نهائياً وكالياً للخدمة الرسولية التي تسلموا مقاليدها من المسيح ، وسيتحملون مسئولياتها بعد انطلاقه عنهم ، مثلاً كان يتخصص

كلامك هو حق . ١٨ كما أرسلتني الى العالم

الكاهن قديماً لخدمة الكهنوت . قابل هذا بما جاء في رومية ١٢: ١ — «قدموا اجسادكم» — على اعتبار ان الجسد ممثل للانسان كله — «ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله» . فالتقديس في معناه الاول، مركزه القلب، وفي معناه الثاني مركزه الإرادة والثنية . اما «الحق» فهو أداة تقديسهم، وهو ايضاً الجو الذي فيه يتقدسون . فلا يكفي ان يكون «الحق» في التلاميذ ، بل يجب ان يكون التلاميذ ايضاً في الحق ، فيكون لهم الحق جواً روحياً يتشققون منه عبير القداسة والحرية . ويراد بـ «الحق» ، خلاصة المعلنات التي أتى بها المسيح عن الآب وعن نفسه (عب ١: ١) ، او قل : ان «الحق» هو المسيح نفسه . فاذا ما قلنا ان «الشرير» هو الشر مجسماً ، جاز لنا ان نقول ايضاً ان المسيح هو الحق مثانساً . اما الجزء الثاني من هذه الآية : «كلامك هو حق» — أو : «هو الحق» ، فهو مفسر، ومكمل لقوله : «حقك» . والترجمة الحرفية لقوله : «كلامك» ، هي : «الكلام الذي لك» ، على اعتبار ان المسيح لم يتكلم بشيء من عندياته ، اذ انه هو نفسه «كلمة الله المتجسد»

عدد ١٨ و ١٩ . (ج) الحجّة المؤيدة لهذه الترجمة . تتضمن هذه الحجّة باعثن — اولهما : عمل الرسل لاجل المسيح ، في العالم (عدد ١٨) . وثانيهما : عمل المسيح لاجل الرسل (عدد ١٩)

عدد ١٨ . الباعث الاول — عمل الرسل لاجل المسيح ، في العالم : «وكما أرسلتني الى العالم أرسلتهم انا الى العالم» . كان على التلاميذ ان يؤدوا الرسالة

ارسلتهم انا الى العالم . ١٩ ولاجلهم اقدس انا ذاتي

التي حملهم المسيح اعباءها ، فيقوموا بها نيابة عنه بعد انطلاقه الى السماء ، وهي الى حد ما ، مشابهة للرسالة التي تسلمها المسيح من الآب ، وان كانت ليست من نوعها ولا في درجتها . فالمسيح أرسل من السماء الى العالم ، لكن التلاميذ أرسلوا من العالم الى العالم . رسالة المسيح فرائية ، لكن رسالة التلاميذ تبشيرية . غير ان رسالة التلاميذ تُحسب على نوع ما ، امتداداً لرسالة المسيح . فمع ان الرسل لا يتألمون مثلما تألم المسيح ، الا انهم « سيكملون نقائص شذائد المسيح في اجسامهم » (كو ١: ٢٤)

ان وجه الشبه الرئيسي — ان جاز ان يكون هنالك تشبيه — بين رسالة المسيح ورسالة التلاميذ ، هو تقديس المرسل . فكما ان الآب « قد قدّس المسيح » — اي كرّسه ، وخصّصه ، وهياً له جسداً مقدساً — « قبل ان يرسله الى العالم » (١٠: ٣٦) ، كذلك أراد المسيح ان « يقدّس » رسله ، بحقه ، وبشفاعته فيهم ، وبتقديسه ذاته لاجلهم — قبل ان يرسلهم الى العالم . غير ان تقديس المسيح ، يختلف عن تقديس الرسل ، كما يتبين مما يلي :

عدد ١٩ . (٥) الباعث الثاني — ما يعمل المسيح لاجل الرسل : « ولاجلهم اقدس انا ذاتي ليكونوا هم ايضاً مقدسين في الحق » . ان « تقديس » التلاميذ ، هو تطهيرهم داخلياً ، ثم تكريسهم خارجياً . لكن « تقديس » المسيح ، عمل خارجي ، يقوم بتكريسه ذاته ، وتقديمها لله ذبيحة حياة مقدسة . فضلاً عن ذلك ، فان التلاميذ عاجزون كل العجز ، عن ان يقدسوا ذواتهم . اذ لا يمكن

ليكونوا هم ايضاً مقدسين في الحق . ٢٠ . ولست

للفساد ان يقدس الفساد. لكن «تقدس» المسيح ، يقوم به هو ذاته : «اقدس انا ذاتي» — اي يقدم ذاته بمشيئته الحرة المختارة ، على مذبح الصليب ، إذ «روح ازلي قدم نفسه لله بلا عيب» (عب ٩: ١٤). فهذه المشيئة صار الرسل والمؤمنون «مقدسین بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة» (عب ١٠: ١٠)

ولا يغرب عن بالنا ، ان المسيح فاه بهذه الكلمات ، باعتبار كونه رئيس كهنتنا الاعظم ، وهو مهيب لتقديم ذاته على الصليب. ويقول جودي : ان المسيح بعمله هذا ، قد هيا طبيعة انسانية مقدسة ، حاملاً اياها الى المجد ، ليودعها في قلوب الرسل وسائر المؤمنين ، بروح قدسه . «لانه ان كنا قد صرنا متحدین مع المسيح بشبه موته ، نصير ايضاً بقيامته . عالمين هذا ان انساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية» (رو ٦: ٥ و ٦). «لان ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد اعتقني من ناموس الخطية والموت» (رو ٨: ٢)

ان تقديس المسيح ذاته ، عمل تكريسي فدائي ، لم يكن هو في حاجة اليه ، بل قام به لأجل الرسل ولاجلنا . أما قوله في نهاية هذا العدد : « في الحق » ، فمعناه : « لكي يكونوا مقدسين فعلاً ، ومعاً » لا اسماً ، وطقساً ، وصورة . ويجوز ان تترجم هذه العبارة الى : «مقدسین بالحق»

ثالثاً . طلب المسيح لاجل كنيسة (١٧: ٢٠ - ٢٦)

ان فوائد هذا الطلب الثالث تمتد الى جميع المؤمنين بالمسيح . وهو يتألف من طلبتين — كل منهما تحمل معها تغييراً ، والباعث عليها . فالطلبية

اسأل من اجل هؤلاء فقط بل ايضاً من اجل الذين يؤمنون بي

الاولى هي : افصح المسيح للآب عن رغبته في اتحاد المؤمنين معاً : « ليكون الجميع واحداً » (٢٠-٢٣) . ويلوح لنا ، ان هذه هي الطلبة الرئيسية في هذا الطلب ، لان المسيح ردها اربع مرات في ثلاثة أعداد (عدد ٢١-٢٣) . والطلبة الثانية هي : افصح المسيح الى الآب عن ارادته ان يكون المؤمنون به موجودين معه حيث يكون هو (عدد ٢٤) . وقد مهد المسيح لهاتين الطلبتين بكلمة مجده في عدد ٢٠ ، ثم عقب عليهما بفحوصته ، تعتبر مقدمة لهذا الفصل

عدد ٢٠ . كلمة مجده عن الذي يصلي المسيح لأجلهم في هذا القسم الاخير من صلاته الشفاعية : « لست اسأل من اجل هؤلاء فقط بل ايضاً من اجل الذين يؤمنون بي بكلامهم » . يراد بـ « كلامهم » ، البشارة التي تكلم بها الرسل شفاهاً ، وكتبوها في الرسائل ، فصارت واسطة لايمان الناس بالمسيح (رو ١٠: ١٤) . وقد نسبت كلمة البشارة اليهم ، قليل فيها : « كلامهم » مع انها « كلمة المسيح » ، لان الرسل بعد ان علموها ، وعلموا بها ، وسجلوها ، امتزجت بحياتهم ، فصاروا هم لها ، وصارت هي لهم . كما قال بولس عن الانجيل الذي بشر به : « انجيلي » ، مع علمه بانه « انجيل المسيح » (رومية ١٦: ٢ و ١٦: ١)

في عدد ٩ ، عيّن المسيح الذين رفع من أجلهم طلبه الثاني ، فخصره في الرسل : « من أجلهم انا اسأل » . وفي عدد ٢٠ ، رفع هذا الحصار ، وجعل طلبه يشمل كنيسة التي لم تكن قد اتخذت بعد مظهراً حياً قوياً ، الا منذ يوم الحسين ، فراها في المستقبل ، كحكمة ممتدة الجوانب ، مترامية الاطراف ، لكنها

بكلهم ٢١. ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيّ

لزيد الأسف منقسمة الى شقق صغيرة ، كثيرة العدد . فرأى بينيه اللتين
تحترقان حُجُب المستقبل ، الخطر المخلق بكنيستته ، قبل وقوعه

الطبة الاولى التي قدمها المسيح من أجل المؤمنين به - انه يكون جميع
المؤمنين واحداً (١٧: ٢١-٢٣)

عدد ٢١. اتحاد المؤمنين: ماهيته، ومنه الاعلى، واساسه، وغايته الاولى:
« ليكون الجميع واحداً. كما أنك أنت أيها الآب فيّ وانا فيك.
ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا، ليؤمن العالم أنك أرسلتني». ذكر المسيح في هذا
العدد، ثلاث مراتب للاتحاد. (أ) المرتبة الاولى في المقام - وهي الثانية
في ترتيب الكهوسم، هي الوحدانية الثلاثة بين الآب والابنه: « كما أنك أنت
أيها الآب فيّ وانا فيك». هذا هو المثل الأعلى للاتحاد، الذي يجب ان يكون
متوفراً بين المؤمنين وبين بعضهم البعض - فهو اتحاد في الفكر، والارادة،
والشعور، والمقصد، والتدبير، والعمل، والملكية. بل هذا مدى الاتحاد
المنشود بين المؤمنين وبين بعضهم البعض. (ب) المرتبة الثانية في المقام،
وهي الثالثة في ترتيب الكهوسم - هي الوحدانية التي يكون فيها المؤمنون
واحداً مع الآب والابنه: «ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا» - هذا اساس اتحاد
المؤمنين مع بعضهم البعض. فلا رجاء في اتحادهم فيما بينهم، ما لم يكونوا متحدين
اولاً في الآب والابن. لا بل هذا منبع اتحادهم، وجذعه، وغذاؤه، وقوام
حياته، وقوته. (ج) المرتبة الثالثة في المقام - وهي الاولى في ترتيب

وانا فيك ليكونوا هم ايضا واحداً فينا ليؤمن العالم

السلام — هي وهرانية المؤمنين بعضهم مع بعض — هذه ثمرة اتحادهم معاً في الآب والابن. فكأننا الآن امام نموت دوائر ذات مركز واحد، متداخلة في بعضها البعض. في الدائرة الداخلية نرى الآب والابن متحدين معاً اتحاداً حيويًا كاملاً. فالآب في الابن والابن في الآب. وفي الدائرة الوسطى نرى المؤمنين يُضمّنون الى هذه الدائرة القدسية، ليصبحوا متحدين معاً في الآب والابن: «ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا». وفي الدائرة الخارجية نرى المؤمنين وقد صاروا واحداً فيما بينهم، نتيجة صيرورتهم واحداً في الآب والابن:



«ليكون الجميع واحداً». هذه ماهية اتحادهم. فهو ليس اتحاداً ميكانيكياً، ولا مكانياً، ولا نظامياً، ولا تعليمياً. بل هو اتحاد روحي، حيوي، إلهي. لا يدغم فيه احدهم في الآخر. ولا تتلاشى شخصيته، بل يحتفظ فيه كل منهم بشخصيته، كما تتحد

النبرات معاً لتكون صوتاً موسيقياً واحداً. وكما تألف كل «نقط» الموسيقى لتكون لحنًا واحداً. (د) الفأية الاولى من اتحادهم: «ليؤمن العالم انك أرسلتني». ما أبهج منظر المؤمنين الذين يجمعهم الروح الواحد، والرب الواحد، والرجاء الواحد، من كل قبيلة وشعب ولسان وامة، فتختفي بينهم الفوارق الجنسية، والاجتماعية، والعلمية! ان روعة هذا المنظر المبهر، تبعث في العالم

انك ارسلتي . ٢٢ وانا قد اعطيتهم المجد الذي اعطيتني

الخارجي ايماناً يقينياً بان يسوع هو المسيح المرسل من الآب : «ليؤمن العالم انك ارسلتي» . ولقد تم هذا القول فعلاً في القرن الاول للميلاد ، حين أخذ الوثنيون بروعة اتحاد المسيحيين معاً فكانوا يتهايمسون فيما بينهم قائلين : «انظروا . ما أعجب حبهم لبعضهم البعض» ! ومن المؤسف ، انه بقدر ما يكون اتحاد المؤمنين معاً ، محرضاً العالم على الايمان بالمسيح ، يكون علم اتحادهم حجة في فم العالم ضد المسيح !

عدد ٢٢ . (هـ) اداة هذا الاتحاد : «وانا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد» . ذهب المفسرون في تأويل المراد بقوله : «أعطيتهم المجد» ، مذاهب شتى . فقال بعضهم : ان المسيح تكلم عن «مجده» العتيق كانه حاضر ، وانه أعطى تلاميذه حق امتلاك هذا «المجد» مع انهم لم يكونوا قد تمتعوا به بعد ، كما يرى من عدد ٢٤ . فيكون اذاً قد أعطاهم هذا «المجد» في البزرة ، ولو أنهم سيتمتعون به كاملاً في عالم الخلود . ويقول البعض الآخر : ان «المجد» الذي أعطاه المسيح لتلاميذه ، هو «مجد» الحلول الالهي في الجسم البشري ، فكما ان «مجد» المسيح هو حلول الآب فيه ، كذلك «مجد» التلاميذ هو حلول المسيح فيهم — بدليل قول بولس الرسول : «المسيح فيكم رجاء المجد» (كولوسي ١: ٢٧) . ويقول آخرون : ان هذا «المجد» هو مجد البنوة لله ، وان المسيح أعطى تلاميذه «مجده» ، بمعنى انه جعلهم اخوة له ، وصار هو أخاهم البكر «ليكونوا واحداً» . ويعتقد آخرون : ان هذا «المجد» هو حلول الروح القدس في التلاميذ ، على اعتبار ان حلول

ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد . ٢٣ أنا فيهم

الروح القدس فيهم ، هو العامل الفعال في صيرورتهم واحداً ، بدليل قوله : «أعطيهم المجد... ليكونوا واحداً». ونعتقد نحن ان هذا «المجد» ليس قاصراً على أمر واحد ، لكنه يتناول كل ما أخذه المسيح من الآب ، باعتبار كونه القادي المتجسد ورئيس العائلة المقدسة — ويدخل ضمن ذلك : مجد البنوة للآب ، وحق القبول لديه ، ومجد الامتلاء من روحه ، ومجد الانتصار على الخطية ، والمجد الاكمل الذي يناله المؤمنون في قيامة الابرار

«ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد» — هذه هي المرة الثالثة التي فيها كرر المسيح هذه العبارة في هذا الدور الاخير من صلاته الخالصة . وفي هذه المرة أظهر القادي ان هذه هي الغاية التي لأجلها «أعطي مجده لتلاميذه»
ألا يليق بنا ان نستوقف انفسنا قليلاً لنفكر في توضيحات هذا القادي الجليل الذي لم يرغب في ان يحتفظ بأي شيء لنفسه ، بل جعل كل ما عنده — حتى مجده — وفقاً على تلاميذه وعلينا ؟!

عدد ٢٣ . (و) — كمال هذا الوعد — دائرته متراكزة : «أنا فيهم وانت في» ليكونوا مكملين الى واحد». امامنا الآن دائرته متراكزة — الدائرة الاولى ، داخلية ، هي : هلول الآب في المسيح ، والدائرة الثانية خارجية وهي : هلول المسيح في التلاميذ — هذه أسرار عميقة ليس لنا ان ندخل الى بواطنها . ويكفي ان نفهم منها موقف الممتلكين إياها ، المتمتعين بها . فمع أننا لا نعلم دقائق الخواص التي تتألف منها ذرات الهواء المحيط بنا ، إلا أننا

وانت في ليكونوا مكملين الى واحد وليعلم العالم انك ارسلتي

تشبع من هذا الهواء ، ونقتدي به . وبما يجب ملاحظته ، ان المسيح لم يقل « انت فيهم وانت في » ، لان حلول الآب في المسيح يختلف عن حلوله في المؤمنين — درجة ونوعاً . ولم يقل « هم فيك وانا فيك » ، لان ثبوت المسيح في الآب غير ثبوت المؤمنين فيه ، بل قال : « أنا فيهم وانت في » ، ولعل هذا ما أراده بقوله : « انا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني » (عدد ٢٢)

ان النتيجة المترتبة على هذا الحلول المجيد ، هي : تكميل المؤمنين في الاتحاد : « ليكونوا مكملين الى واحد » — هذه هي المرة الرابعة والأخيرة التي كرر فيها المسيح كلامه عن اتحاد المؤمنين به ، وفيها ذكر وحدانيتهم في كمالها . هذه هي قمة الوحدانية ، وتامها ، وكالها . ان خير تفسير لقوله : « مكملين » ، هو ما جاء في فيلي ١٢: ٣ وعب ١٠: ٢ و ٩: ٥ و ٢٨: ٧ و ٩: ٩ و ١: ١ و ١٤: ١١ و ٤: ١٢ و ٢٣: ١ و ١٠: ٢ و ٥: ٢ و ١٢: ٤ و ١٧ و ١٨ . ولا شك في ان الله الذي يبدأ عمل الاتحاد في المؤمنين ، سيصل بهم الى كمال هذا الاتحاد

ان تكميل المؤمنين الى واحد ، هو تعبير آخر لقوله : « ليكونوا مكملين في الواحد » — أي في المسيح رأسهم ، ورئيسهم ، ومثلهم الاعلى (فيلي ١٠: ٢)

(ز) الغاية النهائية من هذا الاتحاد : « ليعلم العالم انك ارسلتي واحبيتهم كما أحببتني » . في عدد ٢١ ، ذكر المسيح الغاية الاولى من اتحاد المؤمنين : « ان يؤمن العالم انه مرسل من الآب » ، لكنه في هذا العدد ، ذكر الغاية النهائية من هذا الاتحاد : « ليعلم العالم انك ارسلتي واحبيتهم كما أحببتني » .

واحبيبتهم كما احببتي . ٢٤ ايها الآب اريد ان هؤلاء الذين اعطيتني

ان ايمان العالم يختلف عن علمه . فإيمان العالم يراد به قبول المسيح مخلصاً، لكن علم العالم يفيد الفهم الذي قد يقود صاحبه الى الايمان أو الى تقسية القلب على رغم هذا الاقتناع . ويقول رينولدز : ان العلم درجة أرقى في الايمان ، أعني هو الايمان اليقيني المؤسس على الاختبار . وقد ذكر المسيح في هذا العدد امربه ، يقتنع بهما العالم نتيجة رؤيته التلاميذ متعددين : — اولهما : علم العالم بانه المسيح مرسل من الآب ، أو بعبارة أخرى — علمه بان يسوع هو المسيح منتهى رجاء اليهود، و«مشهى الامم». والامر الثاني هو اقتناع العالم بانه الآب احب المؤمنين مثلما احب المسيح ، لان وجود المسيح وسط عائلة واحدة ، مجتمع افرادها في كنف أخيهما الاكبر ، يجعل المحبة القدسية التي وجهها الآب الى المسيح ، تعم هؤلاء المؤمنين وتضمهم تحت جناحيها، وتُسعر العالم بحرارة المحبة الالهية . وجدير بالملاحظة ان المحبة التي يتحدث عنها المسيح هنا، ليست محبة الاقنوم الاول للاقنوم الثاني في اللاهوت، وانما هي محبة الله للمسيح باعتبار كونه القادي المتجسد ورأس العائلة المقدسة

عدد ٢٤ . الطلبة الثانية التي قدمها المسيح من أجل المؤمنين به — انه يكونوا معه لينظروا مجده الازلي : «ايها الآب اريد ان هؤلاء الذين اعطيتني يكونون معي حيث اكون أنا لينظروا مجدي». مع ان التلاميذ كانوا قد رأوا مجد المسيح «مجداً كما لو حيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً» ، إلا انهم رأوا مجده من خلال حجاب الجسد الذي حجب عنهم الشيء الكثير من هذا المجد

يكونون معي حيث اكون انا لينظروا مجدي الذي اعطيتني لانك
احببتني قبل انشاء العالم . ٢٥ ايها الآب البار

الامنى، لذلك طلب المسيح ان تنهياً للتلاميذ فرصة، فيها يكونون معه بعد ان
يكون قد استرد مجده الازلي ، ليشاطروه ذلك المجد . في بدء هذه الصلاة
الشفاعية، طلب المسيح ان يعاد اليه مجده الازلي (عدد ٥)، والآن عند ختام هذه
الصلاة، وقد صار متيقناً من ان هذا المجد قد رُد اليه، لم يبقَ أمامه ، إلا ان
يطلب اشراك خاصته معه في مجده. هذا معنى قوله : « لينظروا مجدي » . لان
هذا النظر يشمل التمتع أيضاً

واذا كان المسيح قد قال في عدد ٢٢، انه « أعطى تلاميذه هذا المجد » ،
فهو الآن يريد ان المؤمنين به ، يتمتعون فعلاً بهذا المجد، لا أن يكتبوا
بامتلاكهم اياه كمجرد وعد أو حق

ولا يفوتنا ان نلاحظ الكلمة الخاصة التي استعمل بها المسيح هذه الطلبة:
« اريد » ! فقد افتتح الطلبات الماضية بقوله: « أسأل » (عدد ٩ و ٢٠) ، لكنه
استعمل هذه الطلبة بقوله: « اريد ». والارادة أقوى من الرغبة ، وأكثر اقتداراً
من السؤال . والظاهر ان للمسيح قد بلغ الآن درجة اصبح فيها قريباً من
الموت ، لذلك صار في موقف من يملي وصيته النهائية ، فقال : « أريد » . ولا
حاجة بنا الى القول: ان المجد الذي أراد المسيح ان تشاركه فيه خاصته، هو مجده
الوئلي الذي ناله من الآب ، برهاناً على محبته الازلية له : « قبل انشاء العالم »
عدد ٢٥ و ٢٦ . فهو صفة حميدة، وفائدة مبدية: « أيها الآب البار » — هذه

ان العالم لم يعرفك . اما انا فعرفتك وهولاء عرفوا انك

هي المرة الوحيدة التي وردت فيها هذه العبارة على لسان المسيح . بل هذا هو اللقب الثاني الذي نُسبه المسيح الى الآب في هذه الصلاة . فاللقب الاول مررنا به في عدد ١١ ، حين قال : « ايها الآب القدوس » — اذ كان المسيح طالباً وقتئذ تقديس تلاميذه . لكنه استعمل هنا كلمة : « البار » ، لانه كان متوجهاً بهذه الكلمات الاخيرة ، الى عدالة الآب ووبره

تحدثنا هذه الخاتمة الجليلة عن معرفة الآب . فقد وردت كلمة « معرفة » خمس مرات فيها . وهي تتألف من مقطعين — في اولهما — مقابلة بين العالم من جهة ، وبين المسيح وتلاميذه من الجهة الاخرى ، بالنسبة لهذه المعرفة (عدد ٢٥) . والشرط الثاني يعرفنا عن غاية المسيح من تعريفه تلاميذه باسم الآب . ويُخيلُ اليُنا ان المسيح واقف كمن يلقي نظرة الى الماضي ، وأخرى الى المستقبل :

فنظرته الى الماضي ، تتناول الشرط الاول من هذه الخاتمة — وفيها مقابلة بين العالم من جهة ، وبين المسيح وتلاميذه من الجهة الاخرى بالنسبة الى معرفة الآب : « ان العالم لم يعرفك اما انا فعرفتك وهولاء عرفوا انك أنت أرسلتني » . فالعالم لم يعرف الله . اما المسيح « فقد عرفه » . والتلاميذ « قد عرفوا ان يسوع هو المسيح المرسل من الله » . يراد بـ « معرفة » الآب ، قبول الحق المعلن عنه في المسيح ، واختبار قوة روحه في القلب . و« علم معرفة » الآب ، هي رفض هذه المعلنات . فالعالم الذي لم يعرف الله ، محروم بحق

انت ارسلتي . ٢٦ وعرفتهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب

من مجد المسيح . والتلاميذ الذين عرفوا الله يتمتعون عن حق ، بتجدد المسيح ونظرة القادي الى المستقبل ، يتم عنها الشطر الثاني من هذه الخاتمة (عدد ٢٦): «وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذي احببتني به واكون انا فيهم». في هذه الكلمات تبدأ القادي: (١) عما يرى في قلبه من مبرهنهم: «وسأعرفهم» — وهو يريد «المعرفة» التي سيوحى بها اليهم ، بواسطة روحه الاقدس الذي سيملا قلوبهم يوم الخميس

ما اعظم شجاعة المسيح ، وما أقوى ثقته ! لانه وهو عالم انه صاعد الى الجلجثة ليُصلب ، تكلم عن المستقبل وقال : «وسأعرفهم» . هذا دليل على انه كان ممسكاً بناصية المجد، وهو منطلق الى الصليب. (ب) عما نمناه لهم « ليكون فيهم الحب الذي احببتني به واكون انا فيهم» . أو ليست قلوبنا نجسة؟ فكيف اذاً تليق بحلول هذين الضيفين ؟ على انهما ليسا ضيفين مقدسين وكفى ، لكنهما ضيفان مقدسان . فالحب الالهي نارتصهر كل شر فينا ، وتطهرنا — والمسيح هو الطهر مجسماً . فما ابهج هذين الضيفين الجليلين المقدسين اللذين يحلان في قلب كل مؤمن — «الحب الالهي والمسيح» ! على انهما ليسا ضيفين ، وانما هما ضيف واحد . لان المسيح هو الحب مجسماً ، والحب الالهي هو المسيح متأنساً . ومتى كان المسيح في المؤمن ، اضحى المؤمن محبوباً من الله ، لكون المسيح في قلبه

«ليكون فيهم الحب الذي احببتني به واكون انا فيهم» — قصد المسيح

الذي احببني به واكون انا فيهم

بقوله هذا ، ان المؤمنين به ، اذ يعرفون اسم الآب ، يفتحون قلوبهم ليدخل اليها الحب القدسي الجليل ، الذي في قلب الآب نحو شخص المسيح . وطبيعي ان المؤمن متى أدخل هذا الحب الى قلبه ، صيرَه ملكاً له ، وبذلك يصبح متمتعاً بنفس الحب الذي به أحب الآبُ المسيح . وبالتالي يصير المؤمن محباً للآب ، حباً من نوع حبه ، وان يكن من درجة محدودة نظير الانسان المحدود ، لان محبة الله ليست سوى ادخال اشعة محبة الله النورانية الى قلوبنا جميل ان المسيح الذي هو موضوع محبة الآب ، يجعل المؤمنين موضوع حبه هو . فهو موضوع الحب الالهي وهو العامل فيه

ما اعظم الفرق بين ختام صلاة المسيح الشفاعية ، وبين بدء خطابه الوداعي ا في بدء خطابه الوداعي ، حدثت تلاميذه عن انطلاقه عندهم . وفي ختام صلاته الشفاعية ، عاهد الآب على ان يظل معرفاً اسمه للتلاميذ ، ليكون هو فيهم . بهذا وجد التلاميذ في هذا العهد ، اكثر مما تمنوا أو انتظروا . هذا هو الترياق الشافي لاضطراب القلوب

واذا كانت الاشياء تتبين باضدادها ، فان هذه الخاتمة الثيرة تذكرنا بتلك الخاتمة القائمة ، التي مررنا بها في نهاية الاصحاح الثاني عشر من هذه البشارة . تلك اختتمت فصلاً عن نمو عدم الاربامه في قلوب اعداء المسيح ومضطهديه . وهذه تتوج فصلاً عن نمو الاربامه في قلوب اخصاء المسيح ومريديه !

الاصحاح الثامن عشر

وادي الآلام

يتقدم بنا هذا الاصحاح ، الى مرحلة جديدة في حياة سيدنا وفادينا ، فنجتاز معه وادي الآلام والتضحية ، ونرتقي معه الى عرش المجد والخلود. ولقد كتب البشير في هذا الفصل الختامي من حياة المسيح ، حوادث مررنا بها في كتابات سائر البشرين او بعضهم ، وأغفل عمداً اشياء ذكروها هم ، وحدثنا عن تفاصيل لم يسجلها سواه . والله درّ هذا البشير ، فلا يوازي اجادته فيما كتب ، سوى اجادته فيما أغفل . وما من شك في انه كان عالماً بما كتب سائر البشرين من قبل . وفي الوقت نفسه احتفظ لنا بالتفاصيل الدقيقة التي تظهر جلال « الكلمة المتجسد » . على ان هذا لم ينس ان يصور لنا اتضاع المسيح ، المتغلغل في مجده ، واضعاً نصب عينيه هاتين الحقيقتين : بيبانه فخرج عدم الازمانه في قلوب اعداء المسيح ، واكتمال الازمانه في قلوب أمهائه فمن الحوادث التي تفرّد يوحنا بذكرها : كلمات المسيح التي خاطب بها الذين ألقوا القبض عليه (١٨: ٤-٩) ، وفحصه امام حنّان (١٨: ١٣-٢٤) ، وخروج بيلاطس الى اليهود للتشاور معهم في بدء المحاكمة السياسية (١٨: ٣٢-٣٧) ، وخلو بيلاطس الى المسيح ليفحصه على انفراد (١٨: ٣٣-٣٧ و ١٩: ٩-١١) ، واستهزاء الجند الرومان به كملك (١٩: ٢ و ٣) ، وخروجه حاملاً اكليل الشوك ولابساً ثوب الارجوان مما دعى بيلاطس الى ان يشير اليه قائلاً : « هوذا الانسان ! » (١٩: ٤ و ٥) ، وتمسك بيلاطس بما

كتب (٢١: ٢٢ و ٢٢)، ووصية المسيح الاخيرة بشأن امه (١٩: ٢٥-٢٧)،
 وافصاحه عن عطشه (١٩: ٢٨ - ٣٠)، والحربة التي طعن بها في جنبه
 (١٩: ٣١-٣٧)، والخدمة الاخيرة التي قام بها نيقوديموس لسيدته (١٩: ٣٩)
 ومن الحوادث التي اغفلها يوحنا عمداً، نظراً لسبق تدوينها في كتابات
 سائر البشيرين او بعضهم: - مجاهدة المسيح في جثسياني (متى ومرقس ولوقا)،
 القبلية الغادرة (متى ومرقس ولوقا)، فحص المسيح امام السهديم في جلسة
 الظلام، والشهود الزور، والاقرار العظيم (متى ومرقس). الاستهزاء به كني،
 جلسة السهديم الصباحية (متى ومرقس ولوقا). الاستهزاء به بعد المحاكمة
 (متى ومرقس)، تسخير سمعان ليحمل الصليب، هزء الناظرين، تعبيرات
 اللصين (متى ومرقس ولوقا)، صراخه قائلاً: «الهي الهي لماذا تركتني»،
 انشقاق حجاب الهيكل (متى ومرقس)، اعتراف قائد المئة (متى ومرقس ولوقا)
 وهناك تفاصيل اخرى، انفرد بذكرها واحد من البشيرين، فاغفلها
 يوحنا قصداً. فمنها: رسالة زوجة بيلاطس، غسل بيلاطس يديه، قضاء اليهود
 على انفسهم (متى). وهروب الشاب الذي تخلى عن إزاره، سؤال بيلاطس
 الخاص بموت المسيح (مرقس). وفحص المسيح امام هيرودس، عويل بنات
 اورشليم، ثلاث من كلمات الصليب، توبة احد اللصين (لوقا)
 ومن الامور التي امتازت بها آلام المسيح في هذه البشارة: (١) انها آلام
 اختيارية (١٨: ٤ و ٨ و ١١ و ٣٦ و ١٩: ٢٨-٣٠). (٢) انها جاءت متممة
 لتدبير أزلي (١٨: ٤ و ٩ و ١١ و ٢٤ و ٢٨). (٣) انها آلام تشف عن المجد الذي
 يشع منها (١٨: ٦ و ٢٠ و ٣٧ و ١٩: ١١ و ٢٦ و ٣٧)

- ومع اننا لا نعلم بالضبط ، الاوقات التي تمت فيها حوادث الآلام ، الا انه في امكاننا ان نعين لها وقتاً تقريبياً ، استناداً الى ما كتبه سائر البشيرين ، والى ما جاء في التلمود اليهودي ، وكتابات الثقات المسيحيين
- الساعة ١ صباحاً ... مجاهدة المسيح في جثسماني ، والقاء القبض عليه ، (بعد منتصف الليل) والذهاب به الى دار رئيس الكهنة
- الساعة ٢ صباحاً ... المحاكمة الابتدائية امام حنّان
- » ٣ » ... فحص المسيح امام قيافا والسندريم في التثام فوق العادة
- » ٥ » ... الحكم الرسمي الذي اصدره السندريم في مكان التثام الرسمي (لو ٢٢: ٢٦ ومتى ١: ٢٧)
- » ٥ ١/٢ » ... فحص المسيح امام بيلاطس ، وجلده ، واستهزاء الجند به لأول مرة
- » ٦ » ... فحص المسيح امام هيرودس
- » ٦ ١/٢ » ... حكم بيلاطس عليه (يو ١٩: ١٤)
- » ٧ » ... استهزاء الجند به للمرة الثانية
- » ٩ » ... بدء الصلب ورفض المسيح ان يشرب من الخل المزوج بمرارة الذي قدم له كمخدّر (مر ١٥: ٢٥)
- » ١٢ ظهرأ ... وصيته الاخيرة بشأن امه
- » ١٢ — ٣ مساء ... الظلام (مت ٢٧: ٤٥ ومر ١٥: ٣٣ ولو ٢٣: ٤٤)
- » ٣ » ... نهاية الصلب

١ قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه الى عبر وادي قدرون

ينقسم هذا الاصحاح والاصحاحات التي تليه الى ستة اقسام رئيسية :
 اولاً : الاسبير المنطوع (١:١٨ - ١١) . ثانياً : المماكن الدينية (١٨ :
 ١٣ - ٢٧) . ثالثاً : المماكن السيامية (١٨ : ٢٨ - ١٩ : ١٦ (أ)) . رابعاً : الصلب
 (١٩ : ١٦ (ب) - ٤٢) . خامساً : القيامة (١: ٢٠ - ٣١) . سادساً : تمت البشارة
 (١: ٢١ - ٢٥)

اولاً : الاسبير المنطوع (١: ١٨ - ١١)

عدد ١ - ٣ . فرقناه متناقضاته ، تنقيحاه في البستانه : من المكان
 الذي التقى فيه المسيح الجزء الثاني من خطابه الوداعي ، وشفعه بصلاته الشفاعية
 خرج ومعه تلاميذه الى عبر وادي قدرون (*) ، الواقع عند منحدر وادي
 يهوشافاط - بين جبل الهيكل وجبل الزيتون

يمتد وادي قدرون مبتدئاً من نقطة تبعد نحو ميلين شمالي اورشليم ،
 ويسير الى الجنوب عشرين ميلاً ، ثم ينتهي بالبحر الميت . وهو على
 الغالب جاف مدة تسعة شهور في السنة ، وفي الثلاثة الأشهر الباقية ، يكون
 منهلاً صغيراً عليه جسر صغير يؤدي الى بستان على الضفة اليمنى ، حافل
 بأشجار زيتون عتيقة . هذا هو بستان جثسياني الذي تعود المسيح ان « يجتمع
 فيه مع تلاميذه » بما فيهم يهوذا . قديماً قصد هذه البقعة عينها ، أبٌ هارب من

(*) كلمة قدرون ارامية ، معناها الأسود . وربما سمي كذلك نسبة الى ظلال الاشجار
 الكثيفة التي تكتنفه

حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه . ٢ وكان يهوذا مسلّمه يعرف
الموضع . لان يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه . ٣ فأخذ يهوذا

وجه ابنه المتمرد ، وصديقه الخائن (٢ صم ١٥: ٢٣) . والآن قصدها «الأبن
الوحيد» الذي سرّ به الآب ، وخانه أحد أصدقائه

ان يوحنا هو البشير الوحيد، الذي اعلنا ان في هذا المكان «بستاناً» .
قديمًا، خذل آدم الاول في بستان، فصار خذلانه وبالاً وعاراً عليه وعلى ابنائه .
وفي بستان ايضاً ، انتصر آدم الثاني ، فاضحت نصرته مجداً وفخاراً له ولأتباعه
فمحت حسنات جثسيما في سيئات عدن ا

يُستفاد من قول البشير : «وكان يهوذا مسلّمه يعرف الموضع» ، ان علم
يهوذا بهذا المكان ، كان من الاسباب التي حدثت بالمسيح ان يختار هذا
المكان في هذا الطرف الخاص . لانه بعد ان اكل الفصح المشهي مع
تلاميذه ، وشجعهم بكلماته المعزية ، وسندهم بشفاعته المقتدرة ، لم يجد بُدّاً من
ان يمهّد الطريق امام مسلّميه . لان «الساعة» دقت ليرقع على الصليب

في تلك الليلة للعودة ، وقر الفصح بسطع بجماله وكاله ، صار هذا البستان
التاريخي ، ملقى فرقتين على طرفي تقيض — امر اللهما : جماعة خرجت من
نور الى نور، وعلى رأسها القادي الامين . والثانية : عصاة خرجت من ظلام الى
ظلام بزعمامة يهوذا الغادر الخوون . كانت عصبة الظلام حاملة «مشاعل ومصابيح
وسلاحاً» — كما في حرب رسمية ، حامية الوطيس . ولعلمهم حملوا المشاعل
والمصابيح مخافة ان يكون المسيح مختبئاً تحت ظلال احدي اشجار الزيتون

الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح. ٤ فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي

الكثيفة. وتسليحوا بالسلاح مخافة ان تبدو من الفادي، او من احد تلاميذه، آية مقاومة. اما فرقة النور، فلم تحمل معها مشاعل أو مصابيح، لان «نور العالم» كان يتقدمها. ولم تتسلح الا «بالحق» الذي معها. كانت عصاة الظلام مؤلفة من جند الحامية الرومانية التي كانت محتلة قلعة انطونيا، في زاوية الهيكل الشمالية الغربية، وعلى رأسها قائدها (عدد ١٢)، ومن «خدام» السنهدريم الذين أخذهم يهوذا «من عند رؤساء الكهنة والفريسيين». ومن فرط عداوة رؤساء الكهنة والفريسيين ليسوع، نسوا احقادهم القديمة امام هذا «الخصم» المشترك، وتبرع رؤساء الكهنة بخدامهم الخصوصيين (عدد ١٠ و ١٢)، لتنفيذ فكرتهم الاثيمة. أما فرقة النور، فلم يكن فيها سوى الصيادين المساكين، وعلى رأسهم «حمل الله الوديع». ففي هذا البستان التاريخي، التقت المحبة المتجسدة، بالعداوة مجسمة. وتقابل «الحق» مجرداً، بالباطل مساعجاً. فانكسرت العداوة امام المحبة، وصُرع الباطل امام «الحق»

عدد ٤ - ٩ (٢). الجند الساقطون عند قدمي الرب المنطوع -

عدد ٤ (١). السؤال الهادي: «فخرج يسوع وهو عالم... وقال لهم من تطلبون؟» يذكرنا هذا القول بفتحة الاصحاح الثالث عشر: «وهو عالم ان ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم الى الآب... قام عن العشاء». انتا مدينون ليوحنا البشير، بوصف المهابة السماوية التي كانت تحف بالمسيح، في

عليه وقال لهم من تطلبون . ه أجابوه يسوع الناصري .

موقعه هذا . ولا شك في ان المسيح الذي جاهد في جثسياني وغلب ، قد حمل معه نتائج هذه الغلبة ، فخرج من صفوف التلاميذ ، وانبرى لعصاة الظلام بثقة الظافر المنتصر « وقال لهم من تطلبون » ؟ الآن جاء وقت « قبلة » يهوذا التي حدثنا عنها سائر البشرين . والظاهر ان يهوذا قبل سيده حالما التقى به — ولكن في انزعاج وارتباك ، وفي ضوء أنوار المشاعل الخادعة ، فلم يلحظه فيها أغلب الذين كانوا معه ، ثم تراجع مندجماً في العصاة التي كانت معه . عندئذ ، سألم المسيح قائلاً : « من تطلبون » ؟

ان فادينا الشجاع ، لم يرغب في ان يبقى منتظراً حتى يمسك من اعدائه وربما سأل هذا السؤال ، لينع اي اعتداء كان يمكن ان يوجه من الجنود الى تلاميذه . ولعله قصد ان يجعل من سؤاله هذا ، آخر سهم يصوبه نحو قلب يهوذا وعصابته : « من تطلبون » ؟ — هذا عين السؤال الذي وجهه للمسيح الى تلميذه الاولين — وكان يوحنا البشير احدهما (١: ٣٨) ، فكان سؤاله لهما ، سبباً في اتباعهما اياه ، وكان نفس هذا السؤال مهداً لاعدائه سبيل القبض عليه . وكذلك النار ، تذيب الشمع ، وتقسي الطين !

عدد ٥ . (ب) . الجواب الجريء : « أجابوه يسوع الناصري » . لو كان في قلوب أولئك الناس أثر من الانسانية التي تعرف الحياء ، أوبقية من النور الالهي الذي يرجع الانسان عن غوايقه ، لتراجعوا عن قصدهم . لكنهم قوم عميان — يفكرون بعقول غيرهم ، ويعيشون بقلوب رؤسائهم ، لا بقلوبهم هم .

قال لهم يسوع انا هو. وكان يهوذا مسلمه ايضاً واقفاً معهم
٦ فلما قال لهم اني انا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا

فأجابوه: «يسوع الناصري»! هذا جواب ينم عن شيء من التفجير
والازدراء. وقد غاب عنهم ان الذي يكلمهم، هو الذي كانوا يطلبون.
وباليتهم طلبوه ليتعلموا منه فكانوا إذاً به يخلصون!

(ج) الرد القاطع: «قال لهم يسوع أنا هو». هذا جواب مرهف
كالسيف، شديد كالصاعقة، خاطف كالبرق. مرهب بجلده، مفتحم بصراحته.
ولكم من المرات نطق المسيح بهذه العبارة مشجعاً تلاميذه - ويهوذا بينهم -
في اوقات عصية (٢٠: ٦ و ٢٤: ٨ و ٢٨ و ٥٨ و ١٣: ١٩). ولكنه في هذه
المرّة قال نفس هذه العبارة، لرجال الظلام - ويهوذا بينهم: «وكان يهوذا
مسلمه ايضاً واقفاً معهم» - مذهولاً من هول هذا الجواب، الذي وقع عليه
وقع الصاعقة. قال المسيح «انا هو»، لكي يميزوه من تلاميذه. فكان في قوله
هذا مقداماً، سخياً بحياته، ضئيلاً بحياته تلاميذه من ان تذهب ضياعاً

عدد ٦ (د) تأثير هذا الرد القاطع: «فلما قال لهم اني انا هو رجعوا الى
الوراء وسقطوا على الارض». ان المجد الالهي الممتاز الذي احاط بالمسيح،
وشعت انواره منه على جبل التجلي، كان يحفّ به في هذا الظرف أيضاً،
فملاً قلوب هذه المصابة فزعاً ورعباً. ومن تأثير هذا المجد عينه، سقط على
الارض شاول الطرسوسي، وكل من كانوا معه (اعمال ٢٦: ١٤)

يقول اغسطينوس: «إذا كان هذا مقدار تأثير الاشرار من رؤيتهم وجهه

على الارض . ٧ فسألهم ايضاً من تطلبون . فقالوا يسوع الناصري .
٨ أجاب يسوع قد قلت لكم اني انا هو . فان كنتم تطلبونني فدعوا

المسيح ، وسمعون صوته ، وهو يقدم نفسه بين ايديهم أسيراً ، فكم يكون مبلغ
تأثرهم من رؤيتهم وجهه الواضح ، وسمعون صوته الرهيب ، حين يجلس على
عرش الدينونة والقضاء ! ؟ »

عدد ٧ . (هـ) السؤال المكرر : « فسألهم ايضاً من تطلبون » ؟ لو لم يكن
المسيح متقدماً الى الصليب طائعاً مختاراً ، لكانت هذه أنسب فرصة يهرب فيها .
وهل مثله يهرب ، وهو الذي قال : « لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن
أخذها ايضاً » (١٨: ١٠) ؟ يُستنتج من سياق الكلام هنا كما ورد في
الاصل — انه بعد ان سقط طالبو المسيح على وجوههم الى الارض ، تقدم
المسيح ، واقامهم ، وأعاد عليهم نفس السؤال ، ولكن بنغمة اقوى . فكان
كلامه لهم على مثال قوله ليهوذا : « يا صاحب لماذا جئت » (متى ٢٦: ٥٠) ؟

(و) الجواب المكرر : « أجابوه يسوع الناصري » ! مع ان المجد الذي كان
يحفّ بالمسيح ، اقنعهم بانه هو مسيح الله ، إلا انهم لم يتزحزحوا عن اللقب
الوضيع الذي تلقنوه من رؤسائهم ، ولم يتحولوا عن قصدهم ، فقالوا : « يسوع
الناصرى » . ولعلمهم اجابوا هذا الجواب ، تهيئاً ، بعد أن أخذوا بجلاله

عدد ٨ و ٩ . (ز) المخلص المفترى : « أجاب يسوع ، قد قلت لكم اني انا
هو فان كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون » . الى الآن لم يكن التلاميذ
مستعدين للموت — لامع قاديهم ولا من أجله ، ولكن بعضاً منهم صاروا

هو لاء يذهبون . ٩ ليتم القول الذي قاله ان الذين اعطيتني لم اهلك
منهم احداً . ١٠ ثم ان سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب
عبد رئيس الكهنة فقطع اذنه اليمنى

اهلاً لهذا الشرف فيما بعد . ولو قدّر لهم ان يموتوا في هذا الوقت ، لنهبتهم
دمائهم هباء . لان لا قيمة لذيبتهم ، إلا بعد ذبيحتنا الأعظم . وما دام دم
المسيح وحده كافياً للتكفير عن خطايا البشر ، فلم يكن ما يدعو الى اضافة دماء
التلاميذ عليه ، ليكون مجد الفداء له هو وحده . ألا ان كفارته عنا ، كافية شافية
رأى يوحنا ان هذه الكلمات ، التي نطق بها المسيح ، متممة لقوله في
صلاته الشفاعية : « ان الذين اعطيتني لم يهلك منهم احد » (١٧: ١٢) . ويمكننا
ان نرى فيها ايضاً مثالاً لما عمله المسيح في كفارته العظمى . حين ذاق كأس
للوت ليرويننا نحن بكأس الحياة . وقدم ذاته للأسر ، ليحررنا نحن

عدد ١٠ . (ح) المرافع المقصود : « ثم ان سمعان بطرس كان معه
سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع اذنه اليمنى . وكان اسم العبد
ملكحس » . علمنا من لوقا ٢٢: ٣٨ ، ان الرسل حملوا معهم سيفين قبل ذهابهم
مع سيدهم الى جبل الزيتون ، وهنا يقول يوحنا : « ان سمعان بطرس كان
معه سيف فاستله » . هذا دليل غير مقصود على صدق رواية البشيرين .
وعلى ان رواية احدى مكملة لرواية الآخر ، ومفسرة لها ومؤيدة . فقد اتفقت
كلمة يوحنا ولوقا على ان سيف بطرس اصاب العبد في « اذنه اليمنى » (لوقا ٢٢:
٥٠ و يو ١٨: ١٠) ، غير ان يوحنا ، لكونه معروفاً عند رئيس الكهنة اكثر من

وكان اسم العبد ملخس . ١١ فقال يسوع لبطرس اجعل سيفك

رفاقه، قد أعلمنا باسم عبد رئيس الكهنة : «ملخس»^(*). كما ان لوقا، لكونه طبيباً، اهتم بذكر معجزة الشفاء التي اجراها المسيح في أذن هذا العبد

كان بطرس في عمله هذا، مدافعاً عن سيده دفاعاً يمتنع عن حبه الخالص له . ولعله قصد بدفاعه هذا، ان يؤيد وعده بان يموت من أجل سيده (١٣ :

٣٧) . فكان بطرس في كلا دفاعه ووعدته مقتحماً جباناً . وربما لاجل هذا

السبب، ذكره يوحنا هنا باسمه القديم: «سمعان»، لا باسمه الجديد: «بطرس»

لماذا يا بطرس أشهرت سيفك على عبد رئيس الكهنة، ولم تبقه لرئيس

الكهنة نفسه؟ أليس هذا جباناً منك؟ ولما أشهرت سيفك على عبد رئيس

الكهنة، لماذا نبا بك فأصاب الأذن اليمنى، بدلاً من أن يصيب الرأس؟

أليست هذه ضربة طائشة؟ أوليس هذا كله نتيجة نومك العميق أثناء جهاد

سيدك في جثسياني، فصدرت عنك ضربتك وانت بين نائم ومستيقظ؟

عدد ١١ . (ط) الصبور المسلم : «فقال يسوع لبطرس اجعل سيفك في

العمد، الكأس التي اعطاني الآب ألا أشربها؟ يتألف هذا العدد من

سُطُريته: الشطر الاول، أظهر فيه المسيح عدم رضاه عن دفاع بطرس: «اجعل

سيفك في العمد» . لان بطرس بدفاعه عن سيده على هذه الصورة، كاد

ينزع من فم المسيح حجته التي فاه بها امام بيلاطس : «مملكتي ليست من

هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يحاهدون» (١٨: ٣٦)

(*) ربما كان هذا الرجل المسمى «ملخس»، ناقل الثلاثين من النضة — أجرة

الاسخريوطي، وانه قد ناوله هذه الاجرة على حدة لما تم التسليم، وان بطرس لاحظ ذلك

في الغمد. الكأس التي اعطاني الآب ألا اشربها

ان عدم رضى المسيح عن دفاع بطرس الغشوم ، يماثله عدم رضاه عن وعده المقام (٣٨:١٣) . فكلاهما صدر عن بطرس في وقت كانت فيه العوامل الجسدانية متسلطة عليه . والشرط الثاني ، عبّر به المسيح عن رضاه التام بإرادة الآب : «الكأس التي أعطاني الآب ألا اشربها» . ترمز «الكأس» الى النصيب الذي عينه الله لكل واحد . وهي في هذه القرينة ترمز الى ارادة الآب من جهة المسيح . وقد يعبر : «الكأس» عن السرور (مز ٢٣: ٥) ، او عن الألم (متى ٢٦: ٣٨) . ان قول المسيح هذا يذكرنا بصلاته في جثسياني (متى ٢٦: ٣٩ و ٤٢) . فيوحنا ذكر جثسياني تلميحاً ، ولولم يذكرها تصريحاً (انظر ايضاً يو ١٢: ٢٧ و ٢٨)

جميل ان للمسيح قال انه أُعطي هذا الكأس «من الآب» لا من يهوذا ، ولا من رؤساء الكهنة ، ولا من الرومان . فلا شيء يحزّ في قلوبنا حزّ السكين ، نظير الاعتقاد بان الناس يستطيعون ان يؤذونا . ولا شيء يملأ القلب عزاءً ونعيماً ، مثل الاعتقاد بان يد الله وراء كل يد ، وفوق كل يد . هذا هو الحق الاعلى ، الذي خربه المسيح للكنيسة في وقت الألم والاضطهاد ، بل هذا ما يصفه يوحنا في رؤياه بـ «صبر القديسين» . فالمحبة المجاهدة عظيمة حقاً . لكن المحبة المحترمة أقوى وأعظم . كان الصليبيون القدماء شجعاناً . ولكن صليبي القرن العشرين ، الذين ينكرون ذواتهم ويضحون بالمال والولد والنفس لأجل المسيح ، هم أرفع شأنًا ، وأوفر شجاعة ، وأحق منهم بتاج الخلود

١٢ ثم ان الجند والقائد وخدام اليهود

ثانياً : المحاكمة الدينية : (١٨:١٢ - ٢٧)

قال المسيح ليهوذا : «ما أنت تعمله فاعمله باكثر سرعة» - وفعلًا تم يهوذا عمله بسرعة وافرة. وبسرعة اوفر منها ، أُجريت محاكمة المسيح الدينية، ومحاكمته السياسية. فحكم المسيح دينياً ثموت مرات . المرة الاولى : امام حنان وفي بيته - وغالباً هو نفس البيت الذي أقام فيه قيافا . والمرة الثانية : حوكم فيها امام مجمع السنهدريم برئاسة قيافا ، في جلسة غير اعتيادية انعقدت تحت جنح الظلام . والمرة الثالثة : امام السنهدريم نفسه في جلسة انعقدت نحو الساعة السادسة صباحاً ، في البهو الواقع جنوبي الهيكل ، أو في «بيت المدراش» . وقد أُوقف المسيح امام السلطات السياسية ، ثموت مرات أيضاً . المرة الاولى : امام بيلاطس ، والثانية : امام هيرودس ، والثالثة : امام بيلاطس ايضاً . ومن الغريب ان هذه المراحل الست ، تمت بغاية السرعة ، قبل ان تخرج الشمس من حجلتها ، لتملأ ارجاء هذا الكون بأشعة أنوارها الذهبية . ما أشبه رؤساء اليهود ، بحشرات الظلام ، التي تجدد وتسعى طوال الليل . ثم تختفي عند طلوع الشمس ، لأنها لا تقوى على مواجهة النور ! ولقد كان اليهود في سرعتهم هذه ، مدفوعين بعاملين : اهما داخلي : وهو ان قلوبهم الوحشية التي كانت متعطشة الى دماء القادي ، رغبت في أن ترتوي بدماء بغاية السرعة . والعامل الثاني خارجي : وهو انهم خافوا من أن يتأخروا الى الصباح ، فيستيقظ الشعب اليهودي ، ويشور في وجههم ، فيضيع عليهم قصدهم

قبضوا على يسوع واوثقوه . ١٣ ومضوا به الى حنان اولاً

١٢: ١٨ - ١٤ . المسيح امام مناه - المحاكمة الدينية الاولى

عدد ١٢ . (١) لقاء القبض على يسوع : بعد ان افهم المسيح اعداءه ، ان لا سلطان لم عليه ، تقدم متطوعاً مختاراً ، مسلماً نفسه الى أيديهم ، ليلقوا القبض عليه . فجاء عمله هذا متمماً لنبوة قديمة : « ظلم أماً هو فتذل ولم يفتح فاه . كناية تساق الى المذبح » (اش ٥٣: ٧) . وكما كانت تُوثق الذبيحة قبل للتقدم بها الى المذبح ، كذلك رضى المسيح لأعدائه بان يوثقوه ، متقدمين به الى الصليب . وقد شئت الاقدار ، ان يشترك اليوم واليهود في التقدم بالمسيح الى الصليب . فالوم كانوا ممثلين في « الجند والقائد » . وكان اليهود ممثلين في « خدام اليهود » . طي ان هؤلاء لم يزيدوا عن كونهم مسخرين من رؤسائهم . فنصيبهم في صلب المسيح ، كنصيب السكين التي يسفك بها الانسان دم أخيه الانسان . تقدم هؤلاء يسوع قاصدين بيت حنان ، فارتقوا المنحدر الذي يوصل بين وادي قدرون والمدينة اورشليم ، فدخلوا أبوابها ، واجتازوا شوارعها الضيقة المظلمة ، وأضواء قمر العيد تسطع فوق مقوفها . ما اشبهها بقلوب القريسيين التي كانت مرتعاً للظلام ، ونور « شمس البر » يشرق حولها !

عدد ١٣ . (٢) المسيح امام مناه . كان حنان هذا صديقاً ، وقد أتى به هيرودس الكبير الشرير ، من الاسكندرية ليقلده وظيفة رئاسة الكهنوت ، وها قد بلغ الآن السبعين من عمره . وهو أيضاً صاحب الحق في رئاسة الكهنوت ، مع انه كان متقاعداً عن عمله ، لان الوالي الروماني عزله منذ عشرين سنة ، بعد

لأنه كان حياً قيافاً الذي كان رئيساً للكهنة في تلك السنة . ١٤ وكان
قيافاً هو الذي أشار على اليهود

أن قلده هذا المنصب مدة سبع سنين . وكان اعتباره وتقوذه بين قومه أكثر
كثيراً من صهره قيافاً الذي « كان رئيساً للكهنة في تلك السنة » ، إذ قلده
الوالي هذا المنصب ، بعد أن عزل على التوالي أربعة من أبناء حنان حميه .
ولقد كان كل هذا داعياً إلى تعزيز نفوذ حنان الذي كان يمدّ هؤلاء الرؤساء
الصغار بمشورته . ما أشبهه بحجة قديمة تنفث سمومها في أفراخها . فيه يقول
التلمود : « ويل لبيت حنان ، ويل لأصواتهم التي هي كفحيح الحيات ، هم
رؤساء الكهنة ، ابناؤهم حفظة الخزانة ، وأصهارهم ولاية الهيكل وخدامهم
يضربون الشعب بالعصي »

قد اهتمَّ يوحنا البشير بأن يخبرنا « أن الجند والقائد وخدام اليهود مضوا
بالمسيح إلى حنان أولاً » ، قبل أن يذهبوا به إلى قيافاً الذي كان رئيساً للكهنة
في تلك السنة ، لأن حنان كان لا يزال رئيس الكهنة الحقيقي ، على رغم كون
صهره قيافاً رئيس كهنة بحكم القوة السياسية ، فكان ثانيهما يتقلد هذه الوظيفة
اسمياً وصورياً . لذلك كان من الضروري أن يفوز اليهود برأي حنان ، في
قضية المسيح ، قبل أن يعرضوها على قيافاً رئيس الكهنة الاسمي ، لأن كل
عمل يحكم فيه قيافاً ، من غير أن يأخذ فيه رأي حنان ، كان مصيره عدم التنفيذ
عدد ١٤ . (٣) عدم صلاحية قيافاً للمحكم في قضية المسيح : « وكان قيافاً
هو... » . من المسلم به شرعاً ، في كل القوانين الوضعية ، أن القاضي لا يصلح

انه خير ان يموت انسان واحد عن الشعب. ١٥ وكان سمعان بطرس والتلميذ الآخر يتبعان يسوع. وكان ذلك التلميذ معروفاً عند رئيس الكهنة فدخل مع يسوع الى دار رئيس الكهنة. ١٦ واما بطرس فكان واقفاً عند الباب خارجاً. فخرج التلميذ الآخر

للحكم في قضية ما، متى كان قد سبق فأبدى رأياً فيها: «وقيافاً هذا هو الذي أشار على اليهود انه خير ان يموت انسان واحد عن الشعب» (١١: ٤٩ و ٥٠) ١٨: ١٥ - ١٨. (١) بطرس بنكر سيده للمرة الاولى - حالاً تقلم الجند، والقائد، وخدام اليهود، وقبضوا على يسوع وأوثقوه، «تركه تلاميذه وهربوا» (مر ١٤: ٥٠). على رغم ما شاهدوه من جلال مجده في البستان، وما قطعوه على انفسهم من عهود ومواثيق بان يظلوا أمناء له حتى الموت (مرقس ١٤: ٢١). والظاهر انهم لاحظوا، بعد ان دافع عنهم سيدهم (١٨: ٨)، أن بقاءهم معه لا ينفعه، وقد يضرهم. ولكنه جبنٌ منهم على كل حال! أما يوحنا الحبيب، فقد رجع وانضم الى الجمهور الماشي من البستان الى دار رئيس الكهنة. ولانه كان معروفاً عند رئيس الكهنة، ومقبولاً في داره - ربما لمعاملات مادية بين رئيس الكهنة وبينه بحكم صناعته كصياد - دخل مع الداخلين الى دار رئيس الكهنة

«اما بطرس» الذي كان تابعاً موكب سيده «من بعيد» (متى ٢٦: ٥٨)، فقد وصل الى الدار، بعد ان كانت الجارية قد أغلقت الباب، فبقي «واقفاً عند الباب خارجاً»، «فخرج التلميذ الآخر» - الذي هو يوحنا غالباً،

الذي كان معروفاً عند رئيس الكهنة وكلم البوابة فأدخل بطرس .
 ١٧ فقالت الجارية البوابة لبطرس ألسـت أنت أيضاً من تلاميـذ هذا
 الانسان . قال ذاك لسـت انا . ١٨ وكان العبيد والخدام واقفين وهم

و يعتقد جودي ان هذا هو يعقوب اخو يوحنا — «الذي كان معروفاً عند
 رئيس الكهنة وكلم البوابة فأدخل بطرس» . ان وقوف بطرس عند الباب
 خارجاً ، برهةً من الزمن ، أعطى الجارية البوابة فرصة لتثبت نظرها فيه
 «فـقالت هذه الجارية لبطرس : ألسـت انت ايضاً» — أي مع يوحنا التلميـذ
 المعروف لديها — «من تلاميـذ هذا الانسان» ؟ مسـكينة تلك الجارية المستعبدة !
 فلعلها ظنت ان اسم يسوع أحقر من ان تـلفظ به ، فقالت عنه : « هذا
 الانسان » ! وربما كانت سليمة النية في سؤالها هذا ، ولم تقصد من وراءه ،
 سوى مجرد الاستقصاء ، الذي هو غريزة طبيعية في كل إنسان . ولو كان
 بطرس قد اجابها بالايجاب ، لما أصابه حيف أو ضرر ، فقد كان معروفاً عن
 يوحنا زميله ، انه تلميـذ المسيح ، ولم يوقع به احد أي أذى . لكن ما الحيلة
 وقد استرسل بطرس في تـخيـلاته ، فرأى نفسه واقعاً في الخطر ، من غير ان يكون
 هنالك خطر ، أو ليس من طبيعة الجبان ، انه متى رأى خيالاً ظنه رجلاً ؟
 امام هذه المخاوف ، تحطمت شجاعة بطرس ، فقال للجارية «لست انا» !

عدد ١٨ . هـيئة الاتصال بين المرة الاولى التي فيها نكر بطرس سيده ،
 وبين المرتين التاليتين : «وكان العبيد والخدام واقفين وهم قد اضرموا جمرأ ،
 لانه كان برد ، وكانوا يصطلون ، وكان بطرس واقفاً معهم يصطلي» . حدث

قد أضرموا جراً. لأنه كان برد. وكانوا يصطلون وكان بطرس واقفاً معهم يصطلي. ١٩ فسأل رئيس الكهنة يسوع

هذا، في منتصف شهر نيسان (مارس - إبريل)، والبرد يكون وقتئذٍ شديداً في اورشليم، لأن هواءها جبلي، فهي مبنية على لسانٍ من الأرض، تفصلها عن بقية البلاد أودية عميقة، تحيط بها من جميع الجهات - إلا جهة واحدة. وهي على ارتفاع ٢٥٠٠ قدم تقريباً، فوق سطح البحر

ذكر البشرون الاولون، المرات الثموت، التي فيها أنكر بطرس سيده تباعاً - المرة تلو الاخرى، بصرف النظر عن الوضع التاريخي لكل منها، ليظل الكلام في المحاكمة متصلاً. لكن يوحنا رتب كلاً من هذه المرات الثموت، في وضعها التاريخي، مع ذكر الملابس الخاصة التي احاطت بكلٍ. وهذا مما زاد بشارته جمالاً وجلالاً، سيما في عيني رينان، أحد الناقدين للملحدين عدد ١٩. (٤) رئيس الكهنة يستجوب المسيح عن تلاميذه وعن تعليمه:

« فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه ». في هذا العدد، واصل البشير كلامه الذي قطعه في عدد ١٥، بمناسبة ما كتبه عن انكار بطرس لسيده. فالكلام فيه، متصل بالكلام الذي مررنا به في عدد ١٤

يظن بعض المفسرين، أن «رئيس الكهنة» المقصود هنا، هو قيافا - اعتقاداً منهم أنه لا يجوز اطلاق لقب «رئيس الكهنة»، إلا على من يتقلد هذه الوظيفة بالفعل، مستنديين في ذلك الى ما جاء في عدد ٢٤. ونميل نحن الى الاعتقاد بأن «رئيس الكهنة» المقصود هنا، هو حنّان، لأنه كان لا يزال

عن تلاميذه وعن تعليمه . ٢٠ اجابه يسوع انا كلمت العالم علانية.

حاملًا هذا اللقب على رغم كونه متقاعدًا وقتئذ ، بدليل ما جاء عنه في اعمال ٦: ٤ ، حيث ذُكر اسم حنّان مشفوعًا بأقب «رئيس كهنة» ، بينما ذُكر اسم قيافا مجرداً عن هذا اللقب . وكذلك يقول يوسفوس في تاريخه ، عن يوناثان ابن حنّان: «رئيس الكهنة» . (انظر ايضاً لو ٣: ٢) . ومهما يكن من امر شخصية «رئيس الكهنة» هذا ، فهو على كل حال «رئيس كهنة» زائف ، شاءت الاقدار ان يقف امامه «رئيس كهنتنا الاعظم» — وهو موثق
أليس من نكد الدنيا ان نجد العبد حراً ، والحر مقيداً ؟ !

كان قصد حنّان باستجوابه المسيح ، ان يوقعه في ورطة كلامية ، تكون اساساً لاتهامه رسمياً امام السنهدريم ، وبذا يكون هذا «الحية القديمة» قد كافأ انتظارات اليهود فيه . لذلك ألقى سؤالاً ينمُّ عن اتهام ديني لیسوع المسيح بان له تلاميذ معروفين في ضوء النهار ، واتباعاً مستورين في الخفاء ، ومشاركين معه في الذنب . وان له تعاليم صالحة ينادي بها في وضوح النهار ، وتعاليم اخرى غير قوية يوسوس بها تحت جنح الظلام

عدد ٢٠ و ٢١ . (٥) جواب المسيح على سؤال رئيس الكهنة : « أجاب يسوع انا كلمت العالم علانية » . أنكر المسيح بشم و اباء ، ما عزاه اليه «رئيس الكهنة» الزائف ، وأعلن بكلمات واضحة كالنهار ، مرهفة كالسيف ، قوية كالنور : ان تعاليمه نور ، ولا يتسع لها المجال إلا في النور . واما الظلام ، فليُسأل عنه أهل الظلام ، وعلى رأسهم حنّان وصهره قيافا وأعضاء السنهدريم ،

انا علّمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً.
وفي الخفاء لم أتكم بشيء. ٢١ لماذا تسألني انا. اسأل الذين قد سمعوا
ماذا كلمتهم. هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت انا. ٢٢ ولما قال هذا لطم
يسوع واحد من الخدام كان واقفاً قائلاً اهكذا تجاوب رئيس الكهنة

الذين عقدوا مجلسهم تحت جنح الظلام، غير مكترئين لقانون ولا نظام: «انا
علّمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً. وفي الخفاء
لم أتكم بشيء» - الآن أصبح المستجوب مستجوباً، وأضحى القاضي متهماً
بعدم التبصر والروية، إذ سأل المسيح قائلاً: «لماذا تسألني انا. اسأل الذين
قد سمعوا ماذا كلمتهم، هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت انا». ولعلّ المسيح أراد
بقوله هذا، ان يبين لرئيس الكهنة، ان القوانين تقضي بان لا يقدم احد
للمحاكمة، إلا من قدّم في حقه اتهام. أما ان يتبرع هو لنفسه بالاتهام، فهذا
أمر لا يعرفه سوى قضاة الظلم والظلام!

عدد ٢٢. (٦) اعتداء اعداء الحرم على يسوع: «ولما قال هذا لطم
يسوع واحد من الخدام كان واقفاً». كان وقع جواب المسيح أليماً على رئيس
الكهنة، فظهرت عليه سياء الخجل والامتعاض. فقصده خادمه الدليل، ان
يترضى وجه سيده. وفي ساحة القضاء داس العدالة بقدميه القدرتين، وطم
بيده الدنسه وجه المسيح الوضيء. يا ليت هذه اليد قد شلت، قبل ان تمتد
الى وجه المسيح الذي هو ابرع جمالاً من بني البشر! ولكن ذلك البائس
التعيس، قد اراد ان يشتري رضى سيده بهذا الثمن. وما أغلاه من ثمن!

٢٣ اجابه يسوع ان كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردي وان
حسناً فلماذا تضربني . ٢٤ وكان حنان قد ارسله موثقاً الى قيافا

عدد ٢٣ . (٧) جواب المسيح على هذا الاعتداء : يذكرنا تصرف هذا
الخادم ، بتصرف خادم آخر ، اثناء محاكمة بولس الرسول (اعمال ٢٣: ٣). أما
هذا الخادم، فقد تطوع بهذه اللطمة . وأما ذاك ، فضرب بولس بأمر رئيس
الكهنة . ولكن بولس لم يستطع ان يكبح جماح نفسه ، وفي ثورة غضبه، تقوّه
بكلمات اضطر ان يقدم عنها اعتذاراً (اعمال ٢٣: ٥) . أما المسيح ، رب بولس
فلم يقل كلمة في غير محلها ، واذا وجد نفسه في ساحة العدالة ، ورأى العدل
مذبوحاً امام عينيه ، والحق مدوساً تحت أقدام البشر ، فاه بكلمة حق ،
مدافعاً بها عن «الحق» . ولا عجب . فهو «الحق» مجسماً : «أجاب يسوع ان
كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردي وان حسناً فلماذا تضربني» :
وجدير بالذكر ، ان تصرف المسيح في هذا الظرف ، لا ينافي قوله في متى
٣٩: ٥ ، فلم يكن عمله هذا سوى تفسير معنوي لما قال هنالك

عدد ٢٤ . من مناه الى قيافا — المحاكمة الربنية الثانية : «وكان حنان
قد ارسله موثقاً الى قيافا» . ذكر يوحنا هذه العبارة، دفعاً لتصور القارىء، ان
يسوع لم يحاكم دينياً إلا امام حنّان . فأشار الى المحاكمة الثانية التي سبق فكتب
عنها متى ومرقس بافاضة (متى ٢٦: ٥٩-٦٦ ومرقس ١٤: ٥٥-٦٤) . ان
الترجمة الصحيحة للعبارة الاولى من هذا العدد، هي : «وأرسله حنان موثقاً
الى قيافا» . (انظر هامش الترجمة العربية المعروفة بترجمة بيروت). والظاهر ان

رئيس الكهنة ٢٥ وسمعان بطرس كان واقفاً يصطلي . فقالوا له

المسيح ، اذ أوقف امام حنّان ، حلّوه من وثقه ، وبعد استجوابه ، أمر حنّان بأن يوثقوه ايضاً ، على اعتبار انه أصبح متهماً شرعاً ، وان يرسلوه الى قيافا عدد ٢٥ . (ب) بطرس ينكر سيده للمرة الثانية . من الكلام عن موقف المسيح امام « رئيس الكهنة » ، عاد يوحنا البشير فحدثنا عن سمعان بطرس . وكان البشير أراد ان يحدثنا في الفصول التي يتألف منها الاصحاح الثامن عشر ، عن يسوع وعن سمعان ، بالتبادل : في الفصل الاول المبتدئ* بالعدد الاول ، أخبرنا عن يسوع . وفي الفصل الثاني المبتدئ* بعدد ١٠ ، كتبنا عن سمعان بطرس . في الفصل الثالث المبتدئ* بعدد ١٢ ، عاد فحدثنا عن يسوع . وفي الفصل الرابع المبتدئ* بعدد ١٥ ، عاد الى سمعان . في الفصل الخامس المبتدئ* بعدد ١٩ ، استأنف الكلام عن يسوع . وفي الفصل السادس الذي نحن بصدده الآن ، عاد ايضاً الى الكلام عن سمعان بطرس

ان المرة الاولى التي فيها أنكر بطرس سيده ، وقعت في بيت حنّان ، وكذلك المرة الثانية والمرة الثالثة ، لأن عدد ٢٥ يرجع بنا الى ذات الموقف الذي تركناه في عدد ١٨ : « وكان بطرس واقفاً يصطلي » . والظاهر ان حنّان وقيافا كانا يسكنان داراً واحدة ، في محلين تفصل بينهما باحة فسيحة ، وان بطرس أنكر سيده في هذه الثموت المرات ، امام ذات الاشخاص ، وتقريباً في نفس المكان الواحد . ولكن في اوقات مختلفة ، ومناسبات متباينة

في المرة الاولى ، انكر بطرس سيده ، نتيجة سؤال الجارية اياه : « ألسنت

ألست أنت أيضاً من تلاميذه . فانكر ذلك وقال لست انا . ٢٦ قال

أنت أيضاً من تلاميذ هذا الانسان ؟ (عدد ١٧) . ثم خرج خارجاً الى الدهليز ليتعاشى الاستجواب مرة أخرى . لكنه في هذه المرة الثانية ، أنكر سيده نتيجة سؤال وجه اليه من الخدم . وفي الغالب علم هؤلاء الخدم بصلاة بطرس يسوع ، من جارية أخرى كانت واقفة على الباب الخارجي المؤدي الى الدهليز (متى) . ولعلها تلك التي قامت بدورها في حراسة الباب بدلاً من الجارية الأولى . على انه لم يكن هنالك ما يدعو إلى وقوع بطرس مرة ثانية في خطيئته الأولى ، لأن الذين سألوه هذا السؤال ، لم يقصدوا من وراءه ايقاع الأذى به ، ولكن بطرس كان مدفوعاً الى تكرار خطيئته الاولى بعاملين : اولهما — ان الوقوع في خطية لأول مرة ، يهد السبيل للوقوع فيها مرة ثانية ، فكأنما كل خطية يرتكبها الانسان ، تنحىء في قلبها مغناطيسية كبرى ، تجتذب بها الانسان اليها . والعامل الثاني : ان بطرس ورط نفسه بوجوده في زمرة الخدم ، الذين كانوا جاعلين المسيح البري ، موضوع تسليةهم ومزاحهم ، وهم حول النار يستدفئون . وفي الغالب جداً ، جاراهم بطرس في محادثاتهم هذه ، ولم يبدِ استنكاراً ولا احتجاجاً . من أجل ذلك كان من الصعب عليه ، ان يعلن فيما بعد ، انه من تلاميذ «ذاك» الذي جعله الخدم موضوع مزاحهم

عدد ٢٦ و ٢٧ . (ج) بطرس ينكر سيده للمرة الثالثة : انكر بطرس

سيده في المرتين السابقتين ، من غير ان يكون مهدداً بشيء ما . ولكن موقفه في هذه المرة الثالثة كان حرجاً جداً ، لان لغته التي بها انكر سيده في المرة الثانية ،

واحد من عبيد رئيس الكهنة وهو نسيب الذي قطع بطرس
أذنه اما رأيتك انا معه في البستان . ٢٧ فانكر بطرس ايضاً .

أظهرته انه جليلي — فالجليلي يتميز عن سواه من سكان فلسطين ، بلفظه
حرف «الشين» كأنه «ثاء» او «سين» وهذا دفع «واحداً من عبيد رئيس
الكهنة وهو نسيب الذي قطع بطرس أذنه» الى ان يواجه بطرس بهذا السؤال:
«اما رأيتك انا معه في البستان»؟ الآن رأى بطرس نفسه محاطاً بمخاطر عدة،
وأدرك انه لا محالة واقع تحت المحاكمة نتيجة تعديه على العبد ، فاستسلم لقياد
المجرب العظيم . ولكي يقدم برهاناً عملياً ، على ان مشربه لا يتفق ومشرب
ذلك المعلم الجليلي ، اندفع — وعادته دائماً الاندفاع — وتمادى في الحلف
واللعن ، مؤكداً انه «لا يعرف ذاك» . «والوقت صاح الديك» !

ان انكار بطرس لسيدته في المرتين الثانية والثالثة ، حدث أثناء محاكمة
المسيح أمام حنان . ومن الغريب انه حالما انتهت هذه المحاكمة ، كان بطرس
قد انتهى ايضاً من انكار سيده مثنى ومثوث . وفي خروج المسيح من مسكن
حنان الى مسكن قيافا، كان الديك قد صاح . فخانت من المسيح التفاتة^(١) الى

(١) اراجع ان بيت رئيس الكهنة كان مبنياً ، كأكثر البيوت في الشرق ، حول
دار مربعة الشكل ، غير مسقوفة ، متصلة بدهليز يدخلون اليه من بوابة كبرى على الشارع .
وفي هذه الدار اضرم العيد والخدام النار . وفي الغالب وقف يسوع امام «عظيم الكهنة»
في حجرة بجانبها ، فكان يسمع كل ما قيل حول النار ، وكان بطرس في الدار يشاهد كل
ما جرى للمسيح . وفي خروج المسيح من حجرة حنان الى حجرة قيافا ، اجتاز الدار التي
كان بطرس فيها ، فالتفت اليه . فخرج بطرس الى خارج وبكى بكاء مرّاً

وللوقت صاح الديك . ٢٨ ثم

بطرس «فتذكر كلام الرب يسوع كيف قال له انتك قبل ان يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات . فلما تفكر به خرج الى خارج وبكى بكاء مرأ»

ثالثاً : المحاكمة السياسية : (١٨: ٢٨ — ١٩: ١٦) (١)

انتهت الادوار الثموية، التي تألفت منها محاكمة يسوع الدينية. بقي الدور الاول، حوكم أمام حنان «رئيس الكهنة» الحقيقي المحترم من الشعب . وفي الدور الثاني حوكم امام مجلس السنهدريم — مجلس السبعين — برئاسة قيافا «رئيس الكهنة» الرسمي في تلك السنة، في جلسة انعقدت خصيصاً تحت جناح الظلام . وفي هذا الالتئام، حكم على المسيح بالاعدام . وفي الدور الثالث حوكم امام مجلس السنهدريم برئاسة قيافا ايضاً، في جلسة انعقدت عند الساعة السادسة صباحاً، وفيها ايدوا ما قرروه في الجلسة السابقة. على ان اليهود لم يستطيعوا ان ينفذوا في المسيح حكم الاعدام، لانهم كانوا وقتئذٍ مستعبدين للدولة الرومانية، التي سلبت منهم هذا الحق (عد ٣٨)، مع انها اؤهمتهم انهم مستقلون استقلالاً ذاتياً. اذ صرحت لهم بان يحاكموا مذنبهم الدينيين، وان ينفذوا فيهم ما يصدر عن عليهم من احكام — الا حكم الموت، فكان عليهم ان يرجعوا في تنفيذ هذا الحكم الاخير الى رأي الدولة الرومانية. ويقول التلمود: «قبل خراب الهيكل باربعين عاماً، انتزع من اسرائيل حق الحكم بالاعدام»

ولئن أُتيح لليهود مرة، ان يحكموا على استفانوس بالاعدام، وأن ينفذوا فيه هذا الحكم رجماً بالاحجار، اثناء غياب الحاكم الروماني عن اورشليم

جاءوا ييسوع

وقتئذ ، الا اهتم لم يستطيعوا ان يوقعوا هذه العقوبة على المسيح — لسبب :
أولهما — سبب ارضي ، ثانوي . وهو : ان الحاكم الروماني — « بيلاطس » ،
كان موجوداً في اورشليم آنئذ : لمراقبة اليهود اثناء عيد الفصح . والسبب
الثاني — سبب سماوي رئيسي ، وهو : ان الله كان قد قضى منذ القديم ، بان يموت
المسيح مصلوباً ، لتحقيق عليه اللعنة التي بها يرفع عن العالم لعنة الخطية . فكان
من الضروري اذاً ، ان يتدخل الرومان في الأمر ، ليموت المسيح مصلوباً —
حسب احكام الرومان ، لا رجماً بالاحجار — حسب عوائد اليهود (عدد ٢٢)

وكان بيلاطس ممثل الدولة الرومانية في اورشليم وقتئذ . وهو للأسف
مجموعة من الاخلاق المتناقضة . فيه اجتمع الجبن بالعنفوان ، والغباء بالحكمة ،
والعدل بالظلم والعدوان ، فكان حاكماً محكوماً ، بريئاً مذنباً . ولقد أفاض يوحنا
البشير في وصف محاكمة المسيح امام بيلاطس ، اكرم من سائر البشرين . ومن
المحقق انه كان شاهد عيان . لان الذي دخل دار رئيس الكهنة مخاطرأ بحياته ،
لم يتردد عن ان يرافق المسيح الى دار الولاية ، والى الجلجثة (١٩: ٢٦)

تقع هذه المحاكمة ، كما وصفها البشير ، في سبع مراحل :

- المرحلة الاولى — خارج دار الولاية (١٨: ٢٨ — ٣٢) . المرحلة الثانية —
- داخل دار الولاية (١٨: ٣٣ — ٣٨ (أ)) . المرحلة الثالثة — خارج دار
- الولاية (١٨: ٣٨ (ب) — ٤٠) . المرحلة الرابعة — داخل دار الولاية (١٩:
- ١ — ٣) . المرحلة الخامسة — خارج دار الولاية (١٩: ٤ — ٨) . المرحلة

من عند قيافا الى دار الولاية .

السارسة - داخل دار الولاية (١٩: ٩-١١) . المرحلة السابعة - خارج دار الولاية (١٩: ١٢-١٦)

فما أمر ذلك السبيل، الذي سلكه المسيح القادي - من خارج دار الولاية - الى داخلها، ومن داخلها الى خارجها. فكأن خالق هذه الكرة الأرضية، صار كالكرة بين أيدي البشر، يتقاذفونها هنا وهناك ! كل هذا لأجلنا، وحباً بنا . هذه خطوات ممرمة للصليب، بل هي عموده الصليب

المرحلة الاولى في المحاكمة السياسية - خارج دار الولاية - اليهود يطلبون تنفيذ حكمهم على المسيح من غير ان يوجهوا اليه تهمة معينة

عدد ٢٨ . (١) . زمانه ومكانه المحاكمة - انتهى اليهود من محاكمة المسيح . عند الساعة السادسة صباحاً، «فقام كل جمهورهم» - مبكرين - «وجاءوا يسوع من عند قيافا الى دار الولاية» ، التي كان يقيم فيها بيلاطس ، ليتفرغوا فيما بعد لأكل الفصح ، الذي صار مواعده على الابواب . وكانهم وطنوا نفوسهم ، على ان يترنحوا اولاً بكأس دم حمل الله الوديع ، قبل ان يشربوا كأس الفصح ! أمّا الدار التي أقام فيها بيلاطس ، فقد كانت قصرًا ملكيًا بناه هيرودس الأكبر - الذي كان له ولع خاص بالبناء - على تل واقع جنوبي غربي جبل للريا الذي أقيم عليه الهيكل ، ليضارعه في فخامة البناء وجلال للنظر

(٢) الترميم الزائف : كانت هذه الدار مؤلفة من بناء فخم ، يتصل به جناحان عظيمان . وامام هذا البناء المتوسط ، يمتد بهو غير مستوف ، أقيمت

وكان صبح ولم يدخلوا هم الى دار الولاية لكي لا يتنجسوا فياً كلون
الفصح . ٢٩ نخرج بيلاطس اليهم وقال أية شكاية تقدمون على هذا
الانسان . ٣٠ اجابوا وقالوا له لو لم يكن فاعل شر لما كنا

فيه منحة للقضاء ، فصعد عليها بيلاطس ، واعوانه ، ويسوع . وحضر ايضاً
المشتكون عليه بزعمه قيافا . ولقد تم هذا الدور الاول من المحاكمة في هذا
القضاء ، لأن اليهود امتنعوا عن ان «يدخلوا الى دار الولاية لكي لا يتنجسوا
فياً كلون الفصح» . يا لشقاوة هؤلاء القوم ! فقد قبلوا عن طيب خاطر ،
ان يلطخوا ايديهم بدم المسيح البار ، لكنهم امتنعوا عن ان يدخلوا تحت
سقف بيت روماني ، مخافة ان يكون فيه شيء من الخير ، فيتنجسوا ، ويحرم
عليهم أكل الفصح . هذا كل ما وصل اليه تدينهم : «قبور مبيضة من
الخارج ، وهي من داخل مملوءة عظام اموات وكل نجاسة»

عدد ٢٩ . (٣) المتهم الجبان : اما بيلاطس الجبان ، فقد انصاع لارادتهم ،
وخرج اليهم ، وقال «أية شكاية تقدمون على هذا الانسان» . لم يرغب
بيلاطس في ان يسلم لهم بالموقف المزري الذي ارادوه له ، يجعلهم اياه مجرد قوة
منفذة لأحكامهم فافهمهم ، انه هو صاحب الحق ، في التحقيق والقضاء

عدد ٣٠ . (٤) كبرياء متميزة برهارة : «أجابوا وقالوا له : لو لم يكن
فاعل شر لما كنا قد سلمناه اليك» . هذا جواب صادر عن قلوب مشحونة
ظلماً ورياء ، ودهاء وكبرياء . كأنهم ارادوا ان يحملوا بيلاطس على ان يضع
«بصمته» على حكمهم . ولعلهم عزموا على ان لا يتكلموا امام بيلاطس الحاكم

قد سلمناه اليك . ٣١ فقال لهم ييلاطس خذوه انتم واحكموا عليه حسب ناموسكم . فقال له اليهود لا يجوز لنا ان نقتل احداً . ٣٢ ليم قول يسوع الذي قاله مشيراً الى اية ميتة كان مزماً ان يموت

السياسي ، بامور دينية خاصة بهم . وقد فاتهم ان الحكم الروماني كان مطبوعاً بطابع خاص — العملة فروع كل شيء

عدد ٣١ . (٥) دهاء بفره دهاء . ان ييلاطس العنيد ، المتكبر ، الخبيث ، لم تفته حياة اليهود ، فأجابهم على حيلتهم . بحيلة أدهى منها ، ولطم كبرياءهم بلطمة أشد منها واقوى ، فأصابتهم هذه اللطمة الشديدة في صميم عزتهم القومية ، حين قال لهم : « خذوه انتم واحكموا عليه حسب ناموسكم » . ولعل ييلاطس قصد في الوقت نفسه ان يوجد لنفسه منفذاً ، يساعده على الخروج من هذا المأزق الذي اوجدوه فيه ، فأحاطهم الى « ناموسهم »

(٣) الحقيقة المرة — خراً اليهود امام لطمة ييلاطس صاغرين ، لانها ذكرتهم بوقوعهم في مخالب النسر الروماني . فاعترفوا له بعجزهم وعجز ناموسهم معهم ، عن « ان يقتلوا احداً » ، وقالوا بنغمة يمازجها التحسر والحجل : « لا يجوز لنا ان نقتل احداً »

عدد ٣٢ . (٧) نبوة قديمة نمت : « ليم قول يسوع الذي قاله مشيراً الى آية ميتة كان مزماً ان يموت » (٣: ١٤ ، ٨: ٢٨ ، ١٢: ٣٢) . ولولا هذا العجز ، الذي اوقعهم فيه الحكم الروماني ، لأماتوا المسيح رجماً بالاحجار — لا مصلوباً . راجع تفسير عدد ٢٨

٣٣ ثم دخل ييلاطس ايضاً الى دار الولاية ودعا يسوع

المرحلة الثانية في المحاكمة السياسية — داخل دار الولاية « الاعتراف
الحسن » — المسيح ملك (١٨: ٣٣ — ٣٨ (أ))

ينبئنا لوقا البشير ، بان اعداء المسيح ، ابتدأوا حينئذ يشكون عليه
قائلين : «إننا وجدنا هذا» — ما أمر التحقير الذي لفظوا به كلمة « هذا » !
« يفسد الأمة ويمنع ان تُعطى جزية لقيصر قائلاً انه هو مسيح ملك » . هذه
هي التهمة الثموت ، التي قدموا بها المسيح الى ييلاطس . فالتهمة الاولى جوفاء :
« هذا يفسد الأمة » ، لانها قد تطلق على اي انسان — ومن باب أولى عليهم
هم . أليسوا هم الذين افسدوا ضمير هذا الشعب الساذج ؟ والتهمة الثانية : « ويمنع
ان تعطى جزية لقيصر » — هذه تهمة باطلة بطلاناً اصلياً . ألا يذكرون قوله في
مناسبة سابقة : « اعطوا اذاً ما لقيصر لقيصر ؟ » (لو ٢٠: ٢٥) أما التهمة
الثالثة : « انه مسيح ملك » ، فقد اجادوا تلفيقها وجبكها ، واحكموا صوغها في
قالب يسترعي التفات ييلاطس الروماني

عدد ٣٣ . (١) ييلاطس يستجوب المسيح على انفراد . من أجل ذلك
أراد ييلاطس ، ان يحقق هذه التهمة الواضحة ، لانها تهمة سياسية ، تتعلق
بوظيفته كمندوب قيصر امام اليهود . فأى تهاون يبدو منه في تحقيق هذه التهمة ،
كان كافياً لأن يجعله مضغة في افواه اليهود الذين لا يترددون عن ان يشوا
به الى قيصر ، لذلك « دخل ييلاطس ايضاً الى دار الولاية ودعا يسوع »
وحده اليه . الآن قد تحول وجه المسيح عن اليهود ، واتجه الى ييلاطس

وقال له انت ملك اليهود . ٣٤ اجابه يسوع اُمن ذاتك تقول هذا
ام آخرون قالوا لك عني . ٣٥ اجابه ييلاطس ألعلي انا يهودي .

الاعمى ! ألا يُعتبر عمله هذا ، رمزاً الى تحوّل انجيله في المستقبل ، عن
اليهود ، واتجاهه الى الأمم ؟ أو ليس هذا عقاباً عادلاً لليهود ، الذين أسلموا
ملكهم ، باختيارهم ، الى القوة الرومانية ، التي داست رقابهم بقدميها ؟
هناك في تلك القاعة الرومانية الجميلة ، جلس ييلاطس الوالي الزائف ،
واوقف امامه «والي الولاية» . فالتقى في تلك الغرفة ، قلب الليل بصدر النهار
وتقرس الحق مجسماً في وجه الظلم متأنساً . ومن الغريب ان يقف «الحق» في
هذه الدنيا ليحاكم امام الظلم . لكن دولة الظلم ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة
سأل ييلاطس يسوع قائلاً : «أنت ملك اليهود» ؟ وكأني بذلك
التم الروماني الأجوف ، يلفظ كلمة «انت» بأنفاس التحقير والازدراء !

عدد ٣٤ . (٢) المسيح يجاوب ييلاطس : «أجابه يسوع اُمن ذاتك تقول
هذا أم آخرون قالوا لك عني» ؟ اي — أتقصد بكلمة : «ملك» ، ما تفهمه انت
منها ، او ما يفهمه اليهود منها ؟ نعم ان المسيح « ملك » ، ولكن ليس بالمعنى
السياسي الذي يفهمه ييلاطس . ولقد اصاب المسيح كيد ييلاطس بهذا السؤال
الذي بدأ فيه التهم يقف موقف المستجوب ، والوالي موقف المستجوب

عدد ٣٥ . (٣) ييلاطس يتبرّم ، ويعبر استجواب المسيح : « أجابه
ييلاطس ألعلي انا يهودي ؟ أمتك ورؤساء الكهنة اسلموك اليّ » . تبرّم
ييلاطس من السؤال الذي ونجهه اليه المسيح ، وقال غاضباً : « ألعلي انا

أمتك ورؤساء الكهنة اسلموك الي . ماذا فعلت . ٣٦ اجاب يسوع
مملكتي ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان
خدائي يجاهدون لكي لا اسلم الى اليهود . ولكن الآن

يهودي ؟ ! قصد بيلاطس ان يعثر بهذا الجواب ، عن ترفعه وعدم مبالاته ،
وان يجعل منه طعنة نجلاء يوجهها الى المسيح والى اليهود في وقت واحد ،
فقال : « أمتك ورؤساء الكهنة اسلموك الي » . وكأني به يقول للمسيح : « ان
بليتك جاءتك من أمتك » . هذا مصداق لقول الكتاب : « الى خاصته جاء
وخاصته لم تقبله » . وفي الوقت نفسه قال بيلاطس لليهود ضمناً : « انكم قد غدرتم
بملككم » ! ثم شرع يسترد مركزه كوال محقق ، فقال للمسيح : « ماذا فعلت » ؟

عدد ٣٦ . (٤) الجانب السبي ، من اعتراف المسيح الحسن . ان لاعتراف
المسيح الحسن هاتين : اولهما سبي ، وثانيهما ايجابي . في الجانب انسبي ،
« اجابه المسيح » انه ليس ملكاً بالمعنى السياسي الذي يفهمه بيلاطس ، ثم اقام
الحجة على هذه الحقيقة : « مملكتي ليست من هذا العالم » . أي انها لا تستمد
أساسها ، ولا شرائعها ، ولا اسلحتها ، ولا سلطانها ، ولا طبيعتها من هذا العالم .
فطبيعتها منافية لطبيعة العالم ، لانها هي من فوق والعالم من اسفل (٢٣: ٨) . أما
الحجة التي ذكرها تأييداً لهذه الحقيقة فهي : « لو كانت مملكتي من هذا العالم
لكان خدائي يجاهدون لكي لا أسلم الى اليهود » . والدليل على ذلك ، انه
واقف امام بيلاطس موثقاً ، وانه عندما تطوع احد جنوده للدفاع عنه ،
زجره قائلاً : « اجعل سيفك في الغمد » (١١: ١٨) . « ولكن الآن » — أي

ليست مملكتي من هنا . ٣٧ فقال له ييلاطس أفأنت إذا ملك .
اجاب يسوع انت تقول اني ملك . لهذا قد وُلدت انا ولهذا قد
أتيت الى العالم لاشهد للحق

ها قد وضع امامك جلياً ، ان « مملكتي ليست من هنا » . ومن المحقق ان
ييلاطس كان قد أُبلغ هذا الخبر من الجنود الذين ألقوا القبض على يسوع
عدد ٣٧ . (٥) ييلاطس يستجوب المسيح للمرة الثالثة عما اذا كان ملكاً :
سمع ييلاطس كلمة : « مملكتي » من المسيح ، ثموت مرات ، في جوابه . فقال
فرعاً : « أفأنت إذا ملك ؟ » ولعله قصد في الوقت نفسه ، ان يحبك من خيوط
سؤاله هذا ، شبكة يمسك بها المسيح متلبساً بالجريمة التي اشتكى بها عليه اليهود
(٦) الجانب الاربعاوي من اعتراف المسيح الحسن . ان رب المجد ، قطع
بسياف « الحق » ، هذه الخيوط الواهية الوهمية التي حبكها ييلاطس ، فقال :
« أنت تقول اني ملك » . فنسب هذا القول الى ييلاطس لا الى شخصه ، وفي
الوقت نفسه اقر به ولم ينكره . ثم أبان لييلاطس ، نوع السلاح الذي به
يؤيد المسيح ملكه ، فقال : « لهذا قد وُلدت أنا . ولهذا قد أتيت الى العالم .
لأشهد للحق » . فالحق يسوع هذا الملك ، وهو اماس ملكوته وعماده . فهو
اذناً ملك ، وهو أيضاً نبي حامل رسالة « الحق » . وبهذا الحرف ، يؤسس ملكه ،
ويرفع لواءه ، ويرسمه . في هذا تختلف مملكة المسيح عن مملكة قيصر .
فالاولى تجمع قلوب البشر ، والثانية تسحق اجسامهم . قوة الاولى في الحق
وقوة الثانية في الحديد والنار . الاولى داخلية ، دائمة . والثانية خارجية ، زاهية

كل من هو من الحق يسمع صوتي . ٣٨ قال له ييلاطس ما هو الحق
ولما قال هذا خرج ايضاً الى اليهود وقال لهم

الآن، رأى المسيح ان الوقت قد حان ليصيب كبدي ييلاطس مرة أخرى،
فسلط عليه نور «الحق» ، قائلاً : «كل من هو من الحق يسمع صوتي»
كأنه قال ضمناً لييلاطس : «أأنت من الحق ؟ ان كنت تسمع صوتي فأنت
من الحق ، لان الحق يتبرر دائماً من بنيه . والا . فلا»

عدد ٣٨ . (٧) ييلاطس يسأل عن الحق من غير انه ينتظر جواباً —
سمع ييلاطس من المسيح قوله : «كل من هو من الحق يسمع صوتي» ،
فأحس مرة أخرى بأن كرسيه يرتج من تحته ، وان المحاكمة عادت قاتلت
عليه ، وان ذلك «المتهم» العجيب — المسيح — قد وقف منه موقف القاضي،
وأوقفه هو موقف المتهم . واذا أدرك ان اطالة مدة الانفراد بهذا «المتهم»
العجيب ، لا تزيده الا تورطاً ، قصد ان يصرف الموضوع ، بسؤال ألقاه على
المسيح ، بين هازل وعابث، وهو لا ينتظر عنه جواباً : «ما هو الحق»؟^(١)

المرحلة الثالثة في المحاكمة السياسية — خارج دار الولاية — ييلاطس يصر
ببراءة المسيح لأول مرة — باراباس أم المسيح؟ (٣٨ ب) — (٤٠) . لم يكن
ييلاطس في سؤاله عن «الحق» جاداً ، بل كان عابثاً هازلاً . فسؤاله عن
«الحق» ، كسؤال الظالم عن العدالة ، والمستبد عن الرحمة . لان الذي يعرف
شخصية ييلاطس ، يؤكد ان بينه وبين الحق مراحل . لذلك لم يستطع ان

(١) لو كان ييلاطس جاداً في سؤاله، وغير كلمة «ما» بكلمة «من» ، لوجد خير جواب
على سؤاله ، في المسيح الواقف امامه (١٤: ٦)

انا لست اجد فيه علة واحدة. ٣٩ ولكم عادة ان اطلق لكم واحداً في الفصح. اقتريدون ان اطلق لكم ملك اليهود.

ينتظر جواباً عن سؤاله . وهل تقوى حشرات الظلام على انتظار بزوغ نور الشمس ؟ من أجل ذلك فر يلاطس هارباً ، وخرج الى اليهود مرة أخرى وقال لهم : « انا لست أجد فيه علة واحدة »

عرفنا البشرون الاولون ، ان رؤساء الكهنة والشيوخ ، حالما سمعوا تصريح يلاطس ، لأول مرة ، ببراءة المسيح ، « كانوا يشددون قائلين انه يهيج الشعب . وهو يعلم في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل الى هنا » . أما يلاطس ، فقد كان يحاول ان يجد وسيلة يتذرّع بها للخروج من هذا المأزق الحرج ، الذي أوجده فيه وقوف المسيح امامه ، أو بالحري وقوفه هو امام المسيح . فلما سمع عرضاً ، ذكر «الجليل» ، وجد ان اول وسيلة يمكن ان يتذرّع بها للهرب من المسؤولية ، هي ان يرسل المسيح الى هيرودس والي الجليل ، الذي كان حينئذ في اورشليم — على اعتبار ان يسوع جليلي تابع لسلطنة هيرودس . أما هيرودس ، قبيل المخلص بكل فرح ، لانه كان مشتاقاً من زمان طويل ان يراه ، وترجى ان يصنع الآن آية امامه . غير ان المسيح لم يجبه بشيء عن جميع أسئلته ، ولا أجاب عن شكاوي الكهنة والرؤساء الذين محبوبوه الى ذلك الوالي . فاحتقره هيرودس مع عسكره ، واستهزأ به ، وألبسه لباساً لامعاً ، وردّه الى يلاطس . وفي الوقت نفسه اعتبر ارسال يلاطس ليسوع اليه ، علامة محبة ووداد من جانب يلاطس ، فكان هذا

٤٠ فصرخوا ايضاً جميعهم قائلين ليس هذا بل باراباس. وكان باراباس لصاً

باعثاً على ارجاع الصداقة التي كانت قد تقطعت اوصالها بينهما. فما اعجب فادينا ! فهو صانع سلام حتى في محاكمته الاخيرة ! حقاً هذا هو ابن الله ! اما بيلاطس ، فكان لم يزل مُصرّاً على اطلاق يسوع ، فجلس في هذه المرة رسمياً على كرسي الولاية كقاضٍ (متى ٢٧: ١٩) ، واعلن انه هو و هيروودس قد فحصا يسوع ، ولم يجدا فيه علة . فكان الواجب حينئذ على بيلاطس القاضي الروماني — والقضاء الروماني متصرف عادة بالعدالة — ان يطلق المسيح ، بعد ان ثبتت له براءته. ولكن هذا الرجل الضعيف ، قد لانت قناته امام تشدد اليهود ، فتذرع بوسيلة ثانية للخروج من هذا المأزق ، محاولاً ان يستفيد من عادة قديمة ، كان قد عود اليهود عليها — وهي ان يُطلق لهم كل عيد فصيح مجرمًا — كأنه قد ثبت لديه ان المسيح مجرم . فالتجأ الى عواطف الشعب اليهودي ، عله يفوز منهم بكلمة عن اطلاق المسيح . وعرض عليهم ان يختاروا: بين ان يطلق لهم المسيح ملكهم او باراباس القاتل المجرم. وفيما كان بيلاطس منتظراً الشعب ، ليختاروا من يُطلق لهم ، ووصلته رسالة من امرأته التي يُظن ان اسمها «كلافديه بركيولا» . عجيب ان الشخص الوحيد الذي تطوع للدفاع عن مخلصنا في هذه الساعة الدقيقة ، ليس رجلاً من اتباعه . بل امرأة وثنية ! وفي هذه الاثناء كان رؤساء الكهنة يحرضون الشعب على ان يختاروا « باراباس » — ومعناه : «ابن ابيه ، او ابن العباس ، او ابن المعلم» . فصرخ الشعب اليهودي بحمته قائلاً : «ليس هذا بل باراباس» . هذه لطخة سوداء على جبين الشعب اليهودي ، الذي فضل اللص القاتل على المسيح الملك

الاصحاح التاسع عشر

تنمة المحاكمة، والصلب

جئنا الآن، الى هذا الفصل التاريخي، الذي يتقدم بنا الى قدمي الصليب وان فصلاً كهذا، ينبغي ان ندرسه ونحن على ركبنا جاثين خاشعين «هو أعلى من السموات فماذا عساك ان تفعل. أعمق من الهاوية فماذا تدري. اطول من الارض طوله، وأعرض من البحر. — هذا هو الصليب بل هذا هو المسيح المرفوع على الصليب

إننا واقفون الآن على ارض مقدسة، فيها انوار، وفيها ظلال. وعلى قدر ما يكون النور ساطعاً، يكون ظلال الاشباح الساقط عليها هذا النور قائماً

اعتاد المصورون قديماً، ان يرسموا وجه المسيح الظهور، وحوله هالة من النور. وسواء أكان هذا النور منظوراً للعيان أم غير منظور، فهو نور فاحص انعكس على قلوب كثيرة فكشف خباياها وخفاياها. فكل شخص اشترك في الحكم على المسيح وصلبه، قد حكم على نفسه، وصلب نفسه، وهو لا يدري. وفي مقدمة هؤلاء: بيلاطس الذي سمح بصلب المسيح، حرصاً منه على مركزه السياسي. ولفرط خيبتة، خسر هذا المركز الذي قدم المسيح ثمناً للحرص عليه. وما أغلى هذا الثمن! فقد حكم عليه الامبراطور الروماني بالطرد من كرسي الولاية. ولشدة يأسه مضى وانتحر

لنعد الآن الى درس تنمة محاكمة المسيح السياسية:

١ فحينئذ اخذ ييلاطس يسوعَ وجلده . ٢ وضمفر العسكر اكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه والبسوه ثوب ارجوان .

المرحلة الرابعة في المحاكمات السياسية — داخل دار البلدية — الجلدُ والسخرية (١٩: ١-٣) . لما فشلت الوسيلة الثانية ، التي تذرع بها ييلاطس للخروج من المأزق الحرج الذي اوجده فيه وقوف المسيح امامه ، التجأ الى وسيلة ثالثة . فاقترح على اليهود ، ان يجلد المسيح ويطلقه : «ها لا شيء يستحق الموت صنع منه . فانا أؤديه واطلقه» (لو ٢٣: ١٦) . ان قول ييلاطس هذا ، هو بمثابة القول عن الشيء الواحد : انه ايضاً راسوف في آن واحد . لان الجلد يفترض ثبوت الجريمة . وهو اول جرعة في كأس الصليب . ولكن قولاً كهذا خليقٌ بأمثال ييلاطس الجبان والمتغطرس في آن واحد . وفعلاً نقد قوله هذا . «فاخذ يسوع وجلده» — على الطريقة الرومانية التي هي اقصى بكثير من الطريقة اليهودية (يو ١٩: ١) . لان عدد الجلدات عند اليهود كان محدوداً — فلا يزيد عن الاربعين . واما الرومان ، فكانوا يجلدون مجرميهم جلدات بلا عدد ، وبكل عنف ، حتى ان كثيرين كانوا يموتون تحت الجلد . ثم أسلم ييلاطس يسوعَ الى العسكر « فضمفر هؤلاء اكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه . وألبسوه ثوب ارجوان » — على مثال الثوب الذي كان يلبسه رؤساء الجيش . وقد البسوا يسوع اياه ، تحقيراً منهم له ، لانه قال عن نفسه : «انه ملك» . وهكذا تضحك الاقدار من الناس ، فان هؤلاء الجنود العميان ، كانوا أحكم من انفسهم . فما صنعوه بالمسيح تحقيراً وازدراءً ، أمرت به

٣ وكانوا يقولون السلام يا ملك اليهود وكانوا يلطمونه . ٤ فخرج
بيلاطس ايضاً خارجاً وقال لهم

العناية تعظيماً واكباراً . فقد ألبس الثوب الأرجواني — باعتبار كونه غالباً .
وكُلّل بالشوك — على اعتباره ملك العالم . بل ملك آلام العالم وآماله . ويقول
متى البشير « انهم وضعوا قصبة في يمينه » (متى ٢٧: ٢٩) — لانه في الواقع قابض
على صولجان الملك ، فهو « ملك الملوك ورب الارباب » . ولكي يكملوا معيار
آثامهم ، كانوا يقولون « السلام يا ملك اليهود . وكانوا يلطمونه » . هل كان
الجنود الرومان ، بقولهم هذا ، يسخرون من الشعب اليهودي ، أم كانوا
يسخرون من انفسهم ، أم كانت العناية هازئة باليهود والرومان معاً ؟

المرحلة الخامسة في المحاكم السياسية : خارج دار الولاية : بيلاطس يعترف
بإراءة المسيح ، للمرتين الثانية والثالثة : « هوذا الانسان » (١٩: ٤ — ٧) .
تمنى بيلاطس ان يتأثر اليهود من رؤيتهم المسيح المتألم ، فيظهروا
عطفهم عليه ، ويسمحوا باطلاقه . لكن تمنيه قد خاب . ويظهر ان الشعب
اليهودي ، كان يرى في كل اقتراح جديد يقلعه بيلاطس ، انهزاماً جديداً منه
امامهم ، فاستسلموا للعناد ، كحيوان جموح استهوته الريح . لكن بيلاطس لم
يئأس من التوصل اليهم — كدت اقول التسول منهم — ان يسمحوا باطلاق
سراح المسيح . لذلك شرع يناشدهم بإراءة المسيح ، وبرارته ، وضعفه الانساني
عنه يحول حقدهم عليه الى حنو ، وقسوتهم الى عطف

عدد ٤ . (٤) . بيلاطس . بجاهر بإراءة المسيح للمرة الثانية : « فخرج

ها انا اخرجهم اليكم لتعلموا اني لست اجد فيه علة واحدة . ه فخرج يسوع خارجاً وهو حامل اكليل الشوك وثوب الارجوان . فقال لهم بيلاطس هوذا الانسان . ٦ فلما رآه

بيلاطس ايضاً خارجاً وقال لهم ها انا اخرجهم اليكم لتعلموا اني لست اجد فيه علة واحدة . بهذه الكلمات الاخيرة ، ناشدتم بيلاطس الانسانية والعدالة . ولكن لا حياة لمن تنادي

عدد ٥ . (٢) . المسيح خارج حاملاً اكليل : « فخرج يسوع خارجاً » — وراء بيلاطس — « وهو حامل اكليل الشوك » — ولابس — « ثوب الارجوان » . ارجع في تفسير هذا العدد الى ما اسلفنا في عدد ٢

(٣) بيلاطس يستدر عطف اليهود : « هوذا الانسان » ! فاه بيلاطس بهاتين الكلمتين الأخيرتين ، بنعمة استعطاف واسترحام . وكأني به يقول لهم : « أظن هذا الانسان البائس المتألم تحقدون يا أيها اليهود ؟ ومثله تحسدون ؟ » هذه نعمة بيلاطس . أمّا العناية الالهية ، فقد سترت تحت نعمة بيلاطس ، نعمة أخرى أثبت منها على ممر الايام — هي نعمة الاعجاب بهذا الذي اجتمعت فيه كل كالات البشرية ، والتقت فيه كل آمال الناس في كل ادوار التاريخ ، فهو منتهى آمال اليهود وهو « مشتهى الامم » . ولقد فات بيلاطس ان يعرف انه بنطقه بهاتين الكلمتين ، كان مقدماً أبلغ جواب على سؤاله الذي لفظه منذ مدة وجيزة : « ما هو الحق » (١٨: ٣٨) ؟

عدد ٦ . (٤) رؤساء الكهنة والهمام يطهرون صلب المسيح . حالما

رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين اصلبه اصلبه. قال لهم بيلاطس
خذوه انتم واصلبوه

رأى رؤساء الكهنة والخدام ، دماء المسيح التي اسالتها الجلدات من جسمه الطهور ، وأراقها اكليل الشوك على جبينه الوضاء ، استساغوها واستعذبوا طعمها ، فطلبوا منها المزيد . وصدموا على ان يُرووا غلّهم منها حتى آخر قطرة ، فصرخوا قائلين : « اصلبه اصلبه » — وفي الاصل « اصلب اصلب » ! هذه اول مرة عيّنوا فيها نوع الموت الذي سينوقه المسيح — الصلب . هل كان بين هذا الشعب ، بعض من اولئك الذين هتفوا للمسيح يوم دخوله اورشليم : « اوصنا . اوصنا » ؟ ام كان ذاك شعب الجليل ، وهذا شعب اورشليم ؟ أوليست كل الشعوب من طينة واحدة ؟ غير ان اللوم في هذا ، لا يقع عليهم وحدهم ، بل على بيلاطس ايضاً . لانه هو الذي اقترح عليهم « الجلد » الذي هو مقدمة للصلب عادة . فهل يُعابون هم ، اذا اختاروا الخاتمة الملائمة لتلك المقدمة ؟ هذه هاوية سحيقة هوى اليها بيلاطس امام الشعب اليهودي . بل هذا احط درك هبط اليه اليهود ، اذ طلبوا الى الحاكم الروماني ان يصلب « ملكهم » . لان الرومان لم يصدروا مثل هذا الحكم الا على عبيدهم وإمائهم .

(٥) . بيلاطس يجاهر ببراءة المسيح للمرة الثالثة . الآن أخذ الضجر من بيلاطس كل مأخذ ، وكأنه عوّل على ان لا يكون فيما بعد لعبة في ايدي اليهود ، لذلك اراد ان يلقي عليهم وحدهم كل التبعة في صلب المسيح : فقال لهم « خذوه انتم واصلبوه لاني لست أجدر فيه علة » . هذه هي المرة الثالثة التي

لاني لست اجد فيه علة. ٧ اجابه اليهود لنا ناموس وحسب ناموسنا
يجب ان يموت لانه جعل نفسه ابن الله. ٨ فلما سمع بيلاطس هذا

أقر فيها بيلاطس براءة المسيح، بل هذه هي اللطمة الثالثة التي لطمهم بها
ان هذه الكلمات مفرغة في قالب تهكمي لاذع، لان بيلاطس كان
يعلم انهم لا يستطيعون ان يصلبوا المسيح، بعد ان سلبت منهم القوة الرومانية
هذا الحق. فكأنه في هذه الكلمة قد ذكرهم: بظلمهم — لانهم طلبوا ان
يصلبوا شخصاً بريئاً، وبمعزلهم — لان القوة السياسية شلت ايديهم

عدد ٧. (٦) اليهود يصارعونه يهوذا بنهم المسيح المنجوبة في قلوبهم.
امام هذه اللطمة القوية، اهتزت قلوب اليهود وارتجفت، وأسقط في ايديهم،
ولم يتالكوا انفسهم من ان ييوحوا لبيلاطس بالعلة الاساسية التي كانوا الى
الآن يضمرونها في احشائهم، مخافة ان يسخر منهم بيلاطس. فاجابوه: «لنا
ناموس. وحسب ناموسنا يجب ان يموت لانه جعل نفسه ابن الله»

عدد ٨. (٧) التأثير الذي تركه نصرهم هذا في نفس يهوذا. عجيب
ان اليهود يحتكمون في مسائلهم اللاهوتية الى والٍ وثني. وكأنهم ظنوا ان
إفضاءهم اليه بهذه العلة الدفينة، يحمله على صلب المسيح. ولكن خاب قائلهم،
وفشل انتظارهم، فان هذا التصريح الاخير الذي افضوا به الى بيلاطس، قد
أثر فيه تأثيراً على عكس ما كانوا ينتظرون. لانه بعد ان سمع هذا القول
«ازداد خوفاً». والسبب في ذلك، ان افكاراً وخواطر كانت تجيش وقتئذ
في نفس بيلاطس من جهة هذا الشخص «العجيب»، وأثر الرسالة التي بعثت

القول ازداد خوفاً . ٩ فدخل ايضاً الى دار الولاية وقال ليسوع
من اين أنت

بها زوجته اليه لم يبرح من باله بعد . فكان يقول في نفسه : « يا ترى من هو
هذا الشخص العجيب الممتاز ، الذي صمدت براءة امام كل هجمات اليهود ؟
فلما سمع منهم ان المسيح « جعل نفسه ابن الله » استرجع الى ذاكرته بعض ما
كان يطالعه من اساطير اليونان عن ظهور الآلهة في شكل بشر ، فثارت في
نفسه غريزة الاستقصاء والبحث ، يحدوها شيء غير قليل من الوجمل والتهيب
والفرع من صوت الضمير للبكت

المرحلة السادسة في المحاكمة السياسية — داخل دار الولاية — المسيح
الصامت — للسؤالية العظمى (١٩: ٩ - ١١)

عدد ٩ . (١) . بيوطس يخلو الى المسيح ويستجوبه عن مصدره . تأثر
بيلاطس تأثراً عميقاً من علمه بان المسيح يقول عن نفسه انه ابن الله . فادخل
يسوع معه الى دار الولاية ، واستجوبه عن مصدره ، بنقمة يمتزج فيها التهيب
بحب الاستطلاع : « من اين انت ؟ ولعله قصد ، ان يفوز من المسيح بجواب
يروّح به عن نفسه ، في وسط هذه اللسالك الخشنة ، التي ادخل نفسه فيها
باستضافته امام اليهود ، وان يتحرر من الارتباك ، الذي اوقعته فيه رسالة زوجته
(٢) الفاري الصامت : « اما يسوع فلم يعطه جواباً » . اننا نلمح في سكوت
مخلصنا ، ذات الحكمة التي نراها في كلامه ، فهو عظيم في صمته ، عظيم ايضاً
في كلامه . فلقد كان في صمته هذا ، مقدراً ما ابلغ جواب على سؤال بيلاطس

واما يسوع فلم يعطه جواباً . ١٠ فقال له بيلاطس اما تكلمني .

ومعترفاً بالتهمة التي الصقها به اليهود، بل مرحباً بها، فهو ابن الله بالحقيقة . ولكن أليس بغريب ان يصمت المسيح امام بيلاطس ، وهو عالم ان في امكانه ان يطلقه ؟ كلا . كنا نحسب صمته عجيباً ، لو كنا نعلم انه يريد ان يُطلق سراحه لينجو من موت الصليب ، اما وقد جاء ليُصلب ، فلا مفر من صمته حتى يتم القضاء المبرم . وهل كان بيلاطس في حاجة الى مزيد من الورد ، ليتساعد به على اطلاق سراح المسيح ؟ كلا . لانه لم يعمل بالنور الذي عنده . بعد ان أقرّ بموت مرات ، ان المسيح بار . فزيادة النور في هذه الحال ، تكون بمثابة وضع جمر نار على رأسه . ويقول بعض المفسرين : ان المسيح صمت امام بيلاطس ، لانه لم يرد ان يفهمه أنه ابن الله بالمعنى الخرافي الناقص الذي كان يفهمه بيلاطس من اساطير اليونان . او لم يصمت المسيح فداءً عنا ، نحن المقتضي علينا بان تُسدّ افواهنا امام دينونة الله العادلة ؟ (رو ٣: ١٩) . اذاً لقد صمت «الكلمة» المتجسد ، لكي نتكلم نحن الخطاة . فجاء صمته هذا ، متمماً لنبوّة قديمة : «فلم يفتح فاه» (اش ٥٣: ١١)

ورد ذكر سكوت المسيح اربع مرات في قصة الآلام — مرة امام قيافا (مت ٢٦: ٢٣) ، ومرتين امام بيلاطس (مت ٢٧: ١٢ و يوحنا ١٩: ٩) ، ومرة امام هيرودس (لو ٢٣: ٩)

عدد ١٠. (٣). بيروطس يدعى لنفسه سلطاناً لا بمملكته : «فقال له بيلاطس أما تكلمني ؟ ألسنت تعلم ان لي سلطاناً ان أصليبك وسلطاناً ان أطلقك ؟

ألسبت تعلم ان لي سلطاناً ان اصليبك وساططاناً ان اطلقك ١١ اجاب يسوع لم يكن لك علي سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق.

مسكين بيلاطس ! لأنه بمحاولته ان يدّعي لنفسه سلطاناً مطلقاً ، اوقع نفسه في مسئولية عظيمة وهو لا يدري ! فاذا كان يملك حقاً سلطان اطلاق المسيح فماذا منعه من اطلاقه ، بعد ان اعترف مبرئاً بانه بريء ؟ ولماذا اذاً غسل يديه علي تلك الصورة التمثيلية الجوفاء ايهاً للناس بأن لا يد له في صلبه ؟ وهكذا يحاول المرء ان يدّعي لنفسه حقاً لا يملكه ، فيخسر حقاً يملكه

عدد ١١ . (٤) . السلطان والمسئولية : « أجاب يسوع » . في هذه المرة ، تكلم يسوع بعد ان صمت في المرة الاولى (عدد ٩) . وفي كلامه امترد سلطانه الذاتي ، واتخذ موقف قاضي القضاة ، فحكم علي بيلاطس وعلى السنهدريم ، مقدماً في حكمه اربع حقائق رئيسية : كل حقيقة منها اساس لما قبلها ، ونتيجة لما بعدها . الحقيقة الاولى : ان السلطان الذي يدّعيه بيلاطس لنفسه علي المسيح ، ليس له ، ولا هو منه ، ولكنه مُعطى اياه من الله « لم يكن لك علي سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق » . الحقيقة الثانية : ان بيلاطس القاضي الزمني ، ليس سوى اداة في يد القضاء الأزلي . الحقيقة الثالثة : ان مسئولية بيلاطس محدودة في هذا الباب ، باعتبار كونه وثنيّاً جاهلاً المقاصد الالهية ، وغافلاً عن حقيقة المسيح ومصدره (عدد ٩) . الحقيقة الرابعة : ان قيافا « رئيس الكهنة » ، ورئيس السنهدريم ، ويمثل السلطة اليهودية ، الذي أسلم المسيح الي بيلاطس ، عليه مسئولية اعظم — باعتبار كونه

لذلك الذي أسلمني اليك له خطية اعظم . ١٢ من هذا الوقت كان
يلاطس يطلب ان يطلقه ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين ان

«رئيس الكهنة في تلك السنة ، الذي سبق فتنبأ» بالمقاصد الإلهية (يو ١١ :
٥٠ و ٥١) ، فكان متقلداً بنفبه سلطاناً خاصاً ، و به أسلم المسيح الى يلاطس .
ان نصيب يلاطس في صلب المسيح هو نصيب المستضعف . لكن نصيب
قيافا «رئيس الكهنة» ، هو نصيب المدبر المستبد . فاذا كنا نرى المسيح في
كلامه هذا ، ملتصقاً بعض العذر ليلاطس في جريمته ، فما ذلك الا من قبيل
طلبه المغفرة لقاتليه : «يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لوقا ٢٣ : ٣٤)

المرحلة السابعة والاضحية في المحاكمة السياسية — خارج دار الولاية — في
«البلاط» — رؤساء اليهود يتنازلون عن حقهم في الملك — الوالي المستضعف
يستسلم لعنادهم (١٩ : ١٢ - ١٦)

عدد ١٢ . (١) آخر سهم في كنانة اليهود : «من هذا الوقت كان
يلاطس يطلب» — بكل وسيلة ممكنة — «ان يطلقه» — بعد ان سمع من
فم المسيح تلك الكلمات الهادئة (عدد ١١) ، التي زادت مخاوفه واضطرابه
(عدد ٨) . ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين : «ان أطلقت هذا فلست
محباً لقيصر ، كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر» . هذا هو السهم الاخير
الذي احتفظ به اليهود في كناناتهم ، فلم يصوبوه الى صدر يلاطس ، إلا بعد
ان أعيتهم كل الحيل . وهنا في هذه المرة فقط صدق ظنهم في يلاطس . لان
هذا السهم الأخير اصاب من يلاطس مقتلًا . وهذا ما كان ينشاه على

اطلقت هذا فلست محباً لقيصر . كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر . ١٣ فلما سمع بيلاطس هذا القول اخرج يسوع وجلس على

الدوام — ان يدس له اليهود عند رئيسه الامبراطور طيباريوس قيصر، الذي كان بلاطه مرتعاً للدسائس ، وكان هو لمزيد الأسف كثير الوسوس ، يرحب بكل وشاية تصله عن أي واحد من مرؤوسيه . ولقد كان شغوفاً بمركزه ، شديد الحرص عليه ، لدرجة ان اقل وشاية تتصل به عن تهاون احد مرؤوسيه في المحافظة على عرشه ، كانت تكفي لأن تطوح بهذا المرؤوس ، الى مهاوي التهلكة ، من غير تحقيق ، وتقذف به الى طبقة «المنبوذين» . كما ان اقل اشارة كانت تتصل به عن حرص احد مرؤوسيه على تثبيت عرشه ، كانت تكفي لرفع ذلك المرؤوس الى أعلى مستوى ، وتقذف له لقب : «محب قيصر»

ويحدثنا فيلوالمؤرخ : ان تهديداً من هذا النوع ، كان قد وُجّه الى بيلاطس في مناسبة سابقة . يضاف الى هذا ، ان حياة بيلاطس الشخصية كانت ملوثة . فهذا الوالي الذي سكن بيتاً من زجاج ، كان يخشى رجم اليهود اياه بالاحجار . وهكذا يصيرنا الضمير جبناء . فلاشيء يشل يد الجبان عن عمل ما يراه خيراً ، نظير فرعه من خطايا السالفة

عدد ١٣ . (٢) بيلاطس يصر بطعنهم فخرج ويجلس على كرسي الولاية : « فلما سمع بيلاطس هذا القول اخرج يسوع وجلس على كرسي الولاية في موضع يقال له البلاط ، وبالعبرانية : جباثة » . كانت طعنة نجلاء ، تلك التي صوبها اليهود أخيراً الى قلب بيلاطس . لانه كان مستعداً ان

كرسي الولاية في موضع يقال له البلاط وبالعبرانية جباثا . ١٤ وكان

يضحي بكل شيء ، و بكل شخص ، استرضاء لرئيسه طيباريوس . وهانحن نرى من هذا الوالي المبتئس ، الذي حاول منذ البداية ان يترضى الشعب اليهودي باطلاقه المسيح ، والكهنة والشيوخ بتأديب القادي ، ونفسه باتقاذه اياه من الموت ، قد أدرك في النهاية ، انه لم يرض احداً . لانه جعل نصب عيديه ارضاء الناس لا ارضاء الله . فقد وقع لبلاطس عند نهاية حياته ما كان يخشاه الآن . ويقول يوسفوس المؤرخ اليهودي : ان وشاية قوية بلغت طيباريوس عنه ، فعزله من الولاية في ذات السنة التي عزل فيها قيافا من الكهنوت ، بعد موت مخلصنا بثلاث سنين . ومن فرطأسه مضى وانتحر

لما سمع ببلطس قول اليهود الاخير ، بلغ الخوف منه أشدّه ، « فأخرج يسوع » اذ كان وقتئذ داخل دار الولاية . وكانت الشريعة الرومانية تقضي على الحاكم بان لا يحكم على المتهم ، الا وهو ماثل امامه ، لذلك « جلس ببلطس على كرسى الولاية » — والظاهر ان هذا الكرسي كان كمبر قليل الارتفاع . ومن المرجح انه كان مصنوعاً من المرمر ، ليكون لا ثقاً لجلوس الحاكم عليه أثناء المحاكمة . وكان موضعه في الباحة الفسيحة الواقعة قدام دار الولاية « في موضع يقال له البلاط » — ولعله سمي كذلك ، لان ارضه كانت مرصوفة بالبلاط المرمر المعروف « بالموزايكو » — وبالعبرانية « جباثا » اي أكمة مرتفعة

عدد ١٤ . (٣) آخر سهم في كفاية يهوذا — ببلطس يحاربهم بسلاح التهم : « وكان استعداد الفصح » — اي اليوم الذي يهيء فيه اليهود ما

استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة .

يلزمهم للفصح ، وعند غروب شمسه يأكلون الفصح . هذا يؤيد النظرية القائلة بأن المسيح فصحنا الجديد قد رُفع على الصليب في الوقت الذي قُدِّم فيه حمل الفصح على مذبح الهيكل (انظر ١ كو ٥: ٧) . «نحو الساعة السادسة» — اي في الصباح ، لان يوحنا جرى غالباً على التوقيت الروماني — الغربي (*) الذي كان سارياً في آسيا الصغرى ، لدى اواخر القرن الاول للميلاد . وبه يُحسب اليوم من نصف الليل الى نصف الليل ، بخلاف البشيرين الاولين ، الذين حسبوا الساعات طبق التوقيت اليهودي الشرقي ، الذي به يُبدأ اليوم من الصباح الى الصباح . وفي هذا تتفق رواية يوحنا ورواية مرقس ، فان مرقس يقول : ان الصلب «بُدى» به في الساعة الثالثة» (مر ١٥ : ٢٥) — اي نحو الساعة التاسعة صباحاً — ويقول يوحنا ان يلاطس «أسلم المسيح نحو الساعة السادسة صباحاً» — وهذا تم قبل الصلب بوقت ما . فقول يوحنا : «نحو الساعة السادسة» ، يفسح المجال للاعتقاد بان هذه الخطوة الممهدة للصلب ، حدثت بعد الساعة السادسة وقبل التاسعة ، وربما حوالي ٨ صباحاً . ويظن بعض المفسرين ان يوحنا استعمل التوقيت اليهودي الشرقي ، كسائر البشيرين . وعلى هذا الاعتبار ، يوفق هؤلاء المفسرون بين رواية يوحنا ورواية

(*) ومما يدل على ان جهات آسيا الصغرى ، كانت تنير على التوقيت الروماني الغربي وقتئذ ، ما يقوله المؤرخ فيلو : ان بوليكاربوس أُعدم في الساعة الثامنة ، وبايونوس ، في الساعة العاشرة . وكلاهما أُعدم في ازمير . ولا مشاحة في ان المقصود بهاتين الساعتين هو : الساعة الثامنة ، والساعة العاشرة صباحاً — على الترتيب

فقال لليهود هوذا ملككم . ١٥ فصرخوا خذوه خذوه اصلبه . قال لهم

البشيرين الاولين ، بقولهم : اولاً — ان يوحنا ميز بين وقت جلد ييلاطس ليسوع ، ووقت صلبه ، بان ذكر كل حادث منهما كأنه مستقل عن الآخر اما متى ومقرس ، فذكرا الحادثين كأنهما واحداً . ولذلك حسبنا وقت الجلد مع وقت الصلب . فاذا كان الجلد في الساعة الثالثة ، كما قال مقرس ، فمن المحتمل ، ان يكون الصلب قد بقي الى نحو الساعة التاسعة . ثانياً — ان يوحنا لم يبين وقت الصلب انه كان الساعة السادسة ، بل قال انه « نحوها » . ثالثاً — ان اليهود قسموا الوقت الى هزُع — كل هزيع ثلاث ساعات — ولم يذكروا سوى الساعة الثالثة ، والسادسة ، والتاسعة (متى ٢٠: ٣ و ٥) ، وضموا ما بين كل من تلك الساعات — إما الى ما قبلها ، وإما الى ما بعدها . وان الصلب حدث ما بين الساعة السادسة والتاسعة ، فنسبه متى ومقرس الى الوقت الاول منهما ، ونسبه يوحنا الى الوقت الثاني

عدد ١٥ . (٤) اليهود يحكمونه على انفسهم بالاعدام كائنة : « فصرخوا خذوه ، خذوه ، اصلبه » . ان اليهود بتسليمهم ملكهم الشرعي ، « ومسيحهم المنتظر » ، الى يد الحاكم الوثني ، بهذه النعمة الجافة المزرية ، يُعتبر بمثابة كتابتهم بأصابعهم ، صكّ إعدامهم كائنة . انهم بعملهم هذا ، قد تركوا لأنفسهم ، ولأولادهم ، تركة مخضبة بدماء هذا البار — تركة ما أثقلها ان حمل الجبال اخف منها واسهل

(٥) ييلاطس يعبر الكرة ويناسرهم الوطنية : « قال لهم ييلاطس اأصلب

بيلاطس أصلب ملككم . اجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك الا
قيصر . ١٦ فحينئذ أسلمه

ملككم؟ . قال بيلاطس هذه الكلمات ، بنعمة تهكمية ، تمازجها مرارة لاذعة
بما يدلنا على ان العقيدة التي سادت عليه ، منذ بدء هذه المحاكمة (٨: ٣٣) ،
حتى ختامها (١٩: ١٥) ، هي : ملك المسيح

(٦) رؤساء السكينة يتطوعون لعناقرهم ، واعناقهم انهم ، بالنسبة الروماني
« اجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك الا قيصر » . يا للعار ! وهكذا تفعل
الضعيفة في القلوب ، فتعني بصائر هؤلاء القادة عن عهودهم ، ومواعيدهم
القديمة ، حتى يحولوا وجوههم عن الرجاء المبارك ، الذي كانوا ينتظرون به مسيحاً
ملكاً يكسر نير الرومان ؟ ! هذا هو الانتحار الادبي ، والديني ، والسياسي
والابدبي . ومن دواعي نكد تلك الأمة اليهودية ، ان رؤساء كهنتها الذين
كان عليهم ان يقدموا النبايح الدينية ، فدية عن خطايا امتهم ، قدموا امتهم
ذبيحة على مذبح مآربهم الذاتية

عدد ١٦ (أ) — (٧) انهم زام بيلاطس امامهم على طول الخط : « فحينئذ
أسلمه اليهم ليُصَلَّب » . هذه هي النقطة الفاصلة في تاريخ الأمة اليهودية ، وفي
تاريخ العالم اجمع . بل هذه جرة نار محرقة ، وقعت على بيلاطس وعلى رؤساء
اليهود ، وعلى رأس الأمة اليهودية . لكنها في الوقت نفسه ، أضحت للمؤمنين
من اليهود والأمم ، منبت انوار ساطعة ومطلع حكمة . ومن الملاحظ ان
بيلاطس كان عادلاً لدرجة انه لم يصدر على المسيح حكماً ايجابياً . وفي

اليهم ليصليب

الوقت نفسه كان جباناً لدرجة انه لم يستطع ان يطلق سراحه . فما اضعفه وما أقدره . ما أعلمه وما أكفره . ولعله قصد ان يريح ضميره امام جمهورهم ، وامام نفسه ، حين غسل يديه — وهيهات ان تبيض يداه . انه لم يكن في عمله هذا الا مثلاً فصلاً هزلياً ومبكياً في آن واحد — وشرّ البلية ما يضحك

رابعاً: الصليب (١٩:١٦) (ب) — (٤٢)

لقد ارغمنا بيلاطس على ان نطيل الوقوف بالمراحل السبع التي قطعها محاكمة المسيح السياسية. وهما نحن اولاء، نتقدم سائرين وراء المسيح، في طريق الآلام ، مخفقين الوطء ، لان الطريق وعراً ، وحمل الصليب ثقيل. ولكن لنا العزاء، في ان المسيح يحمل الجانب الاثقل من هذا الصليب، بل يحمل الصليب كله ، لا بل حمل الصليب وائاناً

بكلمات قليلة ، سجل يوحنا البشير حادثة الصليب ، لان البشيرين الاولين سبقوه الى الكتابة بافاضة في هذا الموضوع . وربما لم يرغب يوحنا الحبيب في اطالة الكلام عن وصف آلام المسيح الجسدية ، لان هذه مهمة شاقة على قلب الحبيب . مثله في هذا ، مثل مصوّر مبدع ، اراد ان يرسم صورة عزيز له وهو في غمرة الالم، فما كان منه الا ان رسم وجه ذلك الحبيب، وغطاه بحجاب كثيف ، تعبيراً عن «الآلام الغير المدركة» التي عجزت ريشته المبدعة عن تصويرها

ينقسم هذا الفصل الى سبعة أقسام رئيسية: (١) الصليب (١٩:١٦ بـ ١٨)

فأخذوا يسوع

(٢) عنوانه الصليب (١٩:١٩-٢٢). (٣) أربعة رجال من صفوف المتطوعة للمسيح (١٩:٢٣ و ٢٤). (٤) أربع نساء من صفوف المتطوعين للمسيح، ووصيتهن بأمر (١٩:٢٥-٢٧). (٥) اقتضاه من الكلمات التي فاه بها المسيح، وبعدها أسلم الروح (١٩:٢٨-٣٠). (٦) المسيح فصمنا الاكل (١٩:٣١-٣٧). (٧) الدفن (١٩:٣٨-٤٢)

(١) الصلب (١٩:١٦ ب-١٨): «فأخذوا يسوع ومضوا به!» - بهذه الكلمات، استهل يوحنا حادث الصلب الرهيب. فما كان اجزل سرورهم، حين ظفروا من بيلاطس بهذه «الهبة» المجانية، وما كان اكثر جهلهم اذ غفلوا عن قيمة هذه «العطية العظمى»، التي لا يعبر عنها» (٢ كو ٩:١٥)

«فأخذوا يسوع» - وردت كلمة «أخذ» - في الاصل - ثلاث مرات في هذه البشارة. في المرة الاولى (١١:١)، نرى الابن الازلي، مقدماً من الآب الى خاصته، واما خاصته فلم تحب. وفي المرة الثانية (٣:١٤)، نعاين الابن المجد، آتياً ثانية الى شعبه ليأخذهم الى نفسه. وفي المرة الثالثة (١٩:١٦ ب) نشاهد الابن المتجسد، وقد اسلمه بيلاطس الى خاصته فأخذته خاصته وقبلته - ولكن لتصلبه. «ومضوا به» - جاء في كتاب «المشنا» اليهودي - تليقاً على ما ورد في اللاويين ٢٤:١٤، وعدد ٣٥:١٥ «ان الصلب ينبغي ان يتم خارج المدينة»، لذلك عمل اليهود باحكام شريعتهم (١ مل ٢١:١٣ واع ٥٨:٧) «فمضوا بالمسيح» من اورشليم الى مكان خارج عنها - وفي هذا

ومضوا به . ١٧ فخرج وهو حامل صليبه الى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثة ١٨ حيث صلبوه

يقول كاتب الرسالة الى العبرانيين : « فان الذبائح التي يُدخل بدمها عن الخطية ، الى الاقداس ، بيد رئيس الكهنة ، تُحرق اجسامها خارج المحلة ، لذلك يسوع أيضاً لكي يقدس الشعب بدم نفسه ، تألم خارج الباب . فلنخرج اذاً اليه خارج المحلة حاملين عاره » (عب ١٣: ١٣ و ١٤).

يقول بلوطارخوس — حجة التاريخ الروماني القديم : « كانت قوانين الرومان تفرض على المحكوم عليه بالصلب ، ان يحمل صليبه بنفسه ، مسوقاً باربعة حراس » . وكذلك « خرج المسيح وهو حامل صليبه » بنفسه . غير ان الآلام النفسية والجسدية التي تكبدها منذ القبض عليه ، حتى ادوار المحاكمة الدينية ، ومراحل المحاكمة السياسية ، قد انهكت جسمه الرقيق ، واضعفته حتى رزح تحت الصليب . وكان من الضروري ان لا يسند لاهوته ناسوته في الآلام ، لكي يتجرّع غصص الصليب بكامل مرارتها ، من غير تلطيف ولا تخفيف . ويقول لوقا البشير ، انهم « أمسكوا سمعان رجلاً قيروانياً كان آتياً من الحقل ، فوضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع » (لو ٢٣: ٢٦ و ٢٧) . « ولما مضوا به الى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة » — وهو تل مرتفع ، مستدير الرأس ، يُرى من بعيد ، كأنه جمجمة بشرية — « ويقال له بالعبرانية : جلجثة » — وهي من اصل آرامي « جُلجُلْتة » ، ومعناها : « رأس » . ويعتقد بعض المحققين ، ان هذا المكان هو الالكمة الصخرية الواقعة عند « باب دمشق » ، على بعد نحو

وصلبوا اثنين آخرين معه من هنا ومن هناك ويسوع في الوسط .
١٩ وكتب يلاطس عنواناً

مُتًى ياردة عن السور القديم المعروف : «سور اغريباس» . هناك «صلبوا للمسيح ، وصلبوا اثنين آخرين معه ، من هنا ومن هناك ، ويسوع في الوسط» «ويسوع في الوسط» -- حتى في الآلام يسوع في الوسط ! فهل أعطى الرومان هذا للكان ليسوع ، على سبيل الاكرام التهكمي -- باعتبار كونه ملكاً -- كما قضت العوائد القديمة بأن يكون الملك محاطاً دائماً بواحد عن يمينه ، وآخر عن يساره ، وهو في الوسط ؟ ام هذا مكان وضعته فيه العناية ، تماماً لنبوة قديمة: «وأحصى مع أئمة؟» (اش ٥٣: ١٣) -- هذا هو الرأي الأصح

(٢) عنوانه الصليب (١٩: ١٩ - ٢٢)

عدد ١٩ . أ -- كلمات العنوانه -- قضت عادات الرومان ، بأن يكتبوا عنواناً على الصليب الذي يحمله المحكوم عليه ، اشهاراً للذنب الذي سيُصلب من أجله ، ثم يرفعون الصليب ، ويحملون المجرم ويسمرونه عليه -- وكانوا أحياناً يسمرون المحكوم عليه ، والصليب ملقى على الأرض. غير ان الطريقة الاولى كانت أكثر شيوعاً . فكانوا أولاً يمدّون يدي المذنب ، ويسمرونهما على الخشبة الاقية . واما الجسم فيرتكز على خشبة ناتئة لثلاث تمزق الكفان من ثقل الجسم ، فيقع المصلوب على الأرض. وكانوا يسمرون القدمين أيضاً كاليدين ، كما فعلوا بمخلصنا (لو ٢٤: ٣٩). وكان المصلوب يوضع على كيفية ، بحيث ان ادنى حركة تسبب له آلاماً مبرّحة. لان المسامير كانت

ووضعه على الصليب . وكان مكتوباً يسوع الناصري ملك اليهود .
 ٢٠ فقرأ هذا العنوان كثيرون من اليهود لان المكان الذي صلب فيه يسوع كان قريباً من المدينة . وكان مكتوباً بالعبرانية

تسبب الماء متزايداً في كل الجسم ، وكذلك الدم الذي يتجمع في الرئتين ويضغط على القلب ، كان يضيف عطشاً الى تلك الآلام المبرحة . على ان جميع آلام الصليب الجسدية ، لا تقاس بالنسبة الى آلام المسيح النفسية ، التي عاناها وهو معلق على الخشبة الملعونة — هذه هي الآلام الغير المعروفة

يقول يوحنا : ان «بيلاطس كتب عنواناً» — سواء بخط يده أو بأمر منه — «ووضعه على الصليب» . فكانت هذه آخر طعنه منه في صميم الامة اليهودية . وكان مكتوباً على ذلك العنوان : «يسوع الناصري ملك اليهود» . وبما ان هذا العنوان قد كتب بثلاث لغات — «العبرانية ، واليونانية ، واللاتينية» ، فمن المحتمل جداً ، ان متى اورد العنوان كما هو باللغة العبرانية . ويوحنا ، باليونانية . ومرقس ، باللاتينية . والى هذا يُعزى ما يُرى من فرق طفيف عدد ٢٠ — ب — شهادة لقات الارض للصليب : « فقرأ هذا العنوان كثيرون من اليهود ، لان المكان الذي صلب فيه يسوع كان قريباً من المدينة » . الى يوحنا وحده يُعزى هذا التعيين الجغرافي لمكان الصليب ، بالنسبة الى اورشليم . « وكان مكتوباً بالعبرانية ، واليونانية ، واللاتينية » — هذه هي اللغات الثموت الرئيسية في ذلك العصر . فالعبرانية لغة الرب ، واللاتينية لغة السياسة ، واليونانية لغة العلوم والآداب والفلسفة . فلغة الدين شهدت ، من غير

واليونانية واللاتينية. ٢١ فقال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس لا تكتب ملك اليهود بل ان ذاك قال انا ملك اليهود. ٢٢ اجاب بيلاطس ما كتبتُ قد كتبتُ.

قصد منها ، بان يسوع المصلوب هو المسيح الموعود، ابن داود، وابن الله . ولغة السياسة شهدت بان يسوع المصلوب ، هو المسيح ملك اسرائيل ، وملك المؤمنين ، بل ملك الملوك (رؤ ١٩: ١٢) . ولغة العلوم والفلسفة والاداب ، شهدت بان يسوع المصلوب هو المسيح كنز الحكمة، ورب الحق (كو ٢: ٣) . هذه نبوءة غير مقصودة من هذه اللغات ، بأن الممالك الممثلة فيها ، ستخسر ساجدة عند قدمي المسيح على ممر الاجيال

عدد ٢١. (ج) اعترضه اليهود على كلمات العنوانه . «... رؤساء كهنة اليهود» — هذه هي المرة الوحيدة ، التي وردت فيها هذه الثمرات الكلمات مرتبطة معاً في العهد الجديد . ولعلها ذكرت هنا مقابل العبارة : «يسوع الناصري ملك اليهود» . ان بيلاطس ، اذ كتب كلمة : «ملك اليهود» على الصليب ، قصد ان يعرض باليهود ويسخر منهم كأمة ، لذلك احتجوا لديه قائلين : «لا تكتب ملك اليهود . بل ان ذاك قال انه ملك اليهود» عدد ٢٢. (د) عناد بيلاطس : «أجاب بيلاطس ، ما كتبتُ قد كتبتُ» هنا ظهرت شخصية بيلاطس ، كما وصفها المؤرخ فيلو : «ان بيلاطس ، رجل صلب ، لاتلين قناته» . لكن عيبه انه لان حين وجبت الشدة (١٩: ١٦) وتشدد حين كان يغني اللين

٢٣ ثم ان المسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع اخذوا ثيابه وجعلوها اربعة اقسام لكل عسكري قسماً . واخذوا القميص ايضاً . وكان القميص بغير خياطة منسوجاً كله من فوق . ٢٤ فقال بعضهم لبعض لا نشقه بل تقترع عليه لمن يكون . ليتم الكتاب القائل

(٣) اربعة رجال من صفوف المعادية للمسيح (١٩: ٢٣ و ٢٤) — بعد ان اتم الجنود الرومان عملهم الوحشي ، انصرفوا الى تقسيم «الغنيمة» التي ظفروا بها من هذا المصلوب : «فأخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكري قسماً ، وأخذوا القميص أيضاً . وكان القميص بغير خياطة منسوجاً كله من فوق . فقال بعضهم لبعض : لا نشقه ، بل تقترع عليه لمن يكون» — وهكذا عميت بصائر أولئك الجنود المساكين عن كنز الخلاص الثمين ، المذخر في المسيح المصلوب ، لانهم لم ينظروا الى المسيح ببصائرهم بل ببصارهم ، فغاب عنهم صوابهم ، وقنعوا بغير الزائل عن ثواب الازلي ، ورضوا بقميصه المادي عن رداء برّه . انهم عينة لكثيرين من المسيحيين بالاسم ، الذين لا يصيبهم من المسيح وكنيسته إلا المظاهر الخارجية والانصبه الذاتية . أما قميص للمسيح الذي «كان منسوجاً كله بغير خياطة» ، فقد قرّر قرار الجنود على ان «يقترعوا عليه لمن يكون» — حسماً للنزاع ، وهكذا بلغت بهم قسوة القلب ، الى هذا الحد الذي صارت تحاولهم فيه المقامرة في ظل الصليب . هذا سهم آخر من الآلام النفسية ، كان يخرق قلب المسيح على الصليب ، وهو يعامل هذه المعاملة الداء من . سرية التي لاجلها وبسببها يتألم

اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي القوا قرعة . هذا فعله المسكر
٢٥ وكانت واقفات عند صليب يسوع امه واخت امه

يقول يوسفوس حجة التاريخ اليهودي : « ان القميص المنسوج كله
بغير خياطة » لم يحلّ لبسه الا لرؤساء الكهنة فقط ، وبذا شهد هذا المؤرخ
اليهودي ، على غير قصد منه ، لكرسوت المسيح المصلوب ، مثلما شهد قبله
ميلاطس الوثني ، ملكك المسيح (عدد ١٩) — والفضل ما شهدت به الأعداء .
وكذلك شهد الجنود الرومان لصدق الكتاب ، باقتراعهم على ثوب المسيح .
لانهم جعلهم هذا ، تمموا تلك النبوة القديمة القائلة : « اقتسموا ثيابي بينهم .
وعلى لباسي القوا قرعة » (مز ٢٢: ١٩)

(٤) اربع نساء موابيات للمسيح . ووصية بأمة (١٩: ٢٥ - ٢٧)

عدد ٢٥ . (١) اربع نساء موابيات للمسيح . عودنا يوحنا فيما سلف من
بشارته ، أن يرسم صورتين متقابلتين — امرأتهما : لأعداء المسيح ، والثانية :
للموالين له . ولقد مررنا بالصورة الاولى في العدين السابقين (عدد ٢٣ و ٢٤)
وها نحن الآن امام الصورة الثانية ، وفيها نرى اربع نساء من صفوف الموالين
اين أنت يا بطرس ؟ بل أين عهدك الجبارة ، حتى تترك مكانك ،
عند صليب سيدك ، لاربع نساء ضعيفات ؟ هذا دليل على أمانة المرأة ، التي
كانت آخر من ودّع المسيح عند صليبه ، وأول من رحّب به بعد قيامته
(١: ٢٠) . فليس في الدنيا ما يوازي شجاعة المرأة ، متى امتلأ قلبها الضعيف
من العزيمة . اما النساء اللواتي وقفن عند صليب المسيح ، فهن : (١) مريم ام

مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية . ٢٦ فلما رأى يسوع امه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً قال لامه

المسيح . (٢) أخت امه التي هي في الغالب سالومة — أم يعقوب ويوحنا ابني زبدي (متى ٢٧: ٥٦) ، وقد تحاشى يوحنا ابنها ، ذكر اسمها ، تواضعاً منه ، مثلما تحاشى ذكر اسمه هو . (٣) ^(١) مريم زوجة كلوبا — ويسمى أيضاً زوجها : «حلفا» (مت ١٠: ٣) . (٤) مريم المجدلية — هذه أول من رحّب بالمسيح المقام

عدد ٢٦ . (ب) كلمة المسيح لأمه . فهمنا من العدد السابق ، ان أمّ يعقوب ويوحنا ، هي أخت أم المسيح . فمن هذا يتبين لنا ، ان يوحنا كان مرتبطاً بيسوع بصلة قرابة جسدية ، فهو ابن خالته حسب الجسد . وبما ان المسيح ، قد جرّد من كل شيء حتى ثيابه ، ولم يبق له شيء مادي يتركه لأمه ، كان من الطبيعي ان يستودع أمه ليوحنا ابن أختها . هذا هو «التلميذ الذي كان يسوع يحبه» (انظر المقدمة العامة في صدر هذا الكتاب)

كان فادينا وقتئذٍ مغموراً بلبجة من الآم ، لكنه نسي نفسه ليفكر في غيره ، فأوصى لمعدّيه بالغفران ، (لوقا ٢٣: ٣٤) وللص التائب بالفردوس (لو ٢٣: ٤٢) ،

(١) في النسخة السريانية المعروفة بـ «البشتو» والفارسية والحبشية ورد حرف «الواو» قبل قوله : «مريم زوجة كلوبا» . ومن هذا يتبين ان مريم زوجة كلوبا ليست هي أخت المسيح . لانه من الصعب ان نعتقد ان أختين سميتا باسم واحد : «مريم» . وينجلي لنا نفس هذا المعنى متى فرضنا ان البشير ذكر اسماء النساء — اسمين اسمين مع وقف في الوسط : «امه وأخت امه . مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية» . كقول لوقا في ذكر اسماء المسيح : «بطرس واندراوس اخاه . يعقوب ويوحنا . فيلبس وبرثولماوس» (لو ٦: ١٤) .

يا امرأة هوذا ابنك . ٢٧ ثم قال للتلميذ هوذا امك . ومن تلك الساعة اخذها التلميذ الى خاصته

ولأمه برعاية يوحنا ، فألقى عليها من عرش صليبه نظرة كلها حنو ، وقال لها ،
موجهاً نظرها الى يوحنا : «يا امرأة هوذا ابنك» . ليس في كلمة «يا امرأة» —
كما وردت في الأصل — ما يفيد عدم الاحترام ، لان معناها الحرفي : «يا سيدة» .
(راجع تفسير ٤: ٢) . والظاهر ان المسيح لم يخاطبها بقوله : «يا أمي» ، لانه أراد
أن يوجه نظرها ، الى ان صلتها بها كمنخلص ، ارفع من صلتها به كأم . وهي
بسبب هاتين الصلتين ، كانت تختبر قوة تلك الكلمات التي سبق فأنبأها
عنها سمعان الشيخ : «وأنت ايضاً يجوز في نفسك سيف» (لو ٢: ٤٥)

عدد ٢٧ . (ج) كلمة المسبح ليوحنا : «ثم قال للتلميذ» — الذي هو
يوحنا الحبيب — كانت هذه البشارة — «هوذا امك» . أكان المسيح بهذه
الكلمة ، موصياً أمه بيوحنا ، أم كان موصياً يوحنا بأمه ؟ لانه اذا كان يوحنا
قد قدم فيما بعد ، خدمة مادية لأم المسيح ، فان الخدمات الروحية التي قدمتها ام
المسيح ليوحنا ، اثنى وأوفر . لأن يوحنا مدين لها بشيء غير قليل من المعلومات
التي أفضت بها اليه عن ابنها العجيب

«من تلك الساعة» — أي من ذلك الوقت الى يوم وفاتها — «أخذها
التلميذ الى خاصته» — أي الى بيته . ويظهر مما جاء في عدد ١٥ ، ومن مرقس
٢٠: ١ ، ان أسباب المعيشة كانت متوفرة لدى يوحنا

٢٨ بعد هذا رأى يسوع ان كل شيء قد كمل فلكى يتم الكتاب

(٥) اثنتاه من كلمات المسيح على الصليب، وتسلم الروح (١٩: ٢٨ - ٣٠)
عدد ٢٨. (١) آلام الصليب الجسدية: «انا عطشان»^(١)

«بعد هذا» - اي بعد ثلاث ساعات الظلمة، وقد فرغ المسيح من اتمام وصيته بشأن امه، رأى انه اكمل كل ما كان عليه ان يعمل، فلم يبق امامه إلا ان يتجرع كأس الموت. وهنا تنسم نسيم الرضا نتيجة شعوره باتمام كل ما كان عليه ان يعمل. وفي هذه الاثناء، سمح لنفسه بان ينتبه لحظة الى آلامه الجسدية، التي كان قد أنساه اياها اهتمامه بغيره، فقال: «انا عطشان»! فجاء قوله هذا، موافقاً لما ورد عنه في الكتاب (مز ٦٩: ٢١). فهو لم يقل «انا عطشان» بقصد ان يتم الكتاب، بل لانه كان عطشان فعلاً. لان آلام

(١) هذه هي الكلمة الختامية في ترتيب الكلمات التي طاه بها المسيح على الصليب. وفي الغالب جداً قيلت هذه الكلمات على النسق الآتي:

(١) طلبه المسيح لاجل أعدائه: «يا أبنا اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لوقا ٢٣: ٣٤) — هذا هو غفران المصلوب
(٢) قول المسيح للص: «الحق اقول لك انك اليوم تكون معي في الفردوس» (لوقا ٢٣: ٤٣) — هذا هو وعد المصلوب
(٣) قول المسيح لأمه: «يا امرأة هوذا ابنك» — ثم ليوحنا: «هوذا امك» (يو ١٩: ٢٦) — هذه هي وصية المصلوب

(٤) صرخة المسيح الى الآب: «الهي الهي لماذا تركتني» (متى ٢٧: ٤٦ ومر ١٥: ٣٤) — هذه هي وحشة المصلوب

(٥) قوله: «انا عطشان» (يو ١٩: ٢٨) — هذا هو شوق المصلوب
(٦) قوله: «قد اكمل» (يو ١٩: ٣٠) — هذا هو اطمئنان المصلوب
(٧) قوله: «في يديك استودع روحي» (لوقا ٢٣: ٤٦) — هذا هو الموت الاختياري الذي ذاقه المصلوب

قال انا عطشان . ٢٩ وكان انا موضوعاً مملوئاً خلا . فلاؤا اسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها الى فمه

الصليب المحرقة، كانت على جسمه الرقيق احراً من الحجر، فيبست لسانه من فرط العطش، لان اربع ساعات مضت منذ أن علقوه على الصليب. ويهمنا ان نذكر انه بين السبع الكلمات، التي نطق بها المسيح على الصليب، لم يفه إلا بهذه الكلمة الواحدة عن آلامه الجسدية. هذا عطش فدائي اختبره المسيح، ليرفع به عن المؤمنين، ذلك العطش المحرق، الذي كان عليهم ان يختبروه في لهيب الجحيم الابدي (لو ١٦: ٢٤)

قال المسيح المصلوب : « انا عطشان » ليستطيع المسيح الحي ان يقول بحق : « ان عطش أحد فليقبل اليّ ويشرب » (يو ٧: ٣٧)

عدد ٢٩ — ب — الخل المقدم له على زوفا : « وكان انا موضوعاً مملوئاً خلا . فلاؤا اسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا » — اي على ساق نبات من الزوفا، في شكل قصبة . من اجل ذلك سماها كل من متى ومرقس « قصبة » — « وقدموها الى فمه ». والارجح ان ذلك الاناء، كان ملكاً للعسكر

في هذه المرة، لم يرفض المسيح ان يشرب من هذا الخل، مع انه في آونة سابقة، رفض ذلك الخل الذي قدم اليه في بدء الصلب (متى ٢٧: ٣٤) لان ذاك كان ممزوجاً بمرارة وكان يُستعمل عادة كمخدر لتسكين الالم، لذلك رفض المسيح ان يشرب منه، لكي يكون على أشد ما يمكن من التنبه، فيتجرع كأس الالم حتى آخر قطرة . فهو عدو الممدرات حتى المات

٣٠ فلما أخذ يسوع الخل قال قد اكمل . ونكس رأسه

عدد ٣٠ — ج — الكلمة السادسة التي فاه بها المسيح على الصليب —
 « فلما أخذ يسوع الخل قال قد اكمل ». كما ان عطش المسيح كان موجوداً
 قبل ان يعبر عنه ، كذلك كان عمله قد اكمل (عدد ٢٨) ، قبل ان يعبر
 عن اكتماله بهذا الكلام . فكل النبوات القديمة ، الخاصة بمسيا المنتظر ، قد
 اكملت (اع ١٣: ٢٩) . وكل الآلام التي كان على المسيح ان يتحملها نتيجة
 خطايا البشر ، قد اكملت . وكل حرف في وصية الآب للمسيح ، قد اكمل .
 وكل رمز في العهد القديم قد اكمل . وكل ما كلفته به محبته للبشر ، قد
 اكمل . وكل انتظارات البشر فيه ، قد اكملت . وكل البرنامج الذي وضع
 امامه قد اكمل . ان قول القادي ، بعد اتمام الفداء : « قد اكمل » ، يذكرنا
 بما رآه الخالق ، بعد اتمام الخلق : « ان كل ما عمله حسن جداً » (تلك ١: ٣١)
 بين قول المسيح هنا « قد اكمل » وبين قول ملاك الرؤيا « قد تم »
 (رؤ ٢١: ٦) ، تمتد اجيال طويلة . فعلى المؤمنين ان يملأوها بخدمات
 التضحية ، وتضحيات الخدمة ، « لئيم » اختبارياً ، هذا البرنامج الذي « اكمله »
 المسيح على الصليب شرعاً وحققاً

د — المسيح يسلم الروح : « ونكس رأسه واسلم الروح » — هذه هي
 المرة الوحيدة التي تقرأ فيها ان المسيح نكس رأسه — ولكن امام ارادته هو لا
 امام الموت . فلم يكن في موته مجبراً ، بل طائعاً مختاراً ، لذلك « اسلم » روحه
 الى الآب ، كمن يسلم وديعة وعلى فمه ابتسامة الرضى . كان المسيح قبل ان

واسلم الروح . ٣١ ثم اذ كان استعداد فلكي لا تبقى الاجساد على الصليب في السبت لان يوم ذلك السبت كان عظيماً سأل اليهود

ينكس رأسه ، وسط لج الموت واقفاً بثبات عجيب ، فلما رأى ان كل شيء قد كل ، احنى رأسه باختياره . وسمح لامواج الموت ان تعج فوق رأسه — ولكن الى حين . فقد مات البار وفي قلب موته وعد بقيامته ، اذ ليس للموت سلطان عليه . هنا تمت كلمته الخالدة ، التي فاه بها في مناسبة سابقة : « هلينا يحبني الآب لاني اضع نفسي لآخذها أيضاً . ليس احد يأخذها مني ، بل اضعها أنا من ذاتي » (١٧: ١٠ و ١٨) .

(٦) المسيح فصحنا ابركل (٣١: ١٩ — ٣٧) . نحن مدينون ليوحنا البشير بملاحظاته الدقيقة ، التي اراق بها نوراً ساطعاً على حوادث الصلب ، التي مرّ بها البشرون الأولون مرّ الكرام ، فأقام منها هو حجباً دامغاً ، على ان يسوع المتألم هو المسيح الذي تمت فيه نبوات العهد القديم

عدد ٣١ . (١) . طلب حافظي شريعة الطفرس ، وطسرى شريعة الحو والرحمة : « ثم اذ كان استعداد ، فلكي لا تبقى الاجساد على الصليب في السبت ، لان يوم ذلك السبت كان عظيماً ، سأل اليهود بيلاطس ان تكسر سيقانهم ويرفعوا » . قضت عادة الرومان قديماً ، بأن يتركوا المصلوبين معلقين على الصليب ، ليموتوا على مهل ، فتنن جشهم ، وتصير مطعماً لطيور السماء ، ووحوش البر . لكن الشريعة اليهودية ، قضت من جانبها ، بأن تُرفع اجساد المصلوبين عن الصليب ، قبل حلول السبت « المقدس » ، لكي لا تحمل بارضهم

ييلاطس - ان تُكسر سيقانهم ويُرفعوا. ٣٢ فأتى العسكر وكسروا

«المقدسة» لعنة الجثث المصلوبة، متى بقيت على الصليب الى السبت (تث ٢١: ٣ و يشوع ٨: ٢٩ و ١٠: ٢٦). كذلك ايضاً، يقول يوسفوس المؤرخ اليهودي وما كان للرومان ان يبالوا كثيراً أو قليلاً بتنفيذ أحكام الشريعة اليهودية، لولا ان اليهود ألحوا على ييلاطس في الطلب، بأن تُكسر سيقان المصلوبين، لكي يعجلوا بماتهم، ويحملوا موتهم محقق الوقوع، فترفع أجسادهم عن الصليب حالاً، لان شمس يوم الجمعة قد آذنت بالغروب، فصاروا على أبواب السبت: «وكان يوم ذلك السبت عظيماً» - اي انه كان سبتاً مضاعفاً. لانه فضلاً عن كونه سبتاً اسبوعياً، فقد كان ايضاً اول يوم في الفصح الواقع في ١٥ نيسان. فهو بذلك يوم سبت، اي يوم «راحة» مقدسة وبما ان حمل الفصح، كان يُقدم على مذبح الهيكل عند غروب شمس الجمعة، ليؤكل بين العشاءين، ومن حيث ان المسيح مات على الصليب عند هذا الوقت عينه^(*)، فان في هذا حجة وثيقة على أن المسيح هو «فصحنا الجديد الذي قد ذُبح لأجلنا» (١ كو ٥: ٧)

عدد ٣٢. (ب). ييلاطس يجبرهم الى طلبهم، فبأمر العسكر يكسر ساقى الاول والاخر: «فأتى العسكر وكسروا ساقى الاول والاخر المصلوب معه».

(*) اطلب شرح بشارة لوقا للمؤلف صفحة ٥٥٣، يتضح لك ان رواية يوحنا تتفق ورواية البشيرين الاولين في ان المسيح مُصلب يوم الجمعة في الوقت الذي كان فيه حمل الفصح مقدماً على المذبح في الهيكل

ساقِي الاول والآخر المصلوب معه . ٣٣ واما يسوع فلما جاءوا اليه لم يكسروا ساقيه لانهم رأوه قد مات . ٣٤ لكن واحداً من

ان يلاطس الذي سبق فأجاب اليهود الى طلبتهم العظمى ، وأسلم المسيح اليهم (عدد ١٦) ، لم يجد بُدأ من اجابتهم الى ملتصمهم الهين في نظره

وهكذا كان اليهود يلبسون ناموس الرحمة، ويقلبون ناموس الطقوس عدد ٣٣ و ٣٤ . (ج) انطفئة التهور : « واما يسوع فلما جاءوا اليه لم يكسروا ساقيه . لانهم رأوه قد مات . لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة ، وللوقت خرج دم وماء . ان خروج الدم والماء ، من جنب المسيح بعد موته، يُحسب ظاهرة غريبة. لكنها حقيقة واقعة على الرغم من ذلك. لان المسيح «عجيب». فلا عجيب اذا كان موته كذلك عجيباً . وها نحن اولاء نورد تعليلاً طبيياً، ديجته يراعة الدكتور درموند روبنسون^(*)، أحدا الأطباء الذين يشار اليهم بالبنان في عالم الطب في وقتنا الحاضر : « يموت المصلوب عادة في مدة تتراوح بين ٢٤ - ٢٨ ساعة. لكن موت المسيح كان غير اعتيادي، لانه أسلم الروح بعد ان قضى ست ساعات على الصليب - من الساعة ٩ صباحاً الى ٣ بعد الظهر . ومن المعلوم . ان المصلوبين يموتون عادة نتيجة هبوط تدريجي في الجسم ، لكن موت المسيح لم يكن كذلك . لان فادينا «نادى بصوت عظيم» قبيل تسليمه الروح (لو ٢٣: ٤٦) . فمن المحقق اذاً ، انه مات متأثراً بانفجار فجائي في جدران القلب، نتيجة ضغط الآلام النفسية عليه. هذا

* G.H. Drummond Robinson M.D. F.R.C.P.—See the "DAWN"—May 16, 1927,

المسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء . ٣٥ والذي عاين
شهد وشهادته حق

مصدق لما جاء عنه في النبوة: «العار كسر قلبي» (مزمو ٦٩: ٢٠). ومن المسلم
به طبيياً، انه عند ما تنفجر جدران القلب، ينساب الدم من تجويف القلب الى
غاشيته المحيطة به ، المعروفة في عالم التشريح بـ « التامور » ، فينتج عن هذا
عادة، سكتة قلبية، تنتهي بالموت العاجل . من ثمَّ ينفصل هذا الدم المنساب،
الى قسمين : اولهما — مكوّن من خثارة حمراء دموية . والثاني : عبارة عن
مصل مائي . هذان هما « الدم والماء » (*) اللذان خرجا من جنب المسيح ،
حالما طعنه الجندي ، تلك الطعنة القاسية ، التي فتحت في جنبه ثغرة واسعة
تكفي لوضع الكف البشرية فيها (٢٠: ٢٧)»

يقول الكتاب: « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » . ولا مشاحة في ان
الدم الذي يسفك من يدي المصاب ورجليه ، لا يقاس بالنسبة الى الدم الذي
يسفك نتيجة حدوث انفجار في جدران القلب. لذلك، قال يوحنا : « هذا هو
الذي أتى بماء ودم . يسوع المسيح . لا بالماء فقط بل بالماء والدم » (١ يو ٥: ٦)
يعتقد بلومر — من غير ان يذكر اساساً قوياً لاعتقاده — ان الدم والماء ،
يرمزان الى فريضتي العشاء الرباني ، والمعمودية !

عدد ٣٥ . (د) يوحنا البشير . نتم رواية العباية . نتم شهادته : « والذي
عاين » — اي يوحنا نفسه كاتب هذه البشارة — « شهد وشهادته حق » .

(*) جاء في التلمود لليهودي « فصل شيموت » تعليقاً على ما جاء في مز ٧٨: ٢٠ انه
عندما ضرب الصخر مرتين بعصا موسى ، خرج منه دم اولاً ثم ماء

وهو يعلم انه يقول الحق لتؤمنوا انتم . ٣٦ لان هذا كان ليتم الكتاب القائل «عظم لا يكسر منه» . ٣٧ وايضاً يقول كتاب آخر

لم يكتب البشير بان يقول ان شهادته مبنية ، بل قال انها «مبنية» . فهي اذاً شهادة مبنية ، رصينة ، وثابتة . «وهو يعلم» — علم اليقين — «انه يقول الحق ، لتؤمنوا انتم» (١٩: ١ و ٣٢ و ٣٤ و ١٣: ٨ و ١٤ و ٧: ١٢)

لقد وضع يوحنا خم شهادته على هذه الرواية : (١) لكي يقرر ، انه وان يكن خروج الدم من الجسم بعد الموت أمراً غريباً ، الا انه على رغم ذلك ، قد وقع بالفعل . (٢) ليدحض الاقتراءات اليهودية — وما اليها — التي حاولت ان تلقي سحابة من الشك على موت المسيح وقيامته (متى ١٣: ٢٨-١٥) . (٣) لكي يؤيد حقيقة لاهوت المسيح ، وحقيقة ناسوته — بخلاف ما نادى به الايونيون والغنوسيون . (٤) لكي يقرر من غير ما لبس ولا ابهام ، ان يسوع المصلوب ، هو «مسيا» المنتظر ، الذي تمت فيه نبوات العهد القديم

عدد ٣٦ . (هـ) المسيح فصمنا ابراًكل : «لان هذا كان ، ليتم الكتاب القائل : «عظم لا يكسر منه» — الاشارة هنا ، الى ما جاء في خروج ١٢: ٤٦ وعدد ١٢: ٩ . هذه هي الحقيقة التي نادى بها بولس الرسول ايضاً : «لان فصمنا المسيح قد ذُبح لاجلنا» (١ كو ٥: ٧) . لذلك كان من المحتم ، ان عظام المسيح الكامل ، «تُحفظ جميعها» وان واحداً منها لا ينكسر» (مزمو ٢٠: ٣٤)

عدد ٣٧ . (و) المسيح المصلوب هو مسيا رجاء اليهود ، ومشتهى الامم «وايضاً يقول كتاب آخر : سينظرون الى الذي طعنوه» . وردت هذه النبوة

سينظرون الى الذي طعنوه . ٣٨ ثم ان يوسف

في زكريا ١٢: ١٠ ، لتصف آلام المسيح قبل مجيئه الاول . وقد عرفنا يوحنا البشير ، في سفر الرؤيا (رؤ ١: ٧) ، انها تنطبق أيضاً على المسيح في مجيئه الثاني . فهي اذاً منطبقة على المسيح رجاء اليهود، ومشتهى الامم

(٧) الرقص - ظهور التلمذية اللزيم طالت مدة تخفيهما (١٩: ٣٨-٤٢)

انسانان ممتازان ، ظلا مدة غير قصيرة من الزمان ، تلميذين للمسيح اثنا وجوده بالجسد على الارض . لكنهما كانا تلميذين متخفين ، لسبب الخوف من اليهود . فلا شك انهما كانا يحرصان شديد الحرص على عضويتهما في مجمع السنهدريم ، وكانا يخشيان من ان يفقدا مكانتهما الاجتماعية بين قومهما . ومن المحقق ، انهما كانا يرضنان باموالهما الطائلة من ان تعبت بها عواصف الاضطهادات الدينية . لذلك ظلا متخفين طوال هذه المدة . ولعلهما كانا يطمانان في ان تتاح لهما فرصة ، فيها يخدمان سيدهما مدة تخفيهما . وفعلاً استطاع احدهما - نيقوديموس - ان يدافع عن المسيح في احدى جلسات السنهدريم - دفاعاً ما أضعفه (٧: ٥٠) !

لكن بعد ان صُلب المسيح ، صهرت نيران صليبه ذلك الخوف ، الذي كان مستولياً على نفسيهما ، واحرقت الربط الاجتماعية التي كانت تغل ايديهما وارجلهما ، وسلطت عليهما قوة المصلوب ، فاجتذبتهما وانتزعتهما من مخبئيهما وصبت في دمائهما ناراً وحديداً . وها نحن نراها الآن على احسن ما يكون عليه المرء من شجاعة ، وبطولة ، وولاء

عدد ٣٨ . (١) ولوا اولهما - يوسف الرامي : «ثم ان يوسف ، الذي

الذي من الرامة وهو تلميذ يسوع ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود سأل ييلاطس ان يأخذ جسد يسوع . فأذن ييلاطس فجاء واخذ جسد يسوع . ٣٩ وجاء ايضاً نيقوديموس الذي اتى اولاً

من الرامة — ومعناها « المرتفعة » او « الصعيد » — « وهو تلميذ يسوع ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود ، سأل ييلاطس ان يأخذ جسد يسوع » .
 شتان بين هذا الطلب الذي تقدم به هذا التلميذ الامين الى ييلاطس ، وبين ذلك الذي سأل به اليهود من ييلاطس عينه . هذا طلب جسد يسوع ، ليقدّم له كل اكرام . واولئك سألوا ييلاطس ان تُكسر سيقان المصلوبين الثلاثة ، تقدّيساً لطقوسهم النافلة ، وتدنيساً لقلوبهم ، باضافة آلام جديدة على آلام المصلوبين . اما ييلاطس ، ذلك القوي الجبان ، والعنيد المطواع ، فقد اجاب طلب رؤساء اليهود ، مثلاً اجاب ملتمس يوسف الرامي : « فأذن . فجاء واخذ جسد يسوع » . ولا يفوتنا ان نذكر الشجاعة العظيمة ، التي تسلم بها يوسف الرامي ، قبل ان يذهب الى ييلاطس ، ليطلب منه جسد يسوع . لان مثل هذا الطلب يحمل معه تهديداً لمركزه الاجتماعي والديني بين اليهود ، وينطوي على تعريض ضمني بسمعته الادبية ، في نظر ييلاطس نفسه

عدد ٣٩ . (ب) ولله الشكر — نيقوديموس : « وجاء ايضاً نيقوديموس ، الذي اتى اولاً الى يسوع ليلاً ، وهو حامل مزيج مر وعود ، نحو مئة منا » .
 ان هذا اللقب : « الذي اتى الى يسوع ليلاً » ، لم يفارق نيقوديموس مطلقاً (١: ٣ و ٤٩: ٧ و ١٩: ٣٩) . قد يُشفي المرء من ضعفاته الادبية والروحية ، لكن

الى يسوع ليلاً وهو حامل مزيج مر وعود نحو مئة مناً . ٤٠ فأخذنا
جسد يسوع ولفناه بأكفان

أثرها يظل عالقاً به . كمر يض يُشفى من مرض الجدري مثلاً ، لكن آثار
هذا المرض الخبيث ، لا تبرح جسمه مهما طال المدى . على ان رحمة الله ،
غافرة ومغيرة ، ومجددة وممجدة . فهي تخاق من ضعفاتنا قوة (٢ كو ١٢: ١٠)
يستفاد من قول البشير : « وجاء أيضاً نيقوديموس » ، ان ليوسف الرامي
فضل الاسبقية على نيقوديموس ، وربما كان ذهابه الى ييلاطس ، خير مشجع
لنيقوديموس . لكن هذا الاخير ، استطاع ان يعوض عن بعض تقصيراته ،
بسطاء تقدماته : « فجاء حاملاً مزيج مر وعود نحو مئة مناً » — والمنا رطل
مصري ، فائلة مناً ، تساوي قنطاراً مصرياً . هذا يدل على ان نيقوديموس
كان غنياً جداً ، ولعله بالغ في هذه التقدّمات ، لكي يغمر بها جسد ذاك ،
الذي سبق فغمره من على الصليب بفيض غفرانه . وجدير بالذكر ، ان مثل
هذه التقدّمات ، لا تقدم الا للملوك ! هذه شهادة ضمنية لملك المسيح

مسكين انت يا نيقوديموس ! فلو كنت قد قدمت بعض هذه التقدّمات
للمسيح ، وهو حيّ بجسده على الارض ، لتمتعت بابتسامة الرضى من شفّتيه
الطاهرتين . لكن عزاءك الآن ، هو ان المسيح حيّ لن يموت ، وهو لن
ينسى « تعب محبتك ، وعمل ايمانك ، وصبر رجائك » (١ تس ١: ٣)
عدد ٤٠ . (ج) وروّهما المشترك : « فأخذنا جسد يسوع ولفناه بأكفان
مع الاطياب كما لليهود عادة ان يكفنوا » — على خلاف عادة المصريين في

مع الاطياب كما لليهود عادة ان يكفنوا . ٤١ وكان في الموضع الذي صُلب فيه بستان وفي البستان قبر جديد لم يوضع فيه احد قط . ٤٢ فهناك وضعا يسوع لسبب استعداد اليهود لان القبر كان قريباً

تكفين اجساد موتاهم ، اذ كانوا ينزعون الامعاء من الجسد قبل تحنيطه على ما عرفنا هيرودت المؤرخ الشهير ، وكما ناهد في المتحف المصري العظيم

عدد ٤١ . (د) وصف موضع القبر : « وكان في الموضع الذي صلب فيه بستان . وفي البستان قبر جديد » - لكي « لا يرى » جسد المسيح الطهور اي فساد - حتى فساد عظام القبور - « فهناك وضعا » - جسد - « يسوع » . يفهم مما جاء في اعمال ١٣: ٢٩ ، ان اليهود اشتركوا مع نيقوديموس ويوسف الرامي ، في دفن جسد يسوع . اما اليهود ، فعن حسد ، وحق ، وبغضاء . واما نيقوديموس ويوسف الرامي ، فعن محبة ، وولاء .

عدد ٤٢ . (د) وضع الجثمان في القبر : كان اليهود آنذ يستعدون لذبح حمل الفصح ، بعد ان فرغوا من ذبح حمل الله . من اجل ذلك ، أُجريت عملية الدفن بغاية العجلة ، لان السبت كان على الابواب . ومما ساعد على انجاز الدفن بسرعة ، ان القبر كان « قريباً من اورشليم »

غالباً جداً ، كان هذا البستان والقبر ، ملكاً ليوسف الرامي . لكن لافضل ليوسف في تقديمه بستانه للمسيح لان المسيح سبق فجاد على يوسف وامثاله ، بفردوس الخلود (رؤيا ٢: ٧) . ولا فضل للرامي في تقديم قبره ليسوع ، لان المسيح سبق فاعده له ان « يجلس معه في عرشه » (رؤيا ٣: ٢١)

الاصحاح العشرين

القبر الخالي

المسيح ينتقل من القبر الى المجد . والتلاميذ ينتقلونه من العباءة الى البرعامة
 في الاصحاح السابق ، تركنا المسيح في ذلك القبر الجديد الذي لم يوضع
 فيه احد من قبل ، وتركنا تلاميذه في قبر من اليأس والاحزان . فما اشد
 الخوف الذي كان مستولياً على قلوبهم طوال يوم السبت ، الذي اعقب يوم
 الصلب ، بل ما ارهب السكون الذي خيم على قلوب رؤساء الكهنة بعد
 انقضاء تلك العاصفة الهوجاء التي اثاروها ، فاختتمت بالصلب . ومن الحق
 انهم شعروا بدهشة مرهبة ، ورهبة مدهشة ، حينما ذهبوا الى الهيكل في
 صباح سبتهم «المقدس» ، ورأوا «حجاب» الهيكل السميك ، وقد «انشق»
 من فوق الى اسفل» (متى ٢٧: ٥١) . ولعل ذلك اليوم ، كان ارهب الايام
 عليهم ، واشقاها على التلاميذ ، الذين قد تشتت شملهم بعد ان ضرب راعيهم،
 وهُدم صرح آمالهم في «مسيا المنتظر» ، فقد كانوا هم ايضاً «يرجون انه هو
 المزمع ان يفدي اسرائيل» (لوقا ٢٤: ٢١)

غير ان هذه المخاوف التي خيمت على قلوب التلاميذ منذ غروب شمس
 الجمعة ، لم تكن سوى سحابة صيف ، بددتها شمس صباح الاحد ، فتبدلت
 اتراحهم افراحاً ، واستعالت مخاوفهم يقيناً ، واهتزت قلوبهم بنشوة الظفر ،
 عند ما سرت بينهم هذه البشرى : «الرب قام بالحقيقة» ! (لوقا ٢٤: ٣٣)
 كل قبر محفور في الارض ، يُعتبر موقعة ظفر للموت ملك الاهوال ،

سكن قبر المسيح صار مدفناً للموت ، ومقبرة لاعوان الشر ، ومطلع حكمة ،
 وكنز عزاء ، ومنبت انوار للمؤمنين . ولا عجب فهو القبر المثمر « في بستان »
 واذا حق للانسان ان يسحب من قيامة الموتى ، فمن حقه ان يسحب اذا
 لم يكن للمسيح قد قام . لانه « كان ينبغي ان يقوم المسيح من الاموات »
 (١: ٢٠) . فالقيامة هي الختم الالهي ، الذي كان ينبغي ان تتوج به حياة
 هذا الكامل الاوحد . لاننا نحن البشر الفاسدين نولد في الارض ، وعوامل
 الفساد تعمل فينا . فكان حياتنا منسوجة بخيوط العلم . لأنها في اتم مظاهرها
 موت بطيء . لكن للمسيح « قدوس الله » ، قد جاء ارضنا ، وعاش بيننا ،
 ولم « يكن لرئيس العالم فيه شيء » — بشهادة الاعداء والاصدقاء — فكان من
 الختم ، ان الذي تنزه جسده عن فساد الحياة ، لا يرى ايضاً فساد القبر
 ان قيامة المسيح ، هي طابع رضى الآب عن ذبيحته الكفارية التي قدمها
 على الصليب . لان كل ذبيحة مقبولة لدى الله ، كانت ترتفع الى السماء على
 نسائم رضى الله . فكان من الختم اداً ، ان يرتفع المسيح بجسده الى السماء ،
 علامة رضى الآب عن ذبيحته . ولا شك في ان الذي فاز برضى الآب عنه
 عند نهر المعمودية (لو ٣: ٢٣) ، وكسب مسرة الآب به على جبل التجلي
 (مت ١٧: ٥١) ، وظفر بتمجيد الآب له عند تل الجلجثة (يو ٣: ٢٨) ،
 يكون ايضاً حقيقاً برضى الآب عنه ، بعد ان « اكل » تدير الفداء (يو ١٩: ٣٠)
 ان قيامة المسيح ، هي حصن ايماننا ، وحبّة قيامتنا العتيدة (١ كو ١٥ :
 ١٣ و ١٤) ، وهي خير باعث لنا على السلوك في جدة الحياة (١: ٣ — ٣) .
 هي ختم بنوة المسيح الازلية (رو ١: ٤) ، وهي باب دخوله الى المجد الذي كسبه

لنفسه بآلامه وموته (في ٩:٢ وعب ٩:٢)، وهي تاج عمل الفداء الذي قام به عنا، اذ «أُسلم من اجل خطايانا وأقيم لاجل تبريرنا» (رو ٢٥:٤)

بعد ان أدخل جسد المسيح الى القبر، وُضع على باب القبر حجر كبير، ثم «مضى رؤساء الكهنة والفريسيون وضبطوا القبر بحراس من قبل يلاطس. وختموا الحجر» (مت ٢٧:٦٢-٦٦). فكان القبر اذاً، في قبضة اعداء المسيح، الذين افرغوا جعبتهم في ابتكار أبرع الوسائل لحبس هذا الجسد المقدس داخل القبر. وكانهم عقدوا مؤامرة مع الموت لابقاء «قدوس الله» في ظلمة القبر. وفي الوقت نفسه، كان تلاميذ المسيح الساكنين محاطين بجوٍ تسوده عوامل مدمرة: اولها - بأسهم من المستقبل المظلم الذي ينتظرهم، بعد ان وُضع الحجر الكبير على قبر سيدهم. والعامل الثاني - خوفهم من ماضهم، اذ صاروا محاطين باليهود الذين سطوا على الراعي، فلا يتورعون من ان يسطوا ايديهم على الرعية ايضاً. والعامل الثالث - اسفهم على ماضهم تركوا فيه اشغالهم، وودعوا اهلهم وذويهم، ليتبعوا انساناً صار القبر غاية مصيره، فلولم يكن المسيح قد قام، لما قامت لتلاميذه قائمة. ولولم يعتلى تلاميذه بيقين القيامة في انفسهم، لصار مهد الكنيسة لحدّها

من اجل هذا، اهتم كل البشيرين بتسجيل حادثة قيامة الفادي. الا ان كلاً منهم حدثنا عن الحوادث المتعلقة بالقيامة من وجهة نظره الخاصة. ولا يبرح عن بالنا، ان يوحنا كاتب هذه البشارة، لم يقصد ان يقدم لنا تاريخاً وافياً للحوادث التي وقعت بين قيامة المسيح وصعوده - فان بشارته كتبت في وقت كانت فيه الكنيسة المسيحية ملة غاية الالمام بالحوادث المتعلقة

بالقيامة — ولكنه اختار من جعبة اختباراتِه الخاصة، بعض الحوادث، كنهاج تحمل بين طياتها رمزاً معنوياً لحقائق روحية، أراد ان يجعلها نصب اعيننا . فجاءت روايته، بحكم طبيعتها، متممة ومؤيدة لروايات من سبقوه من البشيرين وجدير بالذكر، ان ما كتبه يوحنا في الاصحاحين التاليين، عن الحوادث المتعلقة بالقيامة، يقابل ما كتبه في الاصحاحين السابقين عن حوادث الصلب . في حوادث الصلب، ارانا بغضة اليهود للمسيح، وقد هوت الى حضيض البغضاء والانتقام والاجرام . وفي حوادث القيامة، ارانا محبة التلاميذ للمسيح، وقد ارتقت من مستوى العيان المنخفض الى اوج الايمان الراقى . فاذا كان ظل الموت منعكساً على الاصحاحين السابقين، فان نور الحياة الجديدة يسطع في ارجاء الاصحاحين التاليين

ولقد اهتم أيضاً يوحنا البشير بتدوين حوادث معينة، انتقاها لتكون صوراً حية تمثل شخصيات بارزة، بكل وضوح وجلال، — كشخصية بطرس، ويوحنا نفسه، وتوما، ومريم المجدلية

فمن الحوادث التي تفرد يوحنا بذكرها : اعطاء المسيح لتلاميذه سلطاناً لاعلان الحل والعقد (يو ٢٠: ٢٣)، وظهور المسيح للتلاميذ وتوما معهم في الاحد الثاني للقيامة (٢٠: ٢٦) . هذا فضلاً عن حوادث الاصحاح الختامي ومما يسترعي الالتفات، في الحوادث التي دوّنها يوحنا : درجات الايمان، الممثلة في الاشخاص الذين آمنوا بحقيقة القيامة : (١) فالتلميذ « الذي كان يسوع يحبه » آمن نتيجة مموت علامات تجلت له، من غير ان يرى المسيح بالذات (٢٠: ٨) . (٢) و« مريم المجدلية » آمنت بعد ان سمعت المسيح منادياً

اياها باسمها (٢٠:١٤-١٦). (٣) و«التلاميذ» آمنوا اذ رأوا مجروح الرب (٢٠:٢٠). (٤) و«توما» آمن بعد ان عرصه عليه المسيح انه يضع يده في جنبه كما طلب (٢٧:٢٠). اما ارقى درجة في الايمان ، فقد جعلها المسيح من نصيبنا نحن الذين انتهت الينا اواخر الدهور: «طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (٢٩:٢٠) ومع انه من الصعوبة بمكان ، ان نعين بالضبط ، الوقت الذي وقعت فيه الحوادث المتعلقة بالقيامة ، الا اننا نستطيع ان تقدّر وقتاً تقريبياً ، لبعض تلك الحوادث ، استناداً الى اوثق المصادر :—

السبت الساعة ٦ مساءً مريم المجدلية ، ومريم ام يعقوب تعانين القبر (مت ٢٨:١)

حوالي ٦ ١/٢ مساءً مريم المجدلية ، ومريم ام يعقوب ، وسالومة تشترين حنوطاً (مر ١٦:١)

الأحد باكراً جداً القيامة ، فالزلزلة ، فنزول الملاك ، وفتح القبر (مت ٢٨:٢-٤)

الساعة ٥ صباح الأحد مريم المجدلية ، ومريم ام يعقوب ، وسالومة ، وبعض النساء ، يذهبن الى القبر ، فتسبقهن (وقت السحر)

مريم المجدلية ، ثم ترجع توما لتخبر بطرس ويوحنا بما رأيت (يو ٢٠:١-١٠)

الساعة ٥ ١/٢ صباحاً رفيقات مريم يصلن الى القبر (مر ١٦:٢)

فيتراءى لهم الملاك ، ويوصيهم برسالة الى
التلاميذ (مت ٢٨: ٥ ، ومر ١٦: ٥)
جماعة اخرى من النساء ، يأتين الى القبر
(لو ٢٤: ١)

قبيل ٦ صباحاً

ظهور ملاكين ، لهذا الفريق الثاني من النساء ،
وافضاؤهما اليهن بكلمات معزية (لو ٢٤: ٤)
ذهاب بطرس ويوحنا الى القبر ، وظهور
الملاكين لمريم المجدلية (يو ٢٠: ٣-١٣)
وفي نحو هذا الوقت ، ذهبت النساء ليلفن
التلاميذ خبر القيامة (لو ٢٤: ١٠)

الساعة ٦ صباحاً

» ٦ ١/٢ صباحاً

المسيح يظهر نفسه لمريم المجدلية (يو ٢٠: ١٤-١٨ ومر ١٦: ٩) ، وبعد وقت قصير ،
يظهر ذاته لجماعة من النساء ، كنّ راجعات
الى القبر ، (مت ٢٨: ٩)

الساعة ٧ صباحاً

ظهوره لبطرس (لو ٢٤: ٣٤ و ١ كو ١٥: ٥)
ظهوره لتلميذي عمواس (لو ٢٤: ١٣
ومر ١٦: ١٢)

حوالي ٤ بعد الظهر

بين ٤ و ٦ بعد الظهر
(على وجه التقريب)

ظهوره لجماعة الرسل وآخرين (لو ٢٤: ٣٤
ومر ١٦ و ١٤ يو ٢٠: ١٩)

الساعة ٨ مساءً

اما المرات التي ظهر فيها المسيح مدة الاربعين يوماً التي توسطت بين قيامته وصعوده ، فقد استطعنا ان نرتبها في الجدول الآتي — على قدر ما وصل اليه علمنا ، بعد البحث والاستقراء :

الكاتب الذي أنبأنا بالظهور	زمان الظهور	مكان الظهور	الذين ظهر لهم	ترتيب الظهور
يوحنا ١٤:٢-١٧ ومرقس ١٦:٩-١١ مت ٢٨:٨ و ٩ لو ٢٤:٣٤ و بولس في ٢ كو ١٥:٥	الساعة ٧ صباحاً بعد الساعة ٧ « بقليل حوالي الساعة ٤ بعد الظهر بين الساعة ٤ و ٦ بعد الظهر الساعة ٨ مساء	عند القبر في الطريق بين القبر واورشليم في اورشليم على طريق عمواس في العلية في اورشليم	لريم المجدلية للنساء وهن راجعات من القبر لبطرس لاثنتين من غير الرسل لرسل في غياب توما	الاول الثاني الثالث الرابع الخامس
يو ٢٠:٢٦-٢٦ يو ٢١:٢٤-٢٤ (مت ٢٨:١٦) مت ٢٨:١٦-٢٠ و ١ كو ١٥:٦ بولس في ١ كو ١٥:٧ لوقا في اع ١-٣ و ١ كو ١٥:٧	بعد القيامة بثانية أيام في شهر مايو في شهر مايو في شهر مايو قيل صعوده	في العلية في اورشليم على شاطئ بحر طبرية على جبل في الجليل في اورشليم (غالباً) في اورشليم	للاحد عشر رسولاً وتوما معهم لسبعة من الرسل للاحد عشر رسولاً و ٥٠٠ أخ ليعقوب للاحد عشر رسولاً	السادس السابع الثامن التاسع العاشر

١ وفي اول الاسبوع جاءت مريم المجدلية الى القبر باكراً

خامساً : القيامة (١:٢٠ - ٣)

هذا اصحاح الحياة الجديدة . فلا غرو اذا كان قلبه نابضاً بحياة الايمان وايمان الحياة : « فرأى وآمن » (٨:٢٠) . ينقسم هذا الفصل الى ثمثة اقسام :
(١) المعلومات الثمثة المثبتة لحقيقة القيامة (١:٢٠ - ١٠) . (٢) الظهور المثلث (١١:٢٠ - ٢٩) . (٣) غاية يوحنا من كتابة بشارته (٢٠:٣٠ و ٣١)

(١) المعلومات الثمثة المثبتة لحقيقة القيامة : أ - العلامة الاولى : القبر المفتوح (٢٠:١ و ٢) - هذه العلامة رآتها مريم وخبرت بها - ب - العلامة الثانية : القبر الخالي - ا كفان ولا جسد (٢٠:٣ - ٦) : هذه العلامة تحققها بطرس ويوحنا - ج - العلامة الثالثة : المنديل الملفوف على حدة (٢٠:٧ - ١٠) . هذه العلامة وسابقتها كانتا سبباً في ايمان بطرس ويوحنا

(١) المزمومة الاولى - القبر المفتوح (٢٠:١ و ٢)

عدد ١ - (١) مريم المجدلية ترى القبر المفتوح : « في اول الاسبوع جاءت مريم المجدلية الى القبر باكراً والظلام باقٍ . فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر » . ينتهي الاصحاح السابق ببدء آخر « سبت يهودي » في العهد القديم . ويُستهل هذا بفرقة اول « سبت مسيحي » في العهد الجديد . وما كاد يحل آخر سبت يهودي على العالم حتى كان ظلام البشرية على اشده . لان جسد مخلص الانام كان قد أُودع في القبر ووضع على القبر حجر ، ولكن ما كاد يبرغ فجر السبت المسيحي الاول ، حتى كانت انوار الفداء قد عمّت الارحاء

والظلام باقٍ فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر . ٢ فركضت وجاءت الى سيمان بطرس والى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه وقالت

لان « شمس البر » قام من قبره قبل ان تقوم شمس الطبيعة من خدرها فكان خليقاً بالذي بدد ظلمة القبر، ان يقوم والظلام مخيم على الارض . من اجل ذلك لم يستطع احد ان يرى « كيف » قام المسيح ، ومع اننا نؤمن ايماناً وطيداً ان المسيح قام « حقاً » . فديانته ليست ديانة « الكذيف » بل ديانة « الحق » يُستهل هذا الاصحاح بآية ، تنبئنا : « الآية » الاولى للمثبتة لحقيقة القيامة وهي — القبر المفتوح . ومن العجيب ان اول من شهد هذه « الآية » ، امرأة لم تكن في حياتها السابقة ذات مركز اجتماعي سام — مريم المجدلية^(١) التي يقول عنها لوقا ان الرب « اخرج منها سبعة شياطين » (لو ٨: ٢) . فلا عجب اذا رأيناها مبكرة وذاهبة الى القبر في مقدمة الجميع، لانها كانت في مقدمة من غمرتهم افضال المسيح . فتقلل الدين يقابله ثقل في المسئولية

عدد ٢ . (٢) المجدلية نجير بطرس ويوحنا بما رأيت : « فركضت وجاءت الى سيمان بطرس والى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه وقالت لهما اخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم اين وضعوه » . يُستنتج من تكلم مريم بصيغة الجماعة : « لسنّا نعلم اين وضعوه » ، انها كانت تتكلم عن نفسها وعن

(١) لقيت مريم : « المجدلية » ، نسبة الى بلدها « مجدل » وهي المدينة التي اتى الى تخومها المسيح بعد ما اشبع الاربعة الآلاف ، في الجنوب الشرقي من بحر الجليل (متى ١٥: ٣٩) ويعتقد الاكثرون انها « المجدل » الحالية ، التي تبعد نحو ساعة الى شمالي طبرية

لها اخذوا السيد من القبر

النساء اللواتي ذهبن الى القبر بزعامتها ، ومعهن حنوط لتعطير جسد المسيح
(مت ٢٨: ٢١ ومر ١٦: ٢ ولو ٢٤: ١٠)

ويستفاد مما كتبه البشرون الاولون ، ان مريم والنساء اللواتي كنَّ
معها ، كن يقفن فيما بينهن ، في طريقهن الى القبر : من يدخرج لنا الحجر عن
باب القبر ؟ ولما وصلن الى القبر وجدن الحجر قد دُخرج عنه ، واذ لم يعرفن
شيئاً عن كل ما حدث اندهشن . وحالاً دخلن القبر ، ولم يجدن جسد الرب
تحيّرْنَ جداً . اما مريم المجدلية فظننت ان جسد الرب قد سُرق . ويُفهم من
قولها : «اخذوا السيد» ، انها ربما ظننت ان اليهود قد سرقوا جسد الفادي ،
او ان يوسف الرامي ونيقوديموس قد نقلا الجسد من القبر الى مرقد آخر .
فاختلجت في قلبها لوعة يمازجها الحزن والدهشة ، فلم تتمالك نفسها من ان
تترك القبر وسائر النساء هناك ، وتهرول راكضة الى بيت بطرس الذي لم يزل
بعد محسوباً من زعماء الرسل — على رغم انتشار خبر انكاره لسيدّه ، والى
بيت يوحنا «التلميذ الذي كان يسوع يحبه» . وهو الذي ظلّ ملازماً لسيدّه
حتى آخر لحظة ، «وقالت لها اخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم اين وضعوه» !

حسن ان مريم وهي تتكلم عن «الجسد» الذي في القبر ، قالت :
«السيد» . فهي اذاً كانت احكم من نفسها وهي لا تدري ، لان الرب كان قد قام
وقتئذ . فهو اذاً حي . غير ان مريم ، وقعت في سلسلة اغلاط بسبب ضعفها
البشري . فقد ذهبت الى القبر لتعطّر جسد يسوع الانسان ، وغاب عنها ان هذا

ولسنا نعلم اين وضعوه . ٣ نخرج بطرس والتلاميذ الآخر واتيا الى

الجسد قد ارتقى الى العلاء، فتعطرت برائحته كل اجواء السماء . جاءت الى القبر عليها ترى جسد المصلوب ممسكاً بسلاسل القبر . وقد فاتها ان يد الظلام لا تقوى على ملامسة اعداب «نور العالم» . جاءت لتقدم فروض ولائها لانسان ذهب ضحية ظلم الناس . وقد نسيت ان من اوجب واجباتها ان تقدم عبادتها لهذا المخلص العجيب ، الذي التقت فيه رحمة الله بعدالته . مسكينة هذه المجدلية اذ توهمت ان «السيد» امسى جثماناً هامداً ، يستطيع اعداؤه ان «ياخذوه» ، وقد سهي عليها ، ان السيد هو العزيز المقتدر ، رب الموت والحياة . ظننت مريم ان كل هذا حدث بفعل ايدي الناس ، فتعذبت . مع انها لو ادركت ان يد الرب ، هي التي فعلت كل هذا ، لتعزّت . اننا في نفس الوقت مدينون لمريم المجدلية بجهالتها وغفلتها . فلو كانت مريم متوقعة قيامة الرب من الاموات ، لو وجد امام المعارضين مجال منسع للقول : ان حادثة القيامة تكونت في فكر مريم ، نتيجة وساوس ، واختلاط عقلي في ذهنها

وهل من ريشة تستطيع ان ترسم لنا مبلغ تأثر مريم ام المخلص بهذا الخبر ، حين بلغها وهي مقيمة مع يوحنا في بيته ؟ (٢٧: ١٩)

(ب) العمود الثانية : القبر الخالي . اكفاه ولا يسر (٢٠: ٣-٦)

عدد ٣ و ٤ . (١) بطرس ويوحنا يذهبان الى القبر مسرعين . سمع الرسولان هذا الخبر الغريب ، فخرجا مسرعين الى القبر . اما بطرس فكان — على ما نعهده فيه من الاندفاع — اسبق الاثنين الى الانطلاق . وربما وصلت

القبر. وكان الاثنان يركضان معاً. فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولاً الى القبر. ٥ وانحنى فنظر الاكفان موضوعة ولكنه لم يدخل

المجدلية الى بيته قبل ان تصل الى بيت يوحنا (عدد ٢). اما يوحنا، فلكونه اصغر الاثنين سناً، فقد استطاع ان يلحق ببطرس «وكان الاثنان يركضان معاً». ومن ثم سبق يوحنا بطرس وجاء أولاً الى القبر. فالغيرة قد تكون أسبق من المحبة في بدء الطريق، لكن المحبة تسبق الغيرة وتسبقها في النهاية عدد ٥. (٢) يومنا نحن على باب القبر، فنفحص العذبة الثانية «وانحنى» — اي يوحنا. وعلة انحنائه ان باب القبر كان منخفضاً — «فنظر الاكفان موضوعة»، فحقق ما قالته مريم ان «الجسد ليس في القبر». ولعله تعجب من ان الذين اخذوا الجسد، لم يأخذوا الاكفان ايضاً، اقتصاداً في الوقت والتعب. هذا اذا كان الذين اخذوا الجسد، من اعداء المسيح. اما اذا كانوا من احبائه، فلا يُعقل انهم يأخذون الجسد ويتركون الاكفان. فمن المحقق اذاً، ان اليد التي رفعت الجسد من القبر، ليست يد انسان — عدواً كان ام صديقاً. ما هذه الا يد الله

وقد يلذ لنا ان نذكر ان الكلمتين: «انحنى ونظر»، مترجمتان الى العربية عن كلمة واحدة في اللغة الاصلية — وردت ايضاً في عدد ١١ — وهي عين الكلمة التي بها وصف بطرس الرسول موقف الملائكة تجاه «امور» الفداء: «تشتهي... ان تطلع عليها» (١ بط ١: ١٢). ولكون يوحنا متهيئاً بطبيعته، لم يدخل القبر، وربما وقف واجماً لشدة حزنه على...هـ

٦ ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر الاكفان موضوعة.
٧ والتمديد الذي كان على رأسه ليس موضوعاً مع الاكفان بل
ملفوقاً في موضع وحده . ٨ فحينئذ دخل ايضاً التلميذ الآخر

عدد ٦ . (٣) . سمعان بطرس يصل بعد يوحنا ، ويدخل القبر ، فيرى
العمدة الثانية : « ثم جاء سمعان بطرس يتبعه » — لانه كان اكبر من يوحنا
سناً ، ونظراً لكونه عملياً في محبته وجسوراً ، لم يقف عند حد النظر الى
القبر ، بل اندفع كعادته « ودخل القبر ونظر الاكفان موضوعة » . الكلمة
المتروكة « نظر » ، معناها الحرفي « نظر بامعان وتدقيق » ، فأبصر ما لم يستطع
ان يراه يوحنا في لمحته العاجلة

(ج) العمدة الثالثة . التمديد الملفوف على حدة (٦: ٢٠ - ١٠)

عدد ٧ . (١) . بطرس يرى هذه العمدة ، اولا : « والتمديد الذي كان
على رأسه ليس موضوعاً مع الاكفان بل ملفوقاً في موضع وحده » . هذا
مفاده ان التمديد كان ملفوقاً بكل عناية ، وموضوعاً من غير عجلة ، في مكان
على حدة . وردت هذه الكلمة « تمديد » مرة اخرى في هذه البشارة (١٤: ١١)
عدد ٨ . (٢) . يوحنا يقتدي ببطرس ويدخل القبر فيرى هذه العمدة :
« فحينئذ دخل ايضاً التلميذ الآخر » — اي يوحنا البشير — . « الذي جاء اولاً
الى القبر ورأى فأمن » . ما اقوى تأثير الانسان على غيره ، وما اشد تأثيره من
الآخرين ! فقد كان لشجاعة بطرس واقدامه في هذا الظرف الخاص ، اجمل
تأثير في يوحنا وهو لا يدري . فأمام شجاعة بطرس واقدامه ، اختفى تهيب

الذي جاء أولاً الى القبر

يوحنا واحجامة ، لذلك يقول يوحنا — وهو خير من يحدثنا عن نفسه ، وان يكن آخر من يذكر لنا اسمه : « فحينئذ دخل ايضاً التلميذ الآخر الذي جاء أولاً الى القبر » . والظاهر ان يوحنا لم يستطع ان يرى المنديل الملفوف ، وهو منعن على باب القبر (عدد ٥) ، لان المنديل كان موضوعاً في مكان داخلي ، ولان يوحنا كان قد التقى لحظة عاجلة على محتويات القبر ، ففاته ان يرى ما رآه بعد ان دخل

(٣) تأثير هذه العموم في يوحنا : « ورأى فأمن » . بأي شيء آمن يوحنا ؟ أب مجرد الخبر المبهم المزعج ، الذي انبأته به مريم المجدلية ؟ كلا . لكنه آمن ان الرب قد قام ، لانه بعد ان رأى الاكفان موضوعة ، والمنديل ملفوفاً بكل عناية ، وموضوعاً على حدة ، اقتنع ، وآمن بان المسيح قد قام . لان في لف المنديل بهذه العناية ، ووضع على هذا النظام ، دليلاً على ان اليد التي مدت الى القبر ، ليست يد لص سارق . لان السارق بعد ان ينهب ما يريد بكل عجلة ، يترك الباقي مبعثراً مشتتاً . هذه اذاً يد عزيز مقتدر يجري اعماله بتأني ، ودقة ، وعناية ، ونظام . بل هذه يد المسيح نفسه اله القدرة والثاني ، الذي في ايام جسده ، كان ذاهباً ليقم فتاة ميتة ، فتمهل في طريقه ، وبكل عناية شفى امرأة مريضة (لوقا ٨: ٤١ - ٥٥) . بل هذه يد المسيح ، اله الترتيب والنظام ، الذي يهتم بعظماء المخلوقات ، اهتمامه بأصاغرهما . فهو يكسو البلوطة الضخمة ، مهابة وجلالاً ، ويفيض على البنفسجة الصغيرة بهاء وجمالاً

ورأى فأمن . ٩ لانهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب

ان القول بان يوحنا « آمن ان المسيح قام من الاموات » ، هو تعبير آخر للقول ، بان يوحنا آمن ان يسوع هو المسيح . واذا ما اضفنا هذه الكلمة : « آمن » ، الى درجات السلم التي ارتقى اليها ايمان التلاميذ في ما مرّ بنا من هذه البشارة (٣٨:١ و ١١:٢ و ١١:١٥ و ١١:١٤) ، اتضح لنا ، ان هذه ارقى درجة بلغها ايمان يوحنا ، في سجل بشارته

عدد ٩ . (٤) . علة تباطره ايمانه الرسل - بما فيهم يوحنا . لم يقل يوحنا عن نفسه انه « رأى وآمن » ، بنعمة الفخور المعجب بذاته ، كأنه كان اسبق الرسل الى هذا الايمان الذي هو وليد العيان . كلاً . وانما قالها بروح التواضع ، الذي يمازجه شيء من الخجل ، لانه لم يستطع ان يؤمن الا بعد ان رأى . من اجل ذلك ، نراه يدمج نفسه مع سائر الرسل ، في الكلام عن تباطره ايمانهم : « لانهم » - اي الرسل بما فيهم يوحنا - « لم يكونوا بعد » - اي الى الآن - « يعرفون الكتاب انه ينبغي ان يقوم من الاموات » فاذأ جهل الرسل بما في الكتب ، هو علة تباطرهم في الايمان بقيامة المسيح . الاتحمل هذه الكلمات بين جنباتها ، اعترافاً ضمناً ، بان رسل المسيح كانوا اقل من اليهود انتباهاً لكلام السيد ؟ لان متى نخبرنا في بشارته : ان « رؤساء الكهنة والفريسيين اجتمعوا الى بيلاطس قائلين : يا سيد قد تذكرنا ان ذلك المضل قال وهو حي اني بعد ثلاثة ايام اقوم » (متى ٢٧: ٦٢ و ٦٣) . فكأن اعداء المسيح ، كانوا اسرع من احبائه الى فهم كلامه . وما اكثر

انه ينبغي ان يقوم

الافاق التي يكون فيها «ابناء هذا الدهر ، احكم من ابناء النور في جيلهم» (لو ١٦: ٨) ! اما « الكتاب » التي يقول يوحنا ، انه هو وساثر الرسل « لم يعرفوه » ، فهو ما كُتب عن المسيح في ناموس موسى ، والانبياء ، والمزامير — سيما هذا السفر الاخير (مز ١٦: ١٠) . (قابل هذا بما جاء في لوقا ٢٤: ٢٥ و ٤٤) . من هذا يُستنتج : (ا) ان حوادث كثيرة ، تظل امامنا كسفر مختوم ، حتى يفيض عليها الزمان نوراً ساطعاً ، فتتلاها امامنا في ضوء الاختبار ، وفي نور روح ارشاد المسيح (لوقا ٢٤: ٤٥) . (ب) ان في قيامة المسيح مفتاحاً لاسرار الكتاب . وبغيرها يظل «الكتاب» سفيراً مختوماً . (ج) لو لم يكن المسيح قد قام ، لكان من المحتم ان يقوم . لان قيامته ليست «فرض كفاية» بل هي «فرض عين» : «ينبغي ان يقوم من الاموات»

هذه مرة أخرى ، قال فيها البشير كلمة : «ينبغي» في عرض كلامه عن شخص المسيح . وقد يكون من المفيد لنا ، ان نستعرض في لمحة موجزة ، المواضع التي ارتبطت فيها هذه الكلمة الحتمية : «ينبغي» بحياة السيد

«ينبغي ان يُرفع ابن الانسان» (يوحنا ٣: ١٤ و ١٢: ٣٤) — هذا فرض افراد الاغتباري . «ينبغي ان يذهب الى اورشليم» (متى ١٦: ٢١) — هذا فرض الوصية التي قبلها المسيح من الآب . «فكيف تكمل الكتب انه هكذا ينبغي ان يكون» (متى ٢٦: ٥٤ ، لوقا ٢٢: ٩ ، ٢٢: ٢٤ ، ٢٦: ٤٤) — هذا فرض المكتوب . «ينبغي ان اكون في ما لأبي» (لوقا ٢: ٤٩) — هذا فرض

في الاموات . ١٠ فمضى التلميذان ايضاً الى موضعهما

ر المسيح ينوء الازلية للآب . « ينبغي ان امكث اليوم في بيتك »
 (قا ١٩: ٥) - هذا فرض المحبة الفائرة المتنازلة . « ولي خراف أخر ... »
 في ان آتي بتلك أيضاً » (يو ١٠: ١٦) - هذا فرض النصر النهائية ،
 ستبلغها كنيسة المسيح عند كمالها . « ينبغي ان اعمل اعمال الذي ارسلني
 دام نهار » (يو ٩: ٤) - هذا فرض المهرمة المعجزة التي تقلدها المسيح من
 آب . « ان ابن الانسان ينبغي ان يتألم كثيراً » (مرقس ٨: ٣١) - هذا
 فرض المحبة الالهية القدائية . « ينبغي ان يسلم ابن الانسان في ايدي اناس
 طاة » (لوقا ٢٤: ٧) - هذا فرض الحياة البشرية

عدد ١٠ (٥) . رجوع بطرس ويوحنا الى موضعهما: « فمضى التلميذان
 ضاً الى موضعهما » . مضى كل من هذين التلميذين الى محل اقامته في اورشليم ،
 ان شرفتها العناية برؤية ذلك القبر الخالي . اما يوحنا ، فسار في طريقه
 لايمان يملأ قلبه . واما بطرس ، فمضى في سبيله ، متفكراً في العلامات التي
 اينها بنفسه في القبر . وفي الغالب ، لم يبلغ درجة الايمان اليقيني بالقيامة ،
 بعد ان افتقده الرب برحمته ، وظهر له بنفسه ، حوالي الساعة الرابعة بعد ظهر
 لنا اليوم عينه (لو ٢٤: ٣٤ و ١ كو ١٥: ٥) .

ومع اننا لاندري شيئاً عن الحديث الذي دار بين بطرس وسيده في
 المقابلة ، الا انه من السهل علينا ان نتصور ، ان انكار بطرس لسيده لم
 ان خارجاً عن موضوع حديثهما في هذه المرة ، التي هي أول مرة التقيا فيها
 - تلك النظرة الفاحصة المذيبة (لوقا ٢٢: ٦٢)

١١ اما مريم فسكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي . وفيما هي تبكي انحنت الى القبر ١٢ فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين

(٢) الظهور المثلث (١١: ٢٠ - ٢٩)

ينبثنا هذا الفصل، بثلاث مرات اظهر فيها المسيح ذاته . - أ - لمريم المجدلية (١١ : ٢٠ - ١٨) - ب - لتلاميذه في غياب ثوما عنهم (١٩ : ٢٠ - ٢٥) - ج - لتلاميذه وثوما معهم (٢٦ : ٢٠ - ٢٩)

- أ - ظهور المسيح لمريم المجدلية (١١ : ٢٠ - ١٨) .

(١) مريم صغيرة باكية : (١١ : ٢٠ - ١٣)

عدد ١١ . - أ - هذه مريم المجدلية ورواؤها : « اما مريم فسكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي » . بعد ان أتمت مريم مأمورياتها التي قامت بها خير قيام ، بابلاغها خبر القبر الخالي الى بطرس ويوحنا ، عادت الى القبر من طريق غير الطريق الذي رجع منه بطرس ويوحنا . ومن شدة ولائها لسيدها ظلت واقفة عند القبر تبكي . لكن عين المحبة المخلصة المتأمل ، الضرورة ، لا تكتفي بذرف الدموع ، بل تريد دائماً ان تتطلع ، عليها ترى من خلال الدموع ، ما يعيد اليها اطمئنانها ، ويرد لها ما غاب عنها ، ومن فقدت : « وفيما هي تبكي انحنت الى القبر »

عدد ١٢ . - ب - مريم ترى ملاكين حيث كان جسد يسوع موضوعاً « فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين ، واحداً عند الرأس ، والآخر عند الرجلين ، حيث كان جسد يسوع موضوعاً » . ما أبهى هذا المنظر العجيب ،

واحدًا عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعًا . ١٣ فقالا لها يا امرأة لماذا تبكين . قلت لهما انهم اخذوا

الذي رآته مريم ! انه شبيه بمنظر الكرو وبن الذين كانوا « مظالمين الغطاء حيث حل مجد رب الجنود قديماً » (خر ٢٥ ٢٢ ، ١ صم ٤ : ٤ ، ٢ صم ٦ : ٢ ، مز ٨٠ : ١ ، ١٠٩ : ١) . ولكن على رغم ما في هذا المنظر من جمال وبهاء ، فان مريم لم ترضَ به بديلاً عن سيدها . ومن العجيب ، انها لم تستغرب رؤية الملاكين ، ولم تخف منهما . لان حزنها العميق وانشغالها الشديد بالعشور على جسد سيدها ، ملكا عليها كل مشاعرها ، فتغافلت عن كل شيء عداه

ان قول يوحنا ، بان ملاكين ظهرا لمريم ، لا يتنافى ورواية متى ، بان ملاكاً واحداً ظهر لسواها من النساء (متى ٢٨ : ٥) . لان ذلك الملاك الواحد ظهر للنساء ، في الفترة التي تركتهن فيها مريم وانطلقت لتخبر الرسولين بما رأت . واما الملاكان فقد ظهرا لمريم بعد انصراف سائر النساء

عدد ١٣ - ج - سؤال الملاكين وجواب مريم : « فقالا لها يا امرأة لماذا تبكين » ؟ لقد اوضحنا معنى كلمة « امرأة » - كما وردت في الاصل - في ٢ : ٤ ، فاطلبها هناك . « قالت لهما انهم اخذوا سيدي ولست اعلم اين وضعوه » . مع ان جواب مريم عن سؤال الملاكين ، يتفق في جوهره وقولها الذي خبرت به بطرس ويوحنا (عدد ٢) ، الا انهما يختلفان في كلمتين : اروهما - انها في كلامها مع بطرس ويوحنا ، قالت « السيد » بصيغة التعميم . ولكن في جوابها للملاكين قالت « سيدي » - بصيغة التخصيص . ونائبتهما : انها في حديثها مع

سيدي ولست اعلم اين وضعوه . ١٤ ولما قالت هذا التفتت الى الورا فنظرت يسوع واقفاً

الرسولين تكلمت بصيغة الجماعة : « نعلم » . ولكنها في كلامها مع الملاكين ، تكلمت بصيغة المفرد : « أعلم » . فكأنها في كلامها الاخير ، عبرت عن خسارتها الشخصية وحيرتها الفردية ، اللتين اصابتها ، بفقدانها جسد سيدها

(٢) مريم غافلة (١٤:٢٠ و ١٥)

عدد ١٤ - أ - مريم نرى يسوع وروى نمبره : ما كادت مريم تفرغ من اجابتها الملاكين عن سؤالها ، حتى حانت منها التفاتة الى الورا . ولعلها لم ترغب في مواصلة الحديث مع الملاكين ، لانها لم ترَ في نعمة كلامها بارقة أمل بازالة سبب حيرتها . او ربما لانها احسَّت بطريقة ما ، ان شخصاً آخر قد حضر . او كما يقول يوحنا الذهبي الثم : انها لمحت على وجهي الملاكين امارات جديدة - ولعلها امارات تهيب واعجاب ، مما دلها على انها يرحبان بقدوم شخص عجيب ! « فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم انه يسوع » . ولكم من المرات يتراءى لنا يسوع في سبل حياتنا اليومية ، ونحن عن قدومه غافلون ! فقد يتراءى لنا في صورة فقير بائس ينتظر عوناً ، او في شكل ضيف يجلس على موائدنا ينتظر سخاءنا ، او في هيئة جليس يستمع لاحاديثنا

يُعزى جهل مريم بحقيقة يسوع الى : (١) عدم توقعها ان تراه . (٢) التغير الذي طرأ على جسده بعد القيامة . لان جسده القدوس ، استمر الى ساعة موته خاضعاً لنواميس طبيعتنا البشرية المحدودة . لكنه بعد القيامة كان يدخل ،

ولم تعلم انه يسوع . ١٥ قال لها يسوع يا امرأة لماذا تبكين . من تطلين . فظنت تلك انه البستاني فقالت له يا سيد ان كنت انت

ويخرج ، ويظهر ، ويغيب ، على اسلوب خفي لا يُستقصى (١٩: ٢٠) .
(٣) ربما لان عيني مريم أمسكتنا عن معرفة شخص المسيح ، مثلما أمسكت
اعين تلميذي عمواس عن مرأى سناه (لوقا ١٦: ٢٤)

عدد ١٥ - ب - سؤال المسيح وجواب مريم : « .. يا امرأة لماذا تبكين ؟
من تطلين ؟ » . هذه هي اولى الكلمات التي نسمعها من المسيح بعد قيامته
سؤاله عجيبان - أولها ممره لثانيتها ، وثانيها مؤمر ومفسر لأولها .
« لماذا تبكين ؟ من تطلين ؟ » بهذه الكلمات ، سأل المسيح مريم عن علل
بأسرها ، وبسبب عذابها ، الذي هو ايضا مصدر عذابها : « لماذا تبكين ؟ من
تطلين ؟ » - وهل تخلو هذه الكلمات من تنبيه ضمني من المسيح لمريم ، على
خطأها ببكائها ؟ فكانني به يقول لها : « اخطأت بطلبك الحي بين الاموات ! »
اما مريم ، فظنت ان الذي يكلمها هو « البستاني » . لان قبر المسيح كان
في بستان فكان من الطبيعي ، ان تتوقع مريم وجود البستاني هناك . فقالت
له « يا سيد ان كنت انت » - انت لا اي واحد من الاعداء - « قد حملته ،
فقل لي اين وضعته وانا آخذه » . من العجيب ، ان مريم في حزنها لم تحسب
حساباً لضعف قوتها ، فتوهمت ان في امكانها - وهي امرأة ضعيفة - ان ترفع
جثة من موضعها . لكنها ، في كل كلامها - سواء مع بطرس ويوحنا ، أو مع
الملاكين ، أو مع يسوع الذي ظننه البستاني - كانت تتكلم عن المسيح كأنه

قد حملته فقل لي اين وضعته وانا آخذه . ١٦ قال لها يسوع يا مريم .
فالتفتت تلك وقالت له

شخص حي، مائل امامها . فلم تقل مرة واحدة : « جسد » ، ولا « جثة » ، بل
قالت : « السيد » (عدد ٢) و « سيدي » (عدد ١٣) . ولكون المسيح حاضراً
في ذهنها هي ، ظنت انه حاضر ايضاً في ذهن غيرها ، فقالت عنه في عدد ١٥ ،
« حملته » . . . « وضعته » . . . آخذه » ، من غير ان تذكر اسمه بالذات

عدد ١٦ . (٣) مريم مؤمنة : « قال لها يسوع يا مريم ! ان مخاطبة المسيح
اياها في العدد السابق بالقول : « يا امرأة » لم يقابل منها باي اهتمام ، لان
الملاكين سبقا فخطباها بنفس هذه الكلمة (عدد ١٣) فلم تر فيها شيئاً
جديداً . لكنها عند ما سمعت هذا الشخص العجيب يناديها باسمها ، تأكدت
انه هو راعيها الصالح ، الذي يناديها باسمها الخاص

ومن أسباب عزائنا، ان تذكر ان راعينا الصالح ، هو ايضاً طبيبنا الحكيم،
فهو لا يسلط نوره دفعة واحدة على العيون المغمورة بظلال الفجر ، بل يقدم
لها النور تدريجياً . في بادىء الامر خاطب المسيح المجدلية بقوله لها : « يا امرأة » ،
وعند ما وجدها على استعداد لقبول مزيد من النور ، قال لها : « يا مريم » .
وربما لو ابتدرها بالقول : « يا مريم » لصعقت من شدة الفرح ، وفرط العجب .
وكان مريم كانت ضالة في برية احزانها ، تائهة عن حقيقة ذاتها ، غافلة عن
شخصية راعيها ، فلما سمعت الراعي الصالح يناديها باسمها ، ردت نفسها اليها ،
والى راعيها . عندئذ « التفتت » — كأنها كانت الى الآن مطرقة بوجهها

ربوني الذي تفسيره يا معلم . ١٧ قال لها يسوع لا تلمسيني لاني لم

الى الارض حيا ، وهي تخاطبه ، او ربما كانت ناظرة هنا وهناك ، من فرط حيرتها ، ولعلها كانت قد اتجهت ببصرها مرة أخرى الى القبر (عدد ١٤) وهنا استجمعت كل ما عندها من قوة الرباء ، واليقين ، والاعجاب ، والتعجب ، وارتعت عند قدميه محاولة ان تمسك بهما ، او بهذب ثوبه (قابل هذا بما جاء في متى ٩: ٢٨ و ١٠) ، وعبرت عن شعورها بكلمة واحدة ، لفظها بلغتها العبرية : «ربوني» ! الذي تفسيره «يا معلم» . ان كلمة «ربوني» أقوى وأرفع من كلمتي «راب» و «ربأي» . ومعناها «المعلم الاعظم» . وقد قالتها مريم معبرة بها عن يقين معرفتها بشخص المسيح ، وعظم ابتهاجا برؤيته حيا مقاما ، وشدة شكرها له بعد قيامه من الاموات

(٤) مريم مبشرة : (١٧: ٢٠ و ١٨)

عدد ١٧ . (١) مريم تسلم البشرى : «قال لها يسوع لا تلمسيني لاني لم أعود بعد الى أبي . ولكن اذهبي الى اخوتي وقولي لهم : اني اعود الى أبي وايايكم والهي والهكم» . تتضمن هذه الكلمة : تنبيها لمريم على خطأها ، ودعوة هذا التنبيه : «لا تلمسيني لاني...» . الكلمة المترجمة «تلمسيني» ، معناها الحرفي : «لا تمسكيني وتتعلق بي» . ولو كانت هذه لمسة من يريد ان يتحقق أن للمسيح جسدا حقيقيا بعد القيامة «لسمح لها المسيح بها ، ودعاها اليها ، لانه واضح من لوقا ٢٤: ٣٨ ، ان المسيح لم يكتف بأن يسمح للتلاميذ بأن يلمسوه ، بل دعاهم وامرهم أن «يجسّوه» ، في نفس هذا اليوم . وظاهر أيضا

اصعد بعد الى ابي . ولكن اذهبي الى اخوتي

من يوحنا ٢٠: ٢٧ ، ان المسيح قال لتوما ، بعد أسبوع من هذا التاريخ : «هات يدك وضعها في جني» . ولكن هذه لمسة من ظنت أن صلة المسيح بتلاميذه بعد قيامته ، ستعود مثلما كانت قبل القيامة ، عن طريق الحواس الطبيعية ، كالنظر واللمس والسمع . من أجل ذلك نهى المسيح الى ان مدة معاشرته الجسدية لتلاميذه وأتباعه ، قد انقضت ، وان لا سبيل الى شركتهم معه بعد القيامة ، الا عن طريق روحه الاقدس (١٤: ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢٨ - ٢٠: ١٦) . وبما ان الروح القدس ، لم يكن قد أعطي بعد ، لان يسوع لم يكن قد مُجد بعد (٧: ٣٩) ، لذلك افهمها الفادي ، ان موعد هذه الشركة الروحية لم يأت بعد . اذ قال لها : «لاني لم أصعد بعد . . .» . فقبل القيامة ، كان المسيح عائشاً بالجسد مع تلاميذه ، ولكن بعد الصعود ، عاش فيهم بروحه . هذا يوافقه قول بولس الرسول : «وان كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد ، لكن الآن لا نعرفه ايضاً» (٢ كو ٥: ١٦)

(٢) مهمة معجزة : «ولكن اذهبي الى اخوتي . . .» . كأنه أراد ان يقول لها : «بدلاً من أن تصرفي وقتك وجهودك في ما لا طائل تحته ، لان أوانه لم يأت بعد ، اذهبي الى اخوتي . . .» . هذه مهمة جليلة ، أبان فيها السيد :

(١) . الشرف الممتاز الذي وهبه السيد لمريم المجدلية ، بأن جعلها «رسولة» الرسل : «اذهي . . .» . ألا نلاحظ ان المسيح ، اذ اوصى مريم بهذه الوصية ، متّعها بأعظم مما كانت تطلب او تمنى ؟ تمت هي ان تمسك بقدميه ،

وقولي لهم اني اصعد الى ابي وايايكم والهي والهم

فشرفها هو بان جعلها تبلغ اول رسالة عن قيامته المجيدة . وهل من فرصة يتمتع فيها الانسان بمعاشرة المسيح ، نظير المجال الذي يظفر به من يكون خادماً له : « حيث اكون انا هناك ايضاً يكون خادمي » ؟

(ب) . افرقة التلاميذ للمسيح : « الى اخوتي » . قبل اسمائهم « عبيداً » ، ثم دعاهم « اُهباء » ، وكأنه رأى ان هذين اللقبين غير كافيين ، فجاء عليهم بلقب جديد ممتاز : « افرقة » — دلالة على متانة الاتحاد الروحي الكائن بينه وبينهم

(ج) . امتياز بنوة المسيح عن بنوة التلاميذ : « وقولي لهم : اني اصعد » . لم يقل المسيح في رسالته لمريم : « قولي لـ اخوتي اني قمت » ، بل « اني اصعد » . كأن القيامة كانت عبور الصعود ، وهي الخطوة التمهيدية التي تكملت بالصعود . هذا دليل على ان الصعود عملية تمت تدريجياً في خطوات متتابعة ، فكانت القيامة اولى هذه الخطوات . وكان انطلاق المسيح الى السماء مائة هذه الخطوات . ومن الامور التي تستدعي دقة الملاحظة ، ان المسيح لم يشرك التلاميذ معه في صلته بالآب ، بل جعل بنوته للآب ، متميزة وممتازة عن بنوتهم هم ، فقال : « الى ابي وايايكم » ، لا « الى ابينا » . لان بنوته الآب ، تمتاز عن بنوة المؤمنين : في النوع ، والرتبة ، والطبيعة . فالمسيح هو الابن ، بمعنى طبيعي ، لكن التلاميذ وسائر المؤمنين هم ابناء بالتبني

قال المسيح : « إلهي » ، باعتبار كونه « ابن الانسان المتجسد » لاجل خلاص البشر — حتى في هذه النسبة ايضاً يمتاز القادي عن البشر

١٨ فجاءت مريم المجدلية واخبرت التلاميذ انها رأت الرب وانه قال لها هذا . ١٩ ولما كانت

عدد ١٨. (ب) مريم تبليغ البشرى الى التلاميذ: «فجاءت مريم المجدلية واخبرت التلاميذ انها رأت الرب وانه قال لها هذا» . هذه اول بشرى في تاريخ كنيسة العهد الجديد ، بل هذه هي البشارة الداعمة التي ينبغي ان ينادي بها كل فرد ، بناء على اختباره الخاص : «رأيت الرب»

ان قول البشير : «فجاءت مريم واخبرت» — كما ورد في الاصل — يفيد ان مريم حالما رجعت من عند القبر ، بدأت تلهج بنحبر القيامة . وهكذا يكافئ الرب منتظره . فقد بقيت مريم عند الصليب ، وبصكرت عند القبر ، فتمتعت ببركة الوعد القائل : «الذين يبكرون اليّ يمجّدوني»
ان في هذا برهاناً ضمناً على صدق البشيرين ، والا لقالوا ان اول من رأى الرب ، هو بطرس «الصخر» ، أو مريم العذراء «ام المخلص» ، لا مريم المجدلية «التي اخرج منها الرب سبعة شياطين»

ب — ظهور المسيح للتلاميذ في غياب نوما (١٩:٢٠ — ٢٣).

في هذه المرة عالج المسيح خوف تلاميذه ، مثلما كافأ في ظهوره السابق ايمان مريم (١١:٢٠ — ١٨) . في تلك المرة ظهر للمسيح لتلاميذه في الصباح . وفي هذه المرة ، في المساء . الظهور السابق كان لفرد . وهذا ، الجماعة . ذلك الظهور كان في الظهور عند القبر ، وهذا في المدينة اورشليم ، وفي غرفة خاصة

عشية ذلك اليوم وهو اول الاسبوع وكانت الابواب مغلقة حيث
كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود

ينقسم هذا الفصل الى قسمين : (١) هزوف التلاميذ (١٩:٢٠ (أ)).
(٢) ظهور المسيح المقام وعطاياه لتلاميذه (١٩:٢٠ (ب) — ٢٣)

عدد ١٩ (أ). (١) هزوف التلاميذ: «ولما كانت عشية ذلك اليوم» —
وهو اول الاسبوع — «وكانت الابواب مغلقة ، حيث كان التلاميذ مجتمعين
لسبب الخوف من اليهود» . يضع البشير اهمية خاصة على «ذلك اليوم» لانه
صار يوم الرجاء للربل وللكنيسة . فكان من المناسب جداً ان يقع في اول
الاسبوع ، لينشر نور رجائه المقدس ، في ارجاء سائر ايام الاسبوع . فاذا
كانت الباكورة مقدسة ، تقديست كل الاثمار .

«ذلك اليوم» ، هو يوم الايام ! فيه تحررت قلوب مستعبدة . لان فيه
استقرت حماسة الرجاء في القلوب التي طار منها عصفور الامل يوم الجمعة الحزينة.
ان «ذلك اليوم» شمس بالنسبة لسائر الايام ، وما هي الا كواكبه ، لان
كل انوارها مستمدة من نور «يوم الايام» . فلا عجب اذا صار هو سبت
المسيحية الجديد . فيه قام المسيح . وفي مثله ظهر لتلاميذه في عليه اورشليم .
وفي مثله ظهر أيضاً لتلاميذه على شاطئ بحر طبرية ، كما يعتقد معظم المفسرين
«ولما كانت عشية ذلك اليوم» — نحو الساعة الثامنة مساءً — «وهو
اول الاسبوع» — وكان تلميذا عمواس قد رجعا الى اورشليم ، واخبار القيامة
قد انتشرت في المدينة ، خاف التلاميذ من ان يلحقهم اذى من رؤساء اليهود ،

جاء يسوع ووقف في الوسط وقال لهم

الذين تبرعوا لهم بتهمة سرقة جسد المسيح، قبل قيامته بثلاثة ايام (متى ٢٧:٢٣ و ٦٤). ومن يدري ماذا يفعلون بهم الآن؟ لذا خلوا الى بعضهم البعض في عليّة اورشليم، واغلقوا غرفهم. خطأ ما اكبره! فانهم خافوا في الوقت الذي كان ينبغي ان يتدبروا فيه بشجاعة دونها شجاعة الاسود

(٢) ظهور المسيح للمقام وعطاياه لتلاميذه (١٩:٢٠ ب — ٢٣)

١٩ (ب). ظهور المسيح في الوسط: «جاء يسوع ووقف في الوسط». اننا لا نشاطر كلّ من رأيه القائل ان المسيح فتح الابواب من غير ان يدري به التلاميذ. لان الابواب كانت مغلقة بغاية الاحكام بسبب خوف التلاميذ من اليهود. فمع ان جسد المسيح، بعد القيامة، كان جسداً حقيقياً، الا انه يختلف في اشياء كثيرة عن جسده قبل القيامة. والظاهر ان الخاص كان يجتاز في لحظة واحدة من مكان الى آخر، وان تلاميذه كانوا راراً يرونه، ويتحدّثون معه، ولا يميزونه، الا متى اراد هو ان يظهر ذاته لهم. فالمسيح كان قبل موته، ظاهراً بجسده الا في الاوقات التي اراد ان يختفي به فيها. لكنه بعد القيامة كان مختفياً بجسده، الا في الاوقات التي اراد ان يظهر به فيها

١٩ (ج) — ٢١ (أ). الرحبة الاولى — السوم. حالما ظهر المسيح لتلاميذه، أعطاهم سلاماً فياضاً — سوم الماضي والحاضر — سلام النفسانية واليقين: «وقال لهم سلام لكم» (١٩ ج). لم تكن تحية جوفاء، هذه التي حيا بها المسيح للمقام تلاميذه. لكنها تحية غنية، محمّلة بسلامه العميق القلبي،

سلام لكم . ٢٠ ولما قال هذا اراهم يديه وجنبه . ففرح التلاميذ اذ رأوا الرب . ٢١ فقال لهم يسوع ايضاً سلام لكم . كما ارسلني الآب

الذي يبدد مخاوف الماضي، وشكوك الحاضر . هذا هو سلام الفخرانه ، الذي ستر به المسيح تقصيرات التلاميذ وجبنهم (راجع تفسير ٢٧: ١٤)
عدد ٢٠ . (أ) ضمائه السوم ومهجة دوايه :

«سلام لكم . . ولما قال هذا اراهم يديه وجنبه» . بذلك تأكد التلاميذ ان المسيح قام حقاً . لانهم اذ رأوا يديه وجنبه تبينوا فيها آثار المسامير والحربة «فرحوا اذ رأوا الرب» ، لانهم تحققوا انه «هو الرب» . ان السلام الذي قدمه المسيح لتلاميذه قد اشتراه لهم بصليبه ، فاليدان المثقوبتان ، والجانب المطعون ، هي الوثيقة الحية التي خطها المسيح بدمائه ، وقدمها للتلاميذ كحجة خالدة، وضمان يقيني لسلامه . قال ستيوبنز للوثر: «تأمل باستمرار في جروح المسيح ، فهي ختم الفداء ، وهي ضمان السلام الذي هو وليد الفداء»

عدد ٢١ . (ب) . سوم المستقبل - سلام المحرمة : « فقال لهم يسوع ايضاً سلام لكم كما ارسلني الآب ارسلكم انا» . بعد ان طمأن المسيح تلاميذه بسلام الماضي ، وملاً قلوبهم يقيناً بسلام الحاضر ، اراد ان يعدهم لمسؤوليات المستقبل ، باعتبار كونهم رسله في العالم، فوهبهم ايضاً سلام المستقبل . لان السلام هو تريق الماضي ، وعلاج الحاضر ، وقوة المستقبل

المرية الثانية : شرف الكرازة باسم المسيح : « كما ارسلني الآب ارسلكم انا» . مع ان رسالة الرسل ليست على طراز رسالة المسيح - لا : (١) من

ارسلكم انا . ٢٢ ولما قال هذا نفخ وقال لهم

حيث الزمن - لان المسيح ارسل منذ الازل ، لكن التلاميذ ارسلوا في وقت معين . ولا : (٢) من حيث الرتبة ، لان المسيح رسول الآب الاوحد ، على رتبة لا يدانيه فيها الرسل . الا ان التشابه الذي بين الرسالتين ، كائن في الاسم ، والسلطان . فكما ان المسيح جاء الى العالم حاملاً اسم الآب ، ومتقلداً سلطانه ، كذلك انتشر الرسل في العالم حاملين اسم المسيح ، ومتقلدين سلطانه عدد ٢٢ . الرتبة الثالثة - عطية الروح القدس : « ولما قال هذا ، نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس » - هذا هو « رأسمال » التلاميذ في الخدمة - بل هذا هو ضمانة نجاحهم فيها - الروح القدس . فكما ان قيامة المسيح تُعتبر عربوناً لصعوده ، كذلك يُعتبر قبول التلاميذ عطية الروح القدس من المسيح المقام ، عربوناً لنوالهم ملء الروح القدس من المسيح الممجّد يوم الخمسين « قال لهم سلام لكم ... ولما قال هذا اراهم يديه ... »

« قال لهم ارسلكم انا ... ولما قال هذا نفخ ، وقال لهم اقبلوا الروح »

تقع هذه العبارات في اربعة مقاطع - تسير في صفين متوازيين . فالمقطع الاول ، يتمشى مع المقطع الثالث ، مثلما يسير المقطع الثاني جنباً الى جنب مع الرابع . وكما ان المقطع الثاني هو ضمان الاول وحجته ، كذلك الرابع ، ضمان الثالث وحجته

هبة السلام : « ... قال لهم سلام لكم ... »

ضمانها وهبة دواهم : « ولما قال هذا اراهم يديه وجنبه »

اقبلوا الروح القدس . ٢٣ من غفرتم خطاياهم

مسحة الكرازة : « كما ارسلني الآب ارسلكم انا »
 ضمائرهم ومهمة نجاحهم : « ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح »
 « نفخ وقال لهم ^(١) اقبلوا ^(٢) الروح القدس » . يذكرنا هذا القول ، بذاك
 الذي ورد في غرة سفر التكوين : « وجبل الرب الاله آدم تراباً من الارض
 ونفخ في انفه نسمة حياة » (تك ٢: ٧) . هذه مرة أخرى يلتقي فيها يوحنا
 البشير ، كاتب بشارة الخليقة الجديدة ، بموسى كاتب سفر تكوين الخليقة
 الاولى (راجع يوحنا ١: ١) . فعندما هبأ الله هيكل الانسان الاول ، نفخ في
 انفه نسمة الحياة الطبيعية . وكذلك عندما هبأ المسيح قادة كنيسة الجديدة ،
 نفخ فيهم نسمة روحه القدوس . قال اغسطينوس : « ان المسيح اذ نفخ
 فيهم وقال « اقبلوا الروح القدس » برهن على ان الروح القدس ، ليس روح
 الآب فقط ، بل روحه هو أيضاً »

عدد ٢٣ . الرتبة الرابعة : السلطان المترتب على نوال الروح القدس
 « من غفرتم خطاياهم تغفر له ، ومن امسكتم خطاياهم امسكت » . ان كل
 هبة من الهبات الاربع التي منحها المسيح للمقام لتلاميذه ، مترتبة على الهبة

(١) جاء في المدراس اليهودي ، انه عندما وضع موسى يده على يشوع ، قال الله : في
 هذا الدهر فقط — اي في العصر اليهودي — ينال الانبياء فقط موهبة النبوة ، ولكن في
 الدهر الآتي — اي في العصر المسيحي — يكون كل بني اسرائيل انبياء

(٢) الكلمة التي ترجمت « اقبلوا » هي نفس الكلمة التي استعمالها المسيح في العشاء الرباني
 حين قال « خذوا » (متى ٢٦: ٢٦) . وكما ان الخبز يرمز الى جسد المسيح ، كذلك ترمز
 هذه النفخة الى الروح القدس

تُغفر له . ومن امسكتكم

السابقة لها، وممهدة للهبّة اللاحقة بها . ومن الاهمية بمكان عظيم ، ان نذكر :
 (١) انه واضح من لوقا ٢٤: ٣٣ ، ان هذه الجماعة الملتزمة ، لم تكن قاصرة
 على الرسل ، بل كانت تضم معهم قوماً آخرين من المؤمنين بما فيهم تلميذي
 عمواس (لوقا ٢٤: ٣٤) . فهبات المسيح المتضمنة في هذا الفصل المجيد ، ليست
 محتكرة للرسل، لكنها تشمل ايضاً كل الجماعة التي تتألف منها كنيسة المسيح
 على الارض . (٢) ان هذا السلطان ليس وفقاً على فرد من الافراد، مهما سمت
 رتبته ، لكنه من حق كل الجماعة . (٣) ان الحل والعقد المذكورين في هذه
 الآية ، ليسا من الاحكام التعسفية التي يصدرها من يشاء ، مهما يشاء ، بل هما
 من النتائج المترتبة على الكرازة بكلمة البشارة . فالكلمة نفسها هي خير حكم لمن
 يقبلونها، وعلى من يرفضونها. او بعبارة اخرى: ان خير حكم للانسان، او عليه،
 هو الانسان نفسه — فان قبل كلمة البشارة تمتع بنعمة الغفران ، وان رفضها صار
 هو الحاكم على نفسه بأنه ليس اهلاً لهذه النعمة . وخير مثال لذلك ، ما
 جاهر به بولس و برنابا لليهود الذين لم يقبلوا كلمة الانجيل : « كان يجب ان
 تكلموا انتم اولاً بكلمة الله ولكن اذ دفعتموها عنكم وحكمتم انكم غير
 مستحقين للحياة الابدية ، هوذا نتوجه الى الامم » (اعمال ١٣: ٤٦) . وما
 امساك الخطايا الا نتيجة طبيعية لعدم غفرانها

(٢) ان هذا السلطان المسّم للرسل و لجماعة المؤمنين ، هو سلطات
 الوعد ، والنصر . لا سلطان الحكم والقضاء . فالمسيح وحده يغفر الخطايا

خطاياهم أمسكت . ٢٤ اما توما

لكن خدامه يصرون بان هذا الغفران قد تمّ او لم يتم — بناء على قبول الانسان كلمة الخلاص ، او رفضه اياها . فسلطان الكنيسة في الروحيات ، مماثل لسلطان كهنة اليهود في أمر المصاب بالبرص قديماً ، حين كانوا يحكمون بطهارة من شفي من دائه ، وبنجاسة من لم يُشف منه بعد . ولكن لم يكن في سلطانهم ان يشفوا احداً من البرص ولا ان يضربوا به احداً . وهو ايضاً على مثال السلطان الذي وهبه الله لأرميا (ارميا ١: ١٠) . فهو إذا سلطان متعلق بامرهم الغفران لا بالغفران ذاته . (٥) واذا سلمنا جدلاً ، مع القائلين بان هذا السلطان محتكر للرسول ، فما هذا الا السلطان الذي خوله المسيح اياهم ، حين اوحى اليهم بروحه الأقدس ان يضعوا دستور الايمان في رسائلهم . فكل ما قالوه في هذا الباب صار حكماً لا يُنقض ولا يُبرم

(ج) ظهور المسيح لتلاميذه وتوما معهم (٢٩ : ٢٤ - ٢٩)

« فتيلة مدخنة لا يطفى ، وقصبة مرضوضة لا يقصف ، حتى يخرج الحق الى النصر » — هذا هو الوصف البليغ الذي خلعه زعيم انبياء العهد القديم على المسيح . وهو نفس الوصف الذي يلابس المسيح في هذا الظرف الذي نحن بصددده الآن . فقد حدثنا يوحنا في الاعداد السابقة ، عن ظهور للمسيح لتلاميذه في غيبة اثنين منهم — امرهما : يهوذا الذي ذهب قتل اليأس ، بعد ان ذهبت فيه كل وسائل الاسعاف ادراج الرياح . وتائيرهما : توما الذي « يقال له التوأم » الذي كان على شفير جرف عدم الايمان ، فأدركه الراعي

احد الاثني عشر الذي يقال له التوأم

الصالح ، وانتشله قتل ان يهوي به الجرف الى حضيض عدم الايمان، والهلاك في هذا الفصل ، نرى تراث صور لتوما : (١) توما مصاباً براء الشك (٢٤: ٢٥) . (٢) توما بين يدي طبيب الارواح يستأصل منه داء الشك (٢٦: ٢٧) . (٣) توما يبرأ من الشك ويواجه بايمانه (٢٨: ٢٠) . وفي ختام هذا الفصل نرى ارقى ذروة في درجات الايمان (٢٩: ٢٠)

(١) الصورة الاولى : توما مصاباً براء الشك (٢٤: ٢٥)

عدد ٢٤ . (١) توما المتخلف عن جماعة الرسل : « اما توما واحد من الاثني عشر ، الذي يقال له التوأم ، فلم يكن معهم حين جاء يسوع » . لسنا ندري هل نلوم توما ، او نحمده على شكه ، الذي صار في ترتيب العناية سبباً في تثبيت حقيقة القيامة في اذهان الاكثرين على مر الدهور . لان هذا الشك اضحى سبباً في اضافة براهين جديدة الى قائمة البراهين المؤيدة لحقيقة القيامة . اتنا نشكر رب توما ، الذي اخرج لنا من شك توما الجافي ، حلاوة لحاقنا مع ان التلاميذ صار عددهم الآن احد عشر — بعد وفاة يهوذا — الا ان يوحنا لا يزال يذكرهم بعددهم الذي ذكرهم به في ٦: ٦٧ ، على اعتبار ان مكان يهوذا لم يخلُ الا الى حين . فكان يوحنا رأى في عددهم الكامل ، معنى رمزيّاً الى أسباط كنيسة العهد الجديد المكملين

« اما توما الذي يُقال له التوأم » - سبقنا فأوضحنا المراد بكلمة: « توأم » في شرح ١٦: ١١ ، فاطلبه هناك — « فلم يكن معهم حين جاء يسوع » . ما اعظم

فلم يكن معهم

لخير الذي يحرم الانسان نفسه منه ، بتخافه عن اجتماع القديسين . فهما يكن محضر القديسين حقيراً في مظهره، الا ان المرء يعجز عن ان يقدر مبلغ الخسارة التي تلحق بمن « يتركون اجتماعهم كما لقوم عادة » ، لانه في ساعة لا تخطر على بال احد ، يُظهر المخلص ذاته لجماعة المؤمنين . فبسبب تخلف توما عن اجتماع الرسل في احد القيامة ، حرم نفسه من النملي من وجه مخلصه ، ورؤية يديه وجنبه . وبسبب هذا الحرمان ، اوقع نفسه في لج الشك اسبوعاً او بعض اسبوع ، واعطى داء الشك فرصة ، حتى تغفل في دمه ، وكاد يودي بحياته الروحية . ولئن سكنت البشير عن ان يذكر صراحةً علة تخلف توما عن اجتماع الرسل الا اننا نستطيع ان نستنتج ضمناً ، ان توما كان عصبي المزاج يعيش بمواظفه ، وينظر دائماً الى الجانب المظلم في الحياة . فعند ما كان سيده ذاهباً الى بيت عنيا ، ليقم لعازر من الاموات ، لم يستطع توما ان يفكر في القيامة ، بل فكر في الموت . وقال للتلاميذ رفقاؤه « لنذهب نحن ايضاً لكي نموت معه » . (١٦: ١١) . وفي مناسبة أخرى ، ما كاد يستمع لحديث المسيح مع تلاميذه عن علمهم « بالطريق » حتى قال ضجراً متبرماً : « لسنا نعلم اين تذهب ، فكيف تقدر ان نعرف الطريق » (١٤: ٥)

الى هذا الحد ، كانت نظرة توما الى الحياة قائمة سوداء — هذا بينما كان المسيح معه بالجسد . فكما أمست نظراته الى الحياة أشد سواداً بعد موت قاده . ويكاد يكون من المحقق ، ان موت المسيح كان صدمة قوية أصابت ايمان.

حين جاء يسوع . ٢٥ فقال له التلاميذ الآخرون قد رأينا الرب .
فقال لهم ان لم أبصر في يديه أثر المسامير واضع اصبعي في أثر المسامير

توما ورجاءه . ولعله كان يقول في نفسه ، بعد موت المسيح مباشرة : « ألم اقل له مراراً وتكراراً ان لا يقف في طريق رؤساء اليهود ؟ ولكن هذا ما حصل فالذي تحذرين يا نفس قد وقع » . امام هذه الافكار المظلمة القائمة ، شعر توما بمرارة في نفسه وبسببها اقصى نفسه عن حظيرة الرسل — ولو الى حين . فلما ظهر لهم المخلص في اول احد للقيامة : « لم يكن توما معهم » . في هذه الآونة ، كان توما « واحداً من الرسل » ، مع انه لم يكن معهم . بخلاف يهوذا الذي كان مع الرسل لكنه لم يكن منهم . ولو كان منهم لبقى معهم (١ يو ٢: ١٩)

عدد ٢٥ . (ب) التلاميذ بخبروه توما بأنهم رأوا الرب : « فقال له التلاميذ قد رأينا الرب » . لا شك في ان التلاميذ اخبروه بتشككهم هم ايضاً في بداية الامر ، وكيف ان الرب دعاهم الى ان يحسوه ، وينظروا ليحققوا ان له جسداً حقيقياً (لو ٢٤: ٣٩ و ٤٠)

(ج) توما يتسلح بنية عدم الازمائه : « فقال لهم ان لم أبصر في يديه أثر المسامير ، وأضع اصبعي في أثر المسامير ، وأضع يدي في جنبه لا اؤمن » . كان من الممكن ان يصدق توما زملاءه الرسل ، وهو يعهد فيهم الصديق . لكن ما سمعه منهم عن رؤيتهم جسد الرب ، ولمسهم اياه ، كان محرضاً له على ان يطلب هو الآخر نفس هذه العلامة . وزاد فأمعن في طلب موت علامات — كل منها اقوى من سابقتها ، وبدونها يأبى الا ان يكون غير مؤمن : « ان لم

واضع يدي في جنبه لا أومن . ٢٦ وبعد ثمانية ايام

ابصر» «ان لم اضع اصبعي» «ان لم اضع يدي ...» . ليس عيب
توما ، انه طلب هذه العلامات التي أتيح لغيره من الرسل ان يتمتع بها او
يبعضها ، لكن عيبه في تسليحه بنية عدم الايمان . لان النبوة في كلامه واقعة
على عزم الودعاء لا على الودعاء . فبدلاً من ان يقول: «ان رأيت ولمست،
آمنت» ، قال : «ان لم أر . . وان لم أجس . . لا اؤمن» . فكأنه كان الى
عدم الايمان اقرب منه الى الايمان

كان الظلام يحيط بكلمات توما من جميع الجهات الا من جهة واحدة
منيرة — هي تفكيره المتواصل في الآم سيده . وان تلميذاً هذه حاله ، لا بد
وان يرسو على مرفأ الايمان بأمان

(٢) الصورة الثانية: توما بين يدي طبيب الارواح يتأصل منه داء الشك
(٢٦: ٢٠ و ٢٧) . لقد عالج طبيب الارواح داء توما بوسيلتين : اولهما —
عامة : وهي ظهوره للرسل وتوما معهم . (عدد ٢٦) . والثانية — خاصة : وهي
طلبه الى توما ان يختبره بنفسه اختباراً حسيماً ، حسبما طلب (عدد ٢٧)

عدد ٢٦ . (١) . ظهور المسيح للتلاميذ وتوما معهم : « وبعد ثمانية
ايام » — اي في الاحد التالي لاحد القيامة . قال البشير : « ثمانية ايام » — كمادة
اليهود ، في حساب اول يوم وآخر يوم ضمن المدة التي يقصدونها

قضى التلاميذ السبعة الايام التي بعد اول يوم في الفصح ، في اورشليم ،
كمادة اليهود ، فصاروا في نهاية هذه المدة على وشك ان يتركوا اورشليم ،

كان تلاميذه أيضاً داخلياً وتوما معهم . فجاء يسوع والابواب مغلقة
ووقف في الوسط وقال

ليرجعوا الى محال اقامتهم في الجليل . ولكن كيف يمكنهم ان يغادروا عليهم
المعهودة ، في هذا اليوم التاريخي ، المقدس ، المعهود — يوم الاحد — الذي
في غرة مثله من الاسبوع الماضي ، قام سيدهم ، وفي مسائه اظهر لهم ذاته . لذلك
لم يبرحوا اورشليم في ذلك اليوم ، توقعاً منهم ان يمن عليهم سيدهم باظهاره
ذاته لهم مرة اخرى . ولعل نفوسهم الشريفة ، أبت عليهم ان يتركوا اورشليم
في هذه الآونة وواحد منهم — توما — متخلف عن جماعتهم . وفي الغالب
جداً ، دعوا هذا الرسول ليجتمع بهم في هذا اليوم عليهم يفوزون واياه ، في
هذه المرة أيضاً ، بمثل ما فازوا به في الاحد الماضي . اما « راعي النفوس »
الاعظم ، فقد كان عند حسن ظن رسله به ، فكافأ كل انتظاراتهم فيه ، وظهر
لهم في هذه المرة أيضاً ، ليزيدهم يقيناً على يقين ، وليرد هذا الحمل الظالم الى
الحظيرة . هذه هي المرة الثالثة ، التي اظهر فيها المسيح ذاته بعد القيامة ، في
سجل هذا الاصحاح . وهي السادسة بين جميع المرات التي في كل البشائر

يُستفاد من قول البشير : « كان التلاميذ أيضاً داخلياً » ، انهم كانوا
مجمعين في ذات المكان الذي اجتمعوا فيه في الاحد الماضي . الا ان « خوفهم
من اليهود » ، قد انتهى منهم في هذه المرة الثانية ، لان تيقنهم من قيامة
سيدهم ، انتزع من بين ضلوعهم قلوب الغزلان ، ووضع مكانها قلوب الاسود
« فجاء يسوع والابواب مغلقة » . ذكر البشير هذه العبارة ، ليقرر لنا ان

سلام لكم . ٢٧ ثم قال لتوما هات اصبعك الى هنا وابصر يديَّ
وهات يدك وضعها في جنبي

المسيح دخل الى مكان اجتماعهم بطريقة معجزية — «ووقف في الوسط وقال
سلام لكم» — اطلب تفسير ١٩: ٢٠ ، حيث وردت هذه الكلمات بالذات

عدد ٢٧ . (ب) . المسيح يدعونا الى انه يختبره بنفسه اختباراً حسيّاً :
«ثم قال لتوما» — في هذه الاثناء ، حانت من المسيح التفاتة الى توما ، بها
مزق حجب الشكوك التي كان مدثراً بها هذا الرسول المستضعف ، فانتشله
الفادي من وهدة عدم الازمانه ، مثلما انتشل بطرس من هاوية اليأس ،
بتلك النظرة التي ادمت قلبه واستدرت الدموع من عينيه (لوقا ٢٢: ٦٢) ،
ثم مدَّ يده المثقوبة الى توما ، وقال «هات اصبعك الى هنا وابصر يديَّ» —
ثم كشف له عن جنبه المطعون ، وقال : «وهات يدك وضعها في جنبي» —
وهنا شعر توما المسكين ، كأن طبيب الارواح قد وضعه «على المشرحة» ،
وسلط عليه انواراً كشافة من علمه الكلي ، فكانت هذه الانوار اقوى من
الراديو ، وانفذ فعلاً من اشعة رنتجن . وما كان اشد غرابة توما ، عند ما سمع
قاديه يردد على مسمعه تلك الكلمات عينها ، التي سبق توما فأفصى بها الى
التلاميذ رفقاؤه . لا شك انه احس وقتئذ بمثل ذلك الاحساس ، الذي ملأ
قلب نثنائيل ، حين ادرك ان المسيح عالم بماضيه وحاضره (١: ٤٨ و ٤٩)
غير ان كلمات المسيح لتوما ، لم تكن مجرد دعوة منه لذلك التلميذ ،
بان يفحصه فحصاً حسيّاً ، لكنها تحمل بين طياتها تعنيفاً وتلويماً ، كما يظهر من

ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً. ٢٨ اجاب توما وقال له ربي والهـي.

قوله له : « ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً » ، لانه علم بالنية التي كان قد بيّتها توما في قلبه ، وتسليح بها — نية التشكك. ولو بقي هذا المسكين على هذه الحال ، لقاده التشكك الى عدم الايمان . فكأنه كان على مفرق طريقين ، بل كان الى عدم الايمان اقرب منه الى الايمان . هذه ، ولا شك ، حالة شاذة. لانه من الطبيعي ان يؤمن الانسان، الى ان يتبين سبباً لعدم ايمانه ، لكن توما صمم على عدم الايمان ، ما لم يجد سبباً لعدم ايمانه . هذا انسان سليم عدد ٢٨ . (٣) الضرورة الثالثة : توما يبرأ من الشك . ويجاهر بايمانه

غالباً جداً، لم يجد توما داعياً الى ان يلحس يدي المسيح ولا ان يضع يده في جنبه، بعد ان تحقق من كلامه له، انه علام الغيوب. عندئذ لم يقتنع فقط بان المسيح قام ، بل أيقن ايضاً ان المسيح المقام هو « الرب الاله » . هاتان الكلمتان ، تقابلهما في العهد القديم كلمتا «يهوه الوهيم» — «السيد الرب» (اشعيا ٦١: ١) . على ان توما لم يكتف بالقول ان المسيح رب واله ، بل أدخل نفسه في نسبة جديدة معه ، فقال — موجهاً الكلام الى المسيح بالذات : « ربي والهـي » ! هذه درجة ممتازة في الايمان ، تفوق كل الدرجات التي مررنا بها في هذه البشارة

فكأن يوحنا البشير قد بلغ مدى بشارته عند هذا العدد. ومن العجيب ان الذي صرّح بهذا الايمان الممتاز ، هو توما الذي طبع بطابع الشك — وهكذا يصير الآخرون اولين ! !

٢٩ قال له يسوع لانك رأيتني يا توما آمنت . طوبى للذين آمنوا

عدد ٢٩ . ارقى نرى الامامة : « قال له يسوع : لانتك رأيتني يا توما ، آمنت ؟ طوبى للذين آمنوا ولم يروا » . في هذا العدد يتجلى امامنا امره : اولهما - استقراء ممتزج بتعجب : « لانك رأيتني يا توما آمنت ؟ ! جميل ان المسيح لم يعنف توما على كلمات التعبد التي وجهها اليه ، كما انه لم ينفر منها - هذا دليل على ان المسيح اعظم من ملاك ، والا لاقتدى بملاك الرؤيا الذي عنف الرائي على عبادته له وقاله له : « لا تفعل .. اسجد لله » (رؤ ١٩ : ١٠) فضلاً عن هذا ، فان المسيح رحب بهذه العبادة التي قدمها له توما ، وقبلها كحق له ، لا ينازعه فيه احد - هذا دليل قاطع على ان المسيح اله تام . وان لم يكن الهاً تاماً ، فمن المحال ان يكون انساناً كاملاً ، لان الانسان الكامل لا يقبل العبادة التي لا يليق تقديمها الا لله وحده !

والامر الثاني - هو الغبطة المذخرة لجميع المؤمنين على مر الاجيال : « طوبى للذين آمنوا ولم يروا » - هذا نصيب ممتاز ، يفوق النصيب الذي تتمتع به البشير نفسه لانه آمن بعد ان رأى (٢٠ : ٨) . تذكرنا هذه الغبطة التي ميز بها المسيح المؤمنين من الرسل ، بتلك الغبطة التي سبق فميز بها المؤمنين عمن تربطهم به صلة جسدية (لوقا ١١ : ٢٧ و ٢٨) . ان توما هو الشخص الوحيد - في الرسل - الذي قُدمت له فرصة التمتع بهذه الغبطة ، لكنه تركها تمرّ من بين يديه ، فأضحت من نصيبنا نحن الذين انتهت الينا اواخر الدهور وهكذا يلتقي آخر هذه البشارة باولها . في مقدمتها أسمعنا يوحنا كلمة

ولم يروا . ٣٠ وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب . ٣١ واما هذه فقد كتبت لتؤمنوا ان يسوع هو المسيح ابن الله

المؤمن الواثق : « كان الكلمة الله . . . والكلمة صار جسداً » (١: ١ و ١٤) ،
وعند ختامها اسمعنا هتاف من كان شاكاً فأمن : « ربي والهي ! »

غاية يوحنا من كتابة بشارته ، وغاية غايته (٢٠: ٣٠ و ٣١)

في هذين العديدين ، ابان يوحنا البشير غايته من كتابة بشارته ، بكلمتين -
اولاهما : مليية (عدد ٣٠) ، والثانية : ايجابية (عدد ٣١)

عدد ٣٠ . (ا) غاية يوحنا من كتابة بشارته - الجانب السلبي : « وآيات
أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب » - لم يقصد
يوحنا ان يلم في بشارته بكل المعجزات التي صنعها المسيح قدام تلاميذه ،
ولكنه تخير منها سبع معجزات - والسبعة عدد كامل - كنموذج يساعد على
الوصول الى غرضه . ولقد اجاد في ترتيب هذه المعجزات ترتيباً تدريجياً منطقياً ،
ثم ختمها بمعجزة المعجزات - قيامة المسيح من الاموات

عدد ٣١ . (ب) غاية يوحنا من كتابة بشارته - الجانب الإيجابي : « واما
هذه فقد كتبت لتؤمنوا » : (١) « ان يسوع هو المسيح » رجاء اليهود ، ومشتهى
الأمم ، الذي تمت فيه نبوات العهد القديم وتكملت فيه رموزه : (٢) ان يسوع
المسيح هو « ابن الله » ، و « كلمة الله » المتجسد . فهو ليس نبياً على طراز جديد

ولكي تكون لكم اذا آمنتم حياة باسمه

نظير موسى ، وايليا ، وداود . بل هو «الله الذي ظهر في الجسد» . ولو لم يكن المسيح ابن الله لما امكن ان يكون هو مسيح اسرائيل او مسيح الله ، فمسيحيته قائمة على بنوته ، وبنوته تدعم مسيحيته . هو الانسان الكامل لانه هو الاله الحق — «هذا هو الاله الحق والحياة الابدية» (١ يو ٥: ٢٠)

ان لهذه الغاية التعليمية ، غاية عملية — هي : «لكي تكون لكم اذا آمنتم حياة باسمه» . فمع انه يكفي ان يكون الايمان غاية في ذاته ، الا ان يوحنا جعله ايضاً وسيلة لغاية عملية — نوال «الحياة الابدية» . فليست غاية يوحنا عقائرية ، فحسب ، بل هي ايضاً اخلاقية عملية

ان هذه الحياة الابدية مرتبطة ارتباطاً حياً «باسمه»

وهكذا نسمع في خاتمة هذه البشارة صدى صوت بدايتها

«فيه كانت الحياة . . . باسمه» (١ يو ٤: ١٢) — هذا هو الصوت

«لكي تكون لكم حياة باسمه» (٢٠: ٣١) — هذا هو الصدى



الاصحاح الحادي والعشرون

تمت البشارة -- على ساطئ و بحيرة الجليل

في قلب فلسطين ، تلك الارض المقدسة ، حيث تحمل الطبيعة سافرة
بمجدها وجلالها ، تقع بحيرة طبرية ، التي صارت الآن محط رحال الطيارات
التي تجتاز الأجواء من الغرب الى الشرق ، ومن الشرق الى الغرب ، مثلما
كانت شواطئها قديماً مدرسة خالدة تعلم فيها رسل المسيح ، الذين وصلوا الشرق
بالغرب ، والغرب بالشرق بكلمة بشارتهم . . . هذه هي البحيرة الهادئة الجميلة ،
ذات الماء الازرق الصافي ، التي أصغت امواجها الى الاحاديث العذبة التي
سمعتها التلاميذ من فم ذاك « الذي صوته كصوت مياه كثيرة » (رؤ ١: ١٥)
ان اجتماع المسيح بتلاميذه في تلك البقعة الجميلة ، لم يأت عرضاً . فلقد
سبق وانبا تلاميذه بهذا اللقاء : « كلّم تشكون في في هذه الليلة
ولكن بعد قيامي اسبقكم الى الجليل » (متى ٢٦: ٣٢)

على احدى ضفاف هذه البحيرة ، تقع المدينة « كفرناحوم » ، التي اختارها
المسيح وطناً ثانياً له ، فشهدت هذه البحيرة آيات كثيرة صنعها مخلصنا في ايام
جسده على الارض . فكان من الطبيعي ان تشهد ايضاً هذه البحيرة عينها ،
فصلاً مجيداً من حياة فادينا قبيل صعوده الى المجد

ان نسبة هذا الفصل الختامي ، الى الاصحاحات السابقة في هذه البشارة ،
كنسبة المقدمـة الافتتاحية (١ : ١ - ١٨) الى الاصحاحات التي تليها . في المقدمة
الافتتاحية ، رأينا المسيح « كلمة الله المتجسد » كائناً ، حياً ، عاملاً منذ الازل ،

قبل التجسد . وفي هذه الظاهرة ، نرى المسيح المقام عاملاً في كنيسته ، ومرتقياً الى العرش ، صائراً ملكاً متوجّجاً الى الابد ، ومرتباً مستقبل خدامه

ان هذا الفصل الذي اختتم به يوحنا بشارته ، مطبوع بذات الطابع الذي طُبعت به سائر اجزاء البشارة . ومكتوب بنفس الأسلوب الذي كتبت به ، يتضمن عدداً وفيراً من ذات العبارات ، التي يتميز بها قلم يوحنا البشير

فن هذه العبارات الممتازة : (١) كلمة « أظهر » — هذه لم ترد بصيغة المبني للمعلوم — في كل الانجيل — إلا في كتابات يوحنا البشير وحده . (قابل هذا بما جاء في ٣١:١ و ٢١:٣ و ٩:٣ و ١٤:٢١ و ١ يوحنا ٢:١ و ٢:٢ و ١٩:٢ و ٢٨ و ٣:٣ و ٥ و ٨ و ٩:٤) . (٢) « بحيرة طبرية » — هذا هو الاسم الخاص الذي أطلقه يوحنا البشير وحده على هذه البحيرة (انظر ايضاً ١:٦) ، مع العلم ان متى يسميها « بحر الجليل » (متى ٤:١٨) ، ولوقا يدعوها : « بحيرة جنيسارت » (لوقا ١:٥) . (٣) كلمة : « هكذا » (١:٢١) . (٤) وصف توما الرسول (قابل ١٦:١١ و ١٤:٥ و ٢٤:٢٠ بما جاء في ٤:٢١) . (٥) ذكر اسم ثنائيل (قابل ٤٥:١ بما جاء في ٢:٢١) . (٦) حذف اسمي ابني زبدي — على اعتبار ان يوحنا البشير احدهما (٢:٢١) . (٧) كلمة : « أتصيد » (قابل ٣:٢١ و ١٠ و ١٠:٣ و ٧:٣٠ و ٣٢ و ٤٤ و ٢٠:٨ و ٢٠:١٠ و ٣٩:١١ و ٥٧:١١ و رؤى ٢٠:١٩) . (٨) كلمة : « جمرًا » (قابل ٩:٢١ بما جاء في ١٨:١٨) . (٩) تلقيب سمعان بطرس بـ « ابن يونا » (قابل ٢١:١٥ و ١٦ و ١٧ بما جاء في ٤٢:١) . (١٠) كلمتا : « الحق الحق » (قابل ٢١: ١٨ بما جاء في ١:١) . (١١) العبارة : « قال هذا مشيراً » (قابل ١٩:٢١ بما

١ بعد هذا أظهر أيضاً يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية.

جاء في (٣٣:١٢ و ٣٢:١٨). (١٢) كلمة: «يبقى» (قابل ٢٢:٢١ بما جاء في ٣٢:١ و ٣٣ و ٣٩ و ٤٠ و ١٢:٢ و ٣٦:٣ و ٤٠:٤)

يتقسم هذا الفصل الى قسمين رئيسيين ، اولهما : المسيح وتلاميذه كـمجموع (١:٢١-١٤). ثانيهما : المسيح واتباعه من تلاميذه (١٥:٢١-٢٣) خاتمة تاريخية (٢٤:٢١ و ٢٥). في القسم الاول نرى صورة رمزية لبرنامج عمل الكنيسة كـمجموع، وفي الثاني نرى صورة لبرنامج اثنين من افراد فدادم الكنيسة اولاً : المسيح ومبعة من تلاميذه (١:٢١-١٤). في هذا القسم نرى التلاميذ في ثلاث حالات : (أ) الفشل الذي حل بهم وهم يعملونه من تلقاء ذواتهم (١:٢١-٢). (ب) النجاح الذي اصابهم وهم يعملونه طبقاً لارشاد المخلص (٤:٢١-١١). (ج) الشبع الذي نالوه من المسيح المقام (١٢:٢١-١٤) (أ) الفشل الذي حل بالتلاميذ وهم يعملونه من تلقاء ذواتهم (١:٢١-٣) انقضت ايام الفصح، فاقفل التلاميذ راجعين الى الجليل، فاجتمع مبعة منهم على بحر طبرية. وان في اجتماعهم معاً على هذه الصورة ، لا كبر دليل على ان قيامة المسيح قد وحدث صفوفهم ، بعد ان شئت الصليب شملهم

عدد ١. (١) ظهور المسيح للتلاميذ على بحر طبرية : «بعد هذا أظهر ايضاً يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية. ظهر هكذا». ما أشبه هذه العبارة بحلقة اتصال بين ظهور المسيح لتلاميذه في اورشليم ، وظهوره لهم في الجليل . في هذا تعتبر رواية يوحنا جامعة لما بين طرفي رواية متى — عن ظهور المسيح في

ظهر هكذا. ٢ كان سمعان بطرس وتوما الذي يقال له التوأم وثنائيل الذي من قانا الجليل وابنا زبدي واثنان آخران من تلاميذه مع بعضهم

الجليل، ورواية لوقا — عن ظهوره للتلاميذ في اليهودية. فنحن مدينون ليوحنا بهذه الحقيقة — وهي: ان المسيح ظهر لتلاميذه في كلا اليهودية والجليل

عدد ٢. (٢) السبعة الذين ظهر لهم يسوع: «كاث سمعان بطرس وتوما الذي يقال له التوأم، وثنائيل الذي من قانا الجليل، وابنا زبدي. واثنان آخران من تلاميذه مع بعضهم». هؤلاء سبعة تلاميذ — والسبعة عدد كامل — وقد ذكر منهم البشير، أسماء ثمرة نصريحا — وهم: «سمعان وتوما، وثنائيل». واثنين نلجأ — وهما: «ابنا زبدي»، اللذان تحاشى البشير ذكر اسميهما، تواضعا منه، لانه احدهما. واثنين، وصفهما بالقول «من تلاميذه» — ومن المعقول انهما كانا (*) اندراوس وفيلبس، — لان قائمة الاسماء التي في غرة هذا الاصحاح، تذكرنا بتلك القائمة التي وردت عند ختام الاصحاح الاول، فهي تتضمن ذات الاسماء التي في تلك، مع اضافة اسمي توما ويعقوب مما جعل عدد الرسل رمزاً الى كمال الخدمة في الكنيسة المسيحية

أو لا نجد في وضع البشير، اسم «سمعان بطرس» واسم «توما» جنباً الى جنب، مغزى خاصاً — وهو ان هذا المشهد جمع التلميذ الذي انكر سيده، بذاك الذي شك فيه، وضمهما، على رغم ضعفهما، الى صفوف الرسل؟

(*) يعتقد نجودي ان هذين التلميذين اللذين لم يذكر يوحنا اسميهما ليسا من الرسل وانما هما من صفوف التلاميذ المؤمنين. ويظن ان احدهما هو ارستيون، وثنائيل يوحنا، لذي كان يشغل وظيفة شيخ في الكنيسة الاولى، ولقبه بايلاس ب «تلميذ قديم للرب»

٣ قال لهم سمعان بطرس أنا أذهب لأتصيد . قالوا له نذهب نحن
يضاً معك . فخرجوا ودخلوا

عدد ٣ . (٣) التلاميذ يقضونهم في الصيد بغير جدوى :

« قال لهم سمعان... » . في هذا العدد تتجلى امامنا ثمرات حقائق رئيسية
(أ) اقترح بطرس : « قال لهم سمعان بطرس انا اذهب لأتصيد » . فمثلاً قضي
التلاميذ الفترة التي بين دعوتهم الاولى ، وبين بدء خدمتهم الجهرية ، في
الصيد ، كذلك ارادوا ان يقضوا الفترة التي بين رجوعهم الى الجليل ،
وتسليمهم مهام خدمتهم ، في نفس ذلك العمل — « الصيد » . فليس في قول
بطرس « انا اذهب لأتصيد » ما يفيد انه انحرف عن جادة الخدمة ، وانما قصد
ان يملأ يده بعمل شريف ليقفات منه — والمسيح يظهر نفسه دائماً للعاملين
الشرفاء — حتى تحين ساعة تسلمه مقاليد اشرف الاعمال . ومن العجيب ، ان
بطرس ، على رغم انكاره لسيدته ، لم يزل محتفظاً بمقام الزعامة بين الرسل ، لانه
كان غالباً اكبرهم سناً ، واكثرهم اقدماً ، واسبقهم الى الكلام

(ب) الرسل يقضونهم ببطرس : « قالوا له نذهب نحن ايضاً معك » . مثلاً
اقتدى يوحنا ببطرس في الدخول الى القبر (٢٠: ١٨) ، كذلك ايضاً ، اقتدى
سائر الرسل ببطرس في الانصراف الى الصيد : « نذهب نحن ايضاً معك »

(ج) فشل بطرس والتلاميذ في تلك الليلة : « فخرجوا ودخلوا السفينة
لوقت . وفي تلك الليلة لم يمسكوا شيئاً » . غالباً جداً انتظر التلاميذ ، حتى
اتقضى السبت اليهودي ، وما ان غربت شمسهم ، حتى « خرجوا » من بيوتهم

السفينة للوقت وفي تلك الليلة لم يمسكوا شيئاً. ٤ ولما كان الصبح

لينتصيدوا في تلك البحيرة — «ودخلوا السفينة» — والظاهر أنها هي سفينة بطرس، التي كان قد تركها منذ ان تبع المسيح (لو ٥: ١١)، ولما دعت الحاجة اليها، استردها ممن باعها له او استودعها عنده — «وفي تلك الليلة لم يمسكوا شيئاً» — لزيد الأسف. هل ذكرهم فشلهم هذا، بذلك الفشل الذي صادفهم قبل ان يتبعوا المسيح؟ (لو ٥: ٥). او انهم كانوا متعبين للرجة لم يستطيعوا فيها ان يفكروا في شيء سوى شباكم الخاوية؟ يلاحظ — في اللغة الاصلية — ان يوحنا وضع تنبيهاً خاصاً على قوله: «تلك الليلة»، على اعتبار انها كانت ليلة خاصة، فتميزت بهذا الفشل الغير العادي. وكأنه اراد ان يقول: «تلك الليلة الموعودة». هذا فشل هو نعم النجاح. فلو كان التلاميذ قد نجحوا في تلك الليلة، لوجدوا من تشجيعهم، تحريضاً لهم على التمادي في الصيد. لكن العناية الالهية جعلت فشلهم في صيد الاسماك من بحيرة طبرية، توطئة وعربوناً لنجاحهم المقبل في صيد نفوس من بحر الحياة. وان فشلاً يربيه لنا الله، خير من نجاح ندبره نحن لأنفسنا

(ب) النجاة الذي اصابهم وهم يسمونه بارشاد المخلص (٢١: ٣-١١)

عدد ٤. (١) الضيف المجهول: «لما كان الصبح...». ظل التلاميذ معذبين في تلك الليلة، على رغم كون الليل بطبيعته من انسب الاوقات للصيد (لو ٥: ٦). ولعلمهم ظنوا ان مهنة الصيد تركتهم، بعد ان تركوها هم. وفيما هم على هذه الحال، واذا بالفجر يطوي رداءه الأغبر ليفرّ من وجه

وقف يسوع على الشاطئ . ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون انه يسوع . ه فقال لهم يسوع يا غلمان أعل عندكم إداماً

النهار . فما كادت تشرق شمس الطبيعة من وراء الأفق ، حتى اشرق «شمس البر» من فوق الشاطئ ، واشرف عليهم : فالتمسوا في السفينة والمسيح على الشاطئ ، اشتان ما بين موقفهم وموقفه — هم في سفينتهم الصغيرة ، تتقاذفها وایام الامواج ، وتعبث بهم المخاوف طوال الليل وهو على الشاطئ ، عند اشراق الصباح ، حيث الثبات ، والاطمئنان ، والنور . ألا نجد في موقفهم هم ، رمزاً للمتعب التي تحمل بخدام الكنيسة وهم يعملون في بحر هذا الوجود اثناء ليل الحياة ؟ أوليس موقفه هو ، رمزاً لمقام الثقة ، والاطمئنان ، والمجد ، الذي يتمتع به بعد ان اكمل عمل الفداء ؟ أولا يذكرنا موقفه هنا وهو على الشاطئ ، منتظراً ان يعزي تلاميذه ويشجعهم . بذاك الموقف العجيب ، الذي رآه فيه استفانوس قائماً لنجدته واستقباله قبل موته ؟ «ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون انه يسوع» . وكم من المرات يقف المسيح على شاطئ بحر حياتنا ، ونحن عن معرفته غافلون

عدد ٥ . (٢) الرائي المعطى : «فقال لهم يسوع يا غلمان» . ناداهم الفادي بقوله لهم : «يا غلمان» تحبباً منه وتودداً . وغالباً كان النداء على هذه الصيغة مألوفاً في ذلك الوقت — «أعل عندكم إداماً» . هذه هي المرة الوحيدة التي وردت فيها كلمة : «إدام» في العهد الجديد . ويراد بها اصلاً ما يؤكل مع الخبز وقد أطلقت من قبيل التخصيص ، على « السمك » . ان السؤال الذي ألقاه

أجابوه لا . ٦ فقال لهم ألقوا الشبكة الى جانب السفينة الايمن فتجدوا . فألقوا ولم يعودوا يقدرّون ان يجذبوها من كثرة السمك .

المسيح على تلاميذه بهذه الصيغة ، يحمل معه جوابه السلبي . فهو عالم بكل شيء وكان منتظر هذا الجواب ، وانما سألم اياه ليحملهم على الاعتراف بفشلهم . لان النجاح الذي يرتبه الله لخدمته لا يبتدىء الا بعد ان يصلوا الى منتهى فشلهم

«اجابوه لا» . ان كلمة : «لا» قبيحة في حد ذاتها ، لكن ما اجملها متى كانت ممهدة السبيل لعمل القدرة الالهية في حياتنا ! وبما ان نور الشمس لم يكن قد انتشر بعد في الارحاء ، لذلك لم يستطع التلاميذ ان يميزوا الرب ، بل ظنوه رجلاً جليلاً جاء لابتاع منهم سمكاً

عدد ٦ . (٣) السائل المجهول يقدم لهم اشارة فيثقفونه فأمر ويلقونه الشبكة : «فقال لهم القوا الشبكة الى جانب السفينة الايمن فتجدوا» . سرعان ما سمع التلاميذ من هذا الزائر الغريب ، هذه النصيحة التي عين لهم فيها الجهة المناسبة للصيد ، حتى صدعوا بأمره ، ظناً منهم انه لمح — وهو على الشاطئ — تموجات في الماء ، أو علامات اخرى ، دلته على وجود سمك في ذلك الموضع المعين ، من غير ان يعلموا انهم منفذون أمر سيدهم وفاديتهم . «فألقوا شباكهم ولم يعودوا يقدرّون ان يجذبوها من كثرة السمك» . فقد يكون النجاح دليلاً على حضور الله في وسط شعبه ، ورضاه عنهم ، الا ان هذه قاعدة لها شواذها ، فقد تأتينا بركات من الله مبرقة بحجاب الفشل .

٧ فقال ذلك التلميذ الذي كان يسوع يحبه لبطرس هو الرب فلما سمع

عدد ٧. (٤) اسبق التلميذ الى تمييز هذا الزائر الكريم: «فقال ذاك التلميذ الذي كان يسوع يحبه» — أي يوحنا — «لبطرس: هو الرب». ان عيني المحبة كعيني النسر، تريان ما لا تراه أعين اخرى، فلا عجب اذا كانت عينا يوحنا اسبق العيون الى تمييز شخصية المسيح، فهو التلميذ المحب. على ان المحبة لا تكتفي بان تسبق غيرها في ميدان المعرفة، لكنها ايضاً تسبق سواها في اشراك الآخرين معها في ما تكتشفه من كنوز. لذلك قال يوحنا لبطرس:

«هو الرب» — هاتان الكلمتان، شبيهتان بمنارتين مضيئتين، اذا حملهما الانسان معه انى سار، بددت انوارهما كل ظلام ويأس في سبيل حياته. لكن احباء الله، هم وحدهم الذين يستطيعون ان يروا الرب في كل شيء. فاذا ما حلت بهم اوقات ضيقات ومسررات، وافراح واتراح، وفشل ونجاح، وخسائر وارباح، رأوا في هذه كلها يد الرب، وقالوا: «هو الرب». ولكن لا فضل ليوحنا في حبه للفادي، لان محبته للمسيح لم تكن سوى صدى صوت محبة المسيح له: «نحن نحبه لانه هو احبنا اولاً». ومما ساعد يوحنا على تمييز شخصية الفادي، ان النجاح الذي صادفهم في هذه المرة ذكره بذلك النجاح الذي كان قد صادفهم في مناسبة سابقة، عند بدء تعرفهم بالرب (لو ٥: ٦ و ٧)

(٥) بطرس ايضاً يميز هذا الزائر الكريم فيسرع الى لقاء: «فلما سمع سمعان بطرس انه الرب اتزر بثوبه» — هذه هي المرة الوحيدة التي وردت فيها الكلمة: «ثوب» في اللغة الاصلية في العهد الجديد — «لانه كان عرياناً

سمعان بطرس انه الرب اترز بثوبه لانه كان عرياناً وألقى نفسه في البحر . ٨ وأما التلاميذ الآخرون فجاءوا بالسفينة لانهم لم يكونوا

والتي نفسه في البحر » . كان يوحنا محباً لسيدته ، وكذلك كان بطرس . لكن كلاً منهما عبّر عن محبته لقاديه ، بالطريقة التي تتفق ومزاجه الخاص ، فيوحنا المحب ، الساكن الرهاوي ، عرف شخصية الرب ، لكنه ظلّ في مكانه ساكناً ، متأملاً ، منتظراً حتى ترسو السفينة في وقتها المناسب . اما بطرس الفبور المنزع ، فحالما عرف شخصية السيد ، لم يتمهل حتى ترسو السفينة ، بل اندفع — وعادته الاندفاع — والتي بنفسه في البحر ، بعد ان « اترز بثوبه لانه كان عرياناً » ، مع انه لو ظل في مكانه في السفينة ، لرست السفينة على الشاطئ قبله ، اذ لم يكن بينه وبين الشاطئ « الا نحو مئتي ذراع » . ولكن انى لبطرس ان يتمهل في مكانه منتظراً وهو الذي يريد ان يبالغ في اظهار ولائه لسيدته ، بطريقة تمحو نكرانه له (٢٨: ١٨) ؟

يذكرنا موقف بطرس هنا ، بموقف آخر له عند بدء تعرفه بالمسيح (لو ٨: ٥) . هناك رأينا بطرس شاعراً بخطأياه ، وفاراً من وجه مولاه قائلاً : « اخرج من سفيني يا رب » . وهنا نراه شاعراً ايضاً بخطيته ، وفاراً الى وجه السيد . فشعور المرء بخطيته يبعده عن الله في بادىء الامر ، لان الله نور لا يدنو منه ظلام . ونفس هذا الشعور يدفع الانسان ايضاً الى الالتجاء الى الله ، مستنجداً به ومستغنياً . لان الله ليس قاضياً فقط ، بل هو ايضاً ولينا ٨٥٤ . (٦) موقف التلاميذ الآخرين تجاه هذا الضيف الكريم :

بعيدين عن الارض الانحو متي ذراع وهم يجرّون شبكة السمك .
 ٩ فلما خرجوا الى الارض نظروا حجراً موضوعاً وسمكاً موضوعاً
 عليه وخبزاً . ١٠ قال لهم يسوع قدموا من السمك

«اما التلاميذ الآخرون ، فجاءوا بالسفينة ، لانهم لم يكونوا بعيدين عن الارض
 الانحو متي ذراع» — المثلثا ذراع هذه ، تساوي نحو خمسة وتسعين متراً
 عدد ٩ . (٧) الضيف المضيف : « فلما خرجوا الى الارض نظروا حجراً
 موضوعاً وسمكاً عليه وخبزاً » . ما اكرم هذا المضيف الذي اتى الى تلاميذه
 على الشاطئ ، ضيفاً سائلاً اياهم عما عندهم من ادام ، كما لو كان هو محتاجاً
 الى ادامهم ، مع انه سبق فأعد لهم على الشاطئ إداماً وخبزاً من لده . لم يقل
 لنا الكتاب ، من اين اتى المسيح بهذا السمك وهذا الخبز . ويكفي ان نذكر
 انه هو رب البحر والبر ، وان كل ما فيهما ، في قبضة يديه . وفي اعتقادنا
 ان ما اعده المسيح على الشاطئ لتلاميذه ، ليس سوى رمز لما اعده لجميع خدامه ،
 ليتمتعوا به ، متى فرغوا من اعمالهم في بحر الحياة ، ووصلوا الى شاطئ الابد
 عدد ١٠ . (٨) المضيف الكريم يطلب اليهم انه يقدموا من السمك
 الذي امسكوه . « قال لهم يسوع قدموا من السمك الذي امسكتم الآن » .
 يحدثنا هذا العدد عن ثمرة امور : اولها — علم المسيح بكل شيء . لانه
 واضح ان التلاميذ لم يكونوا قد جذبوا بعد شبكتهم من البحر (عدد ١١) .
 فأمره لهم بان يقدموا من السمك الذي امسكوه ، دليل على انه يحيط علماً بكل
 شيء . وثانيها — ان المسيح بطليه الى تلاميذه ان يقدموا له ما سبق فقدمه لهم ،

الذي أمسككم الآن . ١١ فصعد سمعان بطرس وجذب الشبكة الى الارض ممتلئة سمكاً

ارادهم ان يعترفوا بعطاياه لهم ، وان يدركوا ان هذه العطايا ليست المحفظ ، بل للاستعمال . وتأثيرها — ان في مطالبة المسيح تلاميذه ، بان يقدموا من السمك الذي امسكوه ، رمزاً الى انه سيطعم المؤمنين الامناء من تعب ايديهم متى بلغوا شاطئ الابد . فمع ان الحياة الابدية تُعطى للانسان هبة مجانية ، الا ان جانباً غير يسير من مسراتها ، يعود على الانسان نتيجة امانته فيما سلم اليه من وزنات

عدد ١١ . (٩) العدد الثامن : « فصعد سمعان بطرس » — هذه مرة أخرى نرى فيها بطرس اسبق زملائه الى العمل — « وجذب الشبكة الى الارض ممتلئة سمكاً كبيراً مئة وثلاثاً وخمسين ومع هذه الكثرة ، لم تتخرق الشبكة » . اهتم المفسرون — من متقدمين ومتأخرين — بعدد الاسماك التي اصطادها الرسل ، وعلقوا عليه تعليقات شتى : فكيرلس الاسكندري ، حسب العدد ١٥٣ مؤلفاً من ١٠٠ + ٥٠ + ٣ . فالعدد ١٠٠ يرمز الى ملء الامم ، والعدد ٥٠ يرمز الى البقية المختارة من اسرائيل ، والعدد ٣ الى الثالوث الاقدس . وقال اغسطينوس : ان العدد ١٠ يرمز الى الناموس ، ولكن بما ان الناموس يقتل ، لذلك اضاف رقم ٧ الى العدد ١٠ الذي يمثل حسب رأيه ملء هبات الروح ، ثم جمع الاعداد من ١ الى ١٧ فصار المجموع ١٥٣ . من اجل ذلك ارتأى ان هذا العدد الاخير ، يرمز الى كل الداخلين تحت لواء المسيح الذي التقت فيه النعمة بالناموس . وقال كستلين ان ١٥٣ هو عدد

كبيراً مئة وثلاثاً وخمسين. ومع هذه الكثرة لم تتحرق الشبكة .

انواع الاسماك التي كانت معروفة وقتئذ ، دلالة على ان المختارين سيكونون من كل قبيلة ، وشعب ، وامة . وقال هنجستنبرج : ان عدد الاسماك يرمز الى ال ٦٠٠ و ١٥٣ دخیلاً ، الذين كانوا قد دخلوا حظيرة اسرائيل حتى عهد سليمان (٢ اي ١٧:٢) . ومهما يكن من امر هذه التأويلات ، التي لا تخلو من طرافة ممتزجة بغرابة ، فاننا نعتقد ان الاستفادة من هذا العدد هو : (ا) ان السمك الذي اصطاده الرسل كان كثيراً جداً . (ب) ان هذا السمك بلغ كثرة الى حد ان الرسل اهتموا باحصاء عدده فوجدوه ١٥٣ . (ج) ان كل السمك الذي اصطاده الرسل ، وصل الى الشاطئ ، من غير ان يسقط منه شيء ، بدليل قوله ان « الشبكة لم تتحرق » ، دلالة على ان كل المختارين سيصلون الى موطن السلام من غير ان يفقد منهم احد

وقد اهتم بلومر احد المفسرين العصريين ، بوضع مقابلة بين الاسماك التي اصطادها التلاميذ في هذه المرة ، وبين تلك التي اصطادوها عند بدء خدمتهم (لو ٥: ٦) ، فقال ان تلك الاسماك ترمز الى الكنيسة المجاهدة ، وهذه ترمز الى الكنيسة الظاهرة . تلك ضمت عدداً كبيراً من اسماك مختلفة — بعضها حسن وبعضها ردي ، مما دعى الى تمزيق الشبكة — شأن الكنيسة المجاهدة التي مزقتها الانقسامات والاهواء . واما هذه ، فانها ترمز الى الكنيسة المنتصرة ، التي لا تجمع الا المختارين وحدهم ، الذين لا يهلك منهم احد

١٢ قال لهم يسوع هلموا تغدوا. ولم يجسر أحد من التلاميذ ان يسأله من أنت إذ كانوا يعلمون انه الرب. ١٣ ثم جاء يسوع وأخذ الخبز واعطاهم وكذلك السمك

(ج) الشبع الذي ناله التلاميذ من المسيح المقام (١٢: ٢١ - ١٤)

عدد ١٢. (١) المضيف الكريم يدعو ضيوفه الى طعام الافطار الذي اعد لهم: «قال لهم يسوع هلموا تغدوا». في بدء تعرفهم به، قال لهم: «هلموا ورأي»! والآن قبيل اقترافه عنهم، قال لهم «تعالوا تغدوا»! تلك دعوة للتعلمة، وهذه دعوة الى الشركة والشبع. ولقد لبى التلاميذ هذه الدعوة الاخيرة، مثلما لبوا دعوته الاولى. لكن التهييب، والفرح، والافتناع، قد ملكت عليهم مشاعرهم في هذه المرة. «فلم يجسر أحد منهم ان يسأله من أنت إذ كانوا يعلمون انه الرب» — على رغم التغير الذي لاحظوه على هيئته بعد القيامة. هذا دليل آخر، على ان كاتب هذه البشارة شاهد عيان. لانه لم يكتب بان ينقل اليها اقوال التلاميذ، بل صور لنا ايضاً مشاعرهم، بدقة فائقة

عدد ١٣. (٢) المضيف الكريم يطعم ضيوفه مما اعد لهم: «ثم جاء يسوع» — لما رأهم محجمين عن الدنو منه، بسبب خوفهم وتحييهم، تقدم هو اليهم — «واخذ الخبز واعطاهم». وردت كلمتا: «خبز» و «سمك» بالفرد، دليلاً على انهما هما الخبز والسمك اللذان كان قد اعدهما المسيح على الشاطئ، قبل ان يجذب التلاميذ شبكتهم من البحر. فما اكرم هذا المضيف الذي لا يقدم لضيوفه الا مما اعدّه شخصياً من عنده!!

١٤ هذه مرة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذه بعدما قام من الاموات

١٥ فبعد ما تغدوا قال يسوع لسمعان بطرس

عدد ١٤ . (٣) كلمة تاريخية تفسيرية : « هذه مرة ثالثة ظهر يسوع

لتلاميذه بعدما قام من الاموات » . اما المرة الاولى التي سجلها يوحنا ، فقد

مررنا بها في ٢٣:٢٠ ، والثانية في ٢٦:٢٠ - ٢٩

ثانياً : المسيح واثنتاه من تلاميذه (١٥:٢١ - ٢٣) . هذا الفصل

فيه مشهده : (١) المشهد الاول : المسيح وبطرس (١٥:٢١ - ١٩) .

(ب) المشهد الثاني : المسيح ويوحنا (٢٠:٢١ - ٢٣)

(١) المشهد الاول : المسيح وبطرس (١٥:٢١ - ١٩) . في هذا المشهد

أكد المسيح لبطرس غفرانه التام ، وثبته في وظيفة الرسولية ، وسلمه مقاليدها

من جديد ، في حديث يتألف من خمسة اعداد . الثموية الاولى منها

(عدد ١٥ - ١٧) ، تتضمن سؤالاً مثلثاً ، وجواباً مثلثاً ، ومهمة مثلثة . وفي

العدد الباقيين (عدد ١٨ و ١٩) ، انبأ بطرس بما سيصديه في مستقبل الايام

السؤال المثلث ، والجواب المثلث ، والمهمة المثلثة : (١٥:٢١ - ١٧) .

من الملاحظ ان كل عدد من هذه الثموية الاعداد ، يتضمن سؤالاً في غرته ،

وجواباً في وسطه ، ومهمة في خاتمته

ترطئة تاريخية : « فبعد ما تغدوا قال يسوع لسمعان . . . » . على شاطئ*

بحر طبرية تسلم بطرس مهام وظيفته لأول مرة ، وهو يصطاد سمكاً (لو ٥ :

١٠) ، وعلى شاطئ* هذه البحيرة عينها ، امثرو بطرس مقاليد وظيفته وهو

١٦ قال له أيضاً ثانية يا سمعان بن يونا اتحبنى . قال له نعم يا رب انت

السابقة، او عن عزمه الاكيد على ان لا يعود الى مثلها مرة أخرى، او عن كبار الاعمال التي ينوي ان يقوم بها في مستقبل الايام ، او عن ايمانه وما سيجود به من ثمار طيبة ، لكن المسيح لم يسأل بطرس لا عن هذا ، ولا عن ذاك ، وانما سألته عن شيء واحد — المحبة . ولا عجب . فالمحبة هي رباط الكمال . او كما قال اغسطينوس «أحب من كل القلب ثم افعل ما بدا لك» . في هذا يمتاز بطرس عن يهوذا — ليس لان خطيته اصغر من خطية ذاك ، بل لان ولأه لمولاه ، اجلّ واكبر . فالحب كان مائلاً قلب بطرس . والسم ، قلب يهوذا ومن الملاحظ ان كلمة: «محبة» التي استعمالها المسيح في سؤاليه — الاول والثاني — لبطرس (عدد ١٥ و ١٦) ، هي غير كلمة: «محبة» التي استعمالها بطرس في جوابيه الاول والثاني . فالمسيح استعمل فيها كلمة «اجابان» وهي تعني المحبة في اجل مظاهرها واقوى مشاعرها واسمى درجاتها . مع ان الكلمة التي استعمالها بطرس في اجوبته الثموية هي «فيلين» وهي نفس الكلمة التي استعمالها المسيح في سؤاله الثالث (عدد ١٧) ، وهي تعني المحبة في مظاهرها الاعتيادية الطبيعية ، وهي اقرب الكلمات الى المودة . هذا دليل آخر على ان البشير كان شاهداً عياناً، وانه اهتم بأن يصور لنا هذا الموقف الاخير، بين المسيح و بطرس، بنائية الدقة ، فحرص على ان يحفظ لكل كلمة قوتها ودلالاتها . هذا وان في استبدال المسيح في سؤاله الثالث ، كلمة «اجابان» الممتازة ، بكلمة «فيلين» المتواضعة ، تعليلاً آخر لحزن بطرس ، الذي استولى عليه ، عند سماعه هذا

تعلم أني احبك . قال له ارفع غنمي . ١٧ . قال له ثلاثة يا سمعان بن يونا

السؤال الثالث من سيده . فمع انه من المسلم به ، ان تكرار المسيح لسؤاله لبطرس ، تموت مرات ، كان سبباً رئيسياً في احزان قلب بطرس — لان السؤال الذي أعيد عليه تموتاً ذكره بخطيته التي ارتكبها تموتاً ، الا ان بطرس حزن ايضاً لانه كلمة ، « فيلين » التي ذكرها المسيح في سؤاله الثالث ، اشعرته بان المسيح لم يحسبه اهلاً لتلك المحبة الرفيعة الممتازة ، الذي سألها عنها في المرتين الاولى والثانية

وجدير بالملاحظة ان المسيح ذكر في سؤاله الاول لبطرس ، عبارة اغفلها عمداً في سؤاليه الثاني والثالث ، وهي قوله : « اكثر من هؤلاء » (عدد ١٥) . فقد اتخذ المسيح هذه العبارة ، اداةً لتذكير بطرس بعهوده التي قطعها على نفسه ، متفاخراً بها على زملائه : « اني اضع نفسي عنك » « ان شك فيك الجميع فانا لا اشك » (يو ١٣: ٣٧ ومتى ٢٦: ٣٣) . اما وقد رأى المسيح من جواب بطرس المثلث ، انه اقلع عن عادة التفاخر على اترابه ، فلم يجد داعياً لتكرار هذه العبارة . لانه لا يلقي علينا درساً مرتين متى فهمناه بول مرة

الجواب المثلث : « ... نعم يارب انت تعلم اني احبك » (عدد ١٥) « ... نعم يارب انت تعلم اني احبك » (عدد ١٦) . « ... انت تعلم كل شيء انت تعرف اني احبك » (عدد ١٧) — هذه كلها اجوبة منعمة بروح التواضع ، ومشبعة بالشعور بالضعف . فقد زال منها كل أثر للزهو والخيلاء ، بل قد انعدم منها كل أثر للاعتداد بالذات . لان في استشهاد بطرس بعلم المسيح ، ومعرفته — مع

أُتَحَبِّبِي . فحزن بطرس لانه قال له ثالثاً أُتَحَبِّبِي فقال له يا رب انت

عدم ذكره شيئاً عن تفضيله نفسه على الآخرين — لا كبر دليل على ان بطرس قد كل ثقة بنفسه، وانه وضع ثقته التامة في المسيح. لان النبوة في كلامه واقعة على كلمة « انت » . في هذا ايضاً دليل ، على ان بطرس كان مخلصاً في حبه لمولاه، والا لما تجاسر ان يستشهد بعلم المسيح، وهو موقن ان سيده عليم بذات الصدور. كذلك ايضاً لم يذكر بطرس في جوابه كلمة واحدة عن المستقبل ، بل اكتفى بالكلام عن الحاضر . الآن فقط ادرك ان المستقبل بين يدي الله ، وان ليس له ، الا اللحظة التي هو فيها

ولقد استعمل بطرس في جوابه المثلث ، كلمتين مختلفتين بمعنى « عرف » فالكلمة الاولى « أويدياس » — وقد اوردها في جوابيه الاولى والثاني (عدد ١٥ و ١٦) ، تعني علم المسيح الالهي الخارق الطبيعة . والكلمة الثانية « جينوسكياس » — وهذه استعملها في جوابه الثالث (عدد ١٧) — تعني علم المسيح الاختباري نتيجة الفحص الذاتي . الكلمة الاولى تُرجمت الى العربية « تعلم » ، والكلمة الثانية ترجمت « تعرف »

المرحلة الثالثة : « ... ارفع خرافي » (عدد ١٥) « ... ارفع غنمي » (عدد ١٦) « ... ارفع غنمي » (عدد ١٧)

ما اعجب حب قادينا ، وما اوسع رحمته النافرة . فهو لم يكتف بان يغفر لبطرس خطاياه ، بل شرفه بوكالة سامية ، واثمنه على قطيعه المختار . فغفر المسيح يذكر الخطايا ولا يغفر ، وان غفر ذكر ، وان غفر ونسي تعذر عليه ان

تعلم كل شيء.. أنت تعرف اني احبك . قال له يسوع ارفع غنمي

يأتين من سبق ان ائتمنه فخان . لكن المسيح يغفر ، ولا يذكر ، ويأتمنى
« ارفع خرافي » .. « ارفع غنمي » .. « ارفع غنمي » — الآن انتقل بطرس
من عمل الصياد ، الى خدمة الراعي . لان النفوس بعد ان تُنقذ من مخاطر
العالم ، تحتاج الى طعام وغذاء . هذا امتياز الخراف على السمك . فالسمك
يصطادونه ليأكلوه ، والخراف ينقذونها ليطعموها . فالصيد عمل البشر ،
والرعاية عمل الراعي

الكلمة المترجمة « ارفع » في عددي ١٥ و ١٧ ، تعني تغذية الخراف بالطعام
والكلمة المترجمة « ارفع » في عدد ١٦ ، تعني الرعاية المستمرة — بما فيها
الحرص والعناية والسياسة (لوقا ١٧: ٧ و ١٨ كور ٩: ٧) . وكذلك الكلمة التي
ترجمت الى « خرافي » في عدد ١٥ ، هي غير الكلمة التي ترجمت الى « غنمي »
في عددي ١٦ و ١٧ . فالاولى تعني « المملوكة » الصغيرة التي تلازم الحظيرة —
هذه تلزمها التغذية بالطعام داخل الحظيرة . لكن الثانية المستعملة في عددي
١٦ و ١٧ ، تعني « الخراف الكبيرة » ، التي تسرح طوال اليوم بين المراعي
والحقول — هذه تلزمها الرعاية والحفظ والسياسة

فمن هذا نرى ان السؤال الثالث ، يتضمن كلمتين مختلفتين عن المحبة .
والجواب الثالث يتضمن كلمتين مختلفتين عن المعرفة . وفي المزمرة الثالثة نجد
كلمتين مختلفتين عن الرعاية ، واضريين متميزتين للخراف

١٨ الحق الحق أقول لك لما كنت أكثر حداثة كنت تمنطق ذاتك وتمشي حيث تشاء . ولكن متى شئت فانك تمد يديك وآخر يمنطقك ويحملك حيث لا تشاء . ١٩ قال هذا مشيراً الى أية مية

المسيح بنبي بطرس عن مستقبله — اتباعه متى الصليب (١٩ و ١٨:٢١)
«الحق الحق» — انظر شرح ٥٥:١ — «اقول لك لما كنت أكثر حداثة» — مما انت عليه الآن — «كنت تمنطق ذاتك وتمشي حيث تشاء ولكن متى شئت . . .» . ان في هذا الكلام مقابلة بين بطرس في شبابه ، و بطرس في شيخوخته . فبطرس في شبابه كان ينعم بالحرية — يسرح ويمرح في الحياة انى شاء ، لكنه في شيخوخته سيحمل الى حيث لا يشاء . ف «مد يديه» يشير الى تسميرهما في الصليب الذي كان مزماً ان يُرفع عليه . اما ذلك «الآخر» الذي سيمنطقه ، فهو الجلاد الذي سيسمر جسد بطرس في الصليب ، ثم يحمله هو وصلبيه ، مثبتاً اياهما في مكان مرتفع كالمعتاد (انظر صفحة ٧٧٣) . ولا يستنتج بالضرورة من قول المسيح لبطرس : «حيث لا تشاء» ، ان بطرس سيكون هارباً من الموت — مع ان هذا قد يكون في حيز الاحتمال^(١) — وانما يستفاد منه : ان الطبيعة البشرية تنفر بطبيعتها من الموت ، مثلما ينفر الطفل من مواجهة الظلام

«ولما قال هذا قال له اتبعني» — في مناسبة سابقة قال المسيح لبطرس : «حيث اذهب لا تقدر الآن ان تتبعني» (٣٧:١٧) . اما الآن ، فقد حان

كان زمعاً ان يمجّد الله بها . ولما قال هذا قال له اتبعني . ٢٠ قالت
بطرس ونظر التلميذ الذي كان يسوع يحبه يتبعه وهو ايضاً الذي
اتكأ على صدره وقت العشاء وقال يا سيد من هو الذي يسلمك

الوقت الذي فيه قال له المسيح ، « اتبعني » مشيراً بذلك الى الصليب ، الذي
كان معداً ليُرفع عليه بطرس في مستقبل الايام ، مثلما رفع مولاه من قبل
في بدء تعرف بطرس بالمسيح ، سمع منه مثل هذه الكلمة (٤٣: ١ ، متى
٢٢: ٨ ، ٩: ٩) . والآن ، عند توديع سيده اياه ، سمع منه هذا النداء . قبلاً
ناداه سيده ليتبعه في حياة الخدمة ، والآن دعاه ليتبعه الى موت الصليب

ب - المشرع الثاني - المسيح ربونا - هل من نصيب يوحنا انه « يبقى »
منتظراً (٢٠: ٢١ - ٢٣)

سمع بطرس من المسيح كلمة : « اتبعني » - ولعله لمح معها اشارة من
مولاه ، فتبعه للوقت . وما هي الا لحظة حتى حانت منه التفاتة الى الوراء ،
تجاه التلاميذ الذين كانوا جالسين حول اللوقد ، فرأى يوحنا ايضاً آتياً .
فثارت في نفسه غريزة حب الاستطلاع ، وقصد ان يستفهم عن النصيب
المذخر لزميله يوحنا ، ولكن بلمحة فيها شيء غير يسير من الاستقصاء الفضولي .
وقد لا تخلو من شيء من الحسد . فكان جواب المسيح له : انه ليس عن حكمة
يسأل عن هذا . فاذا ما رغب هو في ان يجعل نصيب يوحنا « البقاء » على قيد
الحياة حتى يحيى ثانية ، وان يجعل نصيب بطرس الموت العاجل ، فهو حر ،
يرتب لكل انسان مصيره وعمله حسبما يشاء . فما على بطرس الا ان يتنبه الى

٢١ فلما رأى بطرس هذا قال ليسوع يا رب وهذا ما له . ٢٢ قال له يسوع إن كنت اشاء انه يبقى حتى أجيء . فماذا لك . اتبعني انت

للسؤوليات التي عليه ، وان يقلع عن البقية الباقية من الانسان العتيق الذي في نفسه ، الذي كان يدفعه بين حين وآخر الى ان ينشغل بالآخرين عن نفسه . ولا يستفاد من هذا ، ان السيد يمنعنا عن ان نطمئن على مستقبل من نحب ، بل انه ينصح لنا ان لا نكون فضولين ، وان نرضى بما يرضاه هو لنا . لانه « لا يقدر انسان ان يأخذ شيئاً ، ان لم يكن قد أُعطي من السماء » (٢٧:٣)
قول الامثال: ان الله فرق العقول في الظلام ، فكل انسان يفضل عقله على كل عقل سواه . لكنه فرق الانصبة في النور ، فالانسان معرض لأن لا يرضى بتصبيه ، مفضلاً عليه نصيب سواه .

على ان المسيح الذي عين نصيب كل من بطرس ويوحنا ، قد راعى الاستعداد الطبيعي الذي لكل منهما . فبطرس ذو الطبيعة الخامسة الثامنة للندفة ، قد عين له ان يخدم مجاهداً حتى يُرفع على صليب عاجل . ويوحنا ذو الطبيعة الرابعة الساكنة ، الذي يلد له الانتظار بصبر وسكون ، قد قال عنه للمسيح « ان كنت اشاء انه يبقى حتى أجيء فماذا لك »؟ ان كلمة « يبقى » من سميات اسلوب يوحنا ، وقد وردت كثيراً في الانجيل الخامس عشر ، بمعنى « يثبت » . فلا فضل لبطرس في جهاده الذي يُتَوَجَّج بالصبر ، على يوحنا الذي « يبقى » بهلوه وسكون . لان الجندي الذي يلازم المرقب ، خالق بمكافأة نظير الجندي الذي يخرّ صريعاً في حومة الوغى . فكذلكهما أمين لوطنه

٢٣ فذاع هذا القول بين الاخوة إن ذلك التلميذ لا يموت . ولكن لم يقل له يسوع إنه لا يموت . بل ان كنت اشاء أنه يبقى حتى أجيء .
فإذا لك . ٢٤ هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا

قد اساء بعضهم فهم هذه الكلمة التي فاه بها المسيح عن يوحنا، فظنوا ان المخلص وعد يوحنا بالبقاء حتى يجيء ثانية. من اجل ذلك كان كثيرون منهم ينتظرون ان يوحنا الحبيب سينال ما ناله « اخنوخ » و « ايليا » في العهد القديم . فلم يجد يوحنا بدءاً من تصحيح هذه الفكرة ، فعمد الى ترديد كلمات المسيح كما هي ، من غير شرح ولا تعليق : « ولكن لم يقل له يسوع انه لا يموت . بل ان كنت اشاء انه يبقى حتى اجيء فإذا لك »

ولا يغرب عن بالنا، ان مجيء المسيح عملية تتم تدريجياً على فترات متتابة فقد يشار به الى مجيئه روحياً يوم الخمسين — للعزاء . أو الى مجيئه يوم خراب اورشليم — للقضاء . أو الى مجيئه عند منتهى حياة كل مؤمن — لبأفئذه اليه . أو الى ذلك الحادث المجيد المبتغى — مجيئه نهائياً عند انقضاء الدهور — للمملك والقضاء . والمعنى الاخير هو المقصود في هذه القرينة

الخاتمة النهائية : (٢١: ٢٤ و ٢٥) . « هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا . . . » . أريد بهذه الخاتمة ، تبين ثبوت حقائق — الاولى ان كاتب هذه البشارة ، شاهد عيان : « هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا » .
والثانية : ان شهادته حق : « ونعلم ان شهادته حق » . فهي حق لانها تحمل في قلبها برهان صدقها ، وهي حق بحكم الاخلاق النبيلة المتصف بها كاتبها

ونعلم ان شهادته حق . ٢٥ واشياء أُخر كثيرة صنعها يسوع ان
كتبت واحدة واحدة فلست أظن ان العالم نفسه

بشهادة الجميع . والثالثة: ان ما كتب عن المسيح لا يوازي الا قطرة أخذت
من بحر خضم . فلو كتبت كل اعمال المسيح وكلماته ، واحدة واحدة ،
فان « العالم نفسه لا يسع الكتب المكتوبة » - الاشارة هنا الى سعة العالم
الفكرية والمعنوية ، اكثر منها الى سعته المادية الجغرافية . لان بين ايدينا
اليوم ، كتباً لا تحصى عن حياة المسيح ، وعددها يربى على عدد اي كتب
أُلفت في موضوع واحد . ومتى ذكرنا ان كل هذه الكتب مستقاة من قطرة
المعلومات التي وصلت الينا من البشيرين ، فما اكثر الكتب التي كان يمكن
ان تكتب عن حياة المسيح ، لو أُتيح للكتاب ان يرتشفوا من بحر المعلومات
الزاخرة الفياضة . ولكننا نحمد الله لان ما كتب فيه الكفاية لقوم يعقلون
هذه خاتمة هذه البشارة الخالدة التي فيها رأينا « كلمة الله » الازلي ، وقد
تجسد ، « وحل » بيننا فرأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً .
هذا هو « حمل الله » الذي رفع خطية العالم ، وهو هيكلنا الازلي ، الذي لم يكن
هيكل سليمان سوى رمز له . هو ترياقتنا الشافي من كل لدغات الخطية
ولسعاتها . هو ماء الحياة المروي ، وخبز الحياة المشبع ، ونور العالم الساطع .
هو راعي الخراف المضحي بالنفس والنفيس ، وهو التيامة والحياة ، للراقيدين
في قبور الخطية - من احياء واموات . هو غالب رئيس هذا العالم ، وهو خير
جاذب القلوب المتباعدة . هو الطريق ، والحق ، والحياة . هو الكرامة

يسع الكتب المكتوبة . آمين .

الحقيقية التي صارت عصارتها للبشرية خير عزاء ، وبهجة ، وشفاء . هو الذي
 اذ رُفِعَ على صليب العار ، جعل من الصليب عرشاً ، وخلق من عاره فخاراً ،
 وصير كسرتة غلبة وانتصاراً ، فاضحى وهو على الصليب متوجاً بتيجان كثيرة
 فجاءت مملكة العلم ، ومملكة الرحمة ، ومملكة الحق ، ومملكة المحبة ،
 ومملكة القوة ، فطرحت تيجانها عند قدميه ساجدة صاغرة .
 هو الذي قَبِرَ الموت في قبره قمام ظافراً بتاج الخلود ،
 وصعد مرتفعاً الى عرش السماء . وسيأتي
 ثانية ليملك بمجده
 آمين . فآمين

يرى المؤلف لزماً عليه ان يذكر اسماء الكتب التي استعان بها في
تفسيره، إقراراً منه بفضل مؤلفيها : —

Commentary on the Gospel of John	—	<i>F. Godet.</i>
The Speaker's Commentary ; St. John	—	<i>B. F. Westcott.</i>
The Pulpit Commentary, St. John	—	<i>H. R. Reynolds.</i>
Expository Thoughts on the Gospels	—	<i>J. C. Ryle.</i>
The Greek Testament	—	<i>Henry Alford.</i>
The Gospel According to John ...	—	<i>J. P. Lange.</i>
Gnomon of the New Testament ...	—	<i>J. A. Bengel.</i>
The Gospel of St. John	—	<i>F. D. Maurice.</i>
Exposition of Holy Scriptures ...	—	<i>A. Maclaren.</i>
The Cambridge Bible—St. John ...	—	<i>A. Plummer.</i>
The Analysed Bible — „ ...	—	<i>Campbell Morgan.</i>
The Bible Commentary... ..	—	<i>C. J. Elliott.</i>
Matthew Henry's Commentary ...	—	<i>Matthew Henry.</i>
Critical and Experimental Commentary	—	<i>D. Brown.</i>
The Expositor's Bible ; St. John ...	—	<i>Marcus Dodds.</i>
The Fourth Gospel	—	<i>R. H. Strachan.</i>
Studies in John's Gospel	—	<i>W. W. White.</i>

الكنز الجليل للدكتور ادي وجماعة من اللاهوتيين في سوريا
سيرة يسوع المسيح للدكتور فورد
شرح انجيل يوحنا لبنكرتن
اتفاق البشيرين للدكتور سمعان كلهون

